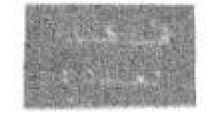

الهلال
جزء خاص:
من أعلام
المستشرقين
ABC
الهلال +
+ الهدية = ١٥ قرشا

الهلال

المحرم ١٣٩٦
يناير ١٩٧٦

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال – أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ – العدد الاول – السنة الرابعة والثمانون – اول يناير ١٩٧٦ غرة المحرم ١٣٩٦

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٥ قرشا فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٣ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة بالبريد العادى – ويضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .
الإدارة : دار الهلال – ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)





ابراهيم المصرى   د. احمد الشرباصى   د. عبده بدوى

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

لوجهك

لوجهك أنت أحب الحياه — لأنك أنت وهبت الحياه
أحبك في نفحات الزهور — وشدو الطيور وهمس المياه
وفي كل نور يضيء العيون — وفي الابتسامات فوق الشفاه
وفي كل نجوى لذات الإله — يبوح بها الراكع الساجد
وفي كل ماحولنا آية — «تدل على أنك الواحد»

***

أراك القوى بعصف الرياح — أراك السني بنور الصباح
أراك الضياء إذا الشمس هلت — أراك الصفاء إذا البدر لاح

أنت

صالح جودت

أراك الهنا والسنا والمنى — أراك الهدى والندى والسماح
غمرت بنعمائك العالمين — فكل الورى شاكر حامد
وفي كل ما حولنا آية — « تدل على أنك الواحد »

***

إلهي .. وأنت العلا والجلال — وأنت جميل تحب الجمال
حنانك يارب ملء الوجود — وعفوك فوق حدود الخيال
وأنت الكريم وأنت الرحيم — ومنك العطاء ومنك النوال
يؤمل عفوك جم الذنوب — ويسعد في حبك العابد
وفي كل ماحولنا آية — « تدل على أنك الواحد »



■ د. سيد نوفل ■



دائرة المعارف الإسلامية

في عام ستة وثلاثين وتسعمائة وألف ، وفي المجمع اللغوي العربي بالقاهرة خطب الاستاذ « جيب » المستشرق الانجليزي المعروف، واستاذ اللغة العربية بجامعة أوكسفورد ، وعضو المجمع ، والعضو البارز في لجنة تحرير دائرة المعارف الاسلامية · فذهب الى ان المستشرقين الاوروبيين والامريكيين يصنعون للغة العربية في هذا العصر ما كان يصنعه الاعاجم لها في العصر العباسي ··

وكنت محررا بصحيفة (السياسة) في تلك الايام ، وكانت كلماتها مراجع علمية وثيقة ، وذات اصداء فكرية عالية ··كتبت كلمة في صدر الصحيفة في بابي الخاص (منتقد) ، تعقيبا على كلمة المستشرق النابه ، تحت عنوان « دولة المستشرقين » ··· وفي هذه الكلمة انكرت على الاستاذ « جيب » تشبيهه ، وإن أكدت فضله وفضل سائر المستشرقين في احياء التراث العربي الإسلامي ··· ورأيت ان امر الاعاجم العباسيين مختلف جدا عن امر المستشرقين المحدثين · فالاعاجم العباسيون عرب النشأة والمولد ، وقد اكتملت لهم الذهنية العربية ، وقالوا من اروع الشعر والنثر العربيين ·وسجلوا في تاريخ الادب العربي والفكر الإسلامي آثارا خالدة على الزمان ···فهم ، مع اصحابهم الادباء والشعراء والفلاسفة والعلماء العرب اصلا ، قد عملوا للعروبة وحضارتها العالمية في فجر الإسلام وضحاه بلا فارق ولا تمييز ··· صهرهم المجتمع العربي الإسلامي ، وخضعوا جميعا لمقوماته، والتزموا بمبادئه ، بل ان مسألة



د. طه حسين — د. محمد حسين هيكل — د. عبد الحميد يونس

الأصل الجنسي في المجتمع الواحد لا تعدو الخرافة في تلك الأيام وفي جميع الأيام، فليس هناك في أي بلد شعب وجنس خالص، بعد الاختلاطات المتصلة المتعاقبة على الدهور والعصور الطوال ...

أما المستشرقون فهم أجانب ليسوا عرباً ... يتكلمون اللغة العربية بلكنة ولهجة أجنبيتين، ولا يتذوقون الآداب العربية. وفضلهم مع ذلك كبير مشكور بما أحيوا آثارنا وفهرسوا لها وعرفوا بها، وبما قدموا من دراسات تقنية، وإن لم تسلم من الأخطاء المقصودة وغير المقصودة بحكم ذهنيتهم الأجنبية ومقاصد دولهم في البلاد العربية والإسلامية وسائر البلاد الخاضعة للسلطان الغربي ...

ونحن إذا ذكرنا لهم الفضل وعملنا للاستفادة من جهودهم وإصلاحها واستكمالها، يجب أن نعمل في الوقت ذاته للتحرر من سلطانهم الفكري، ودولتهم التي تحاول أن تفرض علينا الآراء، وأن نقول كلمتها الراجحة الفاصلة للأدباء والمفكرين والشعراء العرب، وهي كلمة لا تخلو من الأهواء ...

واستشهدت بأن بحث الأستاذ «جب» عن «الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى» الذي نال به من جامعة لندن درجة الأستاذية عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة وألف، وتولى من بعده منصب الأستاذية للغة العربية بجامعة أكسفورد - هذا البحث خير مثل يوضح أسلوب المستشرقين، وتأويلهم

دائرة
المعارف
الاسلامية

لاحداث التاريخ العربي الاسلامي ودعوت الابناء وقادة الرأى الى التحرر من السلطان الذى تفرضه دولة المستشرقين ...

وفى ذلك الوقت كنت اطالع فى دقة فاحص ما بدأ الزملاء مترجمو دائرة المعارف الاسلامية اخراجه من اعداد الترجمة الاولى ، واوجه النظر الى العناية بها والاستفادة منها والتعقيب على ما تقتضى الامانة العلمية والروح العربية والاسلامية تقويم ما اعوج من آرائها ...

ومع أن الدكتور طه حسين قد تدخل لدى الدكتور محمد حسين هيكل مدير تحرير السياسة لوقف تعرضي للمستشرقين ، فقد ابقى الدكتور هيكل ، بل كان هذا التعرض هو المدخل لتوثيق صلتي بمدير تحرير السياسة والمفكر الحر توثيقا ازداد نماء على الايام الى أن اختاره الله الى جواره فى شتاء عام ستة وخمسين وتسعمائة والف .

عهد وعهد

ولا ريب أن عهد المستشرقين ، وسلطانهم على الفكر والادب العربيين، الذى امتد منذ عصور الجمود العربي الاسلامي ـ قد انتهى فى الاربعينات لهذا القرن ، ولم يعد احد يشعر به فى هذه الايام ... وكان ذلك امرا طبيعيا أمام اليقظة الفكرية والتحرر العربيين ، وأمام الحركة الادبية التى قادها المرحومون الخالدون لطفى السيد ، وهيكل ، وطه حسين ، والعقاد وزملاؤهم ، واصلت ذاتيتنا ، وجعلت أدبنا وفكرنا مثل سياستنا تصدر عنا ، وتتولى جميع شئونها ، وتعمل فى الوقت ذاته على الافادة من الحركات العالمية التى لا تستطيع الحياة بمعزل عنها ، وخاصة فى هذا العصر الذى رفعت فيه حواجز المكان ، واصبح المواطن فى اى بلد مواطنا عالميا ، واصبحت الاحداث والافكار جميعا أحداثا وافكارا عالمية تعنى سكان المعمورة ويتأثرون بها على اختلاف الاوطان والاجناس والشعوب .

ولا ريب انه كان لترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، ونشر اقسام منها فى الثلاثينات والتعقيب على ما تضمنته من آراء ـ كان لذلك اثر فى استكمال التحرر من سلطان المستشرقين على الفكر العربي ، والافادة فى الوقت ذاته من

اسلوبهم في البحث العلمي وفي ترتيب الافكار والموضـــوعات وتبويبهـا والفهرسة لها ...

موقع دائرة المعارف الاسلامية

والموسوعة او « الانسكلوبيديا » او دائرة المعارف ، تعالج المعارف والفنون والحرف ، وتعرف بالبـلاد والاحداث والشخصيات في مختلف مجالات النشاط الانساني . وترتب المواد التي تتناولها حسب الحروف الهجائية في اللغة التي تكتب بها .

وقد ظهرت « الانســكلوبيديا » الفرنسية والبريطانية في القرن الثامن عشر تمهيدا لدائرة المعارف في صورتها الحديثة المتطورة والدالة على المصادر والمحيطة بجوانب الموضوع .

وفي القرن الاول قبل الميلاد والاول بعده ظهرت محاولات مبدئية باللاتينية في التاريخ الطبيعي وغيره . لـكن القواعد الاساسية ، التي تطورت الى الصورة الحالية قد سبق العرب فيها غيرهم من الامم الباقية ، شانهم في كثير من المجالات الاخرى . واحصـــــاء العلوم للفارابي في القرن العـاشر ، ونهاية الأرب في فنون الادب للنويري في القرن الثالث عشر مثلان في هـذا المجال ...

وفي القــرن التاسع عشر ظهرت دائرة معارف البستاني في احد عشر جزءا لبطرس البستاني وابنائه ... كما ظهرت في نهاية الثلاثينات للقـرن التاسع عشر دائرة معارف القـــرن العشرين للاستاذ محمد فريد وجدي في عشرين مجلدا ..

لكنه فيمـا بين عامي ثلاثة عشر وتسعمائة والف وثمـــــانية وثلاثين وتسعمائة والف ، ظهرت دائرة المعارف الاسلامية : Encyclopaedia of Islam

وقد اشترك في تاليفهـا اعلام المستشرقين ، واصـدروها بالانجليزية والفرنسية والالمانية في اربعة مجلدات كبرى وملحق للفنون . ويشتمل المجلد الواحد على نحو الف واربعمـــائة صفحة بالحروف الدقيقة ..

وفي عام اربعة وخمسين اخذت لجنة من المستشرقين المحدثين في اظهار طبعة جديدة فريدة من دائرة المعـارف الاسلامية . وكانت اللجنـة مؤلفة من الاســـاتذة « جيب » و « كرامرز » و (ليفي بروفسال » » و « شاخت » وقد ظهرت الطبعة الاولى منها في عام ستين والطبعة الثانية مصورة من الاولى في عام سبعة وستين.

دائرة
المعارف
الاســلامـيـة

اهميتها

ولدائرة المعارف الاسلامية اهمية خاصة في حركة الفكر العربي الاسلامي ونهضته المعاصرة ، لن صح أن تسمى هذه الحركة المطـردة نهضة على ما يعترضها من عقبات ، ويدبر ضدها من مقاومات ··· ويمكن ايجاز اهميتها فيما يأتي :

اولا ـ انهـا جمل صفـوة المستشرقين ، الذين عكفوا على دراسة الحضارة العربية الاسلامية، وعناصرها المصرية واليونانية والرومانية والفارسية وغيرها ، ومقوماتها من دين وفلسفة وعلم وأدب وفن ، وما اتصل بهـا من اليهودية والمسيحية، والفوا فيها الكتب والبحوث العلمية· ثم اوجزوا دراساتهم وبحوثهم في هـذه الموسوعة العلمية الوثيقة ···

ثانيـا ـ ان كثيرا من موادها لاتعتبر تعريفا وجيزا بالموضوعات التي تتناولها ، وانما تعتبر دراسات علمية لهذه الموضوعات ، واحاطة وافيـة بجوانبها المختلفة··· فمثلا في اول مادة تتناولها الدائرة وهي (العبـابدة) ، تتحدث عن موطن القبيلة الاصلي في مصر العليا وفروعها في شـمـالي السودان وغـيـره ، وعن تقاليدها وعاداتها ، وانسابها كما ترويهـا القبيلة وكما تقول روايات الانساب ·كما تتحدث عن صلاتها السـامية والحامية ، وتعطي بحثا مستفيضا لموضوعها من شتى نواحيه ··· وفي المادة الثانية ، أبد ، تتحدث عن معاني الكلمة اللغوية والفلسفية ، وما اتصل بها من جدل ومحاورات في علم الكلام حول الابد والدهر والزمان ، والخلاف بين مذهب ارسطو وغيره من المذاهب

وفي مادة مثل (اذربيجان) تورد أوجه نطقها وموطنيها في ايران والاتحاد السوفييتي ، وتاريخها والفتح الاسلامي لها ، ودورها في العالم الاسلامي لمختلف العصور الاســلامية ، وتوفي البحث تاريخيا وجغرافيا ، وتكمله بمصـور جغرافي يبين مواقعها وتفاصـيـل اقليمها ··

ثالثا ـ الدلالة على المصادر في دقة ، وتبيان الجـزء من الكتاب ، والصفحات التي رجع اليهـا الكاتب ،وتيسير سبل الاطلاع الاوفى والاحاطة الاشمل للباحث الذي ينشد المزيد من المعرفة ·

رابعا ـ ان نشرها هيأ للباحثين العرب فرص الاطلاع الشامل على اراء المستشرقين واتجاهاتهم ، وكان لهذا الاطلاع اثره في تنمية الذاتية والاستقلال للفكر ، وفي كسبه المزيد من الثقة والاعتماد على النفس ...

مؤلفوها

واذا كان المستشرقون هم واضعو الدائرة ومؤلفو موادها ، فقد اشترك معهم عدد مذكور من علماء العرب والبلاد الاسلامية ، بل من علماء اسرائيل ، فضلا عن المستشرقين اليهود الذين كان لهم دور بارز فيها .

اشترك في كتابة موادها علماء من جامعات بروكسل ولندن وكامبردج ومانشستر وبرلين وميونيخ وليدن وبلجراد وباريس وروما ونابلي وفيينا وغيرهم . واشترك فيها قليل من علماء مصر وسورية ولبنان والعراق وتونس والجزائر والمغرب والسودان .

وكذلك اشترك في تحريرها بعض علماء استنبول ودكا ونيودلهي وكراتشي وغيرهم .

مثلما اشترك علماء من الجامعة العبرية باسرائيل .

وهكذا جمعت الوان الاراء المتعلقة بالحضارة العربية وتعاليم دينها وعلوم الاسلام وشتى الفنون والمعارف والاداب . واتاحت بهذا فرصا كثيرة ليقظة الفكر العربي .

ترجمتها الى العربية

ولعل ترجمة دائرة المعارف الاسلامية الى اللغة العربية لا تقل جهدا ونفعا من وضعها باللغات الغربية فهذه الترجمة هي التي اتاحت للجمهرة الكبرى من الادباء والعلماء والدارسين العرب ، غير العارفين بأي من اللغات الغربية الثلاث ، ان تطالع ما تضمنته الدائرة من علوم ومعارف واراء ...



د. ابراهيم مدكور



بطرس البستاني

دائرة
المعارف
الاســـلامية



بل ان العالمين بأى من اللغات الاجنبية لثلاث لم يكن فى مقدور كثرتهم الغالبة تفهم الاصـــل الاجنبى بمصطلحات وخصائصه ما لم تتح لهم الترجمــــة العربية هذا التفهم ·

وقصة هذه الترجمة ، كما يرويها اصحابها ، جديرة بالتقدير لمن اضطلعوا بهذه المهمة ، وادوها خير اداء ···

لقد نهض بهذه الترجمة القيمـــة ثلاثة من الزملاء خريجى كليـــة الاداب بجامعة القاهرة فى مطلع الثـــلاثينات لهذا القرن ، وهم الاســـتاذان ابراهيم زكى خورشيد ، واحمـــد الشنتناوى ، والدكتور عبد الحميد يونس ···

وقـــد تبينوا ان المســـلمين يشعرون « بحاجتهم الى هذا التوحيـــد فى الثقافة ، فانت تسمع عن الوحـــدة العربية وعن الجامعة الاســـلامية وعن المجامع اللغوية العربية وعن المؤتمرات الاسلامية ، وكلها ترمى الى توحيـــد الثقافة فى العالم الاسلامى ـ العربى اذا شئت ـ كما ترمى الى تغذية اللغـــة العربية التى هى اكبر الوســـائل واخطرها فى توحيد الجماعة الاسلامية فاذا قمنا بترجمة هذه الدائرة فلاننـــا نريد الاسهام فى هذه النهضة ونرغب رغبة صادقة فى العمـــل على تحقيق اغراضها ، ولسنا نشـــك فى ان دائرة المعارف الاسلامية هذه ستكون من القوى الدعائم التى سوف يعتمد عليهـــا فى كتابة دائرة المعارف العربية الكبرى التى يتحرق الناطقون بالضـــاد شوقا الى ظهورها » ·

ولهذا ، بنص قولهم : « عكفنـــا على دراسة المشروع من جميع نواحيه ، والمنا بكل الصعوبات المادية والمعنوية التى كثيرا ما تعترض الاعمال العلمية والادبية فى مصر · وظلت هـــذه الصعوبات حائلا بيننـــا وبين تحقيق امنيتنا · ولعلها كانت عين الصعوبات التى وقفت فى سبيل غيرنا ممن حاولوا تحقيق تلك الامنية ، حتى لاح لنا اننا كنا مخطئين حين حـــاولنا ان نحل الصعاب كلها دفعة واحدة ، فرأينا اخيرا ان نقسم العمل الى اقسام ثم نشرع فى التطبيق خطوة خطوة ، وشعارنا ان كل شىء متيسر ومستطاع » ·

وقد امتازت الترجمة بأن « اعلام مصر - سواء كانوا من علماء الأزهر الشريف أو من اساتذة دار العلوم او الجامعة المصرية - قد اسهموا بنصيب وافر في مراجعة الترجمة والتعليق على بعض الفقرات ، وفي ابداء الملاحظات القيمة والآراء السديدة » .

وأتم العلماء الثلاثة ترجمة جزء كبير منها من حرف الألف الى حرف الطاء فيما بين عام ثلاثة وثلاثين ، عام خمسة وستين

وفي يناير (كانون الثاني) لعام تسعة وستين بدأوا لفراغ للطبعة الثانية بواسطة دار الشعب ، وأضافوا اليها المواد المستحدثة في الطبعة الثانية للأصل الاوروبي ، وحفلت بالتعقيبات الكثيرة لرجال الفكر والعلم والدين . وظهر منها ثلاثة عشر مجلداً في نحو ستة الآف وسبعمائة صفحة ...

لكن التعقيبات العربية على آراء المستشرقين يلاحظ عليها اختلاف الأسلوب ، وتنوع الحجة قوة وضعفا ... فبعض التعقيبات تبدو غير متلائمة في طريقتها النقلية التصديقية التقليدية مع الطريقة الفاحصة العلمية الموضوعية التي ينتهجها المستشرقون .. وبعضها تبدو عليه مظاهر التعصب الأعمى للرأي والانفعال في الحوار مما لا يجمل في ميدان البحث العلمي .

ومن الطرف ما استوقفني في هذا اللون من التعقيبات ثورة احدهم على ما تضمنته الدائرة في مادة اللغة العربية من أنها احدث اللغات السامية ... فقد اخذ المعقب يهاجم القائلين بهذا في عصبية دون سند علمي في مهاجمته ، وخيل اليه ان كون العربية احدث اللغات السامية طعن عليها ، وما درى أن ذلك آية نموها واكتمالها ووفائها بمطالب الحياة في انشطتها المختلفة ، وأهليتها للتطور والبقاء على الزمان ...

لكن هنالك تعقيبات علمية تشرف الفكر العربي ، وفي مقدمتها تعقيبات مصطفى عبد الرازق ، وأحمد أمين ، وأمين الخولي ، وابراهيم مدكور ، ومهدي علام ...

وبعد فان « دائرة المعارف الإسلامية » عمل علمي كبير ممتاز ، وترجمتها العربية عمل علمي جدير بأعظم التقدير ...

لكن هذه الدائرة اصبحت قديمة ، كما انها ذات طابع خاص . ومن المؤسف حقا الا تنهض كلياتنا الجامعية ، وجمعياتنا العلمية بكتابة موسوعات في مجالاتها المختلفة ، تصبح مراجع اساسية للطلاب والباحثين ...

وخالص الرجاء أن تتجه الى تلك همة مجالسنا القومية المتخصصة ... انها لو اسهمت في هذا المجال ، لأدت للعلم حقه ، وللوطن واجبه ، ولأمدتنا ببعض ما نرجوه من أعمال ..

● علي أدهم ●

يقول المؤرخ العلامة جرجي زيدان في الجزء الرابع من كتابة القيم « تاريخ اداب اللغة العربية » : « من العوامل الرئيسية في احياء اداب اللغة العربية في هذه النهضة اشتراك الافرنج في درسها ونشر كتبها والتنقيب عن تلك الكتب في مظانها ، وليس اهتمام الافرنج بالآداب العربية حديثا فانه يرجع الى الاجيال الوسطى قبل نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث ، وينقسم عملهم في هذا السبيل الى دورين الاول اشتغالهم بنقل العلوم الطبيعية والرياضية في أول نهضتهم ، والثاني اشتغالهم باللغات الشرقية وادابها »

والمعروف ان الاوربيين بدأوا يهتمون باللغة العربية بوجه خاص منذ القرن العاشر الميلادى ، وكان باعث هذا الاهتمام الرغبة في الاطلاع على كتب العلم الطبيعي والطب والفلسفة ، وفي القرن الثاني عشر الميلادى صارت طليطلة وغيرها من مدن الاندلس التي ازدهرت بها الحضارة العربية الاسلامية موارد لطلب العلم والتوسع في المعرفة ، وكثر النازحون اليها من مختلف انحاء اوربا للاستفادة وتحصيل المعرفة ، وللقيام بالترجمة والتاليف ، وعنى ملوك اوربا بالاداب العربية والحضارة الاسلامية لينهضوا بأممهم ويفيدوا من الحضارة العربية ، الاسلامية ، وكان من البارزين في هذه الحركة فردريك الثاني الامبراطور الالماني الذي عاش من سنة ١١٩٤ الى سنة ١٢٥٠ م والفرنسو العاشر صاحب

المستشرق رينهارت



بقشتالة (١٢٥٢ ـ ١٢٨٤) وكان هو نفسه من العلماء وقد اهتم اهتماما بالغا بتقريب العلماء وتشجيعهم ، وحرص على ترجمة الكتب التي تحوي نتاج العقل الاسلامي الى اللغة اللاتينية ، واسس الكثير من المراكز الثقافية في كثير من النواحي والجهات وعهد بالتدريس فيها الى اساتذة من المسلمين ليدرسوا الطب وغيره من المعارف الانسانية ، واستحق أن يسمى في التاريخ الاسباني باسم « الفونسو العالم » .

وقد اقتدى معاصر الامراء الاوربيين بهذين الرجلين فكثر النقل من اللغة العربية الى اللاتينية وكانت عناية الاوربيين في بادىء الامر موجهة الى نقل العلوم الطبيعية للاستفادة منها في نهضتهم ، ثم شغلوا بعد ذلك بدراسة آداب اللغة العربية نفسها

ويرجع ذلك الى أسباب دينية وسياسية وتجارية ، وقويت تلك الحركة في ايطاليا وكانت روما معنية في ذلك الحين ـ القرن الخامس عشر الميلادي ـ بحركة التبشير ، واقتدى الفرنسيون بالايطاليين واهتموا بدراسة العبرية والعربية ، واستمرت هذه الحركة في القرن السابع عشر الميلادي ، وبدأ يظهر كثيرون من اعلام المستشرقين .

ولم ينقض القرن الثامن عشر حتى كان الاهتمام بالاداب الشرقية قد اصبح سمة واضحة من سمات الثقافة الغربية ، وانشئت في فرنسا مدرسة للغات الشرقية ، واصبحت فرنسا في النصف الاول من القرن التاسع عشر المرجع الذي يقصده الراغبون في دراسة العلوم والاداب الشرقية ، واخذت سائر الدول الاوربية تقتدي بها وكان لحركة الاستعمار أثر واضح في تشجيع هذه الحركة ، فقد كان المستعمرون يحاولون أن يعرفوا اشياء كثيرة من عادات الامم الشرقية وتقاليدها وماضيها ولغاتها ، وكان لنابليون بونابرت نفسه اثر ملحوظ في تشجيع هذه الحركة .

وفي اوائل القرن التاسع عشر انشئت جمعيات في فرنسا وانجلترا والمانيا للعناية بدراسة اللغات الشرقية ، وكان لكل جمعية مجلة تتولى اذاعة بحوثها ، ووجه المستشرقون عناية خاصة الى دراسة

دوزي

صاحب تاريخ آداب اللغة العربية

المستشرق رينهارت دوزي

اللغة العربية وادب العرب وعلومهم ، ونبغ كثيرون من المستشرقين في هذا المجال ، وعملوا على طبع الكثير من كتب التراث العربي الاسلامي ، وترجموا جانبا منه الى لغاتهم، وباشر بعضهم التاليف عن التاريخ الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية في لغاتهم الاصلية ، وامتازت بحوث كثيرين منهم بتحري الدقة والنزاهة ومجافاة التعصب جهد الطاقة .

وكان من مشاهير مستشرقي القرن التاسع عشر المستشرق الهولندى الكبير رينهارت دوزى مؤلف الكتاب القيم المعروف عن « تاريخ مسلمى اسبانيا » وغيره من البحوث الهامة التى تناولت تاريخ العرب والاسلام فى الاندلس بوجه خاص ، وحياة هذا المستشرق العلامة الجليل النموذج لحياة العلماء الذين وقفوا حياتهم على البحث والتنقيب والتاليف فى عزيمة ماضية ، وهمة لا يعتريها الكلال ، وتضع الاخلاص للبحث والتفرغ له فوق كل اعتبار ، وان كان قد اخذ عليه شيء فى هذا السبيل فهو فرط تشدده فى اخلاصه ، وشدة استمساكه بتحرى الحقائق ، ومجافاة المجاملة والاعتدال فى هذه الناحية ، وكان لذلك اثره فى وقوع خلافات بينه وبين بعض اصدقائه واساتذته .

ويقول الاستاذ حسن حبشى فى المقدمة التى كتبها لترجمته لكتاب دوزى عن المسلمين فى اسبانيا « اقام العرب فى اسبانيا فى العصور الوسطى دولة كان لها من التقاليد والنظم ما اسهم بنصيب اوفى فى قيام الحضارة الغربية الحديثة ، واستطاعوا فى فترة قصيرة من الزمن أن يحولوا اسبانيا العصر الوسيط الى دولة تشع الفكر والعلوم ، ولم يكن للتعصب الدينى فيها اثر برغم ما يحاول بعض الكتاب الغربيين تصويره مما لا يستقيم مع منطق التاريخ والاحداث والطبيعة ، وليس من شك فى ان العرب اداتوا الفكر الانسانى . وكان قمينا بالغرب الاوربى أن يسير فى طريق التمدن بخطا اسرع او انه تجرد من تعصبه الذى ظهر منذ اللحظة الاولى لاستقرار العرب الذين كانوا يختلفون اختلافا كليا عن الشعوب التى تهيأ لاوربا معرفتها ، والتى عرفتها باسم الشعوب البربرية او الجرمانية التى ظلت موجاتها العارمة المدمرة تجتاح اوربا ممثلة فى الامبراطورية الرومانية ، ووطات باقدامها وسنابك خيولها ، ما كان اذ ذاك من حضارة نسبية ، على حين ان العرب حين دخولهم اسبانيا كانت لهم قدم راسخة فى الحضارة

وتذوقوا أفاويقها، واستطابوا ثمارها فكانوا بلا مشاحة احرص الناس عليها ، هذا الى انهم كانوا دعاة دين سمح ، وبناة لنظام عمراني واجتماعي وفكري ، يشهد بذلك التاريخ المجرد ، واذا كانت ريح التعصب الاوربي قد حاولت طمس معالم الحضارة العربية في الاندلس باهمال تاريخهم اهمالا مقصودا فان جريرة احفاد العرب في عدم العناية الجدية به لاشد وانكى »

ويسترسل الاستاذ حبشي قائلا « غير انه قد تهيأ لهذا التاريخ والحضارة العربية بشبه جزيرة ايبريا عالم غربي وقف حياته عليهما ، ذلك هو المستشرق الهولندي رينهارت دوزي الذي ولع بدراسة العرب والمسلمين في اسبانيا على وجه الخصوص ولما ظهرت اثاره فيما خلفه من مؤلفات قيمة في هذا المجال .. والواقع ان تاريخ الاندلس ظل شغل دوزي الشاغل طوال حياته حتى اصبح فيه العلم المفرد في وقته ، وظل كتابه مرجعا هاما بل المرجع الاول لدارس تلك الفترة من التاريخ بشقيه الحضاري والسياسي »

وحينما قامت مكتبة بريل سنة ١٩٣٢ بطبعة جديدة لكتاب « تاريخ مسلمي اسبانيا » وعهدت بالاشراف على الطبعة للمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ـ وهو الاخر حجة في هذا التاريخ ـ كان مما قاله في مقدمة الطبعة الجديدة « عندما اصدرت مطبعة بريل بليدن منذ ثلاثة ارباع القرن كتاب « تاريخ مسلمي الاندلس » للعالم الهولندي الشهير رينهارت دوزي ، اعلن المستشرقون والمؤرخون ان خطوة كبرى قد اتخذت لمعرفة فترة من تاريخ اسبانيا الوسيط كانت لا تزال جد غامضة حتى ذلك الحين ، ولم يعالج الموضوع باكمله من زاوية جديدة فحسب بل انه شيد لاول مرة على اسس علمية دقيقة ، ويرجع الفضل في ذلك الى قراءات دوزي التي لا تحصى ، والى مقدرته على العمل ، تلك المقدرة التي لا تزال تنتزع الاعجاب منا الى الان ، فقد مكنته هذه المقدرة من البحث في المصادر الاصلية مصدرا وراء مصدر ، وفي الحوليات العربية واللاتينية والاسبانية بالرغم من ان معظمها لا يزال غير منشور ، وتحتويه المخطوطات الموزعة في انحاء اوربا التي يمكن ان تلقي بحيلها من النور على التاريخ السياسي والاجتماعي للاسلام في شبه الجزيرة الايبيرية وقد اصبح كتاب دوزي منذ عام ١٨٦٠ م في عداد المراجع الاساسية (الكلاسيكية (١)) »

---

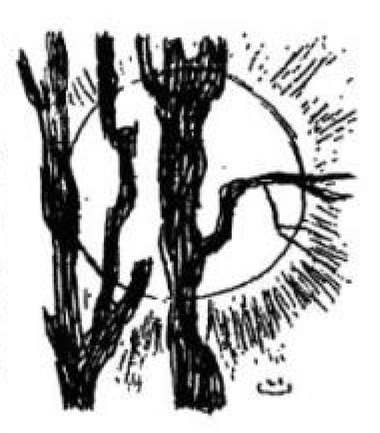
(١) راجع صفحة ٩ من ترجمة الاستاذ حسن حبشي للجزء الاول من كتاب « تاريخ مسلمي اسبانيا » تاليف ر . دوزي .

المستشرق رينهارت دوزي

ويرجع الذين تصدوا لترجمة حياة مؤلف تاريخ مسلمي اسبانيا انه من سلالة اسرة كانت تقيم في اقطاعية اوريزى الواقعة على مقربة من مدينة فالنسين بين كامبراى ودواى ، وفى احد القواميس الجغرافية المطبوعة فى باكورة القرن الثامن عشر ان تلك القرية الصغيرة كان عدد سكانها حينذاك يبلغ ثمانية وسبعين وان منطقة اوريزى اطلق اسمها على اسرة نبيلة كان منها مديرو منطقة كامبراى ، وكانت تلك الوظيفة وراثية فى هذه الاسرة، وكانوا يطلقون على انفسهم اسم « عشيرة اوريزى » ، وفى سنة ١٦٠٢ كان يعيش فى فالنسين ـ الواقعة فى شمال غربى فرنسا على الحدود الفاصلة بينها وبين بلجيكا ـ فرانسوا دوزى او دوريزى ، ومن نسله نشأت فروع الاسرة المتعددة بعد ان هاجرت الى الاراضى المنخفضة ، وقد تركت الاسرة فالنسين فى سنة ١٦٤٧ الى هولندة واكتسبت بذلك الجنسية الهولندية ، وفى ٢١ فبراير سنة ١٨٢٠ وضعت السيدة سارا ماريا لزوجها الطبيب فى ليدن ابنه الذى سماه « راينهارت بيتر آن » وعرف بعد ذلك باسم رينهارت دوزى ، وفقد الصبى والدته وهو فى التاسعة من عمره ، وعهد بتربيته الى هيرمان فين فى واسنار ، ونقل منها الى مدرسة فى هاتم ، واظهر تقدما ملحوظا فى طلب العلم وتحصيل المعرفة حتى انه فى الرابعة عشرة من عمره صار تلميذا للدكتور ج٠ ج٠ دى جلدر لكى يعده للدراسة الجامعية ، وافاد هذا الطالب المجتهد من وقته الى حد انه اصبح يتقن معرفة اللغة الفرنسية والالمانية والانجليزية ٠

وكان الدكتور دى جلدر قد تعود ان يلقن مبادىء اللغة العربية لهؤلاء الطلبة الذين يدرسون اللاهوت ، ولما لحظ استعداد الطالب دوزى للغات عرض عليه ان يعلمه اللغة العربية ، واغتنم الطالب هذه الفرصة وبدأ الدراسة باعتبارها دراسة جانبية فى اوقات فراغه ، وبرغم ذلك تفوق على اقرانه فى تلك الدراسة ، ولم يظهر ميلا لدراسة الرياضيات ، وكان اهتمامه بسائر فروع المعرفة من الاحاطة والشمول الى حد ان استاذه خشى ان يضحى هذا الطالب بالدارسة الصحيحة المتخصصة فى سبيل التوسع فى طلب المعرفة ٠

وفى سبتمبر سنة ١٨٣٧ التحق الطالب بجامعة ليدن ، وسرعان ما استرعى نظر الاستاذ ويجرز اللغوى



اللامع الذى كان يخصص وقته كله لافادة تلاميذه الى حد ان فرط اهتمامه باعداد المحاضرات لهم لم يترك له وقتا لنيل الشهرة ، وكان هذا الاستاذ مطبوعا على تحرى الدقة فى الدراسة وتمحيص المعلومات وتحقيقها ، وقد دفع ذلك الشاب دوزى الى حد من ميله الى التوسع فى طلب المعرفة وسعة الاحاطة ، وقد قرأ دوزى معه فى المراجع العربية والعبرية والكلدانية والسريانية .

وأراد الطالب المتحمس أن يخوض غمار دراسة الشعر الشرقى ، ولكن استاذه الذى كان ينظر الى الموضوع من وجهة النظر اللغوية ودراسة القواعد النحوية نهاه عن الانصراف الى هذا الاتجاه ، وبين له مزايا دراسة تاريخ العرب واقنعه بان يجعلها موضوعه المفضل .

وضاق الطالب فى بادىء الامر بدراسة حوليات الوقائع الكثيرة المتوالية ، وتعاقب الاسرات الحاكمة ، وكاد د.م الضيق ينال من عزيمته ويثنى همته ، واقبل على دراسة المستشرق الفرنسى الشهير كاترمير ، وقرأ كتبه فى دقة وعناية ، وافاد من تحقيقاته وبارع ملاحظاته .

وفى سنة ١٨٤١ اقترح المعهد الملكى موضوعا للمسابقة عن الملابس العربية ، واعجب الطالب الشاب دوزى بهذا الموضوع ، وكان الانتهاء الى نتائج هامة فى هذا الموضوع يستلزم بحوثا شاقة ، ومعاناة طويلة ومراجعة الكثير من الوثائق والمخطوطات مراجعة دقيقة وافية ، ولم يتراجع دوزى امام هذه الصعاب وواجهها فى صبر وجلد .

وقد استطاع دوزى انجاز رسالته فى هذا الموضوع بعد جهد شاق ، وفى نوفمبر سنة ١٨٤٣ ظفر الشاب المجاهد وهو فى الثالثة بعد العشرين بالجائزة التى خصصت لهذا الموضوع وكانت الظروف التى كتبت فيها الرسالة تحول بينه وبين جعلها تبلغ من التجويد والاتقان المستوى الذى كان يريده ، ولذلك أخذ يعمل على

استيفاء ما بها من أوجه النقص .

وفي سنة ١٨٤٥ ظهر كتابه المسمى القاموس المفصل الشامل لاسماء الملابس عند العرب ، وقد تم هذا القاموس على سعة اطلاعه وشدة تمكنه، واصبح الاساس المتين لشهرته بوصفه علما من اعلام الاستشراق .

وكان استاذه ويجار قد عنى كثيرا بالاطلاع على ما كتبه العرب فى اسبانيا واسترعى نظر تلميذه للكتاب الذى الفه جوزيه انطونيو كونده عن تاريخ العرب فى اسبانيا ، ولكن دوزى سرعان ما ادرك ان هذا الكتاب تعوزه الدقة ، وانه ممتلىء بالاخطاء ، وشرع دوزى فى دراسة اللغة الاسبانية ، ومما اعان دوزى على التفرغ للدراسة ان احواله المالية كانت حسنة ، ولم يكن هناك ما يصرفه عن موالاة البحث ومتابعة الدراسة للسعى وراء طلب المعيشة ، فقد كان عنده ما يكفيه .

وجعلته دراساته الاسبانية يفكر حينا من الزمن فى تأليف كتاب عن الكاتب الاسبانى الكبير لوب دى فيجا (١٥٦٢ ـ ١٦٣٥ م) فقد اجتذبته كثرة مؤلفات هذا الكاتب العجيب الشان الغزير الانتاج الى حد تصعب مباراته ، ولكن جهود دوزى تحولت الى اتجاه آخر ، واخذ يفكر فى كتابة تاريخ دقيق لفترة محدودة من حكم المسلمين لاسبانيا ،

المستشرق رينهارت دوزى

وكان حينما شغل بكتابة الرسالة التى تقدم بها فى المسابقة قد جمع الكثير من المعلومات عن اسرة بنى عباد الذين كانت لهم السيطرة على اشبيلية بعد سقوط الخلافة الاموية (من سنة ١٠٢٣ الى ١٠٩١ م) .

وفى سنة ١٨٤٤ نال درجة دكتور، وتزوج ماريا كارولينا، وكانت خير معين له فى دراساته ، وقضى شهر العسل فى المانيا ، واغتنم هذه الفرصة للتعرف فى ليبزج بالمستشرق الالمانى البارز هينريلوثليشر ، وبدات بينهما صداقة استمرت قرابة اربعين عاما ، وعنى كذلك بالبحث فى المكتبات الالمانية عن مخطوطات خاصة بتاريخ بنى عباد .

وعثر فى خلال بحثه على جزء من كتاب الذخيرة لابن بسام ، فيه معلومات عن السيد الكمبيطور الفارس المغامر المعروف فى التاريخ الاسبانى، وقد اشتمل هذا الجزء على رسالة من احد العرب الذين أسرهم السيد فى بلنسيه ، ولما كان ابن بسام قد الف بعد وفاة رودريجو (السيد) بعشر سنوات وكانت الرسالة بذلك سابقة لما ورد فى الحوليات اللاتينية التى كتبت فى جنوب فرنسا

باثنتين وثلاثين سنة لذلك كانت فاصلة في تاكيد شخصية السيد ، وقدر دوزى اهمية هذا الكشف ، وكان سروره عظيما حينما سمح له باخذ هذا المخطوط ليعيد النظر في فحصه ، وكان لهذا الحادث اثره في توجيه فكر دوزى الى كتابة تاريخ المسلمين في اسبانيا .

وفي سنة ١٨٤٥ زار دوزى اكسفورد وافاد كثيرا من الاطلاع على محتويات مكتبة بودلى ، ولما عاد الى ليدن عمل على اصدار سلسلة من النصوص العربية ، وكان المجلد الاول الذى ظهر في سنة ١٨٤٦ يشمل تعليقا تاريخيا لابن بدرون الذى عاش في اشبيلية في القرن الثاني عشر على قصيدة ابن عبدون التى رثى بها بنى الافطس ومطلعها :

الدهـر يفجع بعد العين بالاثر فما البكاء على الاشباح والصور

ويلقى هذا الشرح الكثير من الضوء على غزو المرابطين للاندلس .

وفي السنة نفسها عهد اليه بالاشراف على جمع تراثم المخطوطات الشرقية ، وقام بهذا العمل خير قيام، وفي سنة ١٨٤٧ ظهر كتاب « تاريخ الموحدين » لعبد الواحد المراكشي وبه مقدمة عن تاريخ اسبانيا تبدا من عهد الفتح الى حكم يوسف بن تاشفين وتاريخ المرابطين ، وتاريخ هذه الاسرة الافريقية التى جاءت بعد المرابطين الذى كتبه عبد الواحد المراكشي طبعه دوزى من نسخة خطية وجدها في مكتبة ليدن ، وفي السنة نفسها قام هذا المستشرق الدائم النشاط والحركة بطبع الجزء الاول من تعليقاته على بعض المخطوطات العربية وقد اكمله في سنة ١٨٥١ ، وفي سنة ١٨٤٨ ظهر المجلد الاول من كتاب ابن عذارى « البيان المغرب في اخبار المغرب » وبه ملحق لشرح بعض الكلمات وتعليقات قيمة .

***

وكان دوزى كلما واصل دراسته لمؤرخى العرب ازداد علمه بالاخطاء الخطيرة التى تورط فيها المؤرخ كونده فعقد العزم على كشف اوجه النقص في مؤلف هذا المؤرخ الاسباني ، وكان كونده قد توفى في سنة ١٨٢٠ بعد ان توطدت شهرة كتابه عن « تاريخ السيطرة العربية » وكان لا بد من اعداد العدة واتمام الاهبة لمهاجمة مثل هذا المؤلف الذائع الشهرة ، ولما اتم البحث ، واستوفى المراجعة ، قدم للطبع كتابه عن « بحوث عن تاريخ اسبانيا السياسي والادبي في العصر الوسيط » وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٤٩ وكان له وقع الصاعقة على انصار المؤرخ كونده، وكان دوزى ناقدا صارما شديد الوطاة ، ووصف كونده بانه مؤرخ خصب الخيال ،

المستشرق رينهارت دوزي

وقد اقترنت فيه خصوبة الخيال بمعلومات اولية فى تاريخ الاندلس ، وان معرفته باللغة العربية لا تكاد تتجاوز الحروف الهجائية ، وقد حمله ذلك على تزييف التاريخ ، واختراع الاحداث مدعيا انه ينقل عن النصوص العربية المترجمة ، وابدى دهشته من المستشرقين الذين خدعوا بيهرجه ولم يتبينوا حقيقته .

وكان لنقد دوزى لكونده الاثر الحسن فى نفوس الباحثين طلاب الحقائق . فكتب رينان فى مجلة الفيباه يؤيد رأى دوزى قائلا : ان تاريخ كونده حافل بالاخطاء والكثير من السخافات ، وتصدى للدفاع عن كونده بعض انصاره ملتمسين له العذر ، لانه كان قد اختير مترجما ليوسف بونابرت شقيق نابليون حينما كان حاكما لاسبانيا ، واعتبر بعد ذلك خائنا لبلاده من جراء هذه الصلة واضطر الى الالتجاء الى فرنسا سنة ١٨١٣ ولما عاد فى سنة ١٨١٦ الى اسبانيا لم يسمح له بدخول مدريد ، وتوفى بعد اربع سنوات ، وقد اشرف على تصحيح المجلد الاول من كتابه قبل وفاته وطبع بعد ذلك المجلدان الثانى والثالث بعد موته ولم يكن المشرف على الطبع يملك الكفاية للقيام بهذا العمل ، واخذ على دوزى الناقد المتشدد انه لم يقدر العقبات التى اعترضت كتاب كونده ، ويسلم النقاد بان كونده كان رائدا فى كتابة تاريخ المسلمين فى اسبانيا وان كتابه لا يخلو من المزايا الادبية وان كان من الناحية التاريخية قليل القيمة وانه مصدر كثير من الاخطاء فى الكتب التى ظهرت بعده .

ولم يحجم دوزى عن نقد الترجمة التى قام بها صديقه دون بسكيوال دى جيانجوس لكتاب المقرى عن تاريخ الاسر الاسلامية فى اسبانيا . وبرغم شدة دوزى فى نقد المؤرخين الاسبانيين فانه اختير فى سنة ١٨٥١ عضوا مراسلا فى اكاديمية التاريخ بمدريد وفى سنة ١٨٥٣ انعم عليه بوسام شارل الثالث من الحكومة الاسبانية .

وبعد عشر سنوات تجمعت عنده مواد للقسم الثانى من كتابه « البحوث » وقدمه للطبع مع اعادة طبع الجزء الاول وحذف من مقدمة الجزء الاول المعاد طبعه النقد الذى وجهه لكونده لاعتقاده انه اصبح لا ضرورة له بعد ان عرف مضمونه ، وفى سنة ١٨٥٠ اختير دوزى لكرسى التاريخ فى ليدن ، وشغل بعد ذلك سنوات مشاركا فى اعداد طبع كتاب « نفح الطيب » للمقرى ، وقد الف هذا الكتاب فى القرن السابع عشر وهو من المراجع الهامة فى تاريخ الاندلس الادبى والسياسى .

وقد ادى دوزى لدارسى تاريخ اسبانيا الاسلامية خدمة كبيرة بنقده

لكتاب كونده ، ولكن تلقيه لهذا الكتاب تركه فراغا فى تاريخ تلك الفترة كان لا بد من ان يظهر كتاب يوثق به ليصبح مرجعا للوقوف على حقائق تاريخها ، وقد قام دوزى نفسه بهذه المهمة وقد بذل جهدا جبارا فى النهوض بهذا العمل العظيم ، وفى سنة ١٨٦١ ظهر كتابه « تاريخ مسلمى اسبانيا » حتى غزو المرابطين للاندلس

وهو يقول فى مقدمة هذا الكتاب « ظل تاريخ اسبانيا – وتاريخ المسلمين بها بصفة خاصة – دراستى المفضلة ، وشغلى الشاغل فى كل ساعة لمدة عشرين عاما ، وقبل ان ابدا العمل فى هذا الكتاب الذى انشره الان قضيت جزءا من عمرى فى جمع المعلومات التى كانت مبعثرة فى جميع مكتبات اوربا تقريبا وفحصها ومقارنتها بعضها ببعض ونشر جزء كبير منها ، وعلى كل حال فانى اقدم الى الجمهور هذا التاريخ بحذر شديد فالموضوع الذى اطرقه جديد ، وما ذلك الا لان الكتب التى تعالجه لا فائدة منها البتة كما سبق ان اوضحت فى مكان اخر لانها اعتمدت على كتاب كونده ، واعنى بهذا انه عمل رجل لم يكن تحت تصرفه الا مواد قليلة ، وهو لجهله بقواعد اللغة العربية لم يكن قادرا على فهم ما تذكره ، كما انه كان يفتقد روح النقد التاريخى كلية (١) » .

ولم يقدم دوزى على كتابة هذا التاريخ الا بعد ان كانت فى متناول يده جميع المخطوطات المتعلقة بتاريخ المسلمين فى اسبانيا وبعد ان درس الموضوع من جميع نواحيه ، وبرغم الدقة التى تحراها فى تحقيق الحوادث وروايتها ، والروح العلمية التى تناول بها الموضوع فانه يعرض التاريخ عرضا ادبيا شائقا تتجلى فيه قدراته الفنية وبرغم مضى اكثر من قرن على تاليف هذا الكتاب العظيم فانه لا يزال محتفظا بقيمته بوصفه من المراجع النادرة المأثورة فى تاريخ المسلمين فى اسبانيا .

---

(١) صفحة ١٢ من ترجمة الاستاذ حسن حبشى لكتاب « تاريخ مسلمى اسبانيا » .





مستشرق من هولنده
أرندجان فنسنك
صاحب الفهرسة لألفاظ الحديث

هذا رجل مستشرق من هولندة، يؤخذ منه ويرد عليه، وما أقل الخالص الصافي الذي يؤخذ من المستشرقين بعامة، وما أكثر المشبوه المردود عليهم ولكن جانبا مهما من جوانب النشاط العلمي لهذا المستشرق الهولندي يلفت أبصارنا وبصائرنا أكثر من غيره، ويفيدنا في دراساتنا الاسلامية أكثر من سواه، وذلك هو جانب اشتغاله بالفهرسة لألفاظ الحديث النبوي الشريف •

من المعروف لكل مشتغل بالفكر الاسلامي انه لا يستطيع الاستغناء عن الاستشهاد الموصول بالآيات القرآنية المجيدة، والأحاديث النبوية المطهرة وليس كل باحث أو مفكر بحافظ القرآن الحكيم كله، بل قد يكون حافظا ولايسهل عليه استحضار المواطن التي وردت فيها اللفظة القرآنية ، ولكنه عن طريق فهرس تفصيلي يستطيع في يسر أن يبلغ ما يريد •

ومصادر الحديث النبوي الاساسية ـ فضلا عن الفرعية ـ كثيرة ضخمة ، يصعب صعوبة مرهقة أن يقطف منها الباحث الأحاديث المتعددة المتعلقة بالموضوع الذي يبحث عنه أو يكتب فيه ، وطالما عانى الباحثون المشقات تلو المشقات في هذا الميدان فلما تيسرت أمامهم الفهرسة التفصيلية لألفاظ الحديث النبوي تيسر لهم في بحوثهم ثمرات كثيرة كان يصعب الوصول اليها •

وهذا المستشرق هو الاستاذ



للدكتور هارتمان فنسنك الهولندى .

واغلب المصادر تذكر اسمه الاخير « فنسنك » بالفاء المثلثة النقط ، ولكنه كان يكتب اسمه — عند توقيعه بالعربية — بالواو مكان هذه الفاء : « ونسنك » .

وقد ولد سنة ١٢٩٩ هـ — ١٨٨١ م وتوفى سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م .

ونال شهادة « الدكتوراه » من جامعة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ، بكتابه الذى جعل عنوانه : « موقف الرسول من يهود المدينة » ، وقام برحلات الى مصر وسورية ولبنان وبلاد العرب سنة ١٩٣٠ ، وعاد الى مصر سنة ١٩٣٨ م قبيل وفاته بقليل .

وكان استاذا للغات السامية فى جامعة ليدن .

و « ليدن » مدينة تقع فى جنوب هولندة ، ويوجد بها اقدم جامعات هولندة ، اسست سنة ١٥٧٥ م ، اسسها الامير « وليم الصامت » امير اورانج ، وهو الزعيم الاكبر للهولنديين فى نضالهم من اجل الاستقلال ، وهو ينحدر من اسرة « ناساو » المالكة ، وعمل فى البلاط الاسبانى الذى عينه حاكم هولندا سنة ١٥٥٥ م . ولكن اعتداءات الملك فيليب الثانى على حريات الهولنديين حفزت وليم الصامت الى الانقلاب على مليكه فيليب . ثم شهر وليم السلاح ضد اسبانيا ، وقد اغتاله متعصب كاثوليكى فى مرحلة دقيقة من نضاله لنيل استقلال بلاده سنة ١٥٨٤ م .

وكانت جامعة ليدن مركزا للدراسات الدينية البروتستانتينية والعلوم والطب فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد تركز الاهتمام فيها اولا بالمباحث الدينية والفلسفية ، ثم برزت فروع الطب والعلوم والآداب والحقوق .

واحتلت الدراسات الاسلامية مكانة مرموقة تبعا لمصالح هولندا الاستعمارية والتجارية فى اندونيسيا بوجه خاص ، ونشأت فى هذه الجامعة مكتبة ضخمة جدا .

وفى هذا الجو تألق نجم « فنسنك » الذى اتقن اللغات السامية ، وتخصص فى دراسة الاديان الشرقية واشتغل استاذا للغة العبرية ، فى جامعة ليدن من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩٢٧ ، ثم اشتغل استاذا لكرسى اللغة العربية من سنة ١٩٢٧ الى سنة وفاته عام ١٩٣٩ هـ .

وقد كان فنسنك فى شغله لهذا الكرسى خلفا للمستشرق هورجرونيه ، وهو كرستيان سنوك ، المولود سنة ١٨٥٧ م والمتوفى سنة ١٩٣٦ ، وله

أرندجان فنسنك

دراسات في أصول الفقه الإسلامي ، وله « رحلات في الشرق » وله كتاب عن مكة في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وهو يعد من أهم أعماله .

وكان هرجرونيه خلف « دي جويه » في كرسي أستاذ العربية بجامعة ليدن و « دي جويه » هو ميخائيل جان ،

ولد سنة ١٨٣٦ م وتوفي سنة ١٩٠٩ ، وهو تلميذ رينهارت دوزي » المستشرق الهولندي الفرنسي الأصل ،

الذي كان أستاذا في جامعة ليدن ، واتسعت شهرته بدراساته الأندلسية . وله كتاب « تكملة المعاجم العربية » .

وقد سافر « دي جويه » إلى اكسفورد ، وعاد فأصبح أستاذا في جامعة ليدن ، ونشر « المكتبة الجغرافية » .

وكل واحد من هؤلاء المستشرقين له منزلته وفحولته ، وإن كانت عليه مآخذ وملاحظات .

ويقول الكاتب العربي الأستاذ أمين مدني « أن الكنائس المسيحية قد استغلت المستشرقين في التبشير بالمسيحية ، ولقد ساق التعصب

الأعمى للمسيحية الكثير منهم لمحاربة الإسلام ومحاولة النيل من رسالته وتعاليمه وتاريخه بشتى المفتريات ومختلف التقولات ، كما استغلتهم دول الاستعمار في دعم نفوذها

السياسي والاقتصادي والثقافي ، واتخذت منهم السفراء والملحقين والقناصل .

ومن الطبيعي أن يثير حنق بعض المستشرقين وتهجمهم على الإسلام ومقدساته ـ بدافع الموقف العدائي الذي وقفته المسيحية من الإسلام منذ ظهوره ، وتحمس بعض المستشرقين

للمخططات الاستعمارية والدعاية لها ـ الريبة والحذر في أقوال المستشرقين عن الشرق وتاريخه عامة، وعن العرب والتاريخ الإسلامي خاصة عند المسلمين .

ومن الطبيعي أن يثير هوج بعض المستشرقين ، وأخطاء الذين لا عمق لهم في بحوثهم ، ولا أصالة في رأيهم ، الشك في النتائج التي نجدها عائمة بين زبد الشكوك والتهم .

ومن الطبيعي أن يجلى الحاقد الذي عبثت به الأغراض على النزيه الذي يبحث عن الحقيقة ، وأن يجني المعمي (الإمعة التابع لغيره) المتطرف على البحاثة المتزن ، ومن هنا اختلفت الآراء الشرقية ، ولا سيما العربية المسلمة ، فأجحف البعض واعتدل الآخرون » .

وليس المستشرق الهولندي « فنسنك » بالمعصوم بين هؤلاء ، ولكنه من حسن الحظ أن أبرز أعماله العلمية ، هما كتاب : « مفتاح كنوز السنة » ، وكتاب : « معجم ألفاظ الحديث النبوي » ، وهما كتابان يعتمدان على الفهرسة ، لا على ابداء الآراء والأفكار ..

وهذا هو المحدث الإسلامي المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ، قد لقي « فنسنك » وحادثه وقال عنه :

« وجدته رجلا مطلعا على السنة اطلاعا يندر أن نجده فى مثله » ..

وكتاب « مفتاح كنوز السنة » هو معجم مفهرس عام تفصيلى ، وضع للكشف عن الاحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الائمة الاربعة عشر الشهيرة ، وذلك بالدلالة على موضع كل حديث فى صحيح البخارى ، وسنن أبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة، والدارمى . وذلك ببيان رقم الباب

وفى صحيح مسلم ، وموطا مالك، ومسندى زيد بن على ، وأبى داود الطيالسى ، وذلك ببيان رقم الحديث.

وفى مسند أحمد بن حنبل ، وطبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، ومغازى الواقدى ، وذلك ببيان رقم الصفحات . وقد وضع فنسنك هذا المعجم باللغة الانجليزية.

وقد قام بترجمته الى العربية خادم السنة النبوية المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى ، ونشرته له لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، وطبعته لاول مرة فى « مطبعة مصر » بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م .

وكتب « فنسنك » الى الاستاذ المترجم خطابا بخط يده ، تجد صورته فى أول الكتاب المترجم وفى الخطاب يبدى المستشرق الهولندى سروره بترجمة الكتاب ، ويقول للاستاذ عبد الباقى فيما يقول :

« قرات الكتاب بفرح وسرور ، والشكر لله الذى له التوفيق لهذه الوظيفة الثقيلة . واما شخصى الضعيف فقد اوجبتم شعور شكرى الجزيل ، لان فى عملكم الكريم زيادة فى منفعة مؤلفى ، وكذلك فى تصحيح الاخطاء التى وجدتموها فى الطبع الاورباوى .

وأرجو انكم قد اخترتم الطبعة التى تخرج الكتاب فى اصح صنع وأدقه، وساكون مغتبطا اذ تكرمونى بارسال ثلاث او اربع نسخ ... » الخ .

وطريقة فنسنك فى هذا الكتاب ، يصورها الاستاذ احمد محمد شاكر حين يقول فى تقديمه الكتاب : هذا الكتاب جعله مؤلفه فهرسا لاربعة عشر كتابا من امهات كتب الحديث ، وهى : مسند الامام احمد ابن حنبل ، صحيح البخارى ، صحيح مسلم ، سنن الدارمى ، سنن ابى داود السجستانى ، سنن الترمذى ، سنن النسائى ، سنن ابن ماجة ، وهذه الثمانية هى أصول السنة ، ومصادرها الصحيحة الموثوق بها ويندر ان يكون حديث صحيح خارجا عنها ، ليس موجودا فى أحدها .

ثم موطأ الامام مالك ، ومسند أبى داود الطيالسى ، وهما من اقدم الكتب المؤلفة فى الحديث ، فان مالكا والطيالسى من علماء القرن الثانى الهجرى ، وان كان الطيالسى تأخرت وفاته الى اول القرن الثالث (سنة ٢٠٤ هجرية) .

ثم سيرة ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هجرية ، وهى اختصار وتهذيب لاول كتاب الف فى السيرة ، وهو كتاب محمد بن اسحاق رئيس أهل المغازى المتوفى سنة ١٥١ هجرية .

ثم كتاب المغازى للامام محمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هجرية .

ثم اعظم كتاب جمع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتراجم الصحابة والتابعين لمن بعدهم ، وهو كتاب (الطبقات الكبير) للامام الحافظ الثقة محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية ، وهو تلميذ الواقدي وكاتبه •

والكتاب الرابع عشر : المسند المنسوب للامام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المتوفى شهيدا سنة ١٢٢ هـ• وهذا الكتاب عمدة في الفقه عند علماء الزيدية من الشيعة ، ولو صحت نسبته الى الامام زيد

رضى الله عنه لكان الكتاب موجود من كتب الائمة المتقدمين ، الا أن الراوى له عن زيد رجل لا يوثق بشيء من روايته عند ائمة الحديث ،

وهو ابو خالد عمرو بن خالد الواسطي ، رماه العلماء بالكذب في الرواية ، قال الامام احمد بن حنبل في شأنه : « كذاب » يروى عن زيد ابن علي عن آبائه احاديث موضوعة

وقد رتب الاستاذ فنسنك كتابه على المعاني والمسائل العلمية والاعلام التاريخية ، وقسم كل معنى أو ترجمة الى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك ، ثم رتب عناوين الكتاب على حروف المعجم ، واجتهد في جمع ما يتعلق بكل مسألة من الاحاديث والآثار الواردة في هذه الكتب •

●●●

وقد وضع للكتب السابقة رموزا تدل عليها مع اختصار ، فوضع رمز « بخ » لصحيح البخاري ، و « مس » لصحيح مسلم ، و « بد » لسنن ابي داود ، و « تر » لسنن الترمذي ، و « نس » لسنن النسائي ، و« مج » لسنن ابن ماجة ، و « مى » لسنن الدارمي ، و « ما » لموطأ مالك ، و « ز » لمسند زيد بن علي ، و « عد » لطبقات ابن سعد ، و « حم » لمسند احمد بن حنبل ، و « ط » لمسند الطيالسي ، و « هش » لسيرة ابن هشام ، و « قد » لمغازي الواقدي •

ووضع رمز « ك » للكتاب ، و « ب » للباب ، و « ق » للقسم ، و « ص » للصفحة ، وهكذا ••

وهذا نموذج من كتاب « مفتاح كنوز السنة » • وهذا النموذج تحت عنوان « ابو الدرداء » :

● احد جامعي القرآن –

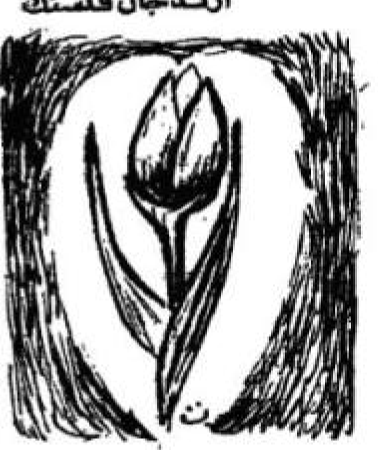
بخ – ك ٦٦ ب ٨ •

عد – ج ٢ ق ٢ ص ١١٢ – ١١٤

● علمه ••

عد – ج ٢ ق ٢ ص ١١١ •

أرندجان فنسنك



حم ـ خامس ص ٢٤٢ .
● زهده ـ
تر ـ ك ٢٤ ب ٦٤
عد ـ ج ٢ ق ١ ص ٦١ » .

وهـــذا نموذج ثان من الكتاب تحت عنوان : « الاجير » .

« ● عقوبة من لم يعـــرف الاجير اجره ـ

بخ ـ ك ٣٧ ب ١٠
مج ـ ك ١٦ ب ٤

حم ـ ثان ص ٣٥٨ . ثالث ص ٥٩ و ٦٨ و ٧١

● ـ اذا استأجرت اجيرا فاعلمه اجره ـ

نس ـ ك ٣٥ ب ٤
ز ـ ح ٦٥٤ » .

ولنصبر على نموذج ثالث تحت عنوان : « مصر » :

● ـ وصف النبي ص لها ـ
مس ـ ك ٤٤ ح ٢٢٦ ـ ٢٢٧

حم ـ خامس ص ١٧٣

● عدم قســمة مصر لها بين المسلمين ـ
حم ـ اول ص ١٦٦ » .

قد تبدو الرموز لنا متعبة بعض الشيء ، ولكنها تختصر لنا الكثير ، والتعود عليها يجعلهـــا مالوفة ـ مانوســـة . ونحن نقطف ثمرات لجهود مكث فيها « فنسنك » كما يقول عشر ســـنوات ، وظل المترجم لها سنوات .

ولكي نعرف قيمة هذا الكتاب ينبغي ان نتمعن فيما يقوله السيد محمد رشيد رضا اكبر تلاميذ الاســـتاذ الامام محمد عبده وخليفته من بعده . فهو يقول :

« اما بعد فان خير ما اعرف به هذا الكتـــاب لقراء العربية ان ابين لهم وجه الحاجة اليه وطريق الانتفاع به ، وعدم استغناء اعلم علمـــاء الحديث عنه ، بل هم اشـــد حاجة اليه من غيرهم ، ويتلوهم من دونهم من العلماء ، فمن دونهم من دهماء القراء الذين يقتنون شيئا من كتب الحديث المشهورة وغيرها .. وانني اســـتمد هذا البيان من تجربتي واختيـــاري في الســـنين الطوال لا اقوله بادي الرأي ، ولا استفاده من سوانح الاستحسان .

ولو وجد بين يدي مثل هـــذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر علي اكثر من نصف عمري الذي انفقته في المراجعة (يقصد كتاب مفتـــاح الصحيحين المطبوع المشهور) ولكنه لم يكن ليغنيني عن هـــذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة)، فان ذا انما يهديك الى مواضع الاحاديث القولية التي تعرف اوائلها ، وهـــذا يهديك الى جميع السنن القولية والعمليـــة وما في معنـــاهما كالشـــمائل والتقريرات والمناقب والمغـــازي وغيرها . فلو كان بيدي هو او مثله من اول عهدي بالاشتغال بكتـــب السنة لوفر علي ثلاثة ارباع عمري الذي صرفتـــه فيهـــا ، ولكنني من الاستجابة لمن اقترحوا علي ان اضع كتابا جامعا للمعتمد منها ، وكتـــابا اخر للمشكل منها في نظر علـــوم

أرنت جان فنسنك

هذا العصر ومسائله ، والجواب المقنع عنه » .

***

ويأتي الكتاب الجليل الاخر : « معجم الفاظ الحديث النبوي » الذي اقدم عليه فنسنك ، واخذ يجمعه من امهات مراجع الحديث النبوي ، وهي صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن ابي داود ، وسنن الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه ، ومسند الدارمي ، وموطأ مالك ، ومسند ابن حنبل .

واشترك معه في المعجم طائفة من المستشرقين ، وبدأ المعجم يظهر منذ سنة ١٩٣٣ ، وكان من الذين اشتركوا معه: ميلسنج ، ويان لوين ، ودي وهاس ، ودي بروين ، وبرناد لويس ، وشارل بيلا ، وجوزيف شاخت .

وقد رتب هذا المعجم على الحروف الابجدية ، وجعله تصنيفا لغويا لجميع الالفاظ ، واتبعه بثلاثة تذييلات للاعلام والاماكن والاستشهادات القرآنية . ويقع هذا المعجم في سبعة مجلدات كبيرة ضخمة .

وقد وضع فنسنك لهذا المعجم رموزا هي حرف « د » لابي داود ، و « دي » للدارمي ، و « ط » للموطأ و « م » لمسلم ، و « ن » للنسائي و « ت » للترمذي و « جه » لابن ماجه ، و « حم » لاحمد بن حنبل ، و « خ » للبخاري .

وهذا نموذج من هذا المعجم ، من المجلد الاول ، تحت مادة « أدب » :

« لو ان رجلا أدب بعض رعيته : د ديات ١٥ . حم او ٤١

من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن د أدب ١٣١ خ إستئذان ١٨ ن بيوع ٧٧ حم ٣ و ٩٧ .

ابتغ أمة ، وأدب ابنك أمك م مساجد ٦٦

لأن يؤدب الرجل ولده ، خير من ان يتصدق بصاع ت بر ٣٣ حم ٥ ، ٩٦ ، ١٠٢ .. الخ .

***

ولم يقتصر فنسنك على جهوده في هذين المعجمين ، بل كانت له اعمال اخرى يطول الحديث عنها لو تناولناها بشيء من التفصيل ، فلنذكرها بطريق الاجمال والايجاز ، ونترك الحكم لها او عليها لمجال آخر .

تولى فنسنك تحرير « دائرة المعارف الإسلامية » بلغاتها الثلاث سنة ١٩٢٤ م ، فأتم منها الاجزاء الثلاثة الاولى ، واسهم فيها بكتابة كثير من البحوث ، وشرع قبيل وفاته باعداد طبعة مختصرة لها ، مقصورة على المقالات الدينية ، ظهرت باللغة الانكليزية سنة ١٩٥٣ م .

وهذه قائمة بكتب فنسنك مرتبة حسب سنوات ظهورها :

١ ـ محمد واليهود ، سنة ١٩١١م

٢ ـ الاسرائيليات فى الاسلام ، سنة ١٩١٢ .

٣ ـ فهرس ذيل الحديث ، سنة ١٩١٦ .

٤ ـ قيمة الحديث فى الدراسات الاسلامية ، سنة ١٩٢١ .

٥ ـ محمد والنبوة ، سنة ١٩٢٤

٦ ـ فلسفة ابن خلدون الاجتماعية لطه حسين ، سنة ١٩٢٥ .

٧ ـ مفتاح كنوز السنة ، سنة ١٩٢٧ .

٨ ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث بناه سنة ١٩٢٧ .

٩ ـ الخمر فى الاسلام ، سنة ١٩٢٨ .

١٠ ـ الشمس فى تقاليد الساميين ، سنة ١٩٢٨ .

١١ ـ الصوفية الشرقية : مسيحية واسلامية ، سنة ١٩٢٨ .

١٢ ـ الاعتقاد بعقيدة واحدة عند الشرقيين ، سنة ١٩٢٨ .

١٣ ـ الصوفية الشرقية فى الاداب السريانية ، سنة ١٩٣٠ .

١٤ ـ العقيدة الاسلامية وتطورها التاريخى ، سنة ١٩٣٢

١٥ ـ الغزالى ، سنة ١٩٣٣

١٦ ـ دراسات سامية ، سنة ١٩٣٨ .

١٧ ـ فكرة الغزالى ، نشر سنة ١٩٤٠ .

١٨ ـ الاثر اليهودى فى أصل الشعائر الاسلامية ، نشر سنة ١٩٥٤

ونكرر القول بأن هذه البحوث وغيرها مما كتبه فنسنك مما يحتاج ـ فى تقويمه وتقديره ، والحكم له او عليه ـ الى بحث مستقل لا يتسع له هذا المجال ، ولقد روى أن بعض الناس رشح « فنسنك » ليكون عضوا فى مجمع اللغة العربية بمصر ، ولكن هذا الترشيح لم يستجب له القائمون على أمر المجمع يومئذ ، وقيل فى تعليل الرفض ان جريدة الاهرام المصرية نشرت بعض المقالات الناقدة التى تحمل على فنسنك من جهة بحوثه وأفكاره التى لا تتسق مع الفكر الاسلامى السليم ، فكانت هذه المقالات سببا فى صرف النظر عن تعيينه عضوا فى المجمع اللغوى .

ومهما يكن من أمر المستشرق الهولندى « ارندجان فنسنك » فيما يتعلق بمعتقداته وارائه والمآخذ التى تؤخذ عليه ، فمما لا شك فيه أنه قد فرض اسمه فى مجال العناية بفهرسة الحديث النبوى فى كتابيه الجليلين ، « مفتاح كنوز السنة » و « معجم الفاظ الحديث النبوى » ، وسيظل المشغولون بدراسة الحديث ، يذكرون فنسنك بالتقدير ، كلما استعانوا بكتابيه فى الاهتداء الى نصوص السنة الشريفة ، خلال هذا الخضم الهائل من مراجعها ومصادرها الواسعة .

محمد عبد الغنى حسن



إدوارد وليم لين

صوّر المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر

نحن هنا أمام مستشرق انجليزى جمع فى مشرقياته بين الدراسة الأدبية العلمية اللغوية من ناحية ، وبين الدراسة الواعية الفاحصة لقطاع من المجتمع العربى المصرى بشمائله وعاداته من ناحية أخرى . وهو بهذا قد جمع بين الحسنيين ، وقرن بين المزيتين .

فأغلب رجال الاستشراق الأوربى والأمريكى - على اختلاف أجناسهم ولغاتهم - يهتمون بالنواحى الأكاديمية البحت ، فهذا يبحث فى القرآن مثلا ، وذاك يبحث فى الحديث النبوى الشريف ، وثالث يبحث فى الشعر الجاهلى ، ورابع يبحث فى الطب عند العرب ، وخامس يبحث فى اللغة العربية وخصائصها . وبعض المستشرقين يبحث فى أحوال الأمم وعاداتها وتقاليدها ، وطرائق الحياة فيها ، لا يتعدون ذلك الى بحث اللغة وآدابها ، والعلوم عند أمة شرقية أو عربية وتطورها حتى يستوى أمرها ويستقيم كيانها . وقليل هؤلاء المستشرقون الذين يجمعون بين دراسة العلوم والآداب والفنون والفكر عند أمة من الأمم وبين المتابعة الدقيقة الواعية للمجتمعات وما يكتنفها من عادات وخرافات وصناعات وألعاب وأعياد وطقوس . ومن هذه القلة القليلة المستشرق الانجليزى « ادوار وليم لين » الذى اهتم بالدراسة الأكاديمية والبحث العلمى ، فأصدر معجمه الشهير : (مد القاموس) ، وهو معجم عربى انجليزى على نظام المعاجم الأوربية ، جمع صاحبنا مادته ومفرداته من أمهات كتب الأدب العربى مما لم يرد فى المعاجم القديمة أو

معجمى جوليوس وفرايتاغ ، وكان لتآليفه صدى كبير فى اوساط الاستشراق واللغويات ، وما زال الى اليوم من اجود المعاجم واصحها ضبطا ، واكثرها تدقيقا ، ويقف على قدم المساواة مع معجم كازيميرسكي بالعربية والفرنسية ، ومعجم بادجر الانجليزي العربي ، ومعجم دوزي بالعربية والفرنسية .

واضاف ادوار وليم لين الى عمله الجليل فى اللغة العربية والمعجم العربي عملا اخر لا يقل عنه فائدة فى مجال ترجمة روائع التراث العربي الى اللغة الانجليزية ، فتصدى لكتاب (الف ليلة وليلة) ، ورأى ان ينقله الى الانجليزية نقلا امينا دقيقا مزودا بالشروح والتعليقات والحواشي الثمينة عن العادات العربية الاسلامية فى القرون الوسطى مستخلصة مما ورد فى حكايات الف ليلة وليلة ، ومقارنة بما وقع عليه نظره فى خلال بحوثه ودراساته عن المجتمعات العربية الاسلامية فى المصادر التاريخية المتفرقة التى تحتوى على قدر لا بأس به من العادات والمجتمع .

وهذا الاتجاه الذى سلكه ادوار وليم لين ، فى اصداره لقصص الف ليلة وليلة مترجمة الى الانجليزية هو الذى قاده الى ان يصدر كتابا مستقلا عن المجتمع المصرى فى النصف الاول من القرن التاسع عشر . وبذلك عد – بحق – من ذوى الاهتمام بالدراسة العلمية من جهة، وبالمتابعات الدقيقة للمجتمعات الاسلامية من جهة اخرى . فانت اذا نظرت الى (لين) من ناحية معجمه اللغوى الفياض ، ومن ناحية ترجمته الدقيقة لحكايات الف ليلة وليلة ، وجدت نفسك امام عالم باحث اديب من طراز متميز بين المستشرقين . واذا نظرت الى كتابه المشهور : (المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم) وجدت نفسك امام رجل متفتح العين والحواس والمدارك على كل لمحة من لمحات الحياة فى مصر ووجدت فى ذلك الزائر المقيم لبضع سنوات فى مصر رجلا فاحصا مدققا، لا يكاد يخطئه مشهد صغير او كبير مما تقع عليه عينه فى مصر ، ولا يكاد يفلت منه منظر دقيق او خطير من تلك المناظر التى قد يمر بها الناس – حتى السياح منهم ، فلا يعيرونها التفاتا ، وما ظنك برجل يصف الازياء والثياب فى مصر ، للرجال والنساء على السواء ، فيصورها لك باشكالها والوانها واحجامها ونقوشها، واسمائها المختلفة ويصف احذية الرجال والنساء بجلدها الملون، واطرافها الامامية ، وكعوبها، ونعالها، فلا يخطئه الوصف ، وتحس وانت تقرؤه اليوم انك طويت الزمان القهقرى قرنا وبعض قرن لتشهد الناس فى مصر بما يرتدونه من الثياب فى الصيف والشتاء ، ولتدرك الفرق الواضح الشاسع بين ازيائهم بالامس وازيائنا اليوم .

ولا بأس ان نستعير هنا بعض سطور من وصف (لين) لملابس الطبقة الدنيا من الناس فى مصر ، حيث يقول : (اما ملابس الطبقة السفلى فهى جد بسيطة ، يلبسون سروالا فوقه قميص طويل فضفاض ، او ثوبا ازرق طويل الاكمام من الكتان او القطن ، او من الصوف الاسمر ، ويسمى الاول عريا ، والاخر زعبوطا » ، وهو يشق ابتداء من الرقبة الى الوسط تقريبا . ويتمنطق البعض بمنطقة بيضاء او حمراء من

إدوار وليم لين

الصوف . والخدم يتحزمون بحزام عريض أحمر اللون من الصوف أو من الجلد . وبه عادة كيس لحفظ النقود، وعمامة العامة شال من الصوف ، أبيض أو أحمر أو أصفر ، أو القطعة من غليظ القطن أو الحرير الموصلي، تلف حول طربوش تحته لبدة بيضاء أو سمراء . وبعض الفقراء لا يملكون غير اللبدة ، فلا عمامة ولا سراويل ولا نعل ، انما يرتدون الجلباب الازرق أو الاسمر أو اسمالا بالية .

وعلى النقيض من ذلك يرتدي الكثيرون صديريا تحت الجلباب الازرق ، ويلبس بعضهم - وعلى الاخص خدم الاغنياء - جلبابا أبيض ، وصديريا وقفطانا أو جبة أو الاثنين معا ، ثم « العرى » الازرق اخيرا . وتشد اكمام العرى الواسعة الى أعلى بحبل - يسمى كمر - يمر حول كل من الكتفين ، ويشبك خلف الظهر ويعقد .

وقد تعود الخدم - والسواس خاصة - هذه الطريقة ، ويستعملون لها حبالا - أي كمرا - من الحرير الاحمر أو الازرق القاتم ... ويرتدي الكثير من أفراد الشعب في الشتاء عباءة كالتي وصفناها من قبل ولكنها أغلظ منها) ...

وهكذا يقف (لين) عند كل ما تقع عليه عينه وقفة الفاحص المدرك لادق الفروق في الالوان والاحجام والاشكال والحواشي ، حتى يخيل اليك أن الرجل متتبع شديد التتبع ، حتى لا يفوته خيط واحد من خيوط الصورة . ولا يفرق الرجل في نظراته بين رجل وامرأة ، أو فتى وفتاة ، أو عرس ومأتم ، أو سيد وعبد ...

وما أدقه وهو يصف طبقة «الخدم» حيث حياة الذكران منهم كلها دعة وراحة . ما عدا السائس المسكين الذي يفرض عليه أن يرافق سيده وقت الركوب ، فيجري أمامه أو يحاذيه متأخرا عنه قليلا ، وقد يقوم بعمله هذا في أشد الاوقات حرا ، وأكثر الساعات غبارا ، فيجري لمدة ساعات طويلة دون أن يبدو عليه التعب .

أما البوابون فلم يفلتوا من ملاحظات (لين) ، فلكل ثري من أثرياء القاهرة - تقريبا - بواب يلازم باب المنزل ، وعدة خدم الغريين من الذكور .. وأغلب هؤلاء مصريون - يعني بهم أهل الوجه البحري والصعيد . وكثيرا ما يستخدم النوبيون في القاهرة وفي غيرها من مدن مصر ، وكثيرا ما يقوم هؤلاء النوبيون بخفارة الابواب وحراسة المنازل ، وهم أكثر أمانة ، وان كانوا أكثر ميلا الى الكسل. وأجرة الخادم زهيدة تتراوح بين ريال وريالين في الشهر، الا أن ما يتناوله من المنح والعطايا تغطي ضآلة مرتبه . ويلاحظ صاحبنا أن الخدم ينامون عادة بملابس النهار على قطع من الحصير ، ويغطون أنفسهم في الشتاء بدثار أو حرام ، كما يلاحظ احترام الخدم لساداتهم وخضوعهم لاوامرهم ، والتزام الطاعة لهم وفي بعض الاحيان قد يرفع الخادم الكلفة مع سيده ، فيضحك معه ويمازحه .

ولقد تغلغل ادوار وليم لين الى صميم الحياة فى المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر ، فدخل بيوت الاغنياء والفقراء وعرف ما يدور فيها ووصفها بامانة بالغة . وكانما كانت كل جارحة فيه عينا تبصر ، واذنا تسمع .. ودخل الاسواق كبيرها وصغيرها، وعرف المساومة والمماكسة فى البيع والشراء ، وحاول ان يغير سكنه من الاحياء الكبيرة فى القاهرة الى حى صغير غيرمزدحم ، ولكن اهل الحى لم يقبلوه ساكنا بينهم ،

لانه اعزب ، ويؤثرون لو كان له جارية تنفى عنه وصمة وجود الاعزب فى حيهم ، ولندعه هنا يصف ما يجرى له بنص عبارته حيث يقول : (.. ولقد لقيت انا نفسى لارتكابى هذه الخطيئة - خطيئة عدم الزواج - مضايقات

ومكاره كثيرة . واحتملت عنتا شديدا اثناء زيارتى الاوليين لمصر . فقد بدا لى فى المرة الاولى ان انتقل من المنزل الذى سكنته بعض شهور فى شارع كبير من شوارع القاهرة

الى منزل آخر فى حى مجاور ، وكتبت عقد الايجار ، ودفعت العربون ، ولكن جاءنى وكيل المالك بعد يومين يخبرنى

ان سكان الحى - واكثرهم اشراف - يعترضون على سكنى بينهم لانى أعزب ! ولكنهم يقبلوننى بكل سرور اذا اقتنيت - على الاقل - جارية تنفى عنى عار العزوبة .. فاجبته اننى

لا انوى الاقامة فى مصر ، فلا أحب ان اتخذ لى زوجة او جارية قد يضطرنى الرحيل الى تركها ، فاعاد الى العربون ...) .

وحين تطرق حديث المستشرق (لين) الى المرأة المصرية فانه يصفها فى جميع أحوالها ، وصفها فلاحة ، وحضرية ، ووصفها انسة وعروسا وزوجة ، ووصفها خادمة ومخدومة ، ووصفها سافرة ومنتقبة،

ووصفها متطرية متزينة ، وعاطلة بلا تطرية ولا تزيين . ولاحظ ما فى عينيها من كحل فوصفه ، وما فيهما من جمال فاخذ به ...

ولما انتقل الى وصف هيئة النساء المصريات وملامحهن العامة ذكر ان المصريات منذ بلوغهن الرابعة عشرة حتى العشرين هن من حيث الجسم مثال الجمال ومحياهن يسر العين ، ويجذب النفس، ولكن سرعان ما يذوى

هذا الجمال بعد ان يستحير الشباب ويستكمل الجسم نموه . وتؤثر طبيعة الجو فى مصر على طبيعة الصدر قبل الاوان ، فترتخى هيئته ، وتستوى أجزاؤه بينما يحتفظ الوجه بكل فتنته . وبالرغم من ان تراخى الزمن لا يذهب روائهن ، فان كثيرات منهن متى بلغن سن الاربعين يصبحن - ولو كن على قدر من الجمال فى الشباب - قبيحات الصور ولا



تصفع الشمس اللافحة وجوه النساء فى مصر لاحتجابهن (اما العيـــون فدعجاء ، نجلاء ، لوزية الشـكل ، وطفاء الاهداب ، تفيض وداعة تملك النفوس ، وسحرا يسبى القلوب . ولم ار فيما رأيت عيونا اجمل من العيون المصرية . ويزيدها جاذبية احتجاب الملامح بالنقاب ، وتاثيرها فى النفوس يزيده كحل الجفـــون ...) ولما انساق (لين) الى حـديث الكحل فان التلازم وتداعى الحديث ساقه الى « المكحلة » ، وهى الوعاء الزجاجى الذى يوضع فيه الكحل ، كما ساقه الى « المرود » الذى يصـنع من الخشب أو العاج ، أو الفضة ، ويبل احيانا بماء الورد ، ثم يغمس فى مسحوق الكحل ويمرر بين الجفنين لتكحل به العين . ولما فرغ من حديث الكحل دخل الى الحديث عن الاختضـاب بالحناء ، فتنـاول تفاصيل لا يفطن الى مثلها الا رجـل فاحص مدقق مثله .

***

واذا كان (لين) قد تحدث فى كتـابه عن بعض الصناعـات والصناع المصريين فى عصره ، فان المقارنة تقودنا الى عالم عربى متاخر عن زمان صاحبنا ببضعة عقود من السنين ، هو العلامة الشيخ محمد سعيد القاسمى الذى تحدث فى كتابه (قاموس الصناعات الشامية) عن صناع وصناعات ، ولم يتحدث عن شمائل وعادات . وهو كتاب يعطينا صورة صحيحة طريفة عن الصناعات والحرف الوضيعة والجليلة واصحابها واخلاقهم وعاداتهم فى المجتمع

إدوار وليم لين

العربى بالشام فى نصف القرن الماضى . فقد تحدث القاسمى عن ست وعشرين واربعمائة صناعة وصانع ، ما بين طباخ ، وعجان ، وعقاد ، وقزاز ، ومخللاتى ، وحمامى ، ونقانقى ـ اى بائع السجق ـ ورمال ، اى ضارب بالرمل ، وهباب ـ اى بائع للهباب لاستخدامه فى الصباغة ، وضفادعى ـ اى بائع للضفادع ـ . ودمشق معروفة ببيع الضفـادع منذ القرن الماضى ، فان هنـاك من يستطيب لحمهـا ، ويحب اكلها ، ويدفع فيها ثمنا اكثر من ثمن لحم الضأن ...

والحق أن المستشرق ادوار وليم لين ، لم يبلغ مبلغ العلامة سـعيد القاسمى فى وصف الصناعة والصناع بمصر . فقد تحدث (لين) عن بائع الاجواخ ، وبائع الملابس الجاهزة ، والجوهـرى والصـائغ ، وبائع الخردوات ، والحداد ، والنحاس ، والخياط ، والصـباغ ، والرفاء ، والحباك والعقاد ، والعطار ، وبائع الشبك «الشبكشى والفاكهانى» والنقلى ، والشربتلى : بائع الشربات ، والزيات ، والجزار ، والفران وغيرهم ، ولكنه لم يكن الا مجرد محص لهذه الحرف لا واصـف لها ولا لاصحابها فى اطالة وتتبع كما فعل سـعيد القاسمى مع صـناع الشام فى عصره . ولعل (لين) معذور ، لان اشتغاله بوصـف المجتمع واطالة الحديث عنـه قد شغله عن أن يقف لحظات امام كل صانع وصـناعة مصرية ، ولو انه فعل لامدنا بصور حية دقيقة للحرفيين واصحاب المهن فى مصر فى القرن التاسع عشر . ولكنه على كل حـال كان صاحب ملاحظة دقيقة حتى فى نظراته الخاطفة السريعة الى المهنيين والحرفيين فى القاهرة . فقد لفت نظره وسمعه تلك النداءات الغريبة التى تستحق

للناكر ، والتي يصيح بها الباعة على سلعهم ... فيصيح بائع الترمس : « مدد يا امبابي ! » . ويعني بهذا القول انما الاستغاثة بولي الله المشهور الشيخ الامبابي المدفون في بلدة « امبابة » على الشاطيء الغربي من النيل تجاه القاهرة ، حيث تزرع أجود انواع الترمس في هذه المنطقة ، واما الاشارة الى ان ترمس امبابة لذيذ الطعم بفضل مدد الامبابي ... ويصيح بائع الترمس أيضا :« ترمس امبابة يغلب اللوز » .

ثم يستطرد (لين) بعد هذه الملاحظة الى كيفية عمل الترمس الاصفر من الترمس الجاف واعداده للاكل ، حيث ينقع في الماء يومين أو ثلاثة ايام لتزول مرارته ، ثم يغلى، ويوضع بعد ذلك في قفة من الخوص تسمى «قرد» تغاط عليه ، ويلف به في النيل ، حيث يترك يومين آخرين أو ثلاثة ينقع مرة ثانية ، وبعد ذلك يجفف ويؤكل باردا ، بعد أن يضاف اليه بعض الملح .

وهكذا تلفت هذه النداءات سمع (لين) فيعجب لما فيهامن مناقضات، أو ما فيها من حلاوة الاغراء بالشراء، كنداء بائع الورد : « الورد كان شوك من عرق النبي فتح » . ونداء بائع ازهار التمرحنة :« روايح الجنة يا تمرحنة ! » .

ولقد وقف ادوار لين عند حركة « بائع العرقسوس » فوصف صاحبها ، ووصف الجرة من الفخار التي يحملها على جانبه الايسر ، ويربطها بسير من جلد او غيره ، ويحمل في يده طاسين من النحاس ، أو الصيني من الصيني يقرعهما معا فيحدث لهما رنين مميز . كما وقف امام « السقاء » الذي يحمل الماء في القربة ليوصله الى طالبيه في البيوت، والمساجد والمحلات والمواقف وغيرها .

ولم يكتف ادوار وليم لين بتلك الصور الشعبية الزاهية الدقيقة لملامح المجتمع المصري في القرن الماضي ، ولكنه صور بريشته اللطيفة اكثر ما وقعت عليه عينه من الصور ، فقد كان الرجل مصورا وحفارا من طراز دقيق ، ولهذا امتلأ كتابه برسوم كثيرة من صنع يديه توضح الصور الشعبية التي كتب بها مشاهداته .

***

وتأتي قيمة كتاب (لين) عن المصريين المحدثين وعاداتهم من حيث انه سجل خالد طريف لصور الحياة والمجتمع المصري في القرن الماضي . ونحن الآن حين نريد صورة لملامح المجتمع العربي أو المصري في فترة معينة من التاريخ نجد عناء كبيرا في تجميع هذه اللوحة الكاملة من أجزاء صغيرة لا نجدها كلها مجتمعة في كتاب واحد ، أو في مصدر واحد ، ولكننا نلتقطها من هنا ومن هناك حتى تكتمل الصورة ، أو تأتي على اكمل ما نستطيع . ولكن (لين) استطاع في كتاب واحد ، وبين دفتي مصنف واحد ، أن يسجل لنا الوانا من الحياة والاحياء في مصر، لاندري كم كنا نبذل من جهد في الحصول عليها ، لو لم تصل الينا كاملة بحذافيرها على يد هذا المستشرق الكبير .

ان مستشرقا سويسريا مثل « آدم متز » قد أفنى نفسه سنين طوالا في كتابه « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع » لكي يستخرج لنا صورا من المجتمع العربي الاسلامي كانت مبعثرة في عشرات وعشرات من المصادر والمظان ، ولكن الرجل - بصبر الباحث العالم الدءوب - استطاع أن يصور حضارة القرن الرابع وبعض ملامح المجتمع فيه على ضوء هذه اللقطات التي انتزعها من هنا ومن هناك .

أما المستشرق ادوار وليم لين

إدوار وليم لين



فقد استطاع ـ بملاحظاته هو لا بملاحظات غيره ، وبمتابعاته الدقيقة الواعية لكل ناحية من نواحي الحياة في مصر في النصف الاول من القرن التاسع عشر ـ ان يقدم لنا صورة تكاد تكون كاملة وناطقة للمجتمع المصرى في ذلك الزمان . وبهذا وفر على كثير من الباحثين عناء البحث وشقاء الجهد في جمع صور من المجتمع المصرى في تلك الحقبة من تاريخ مصر . فالصور امامنا زاهية متكاملة وهي صورة اجتماعية لا نجد لها نظيرا في التاريخ العربي الاسلامى في عصر من العصور .

صحيح ان كتب التاريخ السياسي ودواوين الشعر وكتب الادب لا تخلو من صور متناثرة مبعثرة لمن يريد ان يجمع صورة متكاملة للمجتمع في عصر معين ، فان الشعر الجاهلى ينطوى على صور لا بأس بها للمجتمع الجاهلى ، كما ان الشعر والاخبار في العصر الاموى ـ مثلا ـ ينطويان على صور متناثرة تنتظر من يجمعها كلها من متفرق المصادر ، ولكن مزية كتاب ادوار وليم لين انه صور المجتمع المصرى كاملا من كل زواياه سواء منها المظلم والمضيء .

بقى أن نقول ان ادوار لين ولد في انجلترا سنة ١٨٠١ ، وتوفى سنة ١٨٧٦ ، فعاش ثلاثة ارباع قرن كامل يبحث ، وينظر ، ويتفرس . وكان عازما في أول أمره على دراسة الحضارة المصرية القديمة ، ولكن يبدو دراسته للعربية : العامية والفصحى ، قد جذبته الى دراسة مصر الحديثة . ولقد كانت أول أسفاره الى مصر سنة ١٨٢٥ ـ وهو في الرابعة والعشرين من عمره ـ فبلغ الاسكندرية بعد أهوال في البحر ، وتمرد بين البحارة ، وأقام في مصر ثلاث سنين متزييا بالملابس العربية الشرقية الجميلة ، مترددا على المساجد يؤدى فيها الصلوات ، متسميا باسم منصور أفندى . وأعجبته في حياة المصريين المعاصرين ما صرفه عن دراسة قدماء المصريين ، وعاد الى وطنه مرة ، ثم رجع الى مصر سنة ١٨٣٣ فظل فيها ثلاثة أعوام . وفي زيارته الثالثة لمصر سنة ١٨٤٢ بقى ثلاثة اعوام اخرى ، كان يصل فيها العمل ليلا ونهارا لينجز أعماله ما بين ترجمة للتراث ، وتصنيف للمعجم .

والحق ان كتبه الثلاثة: (المصريون المحدثون) و (ترجمة الف ليلة وليلة) و (مد القاموس) قد رفعته الى مرتبة القمة المستشرقين في عصره ، فخلدت الجمعيات العلمية ذكراه في كثير من بلدان اوربا ، واستطاع بحق أن يكون رائدا في كتابة التاريخ الاجتماعى لمصر في القرن الماضي .

وِشاحَهَا الأرجُوانى ... يَا رَكضةَ العُنفوانِ
وَشهقَةَ الكَرَوانِ ... وموكبًا للأغانِي

***

يا قطعةً من عبيرِ ... تَمَعْنت قِطعةَ نُورِ
من رائعاتِ الزهورِ ... مَجبُولة بالأماني

***

يا لَوْنَ لحنٍ أغَنْ ... من بلبلٍ مُطمئِنْ
موشحٍ بالتمنى ... فى غايةٍ من حَنانِ

***

يا لونَ بسمةِ طِفلهِ ... تَرَشُّ ثغرًا مُدَلَّهْ
كالزهرِ يرشفَ طَلَّهْ ... سكبتَ نفس أمانْ

***

يا معرضًا للأقاحِ ... ونشوةً للمِلاحِ
لألتَ أعلى وشاحِ ... يا متحفَ الألوانِ

***

تدفقى فى الطريقِ ... كلحنِ حبٍ عَرِيقِ
كموجةٍ من شروقِ ... فى ثوبِكِ الأرجوانى

***

تدفقى كالربيعِ ... كالدفءِ عبر الصقيعِ
كالنورِ كالينبوعِ ... كنفحةٍ مِن حنانِ

***

أخشى غدًا أن أملا ... « إذا الربيعُ أطلا ...
فراشةً تتملى ... فى ثوبكِ المزدانِ

***

ملأتِ بالعطرِ دارى ... يا موكبَ الجلنارِ
فلا تفكى إسارى ... فالعطرُ قيدُ حنانِ



استشراق

دفاع عن الفلسفة الإسلامية

وراء الاستشراق الاوربى على امتداد تاريخه ، الاستعمار او التبشير ، أو هما معا .. وكان المستشرقون - فى عامتهم - خليطا عجيبا من المكتشفين والمغامرين والجواسيس والمبشرين .

ولكن ذلك لا يعنى انه كان شرا خالصا ، فقد كان القائمون عليه اسبق منا بقلته ، واوسع تجربة ، واطول باعا فى مناهج البحث ، فكانوا الرواد فى اكتشاف كنوز الثقافة العربية والاسلامية . واليهم يرجع الفضل فى تعبيد الطريق اليها ، وعرفنا بينهم علماء اجلاء ، ولا علينا بعد ذلك ما يريدون . فلتكن لهم ارادتهم ، وليكن لنا ان نفيد من جهودهم ، دون ان نفقد القدرة على التمييز بين ما هو علم لا نختلف عليه ومنهج يجب ان نستخدمه ، وما هو هدف قد لا يلتقى عنده الثان .

تميز الاستشراق الاسبانى الحديث بأنه كان استشراقا قوميا أن صح التعبير ، غايته ان يدرس تاريخ اسبانيا نفسها حين كانت لغتها العربية ، ودينها الاسلام ، على امتداد فترة تجاوز الثمانمائة عام .. فليس من غاياته أن يمهد لجيش فاتح ، أو يتحسس الطريق الى ثروات مطمورة ، أو يكتشف مناطق رخوة فى تفكير ابنائنا

وظلت هذه المدرسة الجليلة تؤدى رسالتها على امتداد قرن كامل ، فى خشوع التقى ، وقناعة الزاهد ، وبهجة العاشق وامدت الدراسات الاندلسية فى جوانبها المختلفة عددا من العلماء الاجلاء ، وتميزت بحوثها بالجدية والموضوعية ، وقبل



ذلك وفوقه بالحنان الدافىء · لقد كانوا ـ باختصار ـ يكتشفون صفحة مجيدة من تاريخهم ·

وكان واسطة العقد فى هذه المدرسة العظيمة ، ذات التقاليد الجليلة : ميجيل اسين بلاثيوس ·

***

ولد ميجيل اسين بلاثيوس فى ٥ من يولية عام ١٨٧١م ،لاسرة تاجرة ، متواضعة الدخل ، فى مدينة سرقسطة ، موطن الفيلسوف الاندلسى ابن باجة ، ولما تزل كما وصفها الحميرى ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله ، من جغرافيى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، فى كتابه « الروض المعطار فى خبر الاقطار » : « مدينة ممتدة الاطناب، واسعة الشوارع ، حسنة الديار والمساكن ، متصلة الجنان والبساتين ، عند ملتقى خمسة انهر ، وذات تاريخ متصل » ·

وقد توفى والده شابا ، وتراك وراءه ثلاثة ابناء ، ميجيل احدهم، وكان الموروث من تجارة ابيهم يكفى لحياة ضيقة ، وقد حرصت الام على تعليم ابنها فارسلته الى مدرسة الاباء اليسوعيين فى المدينة ، وحين انتهى من المدرسة الثانوية رغب ان يدرس الهندسة الصناعية ، ولم يكن لها مدرسة عالية فى سرقسطة ، واقرب مدرسة منها توجد فى برشلونة ، ولكن دون قدرة الاسرة ان تواصل تعليمه العالى خارج المدينة التى يقيم فيها ، فتخلى عن رغبته ، واتجه الى الدراسات الدينية بهدف ان يصبح راهبا ، وخلال دراسته الدينية كان يتردد على كلية الاداب ، وفيها التقى بخوليان ريبيرا ، مستشرق عظيم ، كان المعرفة مخلصة ، والخلق النبيل مجسما ·

لم يكن خوليان ريبيرا مستشرقا متمكنا من العربية فحسب ، او مجرد عالم متعمق فى الدراسات الاندلسية ، وانما كان صاحب نظرية « اسبانية التراث العربى فى الاندلس » ، فكرة الت يوما بخاطر استاذه فرانسيسكو كديرة ، وامضى التلميذ حياته يبشر بها ، ويقيم دعائمها ، ويجعل منها واقعا : فليس ثمة فضل فى ان يعرف احدنا اللغة العربية بهجة ، فهناك ملايين الرجال يعرفونها ، ويتحدثون بها خيرا منا ، اما الذى نستطيعه دون قدرة الملايين فهو ان نجعل منها نورا تكتشف فى هديه اصول الثقافة الاسبانية ، وتوضح فى ضوئها ما خفى من جوانبها ، حين كانت العربية فى وطننا لغة الثقافة ولغة الحياة » ·

لقد جاء ريبيرا الى سرقسطة عام ١٨٨٧ م ، ملتهب الحماسة ، متوهج الطموح ، فى ان يبعث الدراسات العربية فى هذه المدينة النائية شمال شرقى اسبانيا ، وكانت حاضرة لها يوما طوال العصر الوسيط ·· وبدا خطاه الاولى نحو الهدف ، ان يلتقط النبهاء من بين طلابه ، يرعاهم ويعدهم لتحمل

أسين بلاثيوس

الرسالة ، وكان ميجيل أول من وقعت عليه عيناه .

اكتشف الاستاذ سريعا مواهب طالبه ، ووجد الطالب في أستاذه حنانا ودودا ، وعطاء سخيا ، فلم يفترقا منذ أول لقاء ، وكان التلميذ النابه يعيش في دار أستاذه ، بين أبنائه ، أكثر مما يعيش في بيته ، وبدآ معا يقرآن كتبا وصلت قريبا من مصر ، لم تكن اسبانيا تعرف عنها شيئا ، ولا سمعت بأسمائها ، منذ أيام الاسلام المجيدة ، ومن بينها مؤلفات الغزالي وابن رشد وابن حزم وابن عربي وآخرين .

واكمل ميجيل دراسته اللاهوتية ، ودراسته في كلية الآداب ، وأراد مطران المدينة أن يعينه خوريا في كنيسة قروية ، ولكنه استطاع بعد جهد أن يعمل مدرسا لتاريخ الفلسفة في عدد من المعاهد ذات الصبغة الدينية ، ولم يستطع ، كما كانت رغبته ، أن يعمل مدرسا للغة العربية ، لأن وظائفها كلها مشغولة بشبان من جيله ، مما أغلق الباب في وجهه . وبلغت المشكلة أستاذ أستاذه قديرة ، وكان يشغل كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد فطالب أن يحال الى المعاش قبل أن يبلغ السن القانونية ، ليفسح الطريق أمام تلميذ تلميذه النابه . وجاءت التضحية الثانية من أستاذه ريبيرا ، حين قبل ، على غير العادة ، أن يبقى في جامعة سرقسطة الاقليمية ، وأن يرسل بطالبه الذكي أستاذا للغة العربية في الجامعة المركزية بالعاصمة ، منصب كان أولى به وأحق ، ولكنه آثر أن ينتظر ، وأن يرتقب فرصة أخرى .

وفي ٢٤ من ابريل عام ١٩٠٣ شغل ميجيل أسين بلاثيوس ، بعد مسابقة ، كرسي اللغة العربية ، في كلية الآداب ، بالجامعة المركزية في مدريد ، ومن قبله شغله أساتذة في قامة جيانجوس وقديرة .

عاش بلاثيوس مع قديرة ، وشغل داره بعده حين عاد الاخير الى مسقط رأسه في مقاطعة آرغون ، رائق الخطا ، ذكيا ، أنيقا ، بين مظهر كاردينال ومصارع ثيران ، كما يقول غرسية غومث . بدأ خطاه الاولى متمكنا . واختار لنفسه طريقين يكمل أحدهما الآخر ، وهما :

البحث والتعليم .

بدأ عمله التربوي بتدريس اللغة العربية في الجامعة ، وسار على هدى أستاذه من قبل ، فكان حريصا على عمله ، نموذجيا في سلوكه فلا يتخلف عن درسه ، دقيقا في

موعده فلا يتأخر عن محاضرته ، جوادا في علمه فلا يبخل به على طلابه ، ويتخير النابهين من طلابه فيعطيهم دروسا خاصة ، ثم يدعوهم الى بيته ، ويفتح لهم مكتبته ، ويهاديهم بنسخ من الف ليلة وليلة ، والف لهم في قواعد اللغة العربية مختصرا بسيطا منظما ، خير ما الف في بابه ، يدرسه الطلاب في شهرين ، وبعدهما يستطيعون ان يترجموا نصوصا من اللغة العربية الى الاسبانية ، وان يحللوا هذه النصوص بمساعدة المعاجم ، وما أصعب النصوص التي كانوا يترجمونها .

وحرص وهو في مدريد على مواصلة بحوثه ونشرها في مجلة « ارغون » التي تصدر في سرقسطة ، وكان يقوم على تحريرها كبار المثقفين في المدينة ، وبينهم عدد من المستشرقين ، وقد تحولت بعد ذلك ، لصعوبات مالية ، وباشارة من بلاثيوس ، لتصبح مجلة « الثقافة الاسبانية » .

وحين انشئت مدرسة الدراسات العربية في كل من مدريد وغرناطة ، عام ١٩٣٢ ، أصبح رئيسا لها في مدريد ، لان استاذه ريبيرا ، آثر بعد تقاعده ان يترك العاصمة ، وان ينسحب الى بساتينه في بلنسية بينما انتهت رياستها في غرناطة الى غرسيه غومث ، انبه تلاميذه واحبهم الى قلبه ، وقد احتضنت هذه المدرسة منذ تأسيسها حتى اليوم الدراسات الاندلسية والعربية .

وتظل خيرة المستشرقين من الشيوخ والشباب ، وعلها تصدر مجلة « الاندلس » مرتين في العام ، وتحظى بتقدير كبير من دوائر الاستشراق والجامعات في العالم ، لبحوثها الجادة ، ودراساتها العميقة .

وقد اختير آسين بلاثيوس عضوا في مجمع اللغة الاسبانية في ١٥ من مايو عام ١٩١٠ ، واختير مديرا له باجماع الآراء في يولية ١٩٤٣ ، وكان الى جانب ذلك عضوا في مجمع العلوم الاخلاقية والسياسية ، وفي مجمع التاريخ ، وظل يؤدي رسالته كاملة وموصولة في كل هذه المجالات ، الى ان احيل الى التقاعد في عام ١٩٤١ ، وهو في السبعين من عمره ، فانقطع عن عمله التربوي رسميا ، وظل يواصل بحوثه ودراسته الى ان توفي في ١٢ من اغسطس عام ١٩٤٤ .

***

فيما بين اول دراسة كتبها بلاثيوس عام ١٨٩٨ ، وبين آخر يوم فارق فيه الدنيا عام ١٩٤٤ ، حرر ٢٤٥ مؤلفا ، بعضها بحوث مركزة صغيرة الحجم ، وبعضها الآخر من أجزاء متعددة ، ونشر معظمها في حياته ، وقليل منها قام على نشره تلاميذه بعد وفاته .

وتغطي هذه البحوث مساحة واسعة ، في حقل الدراسات الانسانية ، فمنها ما يتصل باللغة او التاريخ او الادب ، وجاء معظمها في الفلسفة الاسلامية بجوانبها المتعددة ، ترحيدا وزهدا وتصوفا .

بدأ اهتمام أسين بلاثيوس بالفلسفة الاسلامية مبكراً ، فقد كانت رسالته للدكتوراه ، وتقدم بها عام ١٩٠١ ، عن : « الغزالي : اتجاهاته الصوفية والفكرية » . ويمكن القول انه استغرق كل جوانب الفلسفة الاسلامية في الاندلس دارسا ، وتتبع ما هو مجهول من مخطوطاتها ، فدرس فلسفة مواطنه ابن باجة ،

وكتب اول دراسة عن « ابن مسرة ومدرسته » ، وما زالت الدراسة الوحيدة حتى يومنا هذا ، وترجم كتاب الفصل في الاهواء والملل والنحل لابن حزم ، وقدم للترجمة بدراسة موسعة وواعية عن تاريخ مؤلفه ، وكتب عن فن المنطق عند ابن طملوس ، والاصول الاسلامية للكوميديا الالهية ، وفلسفة ابن رشد ، وتصوف ابن عربي ، وحقق كتاب « تدبير المتوحد » لابن باجه ، « ومحاسن المجالس » لابن العريف ، وغيرها .

***

كان المحور الذي قامت عليه دراساته ان يبين ماذا اعطى الاسلام للفلسفات الاخرى وماذا اخذ عنها ، مما يدخل في نطاق تاريخ الفلسفة المقارن . وكان في ذلك موضوعيا بقدر ما تسمح به ظروف

أسين
بلاثيوس

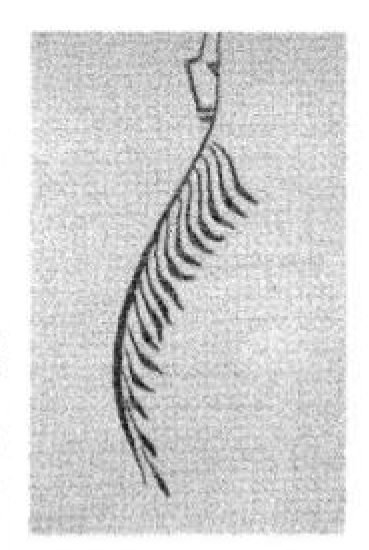
رجل دين ، تخضع كتاباته دائما لموافقة الكنيسة ورقابتها ، في مرحلة لم يكن فيها الفاتيكان قد عرف روح التسامح الديني التي سادته بعد بابوية يوحنا الثالث والعشرين .

ولم يكن يتردد في الدفاع عن الموقف الاسلامي في مواجهة مستشرقين اوربيين اخرين علمانيين ، وكان الوحيد الذي وقف في مواجهة المستشرق الهولندي رينهارت دوزي ، حين عرض لعفة ابن حزم في حبه ، وردها الى اصول مسيحية .

ففي عام ١٨٦١ نشر دوزي كتابه : « تاريخ مسلمي الاندلس » ، وكان قد قرأ مخطوطة « طوق الحمامة » الوحيدة لابن حزم ، واقاد منها في كتابه ، ووقف مذهولا بازاء اعترافات ابن حزم الغرامية ، فنقل قصة حبه في فرنسية راقية ، شفافة ومثيرة ، دفع بها الى كل ركن في أوربا .

وبعد ذلك بما يقرب من ٦٦ عاما الف بلاثيوس كتابه عن ابن حزم ، فعرض لوجهة نظر دوزي وناقشها وأتى عليها ، وختم مناقشته : « لقد تأثر دوزي بما هو شائع معاد عن حسية الحب عند الجنس العربي اكثر مما تأثر بما هو حق .

« وهذه الافكار المطروقة وليدة دراسات جزئية وسطحية وجانبية للادب الاسلامي ، وهي مضطربة ، مثلها في ذلك خرافة لا تقل عنها



انتشارا ، رغم عجز الجنس السامى عن الدراسات الفلسفية . لقد كرس الاستشراق الاوربى أغلب جهده ، فى البدء ، بل وحتى كل جهده ، لدراسة شعراء الجاهلية ، وأدباء الإسلام فى العصر الكلاسيكى ، وخدع أوائل الباحثين منهم ، بما كان يتراقص فى هذه النماذج من عبادة وثنية للشكل والجمال الحسى ، دون ان يكون لديهم متسع من الوقت لكى يستوعبوا ، او حتى يبدأوا ، تحليل المعانى العقلية للأدب الإسلامى ، وما زال مطويا لا يذكر او يدرس ، ومع ذلك جرءوا على أن يستخرجوا من المقدمات الناقصة والخادعة نتائج عامة وهجة ، وأن يرتفعوا بها الى مرتبة القانون التاريخى او الاجتماعى .

ولكن خلال قرن مضى(كتب بلاثيوس كتابه عن ابن حزم بين عامى ١٩٢٦ و ١٩٣٢) حلل جوانب جديدة للفلسفة العربية ، ومن الممكن الآن تكوين فكرة أكثر شمولا ودقة عن ذى قبل » (١)

●●●

وكان رامون لل (١٢٣٥ ـ ١٣١٥) الراهب المتصوف أعظم ، وربما أول فيلسوف اسبانى فى العصر الوسيط ،وقد أثبت بلاثيوس ، ومن قبله استاذه ريبيرا ، أن رامون عرف عددا كبيرا من صوفية المسلمين كابن سبعين ، وأبن هود ، والششترى ، وأبى مدين ، والعفيف التلمسانى ، وغيرهم كثيرين ، أما الصوفى الذى تعلق به رامون لل تعلقا شديدا فهو محيى الدين بن عربى .

وقد تتبع بلاثيوس مظاهر التشابه بينهما ، ووضع يده على نقاط اللقاء ، أو الأخذ اذا شئنا الدقة ، ووجد انهما يلتقيان فى التعاليم الاساسية لمذهبيهما ، فالعلم عند كليهما واحد ، وهدفه البحث عن « الواحد » ، والعلوم تدرك عن طريق الايمان أو عن طريق العقل ، وعندما يعجز التفكير النظرى عن الوصول الى كنهها يكشف الله عن كنوزها لعباده عن طريق الاشراق ، اذ ان كثيرا من الاشياء « انما توجد فى الناحية الاخرى من جبل المعرفة الانسانية » ، كما قال بروكلس وافلاطون من قبله .

ووجد التشابه بين كتابات الرجلين حرفيا فى بعض الاحيان ،

(١) لمعرفة المزيد عن هذه القضية المثيرة يمكن الرجوع الى كتابنا « دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة » ، والطبعة الجديدة لكتاب « طوق الحمامة » لابن حزم بتحقيقنا، فقد أوردت النصوص كاملة ومضبوطة دون أى حذف ، ونشرته دار المعارف بالقاهرة .

أسين بلاثيوس

ومن ذلك قولهما « بالتورين » ، واستعمالهما تعبير « الذوق المريض » ، وكلامهما عن « الفضائل الخفية لأسماء الله » ، وقول لل بنظرية « المقامات » ، وهي ترجمة حرفية للفظ « الحضرة » الذي يستخدمه ابن عربي ؛ وهو يتحدث عن أسماء الله المائة مقلداً ما كان يجده في كتب المسلمين ، والرقم مائة معنى صوفي ، فهو الرقم الاكبر في عرف النساك وتقاليدهم ، ويستخدم من مصطلحات ابن عربي ألفاظ « حضرات » و « الربانية » و « الرحموت » و « العـزة » وغيرها .

وعن محيي الدين بن عربي كذلك أخذ لل طريقته في الرمز بالحروف للتعبير عن آراء فيما بعد الطبيعة أو مقولات الوجود ، وهي طريقة ترجع في أصلها الى أسرار الصوفية ورموزهم ، وأخذ عنه كذلك استعمال الاشكال الهندسية ، لكي يعبر بها عن حقائق ميتافيزيقية والهية بصورة ملموسة ، وأخذ عنه أيضا طريقته في رسم الاشجار ليفسر بها وحدة العلم ، وتفرع الوجود كله عن أصل واحد ، وجعله الافكار المجردة ذوات مشخصة ، وإجراء المحاورات بينها .

ويتفق كتابه « الصديق والمحبوب » في مبدئه الاساسي مع ما ذكره ابن عربي في كتابه ترجمان الاشواق .

وكان عدد كبير من الباحثين يرى أن لل أخذ بنظريات الافلاطونية الحديثة الشائعة بين مذاهب أخرى ، وقد رفض بلاثيوس هذا الاتجاه ، وبرهن على تبعيته الباهرة للأصول العربية ، وتوكيداً لهذا ، وبالاضافة الى ما اعتد به من الحجج المتداولة التي اتى بها أستاذي ريبيرا ، وما زالت قوية متماسكة لم تتزعزع ، اكتفى بأن ألفت النظر الى حقيقة ايجابية تؤيدها نصوص من كلام لل نفسه : هي أن لل لم يعرف اللاتينية ، وأنه لم يكن يعرف غير اللغة القطلونية (١) والعربية . فهو لم يأخذ النظريات المميزة للمدرسة الفرنشسكية عن الكتب اللاتينية التي ألفها علماء « المدرسيين » ، وإنما عن الكتب العربية التي ألفها الصوفية المسلمون ، كابن عربي ، والتي نجد فيها هذه النظريات بالنص » .

وقد كتب مؤلفه المسمى « كتاب الكافر والعلماء الثلاثة » ، وكان واسع الذيوع في العصور الوسطى باللغة العربية أولا ، ثم ترجمه بنفسه الى اللغة القطلونية ، وعنها نقل الى العبرية واللاتينية والفرنسية والاسبانية .

***

أما كتاب أسين بلاثيوس الذي صنع تاريخا وميز عصرا فكان عن « الاصول الاسلامية للكوميديا الالهية » وقد ألقاه في البدء بحثا في المجمع الملكي الاسباني ، في جلسة ٢٩ من يناير ١٩١٩ ، ثم نشره في العـام

---

(١) القطلونية لغة متفرعة عن اللاتينية ، شأنها في ذلك شأن بقية اللغات اللاتينية الاخرى . وكانت تتحدث – وما زالت – في منطقة قطلونية وجزر البليار .

نفسه كتابا ، وكان له دوى هائل فى اوربا كلها ، فقد رأى « أن مفتاح جانب كبير مما استطاع الناس – وما لم يستطيعوا – تفسيره من المسائل المتعلقة « بالكوميديا الإلهية » ، يوجد فى الادب الإسلامى، ففيه اصول بعض ما ذهب المتخصصون فى دراسة ادب دانتى الى انه اخذه من مفكرين نصارى سابقين عليه فى الزمن ، وبعض ما لم يجدوا له اصلا فنسبوه الى عبقرية دانتى وخياله المبدع »

« وصور العذاب متشابهة فى جميع دانتى ، وفى جهنم التى يصفها القصاص فى اساطير المعراج الاسلامية ، ففى القصص الاسلامى نجد ما يقول دانتى من انه رآه فى « جحيمه » ، من ان عواصف هوجا من النار تلفح أهل الزنا . والطبقة الاولى من دار العذاب توصف فى هذه القصص على النحو نفسه الذى توصف به مدينة « ديت » فى القصيدة الايطالية : محيط من النور تقوم على شراطئه قبور تشتعل فيها النيران »

وقد أورد بلاثيوس موازنة بين اوصاف هذه الريح كما ذكرها الثعالبى فى « كتاب قصص الانبياء » ، المسمى بالعرائس ، واوصافها كما اوردها دانتى فى الانشودة الخامسة من الكوميديا الالهية .

ونجد فى « الكوميديا » كذلك أكلة الربا يحاولون عبثا أن يصلوا سباحة الى شاطيء بحيرة من الدم ، لان هناك حراسا جهنميين يذودونهم عنها ، ويدفعونهم الى القوص من جديد . وهناك حيات مخيفة فى اطباق النار المختلفة ، تعذب اهل النهم والاشقياء . والشيء نفسه فى القصص الاسلامى ، حيث يغص الجحيم بالطواغيت واكلة اموال اليتامى والمرابين .

ومضى بلاثيوس بموازنته حتى النهاية ، وقدم عشرات الامثلة للافكار المنقولة ، والصور المقتبسة ، والتخيلات والرموز والاوصاف ، ودلل عليها ، وأبان أن التشابه لم يكن عرضيا ، ولم يجيء من قبيل المصادفة وتوارد الخواطر ، وقوبل رأيه بهجوم شديد من مختلف الباحثين ، وبخاصة الايطاليين منهم ، وقد عز عليهم أن يفجعوا فى علمهم الاكبر ومناط فخارهم ، وقام بلاثيوس بالرد على هؤلاء جميعا وافحمهم ، والحق النقد ورده عليه فى الطبعة الثانية من كتابه ، وصدرت فى مدريد عام ١٩٤٣ ، بعنوان : « الاخرويات الاسلامية فى الكوميديا الالهية ، ويلحق بها : تاريخ نقد ومساجلات » ، ومنه صدرت طبعة ثالثة عام ١٩٦١ ، ولكنها نفدت ايضا .

الشيء الوحيد الذى كان ينقص اسين بلاثيوس هو الدليل القاطع على وصول هذه الكتب الاسلامية الى الغرب بلغة يفهمها الاوربيون ، وبخاصة الى فلورنس فى القرن

الثالث عشر ، حيث ولد دانتي وعاش . لقد كانت الحجة الوحيدة التي ساقها للانتقال المباشر تدعم رأيه احتمالا وليس نصا ، وهي رحلة برونتسو لاتيني ، استاذ دانتي وصديقه ، الى اسبانيا عام ١٢٦٠ سفيراً لبلدية فلورنس لدى بلاط الفونسو العاشر ، المعروف بالحكيم ملك قشتالة .

غير ان القدر كان يخبىء مفاجأة اخرى في هذه القضية الادبية ، لا تقل روعة عما اكتشفه بلاثيوس نفسه . وكانت شاهد حق على صواب حدسه وصدق فراسته ، فبعد وفاته بخمس سنوات ، اي في عام ١٩٤٩م ، اكتشف باحثان ، كان كل منهما يعمل مستقلا عن الاخر ، ان قصة « المعراج » قد ترجمت ، وقبل مجيء دانتي الى الحياة ، الى اكثر من لغة اوروبية

لقد اكتشف الباحث الايطالي ايزيكو تشرولي ، ان ثمة كتابا عربيا يحوي قصة المعراج امر الفونسو العاشر ، أو الحكيم ، ملك قشتالة ، وحكم من ١٢٥٢ الى ١٢٨٤م شخصا يدعى ابراهيم الحكيم بترجمته من العربية الى اللغة القشتالية (اصل اللغة الاسبانية المعاصرة)، وأن بونافنتورا دا سيينا ، وكان كاتبا في بلاطه ، نقله عن هذه الترجمة القشتالية الى اللغتين اللاتينية والفرنسية ، وقد وجد انريكو ثلاث مخطوطات لهذه الترجمة ، واحدة في مكتبة بودلي باكسفورد ، والثانية في المكتبة الاهلية بباريس ، والثالثة وهي مبتورة الاخر ، في الفاتيكان ، واعتمادا على هذه المخطوطات نشر الترجمتين اللاتينية والفرنسية عام ١٩٤٩م ، واضاف اليها الشواهد الدالة على أن هذا الكتاب كان رائجا في الاداب الاوروبية حتى القرن الخامس عشر ، وضم اليها ايضا النصوص التي تتضمن معلومات وافرة عن ادب الاخرة الاسلامي في كتب المؤلفين الاوروبيين من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر الميلادي .

وفي العام نفسه نشر العالم الاسباني خ . منيوث سنديثو نص الترجمات الثلاث، القشتالية واللاتينية والفرنسية ، مع مقدمة وتعليقات . لقد دفع الباحث الاسباني بالبحث خطوة أوسع الى الامام ، حين وضع يدنا على النص القشتالي . وكان اصلا للتراجم الاوروبية كلها ، وقد تمت هذه الترجمات الثلاث عام ١٢٦٤م ، أي قبل ميلاد دانتي بعام .

ان ما القى به بلاثيوس فرضا عام ١٩١٩م ، ودعمه بشواهد عقلية فحسب ، اصبح الان بعد نشر الترجمات الثلاث حقيقة ثابتة ، لم يعد ثمة شك في ما قاله العالم الاسباني الجليل من ان دانتي شاعر ايطاليا الاكبر ، قد تأثر الى حد بعيد بادب الاخرة الاسلامي ، وأن

أسين
بلاثيوس



مؤلفه « الكوميديا الالهية » تدخل في تركيبه عناصر اسلامية عديدة .

وفي مجال التصوف درس بلاثيوس ابن عباد الرندي (١٣٣٠ـ١٣٨٩م) وهو من علماء متصوفة الاندلس في القرن الرابع عشر الميلادي ، ولان ابن عباد كان شـاذليا ، فقد وقف العالم الاسباني طويلا عند طريقة الشاذلية ، تتبع نشأتها وانتشـارها وأفكارها ورجالها في دراسة جادة وعميقـة ووصف كتـاب ابن عباد : « شرح كتـاب الحـكم لابن عطـاء الله السكندري » ، وهو أهم كتبه ، بأنه : « منهج كامل لطريقة زهدية صوفية ، عظيم الفائدة للبـادئين في الطريق ، والذين سلكوه وقاربوا منزلة الكمال ، والذين وصلوا الى ذروة غاية النظر الصوفي » .

وقد وقع بلاثيوس على نقاط التقاء بين هذا الصوفي المسـلم ، وبين صوفي مسـيحي آخر ، هو يوحنا الصليبي (١٥٤٢ ـ ١٥٩١م) ، وكان أيضا شاعرا وزاهدا وصاحب أتباع يطلق عليهم : « أهل النور » . وأبرز هذه النقاط فكرتا « البسط » و « القبض » وكان أبو الحسن الشاذلي يشبههما بالليل والنهار ، فأخذ يوحنا الصليبي ذلك التشبيه وتوسع فيه ، واستخدم تعبير « النور » و « الظلام » . ولان ابن عباد الرندي سـبق يوحنـا الصليبي بمائتي عام فلا شـك أن السابق أثر في اللاحق ، وصحيح أننا نفتقد الدليل المـادي ، ولكن بلاثيـوس يرى : « أن الطريقة الشاذلية كانت ، كما هي اليوم في مصر وبلاد المغرب ، واسعة الانتشار في الاندلس في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ولابد أنها ظلت عميقة التأثير والانتشار أيضـا بين الذين ظلوا على أمرهم من المسلمين ، وظلوا في اسبانيا بعد سقوط دولة الاسلام في الاندلس عـام ١٤٩٢ ومن هؤلاء تلقى يوحنا الصليبي علمه بالطريقة الشاذلية » .

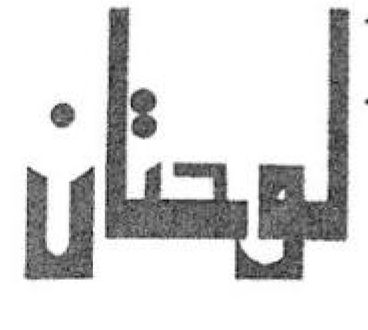
لقد أثرى هذا الراهب العـالم حياته المديدة ، والجليلة ، بالاطلاع الى الفلسفة الاسلامية ، فنكن منها ، وتتبع روافدها أخذا وعطاء ، وخلف وراءه تراثا وفيرا وثمينا ، وخلايا متميزين ، وما أحرانا أن نعنى به ، وأن ننقله الى لغتنا العـربية (١) ، والحديث وجه الى :

الادارة الثقـافية في جامعة الدول العربية

والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية والازهر بهيئاته الكثيرة والمتعددة لعل في هذه الهيئـات من يقرأ ، ويعي ، ويستجيب

---

(١) أكمل كاتب هذه السطور ترجمة كتابين من تأليف أسين بلاثيوس هما : ● ابن حزم القرطبي ، ● ابن مسرة ومدرسته ، وسوف يدفع بهمـا الى النشر ، ان وجد الناشر قريبا .



د. عبده بدوى



١ ـ منظر من فندق المنار بالجزائر

هذه لوحة من النور يَشدو
ومن النَّبض سار فى الألوانِ
كلُّ شىءٍ هنا يفيضُ بهاءً
واخضرارٌ معطّر الألحانِ
شفَّ نورُ الفؤاد حتى كأنى
أبصرُ الكونَ فى الدمِ الفرحانِ
وأرى فى البذور بستان وردٍ
تحتَ أوراقه يُرى قلبانِ
وحّد الكونُ فى المشاهد حتى
أصبح الكونُ صورةَ الإنسانِ
ثم أضحى الجميع صوتاً نقياً
يترامى فى حضنة الديان
.. ذُبتُ فى النور .. ذاب فى القلب نورٌ
ثم غنّى فى الخافق الفرحان

دُرْتُ في الأفق فالنجوم برأسي
والنقاء المشعّ في وجداني
.. دُرْتُ في نجمة تضيء برفق
ثم تمضي في عالم نوراني
دُرْتُ في الأرض ! دارت الأرض في ثقـ
ـمي .. ولمّا أزل ببابِ الحاني
كِدتُ من نشوتي أصيحُ بوجْدٍ :
ليس في جُبَّتي سوى الرحمن !

***

٢ ـ منظر من اعلى مدينة قسنطينة

تدرّج الدوحُ تحتو السهْل في ذُعرٍ
كأنه غابةُ السيقان ترْتحِلُ
مازال يَعْدو ـ وفي الأغصانِ زقزقةٌ
الى طريقٍ به الإنسان يقتتِلُ
قد غصّ بالموت ، والأصواتِ صارخةٌ
وبالزحام الذي يعلو ويشتعِلُ
... فجمّد الخطو ، واسترخت مفاصلُه
وعادَ يصْعَدُ فيه العَزْمُ والأملُ
لمّا نزلنا رأينا بعضَ عودتِه
إلى السماء فراح الشعر يرْتجِلُ
.. ثم انطلقنا إلى الوادي فلاحقنا
غيمٌ يسيرُ ، وغيمٌ ليس ينتقِلُ
« نكادُ ندفعُه بالراح » في فرحٍ
حتى تشقُّ لنا في جوفه السُبُلُ !

أ. يو كراتشوفسكي والأدب الجغرافى العربى

د. محمد
عبد المنعم
خفاجى



ـ ١ ـ

ان المكانة المرموقة التى تشغلها الحضارة العربية فى تاريخ البشرية لأمر مسلم به من الجميع ، فى عصرنا هذا . وقد وضح جلاء فى الخمسين عاما الاخيرة فضل العرب فى تطوير جميع تلك العلوم ـ أعنى علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا ـ اما فيما يتعلق بالادب الفنى العلمى فان العرب قد اسهموا فيه بنصيب وافر يمثل بجزءا اساسيا من التراث العام للبشرية ، كما امتد تأثيرهم كذلك الى عدد كبير من المصنفات والفنون الادبية التى نشأت فى بيئات غير عربية (١) » .

بهذا الاسلوب الواضح البسيط تحدث كراتشوفسكى فى مدخل كتابه الرائع « تاريخ الادب الجغرافى العربى » ، منصفا فى الحكم ، معترفا بمكانة الحضارة العربية فى تاريخ الانسانية وتراثها الحضارى .

وكان كراتشوفسكى من عمدة الاستشراق فى القرن العشرين ، واقرب العلماء الاستشراقيين بروحه وفكره الى الحضارة العربية وتراثها العظيم الخالد .

ليت العلماء والاساتذة فى كل مكان يحترمون البحث مثل هذا الاحترام ، ويولونه شرف القصد ، وجلال الغاية ، كما كان يفعل هذا

---

(١) ص ٣ القسم الاول من تاريخ الادب الجغرافى العربى لكراتشوفسكى ـ نشر الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية .



العلامة المتخصص في الحضارة الاسلامية ، والذى اسهم ببحوثه في كل فرع من فروعها ، حتى بلغ عدد المطبوع منها وحده ثمانية وخمسين واربعمائة بحث على مدى ثمانية وستين عاما هي كل عمره القصير ، او خمسين عاما هي حياته العلمية وحدها .

- ٢ -

يقول كراتشكوفسكي في ترجمة لنفسه ، نشرها في المجلد السابع من مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية عام ١٩٢٧ الصفحة ١٢٢ - ١٢٦ ، وسجلها مترجم كتاب تاريخ الادب الجغرافي العربي ، في مقدمته للكتاب انه ولد في الرابع من آذار عام ١٨٨٣ في فيلنا عاصمة ليتوانيا القديمة ، وكان والده من رجال التعليم ، ويعمل مديرا لمعهد المعلمين في هذه العاصمة ، ولم يمض من عمره عامان حتى رحلت عائلته الى بلاد ما وراء النهر ، لان اباه نقل الى مثل وظيفته في طشقند ، مديرا لمعهد المعلمين فيها ، ثم رقى الاب مديرا عاما للمدارس في آسيا الوسطى . وعاش الطفل في ظلال ابيه في هذه العاصمة الاسلامية الشرقية القديمة ثلاثة اعوام (١٨٨٥ - ١٨٨٨) يسمع اللغة الاوزبكية ويشغف بها ، لان حاضنته كانت اوزبكية الاصل . وكانت تأثراته الاولى في صغره هي بما رأت عيناه عليه من المساجد والاسواق الشرقية وتنوع الامم والطوائف ، واختلاف الالبسة ، وكان لهذه التأثيرات وقع شديد في نفسه منذ طفولته الى آخر حياته .

وفي عام ١٨٨٨ عاد والده الى فيلنا ، حيث عمل مديرا للمكتبة العامة ورئيسا للجنة البحث عن الآثار التاريخية القديمة .

ودخل كراتشكوفسكي الطفل المدرسة الاعدادية في العاصمة الليتوانية عام ١٨٩٢ ، ونال منها الشهادة الاعدادية عام ١٩٠١ ، التي تؤهله لدخول الجامعة وهو في سن الثامنة عشرة من عمره ، والتحق بقسم اللغات الشرقية بالكلية الشرقية في جامعة بطرسبرج ولم يلبث أن توفى والده عام ١٩٠٣ ، وكان قد ورث منه حبه للعلم ، وشغفه بالقراءة ،

أ.يو كراتشوفسكى

رهيامة بالدراسة وبعلوم اللغـــات والآداب . وكانت مكتبة اسرتـه ممه غذى فى نفسـه روح البحث . وبعدها وفى مكتبة المدرسة الاعدادية ومكتبة الكلية الشرقية قرأ مختلف الآثــار للفكر الاستشراقى . وبخاصـة « دى ساسى » وبعض اعلام المستشرقين .

درس كراتشوفســكى فى كليه الفارسية والتركية والاوزبكية والعبرية والحبشــية ، وانخرط فى سلك فرع لغات الشرق الاســلامى . وأولى العربية عناية خاصـة وتفوق فيها . وكان يدرس تاريخ الشرق الاسلامى على يدى بارتولـد (١٨٦٩ ـ ١٩٣٠) الذى كان له التأثير الشــديد فى حياته العلمية بأســلوبه العميق . وروحه النقـدية الطامحة على اسرار فلسفة التاريخ .

كما درس علم اللغـات العام على ميليورانســكى (ـ ١٩٠٦) وهو من كبار المتخصصين فى هذا العلم. وكان له تأثير قوى فى نفســـه فى مجال تخصصه كتأثير بارتولـده فى التاريخ . حتى صار يفكر منذ ذلك الوقت فى تطبيق اسلوبه التخصيصى على تاريخ آداب اللغة العربية . ومن اساتذته فى العلوم العربية : مهيد ليفوف(ـ ١٩١٨) المؤرخ . وفيكتور فون روزن (١٨٤٩ ـ ١٩٠٨) عضو اكاديمية العلوم الذى طارت شهرته فى كل مكان . وحذق كراتشوفسكى اللغة العربية بفضل اختـلاطه ببعض العرب المقيمين فى روسيا : كفضـل الله صروف الدمشقى (ـ ١٩٠٣) . وانطون خشاب الطرابلسى (١٨٧٤ ـ ١٩١٩) .

وفى عام ١٩٠٥ انهى دراســته فى الكلية . ونال وساما ذهبيا على بحثه عن الادارة فى خلافة المهــدى العبـاسى (١٥٨ ـ ١٦٩هـ : ٧٧٥ ـ ٧٨٥م)، الذى رجع فيه الى المصادر العربية كالطبرى والمســعودى وابن الاثير والعينى وغيرهم .

والتحق منذ ١٩٠٥ بقسم الدراسات العليا فى الكلية نفسها . وواصــل دراسته فيه على يدى روزن (١٨٤٩ ـ ١٩٠٨) وغيره . وفى عام ١٩٠٦ كتب بحثا عن شاعرية أبى العتاهية .. وفى عــام ١٩٠٧ نــال درجة الماجستير فى الآداب العربية . وكان لوفاة استاذه روزن عام ١٩٠٨ اثر شديد على نفسه .

وفى عام ١٩٠٨ حتى عــام ١٩١٠ قام برحلـة الى الشرق العربى على نفقة الجامعة ونظـارة المعارف . زار فيها أهم دوله . واطلع على نفائس مكتبـاته . وقابل قادة الفكر والادب والصــحافة فيـه . واختلف الى حلقات العلم المشهورة فى معاهـده وجامعاته ومدارســه وفى مقدمتها الازهــر الشريف والجامعة المصرية القديمة . وكان لهذه الرحلة صـدى عميق فى نفسـه .

وعاد عام ١٩١٠ ليجد نفسه قد عين مديرا لمكتبة قسم اللغات في جامعة بطرسبرج . وفي آخر العام عين معيدا للعربية في الكلية نفسها.

وحصل على درجة الدكتوراه من الجامعة عام ١٩١٣ برسالة عن الوأواء الدمشقي . وفي عام ١٩١٤ رحل الى عواصم أوربا ومراكز العلم والثقافة فيها ، واطلع على نفائس المخطوطات في أشهر خزائن كتبها ، ولاقى كبار العلماء والمستشرقين في جامعاتها .

وفي عام ١٩١٧ عين استاذا للعربية في الجامعة . واشرف على القسم الشرقي فيها .. ثم اختير لرياسة الكلية الشرقية في جامعة موسكو .

وفي عام ١٩٢١ انتخب عضوا في اكاديمية العلوم الروسية في قسم التاريخ واللغات في مكان استاذه روزن المتوفي عام ١٩٠٨ والذي كان مكانه لايزال شاغرا . وكانت بحوث كراتشوفسكي وتآليفه آنذاك قد بلغت نحو المائتين وطبع فهرست لها وزع على الاعضاء وقت انتخابه عضوا في الاكاديمية ، وتحدث عنه ثلاثة من أعضاء الاكاديمية المختصين بعلوم الشرقيات ، وقد طبع تقريرهم مع الفهرست المذكور .

وفي السنة التالية انتخب كاتما لاسرار القسم المذكور ، كما انتخب عضوا في جمعية المستشرقين .
ورشحه المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٢٣ لعضويته ، ففرح بذلك فرحا لايوصف وقال هو ان ذلك كان اكبر شرف ناله في حياته، وتقديرا خاصا ظل يتفاخر به . ـــ

وظل خادما للمعرفة والثقافة والعلم والادب والبحث ، وصديقا للكتاب والقلم ولتلاميذه العديدين ، حتى ليحزن حزنا عميقا لوفاة تلميذه الاديب لوزمين (ـ ١٩٢١)، المعيد في الكلية الشرقية .

ومنذ بدأ كراتشوفسكي التأليف وهو في سن السادسة والعشرين من عمره عام ١٩٠٤ الى وفاته لم يتخل عن روحه العلمي البسيط المتصف . وكان كل أوجل تآليفه في الآداب العربية والتراث العربي .

ـ ٣ ـ

ومؤلفات كراتشوفسكي العديدة تدور حول :

١ ـ تاريخ الشعر العربي ونقده منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث .

٢ ـ تاريخ آداب اللغة العربية بين نصارى العرب كما يقول هو عن نفسه في ترجمته لها التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية

٣ ـ تاريخ آداب اللغة العربية منذ نهضتها الاخيرة في القرن التاسع عشر ، وكان كراتشوفسكي في ذلك رائدا وموضع تقدير كبار المستشرقين مثل مارتين هارتمان وغيره .

٤ ـ التراث العربي عامة، وحركة

الاستشراق الروسي ، وله في ذلك كتاب « بين المخطوطات العربية »
(١٩٤٥)، وكتاب « من تاريخ الاستعراب الروسي » (١٩٥٠) .

٥ - الاسلام والحضارة العربية ، فقد ترجم القرآن الكريم الى الروسية، وكتب كتابه المشهور « تاريخ الادب الجغرافي العربي »الذييعد موسوعة علمية في جانب منجوانب الحضارة العربية .

وقد ترجم كراتشوفسكي « الايام » الجزء الثاني لطه حسين . كما ترجم مختارات من ادب الكتاب العرب . وترجم كذلك رسالة الملائكة للمعري عام ١٩١٠ ، ثم حققها ونشرها تحقيقا علميا عام ١٩٣٢ .

ونشر الرسالة الثانية لابي دلف الخزرجي الينبوعي (٣٠٠ - ٣٩١هـ) عن معجم البلدان لياقوت . كما نشر الاخبار الطوال للدينوري عام ١٩١٢

ونشر المنازل والديار لاسامة بن منقذ عام ١٩٢٥ ، وكتاب البديع ، وكتاب « طبقات الشعراء » وهما لابن المعتز العباسي (٢٤٧ - ٢٩٦هـ). ونشر مخطوطة ديوان ذي الرمة (المتوفى عام ١١٧هـ) عام ١٩١٨ .

ومن بحوثه : اثر الكتاب الروس في الادب العربي (١٩١١) - نشأة وتطور الادب الحديث (١٩٣٢) .

الى غير ذلك من بحوثه وتآليفه ولمحافظة كراتشوفسكي على نفائس الكتب والمخطوطات في جامعة لينتجراد - بطرسبرج - اثناء حصار الالمان للمدينة في الحرب العالمية الثانية ، صار موضع تقدير الشعب والدولة في بلاده ومنح اعلى الاوسمة تقديرا لهذا الجهد الكبير الذي بذله .

وتوفيكراتشوفسكيفي ١٤ منيناير ١٩٥١ فقررت الحكومة تخليداً لذكراه طبع منتخبات من آثار الاكاديمي «ي» كراتشوفسكي على نفقة الدولة ، وتم ذلك في الفترة ما بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٦٠ ، واشرف على نشرها نخبة من علماء الاستشراق من زملائه وتلاميذه وطبعت هذه المنتخبات في ستة اجزاء

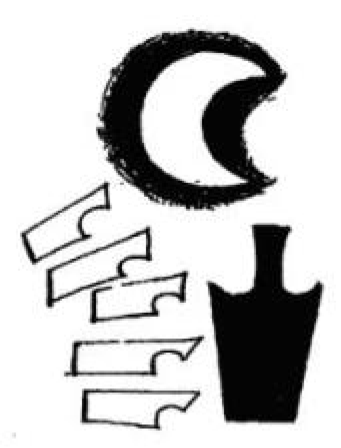
ولقد عاش كراتشوفسكي مع جيل من المستشرقين في بلاده تتلمذ على بعضهم ، وعاصر البعض الاخر ، وكان أستاذاً لفريق ثالث .

- ٤ -

وفي هذا المقام لا بد من التنويه بكتاب كراتشوفسكي « تاريخ الادب الجغرافي العربي » ، هذا الكتاب الذي يعد موسوعة علمية فريدةلم يكتبمثيل لها من قبل ، وقد نشر بعد وفاة كراتشوفسكي في الجزء الرابع من منتخبات آثار كراتشوفسكي . ونشر مؤلفه في حياته خلاصات لبعض بحوثه في نشرات اكاديمية العلوم السوفييتية .

وقد كان كراتشوفسكيمستغرقا في التفكير في هذا الموضوع منذ اوائل حياته . وفي عام ١٩٠٩ استمع الى

أ . يو
كراتشوفسكي



بعض محاضرات نلينو (١٨٦٢ ـ ١٩٣٨) التى كان يلقيها فى الجامعة المصرية القديمة فى القاهرة فى تاريخ الفلك عند العرب ، وقرأ بعد ذلك كتاب نلينو « نظرة الى الادب الجغرافى فى العربى مع مطالعة نصوص مختارة منه » ، وطالع بحوث بارتولد ، و « كرامرس » ، و « روسكا » ، و « فيران » و « جويدى » فى هذا المجال ، وسواهم من العلماء المتخصصين فى الجغرافيا التاريخية عند العرب .

وفى عام ١٩٣٦/٣٥ الدراسى الجامعى بدأ كراتشوفسكى يحاضر تلاميذه فى ادب التاريخ والجغرافيا عند العرب فى جامعة بطرسبرج ، ثم جامعة لينتجراد فى فترات متعددة . ومنذ عام ١٩٣٨ بدأ فى تدوين أصول هذا الكتاب ولم ينته منه الا عام ١٩٤٥ وكان المفروض فى الكتاب أن يكمل بدراسته لتاريخ الادب الجغرافى العربى فى القرن التاسع عشر لكنه لم يكتب الا لنهايات القرن الثامن عشر فحسب حيث حالت صحته دون كتابة الفصول الاخيرة من الكتاب ، وتوفى قبل أن يكتبها .

وكان اهتمام كراتشوفسكى بالادب الجغرافى وبدراسته أكثر من اهتمامه بكتابة تاريخ لعلم الجغرافيا أو تاريخ الكشوف الجغرافية عند العرب .

وقد بدأ كتابه بتوضيح التصورات الجغرافية الاولى عند العرب كما سجلها الشعر الجاهلى ووثقها القرآن الكريم ، ثم تتبع ميلاد الجغرافيا الرياضية العربية ، كما تحدث عن الجغرافيا الوصفية والرحلات والجغرافيا البحرية والجغرافيا العامة والاقليمية ، مع ذكر مدارسها واتجاهاتها ، ومع دراسة الجغرافيين العرب وآثارهم العلمية وأهم كتاباتهم فى هذا المجال .

ويتميز هذا الكتاب باتباعه منهجا علميا دقيقا فى دراسة الدور الكبير الذى لعبه علم الجغرافيا العربى وفى تأكيد أهم دور من أدوار الحضارة العربية . وبيان اسهام مختلف الشعوب الاسلامية فى بناء الحضارة العربية، وظهور مؤلفين وعلماء كبار من هذه الشعوب رفعوا منارة هذه الحضارة عاليا ، وتأكيد منزلة الحضارة العربية . ودور علم الجغرافيا العربى فى هذا المجال . والعناية بالرحلات والفرائد وأدب البحث الجغرافى الوصفى عند العرب

ا. يو كراتشوفسكى

ويكتسب الادب الجغرافى العربى أهمية كبيرة يحدثنا عنها كراتشوفسكى فى مدخل كتابه بايجاز شديد ، وتتمثل هذه الأهمية فيما يلى :

١ - اهتم علماء الادب وكذلك الكتاب بالجغرافيا ، ، وبلغ ذلك الاهتمام مدى كبيرا فى عصر الرشيد والمأمون ، وذلك لصلتها بالادب وبادارة الدولة الذاك ، وقد ظهرت كتب الفت عن الخراج مثل كتاب « الخراج » لابى يوسف .

ولهذا الاهتمام الكبير القديم بالجغرافيا نظير حديث، وهو اهتمام المستشرقين ، فكتب الجغرافيا العربية القديمة بما فيها من كتب الرحلات هى مصادركبيرة القيمة فىالتاريخ لفترات مجهولة من حياة بلادهم ، وفيها صور لتقاليد وعادات ومشاهد شعوبهم ، وللمستشرق الهولندى « دى غويه » كتاب « مكتبة الجغرافيين العرب » الذى طبع فى ثمانية أجزاء .

٢ - والمادة الجغرافية وكذلك التاريخية لا غنى عنهما فى فهم النص الادبى المتصل بزمانه ومكانه اتصالا وثيقا وكذلك لا غنى عنهما فىتكوين ثقافة الاديب والناقد ،وهذا مما يتضح لنا فى مثل كتاب « صبح الأعشى »، وكتاب « نهاية الأرب » وغيرهما .

على أن كثيرا من نصوص الادب تتعلق بأحداث تاريخية أو بأوصاف للبيئة التى عاش فيها الاديب والشاعر وذكر للاماكن التى ولدا ونشأ فيهما .

وقد جهد ابن بليهد فى كتابه صحيح الاخبار ، فى الحديث عن الاماكن التى ورد ذكرها فى المعلقات . على أن طبيعة الدراسة الادبية تقتضى دراسة المؤثرات العامة فى الادب ، وفى مقدمتها دراسة تاريخ العصر الادبى الذى تدرسه ، ودراسة البيئة التى عاش فيها الادب فى عصر منعصوره . بل كان من علوم الادب فى العصر العباسى : علم التاريخ وعلم تقويم البلدان والجغرافيا .

٣ - الادب الجغرافى ومثله الادب التاريخى يعدان مصدرين أساسيين فى دراسة ماضى العالم الاسلامى، وهما معين لا ينضب لا للمؤرخ او الجغرافى فحسب، بل لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخى الادب والعلم والدين واللغويين ولعلماء الطبيعة أيضا .

٤ - الادب الجغرافى العربى يمدنا بمعلومات كبيرة عن جميع بلدان الخلافة الاسلامية ، لا توجد فى مصادر أخرى .

٥ - المادة الجغرافية العربيةكثيرا ما كانت هى المصدر الوحيد أو الأهم لتاريخ حقبة معينة لشعب ما ، فضلا عن أنها مصدر يستقى منه كل الباحثين .

٦ - تتصل مادة الجغرافيا الوصفية فى منهجها اتصالا وثيقا

بقصص الرحـــلات وعلوم الشريعة واللغة وبالادب الفنى اتصالا وثيقـا وتسترعى النظر بغزارة مادتها ٠

وقد تحدث كراتشوفسكى عن كثير من الجغـــرافيين العــرب وآثارهم :

كالخوارزمى ، والكندى ، والبتانى ، والدينورى ، والجــاحظ ، ومحمد بن موسى ، وابن خرداذبة ، واليعقوبى، والبلاذرى ، وقدامة ، والمســعودى، وابن فضــــــلان ، وأبى دلف ، والاصطخرى ، وابن حوقل ، والمقدسى والجيهانى ، والبيرونى ، والادريسى، وابن جبير، والزمخشرى، والقزوينى ، وأبى الفدا ، والنويرى ، والعمرى ، والقلقشندى ، وابن بطــوطة ، وابن خلدون، والمقريزى، والسيوطى ، وابن اياس ، وابن الوردى ، وابن دقماق، وابن عســـاكر ، وابن الجوزى ، والســبكى ، والفيــروز ابادى ، وابن ماجد ، وسليمان المهــرى ، وسيدى على ريس، والعياشى والمقرى والنابلسى ، والنـــابلسى ، والزبيدى ، وسواهم ٠

وقد بلغ الادب الجغرافى العــربى ذروته فى القرن العاشر الميلادى ٠

وقد اعترف العــلم الحــديث والدراسات الاستشراقية باهمية الادب الجغرافى العربى فى الاطار العــام للدراسات العربية؛ وكتب المستشرقون حوله مئات البحوث ، منوهين باهميته

ومن أعلام الادب الجغرافى العربى أبو دلف الخزرجى الينبوعى (٣٠٠ - ٣٩١ هـ) وقد كتبت عنه بحثا بينت فيه - مع كل تفاصيل حياته العلمية - انه كان النموذج الفنى الذى صوره البديع الهمذانى (ت٣٩٨هـ) فى مقاماته ورمز اليه باسم أبى الفتح الاسكندرى بطل هذه المقامات ٠

واذا كان القول ان كراتشوفسكى قدم للثقافةالعربية بهذا الكتاب زادا رفيعا ، فانى أسجل هنا انه خالف ضميره العلمى فيما كتبه فى الفصل الاول من كتابه من هجوم على الاسلام وعلى القرآن الكريم والحديث النبوى، حيث تورط فى ذلك تورطا شـديدا ، وأصدر احكاما فى قضايا ليست من اختصاصه اولا، وليس هو من الباحثين فيها حتى يستطيع أصدار احــكام حولها ثانيا ، ومن مثل ذلك الارتجال الشديد الجائر ما قاله فى مواضع عدة من الفصل الاول من كتابه ٠

وفى الحق أن هذا العالم الجليــل جانبه التوفيق فيما ذكره عن القرآن والحديث فى كتابه وخرج عن الحياد العلمى والموضوعية العلمية ، خروجا يتنافى ابسط قواعد الامانة العلمية ، والحياد الفــكرى فى القضايا التى تطرح على بساط البحث ، والتى يجب أن يكون الحكم فيها محــايدا حيادا تاما ، ونزيها فى كل ما يصــدره من احكام ، وبعيدا عن الرغبـــة فى الانتصار لنزعة مكبوتةفى نفسه ، أو لمذهب يؤمن به وحده ويرى كل ماعداه بعيدا عن الصواب ٠

وقد كان احرى بكراتشوفسكى ان يعتذر عن اصدار احكام فى قضايا هو بعيد عنها بعدا شاسعا ٠٠ ولكن هكذا أساءت هذه الصفحات القلائل من الكتاب لكراتشوفسكى ولتاريخـــه العلمى اساءات لا تغتفر ٠

● أنور الجندى ●



التراث الإسلامى والمستشرقون

تناول المستشرقون جوانب كثيرة من الفكر الاسلامى بالدراسة ، ولا ريب كان « التراث الاسلامى » هو ابرز ما تناولوه وعالجوه بالبحث والتقصى من دراسات الفكر الاسلامى المتعددة، ونحن نحفظ لهم فضلهم فى تبويب التراث واعداده وفهرسته وتحليله ولكننا حين نتقصى وجهة نظرهم فى كثير من القضايا فهى غالبا ما تكون خاضعة لاحد أمور ثلاثة : اما محاولة فهم الاسلام على انه دين لاهوتى خالص كالمسيحية بينما الاسلام دين ومنهج حياة ، واما انهم تأثروا بوجهة نظر السياسة الاستعمارية فخضعوا لها واما ان ادواتهم البيانية والفكرية قصرت عن فهم طبيعة الاسلام والفكر الاسلامى الجامعة التى تربط بين الثابت والمتغير ، والروحى والمادى والدنيوى والاخروى · واغلب ما تجىء اخطاؤهم فى العجز عن فهم الوحى والنبوة والتفرقة بين الالوهية والنبوة ولذلك فان اغلبهم ينسبون القرآن الكريم الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبعضهم يعد الرسول مصلحا اجتماعيا ·

غير أن موقف الاستشراق من التراث الاسلامى ليس موقفا سليما من ناحية العرض الواضح لدى المستشرقين على الاهتمام بالجوانب الضعيفة والمضطربة من هذا التراث وخاصة جوانب الصراع ، وجوانب الخلاف بين الفرق ، والاهتمام بالتصوف الفلسفى ومحاولة ابراز الاثر الاجنبى فى الفكر الاسلامى نتيجة الاتصال بالفكر اليونانى والتهويل فيه الى حد القول بانه اهم معطيات الفكر الاسلامى ، غافلين عن أن الفكر الاسلامى قد تشكل اساسا قبل الاتصال بالفكر اليونانى أو الفارسى أو الهندى، وأن العلماء المسلمين حالوا دون سيطرة هذه الترجمات على جوهر الفكر الاسلامى ودورها وحرروا معطيات الاسلام منها ولم تكن تلك الجوانب التى هى موضع اهتمامهم الا محاولات لاحتواء الفكر الاسلامى ·



لكنها لم تنجح ولم يلبث الفكر الاسلامي أن أستعادأصالته حين تشكل مذهب الجماعة واستصفى كل ما كان رافدا ، وأساغ الصالح منه وتخلص مما يتعارض مع مفهوم التوحيد الخالص .

لقد أولى الاستشراق اهتمامه البالغ للتصوف والفلسفة وعلم الكلام والاعتزال والباطنية وكل هذه جزئيات من صورة لم تكتمل ولا يجوز لها ان تنفصل عن الصورة العامة الكلية للفكر . ولقد علت في مرحلتين من مراحل تاريخ الفكر الإسلامي نزعة الاعتزال ثم نزعة التصوف الفلسفي ولكنهما لم يلبثا ان سقطا وحوصرا وثبت تعارضهما مع جوهر الفكر الإسلامي الجامع الأصيل الذي لم يقبل استعلاء النزعة العقلانية التي جاء بها الاعتزال او النزعة الاشراقية الحلولية التي جاء بها التصوف الفلسفي . وكل المحاولات التي يثيرها الاستشراق الان لاعادة بعث هذا الركام واحيائه انما تمثل هدفا ماكرا من اهداف الاستشراق من ورائه حركة التغريب والغزو الفكري التي تحاول تزييف حقيقة الفكر الاسلامي وجوهره الاصيل .

وفي مجال التراث نجد عناية كبرى « بالحلاج » الذي وقف المستشرق « لويس ماسنيون » حياته على جمع اثاره ، وبالسهروردي وبشار وابي نواس وكلها شخصيات موصومة مضطربة لم تكن بالنماذج الكريمة أو العالية في التراث الاسلامي بل ان الاستشراق أولى اهتماما كبيرا بشخصيات هاجمت الاسلام وخاصمت رسوله ، كابن الراوندي ومسيلمة الكذاب وقدم عنهما وعن غيرهما دراسات واسعة نشرت باللغة العربية وان اي مراجعة لدائرة المعارف الاسلامية لتكشف عن هذا الاتجاه الرامي الى ادخال شبهات الاسلام كمادة اساسية فيه ونجد هذه المحاولات واضحة في جميع فروع التراث : القراءات ، وكتابة القرآن ، وسيرة الرسول ، وفي مجال التاريخ والشريعة الاسلامية وفي مجال اللغة والادب .

ويبدو ان جماعة المستشرقين قد قرأوا كتب التراث الإسلامي القديمة بغية التقاط الروايات المضطربة والناقصة والمحرفة واستغلوها لاثبات وجهة نظر مسبقة واستعانوا بكتب الادب والروايات والاسمار وألف ليلة وغيرها لتكون مصادر لاسانيدهم بينما هذه الكتب لم تكن في الاساس مصادر علمية للفقه او التاريخ . « يحرفون الكلم عن مواضعه » وليست دائرة المعارف الاسلامية وحدها التي توصف بالانحراف بل نجد ذلك في قاموس (المنجد) الذي نجده موضوعا الان في ايدي جميع الباحثين العرب وهذه شهادة عالم له صلة بدوائر

الاستشراق هو الدكتور مصطفى جواد الذى يقول ان اغلاط المنجد لا يمكن لاحد ان يستقصيها وقد نبهنا على ثلاثمائة واربعة وعشرين منها واغلب اخطاء المنجد هي محاولة تفسير المصطلحات اللاهوتية الخاصة تفسيرا عربيا عاما .

ولربما كانت الاحداث، لا النصوص اكثر اهمية في الكشف عن الاهداف :

الف ابو زيد وثيمة بن موسى بن الفرات المتوفى ٢٣٧ هجرية وهو فارسى الاصل كتابا اسمه كتاب (الردة) وقد ضاع هذا الكتاب وبقيت منه قطع قصار ذكرها ابن حجر فى كتابه (الاصابة) وجاء المستشرق الالمانى دكتور « ولهلم هونزباخ » من جامعة بون فاستل هذه القطع من كتاب الاصابة وفصلها وضبطها وشرحها .

التراث الإسلامى والمستشرقون

واقامها كتابا تحت اسم كتاب (الردة) الضائع .

وتشتمل هذه القطع على تراجم الاشخاص الذين ارتدوا عن الاسلام أو دافعوا عنه أيام الردة وقد رتبها المحقق على القبائل نبدأ بأسد وغطفان وفزارة ثم انتقل الى طى ثم هوازن وعامر بن صعصعة ثم سليم ثم عبس ثم تميم ثم حنيفة ثم ربيعة . وهكذا سلخ هذه القصاصات والشطائر من كتاب الاصابة ووضع مقدمة . وأمضى فى تحقيق النصوص سبع سنوات كاملة . فاى هدف للاستشراق فى هذا العمل !

ولقد يقال ان الاستشراق فى السنوات الاخيرة قد خفف من حدته وادخل اساليب العلم وتحرر من الاهواء

ولكن الواقع المشاهد غير ذلك والدكتور أحمد السمان عميد كلية الحقوق بدمشق وقد اشترك فى مؤتمر عام ١٩٦٠ يقول :

« بدأ المستشرقون يلقون محاضراتهم وكانوا كمن يلقى البارود فى النار ، والحق انهم لم يخرجوا عن سمت علماء الاستشراق من الاجانب فاهدافهم يوم ان سلكوا طريق هذا العلم أن يجدوا مواضع التشكيك وأن يخلقوا أساطير تذهب مذهب الحقائق العلمية لينالوا من الفكر الاسلامى ، وكانوا يلقون من العالم اسماعا مصغية علمها الجبن المسكوت ، والجهل الاستسلام وقد فوجئوا بجيل جديد تعلم علومهم وقرأ مصادرهم ، وتفوق عليهم بتفهمه روح العربية وبتجرده من النزعات الهدمة للعلم ، وكان يمثل البلاد صفوة من الشباب المسلم المتخرج فى كبرى جامعات العالم وكان الصدام عنيفا وكانت الغلبة للحق » .

ويذكر الدكتور السمان نماذج من عناوين البحوث :

(١) اتنكهاوزن (جامعة ماتشجان) انه لا يوجد فن اسلامى .

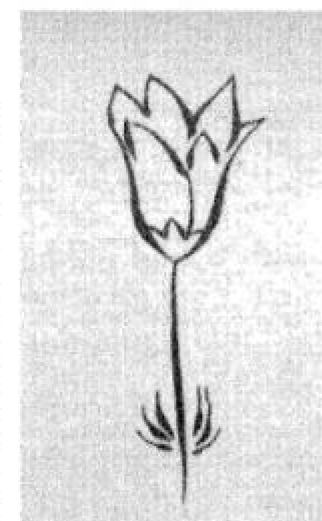
(٢) بوسان (جامعة نابلى) ان الشعر الاسلامى شعر فجور وفسق

(٣) جروثيباوم تحدث عن ما اسماه الفارقات التى تفصل بين المسلمين .. وقال ان ما يفرقهم اكثر مما يجمعهم.

ويقول الدكتور عبد الكريم زيان :

« من سلم منهم من الهوى وسوء النية اوقعه جهله بمعانى الاسلام بالباطيل والافتراءات والقليل منهم جدا من سلمت كتاباته من الهوى والــ القليل من سلمت كتابته من سوء النية والجهل ويجب عدم اتخاذ كتاباتهم مصدرا للمعرفة الاسلامية » .

ونحن مستعرضون هنا على وجه السرعة تلك المحاولات ممثلة فى أبرز القائمين بها :



(١) مرجليوث : الاسلام

اشار الاستاذ خوجه كمال الدين فى كتابه المثل الاعلى فى الانبياء الى اسلوب الاستشراق : فيقول اليك بيان الطريقة التى دابوا عليها فى نقد الديانات الاخرى . يشير احدهم الى فكرة ما من طرف خفى ويليه اخر فيقرر أن هذه الفكرة جائزة . ويأتى ثالث فيرفع هذا الحوار الى مرحلة النظرية اما الرابع فيخلق من النظرية حقيقة . وهكذا تتطور الفكرة : اربعة اطوار اوخمسة الى أن ينتهى بها المطاف الى أن تصبح حقيقة مقررة ، وبخاصة اذا كان الامر يمس احد الديانات أو المدنيات التى يتوفرون على نقدها وللاستاذ مرجليوث جولات خاصة فى هذا الميدان .

واليك المثل : « جاء الدكتور « فيجانا » فقدم قصة فحواها انه عثر على ترجمة سريانية للقرآن الكريم سقط منها بعض اجزائه يريد بذلك أن يوهم القارىء انه ربما ضاع شىء من القرآن وكان « فيجانا » هذا قد حاول قبل ذلك أن يشكك فى صحة القرآن فباء بالفشل الذريع ، فجاء مرجليوث فالتقط الخيط فأشار الى أن (فيجانا) عثر على نسخ سريانية عريقة فى القدم واشار الى وجود خلافات ذات بال فى المخطوطات القديمة ، وهذه العراقة فى القدم التى اشار اليها مرجليوث لم يمر عليها الا اقل من عام ، ولكنه يحاول أن يضع فى يد الخصم سلاحا يحارب به القرآن . هل يليق بمرجليوث أن يستعمل عبارة (عريقة فى القدم) مع أن فيجانا نفسه لم يقل ذلك بل يرى خلاف هذا الرأى »٠

ومرجليوث هو اول من اثار الشك فى الشعر الجاهلى . وقد اشار فى بحثه (الذى نقله طه حسين دون أن يشير اليه فى كتابه الشعر الجاهلى) الى أن الشعر الذى يقرأ على انه شعر جاهلى انما نظم فى العصور الاسلامية ثم نحله هؤلاء الواضعون المزيفون لشعراء جاهليين يقول الدكتور ناصر الدين الاسد الذى ناقش ذلك فى كتابه (مصادر الشعر الجاهلى) أن الدكتور طه استقى اكبر مادة لبحثه من مرجليوث .

ولمرجليوث آراء خصيمة للاسلام والنبى أوردها كتابه محمد وظهور الاسلام عرضنا لها فى كتابنا (الاسلام والثقافة العربية) وكلها تدور حول شبهات النقل من اليهود والنصارى ، والتفسيرات الباطلة للنصوص وفق مفهومه اليهودى البالغ الكره للاسلام .

(٢) جولدسيهر
الشريعة الاسلامية

تخصص هذا المستشرق اليهودى فى اثارة الشبهات حول السنة والفقه والشريعة الاسلامية ، وفى قيمة الاحاديث النبوية وذلك بالقول بأن السنة بدأ تدوينها بعد وفاة النبى بتسعين عاما ، وفى قوله فى كتابه :

(العقيدة والشريعة) : ان التوحيد الإسلامي ينطوي على غموض . ومن ذلك قوله : ان الشريعة الاسلامية تأثرت بالقانون الروماني في بداية تكوينها . وقد دحض اراءه كثير من الباحثين في مقدمتهم : مصطفى السباعي ومحمد الغزالي وسليمان الندوي .

وجولد سيهر يحاول في مجمل رأيه ان يصور الفقه الاسلامي وكأنه من صنع الصحابة والتابعين وقد كشف الباحثون ان جولد سيهر كان مدفوعا في كتاباته بغرض سياسي خاص هو اظهار ان التشريع الاسلامي قابل للمؤثرات الغربية .

وقد صورت لجولد سيهر مغالطات وانحرافات كثيرة أراد بها المغالطة في الحقائق الاساسية ومنها انه حرف

التراث الإسلامي والمستشرقون

قول الامام الزهري : (ان هؤلاء الامراء اكرهونا على كتابة الاحاديث) الى لفظ (احاديث) وبذلك فتح الباب امام شبهة كبيرة كذلك فانه اتهم الزهري بانه وضع حديث فضل المسجد الاقصى ارضاء لعبد الملك بن مروان مع ان الزهري لم يلق عبد الملك الا بعد سبع سنوات من مقتل ابن الزبير .

وقد كشف محمد أسد « ليوبولد فايس » السر في محاربة السنة .. فقال ان الهدف هو اسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لحياة رسول الله والمسلمين وبذلك يفقد الاسلام اكبر عناصر قوته . ويقول لكي يستطيع نقدة الحديث المزيفون ان يبرروا قصورهم فانهم يحاولون ان يزيلوا ضرورة اتباع السنة لانهم اذا فعلوا ذلك كان بامكانهم حينئذ أن يتناولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاءون على اوجه من التفكير السطحي اى حسب ميول كل واحد منهم وطريقة تفكيره هو ، وبذلك تنتهى تلك المنزلة « الممتازة » التى للاسلام على انه نظام خلقى وعملى ونظام شخصى واجتماعى الى التهافت والاندثار » .

(٣) لامنس : الإسلام وتاريخه

ويعد هنرى لامنس من أشد المستشرقين تعصبا على الفكر الإسلامى ، وقد بالغ فى التعصب على الإسلام حتى اعلن البعض شكهم في امانته العلمية وقالوا : انه لاينسى عواطفه فيما يكتب عن النبى والاسلام، وانه كان داعية ولم يكن عالما ، وقد عرف بتهكمه على النصوص العربية كما وصف بارهاقه للنصوص وتحميلها اكثر مما تحتمل . فاذا وجد فى الإسلام موضعا للفضل ذهب بنسبته الى مصدر غير اسلامى وقد تعصب لامنس للامويين ، ومصدر اعجابه بهم ان دولتهم كانت في تفسيره لا دينية ولانهم اقاموا ملكهم في الشام وتأثروا بالمدنية القديمة التى قامت فى ربوعه .

يقول دكتور زكى محمد حسن : انه كان خصما عنيدا للمسلمين عامة وللعلويين والعباسيين خاصة وانه كان يسلب العرب الفضائل والصفات الخلقية الجميلة ، وانه كان فى خصومته يعتمد على المغالطة والمغالطة وقد كتب لامنس عن الاسلام وعن الرسول وعن بنات النبى .

وهو فى كل هذه الكتب يتهم رواة السيرة بأنهم مخترعون ولكنه لايحجم عن الاعتماد على رواية من رواياتهم اذا استطاع أن يلمح فيها مطعنا على الاسلام ، وهو حين يرى رواية او حديثا فيه مصلحة

الشيعة اتهمهم بوضعه و حين يرى رواية تعلى من شأن السنيين الصقها بكتابهم ، حتى انه لتراه يضرب كل فريق بالاخر ليتمتع باضطراب كل هذه العناصر التي قامت عليها السيرة وليخرج عليك هنا وهناك بآرائه المغرضة . وهو حين يتكلم عن السيدة عائشة لايجد في مفردات اللغة الفرنسية الا كلمة تشبه كلمة «سخطية» في اللغة العربية، والمستشرق لامنس تلك الفرية الضخمة التي دحضها كثير من الكتاب المسلمين وهي نظرية تشكيل الحكومة الاسلامية التي قامت يوم « السقيفة » واستمرت طوال عهد الشيخين (ابى بكر وعمر) فهو يرى ان تلك الحكومة كانت حكومة ثلاثية على النظام المعروف في التاريخ الروماني . وهو يتهم الصحابة الثلاثة ابا بكر وعمر وابا عبيدة بانهم تآمروا على احتكار الحكم بعد وفاة النبي وان المؤامرة قد نجحت الى حد بعيد ، وقد بين الاستاذ عبد الحميد العبادى فساد هذه الفرية الكاذبة .

(٤) جب : الأدب العربي

في كتابه عن الادب العربي الصادر في سنة ١٩٦٣ يعتبر القرآن من كلام «محمد» صلى الله عليه وسلم وهذه ظاهرة يشترك فيها بروكلمان ونيكلسون وغيرهما ، فالمستشرقون يعارضون المفهوم الاسلامي القائم على النبوة والوحي . وهو يطلق على العصر الجاهلي اسما غريبا فيسميه (العصر البطولي) وقد رفض المستشرق مصطلح (العصر الجاهلي) وعصر ما قبل الاسلام وكذلك فعل نيكلسون في كتابه التاريخ الادبي للعرب . ويصر المستشرقون على وصف عصر الجاهلية بانه عصر استنارة وانه تمهيد للرسالة الاسلامية . ويثيرون الشبهات حول اللغة العربية فهي عندهم لغتان لا لغة واحدة : شمالية وجنوبية وقد تابعهم في ذلك الدكتور طه حسين، ويسمى عصر الاسلام الذى هو تحول خطير في التاريخ العربي بعبارة عصر التوسع ارتباطا بفكرته عن عصر بطولة الجاهلية .

كذلك فان جب يأخذ بالشبهة ويرى ان النثر الفني العربي فارسي الاصل وينسى بلاغة عمر وعلى وعبد الله بن عباس وغيرهم . ويحتفى « جب » بالثقافة اليونانية ويحاول ان يضيف اليها كل ما في الادب العربي من تقدم ، ويرد الى الثقافات الفارسية واليونانية كل امور النحو والبلاغة العربية ، مع أن النحو والبلاغة وغيرهما من هذه الفنون قد تم تشكلها قبل الاتصال بالفكر اليوناني وقبل عصر الترجمة ، اما الفلسفة فان (جب) يعتبر الفلسفة العربية فلسفة يونانية المصدر ويقول ان الذين رفعوا لواء الفكر والفن في العصر العباسي هم من اصل اعجمي او نصف أعجمي ناسيا ان القرآن الكريم هو الذي شكل عقليات المسلمين جميعا ، من العرب والترك والفرس .

ويقف وقفة اهتمام ازاء ابي نواس وبشار .. والمستشرقون يبعثون تراثهما ويعيدونهما الى الحياة حتى تنشر عباراتهما الاباحية والهجائية في العصر الحديث . وكذلك يولي الاهتمام بالحلاج في مجال التصوف أما المعتزلة فهو يوليهم اهتماما كبيرا ويشرح فكرهم شرحا مستفيضا ويعتبرهم من اتباع الفكر اليوناني ومن اكثر ما اعطى من الفكر الغربي للاسلام . كذلك اولى (جب) اهتمامه بانتصار البويهيين وقال انه نتيجة الخميرة الهلينية وكذلك الاهتمام بالموشحات

والسجع والمقامات وقد ناقشنا هذه القضايا كلها بتوسع فى كتابنا « خصائص الادب العربى » فليرجع اليه من يشاء ٠

(٥) نيكلسون : اللغة

من أبرز أخطاء المستشرقين عجزهم عن فهم النص والبيان العربى وقد أشارت الدكتورة بنت الشاطىء الى عجز (نيكلسون) عن فهم الغفران لابى العلاء وقالت أن فهمه للنص فيه أخطاء كثيرة بعضها هين يمكن التجاوز عنه اما الكثرة الباقية فتعرض صورا غريبة لفهم هذا المستشرق للنصوص العربية ٠

يقول : فى الغفران ما نصه (وحدثت انه كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال هو من النبوة اى المرتفع من الارض) وغاب عن نيكلسون ان الحديث هنا عن المتنبى ولقبه فعجز عن فهم هذا الاشتقاق

التراث الإسلامى والمستشرقون

نظرا لالتباس الامر عليه او وهم أن الحديث عن شخص لغز هو (القطربلى) وليس بينه وبين النبوة صلة ما ٠ وتقول : ان هناك أخطاء كانت فى الاصل العربى صحيحة فغيرها نيكلسون باخرى غير مفهومة ولا صحيحة وأخرى لم تنشأ من صعوبة العبارة فى الغفران او تحريفات النص وانما نشأت عن عدم فهم الاسلوب العربى وعدم الانتماء الى الاشخاص الذين يتحدث عنهم ابو العلاء ٠ ويعد ان أوردت الدكتورة بنت الشاطىء عديدا من أخطائه (يستطيع القارىء أن يجدها فى مقدمة كتابها عن الغفران)٠

قالت : القصد ان انبه قومى الى واجبهم فى حمل هذه الامانة — اى أمانة تحقيق التراث — بعد ان وكلوها الى المستشرقين ، وان ادعو علماء العربية الى نشر تراث لهم هم اولى به واقدر على فهمه

(٦) ماسينيون : التصوف

اهتم لويس ماسينيون بأمرين . الدعوة الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية وقد اذاع دعوته هذه فى كل مكان ذهب اليه وقد ووجهت بالرفض والمعارضة ٠

اما اهتمامه الاكبر فكان بالترويج للتصوف الفلسفى وللآراء المناقضة للتوحيد الاسلامى كوحدة الوجود والحلول وقد ركز على الحلاج اكثر من ثلاثين عاما حيث جمع كل ما يتعلق باخباره وآرائه واذاعها من جديد ، وللاستشراق اهتمام واضح بجوانب معينه من التصوف ، هو كل ما يتصل بمعارضة فكرة التوحيد وخاصة الحلول والاتحاد وهى الافكار المستمدة من الاصول المسيحية واليونانية ولذلك يولى الاستشراق اهتمامه بالحلاج وابن عربى والسهروردى وابن سبعين وغيرهم ٠

(٧) شاخت : الشريعة الإسلامية

تابع شاخت استاذه « جولد سيهر » فى الحملة على الشريعة الاسلامية ، وكانت دعوته ان الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالاسرة والوراثة مستمدة من النظام القبلى الجاهلى ٠ وقد رد على آرائه المرحوم الشيخ محمد ابو زهرة وكان مما قاله : هل قرر الاسلام ما قرره البدو والرومان من ثبوت النسب ٠ هل اقر الاسلام نظام التبنى الذى كان معمولا به عند العرب والرومان هل نظام الولاية على النفس والمال كما كان عند الرومان والاسلام قد اعتبر الولد حرا فى التصرف فى نفسه وماله بمجرد البلوغ الطبيعى والرومان كانوا يعتبرون ولاية ابيه قائمة ولو بلغ الستين حتى يمنحه الاب حق التصرف ، هل نظام الميراث

كما قرره الاسلام سبق به أى شرع من الشرائع . وفى المقوبه : هل كان الفرد يقتل بالقود وان النفس بالنفس ولاعبرة بمقدار ما كان عليه المقتول من جاه أو منزلة عند الناس فان النفوس متساوية بحكم القرآن وأقوال محمد وليست متساوية بحكم القبائل العربية . فزعيم القبيلة يقتل به الوف وهل كان فى نظام القبيلة أن يقتل الحر بالعبد وهل كان فى حكم القبيلة أن السارق تقطع يده الخ الخ ».

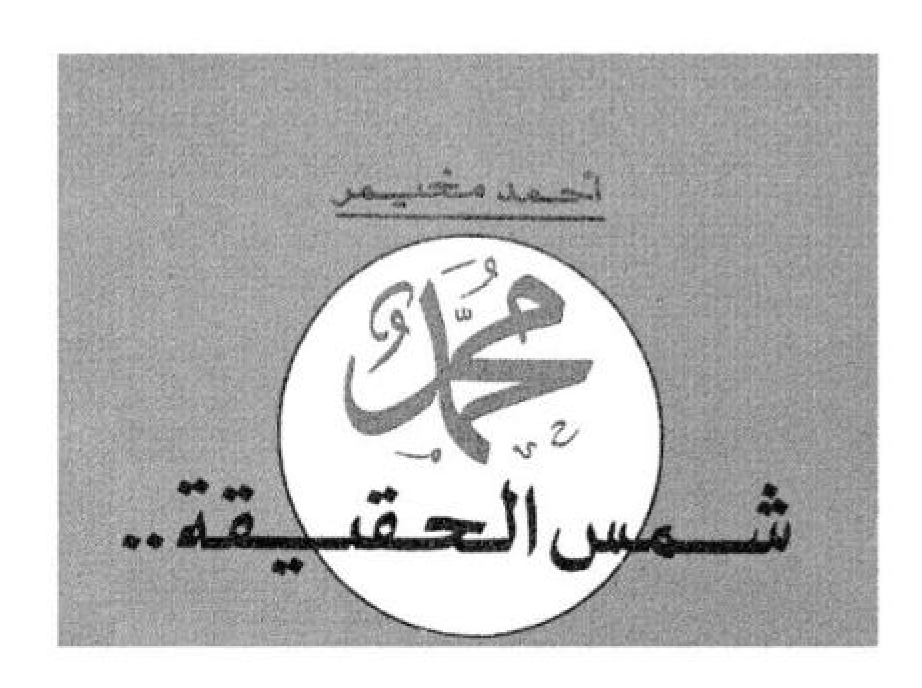
وكراهية المستشرقين للشريعة الاسلامية واضحة : كرامر ، رينان ، كلامون ، جانو ، جولد سيهر ، مرجليوث ، لامانس وقد حاولوا ايهام المسلمين بأنها سبب تأخرهم وعائق فى سبيل تقدمهم ونهوضهم واثارة الشبهات حول نصوصها المحكمة .

● نهاية الاستشراق أو بداية مرحلة جديدة ●

واليوم نجد تصريحات جديدة تقول بنهاية الاستشراق فقد أعلن مؤتمر الاستشراق التاسع والعشرين الذى عقد فى العام الماضى أنه تقرر أن يطلق على مؤتمر الاستشراق القادم (مؤتمر العلوم الانسانية) وبذلك ختمت جولة ضخمة بدأت بعد احتلال الجزائر ١٨٣٠ وامتدت على مدى مائة وخمسين عاما وقد وصفت جريدة اللوموند الفرنسية هذا التحول بأنه « موت الاستشراق » وكان المستشرق جاك بيرك قد أدلى بتصريحات خلال العام الماضى عبر فيها عن ما سماه « انتهى زمن الاستشراق» ومن المصادفات العجيبة أنه خلال العام الماضى نوقشت فى جامعة الازهر رسالة ضخمة عن حركة الاستشراق للدكتور أحمد اسماعيل ازوقاش وقد عقدت مؤتمرات استشراقية كثيرة فى الاعوام الاخيرة تناولت الادب العربى والمصطلحات العامية كما أعلنت اسرائيل تكريمها للمستشرق (برنارد لويس) الذى هاجم الأمة العربية ووصفها بالعنصرية ، وحيث يوجد اليوم جناح ضخم من الاستشراق الصهيونى قوامه رنشسون وبرنارد لويس ويركز كل اهتمامه بقضايا فلسطين وابراهيم واسماعيل والقدس واليهود وهكذا ومن آثار هذا الاستشراق تلك الدعوى التى أثارها الدكتور طه حول ابراهيم واسماعيل بالرغم من اشارة التوراة والقرآن لهما والنصوص الخاصة بعروبة اسماعيل وارتباطه بابراهيم وما يتصل بذلك من دور العرب والمسلمين من ميراث أبى الانبياء .

كل هذا يجعلنا فى حذر دائم مما يكتبه المستشرقون وما يكتب عنهم ونحن ازاء تحول الاستشراق الى ميدان العلوم الانسانية نحس بأن الخطر أصبح أشد قوة وعمقا وان الاستشراق يغير جلده ليدخل فى مرحلة جديدة أكثر خطرا .





لقد طلعت شمس الحقيقة عندما
وُلِدْتَ..وحيّا صُبحها الملأُ الأعلى
وضجّت رحابُ الكونِ بشرا وسبحت
ملائكة طافت بأرجائه جذْلى

وحياكَ ربُ العرشِ . والعرش منصت
سميع .. بلا صوتٍ ولا أحرفٍ تتلى
سلامٌ على أرضٍ تفيأت ظلهما
وحمّلت فيها الخيرَ والحق..والعدلا

وبُورِكَ فيها مُذْ لمست ترابها
وكنت لمجدٍ بين أربعها أهلا
واصبحتَ فيها قيمة القيمِ التى
تُطل على الآبادِ بالنظرة العجلى

وتعجَبُ للزّال .. من فوق صخرِها
تَدَفّق للوادى ، وتقتحِمُ السُبلا
وتكشِفُ أسرارَ الوجودِ ، وغيبَهُ
وتلمِسُها بالروحِ : تخترقُ السُدلا
وتدلِى غدا .. حتى كأنك فى غَـد
تعيش .. ولم تنتقِلْ لضحوتِهِ رجلا
وتبْصر ما بعدَ الزمان . وبعـدَهُ
ترى الحكمةَ العُليا عليكَ غدَتْ تملى
فتلقى بهـا للعـالمين غـَـريبةً
فلم يستمِعُوا أشجى،ولم يملكوا أغلى
أجل طلعَتْ شمسُ الحقيقةِ .. لم تزل
بيمناكَ يَجرى نورُها القلبَ والعقلا
ولولاكَ لم يعرفْ بنو الأرضِ هديهم
ولم يقرءوا كُتبا ،ولم يعرفوا رُسْلا
وقد كنتَ خيرَ الناسِ رأيا وحكمة
وأوسعَهمُ علما ، وأكثرَهم فضلا
ولم تبنِ قصرا تستظِلُ بظِـلـه
ولم تدّخِرْ مالا ، ولم تمتلِكْ حقلا
ولم تتخلف عن قتالٍ ، تـرى به
إغاثةَ من نادَى ، وعِـزَّة من ذُلا
وسهّلْ علاجُ الضعف فيمن يُحِسه
فإن لم يجد عزما به لم يكن سَـهلا
تسوء ظنون النـاسِ فى كلّ قـائل
إذا سَمِعوا قوْلا ، ولم يبصروا فِعلا



ان آثار الفكر العربي الإسلامي في دراسات السابقين - من علماء الأمة الإسلامية - كانت ولا تزال موضع اهتمام كبير لدى الدارسين المتخصصين في الشرق والغرب على سواء، وما زال البحث في المخطوطات يكشف الجديد من آثار هؤلاء العلماء السابقين .. وقد شغل الاستشراق الأوربي نفسه منذ زمن بعيد بمباحث شتى تتصل بالدراسات العربية والإسلامية، وتنوعت جهود هؤلاء المستشرقين كما تنوعت بواعثهم، وكما كان الزيغ والنيل من الإسلام هوى فريق منهم فان الحق والنصفة كان هوى فريق آخر حتى وان لبس الامر عليهم لغياب بعض الحقائق عنهم أو لغموض جوانب من أسرار اللغة العربية عليهم، ذلك ان محاولة فهم القرآن الكريم والخوض في مباحثه وعلومه تحتاج الى مستوى خاص من الدقة والتمكن في فهم أسرار اللغة لأن ذلك دائما هو بداية الطريق الى محاولة البحث والفهم والتحليل.

ومع ذلك كله فان بعض المستشرقين استطاعوا بجهود صادقة وصابرة وعلم وافر غزير ان يخدموا التراث العربي وان يسهموا اسهاما ايجابيا يتمتع بكل خصائص الروح العلمية الفذة في مناهجها الصحيحة وبصرها الدقيق بالتحليل والمراجعة والاقتراح والفرض.

ولعل من أنجح الجهود التي بذلها المستشرقون في خدمة التراث العربي تلك الجهود التي عنيت بالتحقيق والتصنيف، لأنها قدمت التراث العربي في أقرب صورة ممكنة من الكمال، ودلت على كل فكرة اقترحتها أو كلمة رجحتها على غيرها مع العناية بالاشارة الى المصادر القديمة والحديثة التي استشارتها والعناية بجمع نسخ المخطوطات التي اعتمد عليها الباحث المحقق. ويعد فن التحقيق عملا جديدا لم يأخذه العرب المحدثون عنهم ثم أصبحوا ذوي أصالة ورسوخ فيه لوثاقة معرفتهم بأسرار لغتهم وتاريخها ومباحث علومها وفنونها. ومن أبرز الذين خدموا التراث العربي العلامة جوستاف فلوجل، المستشرق الالماني.

ولد جوستاف فلوجل في Sachsen وتلقى دراســاته الاولية فى موطنه ودرس اللغات الشرقية والالهيات فى ليبزيج (١٨٢١ ـ ١٨٢٤) على يد الشاميين من علمائهــا ، واجيز عن دراسته للغات الشرقية ، ثم اقام فى فيينا عامين اشتغل فيهما بالتدريس ومطالعة مخطـــوطات مكتبة هامر بورجشتال ، ثم انتقل بعد ذلك الى باريس فقضى فيها بعض الوقت بين المكتبة الوطنيــة ، وبين تلقى دروس المستشرق الفرنسى الشهير « دوساس » صاحب الدراسات القيمــة فى مقارنات الادبين العــربى والفرنسى فى العصر الحديث ٠

ثم رجع « فلوجل » الى المانيا سنة ١٨٣٠ ، وهناك عين استاذا للغــات الشرقية فى معهد « ميسان الملكى » وفى سنة ١٨٣٢ عهد اليه بوضع فهــرس للمخطوطات العربية والفارسية والتركية الموجودة فى المكتبة القيصرية « بفيينا » فقام بهذا العمل فى صــيف سنوات (٥١ ـ ٥٣ ـ ١٨٦٢) ٠

وبهذا الجهــد توافر لديه من المعرفة بتراث هذه اللغات مالم يتوافر للكثيرين من زملائه المستشرقين ٠٠٠

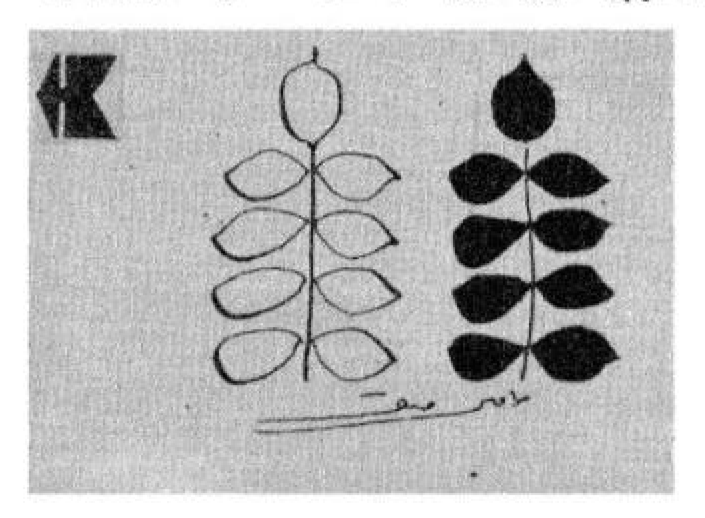
وقد توفى فلوجل فى « درسدن » عام ١٨٧٠ عن ثمانية وستين عاما كلها نماء وعطاء ، وكان حظ المكتبة العربية من جهوده حظا طيبا وموفورا سوف يظل يحتل مكانة مرموقة فيها ٠

ابرز الآثار العلمية التى قدمها فلوجل (١):

(١) نشر النص القرآنى الكريم باللغة العربية قبل ظهور الطباعة فى الشرق وذلك قبل عام ١٨٤٢ وهو النص الذى اعتمد عليه فى تأليف كتــاب « نجوم الفرقان » وسوف نتناول ذلك بعد قليل بالدراسة ٠

---

١ ـ راجع : فهارس المكتبة الوطنية ببــاريس (بدار الكتب المصرية) ، المستشرقون : نجيب العقيقى ٠ ج ٢ ص ٧٠١ ، فرهنا فارس وكترمعين ٠



جوستاف
فلوجل

(٢) نجوم الفرقان فى اطراف القرآن (١٨٤٢) وهى فهرس للمفردات الواردة فى القرآن • وسوف نتناوله بالدراسة ونعرف علاقته بكتاب المعجم المفهرس للمرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى •

(٣) نشر كتاب كشف الظنون لحاجى خليفة بعد تحقيقه وترجمته الى اللاتينية ومع فهارس وملاحق فى سبعة مجلدات •

(٤) قام بتحقيق كتاب الفهرست لابن النديم وقدم حوله دراسات علمية هامة سوف نعرض لبيان ابرز خطوطها والجهود التى بذلت حولهـا • وحتى الان ليس هناك جهد جديد حول هـذا المؤلف القيم الذى بذل فلوجل من اجل اخراجه خمسا وعشرين سنة •

(٥) اعد بمشاركة اثنين من زملائه وصــفا شاملا للمخطوطات العربية والفارسية والتركية الموجــودة فى مكتبات ميونخ • ويقع هذا العمل فى ثلاثة مجلدات تشغل ١٩٩٠ صفحة•

(٦) نشر كتاب التعــريفات للجرجانى (الاستانة ١٨٣٧ - ليبزيج ١٨٤٥) •

(٧) قدم دراسة عن الكندى - الفيلسوف العــربى كنموذج لعصره وشعبه (ليبزيج ١٨٥٧) •

(٨) قدم دراســة عن تاريخ الاداب العربية (١٨٣٤)
(٩) قدم دراســة عن مدارس العرب النحوية وهى تشمل نحاة العرب حتى الجيل العاشر (١٨٦٢ ليبزيج) •

(١٠) نشر كتاب مؤنس الوحيـد للثعالبى (النص العربى وترجمة المانية ١٨٢٩)

(١١) نشر رسالة فى مصطلحات الصوفية لابن عربى (ليبزيج ١٨٤٢)
(١٢) نشر كتاب ترتيب طبقــات الفقهاء (مجلة الاخبار الشرقية) •

(١٣) ونشر كتــاب التراجم لابن « قطلوبغا » مع فهرس بأسماء الرجال وتعليقات بالالمانية (ليبزيج ١٨٦٢)•

ملاحظات حول بعض هذه الآثار

اولا : نجوم الفرقان فى اطراف القرآن :
يلاحظ ان كلمة الاطراف هنا تعنى الآيات والكلام عن هذا الكتاب لا بد من الكلام عن المصحف الذى اعتمد عليه فى تتبع المفردات او الالفاظ القرآنيـة

والواضح أن « فلوجــل » نشر النص القرآني الكريم بلغته العربية قبل انتشار الطباعة في الشرق ، وبمراجعة فهارس دار الكتب المصرية وجــدت مصحفا شريفا كتبت عليه كلمة «القرآن» وتحتها عبارة « وهو الهدى والفرقان »

وهذا المصحف ليس مدونا عليه مكان الطبع ، ولكن بمقارنته مع كتاب نجوم الفــــرقان في فن الطباعة وفي خط العنوان يرجح بل يؤكد أنه مطبوع في ليبزيج حيث طبع نجوم الفرقان ، ويفهم الدارس مما ذكره الأستاذ Johannruck

في كتابه « الدراســــة العــــربية في أوربا » ، أن فلوجل هو الذي نشر نص المصــحف الشريف قبل تصنيفه لكتاب نجوم الفــــرقان ، وقد نص على ذلك

أيضا الأستاذ محمد فؤاد حيث يقول في مقدمة معجمه « ولما كان صــاحب نجوم الفرقان إنما اعتمد على مصحفه الذي طبعه خصيصا لهذا العمل »

وقد قمت بمراجعة ترقيم الآيات في هذا المصحف ووجدتها تختلف عن أرقام الآيات في نص المصحف المتداول بيننا الآن . ذلك أن المصحف الذي اعتمد عليه « فلوجل » يضع رقم الآية قبل بدايتها وليس بعد نهايتها ، وهذه ملاحظة شكلية . وبالنسبة لعدد الآيات وهذا هو المهم ـ نلاحظ أن عدد الآيات داخل السورة الواحدة يتفق مع العدد المعروف في المصحف العثماني الشائع بيننا حاليا ، ومع ذلك فإن المصحف الذي اعتمد عليه « فلوجل » يختلف في تحديد بداية ونهاية الآيات في السور الطويلة فمثلا في السورة رقم « ٢ » « سورة البقرة » . يعد « ا لم جزءا من الآية بعــدها وهي في مصحف عثمان ـ الطبعة المتداولة بيننا ـ آية بذاتها ، والآية في المصحف الذي اعتمد عليه فلوجــل هكذا : « (١) الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » .

والآيتان ١٩ و٢٠ في المصــحف المتداول بيننا وهمــا : « يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير » . « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

هاتان الآيتان هما في المصحف الذي طبعه « فلوجل » آية واحــــدة يسبقها رقم (١٨) وفي مقــــارنة بسيطة نعطي بعض النماذج المعتمدة على أرقام الآيات فقط

المصحف الذي اعتمد عليه فلوجل رقم الآية	المصحف العثماني الشائع بيننا ما يقابلها
٣٨	٤٠ ، ٤١
٦١	٦٤ ، ٦٥
٦٣	٦٧ ، ٦٨
٧٣	٧٨ ، ٧٩
١٣٧ ، ١٣٨	١٤٣

وفى مقابلة الرقم الاخير نلاحظ ان المصحف المشار اليه قد قسم الاية الواحدة الى ايتين عند مكان الوقف الجائز مع كون الوقف اولى ، وذلك عند كلمة « شهيدا » *.

ونص الاية الكريمة : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم »

والملاحظة العامة والهامة ان عدد الايات كما ينقص فى هذا المصحف الذى طبعه « فلوجل » يزيد ايضا . وهذا التحديد لبداية ونهاية الايات راجع الى ما اشار اليه السيوطى فى كتابه الاتقان فى علوم القرآن (١) حيث يقول :« وقال ابن العربى ... قال : وتعديد الآى من معضلات القرآن ، ومن اياته طويل وقصير ، ومنه ما ينتهى الى تمام الكلام ومنه ما يكون فى اثنائه .

وقال غيره سبب اختلاف السلف فى عد الآى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقف على رءوس الآى للتوقيف فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ انها ليست فاصلة وقد أخرج ابن الضريس من طريق عثمان ابن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال جميع آى القرآن ستة الاف وستمائة اية .. قال الدانى اجمعوا على ان عدد ايات القرآن ستة الاف اية ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد ومنهم من قال ومائتا ية وأربع آيات ، وقيل وأربع عشرة ، وقيل وتسع عشرة وقيل وخمس وعشرون ، وقيل وست وثلاثون »

والذى يهمنا التنبيه اليه بعد نقل هذا النص ان نؤكد ان النص القرآنى بحروفه وكلماته ثابت بالتنزيل وان الاية الواحدة منه انما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة تماما . وواضح من النص السابق ان مرجع الخلاف فى عدد الايات فهم من سمع تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم ـ من غير كتاب الوحى وأهل الثقة من الحفاظ والصحابة ـ فمنهم من حسب نهاية الوقف نهاية للاية ، ومنهم من حسب الوصل بعد الوقف ليس نهاية للاية ، لكن الذين اثبتوا نص القرآن من كتبة الوحى وحفاظ القرآن اجمعوا على ان النص الذى بين أيدينا ، حيث وصل الينا صحيح موثق متواتر

والواضح ان نص المصحف الذى اعتمد علية « فلوجل » يرجع عد

---

(١) راجع من هذا الكتاب النوع التاسع عشر فى عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه فى الفصل الذى عقد للحديث عن الآى .

جوستاف
فلوجل

الآيات فيه الى علم غير وثيق كما يقول الاستاذ محمد فؤاد فى مقدمة معجمه : « ولما كان صاحب نجوم الفرقان انما اعتمد – فى أرقامه التى يسوقها أمام اللفظة للدلالة على رقم الآية من السورة – على مصحفه الذى طبعه خصيصا لهذا العمل ، ولما كان قد عد آياته غير مستند فى ذلك الى علم وثيق فقد وقع اختلاط عظيم فى الوف من المواضع بين مصحفه ومصحف الحكومة المصرية ... ولقد لقيت العناء المعنى ، والنصب المنصب فى رد رقم آيات مصحف « فلوجل » الى رقم آيات مصحف الحكومة المصرية »

ويبدو لى أن هناك جملة احتمالات فيما يتصل بتقسيم الآيات فى المصحف الذى طبعه « فلوجل » :

الاول : أن فلوجل اعتمد على نسخة مخطوطة للمصحف كان من باب المصادفة انها ليست من الرسم العثمانى الشائع بيننا برواية حفص والذى تواتر فى رسمه والتزامه بتحديد بدايات ونهايات الآيات على نحو توقيفي متواتر . وتكون النسخة التى اعتمد عليها « فلوجل » أقل وثاقة فى مسألة تحديد البداية والنهاية لكل آية . هذا مع التسليم بأن النص القرآنى بها صحيح لم يمس بشىء من التحريف فى غير تحديد الآيات .

الثانى : ربما يكون « فلوجل » هو الذى فهم هذا التقسيم للآيات نتيجة لالتباس علامات البداية والنهاية – الخاصة بكل آية – بعلامات الوقف والوصل نتيجة لظروف املائية تساعد طبيعتها على الوقوع فى التشابه لا سيما لغير كاتبها ، فما الظن اذا لم يكن معاصرا !؟ أو لم يكن من أصحاب اللغة !؟ ولم يكن « فلوجل » مهما أوتى من علم – على معرفة بعلم التجويد والقراءات وهو علم لا يتقنه حتى اليوم الا قلة من المتخصصين فيه تخصصا بقيقا .

الثالث : ربما يكون المصحف الذى اعتمد عليه غير مرقوم بعلامات لأن الحفاظ ما كانوا بحاجة الى كثرة العلامات الدالة على الوقف أو نهاية الآيات – أقول ربما – وهنا تصح عبارة الاستاذ محمد فؤاد عندما قال عن « فلوجل » : « ولما كان قد عد آياته غير مستند فى ذلك الى علم وثيق فقد وقع اختلاف عظيم فى الوف من المواضع بين مصحفه و – مصحف الحكومة المصرية ... » .

على أية حال فقد اعتمد « فلوجل » بعد تصنيفه لكتاب نجوم الفرقان على نسخة المصحف المشار اليه . ولذا فانه من الصعب الانتفاع بكتاب نجوم الفرقان لأن أرقام الآيات به مختلف كما أوضحنا

والذى يهمنا الآن أن نوضح هنا أن هذا الكتاب كشاف أو فهرس للألفاظ أو المفردات الواردة فى القرآن الكريم مرتبة على حروف المعجم . والمؤلف كان يورد المادة ومشتقاتها من الفعل والاسماء وتراكيبها . ويعدد أيضا مواضع الحروف مثل « ثم » ، « أن » ويشير الى مكان كل لفظة بوضع أرقام السور والآيات على نحو متمايز فى الحجم واللون .

جوستاف
فلوجل

ونظرا لصعوبة الانتفاع - بل تعذره احيانا - بكتاب نجوم الفرقان في هيئة المصحف الذي صنف الكتاب على اساس عد الآي فيه، فان المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي نهض الى تلافي ذلك فصنف كتابه المسمى «المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم» معتمدا في تصنيفه على ترقيم الآيات في المصحف الشائع بيننا - وهو الرسم العثماني برواية حفص - وفي الوقت نفسه يذكر بعد كل لفظة جزءا من نص الآية مع ذكر رقمها ورقم السورة وبيان كونها مدنية او مكية ، وذكر جزء من نص الآية يسهل مهمة كبيرة على الباحث لانه يستطيع دون مراجعات متعددة الوصول الى الآية المطلوبة اذا كان يريدها لذاتها ، ولكن من الانصاف ان نذكر هنا ان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي استفاد بجهود « فلوجل » وجعلها اساسا لمعجمه كما يقول هو نفسه في مقدمته مشيرا الى نجوم الفرقان « فقد اعتمدت به وجعلته اساسا لمعجمي »·

وتبقى بعد ذلك ميزة « لفلوجل » في معجمه « نجوم الفرقان » هي انه رصد مواضع الحروف داخل النص القرآني ، وهو عمل هام لمن يريد القيام ببحث معاني هذه الحروف او دراسة اوجه استعمالها ، وهو غير موجود في المعجم المفهرس لالفاظ القرآن »·

ثانيا : الفهرست لابن النديم ، وكشف الظنون لحاجي خليفه :

اما كتاب الفهرست فقد فرغ مؤلفه الاصلي في تصنيفه سنه ٣٧٧هـ وظل في المخطوطات حتى تم نشره بفضل جهود « فلوجل » التي بذلها طوال خمسة وعشرين عاما يجمع فيها مخطوطات هذا الكتاب من مكتبات فيينا ، وباريس ، وليدن ولكنه توفي عام ١٨٧٠، وتولى زميلاه « رويديجر» ، « واوجست موللر » هذا الجهد بالاتمام ونشراه سنة ١٨٧١ ، ثم الحقاه به ذيلا في ٢٧٩ صفحة تضمن التفاسير والتعليقات والاستدراكات بالعربية ، والالمانية ، وختماه بفهارس الاعلام سنة ١٨٧٢ ط ليبزيج ···· وبمراجعة النسخة المصورة بالاوفست عن هذه الطبعة الكاملة نجد ان الكتاب يشتمل على قسمين :

(١) - القسم العربي وهو ما صنفه ابن النديم ، وقام بجمع مخطوطاته وتحقيقها « فلوجل » ·

(٢) - القسم الثاني وهو مجهود « فلوجل » الذي اتمه صاحباه في عام واحد بعد موته ويتمثل في تعليقات باللغة الالمانية واثبات لفروق

النسخ المخطوطة التى اعتمد عليها ، واشارات الى المصادر التى استعين في توثيق النصوص والاخبار ، ثم بعد ذلك كشاف للمؤلفين العرب ، وكشاف للاعلام الاوربية التى ورد ذكرها في النص العربى والتى اشار اليها القسم الثانى من التعليقات ، ثم كشاف للاعلام العربية من غير المؤلفين ثم فهرس لمقالات الكتاب وفنونه .

ويلاحظ أن الكتاب طبع فى القاهرة ١٩٣٠ فى المطبعة التجارية ، وقد اكتفت هذه المطبعة بنشر القسم الاول وهو النص العربى من طبعة ليبزيج دون الاستفادة من القسم الثانى الذى به التعليقات والفهارس . ولم تقدم الطبعة المصرية كشافا بأسماء الاعلام، ذلك أن هذا النظام فى اخراج الكتب العربية لم يكن مألوفا عند الناشرين آنذاك ، وكل فائدة الطبعة المصرية تنحصر فى تقديم النص الذى حققه فلوجل ، وهو عمل يفيد القارىء العربى الذى لم يكن يمكنه فى ذلك الوقت العثور على نسخة من طبعة ليبزيج . وأخيرا صورت النسخة بأكملها بطريقة الاوفست فى بيروت وهى متوافرة لدى كثير من الباحثين وفى دار الكتب المصرية .

وفى مجال تصنيف المؤلفين والمؤلفات قدم « فلوجل » مجهودا آخر هو كتاب كشف الظنون لمؤلفه التركى « حاجى خليفه » فقد حقق هذا المستشرق النص العربى بعد أن جمع ما تيسر له من مخطوطاته ونشره مع ترجمة له باللغة اللاتينية وجعل كل صفحة مقسمة الى قسمين النص العربى اعلى الصفحة والترجمة اللاتينية اسفلها لتسهيل مهمة القارىء الاوروبى الذى يعرف العربية ، ولم يفرد فلوجل ارقاما للشروح والحواشى بل اعتبرها تابعة للكتاب الاصلى .

وهكذا نجد من مجرد الاشارات الموجزة الى جهود « فلوجل » فى عمومها والى شىء من التفاصيل الخاصة ببعضها ـ أن العلامة فلوجل واحد من المستشرقين الذين خدموا تراث العربية وتراث الفكر الانسانى . وانا لنرجو أن يتسع الحاضر والمستقبل لظهور مثل هذه الجهود الصادقة المخلصة من علماء الشرق والغرب فى خدمة التراث الانسانى مهما تباعدت به الازمنة والامكنة وتغيرت به الازياء والاشكال . وأن التاريخ العربى ليحتفظ لجهود المستشرقين المخلصين بصفحات من الاعزاز والتكريم يحتل « فلوجل » منها مكانا متميزا مشرفا .

مصطفى الشهابي

كارل بروكلمان

صاحب تاريخ "الآداب العربية" و"الشعوب الإسلامية"

للمستشرقين الألمان مكانة مرموقة بين سائر المستشرقين، لا لوفرة انتاجهم أو دقة بحوثهم ، وانما لتحرر دراساتهم من نزعة التعصب التي لازمت أغلب المستشرقين في سائر الدول الأخرى ولعل السبب في ذلك يرجع الى بعد الشعب الألماني عن معارك السيطرة والغزو والاستعمار حتى أواخر القرن الماضي وعدم استغلال جهود بعض المستشرقين وتوجيهها الى أهداف استعمارية ٠

الاستشراق والاستعمار

ويتصل بتاريخنا الحديث مثل صارخ هو ما قام به المستشرق الانجليزى « بالمر » الذى ارسلته « جمعية استكشاف فلسطين » ليقوم بدراسة عن صحراء سيناء وفلسطين ٠ وقد أدى بالمر تلك المهمة بما أرضى اليهود الذين أناطوه باتمامها ولعل تلك الدراسة كانت تمهيدا لقيام دولة يهودية فى فلسطين ٠

وقد استغل الانجليز هذا المستشرق فى عام ١٨٨٢ عندما أوفدوه الى مصر خلال الثورة العرابية ليقوم بتأليب واثارة البدو المقيمين فى سيناء على مصر برشوتهم بالجنيهات الذهبية ، مما أطمع بعضهم فيه فقتلوه ٠

مكانة بروكلمان بين المستشرقين الألمان

وعلى الرغم من أن حركة الاستشراق فى ألمانيا بدأت بشكل جدى فى القرن السابع عشر الا انها ازدهرت فى القرن التاسع عشر حتى أصبح للغات الشرقية كرسى فى كل جامعة ألمانية تقريبا ، كما أسست جمعية المستشرقين الألمان خلال سنة ١٨٤٤ ، وعلى الرغم من كثرة عدد المستشرقين الألمان فان المستشرق

« كارل بروكلمان » يأتى فى مقدمتهم بسبب الخلاصـــه للعلم وتجرده من نوازع العصبية القومية و الدينية.

نشأة بروكلمان ودراسته

نشأ بروكلمان فى بروسيا الشرقية التى هى معقل الجنس البروسى الذى يرجع اليه الفضل فى تشـييد مجد المانيـــا فى كل ميـدان على وجه التقريب، والذى ينتسب الية بسمارك وكانط وغيرهما .

وقد ولد بروكلمان فى ١٧ من سبتمبر عـــام ١٨٦٨ فى بلـدة روسـتك الالمـانية التى تطل على خليج كوبك فى الجنوب الغربى للبحـــر البلطى والتى تقع بمقاطعة مكلنبرج شـمال المانيا .

وكانت أسرته ، أسرة كريمــــة اشتهرت بالتجارة ولحسن حظه كانت أمه على قدر غير يسـير من الثقافة ولذلك اهتمت بإيقافه منذ صغره على كنوز الادب الالمانى .

وبعد أن أتم دراســاته الابتدائية وبدأ المرحلة الثانــوية ، اقبل على دراسة اللغات وقراءة كتب الرحلات والكشـــوف الاثرية واهتم باللغة العبرية والآرامية والسريـــانية ، ثم التحق بجامعة روسـتك عام ١٨٨٦ وفيها درس علوم الاستشراق ، فضلا عن التاريخ القديم واللغتين اليونانية واللاتينيـــة ، كما درس العبريـــة والحبشية وقواعد اللغات الســامية المقارنة .

ثم انتقل الى جامعة برسلاو لمتابعة تلك الدراسات .

وفى عـــام ١٨٨٨ التحق بجامعة « ســـتراسبورج » حيث درس على المســـتشرق الكبير نولدكه اللغتين السنسكريتية والارمينية وقواعد اللغة الهندية الجرمـانية المقارنة الى جانب اللغات السامية .

واهتم كذلك بدراســــة اللغـات المصرية القديمة واشترك فى دراسة النقوش القديمة مع بعض الخبراء ، كما درس الفارسية والقبطية .

واخيرا نال اجــازة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة « ستراسبورج » سنة ١٨٩١ وبعدها عين اســـتاذا مساعدا فى « برسلاو » سـنة ١٩٠٠ ثم قام فى عــام ١٩٠٣ بالتدريس فى قســـم اللغــات الشرقية بجامعة « كونجـــزبرج » وفى عـــــام ١٩١٠ انتقل الى جامعـة « هـاله » (شمال غربى ليبزج) غير انه عاد الى جامعة برسلاو ثانية عام ١٩٢٣. واخيرا استقر به المقـام فى جامعة « هالــه » حيث اكب على التدريس والبحث والتأليف حتى وافتــه المنية

كارل بروكلمان

فى ٦ من مايو عام ١٩٥٦ فى مدينة هاله وهو فى السابعة والثمانين من عمره ٠

جولاته فى العالم الاسلامى

وقد قام بروكلمان بزيارة المدن الاسلامية ثلاث مرات :

١ ـ الاستانة (التى تسمى الآن استانبول) وكانت عاصمة الدولة العثمانية وقتئذ ، وذلك فى شتاء عام ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ موفداً من اكاديمية العلوم ببرلين لكى ينقل مخطوط « الطبقات » الذى الفه « ابن سعد »٠

٢ ـ الجزائر فى ربيع عام ١٩٠٥ وذلك بصفته مندوبا فى مؤتمر المستشرقين الدولى ٠ وقد انتهز تلك الفرصة وقام بجولة فى الجزائر ووصل خلالها حتى واحة بسكرة التى تقع جنوب مدينة قسنطينة ٠

٣ ـ الاستانة مرة ثانية عام ١٩٢٩ واهتم فى تلك الزيارة بالاطلاع على كثير من المخطوطات التى تزخر بها تلك المدينة ٠

ميزاته على غيره من المستشرقين

وقد امتاز بروكلمان على عدد كبير من المستشرقين بذاكرته القوية وبديهته الحاضرة فضلا عن الفكر اللماح وسرعة الخاطر ولذلك كان من اليسير عليه أن يتذكر الاسماء والاشياء التى يقرأ عنها أو يسمع بها ٠

وفوق ذلك كله كان محبا للنظام مرتب التفكير يقسم عمله اليومى تقسيما دقيقا ٠

وقد مكنت له تلك الميزات من أن يبحث ويدرس ثم يؤلف تلك الاعمال الخالدة التى تشهد بنبوغه وعبقريته٠

آثاره

ويمكن تقسيم آثار بروكلمان الى ثلاثة اقسام : ـ

أولا : ـ دراسات عربية واسلامية وتضم هذه الدراسات نحو أربعين بحثا أولها : ـ

« العلاقة بين كتاب الكامل لابن الاثير وكتاب اخبار الرسل والملوك للطبرى » وهذه الدراسة هى رسالة

الدكتـــوراه التى تقدم بها لجامعة ستراسبورج ، ويلى تلك الدراسة بحوث عدة ، تناول فيها تحقيق بعض الكتب العربية وتصــحيحها ومنها كتاب « عيون الاخبـــار » لابن قتيبة و « انســـاب الاشراف » للبلاذرى و « طوق الحمامة » لابن حزم ، كما تعرض لدراسة لبيد الشــاعر وابن المقفع وغيرهما .

ثانيا : دراســـــات فى اللغـات السامية .

وقد تناولت تلك الدراسات بحوثا فى علم الاصوات للغات الاشـورية والعبرية وقواعد هذه اللغات ولغات اخرى غيرها ، كما وضــع معجمـا للغة السريانية وبحث الاشتقاق فى اللغة المصرية ، هذا عــدا ملاحظات متفرقة فى اللغات واللهجات الحبشية



والكلدانية والارامية وتاريخ بعضها .

ثالثا : دراســــــات فى اللغات والفنون الاخرى .

ومن هذه الدراسات دراســة فى اللغــة العثمــانية القديمة واللغـة التركية ، ثم الشعر العامى والامثال والقصص القديمة فى تركستان .

وقد نشر اغلب هذه الدراسات فى امهات المجلات والدوريات العلمية فى المانيا وغيرها ، كما صدر بعضــــها فى كتب، اهمها كتاب « تاريخ الآداب العربية » وكتـــاب « تاريخ الشعوب الاسلامية » .

تاريخ الاداب العربية

وهذا الكتاب يتوج جميع مؤلفــات وبحوث بروكلمـــــان ، وهو الكتاب الذى اثبت دون شك ان صاحبه كان عالمـا متمكــنا فى اللغة العربية وادابها .

وفى ذلك الكتاب كان اتجــاهه ان يكون التــاريخ الذى يكتبه مقصورا على دراسة التاريخ السطحى للأدب العربى، اى ان يكون ما يكتبه وصفا خارجيا لا تحليـــلا داخليا ، فاذا تناول شاعــــرا او كاتبا لم يحاول الوقوف على اتجــــاهه وآرائه ، بل يثبت مراحــل حياته فى ســـطور وتواريخ ، واذا تحدث عن أعمــال

ذلك الشاعر او الكاتب ذكرها جميعا وتناولها بالوصف دون نقدها او بغير التعرض الى طبيعة ما يقوله ذلك الشاعر فى قصيدته او هذا الكاتب فى كتابه ·

ويرجع ذلك الى اعتقاده انه من المستحيل ادراك كنه التطور الداخلى للأدب العربى الا فى مناطق محدودة أو ضيقة ·

يضاف الى ذلك أنه ضرب صفحا عن الكتب التى ورد ذكرها فى الكتب الموجودة ولم يعتمد فى بحثه الا على التراث الادبى الذى بقى لنا ، متجاهلا المؤلفات والاعمال التى لا نعلم بها الا من سير الاشخاص وضروب الاقتباس ، ذلك لان أصحاب التراجم نسبوا لكثير من المؤلفين كتبا ضاع اغلبها ، كما ان بعض هذه المؤلفات ليس الا فصولا من كتب موجودة لنفس المؤلف ، وحتى عن الذكر انه لا يمكن التحقق من ذلك الا اذا درسنا كل كاتب على حدة ، وهذا جهد عسير لا يمكن تحقيقه على يد رجل واحد · ولذلك فانه ، فيما عدا شعراء الجاهلية ، لم يهتم الا بما خلفه الكتاب المسلمون ·

ولكى نقدر الجهد الضخم الذى قام به بروكلمان ، يجب أن نذكر دائما : ـ

١ ـ ان الكتب العربية التى اعتمد عليها بروكلمان ، عندما شرع فى كتابة « تاريخ الآداب العربية » كان اغلبها يومئذ لايزال مخطوطا ، اى لم يطبع بعد ، اذا استثنينا ما طبع فى مصر فى مطبعة بولاق (المطبعة الاميرية) او فى مطبعة الجوائب بالاستانة وذلك العدد القليل الذى طبع فى بعض الدول الاوروبية، وكان المطبوع حتى ذلك العهد لا يخلو من اخطاء مطبعية ، حتى القرآن الكريم كانوا يخطئون فى تصحيح تجارب طباعته ·

٢ ـ ان بروكلمان عندما شرع يؤرخ للأدب العربى ، كان عالم المطبوعات والمؤلفات خاليا من اى تاريخ لذلك الادب ، اذ لم يحاول اى عربى حتى سنة ١٨٩٠ ان يؤرخ للأدب العربى لان كتب القدامى لما


كارل بروكلمان

تراجم للادباء والشعراء واما احصاء للمؤلفات واماتقسيم للشعراء والكتاب الى طبقات او كتب لا تضم غير مختطفات ٧٠٠ الخ .

خطة الكتاب والمساحة .

من ذلك يتضح ان بروكلمان عندما وضع مخططا لكتابه، كان فى الواقع يبتكر امرا جديدا ، وكان ما ابتكره وتصوره لتاريخ الادب العربى منهاجا واساسا لكل من كتبوا عن هذا التاريخ سواء من العرب او الافرنج

وقد قسم بروكلمان كتابه الى عصرين كبيرين ثم قسم كل عصر الى اقسام :

اولا : ادب الامة العربية منذ بدايته حتى سقوط الدولة الاموية عام ١٣٢ هـ ـ ٧٥٠ م وقسم هذا العصر الى ثلاثة اقسام :

١ ـ الادب العربى الجاهلى .

٢ ـ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .

٣ ـ عصر الامويين .

ثانيا : عصور الادب الاسلامى عامة ١٣٢هـ ـ ٧٥٠م الى ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م وقد قسمها الى ما يلى :

أ ـ عصر ازدهار الادب الاول فى عهد العباسيين فى العراق من ١٣٢هـ ـ ٧٥٠م الى ٣٩١هـ ـ ١٠٠٠م

ب ـ عصر الازدهار الثانى من ٣٩١هـ ـ ١٠٠٠م الى سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م .

جـ ـ عصور سيادة المغول والترك حتى الفتح العثمانى لمصر ٩٢٣ هـ ـ ١٥١٧م .

د ـ العصر التركى حتى منتصف القرن التاسع عشر .

هـ ـ ادب النهضة والعصر الحديث .

ويجرى بروكلمان على الهدم بكلمة عامة عن العصر الذى يتحدث عنه ، مع تكسير الخصائص الرئيسية له ، ثم يتناول الفروع فرعا فرعا مع التقديم لها بدراسة مختصرة ، بادئا بعلوم القرآن والحديث ومنتهيا بالموسوعات والفنون التسلية ، ويلى ذلك المؤلفون والشعراء ، مع ترجمة موجزة لحياة كل منهم ، يلحق بجميع مؤلفاته سواء اكانت مطبوعة ام مخطوطة ، ومع بيان سنة الطبع والناشر ومكان النشر ثم اماكن وجود كل مخطوط ورد ذكره

كارل بروكلمان

وقد صدرت الطبعة الاولى لهذا الكتاب فى جزءين سنتى ١٨٩٧، ١٩٠٢ ولكن مستشرقا المانيا آخر هو « جورج ياكوب » نقده نقدا جارحا ، متهما الكتاب بالنقص مما دفع بروكلمان الى مراجعة كتابه مراجعة دقيقة مستكملا ما فاته ، مصححا ما وقع فيه من اخطاء ، وقد صدر هذا الكتاب فى طبعة ثانية بين عام ١٩٣٧ ، ١٩٤٢ فى جزءين ، اضاف اليهما جزءا ثالثا ارخ فيه للادب الحديث بين عامى ١٨٨٢ ــ ١٩٣٩ .

وفى هذا الجزء غير منهجه الى حد كبير ، فتناول الكثيرين ممن كتب عنهم بتحليل اعمالهم وبيان اتجاهاتهم وآرائهم ، دون ان يكتفى بما قرا من كتب ومراجع ، بل كان على اتصال مستمر عن طريق المكاتبة بعدد كبير من رجال الفكر البارزين فى مصر وسوريا ، وممن نوه عنهم فى هذا الجزء الثالث الاساتذة طه حسين والعقاد ومحمود تيمور وبشر فارس وحسن كامل الصيرفى وسامى الكيالى وغيرهم .

وقد اهتمت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية وعندما اتصل به المغفور له الدكتور طه حسين لهذا الغرض رحب بالفكرة . وقد قام المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار بجزء كبير من الترجمة .

تاريخ الشعوب الاسلامية

وفى كتاب « تاريخ الشعوب الاسلامية » تتبع بروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية واهتم اهتماما بالغا بتتبع كفاح العرب فى سبيل حريتهم وتقدمهم . وقد اصدره عام ١٩٣٩ ، لكى يعرف قومه وغيرهم تاريخ العرب منذ عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى وقت صدور ذلك الكتاب ، وقد ترجم ذلك الكتاب الى اللغات العربية والانجليزية والفرنسية والبولونية والتركية وغيرها مما اثبت انه سد فراغا كبيرا فى نطاق الثقافة العالمية

واشبع الحاجة الملحة للوقوف على تاريخ المسلمين •

وقد اتسم ذلك الكتاب بغزارة البحث والدقة العلمية والادراك العميق لمشاكل ومصالح الشعوب والدول التى تناولها فى كتابه ، كما يعتبر مساهمة سابقة قيمة منه لرفع مستوى الفهم لدى الاوساط العديدة والدوائر الواسعة للنضال الذى قامت به الشعوب الاسلامية فى سبيل الاستقلال والمساواة • وقد استعان بروكلمان فى تاليف هذا الكتاب بكتابات من سبقوه امثال موللر ، فلهاوزن ، بيكر ، ميتز ، كريمر وعن الاخير اخذ فكرتـه فى تقسيم التاريخ الاسلامى الى عصور كما استعان بكل المصادر العربية القديمة ومن بينها ابن خلكان وغيره •

والكتاب فى خمسة أجزاء وقد ظهرت طبعته الاولى سنة ١٩١٠ ثم اعيد طبعه مرة ثانية سنة ١٩٤٣ •

تكريمه فى حياته وبعد مماته :

واهتمت المحافل الغربية والشرقية على الثناء عليه والحفاوة به فاختير عضو شرف فى اغلبها وكان خير ما توج به من تكريم هو منحه الجائزة الالمانية الوطنية وبذلك ارتفع الى علماء الصف الاول •

وفى اواخر عام ١٩٦٨ اقامت جمهورية المانيا الديمقراطية، من الفترة ما بين ١٧، ٢٠ من سبتمبر، احتفالات بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده وشارك فيها بعض الباحثين العرب •

واخيرا وليس اخرا فالعمل اكبر فضل لبروكلمان على اللغة العربية هو أن الاتجاه فى اوربا وامريكا كان اعتبار اللغة العربية لغة سامية ميتة ، كالعبرانية والسريانية فلما صدر كتابه « تاريخ الاداب العربية » اصبحت اللغة العربية تدرس فى اقسام اللغات الحية •

● إدوار حنا سعد ●



هن بناتي اللائي استقبلت كلا منهن عند
مولدها باحدى المقطوعات التالية على الترتيب

ماجدة

تبـارك الله ذو الهبـاتِ
ما أيمنَ الوجهَ والسـماتِ
ومرحبـاً يا ابنتي وسـهلاً
نزلتِ كالقطـر في الفـلاة
أكمـلتِ ذاتي ، وأنتِ بعضي
فزدتُ علمـاً بـكنهِ ذاتي
وسعت أفق الحياةِ لمـا
أضـفتِ معنى إلى حيـاتي
وأنتِ ذخـرى . وكل ذخـر
فداكِ يا أنضـرَ البنـات
متعتِ بالسـعد يا فتـاتي
واليمنِ .. في دهـرك المواتي
« ١٩٥٩ »

نجوى

تقسم داري ابنتين ... وروضتي وردتين
أقبلت نجواي .. بشرى ... من بعد غيم وأين
فعاد حلمي حقا ... وفرحتي فرحتين
رزقت حبة قلب ... فصرتما حبتين
أشيم منك ومنها ... عذوبة الموردين
في الأنس كالنجمتين ... والحب ، كالمقلتين

« ١٩٦١ »

سلوى

أقبلت طارئة بغير وعود
وطرقت أبوابي بلا تمهيد
لا أكتمنك كيف ضقت بعثرتي
وكأن وعد الحمل عصف وعيد
وهممت أن أئد الجنين بقاطع
يطويه ، لولا خشية الموءود
حتى إذا جاء المخاض .. وعوفيت
زوجي ... وغنى بالبكاء وليدي
أجهشت من خجل ، ومن فرح معاً
وزها وجودي بامتداد وجودي
وعلمت من شغفي وخفق جوانحي
ما يقصدون ، بآخر العنقود

« ١٩٦٤ »

الاسكندرية ... ادوار حنا سعد

د. سوزان اسكندر



مع المستشرقين الإيطاليين

و... كارلو ألفونسو نالينو

للدراسات الشرقية في ايطاليا تاريخ ضارب في القدم . يرجع بلا شك الى العلاقات الانسانية التي ربطت شبه الجزيرة الايطالية بالشرق عبر العصور التاريخية المختلفة .

واذا ما كان الاهتمام بالدراسات الشرقية قد اقتصر في بادىء الامر على بلاد الشرق القريبة من ايطاليا، الا أن دائرة الاهتمام بهذه الدراسات قد اتسعت بمرور الوقت لتشمل الشرق كله من اقصاه الى أدناه .

ولقد نشطت هذه الدراسات الشرقية في ايطاليا نشاطا كبيرا في العصور الوسطى، حتى أننا نرى أن الامبراطور فردريك الثاني (١١٩٤ - ١٢٥٠م) امبراطور المانيا ، قد جمع في بلاطه في باليرمو بصقلية عددا هائلا من العرب والمسلمين ، ودرس اللغة العربية، واهتم فيما اهتم به بالعلوم العربية وأدبها .... كما أن البابا ، كليمنت الخامس ماعطى للدراسات الشرقية طابعا اكاديميا بأن اصدر قرارا بانشاء اقسام لتدريس العربية والعبرية والكلدانية وغيرها من اللغات الشرقية الهامه بجامعات روما وباريس واكسفورد وبولونيا وسلامانكا ، وكانت الدراسات بهذه الاقسام تنصب على تدريس اللغات وحضاراتها .

ولا يخفى على احد الدور الكبير الذي قام به المستشرقون بترجمتهم لامهات الكتب العربية وما نقلوه عن العرب مما أسهم في احياء النهضة الفنية والعلمية فيما بعد ، حتى أن عصر النهضة الايطالية اتسم بالاهتمام الكبير بالدراسات العلمية العربية التي نالت اهتمام الاكاديميات والامراء والبابوات .



كارلو الفونسو نالينو

ومما هو جدير بالذكر ان الدراسات الدينية واللاهوتية اعتمدت اعتمادا كبيرا على هذه الدراسات وخاصة فيما يتعلق بالرجوع الى النصوص الاصلية للكتب المقدسة بلغاتها الاصلية ، الا ان دراسة هذه النصوص كانت تعتمد بدورها على دراسة الظروف البيئية والاجتماعية التى جاءت من اجلها ... هذه الظروف لا تلبث ان تشد انتباه العلماء واهتمامهم حتى نجد ان دراستها تتخذ طابعا علميا بحتا .

وفى القرن التاسع عشر اهتم الدارسون والادباء فى ايطاليا بالدراسات الشرقية اهتماما عظيما حتى ان هذه الدراسات اصبحت السمة الاساسية للحياة الثقافية فى ذلك القرن ، ولكن اهتمام المستشرقين انصب بالاكثر على الشعر الهندى والفارسى فى حين اضمحل الاهتمام بالشعر العربى اضمحلالا كبيرا ، ولكن هذا لم يمنع ظهور بعض الدراسات الفيلولوجية والتاريخية . ويكفى ان نذكر بعض الاسماء اللامعة فى هذا المجال ، مثل كاستيليونى ولا نشا ، ولامارى ، وانياتزيو جويدى

كان « لامارى » مؤرخا فاستخدم المصادر العربية كما استخدم البيزنطية واللاتينية ليؤرخ للاحداث التى شهدها البحر الابيض المتوسط فى العصور الوسطى ، ولتاريخ المسلمين فى صقلية وتاريخ الجمهوريات البحرية وعلاقاتها بالعالم الاسلامى .

كذلك نجد ان انياتزيو جويدى قد اهتم بالدراسات الفيلولوجية للغات والاداب التى اجادها وهى العربية والسريانية والعبرية والحبشية ، كما اهتم بالدراسات التاريخية الدينية لاهل هذه اللغات ، ثم اهتم بالدراسات الادبية فقام بدراسة نص « كليلة ودمنة » ودراسة اخرى عن روما عند الجغرافيين العرب فى العصور الوسطى ، وهكذا نجد ان اهتمامه بالدراسات الشرقية كان خاصا بالفيلولوجيا وتاريخ الثقافة والعلم ونجد مستشرقين اخرين مثل سكياباريللى الذى اشترك مع لامارى فى تحقيق الجزء الايطالى عن الادريسى ، وحقق ديوان الشاعر الصقلى ابن حمديس ، وترجم كتاب الرحالة العربى ابن جبير .

***

اما فى القرن العشرين فقد حظيت الدراسات الشرقية باهتمام اكبر ، وتشعبت مجالاتها فشملت علوم الفلك والجغرافية والدين واللغة والادب ، فنجد ان الفونسو نالينو قد اهتم بالفلك والجغرافية واللغة والادب ،

و... كارلو الفونسو نالينو

وسوف نرجىء الحديث عنه لنشمله بتفصيل اكثر... وقد قام المستشرق

السلدرو باوزاني بترجمة القرآن الكريم في عام ١٩٥٥ ، ثم صدرت في عام ١٩٦٧ ترجمة اخرى للمستشرق « مارتينو ماريو

مورينو » وفي عام ١٩٧٤ صدر اول جزء عن زواج المتعة

للمستشرق فرانشسكو كاسترو وقد اهتم فيه بالمصادر الامامية .

***

واذا ما نتقلنا الى مجال الشعر نجد ان « لي جوتي » قد شارك

في المؤتمر الذى عقدته « اكاديمية دى ليتشي » في عام ١٩٥٦ والذى تناول موضوع الشرق والغرب في العصر الوسيط ، شارك بدراسة عن « التاثير العربي على نشأة الشعر الغنائي في اللغات اللاتينية الحديثة» ، كما نجد المستشرق فرانشسكو جابرييلي قد ترجم « طوق الحمامة » لابن حزم .

ولم يقتصر اهتمام المستشرقين الايطاليين على الشعر العربي القديم وحده ، بل انه شمل ايضا التراث القصصي الشعبي عند العرب ، فقدم المستشرق جويدى دراسة فيولوجية عن كليله ودمنه التي ترجمها صوريني الى الايطالية فى عام ١٩١٠ وقد لاقت « الف ليله وليله » اهتماما كبيرا طوال قرنين ونصف من الزمان في اوربا ، وترجمت الى الايطالية في

البداية من اللغات الاوربية الاخرى وخاصة من الترجمة الفرنسية التى نشرها المستشرق الفرنسي « انطوان جالاند » (١٦٤٦ ـ ١٧١٥)، الى ان

صدرت في عام ١٩٤٨ مترجمة ترجمة كاملة عن الاصل العربي باشراف وتقديم المستشرق فرانشسكو جابرييلي وباشتراك « شيزارو ، ويانسيرا ، وريتزيتانو ، وفاكا »، وقد الحقت بهذه الترجمة ترجمة

اخرى لقصة « مصباح علاء الدين » لفرانشسكو جابرييلي ، و « على

بابا والاربعين حرامي » لبانيتا .

وقد نقلت « الف ليله وليله » للعالم الغربي قطاعا هاما من العالم العربي في العصر الايوبي والمملوكي ، ومازالت « الف ليله وليله » تلقى رواجا كبيرا بين جمهور قراء الغرب .

***

اما بالنسبة للادب الحديث والمعاصر فان الاهتمام به كبير بين المستشرقين الايطاليين ، فقد اهتم « موريلو » بترجمة الوان من الشعر اللبناني ، في حين قام « ميتجاناتي » بترجمة ودراسة الشعر العراقي في عام ١٩٦١ ، واشعار بدر شاكر السياب في عام ١٩٦٨ .

وقد نالت الرواية والقصة اهتماما اكبر من المستشرقين الايطاليين، فقد ترجم « ريتزيتانو » « زينب » للدكتور محمد حسين هيكل ، كما ترجم كتاب « الايام » لطه حسين في عام ١٩٦٥ . وقد خصص مجموعة من المستشرقين كتابا تناولوا فيه اعمال عميد الادب العربي بالنقد والتحليل وذلك في عام ١٩٦٤ .

كذلك نالت قصص محمود تيمور القصيرة اهتمام جابرييلى فترجم بعضها ، اما توفيق الحكيم فقد

حتى باهتمام العديد من المستشرقين فترجم له « ريتزيتانو » و « رويناتشي » و « فاكــا » و « فولبي » و « دى سيمونى » وغيرهم .

وهكذا نجد انه بينما كان اهتمام المستشرقين فى القرن التاسع عشر ينحصر فى اكتشــاف العالم العربي المجهول، والقيام بدراسات فيلولوجية وتاريخية فقط ، نجد أن اهتمــامهم فى القرن العشرين قد اتخذ صورة اشــمل واعمق فى نفس الوقت ، وقدموا للقــارىء الايطالى الفكر والانتاج الادبى العربى ، وأسـهموا

فى التعريف بالعرب وحضـــاراتهم ودينهم ، بل وقدموا لحكومـــاتهم دراســـات عن العالم العربي حتى يسترشد بها فى علاقتها به ، ولا يخفى الدور الذى قامت وتقوم به فى هــذا المجال المجلة الشــهرية « الشرق الحديث »التى يصدرها المعهد الشرقى بروما ، والتى تلاحق على ادارتها حتى الان « الفونســـو نالينو » ثم « روسى » ، ثم « ماريا نالينــو » ، ثم « مينجــانتى »، فقد قدمت هذه المجلة دراسات سياسـية وادبية عن العالم العربى المعاصر افــاد منها الحكام فى ايطاليا .

ولعل من اهم الشــخصيات التى يجدر بنا ان نذكر نشاطها فى مجــال الدراسات الشرقية العلامة المستشرق الكبير « كارلو الفونســـو نالينو »، (١٨٧١ ـ ١٩٣٨)والذى شــملت اهتماماته مختلف الميــادين العربية والاســلامية ، من لغة وادب ودين وتاريخ وفلسفة وفقه وجغرافيا وفلك. وقد عرفت عنه جملته المشهورة التى عبر فيها عن اهتمــامه بالعرب حين قال :« اريد ان اعــرف كل شىء عن العرب ».

احب نالينو العرب حبــا كبيرا ونالوا احترامه واجلاله ، وتقديره لعلومهم فقد قال عنهم : « ... ولقد نقلت العلوم العربية شيئا اخر الى اوربا ، شيئا كانت تفتقر اليه عبقرية اليونـــان الى حد ما . لقد لقنت العلوم العربية درســا هاما وهو ان الدراسات الفيزيــائية والتجريبية تتطلب مثابرة مستمرة ، وصبرا فى المشــاهدات والملاحظات (النتائج العلمية) قبل الانتهاء الى نظريــات عامة ، وبينت العلوم العــربية فى مجال الفلك والفيزيــاء ، وفى فروع الكيمياء والتنجيم ايضــا كيف تقوم اسس المنهج الوضعى للدراســات ، ذلك المنهج الـــذى بلغ به جاليليو وباكون المجد فى العصر الحديث .

ومن الاعمال العديدة التى قــام بها نالينو وكانت لها اهميتها فى مجال دراسة الجغرافيا ، البحث الذى قام به وهو لا يزال شابا يدرس بالجامعة الايطالية ، فقد قام بدراسة « القيمة القياسية لدرجة نصف دائرة نصــف النهار عندالجغرافيين العرب معتمدا اعتمادا كبيرا ، بل واساسيا ايضــا على مراجع عربية فى بحثه هذا الذى نشر فى عام ١٨٩٣، فاضاء بدراسته هذه ـ كما يقول المســتشرق باولو مينجانتى ـ الطريق الى موضــوع علمى ، طالما تناوله علماء بالبحث ، وقالوا فيه الكثير ، ولكن نتاجهم فيه كان قليلا ».

وقد كان نالينو مولعا ولعا شديدا بدراسة الجغرافيا ، فاعقب دراسته هذه بدراسات اخرى من اهمها دراسته عن « الخوارزمى وتعديله لجغرافية بطليموس »، عرف فيها بحياة المؤلف ومؤلفاته واظهر وبين اهمية الكتــاب الذى عرف عنه فيما بعد أنه « اروع مرجع جغرافى فى القرن التاسع ».
ومن اهم اعمــاله ايضا تحقيقه

لكتاب البتاني في الفلك والذي يعتبر ـ على حد تعبير المستشرقين الايطاليين ـ من أهم المراجع الاساسية لكل من يريد ان يبحث في علم الفلك عند العرب • ومن مؤلفاته ايضا في هذا المجال العلمي نذكر كتابه « تاريخ علم الفلك عند العرب في العصور الوسطى » وهو عبارة عن مجموعة من المحاضرات القاها بجامعة القاهرة في العام الاكاديمي ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ •

ومما هو جدير بالذكر أن نالينو كتب هذا الكتاب باللغة العربية، وقد تناول فيه مادته العلمية بالتعمق والتوسع والتحليل وذكر به كما كان دأبه معلومات دقيقة وغزيرة •

والمستشرق نالينو مفهومه في تناول تاريخ العلوم ذلك أن أهميته ـ بالنسبة له ـ تتمثل في أنه الطريق للتعرف على الانسان وفهمه في مختلف العصور والبلدان • وهو يؤكد على أهمية التاريخ وهو العلم « الذي به يصبح الانسان معاصرا لشعوب مضت ويستفيد ـ رغم قصر الحياة ـ من خبرة أجيال عديدة ، ويؤكد كذلك : « أن من يستوعب التاريخ استيعابا كاملا هو ذلك الشخص الذي يتوقف بفكره عند اشياء أخرى كثيرة ليس لها صدى، وشهرتها قليلة ، وصداها ضئيل في القلوب وتظهر ضئيلة بالنسبة للاحداث السياسية ، بينما هي في الواقع اهم وأجدر بالاهتمام ذلك

و... كارلو الفونسو نالينو

لان لها تأثيرا على سير الامور فتربط بينها وتعطى أساسا لها • ومن الواضح ان تاريخ العلوم هو قسم هام من هذه الامور التي يجب ان يدركها التاريخ ••• فكيف يمكننا أن نصل الى ادراك الوضع السياسي والاجتماعي لشعب من الشعوب في أي قرن من القرون دون أن نعرف ايضا أحوال علومه في ذلك الزمان ••• ؟ ان ما تبدعه أمة وتخترعه ، تعدل فيه وتنميه وتحسنه أمة أخرى • وبهذه الطريقة تزداد المعارف دقة وكما وفائدة وانتشارا حتى تمتد بفائدتها القيمة لتشمل الجنس البشري كله وكان كل العلماء ـ بالرغم من اختلاف الازمنة والبلاد والملل ـ مشتركين في مشروعاتهم السامية وفي أعمالهم كذلك ان من يستفيد من تاريخ العلوم ويرى المعارف وتطبيقاتها تسري من شعب الى آخر كما تسري الارواح في الاجساد ، والدماء في العروق، يحس بمشاعر التعاطف والحب نحو الجنس البشري كله ، ويعرف الوجود الحقيقي لذلك الرباط القوي الذي يربط بين عشائر البشر ، فتشتعل في نفسه تلك الرغبة الجامحة للوصول الى الاخوة الكاملة الشاملة التي تمثل اقصى ما يصبو اليها الفضلاء وأكبر أمل للنبلاء ••

هذه النظرة الانسانية ، وهذه الروح الاخوية التي تحدث عنها نالينو في اكثر من مناسبة هي تعبير صادق ـ ليس فقط عن منهجه في الدراسة والبحث ـ ولكنها كانت كذلك تمثل مشاعره الخاصة تجاه العالم العربي والاسلامي الذي خصه باهتمامه • لقد طاف نالينو ببلاد عربية مختلفة• فكانت رحلاته مصدرا كبيرا من مصادر معلوماته ، وقد



خص نالينو مصر بالقسط الاكبر من هذه الرحلات الدراسية ، فقد حضر الى القاهرة واقام بها خلال عامى ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤ وعكف على الدراسات العربية بدار العلوم والازهر ، واستطاع خلال هاتين السنتين جمع مادة غزيرة عن اللهجة المصرية مكنته من نشر « اللغة العربية الدارجة فى مصر » فى عام ١٩٠٠ أى بعد رجوعه الى نابولى بست سنوات ٠

وقد اتى الى القاهرة ايضا بتكليف من الجامعة المصرية ليقوم بتدريس علم الفلك بها فقام بتدريس هذه المادة باللغة العربية خلال العام الدراسى ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ ، ثم قام فى عام ١٩١٠ ـ ١٩١١ وكذلك فى عام ١٩١١ ـ ١٩١٢ بتدريس الادب العربى بالجامعة المصرية ٠

ويجدر بنا ان نذكر فى هذا المجال ان نالينو كان احد المستشرقين الثلاثة الذين تتلمذ عليهم عميد الادب العربى الدكتور طه حسين ، واعترف بفضلهم كما ذكر فى تقديمه لكتاب نالينو « تاريخ الآداب العربية » الذى نشرته دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٥٤ ٠ وقد زار فيما زار من الدول العربية الجزائر وقضى بها ثلاثة اشهر تجول خلالها بمدن جزائرية مختلفة ووقف على اسلوب الحياه هناك وتقاليد بعض مدنها وقراها ٠ وزار فى تونس مدينة القيروان وغيرها من المدن الهامه ، ومن تونس انتقل فى ترحاله الى المغرب ٠

وقد استفاد نالينو من رحلاته هذه فائدة جمة فقد جمع مادة غزيرة فى الجغرافيا والاجتماع والفن الشعبى وفى علم النبات ، وفى لهجات مختلف السكان الذين خالطهم ٠ وقد اختتم نالينو سلسلة رحلاته الطويلة بتحقيق حلم حياته ـ قبل وفاته ببضعة أشهر ـ وذلك بأن قام بزيارة شبه الجزيرة العربية حيث استقبل بحفاوة وترحاب كبيرين ، والتقى بكبار الشخصيات والعلماء وتمكن من جمع مادة دونها فى كتابه « البلاد العربية السعودية » ، والذى نشر بعد وفاته ، أى فى عام ١٩٣٦ ٠

اما فيما يختص بالدراسات الاسلاميه فقد تعرض نالينو فى بحوثه الكثيرة لموضوعات شتى منها كتاب عن سيرة حياة الرسول نشره له معهد الدراسات الشرقية فى عام ١٩٤٦ تحت عنوان « حياة محمد » ، وقد تناول فى دراساته ايضا مسألة القدرية والقدريين والخلافة ، والصوفية وغيرها من الموضوعات المتعلقة بتأثير الثقافة الاسلامية فى اوربا والتى يتضمنها كتاباه : « الحضارة الاسلاميه فى اوربا فى العصور الوسطى » و « العالم الاسلامى واوربا » ٠



في العدد القادم

صالح جودت

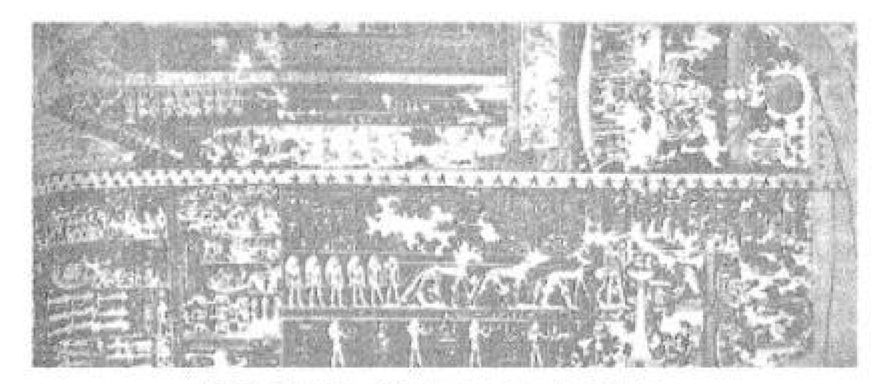
يلتقي بقرائه في رحلة الشهر
كما عوّدهم كل شهر



اليوم يحتفل العالم أجمع .. بالعام الجديد .. عيد راس السنة . وبداية العام هي بداية سلسلة مترابطة الحلقات من الاعياد التقليدية التي تتوالى مناسباتها ومواعيدها واعيادها .

والاعياد هي رمز الحضارة الانسانية ومقياس عراقتها فجميع أعيادنا هي امتداد مصر القديمة في مصر المعاصرة وما وصل الينا وظل يصاحبنا عبر الزمان من عادات وطبائع وتقاليد لم يمح معالمها اختلاف العصور ولا تغير العقيدة ولا فسحة الدهر عبر مشواره الطويل .

نبتت في ارض مصر الخالدة وارتفعت لتلقى ظلالها على ما جاورها من حضارات وامتدت اصابعها لتترك بصمات على اعياد الشعوب المعاصرة .



قبة السماء مصدر الفلك والعقيدة ومواعيد الاعياد

● عيد رأس السنة

التقويم المصرى القديم هو أول تقويم عرفته البشرية . ساير موكب الحضارة المصرية من خمسة وسبعين قرنا من الزمان ، فشغف شعب مصر بالنهل – نهر الحياة – يدفعه الى رصد موعد فيضانه . وجد أن أول بشائر المياه الحمراء أو فيض الخير الذى يحمله النيل ويجلبه معه من منبعه فى الجنة الى أرض مصر المقدسة ، تظهر مع مطلع نجم ثابت معين يبدو ويشرق بوضوح فى سماء معبد أون (هليوبوليس) فى نفس اللحظة التى تشرق فيها الشمس – وهو نجم « سبدت » أو سيروس (الشعرى اليمانية) ويحاول مجموعة من النجوم المعروفة باسم الكلب الاكبر وبعد قيامهم بمراقبة ذلك النجم فى رصده عدة سنوات توصلوا الى تحديد طول دورته الفلكية أو الدورة الشمسية بدقة متناهية والتى حددوا طولها أو طول السنة الشمسية ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و ٤٩ دقيقة و٤٥ ثانية (أى بفارق يوم كل ١٢٨ سنة) فوضعوا ذلك المقياس الزمنى أساسا لتقويمهم وكان ظهور نجم الشعرى اليمانية الذى يعلن ميعاد الفيضان هو بمثابة ميلاد العام الجديد والذى أطلقوا عليه اسم التقويم التحوتى نسبة الى المعبود تحوت اله المعرفة وقياس الزمن .

وتبعا لعلاقة ذلك التقويم بفيضان النيل وحياة مجتمع مصر الزراعى وما ارتبط به من مواسم رى الارض وزراعتها وحصاد المحاصيل وجمعها ، قسموا السنة الى ثلاثة فصول طول كل منها اربعة اشهر أولها فصل الفيضان ويبدأ من شهر يوليو الى اكتوبر وثانيها فصل بذر البذور ويبدأ فى شهر نوفمبر وثالثها ويبدأ من شهر مارس وهو فصل الحصاد أو الربيع .

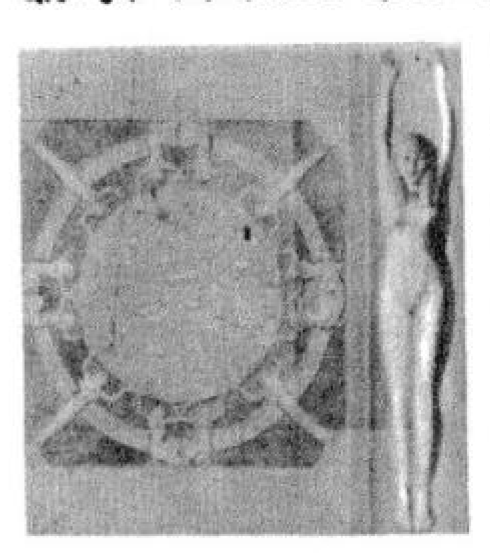
وهكذا تكونت السنة من ١٢ شهرا ، وكل شهر من ثلاثة ديكانات والديكان من عشرة أيام – أى ان مجموع أيام السنة ٣٦٠ يوما اضافوا اليها الايام الخمسة المكملة للتقويم أطلقوا عليها اسم الايام الخمسة

المقدسة التي ولد فيها الالهة الخمسة (اوزوريس – ايزيس – ست – نفتيس – حورس) ثم اضافوا اليها يوما سادسا كل اربع سنوات قدموه هدية للمعبود تحوت « الذي علمهم الحرف والكلمة والتقويم » ·

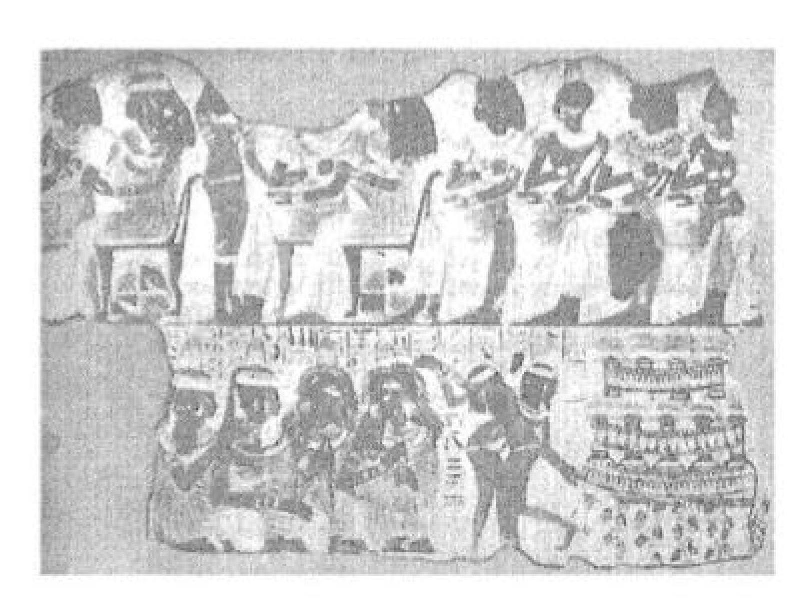
كما أطلقوا أسماء على شهور السنة الاثنى عشرة حمل أولها اسم تحوت نفسه وأطلق على التقويم اسم التقويم التحوتى المقدس وهو الذى بدأ كما ورد فى قوائم المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » فى العام الاول من حكم الملك حورعحا (اثوتيس) ابن الملك مينا ويقابل عام ٥٥٥٧ ق · م ·

وتوافق بداية العام التحوتى اى عيد رأس السنة اليوم التاسع عشر من شهر يوليو فى التقويم الميلادى الحالى · فكان احتفال المصريين القدماء بذلك العيد الذى بدأ من ٧٥٢٣ سنة أول عيد عرفته البشرية وأقدم مظهر من مظاهر حضارة المجتمع الانسانى انتقل من مصر الى حضارات الشرق خلال الدولتين القديمة والوسطى مع فتوحات الغزو المتبادل،كما انتقل عبر البحر الابيض الى أوروبا عندما أهدت كليوباترا تقويم مصر الشمسى الى يوليوس قيصر وكلفت العالم المصرى سوسيجين بجامعة الاسكندرية بنقل التقويم المصرى للرومان ليحل محل تقويمهم القمرى وأطلقوا عليه اسم التقويم القيصرى · وعملت به روما والبلاد الاوربية التى حولها عدة قرون ثم قام بتعديله البابا جريجورى الثالث عام ١٨٥٢ وهو التقويم العالمى الحالى – وهو فى جوهره عمل مصرى أعطاه الفراعنة للعالم كله – كما انتقلت مع التقويم تقاليد الاحتفال برأس السنة ·

اتخذ الاحتفال بالعيد خلال الدولة القديمة مظهرا دينيا فكانت تقاليد الاحتفال تبدأ بنحر الذبائح كقرابين



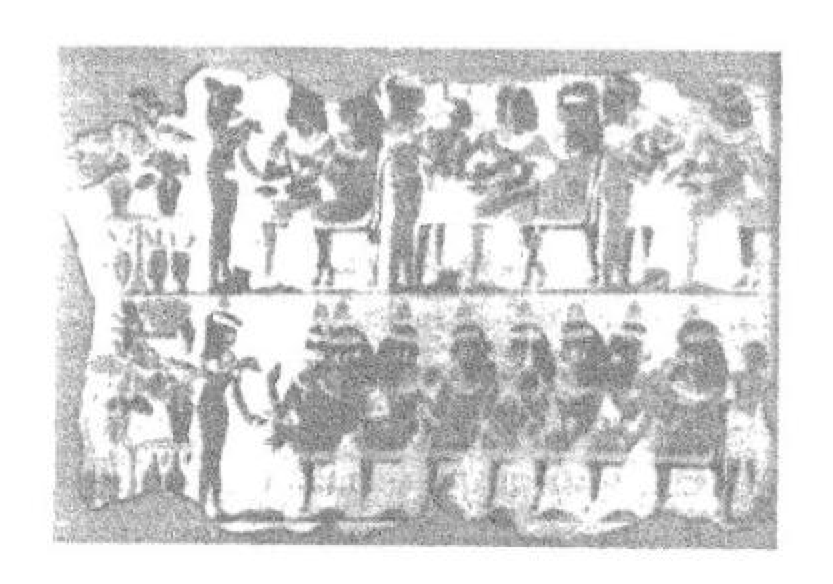




تلاله وتوزع لحومها على الفقراء وكان بعضها يقدم للمعابد ليقوم الكهنة بتوزيعها بمعرفتهم . كان سعف النخيل من اهم النباتات المميزة لعيد راس السنة حيث كان سعف النخيل الاخضر يرمز الي بداية العام لانه يعبر عن الحياة المتجددة كما انه يخرج من قلب الشجرة . فكانوا يتبركون به ويصنعون منه ضفائر الزينة التى يعلقونها على ابواب المنازل كما كانوا يحملون باقات السعف ليضعونه على المقابر في العيد ويوزعون ثماره الجافة صدقة على أرواح موتاهم ـ وما زالت تلك العادة من التقاليد الموروثة والتي لم يطرأ عليها اى تغيير حتى يومنا هذا .

كما كانوا يصنعون من سعف النخيل أنواعا مختلفة من التمائم والمعلقات التى يحملها الناس فى العيد على صدورهم وحول أعناقهم كرمز لتجديد الحياة فى العام الجديد وحفظها من العين الشريرة . وكان الشباب يحملون سعف النخيل فى رقصاتهم الجنائزية ورقصاتهم الشعبية الجماعية ومن أقدم التقاليد التى ظهرت مع الاحتفال بعيد رأس السنة صناعة الكعك والفطائر وانتقلت بدورها من عيد رأس السنة لتلازم مختلف الاعياد التى جعل لكل منها نوع خاص به . وكانت الفطائر مع بداية ظهورها فى الاعياد تزين بالنقوش والطلاسم والتعاويذ الدينية وقد اتخذ عيد رأس السنة فى الدولة الحديثة طابعا دنيويا وخرج من بين الاعياد الدينية العديدة ليتحول الى عيد شعبى له أفراحه ومباهجه ومعانيه .

كانت طريقة احتفال المصريين به



تبدأ بخروجهم الى الحدائق والمتنزهات والحقول يستمتعون بالورود والرياحين تاركين وراءهم متاعب حياة العام وهمومه في ايام النسيء أو الايام الخمسة المنسية من العام .. ومن الحياة وتستمر احتفالاتهم بالعيد خلال تلك الايام الخمسة التى اسقطوها من التاريخ - خارج بيوتهم .

وكانوا يقضون اليوم الاول فى زيارة المقابر حاملين معهم سلال الرحمة (طلعة القرافة) كتعبير عن احياء ذكرى موتاهم كلما انقضى عام ورمز لعقيدة الخلود التى آمن بها المصريون القدماء - كما كانوا يقدمون القرابين للآلهة والمعبودات فى نفس اليوم لتحمل نفس المعنى . ثم يقضون بقية الايام فى الاحتفال بالعيد باقامة حفلات الرقص والموسيقى ومختلف الالعاب والمباريات والمسابقات ووسائل الترفيه والتسلية العديدة التى تفننوا فى ابتكارها ومن اكلاتهم المفضلة فى عيد رأس السنة « بط الصيد » و « الاوز » الذى يشوونه فى المزارع ، والاسماك المجففة التى كانوا يعدون انواعا خاصة منها للعيد . أما مشروباتهم المفضلة فى عيد رأس السنة فكانت عصير العنب أو النبيذ الطازج الشهير حيث كانت أعياد العصير تتفق مع أعياد رأس السنة .

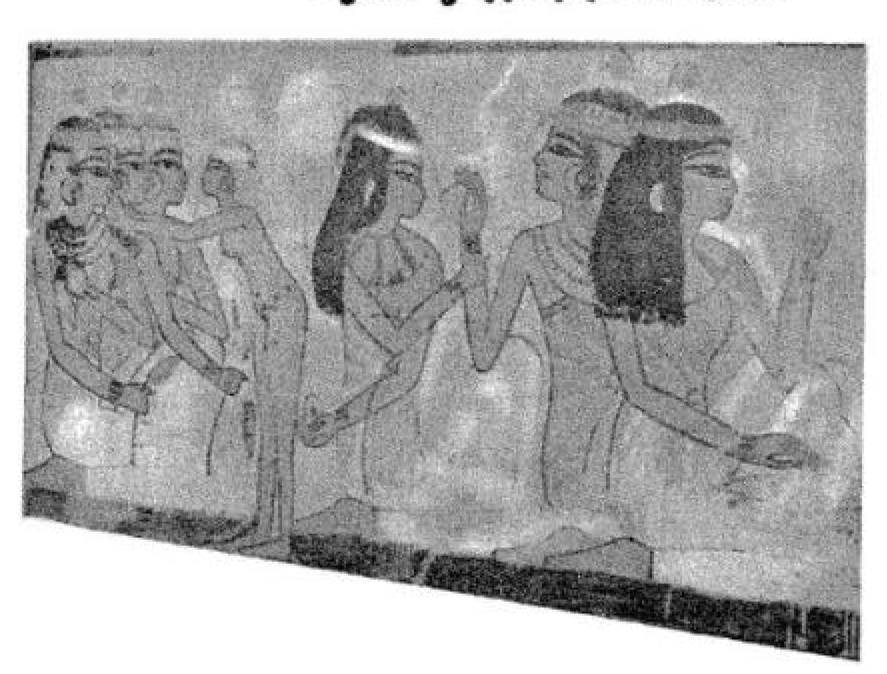
ومن العادات التى كانت متبعة وخاصة فى الدولة الحديثة الاحتفال بعقد القران مع الاحتفال بعيد رأس السنة حتى تكون بداية العام بداية حياة زوجية سعيدة . كما كانت تقام اعياد ختان الاطفال مع نهاية ايام العيد وبدء العام الجديد .

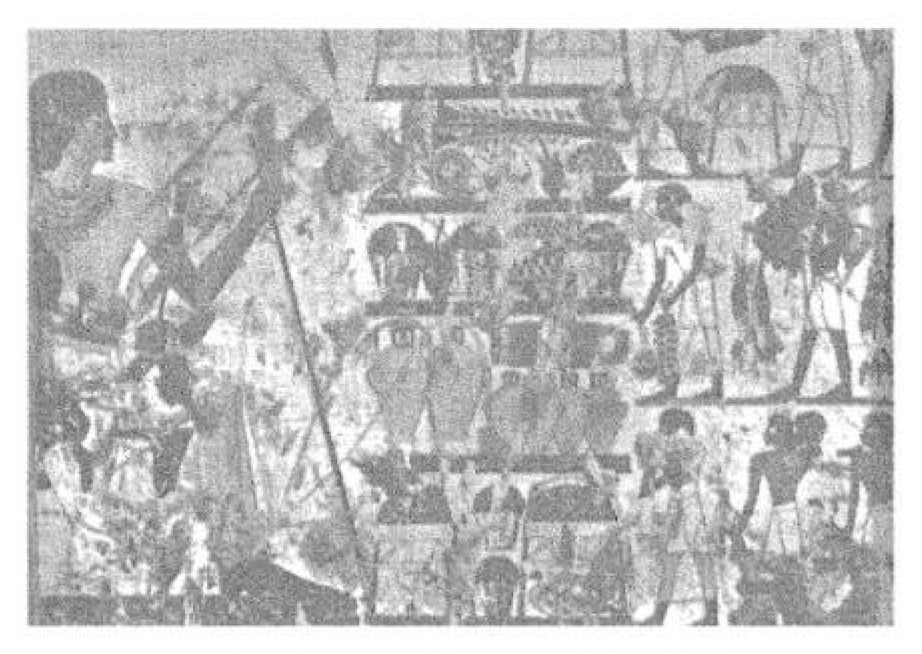
ومن التقاليد الانسانية التى سنها

المصريون القدماء خلال الايام المنسية ان ينسى الناس خلافاتهم وضغائنهم ومنازعتهم فتقام مجالس المصالحات بين العائلات المتخاصمة وتحل كثير من المشاكل بالصلح الودى والصفح وتناسى الضغائن وكانت تشكل ضمن شرائع العقيدة حيث يطلب الاله من الناس ان ينسوا ما بينهم من ضغائن فى عيده المقدس .. عيد راس السنة التى يجب أن تبدأ بالصفاء والاخاء والمودة بين الناس . كان من التقاليد المتبعة ان يتسابق المتخاصمون كل مع اتباعه واعوانه لزيارة خصمه او عدوه فيقتسم الضيف مع مضيفه او الخصم مع عدوه كعكة العيد بين تهليل الاصدقاء وتبادل الانخاب تاكيدا لما يقوله كتابهم المقدس (كتاب الموتى) ان الخير اقوى من الشر والمحبة تطرد العداء . وهكذا كان كثير من القضايا يحل حلها فى العيد ويتسابق كل الى بيت خصمه او عدوه بصحبة اصدقائه ليكون له السبق فى الصلح حتى ينال بركة الاله فى العيد المقدس كما تنص على ذلك تعاليم العقيدة .

كما شاهد عيد راس السنة لاول مرة استعراض الزهور . او كرنفال الزهور . الذى ابتدعته كليوباترا ليكون احد مظاهر العيد عندما تصادف الاحتفال بعيد جلوسها على العرش مع عيد راس السنة .

وعندما دخل الفرس مصر احتفلوا مع المصريين بعيدراس السنة واطلقوا عليه اسم عيد النيروز او النوروز ومعناه باللغة الفارسية . اليوم الجديد . وقد استمر احتفال الاقباط به بعد دخول المسيحية وما زالوا يحتفلون به حتى اليوم كما ظلت مصر تحتفل به كعيد قومى حتى العصر الفاطمى .





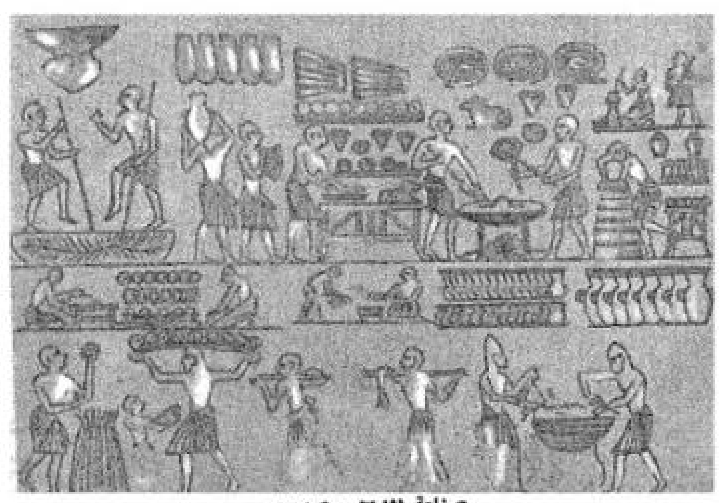
● كعك العيد

ان صناعة الكعك فى الاعياد من اقدم العادات التى عرفت عن المصريين القدماء والتى نشأت مع الاعياد ولازمت الاحتفال بأفراحهم ، وكان لا يخلو عيد من اعيادهم من صناعة أنواع عديدة من الكعك اختلفت عن بعضها البعض تبعا لنوع الاعياد ومناسبات الاحتفال بها ، ذلك بخلاف تفننهم فى صنع الفطائر والحلويات التى اشتهروا بها فى حياتهم العامة .

كانت صناعة كعك العيد لا تختلف كثيرا عن صناعته الحالية مما يؤكد أن صناعته امتداد للتقاليد الموروثة . وقد وردت صور مفصلة لصناعة كعك العيد فى مقابر طيبة ومنف من بينها ما صور على جدران مقبرة (رخمى - رع) من الاسرة الثامنة عشرة وتشرح كيف كان عسل النحل يخلط بالسمن ويقلب على النار ثم يصب على الدقيق ويقلب حتى يتحول الى عجينة يسهل تشكيلها بالاشكال التى يريدونها ثم يرص على الواح من الاردواز ويوضع فى الافران كما كانت بعض الانواع تقلى فى السمن أو الزيت .

وكانوا يشكلون الكعك على شكل اقراص أو بمختلف الاشكال الهندسية والزخرفية كما كان البعض يصنع على شكل حيوانات أو أوراق الشجر والزهور ولا تختلف كثيرا عما هو مألوف حاليا .

كما كانوا يقومون بحشو اقراص الكعك بالتمر المجفف (العجوة) أو التين ويزخرفونه بالفواكه المجففة كالنبق والزبيب أو بمختلف النقوش



صناعة الفطائر وكعك العيد

كمـــا كان الكعك أو الفطير الذى يصنعونه خصيصا عند زيارة المدافن فى الاعياد ـ والذى يطلق عليه العامة حاليـــا اسم (الشريك) ـ كانوا يشكلونه على شكل تميمة ست (عقدة ايزيس) وهى من التمائم السحرية التى تفتح للميت أبواب الجنة وتعطيه قوة القديسين ـ وما زال الشريك الى اليوم محتفظا بشكله التقليدى القديم أو تميمة عقدة ايزيس .

● عيد الميلاد .. وشـــجرة الكريسماس

ان اسطورة الثالوث المقـدس من اقدم الاساطير الفرعونيةالقديمة التى نشأت مع عقيدة الخلق والتكوين عند قدمــاء المصريين ـ هى قصة صراع البشرية بين الخير والشر طرفا النزاع فيها هما « ست » الذى كان رمــزا لاخطاء البشرية وشرورها تعبيرا به عن الشر والخيانة والحقد والحسد، و « أوزوريس » الذى كان علما على الحياة المتجددة . وتروى أساطيرهم المتعددة عنه انه كان رمزا للنيل العائد بالفيضان والخضرة والخير والثمرات وتروى بعضها انه كان ملكا صالحا ارســـله الاله الاكبر « رع » لاقامة العدل وشرع القوانين وحمـل تعاليم السماء الى الارض .

وتبدأ تلك الاسطورة الرمزية التى تعبر عن فلسفة العقيدة نفسها مع خلق الارض « خلق الاله الاكبر نفسه بنفسه توطئة لخلق الكون ، ثم خلق الهة التكوين التى تمثـــل عناصر الوجود بأكمله » .

ويمثل الوجود البشرى فى الارض واستمراره الثالوث المقدس المكون من « أوزوريس وايزيس وحورس » .

وتحكى الاسطورة كيف غدر ست بأخيه أوزوريس الذى كان يبغض فيه

جمال وجهه ورجاحة عقله وحمله رسالة المحبة والخير بين البشر والتفاهم حوله . فمكر به بأن دبر مكيدة للقضاء عليه فاتفق مع أعوانه من آلهة السوء والشر على أن يقيموا له حفلا تمجيدا لأعماله وتكريما لذاته . ثم أعد تابوتا جميلا كسوته من الذهب الخالص بحجم الاله الشاب وحده وزعم « ست » بأنه يقدم هذا التابوت النفيس هدية منه لأى اله من الحاضرين يصلح لان يكون مرقدا يناسبه . وهكذا جرب كل من الضيوف حظه فى الاستلقاء فى التابوت دون جدوى حتى جاء دور أوزوريس وما أن رقد فى التابوت حتى أغلق ست وأعوانه عليه الغطاء ثم حملوا التابوت والقوه فى نهر النيل فحمله التيار حتى بلغ البحر الابيض المتوسط . وهناك تقاذفته الامواج حتى وصل الى الشاطىء الفينيقى فى أرض لبنان عند مدينة بيبلوس فنمت على الشاطىء شجرة ضخمة وارفة الظلال احتوت التابوت المقدس وحافظت عليه وحمته من عين الرقباء .

وكان فى بيبلوس ملكة جميلة هى الالهة « عشتروت » التى خرجت تتريض على الشاطىء فبهرتها تلك الشجرة الجميلة النادرة فأمرت بنقلها الى حديقة قصرها . أما ايزيس فقد استبدت بها الاحزان فبكت أوزوريس بدمعها المدرار وهى تبحث عنه على طول شاطىء النيل ، وكلما انهمرت الدموع من عينيها سقطت فى مجراه وامتزجت بمائه ففاض – وكان الفراعنة ينسبون سبب الفيضان الى دموع ايزيس .

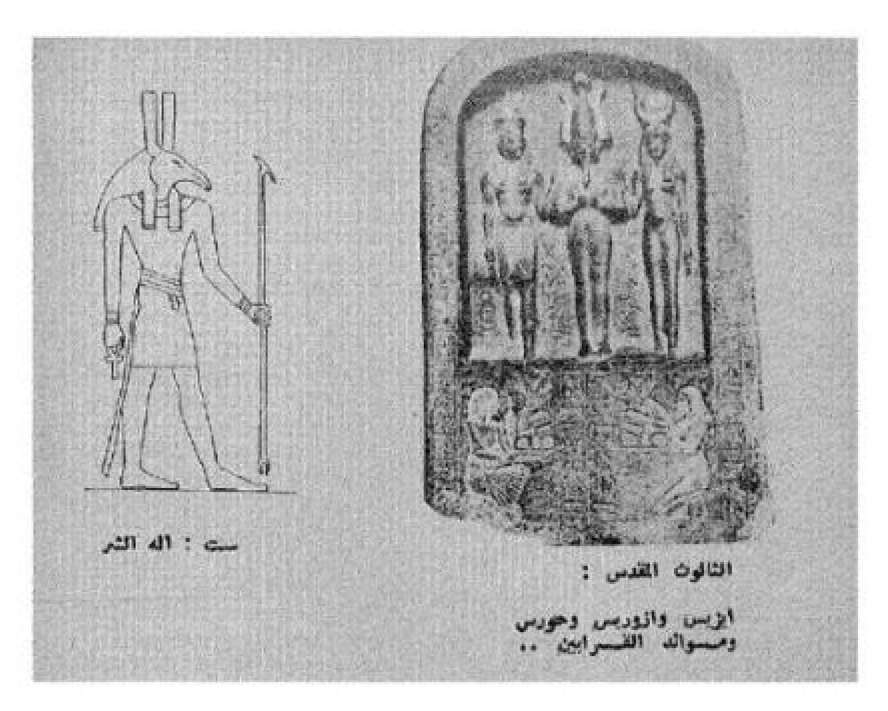
وبينما كانت تجلس بين سيقان البردى فى مستنقعات الدلتا وقد انهكها التعب انصتت الى صوت رياح الشمال وهى تهمس فى اذنيها بأن الاله أوزوريس ينتظرها على شاطىء بيبلوس الذى حملت عنه رسالته اليها . ومضت ايزيس الى بيبلوس ودخلت على الملكة عشتروت التى اكرمت وفادتها واتخذتها نديمة لها وكانت ايزيس كلما اقبل المساء تحول نفسها بقوتها السحرية الى نسر مقدس فتحلق فى السماء وتحوم حول الشجرة تناجى روح زوجها . ثم حدثت المعجزة وحملت ايزيس من روح أوزوريس ولم يمسسها بشر . فحملت الطفل « حورس » فى أحشائها ورجعت به الى أرض مصر حيث خبأته بين سيقان البردى فى احراش الدلتا الى ان كبر وحارب الشر واعوانه وخلص الانسانية من شرور « ست » فاطلق عليه المصريون لذلك اسم « الاله المخلص » .

وبعد ولادة حورس عادت ايزيس الى بيبلوس وأرادت عشتروت مكافأتها فطلبت منها أن تهديها جذع الشجرة الذى يضم تابوت زوجها فاهدته اليها عشتروت وأمرت حراسها أن يحملوا جذع الشجرة الى سفينة اعدتها لها لتحملها هى وشجرتها المقدسة وتبحر بها الى أرض مصر .

ولما وصلت أرض مصر اخرجت الجثة من تابوتها ونفخت فيها من انفاسها فردت اليها الحياة فباركها هى وابنها حورس ثم صعد الى السماء ليعتلى العرش ويصبح ملكا للعالم الاخر ورئيسا لمحكمة الاخرة رقيبا على الجنة والنار .

وكان حورس الذى ورث ملك مصر من أبيه أوزوريس ثم أورثه الملوك من البشر بعد ذلك (انصاف الالهة) رمزا للحرب المقدسة ضد الشر وأعوانه حاملا لرسالة الاله لنشر العدل والعقيدة .

أما ايزيس فقد اطلق عليها المصريون القدماء اسم « موت نثر »



الثالوث المقدس :

ايزيس واوزيريس وحورس ومسوائد القسرابين ..

أى الام المقدسة التى تمنح الحيـاة وتفرج الكروب وتشرح الصدور .
وكان للثالوث المقدس من الحب فى نفـوس المصريين ما ملأها طوال التاريخ القديم وخلال فترات المحـن والاضمحلال بالامل .

فكان عيد الميلاد .. أو عيـد أوزوريس وتمثيل آلامه وقيامته من أعز ما يحتفل به المصريون ومن أهم أعيادهم الدينية وسمى بعيد الميلاد نسبة الى ميلاد حورس من روح الاله
وكان يحتفل بهذا العيـد فى أول شهر كيهك (كا هى كا) اى روح على روح الذى سمى بهذا الاسم نسبة الى ميلاد حورس من روح الاله وهو رابع الشهر التقويم المصرى حين تنحسر مياه الفيضان فتعود الخضرة الى الارض التى ترمز الى بعث الحياة وقـد اصطلح المصريون القدماء على تهنئة بعضهم البعض بقولهم « سنة خضراء » وهى من الاصطلاحات العامية التى عبرت القـرون ومازالت تعيش على شفاهنا .

ومن أسطورة الثالوث المقدس أو أسطورة الميلاد نرى أن أوزوريس قد عاش ومات وردت اليه الحياة ثانية فاصبح شـجرة خضراء لهذا كان المصريون القدماء يرمزون للحيـاة المتجددة بشجرة خضراء .
وكان من اهم تقاليد عيد الميـلاد عندهم الاحتفـال « بشجرة الحياة » التى يختارونها من الاشجار الدائمة الخضرة التى تحتفظ بخضرتها طوال العام .

وقد سرت هذه العادة من الشرق الى الغرب فخرجت من مصر الى سوريا ومنها الى بابل ثم عبرت البحر الابيض لتظهر فى أعياد الرومان ثم تعود للظهور مرة أخرى فى أعياد ميلاد المسيح ود شجرة الكريسماس ، والتي يختارونها من الاشجار التى تحتفظ بخضرتها طوال العام كالسرو والصنوبر •

ان أسطورة الثالوث المقدس نفسه التى تمثلت فى أوزوريس وايزيس وحورس والتى تعبر تعبيرا فلسفيا عن العقيدة نفسها انتقلت هى وأعيادها وطقوسها وتقاليدها من مصر الى كثير من الحضارات الاخرى فظهرت فى سوريا وعلى شواطىء فينيقيا حيث حلت عشتروت (سيدة السماء) محل ايزيس المصرية وصورها السوريون على شكل لبؤة تحمل على رأسها قرص الشمس رمز الاله « رع » كما حملت من روح الاله ست رمز اله الحرب والقوة ولذا رسمت وهى تركب عربة حربية تجرها الجياد وأنجبت الاله بعل الذى يعدل حورس عند المصريين واحتفل السوريون بعيد الميلاد مع عيد ميلاد حورس المصرى •

كما انتقلت نفس الاسطورة الى حضارات المايا والازتيك القديمتين فى أمريكا والمكسيك وتمثل نفس قصة الصراع بين الشر والخير حيث يقتل « هاك » اله الشر أخاه « كو » اله الخير فتهرب الام المقدسة « مو » بعد أن تحمل بابنها الصقر المقدس من روح أبيه كو الشهيد الذى صعد الى السماء • ولا تختلف الاسطورة فى تصويرها ومعناها ومغزاها عن قصة الثالوث المصرى • لقد تركت الاسطورة المصرية بصماتها على أكثر من أسطورة مماثلة ظهرت فى أساطير العقيدة الخاصة بكهنة معبد التبت • كذلك ما ورد من أساطير ارتبطت بقصة الاطلنتس (القارة المفقودة) •

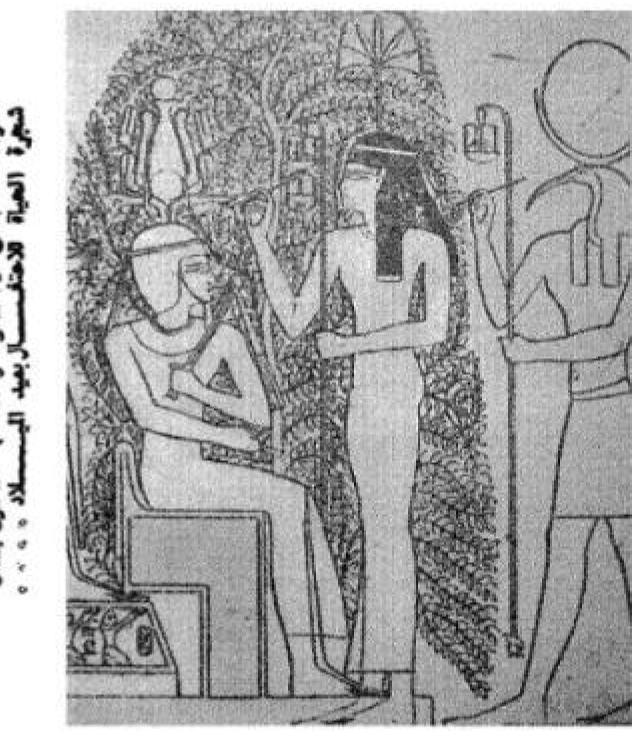
ومما لا شك فيه أن أسطورة الثالوث المقدس وتغلغلها فى عقيدة المصريين كان لها أثرها فى تصور العقيدة المسيحية بعد دخولها الى مصر ممثلة فى ثالوث (الاب والابن وروح القدس) قبل انتقال المسيحية وتعاليمها من مصر عبر البحر الابيض المتوسط الى عالم الغرب •

وهكذا فرض عيد الميلاد نفسه حاملا معه شجرة الحياة أو شجرة الكريسماس الى انحاء العالم •

● عيد الأم

كانت مكانة الام مقدسة عند قدماء المصريين منذ بداية الاسرات فهى التى ولدت رب الارباب - عبروا عنها بنويت والربة نوت التى تظلل الكون وترعاه والتى ولدت الهة الخصب والخير والبركة فخلدوها فى آثار معابدهم وفى متون الخلق





تحوت اله الحق والمعرفة وشت الهة الفنون يعدان شجرة الحياة للاحتفال بعيد الميلاد . . . . .

والمفكرين وفي الاساطير والبرديات المقدسة . كما اختاروا العدد الاكبر من الهتهم من الامهات .

وقدماء المصريين أول من احتفل بعيد الام كعيد مقدس ابتداء من الدولة القديمة واستمر حتى أواخر عهد البطالمة وقد ورد ذكر عيد الام والنص عليه في اكثر من بردية من برديات كتب الوثق وخاصة كتابى آنى ونبستى . وتوجد ضمن مقابر الدولة الحديثة كثير من البرديات ولوحات الاستراكا الفرعونية نماذج من النصوص التقليدية للدعاء للام في عيدها .

اختاروا لعيد الام الحسن شهور فيضان النيل عندما تكون الارض الخصبة معدة لبذر البذور - اوبذور الحياة التى تبعث الحياة فى الارض - وهو شهر هاتورفى التقويم المصرى القديم وهاتور او حتحور تعبر عن ربة الجمال ومعنى حت - حور فى نفس الوقت مرضعة الاله حور . لذلك شبهوا الام بنهر النيل الذى يهب الحياة والخصب والخير .

كما اعتبروا تمثال ايزيس التى تحمل ابنها حورس رمزا لعيد الام ليضعونه فى غرفة الام ويحيطونه بالزهور والقرابين ويضعون حوله الهدايا المقدمة للام فى عيدها الذى يبدأ الاحتفال به مع شروق الشمس

التى يعتبرون نورها واشعتها رسالة من اله السماء للمشاركة فى تهنئتها. وقد أعدت كثير من الاغانى والاناشيد لينشدها الاطفال فى عيد الام ومن بين البرديات التى تثبت اهتمام قدماء المصريين باحياء عيد الام احدى برديات تل العمارنة التى وجدت على شكل رسالة كتبها طفل لامه فى عيد الام .

« اليوم عيدك يا اماه : دخلت اشعة الشمس من النافذة .

لتقبل جبينك وتباركك فى يوم عيدك

استيقظت طيور الحديقة مبكرة لتغرد لك فى عيدك .

تفتحت زهور اللوتس فى البحيرة لتحييكى .

الفراش يرقص فرحا متنقلا بين الزهور مهنئا بعيدك

اليوم عيدك يا اماه ـ فلا تنس ان تدعى لى فى صلاتك للرب .

لقد قال آمون « ان دعاء الابناء لا يصل الى آذان السماء الا اذا خرج من فم الامهات » .

اليوم عيدك يا اماه ـ انه فرح السماء الذى تفرح فيه الربة ايزيس وهى تشاركك افراحك » .

كما حوت برديات الحكماء الكثير من الحكم والاقوال التى تمجد الام فى عيدها وتقدم النصائح للابناء بطاعة الام ويذكر الكثير منهم ان طاعة الام من طاعة الاله . فيقول الحكيم سنب حوتب :

« ضاعف لها العطاء فقد اعطتك كل حنانها .

وضاعف لها الغذاء فقد غذتك من عصارة جسدها

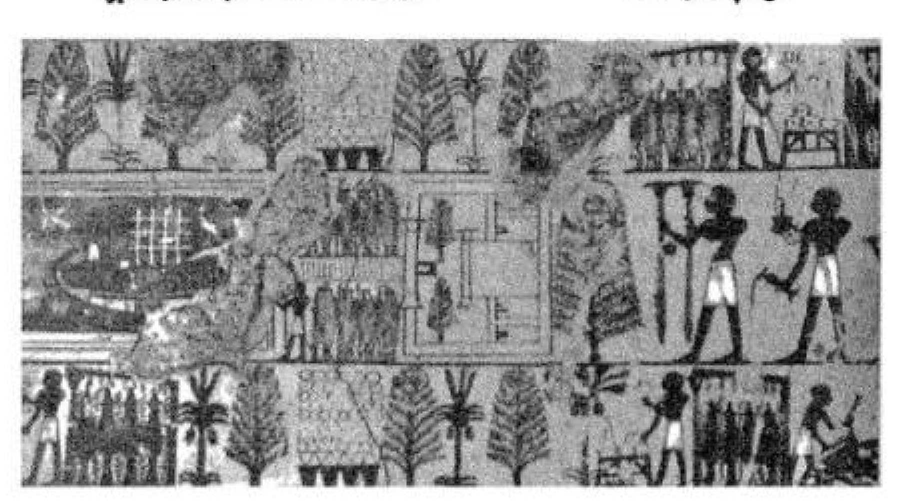
واحملها فى شيخوختها فقد حملتك فى طفولتك

اذكرها دائما فى صلواتك ودعواتك للاله الاعظم ، فكلما تذكرتها تذكرك بذلك ترضى الاله

واذا نسيتها .. نسيك فلا تجده عندما تحتاج اليه

ويقول الحكيم آنى :

« عليك الا تنس أمك وكل ما عملته من اجلك . ضاعف لها مقدار الخير



الذى تعطيه لها ... احملها كما حملتك فاذا نسيتها فان الله سيعاقبك
لقد حملتك تسعة اشهر • وحينما ولدتك حملتك ثانية حول رقبتها
وقد اعطتك من ثدييها سنوات - لم تشمئز من قذارتك •
ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقف كل يوم الى جانب معلمك ومعها الخبز والجعة جاءت بهما من البيت واعدتهما بيديها •
وسهرت بجانب فراشــــك لترعى صحتك •
اعطتك كل شيء .. ولم تطلب اى شيء .. فانت بالنسبة لها كل شيء
مهما اعطيتها فلن توفي ما عليك من دين للاله فهو الذى يطالبك به .. فاذا تنكرت لها .. تنكرت للاله ».

● شم النسيم وعيد الفصح

لما كانت اعيــاد قدماء المصريين ترتبط بالظواهر الفلكية وعلاقتهــا بالطبيعة ومظاهر الحيــاة فقد كان احتفالهم بعيد الربيع الذى حــددوا ميعـــاده بالانقـــلاب الربيعى



ايزيس الام ترعى طفلها حــورس وتحميه من الشر بين عيدان البردى

وهو اليـــــوم الذى يتســاوى فيه الليل والنهــار وقت حلول الشمس فى برج الحمـــل ويقع فى الخامس والعشرين من شهر برمهات - وكانوا يتصورون كما ورد فى كتابهم المقدس أن ذلك اليوم هو أول الزمان أو بدء خلق العالم •

كانوا يحددونذلك اليوم والاحتفال باعلانه فى ليلة الرؤياأو لحظة الرؤيا عند الهرم الاكبر التى وصفوهابقولهم « عندما يجلس الاله على عرشـــه فوق قمة الهرم» وهى الساعةالسادسة تماما من ذلك اليوم حين يجتمــع الناس فى احتفال رسمى امام الواجهة الشمالية للهرم حيث يظهــر قرص الشمس قبل الغروب وخــلال دقائق محدودة وكأنه يجلس فوق قمة الهرم وتظهر معجزة الرؤيا عندما يشطرضوء الشمس وظلالها واجهة الهــرم الى شطرين (لغز الهرم الاكبر) واطلق قدماء المصريين على ذلك العيد اسم عيد شمو اى بعث الحيــاة وحرف الإسم على مر الزمن وخاصة فىالعصر القبطى الى اســم شم واضيفت اليه كلمة النسيم نسبة الى نسمة الربيع التى تعلن وصوله •

يرجع بدء احتفال قدماء المصريين بذلك العيد رسميا الى عام ٢٧٠٠ق•م أى فى أواخر الاسرة الثالثة ولو أن بعض المؤرخين يؤكد انه كان معروفا ضمن اعياد هيليوبوليس ومدينـــة أون وكانوا يحتفلون به فى عصر ما قبل الاسرات • وقد نقل اليهود عن المصريين عيد شم النسيم عنــدما خرجوا من مصر فى عهد موسى عليه السلام وقد اتفق يوم خروجهم مــع موعد احتفال المصريينبعيدهم • وقد اشارت كثير من المراجع التاريخيــة الى ان اليهود اختاروا ذلك اليــوم بالذات للخروج حتى لا يلفت انشغال المصريين باعيادهم النظر اليهم اثناء هروبهم مع ماحملوه معهم مما سلبوه



من ذهب المصريين وثرواتهم .

واحتفل اليهود بالعيد بعد خروجهم ونجاتهم واطلقوا عليه اسم عيد الفصح والفصح كلمة عبرية معناها الخروج أو العبور كما اعتبروا ذلك اليوم أو يوم بدء الخلق عند المصريين رأسا لسنتهم الدينية العبرية تيمنا بنجاتهم أو بدء حياتهم الجديدة .

وهكذا اتفق عيد الفصح العبرى مع عيد شمو أو عيد الخلق المصرى ثم انتقل عيد الفصح بعد ذلك الى المسيحية لموافقته مصادفة مع موعد قيامة السيد المسيح . ولما دخلت المسيحية مصر أصبح عيدهم يلازم عيد المصريين القدماء ويقع دائما يوم الاثنين اى اليوم التالى لعيد الفصح او عيد القيامة .

كان قدماء المصريين يحتفلون بعيد شم النسيم كما نحتفل به اليوم حيث يبدأ فى الليلة الاولى أو ليلة الرؤيا بالاحتفالات الدينية ثم يتحول مع شروق الشمس الى عيد شعبى تشترك فيه جميع طبقات الشعب كما كان فرعون وكبار رجال الدولة والعظماء يشاركون الشعب فى الراحه . ويعتبر عيد شم النسيم بمثابة الخلق الجديد فى الطبيعة فهو العيد الذى تبعث فيه الحياة ويتجدد النبات وتنشط الكائنات لتجديد النوع ففيه تزدهر الخضرة وتتفتح الازهار وتهب نسمة الربيع وهى تحمل رسالة ميلاد الطبيعة بما تحمله من أريج البراعم النامية وعبير الزهور المتفتحة .

ويخرج الناس جماعات الى الحدائق والحقول والمتنزهات ليكونوا فى استقبال الشمس عند شروقها وقد اعتادوا أن يحملوا معهم طعامهم وشرابهم ويقضوا يومهم فى الاحتفال بالعيد ابتداء من شروق الشمس حتى غروبها وكانوا يحملون معهم ادوات لعبهم ومعدات لهوهم والات



مائدة العيد فى شم النسيم .. البصل والفسيخ والبيض والملانة والخس

موسيقاهم . فتتزين الفتيات بعقود الياسمين (زهر الربيع) ويحمل الاطفال زعف النخيل المزين بالالوان والزهور فتقام حفلات الرقص الزوجى والجماعى على أنغام الناى والمزمار والقيثار ودقات الدفوف تصاحبها الاغانى والاناشيد الخاصة بعيد الربيع ، كما تجرى المباريات الرياضية والحفلات التمثيلية .

كانت صفحة النيل تمتلىء بالقوارب التى تزينها الزهور وغصون الاشجار المثمرة ونقشت على اشرعتها كلمات الترحيب والتهنئة بعيد الربيع .

كان الاحتفال بالعيد يمتد بعد عودتهم الى المدينة ليستمر حتى شروق الشمس سواء فى المساكن حيث تقام حفلات الاستقبال وتبادل التهنئة او فى الاحياء والميادين والاماكن العامة حيث تقام حفلات الترفيه والندوات الشعبية .

كان لشم النسيم اطعمته التقليدية المفضلة وماارتبط بها من عادات وتقاليد ، اصبحت جزءا لا يتجزأ من الاحتفال بالعيد نفسه والطابع المميز له والتى انتقلت من المصريين القدماء عبر العصور الطويلة لتفرض نفسها على اعياد الربيع فى انحاء العالم .. القديم منه والحديث .

تشمل قائمة الاطعمة المميزة لمائدة شم النسيم :

البيض - والفسيخ والبصل ، والخس والملانة .

تمسكت شعوب العالم بها او ببعضها .. ولا يمكنها الاحتفال بغيرها .. ولا يعرف اصلها .. !

● بيض شم النسيم

يعتبر البيض الملون من الاطعمة التقليدية التى فرضت نفسها على مائدة عيد شم النسيم ومختلف اعياد الفصح والربيع فى العالم اجمع واصطلح الغربيون على تسمية البيض - بيضة الشرق .

بدأ ظهور البيض على مائدة اعياد

الربيع مع بداية العيد الفرعوني نفسه أو عيد الخلق حيث كان البيض يرمز الى خلق الحياة كما ورد فى متون كتاب الموتى وأناشيد أخناتون « الله وحده لا شريك له ـ خلق الحياة من الجماد فأخرج الكتكوت من البيضة ، كما صورت برديات منف الاله بتاح اله الخلق وهو يخلق الارض على شكل البيضة التى شكلها من الجماد ونفخ فيها الروح فدبت فيها الحياة ٠

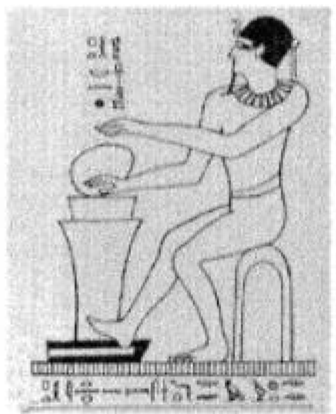
وهكذا بدأ الاحتفال بأكل البيض كأحد الشعائر المقدسة التى ترمز لعيد الخلق أو عيد شم النسيم ٠

أما فكرة نقش البيض وزخرفته فقد ارتبطت بعقيدة قديمة أيضا وهي اعتبارهم أن ليلة العيد بمثابة ليلة القدر فكانوا ينقشون على البيض الدعوات والامنيات ويجمعونه فى سلال من زعف النخيل الاخضر ويتركونها فى شرفات المنازل ونوافذها او يعلقونها فى أشجار الحدائق حتى تتلقى بركات نور الاله عند شروقه فيحقق دعواتهم ويبداون العيد بتبادل التحية « بدقة البيض » وأكله وهي العادات التي ما زال اكثرها متوارثا الى الان ٠

وقد انتقلت عادة الاحتفال بعيد الربيع وتقاليد أكل البيض الى آسيا الصغرى وفلسطين قبل أن ينقلها اليهم اليهود فى احتفالهم بعيد الفصح وذلك مع فتوحات تحتمس الثالث عام ١٤٥٠ ق٠م عندما تصادف حلول العيد اثناء وجوده مع جنوده فى فلسطين وانتصاره فى معركة مجدو المشهورة ٠ كما ورد فى بعض الوثائق القديمة التى وجدت بفلسطين مايشير الى أن جنود رمسيس الثانى احتفلوا بعيدهم المقدس الذى شاركهم فيه أهل البلاد عام ١٢٥٠ ق٠م ، وكان يعتبر من بين أعيادهم الشعبية التى انتقلت اليهم مع فتوحات تحتمس الثالث ٠ أما عادة تلوين البيض بمختلف الالوان وهو التقليد المتبع فى جميع انحاء العالم فقد بدأ فى فلسطين بعد صلب المسيح الذى سبق موسم الاحتفال بالعيد فاظهر المسيحيون رغبتهم فى عدم الاحتفال بالعيد حدادا على المسيح وحتى لا يشاركوا اليهود افراحهم ، ولكن أحد القديسين امرهم بأن يحتفلوا بالعيد تخليدا لذكرى المسيح وقيامه على أن يصبغوا البيض باللون الاحمر ليذكرهم دائما بدمه الذى سفكه اليهود ٠

وهكذا ظهر بيض شم النسيم لاول مرة مصبوغا باللون الاحمر ٠ ثم انتقلت تلك العادة الى مصر حيث بدأ الاقباط بالحفاظ عليها وتعميمها بجانب ما توارثوه من الرموز والطلاسم والنقوش الفرعونية ٠

ومنهم انتقلت عبر البحر الاحمر الى روما ٠ ومنها انتشرت فى انحاء العالم المسيحى فى اوروبا وأمريكا ٠ وقد تطورت تلك العادة الى صباغة



الاله بتاح يكون الارض على شكل بيضة

البيض بمختلف الالوان التي اصبحت الطابع المميز لاعياد شم النسيم والفصح والربيع حول العالم ٠

● الفسيخ

كما ظهر البيض مع بدء الاحتفال بعيد الخلق كأحد الشعائر المرتبطة بالعقيدة كذلك ظهر الفسيخ او السمك المملح من بين الاطعمة التقليدية في العيد في الاسرة الخامسة عندما بدأ الاهتمام بتقديس النيل نهر الحياة (الاله حعبي) الذى ورد في متونه المقدسة أن الحياة في الارض بدأت في الماء ويعبر عنها بالسمك الذى تحمله مياه النيل من الجنة حيث ينبع ٠

وقد برع المصريون القدماء في حفظ الاسماك وتجفيفها وتمليحها وصناعة الفسيخ والملوحة واستخراج البطارخ ـ كما ذكر هيرودوت ـ « انهم كانوا يأكلون السمك المملح في اعيادهم ويرون أن اكله مفيد في وقت معين من السنة » وكانوا يفضلون نوعا معينا لتمليحه وحفظه للعيد اطلقوا عليه اسم « بور » وهو الاسم الذى حور في اللغة القبطية الى « بورى » وما زال يطلق عليه حتى الان كما ورد في بردية ايبرس الطبية أن السمك المملح كان يوصف للوقاية والعلاج من بعض انواع حميات الربيع ٠

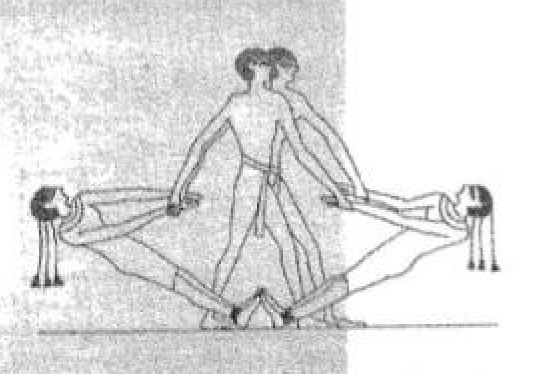
● البصل

ظهر البصل ضمن اطعمة العيد التقليدية في اواسط الاسرة السادسة وقد ارتبط ظهوره بما ورد في احدى اساطير منف القديمة التى تروى ان احد ملوك الفراعنة كان له طفل وحيد وكان محبوبا من الشعب وقد اصيب الامير الصغير بمرض غامض عجز الاطباء والكهنة والسحرة عن علاجه واقعد الامير الصغير عن الحركة ولازم الفراش عدة سنوات ، امتنع الشعب خلالها عن اقامة الافراح والاحتفال بالعيد مشاركة للملك في احزانه ٠

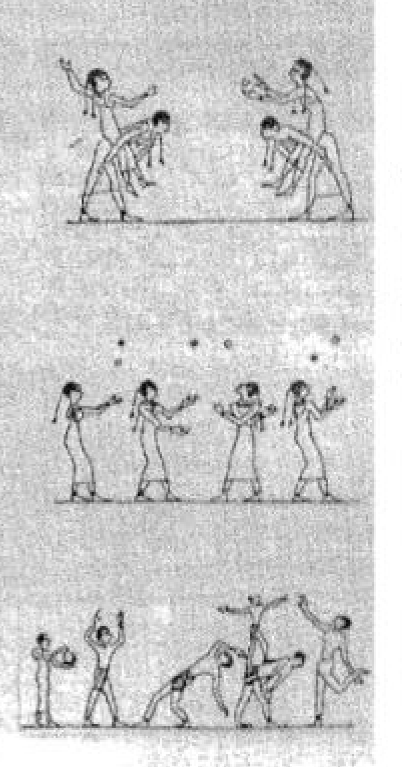
وكان اطفال المدينة يقدمون القرابين للاله في المعابد في مختلف المناسبات ليشفي اميرهم المحبوب ٠



شجرة اللبلاب رمز الحياة المتجددة ، دائمة الاخضرار



احتفالات الشباب بعيد شم النسيم



واستدعى الملك الكاهن الاكبر لمعبد آمون من طيبة فنسب مرض الامير الطفل الى وجود أرواح شريرة تسيطر عليه وتشل حركته بفعل السحر الاسود . وأمر الكاهن بوضع ثمرة ناضجة من ثمار البصل تحت رأس الامير فى فراش نومه عند غروب الشمس بعد أن قرأ عليها بعض التعاويذ ثم شقها عند شروق الشمس فى الفجر ووضعها فوق أنفه ليستنشق عصيرها . كما طلب منهم تعليق حزم من أعواد البصل الاخضر الطازج فوق السرير وعلى أبواب الغرفة وبوابات القصر لطرد الارواح الشريرة .

وتشرح الاسطورة كيف تمت المعجزة وغادر الطفل فراشه وخرج ليلعب فى الحديقة وقد شفى من مرضه الذى يئس الطب من علاجه . فأقام الملك الافراح فى القصر لأطفال المدينة بأكملها وشارك الشعب القصر فى افراحه ولما حل عيد شم النسيم بعد افراح القصر بعدة أيام قام الملك وعائلته وكبار رجال الدولة بمشاركة الناس فى العيد كما قام الناس اعلانا منهم للتهنئة بشفاء الامير بتعليق

حزم البصل على ابواب دورهم كما احتل البصل الاخضر مكانه على مائدة شم النسيم بجانب البيض والفسيخ .

ومما هو جدير بالذكر ان تلك العادات التي ارتبطت بتلك الاسطورة القديمة سواء من عادة وضع البصل تحت وسادة الاطفال وتنشيقهم لعصيره او تعليق حزم البصل على ابواب المساكن او الغرف او اكل البصل الاخضر نفسه مع البيض والفسيخ ، ما زالت من العادات والتقاليد المتبعة الى الان - لا في مصر وحدها بل انتقلت منها الى عدة شعوب اخرى . ويطلق على البصل في اللغة المصرية القديمة « بصر » .

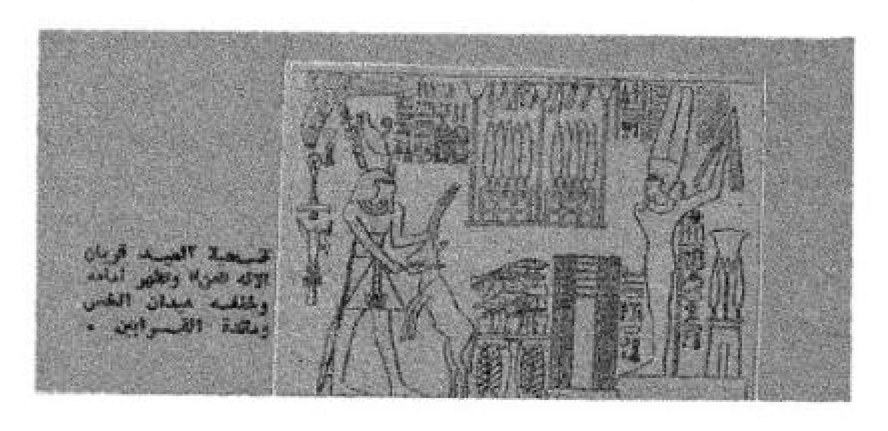
● الخس

كان من النباتات المفضلة التي تعلن عن حلول الربيع باكتمال نموها ونضجها ، وقد عرف ابتداء من الاسرة الرابعة حيث ظهرت مصوره في سلال القرابين بورقه الاخضر الطويل وعلى موائد الاحتفال بالعيد وكان يسمى بالهيروغليفية « عب » - كما اعتبره المصريون القدماء من النباتات المقدسة الخاصة بالمعبود « من » اله التناسل ويوجد رسمه منقوشا دائما تحت اقدام الاله في معابده ورسومه .

كما اشتهرت بزراعته مدينة اخميم (خم - من . او ارض اله التناسل) كذلك مدينة نقط وادى الاله . وكان يصدر منهما الى مختلف بلاد القطر في الاعياد وتقدم منهما القرابين الى المعابد . ولاتزال هاتان المدينتان تنتجان اجود انواع الخس والزيت الى الان .

لقد اثبتت البحوث العلمية التي قام بها علماء السويد حديثا العلاقة بين الخس وهذا الاله (اله التناسل والخصب والقوة الحيوية) فقد وجد ان زيت الخس يزيد في القوة الجنسية لاحتوائه على فيتامين هـ وبعض هرمونات التناسل مما يستعمل حاليا في علاج الضعف الجنسي .

كما ذكرت البرديات الطبية القديمة فوائد زيت الخس وزيت بذوره الذي كان القدماء يستخدمونه في الطعام والتتبيل والطب وانهم عرفوا خواصه



لوحة العيد قربان الإله المراة والطير امامه وخلفه ميدان الخس ومائدة القرابين .



المعبود من اله التناسل

في علاج كثير من الامراض وزيادة حيوية الجسم ·

كما وضعت بردية ايبرس الطبية قائمة من التراكيب الطبية الخاصة بالخس ومركباته وزيت بذوره التي تحوي بجانب فيتامين هـ نسبة عالية من فيتامين ج واملاح الكلسيوم والفسفور والحديد ووصفوا اثرها في علاج امراض الجهاز الهضمي والعصبي وقرحة المعدة والامراض الروماتزمية – هكذا يتكشف سر اهتمام المصريين القدماء بالخس وتقديسه والاحتفال ببشائره في عيد الربيع ·

● الملانة

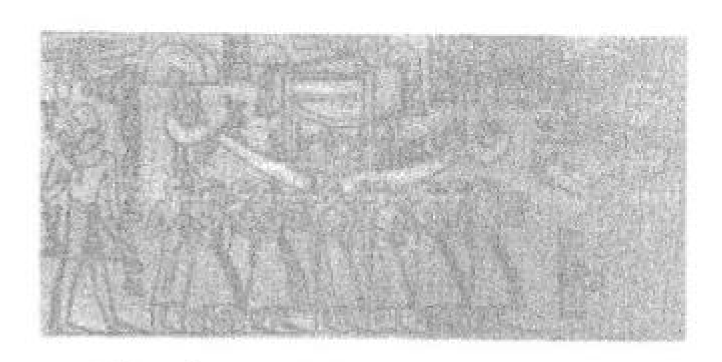
ثمرة الحمص الاخضر ويطلق عليه قدماء المصريين اسم (حور – بيك) اي رأس الصقر لشكل الثمرة التي تشبه رأس حور الصقر المقدس ·

وكان للحمص كما للخس الكثير من الفوائد والمزايا التي ورد ذكرها في بردياتهم الطبية، فوصفت ما يحتوي عليه الحمص من عناصر تستخدم في علاج الكلى والكبد والمثانة ربما يحويه عصير حباته الخضراء – الملانه – من مواد تساعد على وقاية الاطفال من امراض الربيع – كما وصفت بردية ايبرس استعمال الحمص المطحون في وقف نزيف الجروح وتطهيرها وسرعة التآمها ·

وكانوا يعتبرون نضج الثمرة وامتلاءها اعلانا عن ميلاد الربيع وهو ما اخذ منه اسم الملانة او الملانة

وكانت الفتيات يصنعن من حبات الملانة الخضراء عقودا واساور يتزين بها في الاحتفال بالعيد كما يقمن باستعمالها في زينة الحوائط ونوافذ المنازل في الحفلات المنزلية ·

ومن بين تقاليد شم النسيم الفرعونية القديمة التزين بعقود زهور الياسمين وهو محرف من الاسم الفرعوني القديم (ياسمون) وكانوا يصفون الياسمين بانه عطر الطبيعة التي تستقبل به الربيع وكانوا



معبد امون بالكرنك يحملون الزورق المقدس .. فى عيد أوبت

يستخرجون منه فى موسم الربيع عطور الزينة وزيت البخور الذى يقدم ضمن قرابين المعابد عند الاحتفال بالعيد .

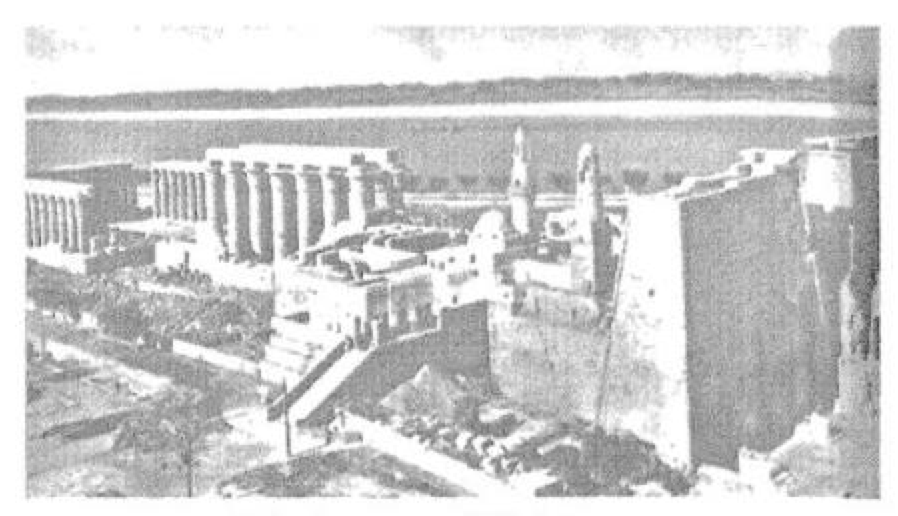
هكذا ظل عيد شم النسيم عيدا للطبيعة ومولد الربيع ، قائما من عهد الفراعنة حتى اليوم – اصبح عيدا قوميا يحتفل به المصريون على اختلاف طبقاتهم ودياناتهم ويشاركهم فيه العالم اجمع .

● عيد عاشوراء

يرجع الاحتفال بعاشوراء الى الدولة القديمة فى أواخر عصر الاهرام وكان من بين أعياد منف الدينية . كانوا يطلقون عليه اسم عيد طرح بذور القمح المقدس ويقع فى اليوم العاشر من شهر توبى (طوبة) أو شهور الفصل الثانى من فصول السنة (فصل برت – البذر) وكان المصريون القدماء يحتفلون بعيد عاشوراء باعداد مختلف الاطعمة التقليدية الخاصة به والتى تصنع جميعها من القمح المعد للبذر وفى مقدمتها صحن العاشوراء ولا تختلف صناعته وطريقة اعداده وتقديمه عما هو متبع حاليا – ثم البليلة التى كانت تصنع فى قدور خاصة ولاتزال حتى الان من الاطعمة الشعبية المتوارثة ثم كعك عاشوراء الخاص ويصنع من القمح وعسل النحل وكان يصنع على شكل القمحة أو السنبلة وتوضع فى وسط الكعكة قمحة رمزا للخير .

وقد تصادف يوم عاشوراء (اليوم العاشر من تشرى) اول السنه العبرية وفيه أمر موسى اليهود بالصيام تكفيرا عن ذنب خروجهم عن طاعة الله وعبادتهم للعجل الذهبى فى الوادى المقدس عند جبل الوصايا وهو عيد الكبور .

واخذ العرب فى الجاهلية عادة الاحتفال بعاشوراء والصوم عن اليهود وعندما نزل الاسلام على قريش أمر النبى المسلمين بالصيام فى نفس اليوم والاحتفال به وقد صادف يوم عاشوراء الفرعونى يوم ١٠



معبد امون بالكرنك ومسجد سيدى ابى الحجاج

من تشرى،وعاشوراء اليهودي العاشر من محرم عند المسلمين ولما سئل النبى كيف يصوم المسلمون معاليهود ويحتفلون معهم قال « نحن احق بموسى منهم » ويحتفل الشيعة ايضا بعيد عاشوراء لان سيدنا الحسين قتل فى يوم عاشوراء كما أن بعض البلاد الاسيوية القديمة كانت تحتفل به ايضا فى نفس اليوم على انه اليوم المقدس الذى زرع فيه سيدنا نوح القمحة فىالارض بعد الطوفان.

● اعياد الموالد

من الاعياد الدينية التى اشتهر بها المصريون القدماء ، اعياد الموالد التى ترتبط بالمعبودات والاماكن وطقوس العقيدة . كانت اعيادا اقليمية أو محلية وكانبعضها لايخرج عن حدود قرية بها ضريح او محراب للمعبود كما هو الحال فى اعياد موالد الاولياء والمشايخ اليوم . وكانت تتيح الفرصة لمشاركة البلاد والقرى المجاورة بالعيد والعمل على التبادل التجارى والترابط الاجتماعى بينها .

اذا رجعنا الى العادات والتقاليد الغريبة التى يتمسك بها الناس فى اعياد الموالد الحالية والتى ليس لها علاقة بالعادات والتقاليد الاسلامية نفسها نجد أن ليس هناك تفسير الا انها استمرار لآثار الماضى البعيد . فمواكب مشايخ الموالد ومشايخ الطرق وما نراه فى مختلف الموالد الحالية ما هو الا صورة من موكب فرعون أو الكاهن الاكبر وهو يمتطى فرسه أو يحمل على محفة قابضا فى يده على صولجانه أو سيفه أو علم المعبود يحيط به مريدوه واتباعه يرتلون الاناشيد على ضربات الدفوف يحيط بهم حملة المباخر وحاملو المقدسات واقامة حلقات الرقص الجنائزى على انغام دقات الطبول وايقاع الناى والتى لا تختلف كثيرا عن حلقات الذكر الحالية. كما أن الكثير من التقاليد التى تبدو شاذة ومميزة لمنطقة من المناطق لو حاولنا الوصول الى جذورها لوجدنا انها ترتبط اصلا بتقليد مماثل ارتبط

يطقوس عقيــــدة معبد معين بنفس المنطقة ٠

من أبرز الامثلة اللافتة للنظر ما يشاهده زوار مولد ولى من اولياء الله الصالحين بالاقصر وهو مولد سيدى ابى الحجاج بمسجده المقام بمعبد الاقصر فوق اطلال أحد معابد آمون حيث يخرج الناس فى موكب تقليدى بين التهليل وأناشيد الدعاء، على أن الغريب فى هذا الموكب أن يكــون فيه زورق مازال يحمل على عربة تمشى فى مقدمة الموكب وتطوف بالمدينة ثم يعــودون به ثانية الى المسجد حيث يحفظ فى فنائه حتى اذا حل موعد المولد « يدهن » الزورق ويزخرف استعدادا للموكب ٠

فذلك العيد وموكب الزورق ما هو الا استمرار وحفاظ على تقاليـــد الماضى الموروثة التى استمسك بها أهل طيبة الفرعونية القديمة فى عيد الاله آمون (عيد أوبت) الذى كان ينقل فيه زورق الاله آمون الى معبد الاقصر حيث يحمله الكهنة فى موكب مماثل ٠

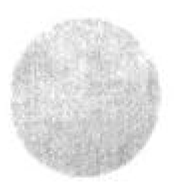
وهكذا نرى أن أعيــاد اليوم وتقاليدها ما هى الا امتــداد مصر القديمة فى مصر المعاصرة ـ تقاليـد وطبائع وعادات مصرية صميمة لم يطمسها اختلاف العصور ٠٠ ولاتغير العقيدة ٠٠ ولا تبدل الزمن ٠٠ ولا فسحة الدهر فى مشواره الطويل ٠



مناجاة

أحمد عبداللطيف بدر

« مجاوبة للأبيات الصافية الصاعدة الى السماء فى دعاء الشاعر المحلق الأستاذ صالح جودت والتى نشرت فى العدد الماضى مستنجدا بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم »



لىَ حبيبٌ قد كساه الله ثوبا مِنْ حياءِ
صحّ قلبا ، وضميرا بيْن تقديس الإخاءِ
صابر النفس بإيمـــان ، وراضٍ بالقضاء

***

شعره الروحىّ يشدو بالتناجى .. للسماءِ
والتناغى فى مُلاغاةِ التصبىّ .. والفناءِ
دُرَّه الألاّقُ يزهو بيْن أطيافٍ وضـاءِ
مِنْ خيالاتٍ ترامتْ حالياتٍ .. بالصفاء

***

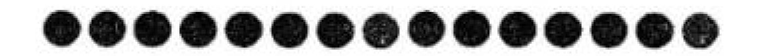
قد تغنّى للرســـول ... وهو خير الأنبياء
بابتهـــالٍ فيـــه نورٌ قد تجلّى بالدعاء
والتناجى بيْن همْسٍ عن رجاء .. الأولياءِ
لى حبيبٌ فى « لندن » ليس ينأى بالتنائى
حاضرٌ بالقلب شادٍ بالأمانى فى اللقــاء !

د. صلاح
عدس

سنحاول هنا تقديم قراءة جديدة لشعر ابن زيدون فى ضوء المفاهيم الحديثة للشعر ومن خلال المناهج النقدية المعاصرة وخاصة المنهج النفسى ، باعتبار الشعر انعكاسا لذات الاديب وتصويرا لتجاربه الوجدانية ، وسنقصر حديثنا عل شعره العاطفى باعتباره أكثر صدقا والتصاقا بحياة صاحبه ، وخاصة انتاجه الشعرى الذى عبر فيه عن تجربته مع الشاعرة « ولادة بنت المستكفى» فقد كانت هذه التجربة عميقة الاثر فى حياته وشعره بحيث اضفت عل الجو النفسى لانتاجه الشعرى ظلالا متباينة واضحة وانغاما وجدانية متعددة ...

قراءة جديدة لشعر





يمكننا القول على وجه العموم أن قصائد الشاعر فى مجموعها يسودها جو نفسى خاص ويشيع فى هذا الجو النفسى انغام وجدانية معينة ، وتنشأ هذه الانغام بتأثير الصورة الشعرية التى يسوقها الشاعر تعبيرا عن تجربته الوجدانية .. اى أن الصورة الشعرية فى مجموعها هى التى تشكل الانغام الوجدانية ، وهذه الانغام بدورها هى التى تشكل الجو النفسى لانتاج الشاعر

وبناء على هذا المفهوم يمكننا ان نقسم شعر ابن زيدون العاطفى الى مرحلتين المرحلة الاولى وتمثلها اشعاره فى « قرطبة » قبل أن يدخل السجن وقبل أن تسوء علاقته مع « ولادة بنت المستكفى » حيث كان الحب والوصال هو النغمة الرئيسية فى تلك المرحلة والصور الشعرية السائدة فى شعره انذاك تعبر عن اللذة والفرحة بالوصل.

اما المرحلة الثانية فتمثلها اشعاره بعد خروجه من السجن ثم رحيله الى « اشبيليه » حيث كانت علاقته مع « ولادة » قد ساءت الى حد اليأس ، ونجد النغمة الرئيسية السائدة فى شعره انذاك هى نغمة الهجر والبعاد

ومايستلزمها من صور شعرية تعكس الاحساس بالعذاب والحرمان والتأرجح بين اليأس والرجاء - ولعل اعظم قصائده فى تلك المرحلة الثانية هى « نونيته » الشهيرة التى مطلعها :

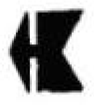
اضحى التنائى بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

والان نستطيع ان نتبين العلاقة بين حياة شاعرنا وانتاجه الشعرى وبالتالى مدى اهمية التعرض لسيرته الذاتية مما يجرنا الى الحديث عن حياته ، فقد ولد شاعرنا فى عام ٣٩٤ هـ ومات فى عام ٤٦٣ هـ اى انه ظهر فى القرن الخامس الهجرى فى عصر ملوك الطوائف الذين قسموا الاندلس الى امارات متعددة واستقل كل منهم بامارته بعد انهيار الدولة الاموية فى الاندلس ...

وكانت تلك الفترة بمثابة مرحلة ازدهار للحضارة الاسلامية هناك وذلك على الرغم من الصراعات الداخلية والحروب بين ملوك الطوائف انفسهم من جهة ، وبينهم وبين الغزاة الافرنج من جهة أخرى ...

وقد عاش شاعرنا حياته الاولى عند « بنى جهور » فى « قرطبة » حيث القصور والجوارى والثراء والترف والثقافة فقد كانت قرطبة انذاك بمثابة بغداد





كما صورتها « الف ليلة وليلة » ، ثم قضى الشاعر الشطر الثانى من حياته عند بنى عباد فى « اشبيلية » .

وقد كان شاعرنا كبير وزراء المعتضد وكبير مستشاريه كما كان استاذا وصديقا لابنه المعتمد فى اشبيلية وكان هذا حظه ايضا عند بنى جهور ...

هذا عن اشتغاله بالسياسة ...

اما عن حياته الخاصة فقد كان والده قاضيا وفقيها اهتم بتثقيف شاعرنا لكنه مات وهو لايزال فى الحادية عشرة من عمره فاستمر فى تثقيفه جده لامه تلك الام التى ظل متعلقا بها حتى فى شبابه لانه كان طفلها الوحيد .

ومن ذلك يتضح ان اساتذة ابن زيدون هم بالدرجة الاولى والده ثم جده لانه تربى فى مكتبتيهما ، ثم من بعد ذلك « ابو بكر بن مسلم بن افلح النحوى » الذى وجه اليه شاعرنا رسالته البكرية يستغيث به فى محنته ايام السجن ...

اما اصدقاء ابن زيدون فهم ثلاثة : القاضى « ابن ذكوان » والامير « ابو الوليد بن جهور » والوزير « ابو عامر بن عبدوس » .

اما « ابو الوليد بن جهور » فقد كان وليا للعهد ثم حاكما لقرطبة ، وقد ساعد شاعرنا فى الفرار من سجنه وتوسط له لدى والده ليعفو عنه ، وفى ذلك يقول ابن حيان : « والقى نفسه يومئذ على ابى الوليد بن جهور فى حياة والده ابى الحزم فتشفع له وانتشله من نكبته وصيره فى صنائعه ولما ولى الامر بعد والده نوه به واسنى خطته وقدمه فى الذين اصطنعهم لدولته واوسع راتبه وجلله كرامة » ...

اما ابن عبدوس فقد كان ينافسه فى حب « ولادة » ولذا انقلبت الصداقة بينهما الى عداوة مما كان له اثر فى الزج بابن زيدون فى السجن ...

ولعل ذلك يفسر لنا ما كتبه ابن زيدون فى « رسالته الهزلية » التى يسخر فيها من ابن عبدوس وما كتبه فى رسالته الجدية وهو بالسجن يذكر ابن جهور بما بذله لتاييد ملكه والاشادة به من قبل .

وكان ابن جهور قبل ذلك قد كافأ شاعرنا وولاه وزارته ، وفى ذلك يقول المستشرق « نيكلسون » فى كتابه « التاريخ الادبى للعرب » ان ابن زيدون اصبح وكيلا موثوقا به لابن جهور كما عينه ايضا سفيرا له فنجح فى ذلك تماما . وفى ذلك يقول « ابن بسام » فى كتابه « الذخيرة » « وتولى السفارة بينه وبين الرؤساء فأحسن التصرف » ولكن ما سر انقلاب تلك العلاقة بينهما الى الحد الذى صوره ابن زيدون فى رسالته البكرية عن عذابه فى السجن ؟ ...

لعل السبب هو طموح ابن زيدون الى ما هو اكبر من منصبه السياسى ومحاولة الملوك الاخرين اجتذابه مما اثار غضب ابن جهور ، هذا الى جانب دسائس الحاقدين والمنافسين وعلى رأسهم ابن عبدوس ، فقد كانت القصور انذاك تعيش فى جو من المكائد فدسوا عليه ابياتا من الشعر

فيها هجاء لابن جهور واتهموه كذبا باغتصاب بعض العقار ، واودع فى السجن دون أن يترك له فرصة الدفاع عن نفسه .

هذا عن حكاية سجنه ، أما حكايته مع « ولادة » فقد كانت أميرة بارعة الجمال عالية الثقافة شديدة الظرف والذكاء وكانت تقيم صالونا أدبيا يجتمع فيه رجال الفكر والادب . وقد عشقها كثيرون وعلى رأسهم « ابن زيدون » ، و « ابن عبدوس » و « عبد الله بن القلاس » .

أما عبد الله بن القلاس فقد هدده وأنذره شاعرنا فآثر السلامة وانسحب من حياة « ولادة » حين قال له ابن زيدون :

اصخ لمقالتى واسمع	وخذ فيما ترى او دع
ولا تك مثل تلك الدار	بالمرأى ولا المسمع

بل تمادى ابن زيدون فقال له انه نال من ولادة كل شيء وانه لن ينال هو منها الا فتات المائدة :

ولا تطع التى تغويك فهى لغيهم اطوع
فان قصارك الدعليز حيث سواك فى المضجع

وقد كان لشعر ابن زيدون فى التحريض بولادة اثر فى هجرها له وهجائها اياه واقترابها من ابن عبدوس نكاية فيه..

ونجد ابن زيدون بعد هروبه من سجنه يختفى بقرطبة ويوفد الى حبيبته الرسل لاستعطافها واعادة العلاقات بينهما ، دون جدوى ... وفى ذلك يقول المستشرق « أوجست كور » : « انه كان يود اقناع ولادة بالسفر معه الى اشبيليه ، لكنه سافر اليها وحيدا يحمل فى قلبه جرحا عميقا ظل يعبر عنه فى المرحلة الثانية من شعره التى سادتها نغمة الهجر وصور العذاب والالم واليأس كما سبق أن قلنا ...

وقبل رحيل شاعرنا الى اشبيليه كان قد قضى بعض الوقت فى قرطبة حيث صعد نجمه ثانية فى عهد صديقه أبى الوليد بن جهور الذى راح يرسله فى سفارات عديدة كى يلتئم جرحه لكنه اطال اقامته عند سفارته الى « مالقه » عند « ادريس الثانى » مما أغضب ابا الوليد بن جهور ، وحدثت جفوة بينه وبين شاعرنا فرحل الى اشبيلية حيث أكرمه بنو عباد .

واخيرا عاد شاعرنا فى شيخوخته الى قرطبه بعد ان غزاها المعتمد بن عباد لكنه عاد ثانية الى اشبيلية فى مهمة لاطفاء فتنة نشبت فى بدايتها بين مسلم ويهودى وهناك مات شاعرنا فى السبعين من عمره .

وقد استطاع أن يصور تلك الحياة الحافلة فى شعره وأن يعكس تجربته فى صدق ورقة وبساطة وحرارة فلنستمع الى أبياته التى يخاطب فيها « ولادة » قائلا :

أنى اضيع عهدك	ام كيف اخلف وعدك
وقد رأتك الامانى	رضا فلم تتعدك
يا ليت ما لك عندى	من الهوى لى عندك
فطال ليلك بعدى	كطول ليلى بعدك
سلنى حياتى اهبها	فلست أملك ردك
الدهر عبدى لما	اصبحت فى الحب عبدك

ابن زيدون

وقد قلنـــا ان المرحلة الاولى من شعره تتميز بنغمة رئيسية هى نغمة الوصال وما يتفرع عنها من صـــور شعرية تعبر عن فرحة اللقـــاء ولذة القرب والوصل ، وقد عكســت تلك المرحلة علاقته مع ولادة قبل دخـوله السجن ، وقبل أن ينقلب الوصـــل الى عذاب وهجر ...

ومن امثلة شـعره فى تلك المرحلة قوله :

فرشفت الرضـاب اعذب رشــف ... وهصرت القضـــيب العطف هصر
ونعمنـا بلف جسـم بجسـم ... للتصافى وقـــرع ثغر بثغـر

فلنقارن تلك الصور الشـعرية التى تعكس لذة الوصال بالصـور الشعرية التى يوردها شاعرنا فى قصـــيدته النونية وهى من قصائد المرحلة الثانية التى تسـودها نغمة الهجر والقطيعة والجفاء اذ يقول :

ياجنة الخلد ابدلنا بسـدرتها ... والكوثـر العذب زقوما وغسـلينا

فهنا نلمح صـور العذاب والحرمان واليأس اذ يقول :

ان كان قد عز فى الدنيـا اللقـاء ... ففى مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

فالشاعر هنا قد يئس تماما من استعادة حب « ولادة » بعد أن راح يستعطفها مؤكدا حبه ووفاءه قائلا :

لاتحسـبوا نأيكم عنا يغيـرنا ... اذ طالما غير النـاى المحبينـا
والله ما طلبت اهواؤنا بـدلا ... عنكم ولا انصرفت عنكم امانينـا

فلم يعد يتغنى فى شعره بلف جسم بجسم وقرع ثغر بثغر وانما يتحاشى حتى مجرد ذكر اسـم حبيبته ولادة اذ يقول :

لسنا نسـميك اجـلالا وتكرمة ... فقـدرك المعتلى عن ذاك يغنينـا

وراح شـاعرنا يكتفى باسترجاع ذكرياته الجميلة معها قائلا :

اذ جانب العيش طلق من تألفنـا ... ومربع اللهو صاف من تصافينـا
واذ هصرنا فنون الوصـل دانية ... قطافها فجنينـا منه ماشـينا
ليسـق عهدكم عهـد السرور فما ... كنتم لارواحنـا الا رياحينـا

ثم يفيق الشاعر من ذكرياته ليصطدم بالواقع الاليم واقع الهجـر والعذاب والحرمـان ، فنراه لا يطمع فى لقاء حبيبتـه وانما يرضى بمجرد طيفهـا وبمجرد كلمة ترد بها على توسـلاته فيقول فى نهاية قصيدته تلك :

ابكى وفاء وان لم تبـذلى صـلة ... فالطيف يقنعنـا والذكـر يكفينـا
وفى الجواب متاع أن شـفعت به ... بيض الايادى التى مازلت تولينـا

كانت هذه بعض الصور الشـعرية التى تكون فى مجمـوعها الانغـام الوجدانية التى تميز شعر ابن زيـدون سواء فى المرحلة الاولى التى تسودها نغمة الوصال او فى المرحلة الثـانية التى تسـودها نغمة القطيعة والجفاء والهجر ، وكل هذه الانغام تشكل الجو النفسى لانتاج شاعرنا وتعكس بالتـالى حياته وتجربته الوجدانية ولعلنا بذلك العرض السريع لحياته وشـعره نكون قد حاولنا قراءة شعر ابن زيدون قراءة جديدة فى ضوء المفاهيم الشـعرية الحديثة .

المستشرقون

والدراسات العربية والإسلامية

على درب الاهتمام بالاستشراق والمستشرقين، عقد المؤتمر السابع للمستشرقين المختصين بالدراسات العربية والاسلامية فى مدينة جوتنجن بالمانيا الاتحادية فى عام ١٩٧٤ ودعى لهذا المؤتمر عدد كبير من العلماء يناهز المائة والعشرين، قام من بينهم سبعة واربعون عالما بالقاء بحوث أعدوها، وكان الموضوع الرئيسى هو « نقل علوم الاوائل الى الحضارة الاسلامية »، وقد كثرت البحوث التى تتناول الفلسفة والطب والحيوان والفلك، ومن امثلة ذلك بحث عن « ما رد به نصير الدين الطوسى على الشهرستانى فى نقده لابن سينا » للاستاذ ولفرد مادلونج من جامعة شيكاغو، وبحث عن « أثر الفكر السياسى الفارسى فى مسألة الخلافة » للاستاذ شبولر من جامعة هامبورج.

وقد تناولت المحاضرات التى القيت فى المؤتمر موضوع الدين بصفة عامة والتصوف الاسلامى بصفة خاصة، فكان هناك بحثان فى « الجهاد » وبحث « الارجاء » ورابع فى تطور لفظة « الفلاة » ودلالتها، وخامس فى مكانة « القراء » فى صدر الاسلام.

وقد تناول الاستاذ حامد الغار من جامعة بركلى الحديث عن « الذكر الجهرى والذكر الخفى » فى الطريقة النقشبندية، وتحدث الاستاذ بالوين من جامعة ليدن بهولنده عن النظرات الاخلاقية لدى شاه ولى الله بهلوى، وقدم الاستاذ دى يونج من جامعة ليدن بحثاً عن « المشايخ البكرية وتحول سلطانهم فى مصر الحديثة ».

وتناول المؤتمر من خلال دراساته وبحوثه، الدراسات المتصلة بالادب الحديث وكان من ابرزها واكثرها اقناعا البحث الذى القاه الاستاذ بيير كاكيا من جامعة أدنبره حول « القصة الشعرية فى الادب الشعبى المصرى »..

وقد رافق هذه المحاضرات تسجيلات صوتية لنماذج من تلك القصص، كما القى الضوء فى هذا المؤتمر على قضية فلسطين من خلال بعض النماذج الادبية المترجمة وقد كانت البحوث تلقى باللغة الالمانية أو الانجليزية أو الفرنسية ...

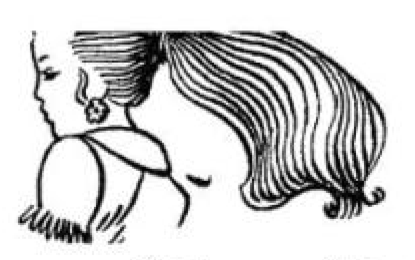
ومن الظواهر المفيدة لهذه المؤتمرات ضرورة تواجد العلماء العرب، وان يكون التعاون وثيقا بين الباحثين الشرقيين عامة وبين المستشرقين من اجل مناقشة القضايا الجوهرية التى تهم الطرفين خدمة للدراسات العربية والاسلامية على أسس علمية واضحة حتى لا يحدث اى نوع من الاخطاء او الانحراف الفكرى فى تناول اى من القضايا التى يتناولها المستشرقون ويضفون عليها من افكارهم من وجهة نظر واحدة ..

إبراهيم عيسى

رسالتها

«بعثت اليه برسالتها الاخيرة تقول ...»

من خلف زجاج الشباكِ
مازلتُ هنالك أنتظرُ
ويطيلُ معي قلبي الباكي
وتململَ في عيني النظر
أنا أعرف أنكَ لن ترجعْ
فهواكَ تحول عن دربي
وأراك بقلبي في مخدعْ
تتلو معها شعرَ الحبِ
وتقول لها تنفسُ القصة
عن شوقٍ عربدَ في صدركْ
وتقوم تراقصها رقصة
وتجوع النارُ على ثغركْ
فتذوبُ نهما في أحلامِ
كتيدِ شفاهٍ ورديه
والليلُ مراهقُ أوهامِ
لا يبقى في الحبِ عصيه



ويُجَنُّ الوهمُ فأستسلمْ
لأصابعِ ألمٍ مجنونه
تعتصرُ القلبَ ولا ترْحَمْ
رُبّانا يغرق بسفينه
وتَدُقُّ بصدري أصداءُ
لليالٍ كانت دنيانا
والشوقُ بجفني غناءُ
أسقيه وِداداً وحنانا
وأهمُّ أثرثر عن شوقي
لكن تسكتني شفتاكا
ويتوهُ على شفتي نُطقي
ويغيبُ وجودي إلاّكا
.. ومضَيْتَ .. وخلّفْتَ هوَاكا
نجماً بسمائي يتَلأْلأ
فرَجَعْتُ أُلَمْلِمُ ذكراكا
يا وَيْلَ فؤادي يا وَيْله
أنا أعرفُ أنّكَ لن ترجعْ
لكنّي خلف الشباكِ
مازلتُ أحملق .. أتطلّعْ
ويَظِلُّ معي قلبي الباكي



الجديد في المكتبة الغربية

محمد حسن

حملات التبرير !

الكتاب : حياتي

المؤلف : جولدا مائير

مذكـــرات – او ذكريات – جولدا مائير ، رئيسة وزراء اسرائيل السابقة واخر ما يسمى بالحرس القديم والمراة التى سماها دافيد بن جوريون «الرجل الوحيد فى وزارتى » ، والتى عاصرت – واشتركت – فى صنع اهم الاحداث فى بلادها ، كان من المنتظر ان تلقى اضواء قوية على كثير من الاحداث التى مرت بأهم حقبة من حياة بلادها، ولكنها ، شأن كل صهيونى ، اغفلت من الحقائق الكثير ، وقلبت الكثير ، ولونت الكثير ... وصـــمتت عن الكثير !

ولم تنس مائير وهى تـــروى ذكرياتها ، نغمة الصهيونية المفضلة: نغمة الشعب المسكين ، المضـطهد ، المعذب وهى النغمة التى طالما استدرت بها عطف العـــالم ، وبرعت مائير نفسها فى تحويل هـــذا العطف الى ثروة طـــائلة ، تدفقت فى شرايين اسرائيل الاقتصادية ، وبعثت فيهـــا الحيـــاة .. ومن الواضـــح ان التعصب الصـــــــهيونى الاعمى قد حجب عنها رؤية وجهـــة النظر العربية ، وهو عيب ضخم فى قائدة دولة اقيمت على أرض عربية ، وسط جيران عرب .. ومائير تروى قصـــة المذابح والاهوال التى عاناها اليهود على يد عدد كبير من الشعوب، ولكنها تنسى أن الشعب العربى لم يكن فى وقت من الاوقات من بين هـــذه الشعوب ، وتنسى كذلك المذابح الرهيبة والاهوال التى عاناها الشعب العربى الفلسطينى على يد أبناء جلدتها من اليهود ، وكان لجولدا مائير نفسهـــا اليد الطولى فى هذه المذابح ، ولكنها لا تستحى أن تقول : « كلما قـــرأت أو سمعت عن العرب الذين « يدعون » اننا نعاملهم بمنتهى القسوة ، يغلى الدم فى عروقى » !

لم يغل الدم فى عروق جولدامائير لمذابح كفر ، مسقط رأسها ، وكيف كان أول ما وعته أن « كل من حولى خائفون ... يغلقون الابواب والنوافذ بمتاريس خشـــبية .. أبى – وكان نجارا – كان يدق المسامير فى الباب

حتى لا يقتحم البيت وتحدث مذبحة .. هذه المذابح التى لا تحدث الا لليهود فقط لانهم يهود » .. ولم يزل الدم فى عروقها وهى سيدة ناضجة لمذابح النازية فى المانيا وبولندا وغيرها من دول اوروبا – وان استثمرتها فى جمع المال بلا حساب .. وانما غلى الدم فى عروقها لشعور من استضافوها وقومها الذين فروا من الظلم والمذابح ، بالظلم لسلب هؤلاء اليهود لاراضيهم وممتلكاتهم ووطنهم وقتل ابنائهم .

حقا ان هذا المنطق المعوج هو الذى يجعل الدم يغلى فى العروق !

ومن المذكرات يبرز تعصب جولدا مائير الاعمى لكل ما هو يهودى ، قبل ان تقابل البابا بولس السادس ، رمز المسيحية ، قالت لمساعديها : « تصوروا ... انا ، ابنة النجار موشى مابوفيتش ، ساذهب لأرى البابا » ، فرد هؤلاء قائلين : « لا تنسى ان للنجارين مركزا خاصا هناك » – وهو اشارة واضحة ليوسف النجار ... وبعد اللقاء قالت : « لقد ذكرنى بمظالم المسيحيين ضد شعبنا » ! ..

وليس ادل على هذه القحة من تصورها لعلاقة اليهود بالله ، حين تقول : « اليهود لم يختارهم الله شعبا ، هم الذين اختاروه .. ومن ثم فهم اول شعب فى التاريخ قام بعمل ثورى حقا » !

ونعود الى طفولة جولدا مابوفيتش : لقد هاجرت من مسقط راسها كييف ، هربا من المذابح ، الى مدينة بنسك ، حيث عاشت اسرتها فى فقر وذل وحرمان ، وكان الجوع مسببا فى موت خمسة من اخوتها ، واشتغال امها مرضعة لدى احدى الاسر الموسرة ، لتقيم اود اسرتها ..

وكان الفقر سببا مباشرا فى هجرة ابيها الى بلاد الذهب : امريكا .

وفى مدارس الولايات المتحدة تعلمت جولدا الانجليزية ، الى جانب العبرية « لغة يهود اوربا » والعبرية التى ظلت بعد ذلك تتحدثها بلكنة .

وكانت جولدا تتمنى ان تصبح مدرسة ولكن الصهيونية اجتذبتها ودفعتها الى الهجرة الى فلسطين سنة ١٩٢١ ، لتقوم بدور نشط فى الحركة الصهيونية ، وهو النشاط الذى قادها بعد ذلك الى زعامة بلادها ..

.. وان افقدها زوجها موريس مايرسون ، الذى قابلته قبل الهجرة الى فلسطين وتزوجته ، والذى كان اقل من عروسه حماسا للصهيونية .. وهكذا تحطم الزواج على صخور الدعوة الصهيونية ، فبقى الابن والابنة مع جولدا ، واختفى موريس فى ظلال التاريخ ، ثم مات مقهورا فى تل ابيب سنة ١٩٥١ . وواضح من الترجمة ان رجال الاسرة اشباح باهتة ، اما النساء فيبرزون فى دور الرواد .

بعد الطلاق تخلصت جولدا ايضا من اسم زوجها مايرسون ، واتخذت الاسم العبرى مئير – اى المضيئة – « باصر » من دافيد بن جوريون ، وانغمست فى العمل السياسى .. بعد ذلك اصبحت اول سفيرة لاسرائيل فى موسكو .. وفى هذه الفترة حدثت الفضيحة التى رواها الكاتب الامريكى – اليهودى – ليف تافروزوف ، فى مجلة كنترى ، وقال ان جولدا سلمت لستالين ، ما بين عامى ١٩٤٨ و١٩٤٩ ، قائمة باسماء يهود الاتحاد السوفيتى

الجديد فى المكتبة الغربية

الموالين لاسرائيل ، والذين يرغبون فى التطوع دفاعا عنها ، فسلم سنتالين هذه القائمة الى اجهزة الامن السوفييتية ، وعلى اثر ذلك « اختفى » جميع المتطوعين اليهود .

جولدا طبعا لم تورد هذه الفضيحة فى ذكرياتها ، بل لقد غضبت لفضح هذا السر الخطير ، فرفعت قضية تطالب فيها ليف بتعويض قدره ثلاثة ملايين دولار .. والقضية لا تزال معروضة امام القضاء الامريكى ، والكاتب يصر على صحة الواقعة ، ويستشهد بسبع من وثائق وزارة الخارجية الاسرائيلية !

بعد ذلك برزت جولدا كوزيرة عمل فى وزارة بن جوريون ، ثم وزيرة خارجية ، ثم رئيسة وزراء لمدة خمس سنوات ، ارتكبت فى ختامها اكبر خطأ فى حياتها ، وحاولت تبريره بشتى المعاذير .. والمقصود طبعا هو حرب يوم كيبور ، او حرب يوم الغفران .. او حرب رمضان سنة ١٩٧٣ . لقد تعللت جولدا بان موشى ديان ، وزير الدفاع ، وحاييم بارليف ، ودافيد اليعازر ، رئيس الاركان ، ومدير مخابراتها ، « وقد بعثوا فى نفس الاطمئنان ازاء الاستعدادات التى كانت تجرى على الجانب العربى » .. اما الان فاننا اعلم انه كان ينبغى ان اتغلب على ترددى واستجيب لتحذيرات قلبى ، بان اصدر امرا « بالتعبئة العامة » .

وقالت جولدا انها لن تنسى ذلك ابدا ..

ورغم تبجح جولدا . ومحاولتها قلب الحقائق ، وتصوير الهزيمة نصرا ، فانها فى بعض المواقع تعترف .. فى الساعات الحرجة التى تلت تهديداتها بسحق المصريين والسوريين ، فجأة وجدت جيشها بلا دبابات ولا طائرات ولا ذخيرة .. وكان لا بد من سلاح جديد : هذا بدت مسعورة تطلب ذلك من سفيرها فى واشنطن ، فى كل ساعات الليل والنهار . وفى احدى المرات قال لها سفيرها : « اننا فى الساعة الثالثة صباحا ، ولا استطيع ان اوقظ احدا الان » ، فكان ردها : « لا يهمنى كم تكون الساعة ، ان الموت يأكل جنودنا ، ان كل ساعة تأخير تكلفنا الكثير جدا .. ايقظهم جميعا » !

وتروى جولدا مائير كيف بكت عندما وصلت اولى طائرات الجسر الجوى ..

وتنسى نفسها فى الرواية ، فتقول : « كانت حالتنا النفسية سيئة جدا .. لم تكن الصدمة فى فى الطريقة التى يحاربوننا بها ، ولكن لان عددا من المعتقدات الاساسية التى امنا بها قد انهارت امامنا : لقد امنا باستحالة وقوع حرب فى شهر اكتوبر ، وامنا باننا سوف نتلقى انذارا مبكرا بكل تحركاتهم قبل نشوب الحرب ، ثم امنا ايمانا مطلقا بقدرتنا التامة على منع المصريين من عبور قناة السويس

•• شىء لا يمكن وصفه ، يكفى ان اقول اننى لم استطع ان ابكى ،وكنت اقضى معظـــم الوقت فى مكتبى ، واحيانا اذهب الى غرفة العمليات ، وكانت هناك اجتماعات متواصلة ، وتليفونات من امريكا •• والاخبار مروعة من الجبهة ، وخسائرنا كانت تمزق قلبى » !

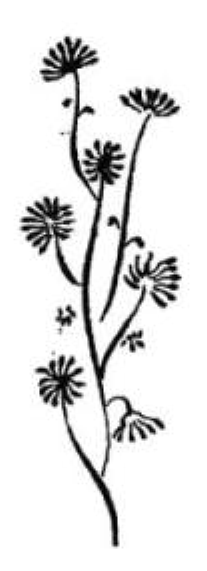
وفى الكتاب تروى جولدا اراءها فى بعض زعماء العالم : كيندى طفل كبير ، دالاس رجل بارد تستبد به سياسة حافة الحرب التى صنعها ، حتى بن جوريون قالت انه « اصعب انسان صادفته فى حياتى »، وليس الرجل الذى يمكن للانسان ان يثق به ، وموشى ديان : كانت اخطــاؤه مثل فضائله •• كثيرة !

وواضح من الكتاب ان مائير ، وهى فى السابعة والسبعين ، قــد فقدت القدرة على التقييم الموضوعى، او كما قالوا فى بلادها : سيدة فى السابعة والسبعين لا ينبغى ان تقود دولة فى الثلاثين •• فهى تنفى عن نفســها التهم التى رماها بهــا خصومها ، كالتعصــب الذى تصفه بانه « تشنيعة ممن لا يعجبون بى » .

•• ثم تعود فتقول فى موضع اخر، ان تعصــبها وعدم مرونتها يكونان فقط فيما يمس صالح اسرائيل • وهى تهاجم من يتهمونها بالتصلب وعدم استشارة الغير ، ثم تعود فتعترف فى مكان آخر بأن « الانسان الوحيد الذى استشيره هو نفسى » •• وهى تعالج الكثير من الامور الحســاسة بتحفظ واضح ، وربما كان التحفظ راجعا الى الكارثة التى اختتمت بها حياتها السياسية ، والتى سجلتها بقولها : « لا شىء اقسى على النفس من كتابة ما حدث فى اكتوبر ســنة ١٩٧٣ ، فلم يكن حدثا عســكريا رهيبا فقط ، وانما كان مأســاة عاشت ، وســوف تعيش معى حتى أموت » !

بطلة مغمورة !
الكتاب : اديث كافيل
المؤلف : رولاند رايدر

بعض الناس يخلده التاريخ لمجرد وجوده فى المكان المناســب ، فى الوقت المناسب •• وليس لاية ميزة او موهبة خاصة • واديث كافيل ، الممرضة البريطانية التى ســاعدت اسرى الحلفــاء فى الحرب العالمية الاولى على الهرب من أسر الالمان ، من هؤلاء ••• ومن ثم وجد المؤلف صعوبة شــديدة فى كتابة ترجمة حياتها ، لان حياتهالم تكن غير عادية قبل الحوادث الاسطورية التى لعبت



دور البطولة فيها أثناء الحرب العالمية الاولى وفى بضعة أشهر انتهت بالقبض عليها ومحاكمتها ، واعدامها على يد الالمان فى بلجيكا !

لقد وجد المؤلف أن أعمالها البطولية كانت راجعة الى الظروف التى وجدت فيها ، لا الى أى دافع آخر : الظروف التى وضعتها على رأس هيئة التمريض بمستشفى فى بلجيكا المحتلة ، حينما أرسلت لها احدى فرق المقاومة السرية اثنين من الجنود البريطانيين الجرحى فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ .. بعدذلك وجدت ايث نفسها حلقة فى سلسلة حلقات تعمل على تهريب جنود الحلفاء عبر الحدود ، حيث عاد عدد كبير منهم الى الحرب مرة أخرى

حتى تلك اللحظة من شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ ، كانت سنى حياتها التسع والاربعين شيئا عاديا ، حاول المؤلف أن يجد فيه شيئا من الاثارة عبثا : الطفولة فى نورفولك الصبا فى مجموعة من المدارس الداخلية الانجليزية ، الحياة البورجوازية فى القارة الاوروبية كمربية بريطانية ، ثم الالتحاق بمدرسة التمريض بمستشفى لندن .. خلال كل هذا تظل البطلة مجرد شخصية باهتة ، من خلال شهادات معاصريها المتناقضة ، ومن خلال بحوث المؤلف الشخصية المستفيضة وجهوده المضنية ، التى لم تقده الا الى حادث اقتلاع العاصفة لشجرة بلوط كان من المفروض أن تتناول تحتها الشاى ... ولا شىء بعد ذلك اطلاقا مما يعد ارهاصا لبطولة قادمة !

ومع ذلك فان شجاعة الممرضة كافيل خلال العمليات السرية وحتى وفاتها رميا بالرصاص يوم ١٢ من اكتوبر سنة ١٩١٥ ، كانت لا تقبل الشك . ولكن من أين أتت هذه الموهبة ، وما هى الظروف التى نمت هذه الشجاعة ومهدت لها فى ماضى حياتها ... لاشىء !

وحتى دفاعها أمام المحكمة بأن ما يفعله الجنود بعد عبور الحدود لم يكن يعنيها فى شىء ، أى تركيزها على الجانب الانسانى الذى قد يبرئها من تهمة « امداد العدو بالمقاتلين » ، لا يعنى شيئا سوى شهادة نفس بريئة ...

ويحاول المؤلف ان يسد الثغرات فى قصة حياة الممرضة البطله بالفاظ مثل « اعتقد » و « قد يكون » ولكن ما اغفله المؤلف ليس هو مجرد شجاعة البطله ، بل انسانيتها بلا حدود ووطنيتها التى جعلتها أسطورة لدى مواطنيها والعالم ، الامر الذى جعل بلادها ترفعها الى مرتبة القديسين ، وتنقل جثمانها الى كاتدرائية نورويتش قرب المدينة التى ولدت فيها ...

في العدد القادم

- الرجال يعرفون من أصواتهم (قصة)
- الشعر الحلمنتيشى (قصيدة جديدة)
- نحن وسكان الكواكب الاخرى قراءة علمية
- د . طه حسين شاعرا



هدية العدد صورة د. أحمد زكي أبو شادي

● ولد بحي عابدين بالقاهرة في ٩ من فبراير عام ١٨٨٢، وتلقى تعليمه في المدارس المصرية. وقد مكنته البيئة الادبية التي عاش فيها من قرض الشعر في سن مبكرة. وفي مجالس والده الادبية تعرف على شوقي وحافظ ومطران. وقد تبناه مطران كأحد تلاميذه.

● ورث عن أبيه حب الادب والاعجاب بالادباء، فكان ذا حاسة أدبية رقيقة وموهبة شعرية متميزة.

● لم يكد يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى فكر في اصدار مجلة قصصية هي « حدائق الظاهر » مستمدا اسمها من اسم جريدة أبيه « الظاهر » وذلك في سنة ١٩٠٨.

● رحل أبو شادي الى انجلترا عام ١٩١٢ لدراسة الطب، وبعد أن حصل على اجازة الطب تخصص في « البكتريولوجيا » وتحول الى دراسة علم تربية النحل، وهناك أسس نادي النحل الدولي. كما لم يفته أن ينشىء جمعية آداب اللغة العربية.

● عاد احمد زكي أبو شادي الى مصر عام ١٩٢٢، وعاود دعوته الى التجديد في الشعر وفي التحرر من التقاليد التي تحجرت والمحافظة على وحدة القصيدة...

● واجهت دعوته حربا شديدة من الشعراء المحافظين، ولم تسلم أشعاره من هجوم أنصار التجديد الذين ضمتهم مدرسة الديوان والتي تزعمها العقاد والمازني.

● أقام مجلة أبوللو سنة ١٩٣٢ لسان ومنبر جماعة أبوللو، وكانت حدثا فكريا في ذلك الوقت، حيث اجتمعت فيها أقلام كانت الحزبية العمياء تفرقها، فائتلفت وتوحدت تحت راية « أبوللو ».

● كان أبو شادي شاعرا صادق العاطفة رقيق الاحساس، ولقد مكنته حياته في انجلترا وأمريكا من الوقوف على التيارات الفكرية المعاصرة فتأثر بها وارتشف منها وتحمس لها. وقد رحل بعد ذلك مهاجرا الى أمريكا في عام ١٩٤٦ بعد أن لاقى الاضطهاد من السلطة وقتذاك بسبب آرائه الجريئة في محاربة الفساد السياسي والثورة على الاقطاع.

● عاش حياته في غربته يكافح كفاحا مريرا من اجل حياة كريمة، واشتغل بالادب والنقد وكتب وألف في قضايا فكرية متعددة ونظم الشعر بالعربية والانجليزية، وأسس جمعية هي « رابطة منيرفا » وفي هذه الاثناء اختير عضوا في لجنة حقوق الانسان.

● لقد ظل أبو شادي طوال حياته يحارب الظلم والفساد الى ان تحقق ذلك الحلم وهو بعيد عن وطنه، فقامت الثورة وأصبحت مصر جمهورية حرة.

● صعدت روحه الطاهرة الى ربها بعيدا عن وطنه في اليوم الثاني عشر من ابريل ١٩٥٥ في واشنطن بأمريكا .. لقد باع أبو شادي كل ما يملك في حياته الطويلة الممتدة ما عدا كرامته وانسانيته وقلمه؟

سألتُه ... ثم عُدت أسأله — هل بات شيءٌ لديه تبذله ؟
أجابني — والجراحُ عاتبةٌ — الروض أقوى وجف جدوله
وتلك أيامنا .. يُجلّلها — من العذابات ما يجلّله
مصارع الطير كيف تنكرها — ومقتل الورد كيف تجهله ؟

***

أجبْتُ : ما إن جهلتُه أبدا — لكنه الوهم — ساء مُدخله
أتى ببُرد الربيع متشحاً — تدق باب الخريف أنمله
فأوقد الوجد في منى شهقت — تكاد تحت الرماد تشعله
ألحَّ داعي الهوى على ر متقى — وراح — في لهفة — يُعلّله
أدركت ياقلبُ سوء موقفنا — فكل ما تشتكيه أحمله
لكنه الحسنُ لايزال رؤى — فيها متاعُ الفتى ومقتله
وطارقُ اليوم — بالمحبة — كلٌ عيون المنى تقبّله
ماضرّ لو بكر الزمان به — والعمر يرضى الحسانَ أوله
أيامَ أزكى الهوى بروضتنا — رحيق كرم الصبا وسلسله

محمود العتريس

وجيب

على شراع الضياء تحمله		وفي ضفاف العبير تنزله
فهكذا كان شأننا زمنا		ما تشتهيه المنى نحصله

***

أجابني ـ والجراح ساخرة ـ		وكاهن الحب هيف هيكله
وبات في معبد الهوى شبحا		مضللا بالصبا .. مضلله
لولا تراتيله التي بقيت		تثير قلب الدجى وتشغله
ملاوة من زماننا صبوتنا		لما تزل بالجمال توصله

***

أجبت : أصدقت فجرنا كذب		وضوءه زائف تهلله
وخمرنا في دنانها سقمت		وروضنا الشيخ بح بلبله

***

لكن .. اذا جاءني الربيع غدا		تدق باب الخريف أنمله
فقد أراني ـ برغم محنتنا ـ		سألته ... ثم عدت أسأله





محمد محمود
رضوان

إبراهيم المصري

في عيده الماسي

■ ملحمة كفاح من أجل الفكر والثقافة



يعد إبراهيم المصري من أبرز كتابنا الجادين الذين قدموا عطاء ثريا في أدب القصة القصيرة ، وأدب السير والتراجم ، وأدب المقالة الصحفية ، وأدب الاجتماع وأدب الدراسات النسوية ، وأدب المسرح ..

وقد ظل يقدم نتاجه الخصب النفيس منذ أكثر من نصف قرن ، في صمت المجاهدين وصبر المؤمنين برسالتهم السامية الرفيعة ، كما كان أحد المفكرين الذين حملوا مشعل الثقافة والفكر ، وارتاد بأدبه وفكره دروبا كانت غريبة مجهولة في مجتمعنا الأدبي .

فما أحرانا ، ونحن نحتفل بعيده الماسي ، أن نقدم تجربة كاتبنا الكبير من أجل الثقافة والفكر فهي ملحمة فريدة تستحق أن تروى لتعطي زادا ثريا لشبابنا الطامح للأدب والثقافة والفكر .

.. واستغرقه حب الأدب

ولد ابراهيم المصري في أسرة فقيرة بحي الظاهر في القاهرة في ٢٤ سبتمبر عام ١٩٠٠ ، وتلقى تعليمه في معاهد فرنسية وتدرج يدرس في إخلاص وجد للحصول على شهادة الكفاءة ، وفي تلك الحقبة كان حب الأدب قد ملك عليه نفسه ، وقد حببه في الأدب ميل أبيه الى قراءة الشعر العربي وشغفه به ، فاتجه ابراهيم صوب الأدب العربي ثم الى الأدب الفرنسي يعب منهما في نهم ....

واستغرقه حب الأدب وضاق بمواد الدراسة المقررة ، وسبح في مؤلفات بلزاك وستندال وزولا وفولبير وهيجو - ينهل منها حتى لقد ترك الدراسة ، وآثر أن ينطلق مع أرباب الفكر وقادة الأدب في عوالمهم الساحرة الفاتنة !

ولم تقتصر مطالعات ابراهيم

المصرى فى تلك الحقبة على الادب الفرنسى فحسب ، بل اتجه شطر الادب الروسى والادب الانجليزى ، فقرأ أعمال ديستوفسكى وتشيكوف وتولستوى ، وقرأ أعمال شكسبير وديكنز وويلز وغيرهم .

المأساة الاولى !

وفى حياة كاتبنا عدة مآس فاجعة أوقدت عبقريته وأمدت أدبه بالصدق والحرارة ..

كانت أسرة ابراهيم المصرى فقيرة كما ذكرنا ، وكان والده المسن فى حاجة الى عون،فبدأ ابراهيميبحثعن وظيفة يعينه دخلها على مواجهة أعباء الحياة لتلك الاسرة ، واخيرا نجح فى العثور على وظيفة فى البنك العقارى المصرى ، ولكن حبه للادب واستغراقه فيه شغله عن أعباء وظيفته فقد كان يمعن فى مطالعة الكتب الادبية والقصص وكتب الاجتماع والتاريخ والفلسفة . وكان يصحب بعض هذه الكتب الى مقر عمله فى البنك وينهمك فى قراءتها حتى ضبطه رئيسه وهو مشغول بالمطالعة عن العمل ، فثار عليه ثورة عارمة وطرده فى نفس اليوم.

وعندئذ بدأ الحياة طريدا .. ولكنه أبى أن يعيش عالة على أهله وهم فى أشد الحاجة الى العون ، فكان يزاول بعض أعمال بسيطة ليعول نفسه .. وهكذا لبث شريدا نحو ثلاث سنوات، لم يتوقف خلالها عن تثقيف نفسه ، فكان يغشى دار الكتب منذ الساعة الثامنة صباحا ويظل فيها حتى الظهر ثم يغادرها كى يتناول ما يسد رمقه ثم يسرع مرة أخرى بالعودة فى الساعة الرابعة ويظل فى الدار حتى تغلق أبوابها فى الساعة الثامنة مساء .

فى عالم المسرح !

ذات يوم شاهد ابراهيم المصرى مسرحية « أوديب الملك » يمثلها الفنان الكبير جورج أبيض ، فأثارت اعجابه ، فأسرع الى منزله وعكف على كتابة مسرحية تاريخية سماها «السجين المظلوم» ثم هرع الى جورج أبيض وقرأها عليه فانفجر الرجل ضاحكا وقال له :

ـ يابنى ..انت مازلت صغيرا..!

وربت على كتفه ليهدىء انفعاله وقال له :

ـ انني ساعرفك بممثل اديب هو الذي يمكنه أن يهديك ويرشدك الى كتابة المسرحيات على وجهها الصحيح

وعرفه الفنان الكبير جورج أبيض بالممثل الاديب فؤاد سليم .. وكان ممثلا وأديبا وشاعرا ، فصحبه الى بيته فى شارع محمد على حيث أمده بمجموعة كبيرة من روائع المسرحيات الفرنسية التى كانت تنشر فى مجلة « الليوستراسيون » .

واخذ ابراهيم يطالع تلك المسرحيات بشغف ، واجتذبه الادب المسرحى فاعتزم أن يكتب شيئا يمكن أن تكون له قيمة ، واخيرا انجز تأليف أول مسرحية مصرية هيمسرحية

« الانانية » التى مثلت على مسرح رمسيس عقب افتتاحه .. واتبعها بمسرحية « الفريسة » .. ثم وضع مسرحية « نحو النور » ، ولكن

اسماعيل صدقى الذى كان رئيسا للوزراء عندئذ أمر بمنع تمثيلها لما اشتملت عليه من افكار اشتراكيةتدعو

لانصاف العامل والفلاح ، فنشرها كاتبنا فى كتابه المشهور « الفكر والعالم » .

الطاقة الكامنة فى الاعماق

وفى غضون ذلك كان ابراهيم بلا وظيفة ولا دخل ثابت ، فظل فى

ابراهيم المصري في عيده الماسي

حياته البائسة يتارجح بين « قهوة الفن » بشارع عماد الدين ، وبيوت أصدقائه ، والتسكع في الطرقات ..

وكم كان يحز في نفسه أن يشعر بكل هذا العناء وهو الاديب المرهف يحس بتلك الطاقة الهائلة الكامنة في أعماقه ..

وكان له شقيق شاب يعمل مدرسا في احدى المدارس الفرنسية بالقاهرة فأصيب فجأة بمرض عضال ، ومات في منتصف العام الدراسي . وكان هذا الاخ اثيرا عند ابراهيم ...

وكانت صدمة مروعة هزت كاتبنا هزا عنيفا فانطوى على نفسه يبكي شقيقه أحر البكاء ..

في تلك اللحظة الفاجعة جاءه مدير المدرسة ورجاه أن يحل محل أخيه الراحل .. ولبث يعمل في هذه المدرسة سبع سنوات كاملة محاولا أن ينسى الادب ليعيش !

ولكنه – وعلى الرغم منه – عاد للادب وشرع في ساعات فراغه يكتب المقالات والدراسات الادبية ويبعث بها الى مجلة البلاغ الاسبوعية وصحيفة البلاغ اليومية ، فاعجب صاحبها الاستاذ عبد القادر حمزة بكتاباته ، فكان ينشرها تباعا ولكن دون مقابل

ورغم حرمان ابراهيم المصري وحاجته الملحة الى نقود ، فقد مكنته هذه الفرصة من أن يؤكد مواهبه الادبية ، وأن يحقق بعض اماله ، فعبث براسه النشوة ، فترك العمل في المدرسة وهو شبه مذهول لا يدري الى اين يذهب وباي عمل يأخذ واي طريق يمكنه أن يسلك ليعيش .. لم يكن يدري لماذا فعل هذا ، ولكنه كان يشعر أن ثمة شيئا خفيا اقوى منه هو الذي يدفعه ويحفزه .

ومرة أخرى عاد الى حياة التشرد والحرمان ..

عاد الى « قهوة رمسيس » ينتظر رحمة الله ...

وفي ذات يوم قابله أحد محرري البلاغ وأنباه بأن صاحب الجريدة يعرض عليه العمل فيها . وكانت فرحته طاغية عندما رحب به الاستاذ عبدالقادر حمزة رئيس التحرير والحقه بهيئة تحرير البلاغ عام ١٩٢٠ .

وأمضى ابراهيم المصري في البلاغ عشر سنوات ، كان يكتب خلالها بحوثا ادبية ومقالات اجتماعية ونقدا مسرحيا وسينمائيا ودراسات تحليلية عن المرأة ونفسيتها وطبيعتها .

وفي تلك الفترة أصدر أربعة كتب في مختلف الاتجاهات ادبية واجتماعية وفنية ، وهذه الكتب هي : « الادب الحي » و « صوت الجيل » و « وحي العصر » و « الفكر والعالم » وأحدثت هذه الكتب ضجة كبيرة في الاوساط المستنيرة عندنا ، وكانت من الاعمال التي مهدت للنهضة الفكرية والادبية المعاصرة .

وشجعه هذا النجاح على التفكير في وثبة أخرى يرضي بها طموحه ، فاتصل بدار الهلال وكان مديرها يتابع نشاطه ويعجب به ، فعينه رئيسا لتحرير « الهلال الشهرية » ولم يكتف ابراهيم بهذا بل أصدر بنفسه مجلة بعنوان « الادب الحي » ثم تولى رئاسة تحرير « مجلة الاسبوع » بالاضافة الى عمله في دار الهلال .

وفجأة أرهقه هذا الجهد المتواصل فسقط ذات يوم صريعا وقد انهارت أعصابه مما اضطره الى اعتزال

العمل وملازمة الفراش .

وكان في خلال ذلك لا يستطيع ان يقرأ او يكتب ، وكان كلما حاول ذلك يحس كأن خوذة من حديد تطوق رأسه ، وكأن مطارق تدق على صدغيه لتعذب عذابا شديدا .

ولكنه تجلد واحتمل ... وجد انه كان لا بد ان يعيش ، ولا بد ان ينفق فاضطر الى بيع مكتبته الكبيرة التي كانت تزخر بمئات الكتب ، كما اضطر الى أن يبيع اثاث بيته وينام على سرير من « الجريد » .. ودامت هذه المأساة اربع سنوات كاملة .. ولكن الارادة الجبارة التي كانت لاتزال تضطرم في نفس كاتبنا عاونته على الصبر على هذه الكارثة ومجاهدتها والتغلب عليها .

وبالفعل انتصر ابراهيم ، وقهر المرض، واستطاع ان يقبل على الحياة بجسد موفور الصحة والنشاط وبروح فتية وقوية صهرتها المحن ، ثم عاد الى دار الهلال .

وعندما انشئت دار اخبار اليوم

عبد القادر حمزة



(عام ١٩٤٤) ، التحق بها وانتقل نشاطه فيها .

وظل يكتب المقالات الادبية والبحوث الاجتماعية والدراسات النفسية المتميزة بالعمق والجاذبية ، وكذلك القصص المصرية القصيرة التي فتح بها فتحا جديدا في عالم التحليل النفسي الذي لم يكن معروفا انذاك في الفن القصصي عندنا ..

تجربته مع الحياة !

ويلخص لنا كاتبنا الكبير تجربته مع الحياة وفلسفته فيها بعد جهاد متواصل وصبر دائب حتى حقق امله المنشود ، فيقول :

« ان حياتي بمختلف مراحلها كانت مسددة نحو غاية تلهبها الارادة وتجربتي مع الحياة كانت تجربة ارادة .. ولو أن ارادتي لم تكن حية متوثبة دائمة الاتقاد لما استطعت أن احقق شيئا من احلامي .

« وانا لا ازعم انني حققت كل ما احلم به ، ولكني ما انفك الاحق حلمي الكبير ومثلي الاعلى بنفس الارادة ونفس الثبات ونفس الامل .

« على انه ليست العبرة في ان يحقق الانسان بارادته المعجزات بل العبرة كل العبرة في ان يحقق بارادته اقصى ما يستطيع » !

***

هذه لمحات من تجربة ابراهيم المصري وكفاحه الضني الفريد من اجل الثقافة والفكر حتى اصبح اليوم علما من اعلام فكرنا العربي ورائدا من رواد ادبنا الحديث .

وان حياة هذا الكاتب الكبير لتعتبر حافزا لابنائنا الشباب على الاخلاص للفكر ، والامعان في طلب التثقف ، ومجاهدة الحياة ، والثبات على المبدأ ثباتا فيه قيمة الاديب الحق ، وفيه فوق ذلك قيمة الانسان ..



سبع دعوات في العام الجديد ..
ص ١٤٥

الـهـلال..

● نصر الدين عبد اللطيف ●

● عبله سرور ، مهندسة ـ الاسكندرية .

ـ لمثل عدد الأسباب التي ذكرتها في رسالتك ، ومن باب الذوق ـ فانا لا أتحمس عادة لمعارك الاشتباك « الادبى » .. مع سيدة أو انسة ... ولا حتى مع واحد يتخفى كتابة وراء اسم سيدة أو انسة ! ..

وبدلا من ان تتعبى نفسك في نظم عشرة اسطر كالشعر تعارضين بها وتقلدين ما جاء في مقالى الثالث من حلقات « شيء من الشعر وقليل من النقد » ـ فقد كان أولى بك أن تكتبي شيئا من مبتكراتك ! .. وكان أولى لك أن تضعى يدك على خطأ في عروض الشعر في نفس المقال ! ..

لكنك لم تكتبى جديدا ! ..

ولم تعرفى في المقال ذلك الخطأ العروضى ! .. ولن تعرفيه .. واتحداك أن تعرفيه ! ..

● نعيم يوسف زكى ـ سان ستيفانو :

ـ مع ألف سلامة ... ولن أتمنى لك طيب الاقامة هناك ، ففى عاصمة الذوق والنور ـ باريس ـ لا بد أن تطيب الاقامة ! ..

ولا ضرورة لان تحلف الفلسوف تكتب لى كثيرا ، فان اسلوب كتابتك في رسالتك ـ لا يشجع ! أحسن لك ولى من تعب الكتابة ، أن تذهب بعد الوصول بالسلامة ، الى وكالة الصحافة ـ ٥ شارع بيراميد ، في باريس ، وتطلب لى الكتاب الجديد الذى قدموه في نشرتهم الادبية ، عن « الافواه الملتهبة » لعاشق البراكين ، الكاتب والسينمائي الفرنسى « هـ. ترزييف » ، والذى ربطته بالبراكين مودة وعشرة طوال ربع قرن من الزمان ، في مختلف بلدان العالم ثم أثمرت هذه المودة ذلك الكتاب الحديث المزود بأندر الصور ،

والحافل بكنوز ممتعة من المعرفة، ورصيد خبرته ومشاهداته للبراكين في الشيلي ، واندونيسيا ، واليابان ، وايطاليا ، وافريقيا التي شاهد فيها منذ ربع قرن انفجار بركان كان يبدو خامدا مستغرقا في النوم ، فكان ذلك المشهد بداية قصة الغرام المثير في حياة عاشق البراكين ! ..

● مصطفى رجب _ شطوره :

ـ تقول ، ويصرف النظر عن الكدمات اللغوية واصابات انعدام الوزن فيما تقول :

« لاني شاعر ضائع ، مهمته اختيار الكلمة الصعبة
« فيقلبها ، ويقلبها ، ويعدلها فتصبح سهلة سهلة » !
« ... وينبت في حقول القرية البرسيم، والنعناع ، والرجله آ ،
« لاني شاعر ضائع مهمته « الركوض » وراء القافله ....
« يحاورها ... يداورها ... يناورها
« يغيرها ... يحيرها ... يسيرها ...
« يسويها ... » الخ ، الخ ! ..

صدقني انه ليس عندنا « وسائل اخرى » كما تقول في رسالتك ولا « مواصفات خاصة لمن ننشر لهم ! .. كل ما عندنا أن الجيد ينشر ، والموهبة تشجع ، والردىء يرفض ، والشتيمة ـ وذلك اجتهادى الشخصى ! ـ الشتيمة الواحدة بعشر امثالها !

● فوزى حسيب أحمد _ العجوزة :

ـ كثيرون ، مثل سيادتك ، يغيظني ظنهم بي انني اعرف كل شىء عن كل شىء ! ...

انا والله طالب علم لا ازال خيبان ، حالم ، يعشق الموسيقى ويعيش في بيت حزين ! ... لا تثر شجون حديث يطول ! .. المهم ، بالنسبة لسؤالك ، انني لا أعرف عن الاسلوب التلغرافى اكثر من انه الكلام الواضح والموجز ، والمركز ... ولا أعرف عن « اشارات « مورس » التلغرافية » اكثر من أن مخترعها هو صموئيل مورس ... وأنه قبل اختراع هذه الاشارات كان يحب الرسم هواية وعملا ... وأن طبيبا مشهورا زاره يوما ، فاطلعه على صورة من رسمه يعتز بها ويعتبرها من ابدع ما رسم ، وتأمل الطبيب الصورة طويلا ، فاغتبط لذلك مورس ، ثم ساله : « ما رأيك يادكتور ؟ » فرفع الطبيب نظارته عن عينيه وقال لمورس : « أعتقد انه ضحية الملاريا » ! ..

● س . سعيد احمد _ المنيرة :

ـ ليس الميل الى الفكاهة والسخرية عيبا ، في الاديب ولا المتأدب ... وعندك ـ وانت درعمية ـ الكثير مما يصلح لرسائل جامعية في هذا المجال ففي الأدب العربي القديم تجدين رسائل كبيرة القيمة في الفكاهة من اشهرها « الرسالة الهزلية »

مع قراء الهلال

لابن زيـــدون ، و « مثـــالب الوزيرين » لابى حيان التوحيدى، وكذلك الرسالة الشــهيرة فى الســـخرية والفكاهة « التربيع والتدوير » للجاحظ ، وقد كان الجاحظ كاتبا فائق المقدرة على السخرية والاضــحاك ، بارع الذكاء فى لحاته ولدعاته ، وفى كتابه العظيم « البيان والتبيين » يروى انه : قيل لاعرابى : ما اسم المرق عنـــدكم ؟ .. فقـــال :« السخين » .. قيل له : فمـــا اسمه اذا برد ؟ .. قال الاعرابى: نحن لا نتركه حتى يبرد !!

● نجيبة كـــال فروح ـ المنصورة :

ـ اغرب او الطف ـ او همـــا معـــا اغرب والطف ـ كتـــاب صدر فى عام ١٩٧٥ لم اقرؤه ولكنى قرأت عنه ... صدر فى باريس بعنوان « كتـــاب الارقام القياسية » ، يشـتمل على اكثر من خمسة الاف انتصار لتسجيل « رقم قياسى » فى مختلف مجالات حيـــاة العصر ... ابتداء من الكتب التى سجلت ارقاما قياسية فى الرواج وكذلك القصـــص البوليســـية ... الى اعلى رقم قياسى لدرجة الحـــرارة فى اوربا ... الى اعلى رقم قياسى لاطول قبلة فى فيلم سينمائى امريكى ، وبالمناســبة كان طول مدة هــذه القبلة ١٠٨ ثانية) ! ..

مختارات واسماء
فى بريد الشعراء ..

● من مقطوعة رحلة الليل والقمر ، كتبتهـــا س . س . كلية الزراعة :

ويمضى القطار ... ويعلو ، ويهبط
وانفاس قلبى ، وانفاسه ... تشتعل ، تحترق !
حبيبى !.. جعودتنا يوم رحلتنا الماضيه ...
ويمضى القطار بنا ، والمقاعد من حولنا خاليه ...
تمر بنا ، او نمر بها ، حقول من الخضرة الزاهيه
وتهفو اليدان ... للمس الحنان ،
وتلتقيان ... لقاء العناق الطويل !

● من « زيارة الى الوطن » لـــ : سلامة عبد الكريم ابو عيد ـ قطاع غزه :

ياطيور الروض هيا تهجر الكوخ العتيق ...
وتزور القدس صبحا كسجين بعد أن صار طليق
فبلادى اليوم فجر مشرق فى الافق لاح
وبلادى اليوم فوق الحزن تعلو والجراح ...

● مقتطفات من مقطوعة « لا تعشقى » لـــ : احمد مرتضى عزت ـ اداب الاسكندرية :

لا تصمتي ...
فالأرض ام الهيجان
والعصر قطعة ستيان
تدق عظم العابرين الصامتين
هذا السحاب تنام في جفنيه اطفال الرعود
تنتظر الوقت الولود ...
حتى المطر ... لا تصمتي ... فلتنطقي !

● من قصيدة « أحزان المساء » لـ : مصطفى بيومي - كلية الاعلام ، القاهرة :

كم سجننا نعيد الحزن الدفين
بين عينيها ، وتستجدي الدموع ...
مولع أنت بأن تهوى الأنين
قد شكت من حزنك الطاغي الضلوع ! ..
... انكريني عندما يأتي المساء
واسألي الأنجم عن حالي تجيب
رافعا رأسي أناجيها : السماء
جف دمعي فارحمي قلبي الكئيب

● محمد توفيق شلبي ـ المحلة الكبرى : كل سنة وانت طيب ● ماجد ابو شادي ـ طنطا : خيرها في غيرها ... ● ممدوح نجيب ـ علوم ، أسيوط : لابد لكل لشاعر من الالمام بأوزان الشعر ● نوار بوحلاسة ـ جامعة قسنطينة ، الجزائر : انتظر قصيدتك « انتظار » في أعدادنا القادمة ● يعقوب محمد ابوجراد ـ عين شمس : « الصديقان وسم الافعى » طويلة جدا ، والخط رديء ، مكتوب باهمال ، وذلك سبب الاهمال ... ● عادل كامل فهمي الراهب : اللعوب غير جديرة بالحب ، والقصيدة غير صالحة للنشر ! ● عمار جحيدر ـ جامعة الازهر : « كوميديا الاقدار » « لا بأس » وفات أوان نشرها ● حسن محمد علي سوهاج : وجزاء تهنئة تهنئة مثلها ... ● سمير فخري حسن حسنين ـ علوم أسيوط : معرفة أسماء البحور ليست شرطا لا بد منه ، المهم الوزن، والقصيدتان يعيبهما اخطاء لغوية فادحة ووزن لا يستقيم ... ● يوسف شحاته ـ ههيا ، شرقيه : بالامل والعلم والتجربة ، يصل كل مجتهد ● مدحت رمزي ـ القاهرة: و... بالنسبة لقصيدتك « سمراء » و « نصيحه » ـ فلأن الخط جميل ، والورق صقيل ، وعلامات العجب والاستفهام ، مرسومة تمام التمام ! ● د. محمد الحلبي ـ القاهرة : حرام عليك ... تريد أن يمتد نشاطنا هنا الى الافلام الاستعراضية أيضا !؟ مالي انا ومالها يادكتور !.. والله الموفق !

صح كراء الوئك



ردود سريعة :

● هاشم ابو الفتوح : المعنى والوزن والاداء فى مقطوعتك « الوان » - ممتاز ... نحن ، كما تعلم ، لاننشر نظما بالعامية ومرحبا بمحاولاتك الفصحى ...

● حمدى محمد عبد - كفر الشيخ : يسعدنى أن تكتب لى ، ما دمت لا تتعب من الكتابة !.. لابد من الالمام باوزان الشعر لمن يقول الشعر !.. « المساء » مقطوعتك الاخيرة ينقصها الوزن ، والطف ما اعجبني فيها ان « املك الوحيد » طلعت شاطره و « شرسه » وكنت كما تقول تظنها « قطة عمياء » !

● ع. ع. - معهد مكه العلمى - مكه : القصة الثالثة « قارئة الفنجان » - عاديه جدا ... والقصة الثانية « البرتقاله عادية فقط ! ... و « المدير يبحث حبا » القصة الاولى - عادية بامتياز !.. استمر فى محاولاتك الطيبة بحق والمبشرة ..

● ابو سريع حسن على عثمان - القاهرة : فى مطلع مقطوعتك « كبرياء » تقول :

بروقنى انك انت القيادى
يا محطمة إنجبار العناد !

وكنت أريد ان اسألك ما معنى « انجبار العناد » ، ثم اتضح لى أن لا ضرورة للسؤال لان « القصيدة » بعد هذا ، كلها من مثل هذا !..

● رضا عبد الرحمن هلال : المدهش انك فى اسلوبك النثرى جيد ومجيد ! .. أما شعرك فى هذه القصيدة بالذات ، فمن حسن الحظ ان المساحة هنا تضيق عن العرض والنقد ! .. وبما انك كما تقول فى رسالتك تحسدنى على الصدق ، فاننى بدورى احسدك على الشجاعة التى جعلتك تسمى هذه التركيبه من المعنى الهزيل، المعاد، والكلام المكسر - شعرا !..

● عصام امين وهبه - مثيل الروضه ●

● ن . سعيد المهدلى - سوسه ، تونس :

- عن الشاعر الايطالى الكبير الفائز بجائزة نوبل للاداب هذا العام « يوجينو مونتالى » قدمنا دراسة مركزة تعرف به وبادبه فى عدد هذا الشهر من « الزهور » ...

اما « بابلو نيرودا » الشاعر الشيلى العظيم فقد نشر عنه وترجم من شعره الكثير ... وبالنسبة لاخر مؤلفاته «مذكرات بابلو نيرودا» فانها ليست كما تظن سردا من المواقف والاحداث فى حياته بالمعنى التسجيلى ... وانما هى اقرب الى « ديوان ذكريات » يحفل باللقاءات بين المعارف والاحباء والشخصيات الرائعة ، وبما بقى من ابعد الاماكن فى طواف رحلة العمر ، واعمقها فى نفسه اثرا وسحرا ...

وهى - المذكرات - ليست شعرا كما يكون الشعر ، لكنها باسلوبها الشاعرى ، وبما تحمل من نفس الشاعر ونفسه تعطى اروع ما فى حياة خصبة مبدعة لشاعر وانسان عاش ملتحما بروح العصر ، وقضاياه ، وبالطبيعة والناس واهتمامات وهموم الشعوب!



... في الثلاثينات وخلال الرحلة والحياة فترة في اسبانيا ، اختار لمجلة شعرية جديدة تصدر هناك اسم « الحصان الاخضر » ، فاعترض صحاب له مطالبين بأن يكون الاسم الحصان الاحمر ، ولكن ـ يقول نيرودا ... : لم أغير لون الحصان ... لكننا لم نتخاصم ثمة في العالم أماكن للخيول جميعها ... وثمة شعراء من الوان قوس قزح كلها ! ... وفي لقاءات الصداقة تعرف بعبقرى اسبانيا « فيدريكو جارسيا لوركا » ... وكتب يقول عنه : « كان خلاصة اعمار اسبانيا وعهودها ... بؤرة الفرح التي تشع كالكواكب بسعادة الحياة ، تتاجا عربيا اندلسيا يضيء ويتضوع مثل ايكة ياسمين على مسرح اسبانيا ! ... »

و ... الحديث هنا طويل ، جميل ، ولعل أجمل مابقي منه ان نيرودا كان ، في شعره .. وفي ديوان ذكرياته ، مبتهجا ، جذلا .. وكان يرفض الدور المعهود للشعر ، ويبشر بميلاد شعر جديد ، فقد تغيرت الاشياء « لان العالم قد تغير ... ونحن الشعراء ... تراسنا ، فجاة ، تمرد الفرح ! »

● سمير أحمد النادي ـ القناطر :

ـ ... أنت أيضا ، كل عام وأنت ...

وللأمانه ، فان لي عند الله ، قبل تمنياتي الخاصة في العام الجديد ، سبع دعوات ... :

يارب ! ..

يا رب ، رقق على قلوبهم ـ اصدقاء باب « مع القراء » ... وابعدهم يا رب عن الاسئلة المتعبة ، والمعقدة ، والمطرية ! ..

يارب ! .. انهم يظنون انى « ابو العريف » اعرف كل شيء عن كل شيء ، ولا يعرفون ـ وانت تعرف ـ انني لا اعرف !

يارب ! .. يسألونى ـ ليس كلهم بالطبع وانما جلهم ! ـ اسئلة تطير العقل ... في معضلات فلسفيه ، وفي التصوف ، وعلوم الفضاء ، والحب ، والعروض والقوافي ، والسيبرناطيقا ، وهجائيات ابن الرومي !

يارب ! .. اهد كل من هوايته الشعر ، وكل متشاعر ، وشويعر ... حتى يقتصد في كم وحجم قصائده لي ... ويصبر حتى يجيء دوره في النشر أو الرد ... ولا يغضب من النقد ـ مادام هو السبب ! ـ مهما حصل !

يارب ! .. ماذا اقول وماذا افعل ، وفي بريد هذا الشهر وحده سبع رسائل تطاردني بالسؤال الذي حارت البرية فيه : « ما سر السعادة ؟ » وانا في حالة اشتباك مستمر مع الوجه الآخر للسعادة ! .. وباستثناء ما علمتني الكتب فانني لا اعلم عن السعادة واسرارها الا انهاالشيء لي يمكن أن تكون عنده انت ، يارب ـ بعد عمر قصير !

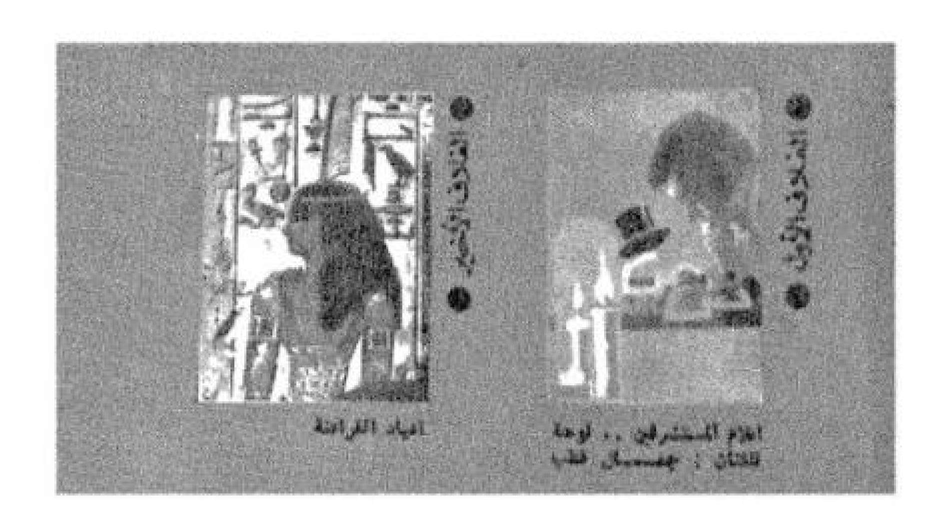
يارب ! .. وسع علينا صفحات اللقاء ... وبارك لنا « مع القراء » وحسن خطهم ... واجعلهم كلهم يختصرون ما يكتبون ، ويكتبون على صفحه ، وصفحه لا !!

يا مجيب ... امين !



كم ثملنا برشفة منك يا شعـ
ـر فصرنا روحا بلا اشباح
كم هناء كشفت بعد نضال
وجبين مسحت بعد كفاح
ورأينا من الحقائق ما عز
على كل باحث كداح
وقرأنا فى كل شىء رموزا
فوق طوق البيان والايضاح
ورسمنا بدائع الكون فى لوح
تعالى عن صفوة الالواح
وفهمنا لغى الطيور واصغينا
لهمس الغصون فى الادواح
ورأينا البروق تضحك فى الرو
ض فتهفو لها ثغور الاقاحى

● على الجارم ●



أحلام المستشرقين .. لوحة للفنان : جمال قطب

أعياد الفراعنة




الهلال
فهرست موضوعات الهلال
لعام ١٩٧٥
المرأة
في المجتمع
الإسلامي الأول
الهرم الأكبر:
بيت
النبوات

الهلال

صفر ١٣٩٦هـ
فبراير ١٩٧٦م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال - أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - العدد الثاني - السنة الرابعة والثمانون - أول فبراير ١٩٧٦ غرة صفر ١٣٩٦

رئيس مجلس الإدارة
فكري أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

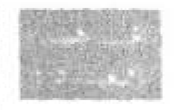
رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفني
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوي : ١٢٥ قرشا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والأسعار الموضحة بالبريد العادي - وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .
الإدارة : دار الهلال - ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »





عبد العزيز كامل د . وحيد رافت د . ابراهيم مدكور

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

الجهاد المؤمن

يا عطاءَ الروح من عند النبى
وعبيراً من ثنايا « يثرب »
يا ضياءَ الحرم الطهر الذى
يُشرقُ النورُ بمغنى الغيهب
قمْ وبشّرْ بالمساواةِ التى
ألفتْ بينَ قلوبِ العربِ
والاخاءِ الحقِّ والحبِّ الذى
وحّد الخطوَ لسيرِ الموكبِ
والجهاد المؤمنِ الحرِّ الذى
وصلَ الفتحَ به للمغربِ

صالح جودت

أمةٌ علَّمها حبُّ السماءْ
كيفَ تبني، ثم تعلو بالبناءْ
فمضَتْ ترفلُ في عزتها
وتباهي في طريقِ الكبرياء
بيدٍ توسِعُ في أرزاقِها
ويَدٍ تدفعُ كيدَ الأشقياءْ
سادَتْ الأيامَ لمَّا آمنَتْ
أنَّه بالقوةِ يَسمُو الأقوياءَ
فإذا استشهدَ منهم بَطَلٌ
كانتْ الجنَّةُ وعْدَ السعداء

د. عبد العزيز كامل

المرأة في المجتمع الإسلامي الأول

● لا نستطيع ان نبدأ دراسة المجتمع الاسلامي الاول ، دون أن نرجع الى جذوره المكية ،حيث الجماعة الاسلامية لا تسيطر على الارض ولا على نظام الحياة فيها ... نرجع لنركز على اضيق الدوائر التي تعاونت مع الرسول عليه الصلاة والسلام . وفي هذه الدائرة نركز النظر على اول من آمن .. ●

وهنا تبرز أمامنا شخصية أمنا خديجة زوج الرسول عندما جاءه الوحي في غار حراء وعاد اليها آمنت به وصدقت انه رسول من عند الله . وقالت له : والله لا يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

وتصحبه الى ابن عمها ورقة بن نوفل فيؤكد ورقة انه الوحي والرسالة وتبدو أمامنا صحيفة الاسلام الاولى: رجل يحمل الرسالة ، وأول من تؤمن به سيدة . ونعود مع التاريخ الى المسيحية .. نبي كريم يتكلم في المهد هو عيسى عليه السلام .

« قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا . (مريم ٣٠ - ٣٣) .

وتكون امه مريم اول من يؤمن به ... ومرة اخرى :

رجل يحمل الرسالة وأول من تؤمن به سيدة .

ونعود الى قصة موسى عليه السلام ، يقص علينا القرآن الكريم كيف رعته امه ، وعندما خافت عليه القته في اليم ، تتبعه عين اخته ، حتى وصل الى يد

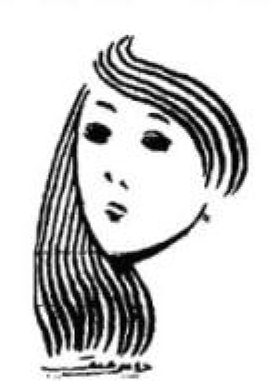
امه الثانية : امراة فرعون ليكون فى كفالتها حتى يبلغ اشده ويستوى .

ونسمع قول الله تعالى : « واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » (القصص ٧) .

ومرة اخرى نرى رجلا يحمل الرسالة واول من تؤمن به سيدة آمنت به حينما آمنت بوعد الله وبشارته « انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » .

قصة تتكرر فى النبوات الكبرى .. فى التوراة والانجيل والقرآن – مع موسى وعيسى ومحمد (ص) – تكون المرأة فيها أول المؤمنين ، وتقوم بدور كبير ، أما ، وزوجة .

ولو عدنا الى زاوية التربية والنشأة الاولى وجدنا دور آمنة بنت وهب ام نبينا محمد ، ومريم ام عيسى ، وام موسى ، عليهم وعلى جميع الانبياء صلاة وسلام – وجدنا الدور بارزا فى الرعاية والتربية كما رأيناه بارزا فى الايمان . ثم نجد المرأة مشاركة بعد هذا فى تحمل أعباء الدعوة والرسالة ونحن جميعا نعرف دور خديجة ومريم وام موسى فى هذا المجال . وبرزت هذه المسئولية فى مجال الاسرة كما كانت فى مجال المجتمع الكبير .



● فى مكة ●

وتسرى الدعوة الاسلامية من البيت الصغير الى المجتمع الكبير ، تسرى بعد ان امن البيت بمن فيه من بنين وبنات .

لقد مات ابناء النبى الذكور صغارا وعاشت له زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة . وآمن بنات الرسول بالاسلام ، وجاء مع الايمان التضحية وتحمل الايذاء ، فمن الرسالة ، كانت رقية وام كلثوم معقودا عليهما لعتبة وعتيبة ابنى « ابى لهب » عم الرسول ، وعندما جاء الاسلام حارب الرجل وزوجه الرسول حربا لا هوادة فيها . وأخذ الرجل وزوجه يضغطان على ابنيهما ليردا بنتى الرسول اليه حتى تشغله همومه عن هموم الدعوة الاسلامية .

ويرى الرسول الذى سبق له ان فقد ولديه – القاسم وعبد الله – صغيرين ، كيف تعود اليه ابنتاه بكل ما كان يحمل زواجهما من أمل فى سعادة وذرية يحسها كل اب وام .

ويأبى ابو العاص بن الربيع – زوج زينب – كبرى بنات الرسول وابن خالتها هالة – أن يطلق زوجه الحبيبة . ويقف معارضا قومه لا يلين . ولكنه لم يؤمن بالاسلام بعد ، وتعيش زينب وزوجها هذه المعاناة ، بين أب تحبه وتؤمن به ، وزوج تحبه وتحب له الايمان الذى لم ينفتح له قلبه بعد .

وتتزوج رقية من عثمان بن عفان . ولكن يعقب الزواج هجرة الى الحبشة واذا بالبيت النبوى وقد انشطر ، جزء فى مكة وجزء فى الحبشة ، وشاركت بعض المؤمنات فى هذه الهجرة .

وكان فى البيت من الذكور على بن ابى طالب – ابن عم الرسول – وهو أول من آمن من الصبيان ، ووقف الى جوار الرسول فى حياته حتى لقى

المــرأة

فى المجتمع الاسلامى الأول

ربه ، وشارك فى المسئولية بعده ، ثم حطها على طريق الحق حتى مات من أجلها شهيدا .. وفى البيت النبوى كان زيد بن حارثة ، ابن الرسول بالتبنى ، قبل أن يحرم الاسلام ذلك . وقد اختار حياته مع الرسول وآثره على أبيه عندما جاء الاب ليعيد زيدا الى قومه .

ولم تقتصر المعاناة على الجوانب العاطفية ، فلقد لقيت المرأة المسلمة من الاذى البدنى ما وصل الى التعذيب والقتل . كما حدث مع الصحابية الجليلة ، سمية أم عمار بن ياسر حينما جاءتها طعنة غادرة كافرة كانت بها أول شهيدة فى الاسلام .

وتحملت النساء مع الرجال والولدان مسئولية الحصار الاقتصادى ما بين العام السابع والعاشر للهجرة ... ثلاث سنوات من الجوع والعطش والحرمان عاشوها بقلوب عامرة بالايمان فوق بطون خاوية على اعواد زاوية ما خفضت الا لربها الجبين .

فى مكة اذن رأينا المرأة مؤمنة مهاجرة مجاهدة صابرة شهيدة .. مشاركة فى مسئولية الايمان مشاركة كاملة راضية .

وكما رأينا دور المرأة فى الهجرة الى الحبشة شريكة صابرة ، نراها فى الهجرة الى المدينة مشاركة فى التنظيم بالاضافة الى مسئولية الحياة فى الوطن الجديد .

ولقد تعاون فى الاعداد للهجرة افراد كانوا يمثلون المجتمع الجديد كله . ونركز القول هنا على دور المرأة فى الهجرة ...

● فى الهجرة ●

وفى هذا المجال يبرز اسمان:اسماء وعائشة ، بنتا أبى بكر الصديق ..

كانت اسماء حبلى متمه ، ومع هذا كانت تصعد الجبل الوعر الى الغار الذى أوى اليه الرسول وأبو بكر ثلاثة أيام تحمل اليهما طعامهما فى هدوء وكتمان لم تستطع أعين كفار قريش أن تدرك به دورها ... وكانت تعينها أختها عائشة فى اعداد الطعام ، فكان جانب من سر الهجرة وخطتها مع أسماء . تعرف مكان الغار وتذهب اليه بالطعام كل يوم .

وهى فى ذات الوقت متعاونة مع أخيها عبد الله بن أبى بكر ، وكان عليه أن يحمل أخبار مكة الى الغار فى تقرير يومى ومن بعدهما يمر عامر بن فهيرة مولى أبى بكر بأغنامه لتضييع آثار اقدامه هو وعبد الله بن أبى بكر .

فالامر اذن لم يكن مجرد احضار الطعام ، ولكن أمر تعاون وترابط بين ثلاثة افراد : سيدة ، وشاب ، وراع ترجع أصوله الى سلالة افريقية

وجاءت الهجرة معاناة قاسية فيها الايذاء والتفريق بين المرء وزوجه وولده ومصادرة التجارة والحبس والقيد .

ونكتفى هنا بنموذجين احدهما من أسرة النبى عليه الصلاة والسلام والثانى لسيدة كريمة شهدت هجرة الحبشة والمدينة ...

ولنبدأ ببيت النبوة اخذين النموذج من قصة زينب الكبرى .

● زينب الكبرى ●

كانت حياة زينب تجرى رتيبة هادئة ، زوجها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها ، لم تؤمن هى بالاسلام وبقى هو على دين قومه ، ويحاول

أهله معه أن يطلقها فيأبى ويعرضون عليه من يشاء من بنات قريش فلا يعدل بزينب أحدا . ويهاجر البيت النبوى وتبقى هى مع زوجها فى مكة .
ولنا أن نتصور هذه الوحدة التى خفف منها جنين تحمله زينب وهنا على وهن .

وتأتى غزوة بدر فى العام الثانى للهجرة ، ويخرج زوجها فى صفوف قريش مقاتلا ضد المسلمين الذين يقودهم رسول الله (ص) .
ما شعور أبى العاص بن الربيع ؟ وما شعور زينب ؟ وما شعور الرسول الاعظم والحاربين معه حينما يجدون زوج بنت الرسول فى صفوف الأعداء؟
وتنتهى المعركة وابو العاص بين الاسرى .
وتبعث زينب بفدائه
وما الفداء ؟

انه عقد امها خديجة ..
أيعرض العقد الغالى بين الغنائم بعد أن كان حلية جيد أم المؤمنين الاولى التى ما عدل بها الرسول احدا . والتى بذلت كل ما تملك من صحة ومال فى سبيل الله ؟
وينظر الرسول والذين معه الى العقد ، وتهيج فى نفسه الذكرى ويخاطب أصحابه قائلا : « ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا » .
ويذكرون خديجة امهم الاولى ويحيون العقد والاسير الى زينب .
ولكن ...
يكلف الرسول أبا العاص أن يبعث اليه بزينب فقد نزلت اية التحريم ولم تعد زينب تحل له من بعد أن ظل على دين قومه ...
ويعود أبو العاص الى مكة ليبعث بزينب وهى حبلى الى أبيها فى المدينة
ولكن ، هل تترك مكة زينب تخرج الى أبيها بعد ان شهد ميدان بدر من شهد من قتلى قريش ؟
أتعود بنت محمد الى أبيها وفى مكة من فيها من الارامل واليتامى والثارات ؟ لقد نسى القوم عدوانهم القاسى على الرسول والذين معه ، ولم يعودوا يذكرون الا ظعينة مسلمة عائدة الى أبيها ، رسول الاسلام . لم يذكروا الم فراقها عن زوجها ولا الم الحمل وطول السفر .

فليخرجوا بأضغانهم لايذاء زينب وهى بطريق الهجرة . وكان أبو العاص قد كلف كنانة بن الربيع بمرافقة زوجته ، ويفاجأ كنانة بالغدر مجسما يعترض طريقه . وتمتد يد « هبار بن الاسود » يروعها بالرمح ، وهو يذكر أخوة له ثلاثة صرعهم المسلمون فى بدر . وتسقط زينب عن ظهر بعيرها على صخرة ينزف دمها . وينثر كنانة سهامه ويتهيأ للدفاع عنها قائلا : « والله لا يدنو رجل الا وضعت فيه سهما » . وتعود الى البيت مريضة قد طرحت جنينها .

وتمضى فى مكة اياما تعود اليها فيها بعض عافيتها ويصحبها كنانة على الطريق حتى يسلمها الى زيد بن حارثة لتتابع الرحلة الى المدينة تاركة وراءها زوجها أبا العاص على الحب والوفاء حاملة معها صغيريها عليا وأمامة .
وفى المدينة تأبى زينب أن تتزوج .
وفى مكة يأبى أبو العاص أن يتزوج
وتمضى بعد هذا سنوات حتى يلتئم شمل الاسرة بعد أن صادر المسلمون فى العام السادس للهجرة قافلة لابى العاص بن الربيع ، فترك القافلة



المـــــرأة

فى المجتمع الإسلامى الأول

وسارع باللجوء الى المدينة ، فأجارته زينب ونسبته الى أبيهـــا ، ورد له تجارته بموافقة المسلمين ، فأعادها الى أصحابها بمكة وهناك – فى مكة – أعلن اسلامه بعد أن أبرأ ذمته ، ثم لحق بالمدينة والرســـول وأهله .. (سيرة ابن هشام ٢ : ٤٧٧ : ٤٨٣)

قصة لا تزال ترددها الاجيال فيهـا حياة أسرة قامــت على الحب وكان الايمان فيها عامل تفريق وتجميع ، حتى التقى الحب والايمان فى ختام المطاف وأجد فيها تفاعل الأسرة مع المجتمـع كأشد ما يكون التفاعل والدورالايجابى البناء الذى قام به كل من أبى العاص وزينب حتى التأم الشمل ..

ثم تودع زينب دنيانا الىجوار ربها فى مطلع العام الثامن للهجرة .

● أم سلمه ●

وهذه قصة أخرى عـرفت طريق الهجرة الى الحبشة ، وتحمل أفرادها الأب والأم والولد ألم الفــراق حتى جمعهم الاسلام فى المدينة .

كانت أم سلمة عريقة الابوين ذات جمال وذكـــاء أبوها قرشى مخزومى وأمها كنانية من بنى فراس وزوجهـــا أبو سلمه : عبد الله بن عبد الاسد بن المغيرة ابن عمة الرسول . برة بنت عبد المطلب .. وهو أخو الرسول من الرضاعة : أرضــعتهما ثويبة مولاة أبى لهب .

كانت أول من هاجر من النســاء الى الحبشة مع زوجها ، وهناك ولدت له ابنها سلمة .

وعـــادت الى مكة وتحـــلت من اضطهاد قريش ما تحمل المسلمون ، فعزم أبو سلمة على الخروج بهـــا وبولدهما الى المدينة .

ويراه رجال من بنى المغيرة – رهط أم سلمة ، فيثومون اليه قائلين :

هذه نفسك غلبتنا عليهـــا ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ ويلوون خطام البعير من يد أبى سلمة ، ويأخذون أم ســـلمة ، ويغضب بنو عبد الاسد – رهط أبى سلمة – ويهوون الى الصغير سلمة قائلين :

والله لا نترك ابننا عنـــدها إذا نزعتموها منصاحبنا ... ويتجاذبون الغلام حتى تنخلع يده .

ويتمزق شمل الاسرة ...

أبو سلمه فى طريقه الى المدينة

أم سلمة حبسها أهلها بنو المغيرة

سلمة يمضى به بنو عبد الاسد

كل فرد فى الأسرة – الرجل والمرأة والغلام – يحمل من الالم نصيبا .

وتخرج أم سلمة كل يوم تتفـــرد بأحزانها ، تبكى حتى تمسى . وتمضى سنة أو قريبا منها .

ويمربها رجل من بنى عمهـــا ، فيرى ما بها ، فيرحمها ويقول لقومها بنى المغيرة :

– ألا تخرجون هـــذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها . وما زال بهم حتى قالوا :

– الحقى بزوجك ان شئت ...

ورد عليها بنوعبد الاسد ولدها . ورحلت بعيرها . واتخذت طريقها الى المدينة حتى لحقت بزوجها فى رفقة طيبة . (سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢١: ٣٢٣) .

ودخلت المدينـــة فكانت أول ظعينة دخلتها ، كما كانت أول مهاجرة الى الحبشة . ولقد ابلى زوجها البلاء

الحسن مجاهداً الى جوار الرسول حتى لقى ربه ، ورأيت أم سلمة من بعده أن تتزوج من أبى بكر أو عمر ، ثم تزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام فكان لها الرأى الراجح والنصح الخالص ، مع الرسول ، وبقيت من بعده ، وكانت آخر أزواجه رحيلا من دنيانا ٠

أقف عند هذين النموذجين من النساء اللاتى شاركن فى صنع الحياة فى مكة وتابعن الجهد بعد هذا فى المدينة ، عاملات على مستوى الاسرة والمجتمع ٠

● من الفرد الى الدولة والحضارة

وإذا كانت مكة هى المجال الاسلامى الذى تكون فيه الافراد وبرز فيه تماسكهم فى جماعة ، فان المدينة كانت القاعدة التى تكونت فيها الدولة وظهرت فيها التخصصات بين الافراد رجالا ونساء ، وانطلق منها المسلمون



والمسلمات يكونون حضارة لها أصالتها وملامحها ، وافادتها من خير ما سبقها أو عاصرها ، واضافاتها الخصبة الى التراث الانسانى العالمى ٠

وإذا كان دور المرأة فى مكة مشاركة وتحملا نبيلا لمسئوليات الدعوة ٠ فلقد كان الاسلام وهو يعرض نفسه على مكة ومن حولها لا يوفر المجال فى هذه المرحلة لظهور وظائف المجتمع وتنوعها ، وبالتالى الى ظهور تخصصات فى هذه المجالات ٠

والاسرة فى المدينة غير ذلك ٠

لقد كان على من فيها أن يتابع تكوين الافراد ، وأن يضع قواعد الحياة فى الاسرة وينظم العلاقات الداخلية بين افرادها والخارجية مع المجتمع ، وهو فى تنظيم هذه العلاقات يعنى بها أفقيا ورأسيا ، بين أجيال الاسرة المتتابعة وأفراد الجيل الواحد ٠

وهو فى المجتمع يعنى بمجالات الحياة فيه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وعسكريا ، ولنحاول أن نتعرف على أبرز هذه الانشطة ودور المرأة فيها فى قاعدة الاسلام فى المدينة ٠

ولنحاول أن نأخذ لوحات من حياة المدينة لها ارتباطها بالافراد والاماكن والمناسبات ، وتعطى فى تكاملها طابع هذه الحياة الجديدة ومدى اسهام المرأة فى صناعتها ٠

● كرم الضيافة ●

ولنبدأ بكرم الضيافة ، وأعلى موقف الاسرة من ضيف يزورها :

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره الانصار وهو داخل

المـــرأة

فى المجتمع الإسلامى الأول

المدينة اول مرة بدعوة كل بيت الى ان يكون ضيفه ·

واقام رسول الله (ص) فى بيت أبى أيوب الانصارى ، حتى بنى له مسجده ومساكنه ، ولننظـــر ما يرويه ابن هشام عن ابن اسحاق عن هــــذه المعايشة :

يقول ابو ايوب :

لما نزل على رسول الله (ص) فى بيتى نزل فى السفل (اسفل البيت) وانا وام ايوب فى العلو ··· فقلت له : يا نبى الله بابى انت وامى ، انى لاكره واعظم ان اكون فوقك وتكون تحتى ، فاظهر انت فكن فى العلو ، وننزل نحن ونكون فى السفل ·

فقال : يا ابا ايوب : انه ارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت·

ويروى ابو ايوب بعض ما كان منه ومن زوجته الصالحة ام ايوب مـــع رسول الله (ص) فى يوم انكسر حب (وعاء) لهم فيه ماء ، فقمت انا وام ايوب بقطيفة لنا ، مالنا لحـــاف غيرها ، ننشف بها الماء ، تخوفا ان يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه · (سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٥ ـ ٣٤٦)

والطعام كانوا يقدمونه الى الرسول فيرد عليهم فضله ، فكانا يتتبعـــان موضع يده حبا له وابتغاء البركة منه ·

والصورة هنا تبين تعاون الزوج والزوجة : ابى ايوب وام ايوب على خدمة الرسول وتهيئة اسباب الراحة له بكل ما وسعته مواردهم المحدودة، هذا التعاون الذى جمع بين قلبيهما على حب الرسول (ص) وابرز ان دور الرجل هنا فى التعبير عن شـــعوره عمليا لا يختلف عن دور المرأة ·

● فى ميدان القتال ●

ولم تترك مكة ومن شايعها ، قاعدة الاسلام فى المدينة تسير ســـيرها فى تكوين المجتمع الجديد ، فالذين هاجروا اليها تعرضوا للايذاء ومصــــادرة الاموال · وكان على المدينة ان تحمى نفسها عسكريا لتتابع حياتها ·

ومن الصـــفحات الداميـــــة التى يحفظها تاريخنا ، فى هذا المجــــال ما حدث فى غزوة أحد فى العـــــام الثالث للهجرة ، عندما حاولت قريش الغارة على قاعدة الاسلام فى المدينة فتصدى لهم جيش الاسلام فى ظاهرها وكان للمرأة نصـــيب فى الدفاع عن الرسول القائد وعن المدينة ·

فى هذا اليوم ركزت قريش هجومها على الرسول لقتله · ووقف المؤمنـــون يدافعون عنه · ولنذكر هنـــا دور الصحابية الجليلة امعمارة نسيبة بنت كعب الخزرجية ·

تقول نسيبة فيما يرويه ابن اسحاق عن أم سعد بنت سعد بن الربيع ·

خرجت أول النهار وأنا انظـــر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله صلى اللهعليه وسلم ، وهو فى اصـــحابه والدولة والريح للمسلمين (١) ، فلما انهـــزم المسلمون انحزت الى رسول الله (ص) فقمت اباشر القتال ، واذود عنـــــه بالسيف ، وأرمى عن القـــوس ، حتى خلصت الجراح الى ··

قالت أم سعد : فرأيت على عاتقها جرحا اجوف له غور ·

فقلت : من اصابك بهذا ؟

فترد نسيبة : ابن قمئة اقماه الله· (وهو محارب من قريش) ·

لما ولى الناس عنرسول الله (ص)

---

(١) اى وهم منتصرون على عدوهم

اقبل يقول : « دلوني على محمد .. لا نجوت ان نجا » ... فاعترضت له انا ومصعب بن عمير ، وكان قد ثبت مع رسول الله (ص) ، فضربني هذه الضربة ، فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان (ابن هشام ٣:٥٩٩ ـ ٥٦٠) .

وكانت ام عمارة ممن شهد بيعة العقبة ومعها اختها . وبايعتا الرسول قبل أن يهاجر الى المدينة ، وظلت على ايمانها وبذلها مالها ودمها فى سبيل الله ، واشتركت بعد وفاة الرسول فى حرب الردة حتى استطاع المسلمون قتل مسيلمة فى حرب اليمامة ورجعت وبها اثنا عشر جرحا ما بين طعنة وضربة . واستشهد ولدها حبيب فى هذه الحرب ، وأبى أن ينطق بكلمة الكفر بعد أن اخذه مسيلمة أسيرا ، واخذ يقطع جسمه عضوا عضوا وهو ثابت على دينه لا ينطق الا بالشهادتين (ابن هشام ٢ : ٣١٩ ـ ٣٢٠) .

● امومة مجاهدة ●

ولقد رأينا ام عمارة نسيبة الخزرجية فى بيعة العقبة مع اختها وكان معها زوجها زيد بن عاصم ابن كعب . وابناها حبيب وعبد الله ابنا زيد .

ورأيناها مع اسرتها : زوجها وولديها يدافعون عن الرسول (ص) فى غزوة احد ورأيناها فى حروب الردة مع ولديها وقد سبق زوجها الى الله شهيدا .

فالاسرة : ابا واما وابناء ، كانت مع نبض الايمان من هذه المشاهد جميعا .. يسبق الاب الى الله شهيدا فى حياة الرسول (ص) ، ويلحق به ولده فى حروب الردة . وتبقى ام عمارة لتحمل هذه الالام بكل بطولة وايمان .

● والاخت الصابرة ●

وتقدم صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول (ص) نموذجا اخر فى الصبر والتحمل . فى غزوة احد تعلم أن اخاها لابيها وامها ـ حمزة بن عبد المطلب ـ لقى ربه شهيدا ومثل الاعداء به : شقوا بطنه واستخرجوا كبده .

وسجاه الرسول (ص) وصلى عليه . ثم اوتى بالقتلى فوضعوا الى حمزة وصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .

وتقبل صفية لترى اخاها الشهيد ... ويسمع الرسول بذلك فيقول لابنها الزبير بن العوام : القها فارجعها ، لا ترى مابأخيها .

ويلقاها ابنها قائلا : يا امه . ان رسول الله (ص) يأمرك أن ترجعى .
قالت : ولم ؟ وقد بلغنى أنه مثل بأخى ، وذلك من الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك . لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله .

فلما جاء ابنها الى الرسول فأخبره بذلك قال :

ـ خل سبيلها

فنظرت اليه ، وصلت عليه ، واسترجعت ، واستغفرت له ، ثم امر به رسول الله (ص) فدفن (ابن هشام ٢ ـ ٦١٢) .

● طلب العلم ●

ونعود من ميادين الجهاد الى ميادين العلم .

فاذا كان الامر الالهى الاول فى القرآن الكريم « اقرأ » . فقد جعل الاسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . يطلبه الانسان سواء كان قادرا على الكتابة أو غير قادر .. وقول الله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من

المــرأة
فى المجتمع الإسلامى الأول

علق • اقرأ وربك الاكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم ...» (العلق : ١ ــ ٥) • هذا القــول الالهى يجمــع بين البيانين : البيان النطقى ، والبيان الخطى • وقد اعتد بهما سبحانه فى جملة ما اعتد من نعمه على عباده •

ففى هذه الايات يجمــع الله بين مراتب الوجود بأوجز لفظ : هنـاك أولا عموم الخلق ، وثانيا خصوص خلق الانسان ، وثالثا طريق الانسان الى العلم مستعينا بأهم أدواته وهى القلم • ورابعا ربط العلم بالايمان ، فتكتمل بهذا دائرة الوجود بدءا من الله وعودة اليه ...

وكان الانسان يمر فى رحلتين : رحلة الخلق ورحلة العلم • ويتعامل مع عالمين : النفس والكون ، ويستمد التوجيه من وحى الله ومن عقــله ، رابطا بين الغيب والشهادة ، واليــوم والغد ، والعمل والجزاء ، والدنيــا والاخرة ، والموت والخلود •

ولقــد تكلم علماؤنا فى هــذه الايات معددين جانبــا من نعم الله علينا •

(انظر تفسير القاسمى ١٧:٦٢٠٨ = ٦٢٠٩)

وفى المجتمع الاسلامى الاول كان على نساء النبى (ص) مسئولية التعلم والتعليم • وفى هذا نذكر قول الله تعالى يخاطبهن :

« واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحــكمة ، ان الله كان لطيفا خبيرا » ــ (الاحزاب :٣٤) •

وآيات الله هى القرآن الكريم • والحكمة هى سنة النبى عليه الصلاة والسلام • وذكر ذلك مستوجب للعمل به (القاسمى ١٣ : ٤٨٥٩) •

وكان بيت الرسول مدرســة تعاونه فيها نساؤه ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور المرأة المسلمة وشئونها الخاصة ، فضلا عن متابعتهن الدقيقة للكتاب والسنة المطهرة • وكان للسيدة عائشة رضى الله عنهــا فى ذلك النصيب الاوفى من رواية الحديث •

وكانت (رضى) مرجعا للصحابة فى ذلك ، ويروى ابن ســعد فى طبقاته (٢ : ٣٧٥)•

١ ــ عن أبى موسى (رضى) قال : ما كان أصحاب رســول الله (ص) يشكون فى شىء الا سألوا عنه عائشة (رضى) فيجدون من ذلك عندها علما •

٢ ــ وعن قبيصة بن ذئيب قال : كانت عائشة (رضى) أعلم النــاس يسألها الاكابر من أصــحاب رسول الله (ص) •

٣ ــ وعن أبى ســلمة قــال : ما رأيت أحدا أعلم بسنن رســول الله (ص) ، ولا أفقــه فى رأى ان احتيــج الى رأى ، ولا أعــلم بآية فيما نزلت ، ولا فريضة من عائشة (رضى) •

وظلت (رضى) تفتى فى عهــد عمر وعثمان الى أن ماتت رحمهــا الله •

أما عن عامة النســاء فقد طلبن من الرسول (ص) ان يجعل لهن يوما ، فجعل لهن يوما يعلمهن فيه • هذا فضــلا عما كن يتعلمنــه فى المسجد وفى بيوت النبى (ص) •

● بناء المساجد وخدمات المرضى ●

وكان للمــرأة نصيب فيما نســميه الآن بالخدمات العامة :

لقــد أسهمت فى بناء مسجد المدينة :

ويروى الهيثمى عن البزاز (٢:



١٠) أن عبد الله بن ابى أوفى (رضى) لما توفيت امراته جعل يقول :

احملوها وارغبوا فى حملها ، فانها كانت تحمل ومواليها بالليل حجارة المسجد الذى أسس على التقوى (وهو مسجد قباء) وكنا نحمل بالنهار حجرين حجرين .

انظر الكاند هلوى (٣ : ٥٤٦) .

واخرج مسلم عن أنس (رضى) كان رسول الله (ص) يغزو بأم سليم رضى الله عنها ونسوة معها من الانصار يسقين الماء ويداوين الجرحى . كما اخرج البخارى عن الربيع بنت معوذ (رضى) قائلا :

كنا مع النبى (ص) نسقى وتداوى الجرحى ونرد القتلى الى المدينة ، ويخرج مسلم عن أم عطية الانصارية قالت : غزوت مع رسول الله (ص) سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم ، وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على الزمنى (أصحاب الداء المزمن) .

والنصوص كثيرة على اسهام نساء النبى عليه الصلاة والسلام وأهل بيته فى هذه الخدمات كما حدث من تعاون عائشة مع أم سليم فى ملء القرب وحملها لسقاية المحاربين والجرحى (بخارى – عن أنس – باب غزوة أحد ٥ : ١٢٥) .

ولقد حفظ المجتمع الإسلامى هذا الجميل باكرام النسوة اللاتى أسهمن بهذه الجهود الطيبة . واخرج البخارى عن ثعلبة بن أبى مالك (رضى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قسم مروطا – (اكسية من صوف او نحوه) بين نساء من نساء المدينة ، فبقى منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين اعط هذا ابنة رسول الله (ص) التى عندك – يريدون أم كلثوم بنت على رضى الله عنهما – فقال عمر (رضى) : أم سليط (رضى) أحق . وأم سليط من نساء الانصار ممن بايع رسول الله (ص) . قال عمر : فانها كانت تزفر (تخيط) لنا القرب يوم أحد (صحيح البخارى – باب غزوة أحد ٥ : ١٢٧ – ١٢٨) .

وهذا الجهد المبذول على مستوى الحياة الاسرية كان محل تقدير من الرسول (ص) ينسحب على مجتمع المدينة ويتكامل مع تعاون الرجل مع المرأة فى مسئوليات المنزل ولقد سأل رجل عائشة (رضى) هل كان رسول الله يعمل فى بيته ؟ قالت : نعم . كان يخصف (يصلح) نعله ويخيط ثوبه كما يعمل أحدكم فى بيته فهو فى البيت فى خدمة أهله ونفسه . بشرا من البشر .

(أنظر طبقات ابن سعد ١ : ٣٦٦ ، ٣٦٧)

● الترويح والرياضة ●

ولم يخل الامر على مستوى الاسرة من اسهام المرأة فى الترويح وجانب من الرياضة البدنية فضلا عما تقوم به من جهد فى شئون المنزل .

فمن عائشة رضى الله عنها

المـــرأة

فى المجتمع الإسلامى الأول

قالت : خرجت مع النبى (ص) فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم (أى صغيرة لم يكثر لحمها) ولم ابدن (أسمن) فقال للناس : « تقدموا » فتقدموا • ثم قال لى : تعالى حتى أسابقك ، فسابقته ، فسبقته ، وفى مرة ثانية لما سمنت سابقته فسبقنى • فجعل يضحك ويقول : « هذه بتلك » (الكاند هلوى ٣ : ١٨٢ عن صفة الصفوة لابن الجوزى ط • الهند ١ : ٦٨)

يبدو من هذا التنوع المجالات التى أسهمت فيها المرأة فى الحياة الخاصة والعامة ، وبناء الأسرة والمجتمع ، ورعاية الاجيال الجديدة على أساس من الايمان العميق ، والمعرفة والاسوة الحسنة والتعاون من أجل حيـــاة أفضل •

وأحبت المــرأة المسلمة أن تزداد اطمئنانا على مكانتها فى الدنيـــا والاخرة •

وتسأل أم سلمة (رض) رسول الله (ص) قائلة :

يارسول الله ، فما لنا لا نذكر فى القرآن ، كما يذكر الرجال ؟ فلم يرعنى منه ذات يوم الا نداؤه على المنبـــر وهو يقول : « ان المسلمين والمســلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتـــات والصادقين والصادقات والصابرين والصـــابرات والخاشعين والخاشـعات والمتصدقين والمتصدقات والصـــائمين والصائمات والحـــافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات، اعد الله لهم مغفرة واجـــرا عظيما » • (الاحزاب ٣٥) • اخرجه احمــــد والنسائى والطبرانى •

كما اخرج الترمذى والطبرانى عن ام عمارة الانصـــارية انها اتت النبى عليه الصلاة والســـلام فقالت : ما ارى كل شىء الا للرجـــال وما ارى النســـاء يذكرن بشىء ـ فنزلت هذه الآية ••

وجاء فى خواتيم سورة آل عمـــران قول الله تعالى : فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضـــكم من بعض فالذين هاجروا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنـــات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حســـن الثواب » ـ (آل عمران : ١٩٥) •

ويذكر الامام ابن كثير فى تفسيره (٢ : ١٨٢) فى ســـبب نزولها ان السيدة ام ســـلمة رضى الله عنها قالت لرسول الله (ص) يارسول الله لانسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء • فنزلت هذه الآيـــة •• ولقد ذكرنا قصة هجـــرة ام سلمة فى أول هذه الدراســـة وكيف كانت اول ظعينة من مكة قدمت على الانصـــار فالقرآن يذكر فضـــلها مهاجـــرة ومقيمة • ودورهـــا فى بناء الاسرة والمجتمع الاول تســـجله آيات القرآن واحاديث النبى (ص) •

● مستوى المعيشة فى البيت النبوى

حمـــل البيت النبوى مسئوليـــات الحرب والســـلم • وقامت أمهـــات المؤمنين بالجهد المبرور تخفيفا لآلام المحاربين وحفظـــا للقرآن والســـنة المطهرة علما وتعليما •

واكن فى بيت النبوة لا يجدن من الرغـــد ما يجـــده الزوجات فى بيوت الكثير من الرجال مســـلمين كانوا او مشركين • وشـــقت عليهن شـــدة العيش فى بيت لا يصبن فيه

من الطعام والزينة فوق الكفاف ، فاتفقن على مفاتحة الرسول (ص) فى الامر ليزيد من النفقة وهى عنده ميسورة لو اراد أن يزيد حصته من الفيء ·

ولكنه امهلهن شهرا ولهن أن يخترن بعد روية بين البقاء معه على ما تيسر من رزق ، وبين الانصراف بمتعة الطلاق · وفى هذا نزل قول الله تعالى :

« يا ايها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا · وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » ـ (الاحزاب : ٢٨ ـ ٢٩) ·

وبدأ بعائشة قائلا :

ـ انى أريد أن أعرض عليك امرا احب الا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك ·

فسألته : وما هو يارسول الله ؟

فعرض عليها الخيرة مع سائر نسائه فى أمرهن ·

فقالت : افيك يارسول الله أستشير قومى ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ·

واجابت امهات المؤمنين بمثل ما اجابت به عائشة (تفسير ابن كثير: ٥ : ٤٤٨) ·

واستمرت مسيرة البيت النبوى راضية بالكفاف من الرزق ، ضاربة المثل الأعلى فى الايثار والايمان ·

● خاتمة ●

آثرت فى هذه الدراسة أن اركز على المساهمات الايجابية للمرأة فى بناء المجتمع الاسلامى الاول فى المدينة ، مع القاء أضواء اقوى على البيت النبوى بما تحمل من مسئوليات السلم والحرب ، وما كان فيه من شهداء وعلماء ·

كانت الام فى المدينة تطلب العلم لنفسها وولدها، وتعيش دينها؛ علما وممارسة يومية رعاية لجيل هى منه ، وتربية لجيل تعده للمستقبل ·

وكان الواجب فى هذا المجتمع مقدما على الحق ، والعطاء على الاخذ ، ذلك لأن اداء اى واجب من الواجبات يتضمن عمليا رعاية حق او حقوق مقابلة ، يستوى فى هذا حق الرجل وحق المرأة ·

ولم تأت هذه الصورة من كرامة المرأة فى مجتمعها ثمرة كفاح طويل منها ، وانما هى التطبيق السليم للاسلام اول ما نزل ··· ولم ينتظر المسلمون حتى يكتمل الوحى ليبدءوا التطبيق ، ولكن قرنوا بين نزول الوحى وتطبيق الآيات : آية آية وسورة بسورة ··

لقد كان آخر ما اوصانا به نبينا عليه الصلاة والسلام وهو فى حجة الوداع ما رواه الترمذى عن عمر ابن الأحوص « استوصوا بالنساء خيرا ··· ان لكم على نسائكم حقا · ولنسائكم عليكم حقا » ـ (محمد صديق حسن خان : حسن الاسوة ص ١٥٧) · ورفع من شأن الامومة كما دعا الصحابى جاهمة فى حديث يرويه النسائى الى البر بامه ورعايتها قائلا : « الزمها فان الجنة عند رجلها » ـ (نفس المرجع ص ١٩٣) ·

مسيرة قضية المرأة فى الإسلام لها ـ بهذا ـ طبيعتها الخاصة · ولكرامتها وحقوقها وواجباتها أسسها الراسخة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وفى التطبيق الواعى لذلك كله فى مجتمع المدينة · واذا ما شاب المسيرة بعد هذا جوانب من نقص ، فهو نقص بقدر ما هو بعد عن حق واجب سجله الإسلام عطاء للمرأة وكرامة لها · عطاء يستمد قوته من عمق الايمان ونور العلم ونجاح التطبيق السليم الذى رأينا نموذجه فى المجتمع الاسلامى الاول فى المدينة ···

د. وحيد رأفت

العلاقة بين الأدب والقانون

ليس بين الادب والقانون حدود فاصلة تفرق بين المعنيين بالادب والمشتغلين بالقانون ... فطالما اجتذب القانون من قديم رجالا كانوا فى عصورهم أعلاما فى الادب والفلسفة امثال افلاطون وارسطو فى فجر حضارتهما ، او جان جاك روسو ومونتسكيو فى عصر الغرب الينا . فافلاطون الذى ولد سنة ٤٢٨ قبل المسيح ، وعرفه الادب اليونانى القديم كاتبا ناثرا وفيلسوفا يبحث فى الكون والكائنات وفيما وراء الطبيعة ، حاول ايضا ان يتفهم الحياة السياسية وان يبتكر نظاما سياسيا (مدينة فاضلة) خيل اليه انه المثل الاعلى للتنظيم الانسانية وذلك فى كتابيه الخالدين « الجمهورية » و « القوانين » .

ولم يقتصر ارسطو او ارسطاطاليس فى بحوثه على الفلسفة والادب والاخلاق والبيان والمنطق بل استقصى النظم الدستورية لطائفة من المدن اليونانية وغير اليونانية . وجاء كتابه المعروف « السياسة » خلاصة لهذه البحوث الطويلة ، كما يفعل رجال الفقه الدستورى اليوم فى استقصائهم لدساتير الدول المعاصرة وشرح احكامها فيما يؤلفونه من مصنفات لطلابهم وسائر قرائهم .

ونقول مع المرحوم عميد الادب العربى طه حسين فى كتابه « قادة الفكر » (١) انه « مهما تتغير الجماعات ونظمها فستظل القاعدة السياسية الاساسية هى هذا القانون الذى وضعه ارسطو وهو ان حسن الحكومة وقبحها شيئان ثانويان ، فالحكومة الحسنة ليست هى الملكية ولا الجمهورية ارستقراطية كانت او ديموقراطية وانما هى الحكومة اللائقة للشعب » .

اما عن شغف الفيلسوفين الكبيرين روسو ومونتسكيو بالقانون فواضح من الموضوعات التى تناولها اولهما فى كتابه « العقد الاجتماعى » وثانيهما فى مؤلفه « روح القوانين » . وهما من الكتب التى لا تخلو منها مكتبة اية كلية من كليات الحقوق فى العالم المتحضر حتى يومنا هذا .

وربما كانت حاجة رجل القانون لان ينهل من مناهل الادب ويعب من عذب فراته ، اكبر من حاجة الاديب لارتياد مجالات القانون ، فالاديب قد لا يخسر شيئا اذا هو لم يغازل القانون، ولن يتأثر ادبه نتيجة لمثل هذا العزوف ... ولكن رجل القانون سوف يتأثر حتما باغفاله الادب سواء كان مشرعا يضع القوانين ، او مؤلفا يكتب عنها ، او قاضيا يطبقها ، او مترافعا ممثلا للنيابة العامة او كعضو عامل فى اسرة

(١) « قادة الفكر » تأليف طه حسين، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ .

المحاماة • فبين الادب من جهة ، وبين التشريع والتأليف وتدوين الاحــكام واعداد الدفاع عن المجتمــع او عن الافراد والهيئات امام المحاكم ، وشائج صلة وتكامل ، متى اجتمعت لرجــل القانون فى اى مركز من المراكز المذكورة ساد واجاد •

١ ـ الادب والتشريع

وليس التشريع مجـرد تجميــع وتصنيف لأوامر ونواه ، او لمجموعة من القواعد الالزاميــة او التخييرية لتنظيم المعاملات بين الناس • بل هو فن رفيع لا يبلغ غرضه الا اذا احسن المكلف بالتشريع اختيار اللفظ المناسب والموضع المناسب •••

وثمــة رواية تروى عن نابليون بونابرت انه كان ينصح اعضاء المجلس التشريعى المكلف تحت اشرافه باعداد مســودة القانون المدنى الفــرنسى فى مستهل القرن التاســع عشر بان يراعوا فى صياغة مواده « الايجاز والابهام » • أما الايجاز فقد حققتــه فعــلا هذه المواد على كثرتها • واما الابهام فلا ! •• بل المعــروف عن التقنين الفرنسى عموما انه يتميز بين سائر تشريعات العالم بالوضوح • فلا عجب اذا ما راينا كاتبا روائيا مثــل « ستاندهال » يقرر فى بداية عهده بالكتابة انه اتخذ التقنين المدنى الفرنسى أنموذجا له نظــرا لاسلوبه السلس ، وانه كان يقرا يوميا ما بين صفحتين وثلاث صفحات من القــانون المدنى المذكور ليتمرس على هذا الاسلوب ، وذلك رغم ان اســلوب القوانين ليس بالضرورة هــو اســلوب الادب والقصص (١) •

ومن يقارن عنــدنا فى مصر بين اسلوب التشريعات التى تصدر الان بعد اقرارها من مجلس الشعب ونصــف اعضائه ، كما هو معلوم ، من الفلاحين والعمال ، وبين اسلوب التشريعات التى كانت تصدر منمجلسى الشيوخ والنواب فى ظل دستور ١٩٢٣ ، يلمس الفــارق الكبير فى الصياغة • فهى مهلهلة ركيكة اليوم بينما كانت مسبوكة ومحكمــة بالامس ، نظرا لان مشروعات القوانين كانت تمــر بمجلسين تشريعيين ، لا بمجلس واحد ، ولان البرلمان فى ذلك الوقت وخاصة مجلس الشيوخ كانيضم بين جدرانه باقة من رجال الفقــه والادب بينهم نفر غير قليل من الفقهاء الادباء امثال يوسف الجندى، ومحمد عشماوى ، ووهيب دوس ، وصليب سامى وغيرهم ممن يفخر بهم اىمجلس تشريعى فى اية دولة فى العالم •

٢ ـ المصنفات القانونية والادب

وان قدر لك ان تتصفح لبعض الوقت ما ظهر من مصنفات قانونيــة فى السنوات الخمسين الماضية، او فلنقل بداية العشرينات ، فسوف تستهويك حتما كتب المرحومين عبد الحميد ابو هيف وحــامد فهمى فى شرح قوانين المرافعات ، واحمد امين ومصطفى القللى فى شرح قانون العقــوبات



(١) انظــر ملاحظات القــاضى طبريجيحه على ذلك فى مؤلفه الكبير : المنطق القضائى وفن اصدار الاحكام ، باللغة الفرنسية ، الطبعــة الثانية ١٩٢٦ ، باريز

العلاقة بين الأدب والقانون

(الجزاء) ، وزكى العرابى فى شرح قانون الاجراءات الجنائية ، ونجيب الهلالى وعبد الرزاق السنهورى فى شرح القانون المدنى . ذلك لانهم لم يكونوا من فطاحل رجال الفقه فحسب ، بل كانوا أيضا أدباء مطبوعين ، دانت لهم اللغة وملكوا ناصيتها ، فعرفوا كيف يستغلونها فى التعبير عن أفكارهم ونظرياتهم باسلوب شيق يشد انتباه القارىء ، ويبدى له عذبا سهلا ما ليس بالسهل .

وانك لواجد نفس الشيء ان كنت من قراء الفرنسية وقدر لك الاطلاع على مؤلفات أساتذة كبار فى القانون أمثال ديموج ومارسيل بلانيول ، وهنرى كابتيان فى القانون المدنى الفرنسى او جارو ، واميل جارسون ونجله موريس جارسون فى القانون الجنائى الفرنسى ، ولعلمك فان هذا الاخير بالاضافة الى اشتغاله بالتاليف مشاركا والده فى أواخر سنى حياته ، فقد اصبح ايضا علما من اعلام المحاماة فى القضايا الجنائية وعضوا فى الاكاديمية الفرنسية التى تضم فى سلك عضويتها الخالدين فى شتى نواحى المعرفة لا سيما فى العلوم والآداب .

٢ ـ المجلات القانونية والادب

وما دمنا فى مجال التاليف ليتعين الاشارة الى نقص المجلات المتخصصة التى وان صدرت أصلا لخدمة القانون بنشر نصوصه وما يدور حولها من بحوث علمية وفقهية والتعليق على أحكام القضاء فى مختلف القضايا ، الا انها سارت على نهج يقرب بين القانون والادب حتى انك لتحار أحيانا ان كان ما بين يديك مجلة قانونية أم مجلة أدبية . ونخص بالذكر هنا « دنيا القانون » لصاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ الاديب محمود عاصم المحامى ، الذى أخذ على عاتقه تزويد المكتبة العربية بمجموعات عن المرافعات وأشهر القضايا ، أخرجها وتخير موضوعاتها لشحذ الهمم ، وتعبئة الشعور الوطنى ، والتذكير بأمجاد القضاء عامة والقضاء المصرى خاصة . كما كانت مجلة « دنيا القانون » التى أصدرها وتولى رئاسة تحريرها بنفسه طوال مدة ظهورها ، مجلة ثقافية بمعنى الكلمة يمتزج فيها الادب بالقانون .

واليك بعض النماذج لما دبجه قلم هذا القانونى الاديب فى بعض أعداد مجلته ، التى للأسف لم تعمر طويلا . فتراه يقول فى المجلد الاخير للسنة الثالثة للمجلة تحت عنوان « نهاية لها بداية » (١) .

« ان لكل شيء غاية ولكل غاية نهاية، فهذه الدنيا قد بدأت بخروج آدم من الجنة لتعمير الارض ويتوالد الناس ويتكاثرون ، وتظل بين زيادة ونقصان جهل وعرفان ، حقد ومحبة ، فتترعرع وتزدهر ، وينسى الناس نفوسهم وقد الهاهم التكاثر ، حتى اذا دار الفلك دورته ، عادت الدنيا سيرتها الاولى ، بعد ان بلغت ذروتها فتنشق الارض وتبتلع ماءها ، وينفخ فى الصور ، ويبعث ما فى القبور ، حينما يكون البعث والنشور ، ويكون فى بدء الدنيا نهايتها ، وفى النهاية بدايتها ، ولكن بعد ان يحاسب الانسان على ما قدمت يداه واخرت .

ونحن كل يوم نبدأ ثم ننتهى ، ونمسى ثم نصبح ، وكأن تعاقب الليل والنهار، هو نهاية لرحلة وبداية لاخرى » .

---

(١) مجلة دنيا القانون السنة الثالثة ١٩٦١ العددان الحادى عشر والثانى عشر .

ويقول فى بداية العـــــــام الرابع لمجلته (١) « يدور الفلك دورته وعجلة الدنيا من خلالها ، وتغيب الشـــمس وتشرق ، وينشق عمود النهار ويميل تارة أخرى الى الغروب والكل ينتظر ليومه غده ، وقد يأتى الغد وقد لا يعود، الا شيئا واحدا يبقى على الزمن الباقى من الزمن ، وهو العلم الذى يتزايد كلما طلع نهاره ويتضخم رصيده كلما اخلص الانسان فى سبيله ، وقدم نفسه قربانا على مذبحه ··· وعندما طلعت شمس هذه المجلة على العالم العربى فى عام ١٩٥٩ أستقبلت احسن استقبال ، واقبل عليها الجميع من افراد الشعب قبل رجال القانون ، ووصلت الى دار المجلة تحيـــات عاطرات وهتافات مدوية لتشجيعها على الاستمرار فى حمل الرسالة ·· ولم تقع عليها العين حتى وجدت من الانصار ما اثلج صدور القائمين على امرها ، ولكن نفرا من الذين لا يستطيعون لانفسهم نفعا ولا ضرا ، اخذوا يرجفون بأن هذه المجلة لن تعمر طويلا بما بدت فيه من النوابها القشيبة ·· وراحوا يتراهنـــــون : هل يصدر العدد الثانى وهل يصدر العدد الثالث ؟ ولكن استمرار صدورها بهرهم فغشيت عيونهم عن الضياء ، وظلت القافلة تسير باذنه تعالى » ··

٤ ــ القضاء والادب

اذا كانت الصفات الواجب توافرها فى القاضى متعددة فى مقدمتها أن يكون عالما بالقوانين متحـــليا بالحـــكمة والشجاعة والعفة والعدالة فان احاطته باللغة والادب وفن البيان والتعبير أمر لازم لزوم تمكنه من القـــانون ذاته · فالتعبير سواء بالنطق أو بالكتابة لا يتيسر الا لمن ذل له اللفظ وأوتى المقدرة الكاملة على الاعراب عن المعانى التى تجيش فى صدره أعرابا واضحا لا لبس فيه ولا غموض ، وتحرير الاحـــكام القضائية فن لا يبلغ تمامه ما لم يكن لدى القاضى حصيلة كافية من الكلمات والمترادفات تسعفه باللفظ الذى يؤاتى المعنى المنشود دون زيادة أو نقصان ·

ولقد اشتهر عن الرعيــــل الاول لمستشارى محكمة النقض عندنا مثـــل المرحوم عبد العـــزيز فهمى باشا أول رئيس لهذه المحكمـــــة وعن زميليه المرحومين حامد فهمى ولبيب عطيه عنايتهم الفائقة فى تحرير أســــباب أحكامهم بلغة رفيعة والفاظ منتقـــاة وخلفوا وراءهم مدرســـــة يحاول اعضاؤها الســـــير على نهج هؤلاء الرواد الاول ، ليكونوا مثلهم قدوة لسائر المستشـــارين والقضـــاة فى محاكم الاستئناف وما دونها ·

ولقد أوتى عدد ممن شغلوا مناصب القضاء عندنا قديما وحديثا حظا وفيرا من الادب الى جانب تبحرهم فى القانون وبين أيدينا الكثير من آثارهم وأحكامهم ومؤلفاتهم ، وحسبنا أن نشير هنا الى أنموذج من هؤلاء اخترناه من بين من لاقوا ربهم منذ وقت غير قصير ، ونعنى به المرحوم احمد فتحى زغلول شقيق المغفور له سعد زغلول باشا · لقـــد أوفدته وزارة المعارف الى فرنسا لدراسة الحقوق ، وتدرج بعد حصــــوله على شهادة الليسانس فى مناصب قضائية عديدة · اذ عين بأقلام قضايا الحكومة ثم رئيسا للنيابة الاسكندرية ، فعضوا بلجنة المراقبة القضائية ، فرئيســـا لمحكمة الزقازيق ثم رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية ثم وكيلا لوزارة الحقانية · ويرجع اليه فضل المشاركة فى وضـــع معظم القوانين التى صدرت فى عهده · ولم تحل مشاغله فى المناصـــب ذات المسئولية التى شغلها عن اقباله على الادب لاشباع هوايته التى برزت منـــذ حداثة ســـــنه ، فاكب على التعريب والتاليف بذكاء خارق وقلم سيال فشرع فى تعريب « العقـــــد الاجتماعى » للفيلسوف الفرنسى جان جاك روســـو دون ان يتمه · وعرب بعد ذلك « اصول

(١) دنيا القانون ، السنة الرابعة ، ١٩٦٢ الاعداد الاول والثانى والثالث ·



الشرائع » فى جزءين للفيلسوف البريطانى بنتام ، وكتاب « الاسلام خواطر وسوانح » للكاتب الفرنسى الكونت هنرى دى كاترى و « سر تقدم الانجلو سكسون » لاحد المؤلفين الغربيين ، ثم « روح الاجتماع » و « تطور الامم » و « جوامع الكلم » للكاتب الفرنسى جوستاف لوبون ، كما الف كتابه الشهير عن المحاماة ، ورسالة فى التزوير وشرحا للقانون المدنى المصرى . كما وضع كتابا فى التربية العامة ولكنه لم يطبع . وقد قال فيه الاستاذ الكبير المرحوم احمد لطفى السيد فى حفل تأبينه فى ٩ من مايو ١٩١٤ « كان لفتحى باشا فى تعريبه شخصية ممتازة فى طريقته وأسلوبه البيانى ، فلم يلتزم الترجمة الحرفية للأصل ، دون محاكاة لها . وأسلوبه عربى خالص ، لا يهتم بزخرف القول مع متانة الوصف والرشاقة والجاذبية » .

وكان صاحب السيرة فوق ذلك كله واضافة الى ذلك كله خطيبا مفوها عرف عنه براعة الدفاع فى اقلام قضايا الحكومة والنيابة العامة . وهناك امثلة اخرى عديدة على رجال جمعوا بين الثقافة القانونية العالية والادب ، تجدهم لا فى المناصب القضائية وحدها بل وايضا فى سلك النيابة العامة وبين عمالقة المحامين .

٥ ـ الادب والمرافعات القضائية

ان سجلات القضاء فى مصر وغيرها حافلة بروائع المرافعات فى القضايا الجنائية والسياسية الكبرى من جانب ممثلى النيابة العامة باسم المجتمع او من بين اعلام المحامين فى دفاعهم عن الافراد والهيئات . وعلاقة الادب بالمحاماة خاصة فى غنى عن التوكيد . وليس هناك انسان اكثر من المحامى حاجة الى فصاحة اللسان وسحر التعبير للوصول الى وجدان القاضى وعقله والى قلوب المحلفين حيثما يوجد محلفون ، وللتأثير فى زملائه المحامين وموكليه وفى الجماهير ، لذلك ينصح شيخ من شيوخ المحامين الاستاذ الفاضل محمد شوكت التونى فى مؤلفه الحافل « المحاماة فن رفيع » (١) ينصح شباب المحامين بالاقبال على القراءة فى الادب العالمى والادب العربى قديمه وحديثه والادب المصرى والادب الهندى والادب الروسى ، وعلى قراءة المجلات الراقية بالفرنسية والانجليزية وبلغات اخرى ان استطاعوا ، ويحذرهم من انهم سوف يجدون ذلك عسيرا فى بادىء الامر ، ثم ممتعا متعة لا تعادلها لذات الجسد او متعة الغرائز . حتى اذا ما انطلق من عمل بهذه النصيحة مترافعا « واتته العبارات وتدافعت الالفاظ والجمل

احمد فتحى زغلول



(١) المحاماة فن رفيع تأليف محمد شوكت التونى المحامى مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ .

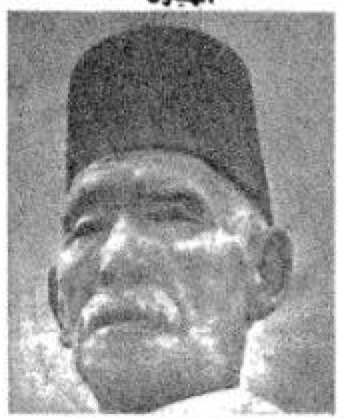
وانساب الكلام كالنهر المتــــدفق او كالينبوع المنبثق » .

واذا أراد أن يكتب مذكرة وضعها فى قالب جميل محبب الى القارىء لا مملول ولا مرذول . « فالحق فى حاجة دائمة لان يقدم فى اطار جميل ، وأن يزوق بثوب نظيف رائق يسر الناظرين (١)

وممايروى عن شارل الكسندر لاتسو ممن تألقوا فى المحاماة فى القرن الماضى أنه كان مولعا بالخطابة محبا لها من نعومة أظافره فأعانته هذه الموهبة ، الى جانب مواهبه الاخرى ، على أن يصبح من أبرز رجال المحاماة فىزمانه، وترجع الشهرة الواسعة التى اكتسبها فى المحاماة الى مرافعاته فى عدد من القضايا الجنائية الهــــامة حيث كان لصناعة الكلام وفن البلاغة اللذين امسك بزمامهما اثرهما على كل من استمع اليه من محلفـــين ومعجبين فى قاعات المحاكم الفرنسية .

ولقد عرفت قاعات محاكمنا هــــذه الظاهرة ذاتهــــا فى العصر الذهبى للمحاماة ، حيث كانت الجماهير ،تبل

الهلباوى



(٢) المرجع السابق

أن تضنيها متاعب الحياة فى هـــذه السنوات العجاف ، تتزاحم للاستماع الى مرافعات أقطاب المهنة فى القضايا الهامة جنائية كانت أو سياسية ، امثال الهلباوى وأبى شــادى وأحمد لطفى ومرقس فهمى ومرقس حنا وأحمدمحمد على علوبة ، وتوفيق ووهيب دوس، ومحمود أبو النصر ، وأحمد رشدى ، ومصطفى مرعى ، وعلى أيوب .

ولقد سلخت مهنة المحاماة عنــدنا الشطر الاول من تاريخها بلا تقنين ينظمها وفى هذه الفترة بالذات ، وهى ليست قصيرة ، ظهر محـــــامون لم يكونوا من حملة الشهادات فى الحقوق من مصر أو الخارج ، ولكنهم كانوا من ذوى الخبرة الواســــعة فى معترك الحياة، والبراعة فى الخطابة والكتابة، وهما من لزوميات المهنة بل من الزمها كما رأينا .فنبغ منهم من نبغ من امثال اللقانى ومرقس فهمى ، وعمر لطفى ، واحمد لطفى .ومن هؤلاء شيخ المحامين وأول نقيب لهم الاستاذ المرحومابراهيم الهلباوى الذى نشأ فى بلدة العطف بمديرية البحيرة ، فلما اشتد ساعده دخل الازهر الشريف وقضى فيــه سبع سنين كاملة درس فيها النحو والمنطق والبلاغة ، فكانت له نعم الزاد حينما تطلع فى عام ١٨٨٦ للاشتغال بالمحاماة ولما يمض على تنظيمهـا غير فترة وجيزة ، فبرز فى هذه المهنة الحــرة ببلاغته وفصاحته حتى وصــل الاوج والقمة .

ولعلك أيها القارىء الكريم بعد هذا الذى حدثناك عنه رغم ايجازه ، اكثر اقتناعا الان بأن القــانون والادب لا يتعارضان بل يكمل كل منهما الاخر ، وان كانت حاجة رجل القانون الى الادب اكبر بكثير من حــاجة الاديب الى التعرف على القانون .

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم » هكذا عبر القرآن عن القرآن ، وما ابلغه من تعبير ·

د. أحمد الشرباصى

أضواء من القرآن الكريم أمام حياتنا المعاصرة

لم يكن عبثا ان يصف الحق جل جلاله كتابه المجيد بانه نور ، وانه روح ، وانه بصائر وانه كما عبر أصدق القائلين : « لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » ·

القرآن هو الذى سما بمكانة وهو العائد على الانسانية بالفضل العظيم والخير العميم ·

والقرآن هو الذى سما بمكانة الانسانية ، وعلا بالمرتبة البشرية ، وحسبنا انه الذى يقرر عن رب العزة الخالق البارىء المصور : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ·

ومن مظاهر هذا التكريم الربانى القرآنى انه وثق اعمق الروابط والوشائج بين افراد الانسان ، وجعل هذه الروابط متنوعة شاملة ، فهى اما قرابة سبب ومصاهرة ، أو قرابة نسب ودم ، أو قرابة دين وعقيدة ، او قرابة انسانية وآدمية · وجعل لكل رابطة من هذه الروابط حقوقا وتبعات ، اذا قام بها صاحبها على الوجه السليم زادت الانسانية كرامة وعزة ·

وقرابة السبب والمصاهرة هى القرابة التى تنشأ عن الزواج ، فهذا

ذكر وأنثى ، يلتقيان فيتعارفان فيتآلفان ، فيرتبطان باسم الله وباسم دينه ، ارتباطا زوجيا له حرمته ومكانته ، فاذا حقوق وواجبات يتبادلها الطرفان في محبة واخلاص.

فاذا انتقلنا الى قرابة النسب والدم التي تقوم على الامومة والابوة والبنوة وجدنا الاسلام يحكم الروابط بين الاصول ، وهم الاباء والاجداد ، والفروع وهم الاولاد والاحفاد ، وما حول هؤلاء من قرابات ، وهو يرفع مكانة « الوالدين » الى القمة ، فيجعلها عقب مكانة العبادة لله « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ».

ويقرر القاعدة الاصيلة الجليلة : الاقربون أولى بالمعروف ، فيقول القرآن الحكيم « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » . ويأمر المؤمنين بأن يحرصوا على صيانة أسرهم وعائلاتهم ، ورعاية أقاربهم وأهليهم ، فيقول التنزيل : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ، ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عن الاقارب وذوي الارحام في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « انا الرحمن ، وهذه الرحم ، شققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

وصب القرآن اللعنة على من يقطع رحمه ، ويهمل أقاربه ، فقال : « فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم ؟ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

ثم تأتي قرابة الدين والعقيدة ، فنجد الاسلام يعطي هذه القرابة اشرف الاماكن وأسمى المنازل ، بل ويعطيها أروع صورة من صور التطبيق التضامني في تاريخ الاسلام الطويل ، حيث كانت المؤاخاة النبوية بين المهاجرين والانصار عقب الهجرة مثلا خالدا على الدهر للوفاء بحقوق القرابة في الايمان واليقين : « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ،

ويزكي القرآن المجيد هذه القرابة الايمانية في أكثر من موطن ، فيقول :

« انما المؤمنون اخوة » .

« فأصبحتم بنعمته اخوانا »

« ان هذه أمتكم أمة واحدة » .

« فأصلحوا بين اخويكم » .

« فان تابوا وأقاموا الصلاة فاخوانكم في الدين » .

ويأتي الرسول – عليه الصلاة والسلام – فيزيد هذه القرابة تكريما وتأييدا ، فيقول : « المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يسلمه » . ويقول : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

ويقبل البصراء من أبناء الاسلام ليظهروا افتخارهم واعتزازهم المتين بهذه القرابة ، فيقول قائلهم :

أبي الاسلام لا أب لي سواه
اذا افتخروا بقيس أو تميم

ويقول الآخر مفضلا نعمة الاسلام على كل شيء :

القرآن الكريم

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

وكان سلمان الفارسى — رضى الله عنه — يعتز بنعمة الاسلام كل الاعتزاز حتى يجعله والده وأباه ، فيقول : « أنا سلمان ابن الاسلام » ! ..

وقرابة الايمان هذه هى التى جعلت أخت عمر بن الخطاب تفضل زوجها المؤمن على أخيها المشرك حينئذ ، وتقول لأخيها انه بإشراكه نجس ، وكان من فضل الله عليه أن أسلم وتطهر ، فصار لدينها عزيزا كريما .

وقد فضل القرآن علاقة الدين والايمان على علاقة الأبوة والبنوة والمصاهرة ، فقال : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

وقد ذكر القرآن أن الصداقة القائمة على الاتفاق فى الايمان والتقوى هى أبقى الصداقات وأزكاها : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين . يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون » .

والتنزيل الحكيم بعد هذا ومع تقرير الأصل الوطيد للارتباط عن طريق الايمان والعقيدة بقوله : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » .

ثم تأتى أخيرا قرابة الآدمية والانسانية ، فاذا القرآن المجيد يعلم البشرية أن كل انسان بينه وبين أخيه الانسان رابطة قرابة من ناحية الأصل الواحد ، والأب الأول الواحد وهو آدم ، والأم الواحدة الأولى وهى حواء ، فيقول كتاب الله تعالى فى مفتتح سورة من أطول سور القرآن وهى سورة النساء : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » .

ويأتى أستاذ الانسانية ومعلم البشرية محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، فيحث المسلم على أن يصون حقوق هذه الأخوة الانسانية الشاملة ، فيقول : « خير الناس أنفعهم للناس » .

ويقول : « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

وهكذا يقيم الاسلام أكرم العلاقات وأوثق الروابط بين الانسان والانسان سواء أكانت بين الاثنين قرابة بالسبب والمصاهرة كالزواج ، أو بالنسب والدم كالأصول والفروع ، أو بالعقيدة والدين،أو برابطة الآدمية والانسانية .

والاسلام يطالب المسلم بأن يكون مصدرا لكل هؤلاء الأقارب على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم فى القرابة .

يطالبه بذلك الحق لنفسه وأهله أولا، فيقول الحديث الشريف : « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » .

يطالبه بذلك لجيرانه ، فالحديث يقول : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه » .

يطالبه بذلك لأهل دينه ، فالحديث يقول : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

يطالبه بذلك للانسانية المستحقة للمعاونة ، فالحديث يقول : « تصدقوا على أهل الأديان كلها » .

وهذا المنهج الربانى ، أو ذلك التخطيط القرآنى ، يودعه الحق سبحانه أمانة غالية بين أيدى الامة المؤمنة ، التى يطالبها ربها بأن تكون أول مجموعة من البشر ، تعى هذا المنهج وتؤمن به ، وتقبل على تنفيذه وتطبيقه ، حتى تكون بهذا الالتزام التطبيقى قدوة عملية لغيرها من الامم ، وشاهدة على سواها من الشعوب ٠

ومنها خاطب الله تبارك وتعالى أمة الايمان والاحسان بقوله لها :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » ٠

و « الامة » ـ كما يقول المفسرون هى الجماعة التى تؤم ، أى تقصد جهة معينة ، فتكون موحدة الصف موحدة الهدف ، موحدة المسيرة ، موحدة الوسيلة ٠ و « الوسط » هو العدل والخير ، لان وسط الشىء هو خياره ، ووسط الوادى هو خير موضع فيه ، وأكثره ماء ونباتا ، وواسطة العقد هى خير جوهرة فيه ، والرسول أوسط قريش نسبا ، أى خيرهم ٠ والقرآن يقول : « قال أوسطهم » أى أعدلهم وأفضلهم ، والرسول يقول : « خير الامور أوساطها » ٠

والوسط فى الحقيقة هو البعد عن الطرفين بعدا متساويا ، والطرفان هما الافراط والتفريط ، فالانسان الوسط يبعد عن الاسراف بعدا مساويا تماما لبعده عن التقصير ٠

فكأن الوسط يوجد فيه معنى الانضباط ، والاستقامة ، والاستواء على الصراط المستقيم ٠ والمؤمن الحقيقى هو الذى يمضى فى طريقه على خط معتدل ، لا يميل عنه ولا يضل فيه ، فلا هو يغلو ويسرف ، ولا هو يقصر أو يجحف ٠

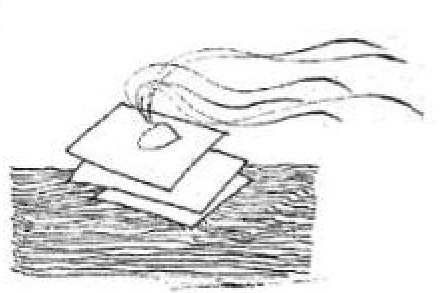
ولذلك علم الله عباده أن يدعوه كل يوم عدة مرات قائلين فى الصلوات : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ٠

وحين قال الحق تعالى لامة الايمان « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » كأنه يقول لأبنائها ـ وهو أعلم بمراده ـ : لقد أردتكم خيارا عدولا ، يزكيكم العلم والعمل ، وتجمعكم كلمة التوحيد ، ويعزكم توحيد الكلمة ، وتزينكم خصالكم الحميدة التى تضبط خطرات أصحابها ، فتجعلهم فى الوسط الصحيح السليم القويم ، فهم ينهضون بكل الواجبات ، وهم يحذرون كل المنهيات والله من وراء الجمع مرشد ومعين ٠

ثم قال الحق تعالى لابناء الاسلام : لتكونوا شهداء على الناس » ٠

والشهادة درجة خطيرة ومنزلة جليلة ، فيها يقبل حكم الانسان على غيره فى دينه وعمله ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الارض ، أنتم شهداء الله فى الارض ، أنتم شهداء الله فى الارض » ! ٠

ثم تلا قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم



أمة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وهذه الشهادة تقتضي ان يكون الشاهد صالحا لها ، جديرا بها ، قادرا عليها ، فيكون فاضلا عادلا ، له شمائل ينفرد بها ، وفضائل يتحلى بها ، حتى تكون له مزية على غيره ، فيصلح لابداء الشهادة على سواه .

وشهادة الامة الاسلامية على غيرها من الامم ، فيها معنى الاشراف والتوجيه والقيادة ، فلا بد لها من منهج وخطة، ولابد أن يكون لها من قيم وموازين ، فهي الامة الحاكمة الفاصلة ، التي تقضي بين الامم وتقوم اعوجاجها . وفاقد الشيء لا يعطيه ، ولن يستقيم الظل والعود أعوج .

فاذا كانت هذه الامة مسئولة عن تقويم غيرها ، فلا بد ان تكون قويمة في نفسها ، وان تكون كما اراد لها خالقها ، امة وسطا ، اى معتدلة في امورها ، مستقيمة في اعتقادها ، وتفكيرها وتصرفها ، فقد هيأ الله لها أسباب « الوسطية » في كل شيء حتى في مكانها وموقعها من العالم ، فجعلها وسطا بين الشرق والغرب ، لتكون بعقلها ، وفضلها ، وعملها ، الصمام ، والزمام ، والامام لمن في الشرق ومن في الغرب ، وتلك مكانة عليا ، مرحلة متعبة ، لهـا تبعاتها ومشقاتها وواجباتها : « ان العظائم كفؤها العظماء » ! .

واذا كانت هذه الامة الاسلامية مطالبة بان تكون شاهدة على الناس فانها في الوقت نفسه مشهود عليها ، وهى مشهود عليها من اكرم شاهد ، واكمل نموذج للانسانية الطاهرة الفاضلة : ان الشاهد عليها هو الصادق المصدوق ، سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

فالرسول يشهد لهم أو عليهم ، ومكانته فوق مكانتهم ، وفضائله اكثر من فضائلهم ،ولذلك صلح للشهادة عليهم، وهو يشهد بأنه قد بلغهم الرسالة وأدى الامانة ، ولعل هذا هو بعض السر في تكرير الرسول قوله : « ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » !

وهو كذلك يشهد بالايمان لمن صدق واستجاب، واهتدى واستقام ، ليكون ذلك تزكية للمتقين عند ربهم ، والامر من بعد هذا ، ومن قبله ، بيد الله وحده ، يفعل ما يشاء ويختار : « له الحكم واليه ترجعون » .

ورسول الله الشاهدعلى أمته ، هو الذى يقول لها :

« أنا فرطكم على الحوض ، من ورد على شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا، وليردن على اقوام اعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم ، فاقول : يارب، انهم مني . (أى يقول انهم من أمتي) .

فيقال : انك لا تدرى ما احدثوا بعدك ، فاقول : سحقا سحقا لمن غير بعدى » ! .

وما أشد الموقف ، وأعظم الهول ، حينما تقف الامة أمام رسولها ، ليشهد عليها عند ربها : « فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » !؟

جاء في السنة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أمر عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ، أن يقرأ عليه من القرآن ، فقال ابن مسعود كالمتعجب : أقرأ عليك ، وعليك أنزل !؟

قال الرسول : انى احب ان اسمعه من غيرى .

فشرع ابن مسعود يقرأ من سورة

القرآن الكريم

النساء ، حتى اذا بلغ قوله تعالى : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » قال له الرسول : امسك .

فرفع ابن مسعود رأسه فرأى دموع النبي تسيل .

قال العلماء : بكاء النبي صلى الله عليه وسلم انما كان تعظيم لما تضمنته هذه الاية من هول المطلع وشدة الامر ، اذ يؤتى بالانبياء شهداء على اممهم بالتصديق والتكذيب ، ويؤتى به صلى الله عليه وسلم يوم القيامة شهيدا !! .

***

ومن المعروف في فقه الاسلام أن الانسان لا يصلح للشهادة في الامور القضائية الدنيوية بمجرد كونه مسلما ، او لقوله أنا مسلم ، بل لابد أن يكون مرضيا في أخلاقه وسلوكه ، وأن يكون عادلا منصفا ، لان الله تبارك وتعالى يقول في وصف الشهداء : « ممن ترضون من الشهداء » . ويقول « وأشهدوا ذوى عدل منكم » .

والعدالة هنا ـ كما قال المفسرون ـ هي صفاء السريرة ، واستقامة السيرة ، وتجنب الكبائر ، والتزام الفضائل .

فكيف ـ اذن ـ بشهادة أمة على غيرها من الامم ؟ وهل تجرؤ هذه الامة حقا على أن تقف موقف الشهادة على سواها ، قبل ان تسائل نفسها أتستحق أن تكون شاهدة أم لا ؟ . وهل يكون من العدل ـ ان كان لا بد لها من شهادة ـ أن تشهد على نفسها ، قبل ان تحاول التعرض للحكم على من عداها ؟ .

***

ولو اننا استضأنا بأضواء القرآن الكريم لفهمنا أن الايمان في تعبير القرآن يقترن به العمل الصالح ، حتى تكررت عبارة : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » عشرات المرات ، ومعنى هذا انه لا يكفي أن نضع المنهج ونرسم الخطه ، بل لا بد من العمل والتطبيق ولا بد من وجود نوع خاص من العاملين ، تتوافر فيهم الصفات التي تؤهلهم من النهوض السليم بتنفيذ المنهج والخطه .

ولذلك نرى من أهم واجبات المجتمع الفاضل أن يدقق في اختيار طوائف العاملين في مختلف المجالات والقطاعات حتى يضمن بذلك حسن الاداء للواجبات، وبراعة الاتقان للاعمال .

ولو رجعنا الى القرآن لنستمر بأضوائه ، لوجدناه يركز الصفات الحسنة للعامل الممتاز في أمرين اساسيين ، هما عماد كل خير يرجى من وراء جهد العامل . هذان الامران هما : القوة ، والامانة .

ولذلك يقول القرآن الحكيم عن بنت شعيب عليه السلام ، حينما خاطبت اباها في شأن موسى عليه السلام :

« قالت احداهما يا أبت استأجره، ان خير من استأجرت القوى الامين»

والمراد بالقوة هنا ـ والله أعلم بمراده ـ ما يشمل القوة الحسية البدنية ، لان المريض او الضعيف او الناقص حسيا ، لا يجيد اداء الواجب المنشود . ويشمل القوة الذهنية لان هناك اعمالا تتطلب طاقة عقلية او فكرية خاصة .ويشمل قوة الملاحظة والمراقبة والانتباه لان بعض الواجبات يستلزم انتباها ويقظة .

وكذلك كل لون من الوان القوة المتعددة الأشكال والانواع ، يقدر تعدد الواجبات وتنوع الاعمال .

ولذلك قال الامام ابن تيمية : « القوة في كل ولاية بحسبها » . والمراد بالولاية هنا العمل الذى يتولى الانسان اداءه .

واما الامانة فنقصد بها الاخلاص في العمل ، مع الحصانة في الاخلاق

القرآن الكريم

مع الصيانة للتبعات ، ومراقبة الله تعالى في كل الأمور ، لأن هذه الامانة هي التي تحقق مرتبة « الاحسان » الذي يصفه سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، بقوله : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » ·

وعندما تعرضت في كتابي « اخلاق القرآن » لتفسير قوله تعالى : « انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها فأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » قلت ان « الامانة بمعناها الاخلاقي شعور بالتبعة ، واحتكام الى الضمير اليقظ ، ونهوض بالرعاية لكل ما في عهدة الانسان من شيء حسي أو معنوي ، وكان الحديث النبوي يرمز الى هذا المعنى حين يقول : « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » ·

وقد عبر يوسف عليه السلام عن هذين الشرطين اللازمين لن ينهض بعمل له قيمته ومكانته : القوة والامانة ، فقال لحاكم مصر على عهده : « اجعلني على خزائن الارض ، اني حفيظ عليم » · والحفظ للشيء يتحقق عن طريق الاقتدار عليه ، والاقتدار يستلزم القوة ، والعلم الصادق الناشيء عن المعرفة المستقيمة يؤدى الى الاخلاص والامانة والتقدير الواعي للواجبات ·

ولقد اضطر يوسف عليه السلام الى أن يقول هذا عن نفسه حينما رأى الموقف يستلزم وجود مثله على هذه الخزائن ، لا ليستغل وظيفته ، ولا ليخون امانته ، ولا ليبتز عن طريقها أموال غيره ، بل للخير والاصلاح ،

ولعله علم - كما يذكر بعض المفسرين - أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والانصاف ، فرأى ذلك متعينا عليه ، فليس ذلك تزكية للنفس ، أو حبا للذات ، ولكنه التطلب للاتقان ، والرغبة في الاصلاح والاحسان ·

واذا تدبرنا الامر وجدنا أن « القوة » في العامل ، لا تغني عن « الامانة » ، كما أن « الامانة » لاتغني عن « القوة » · فكم من قوي يقتدر حسيا على كثير من الاعمال ، ولكنه بخيانته يسيء ويفسد ، فيكون ضرره بخيانته اكثر من فائدته بقوته· وكم من أمين في العمل ، ولكنه جاهل أو عاجز عن اتقانه ، أو قليل التجربة فيه والتدريب عليه ·

ولذلك كان عمر الفاروق رضي الله عنه يتألم حين يرى رجلا أمينا ولكنه ضعيف ، وبجواره شخص قوي غير أمين ، فيدعو ربه قائلا : اللهم اني أشكو اليك ضعف الأمين وقوة الخائن » ! وبالها من كلمة !·

ولقد تعب عمر رضوان الله عليه في اختيار العمال الاقوياء الصالحين في بعض البلاد ، كالكوفة مثلا ، حتى قال : « أعياني أهل الكوفة ، ان استعملت عليهم لينا استضعفوه، وان استعملت عليهم شديدا شكوه ، ولوددت اني وجدت رجلا قويا أمينا مسلما استعمله عليهم » ! ·

ولاشك ان اختيار العامل للعمل تبعة يحاسب عليها القائم بها من شعبه ومن ربه ، فمن واجب الذي يختار ان يكون امينا دقيقا في الاختيار ، لا يخضع لغرض او مرض او هوى ، ولا يدع الضعيف العاجز يتمكن من مجال العمل فيفسده ويتلفه، وخاصة اذا كان العمل له خطورته وأهميته ·

ولقد سأل بعض الصحابة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يوليه عملا في ولاية ، فرفض النبي ذلك ، لعدم صلاحية الرجل ، وقال له النبي : « انك ضعيف ، وانها (أى الوظيفة أو العمل) امانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها » !

ولو أننا ابعدنا « القوى الامين » عما يمهره من عمل أو واجب ، واعطيناه من هو اضعف منه قوة ، أو خلقا ، أو انتاجا ، أو صبرا على بذل الجهد ، لكان ذلك لونا صارخا من الانحراف والخيانة ، ولذلك يقول سيدنا رسول الله : « من ولى من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا، وهو يجد من هو أصلح للمسلمين ، فقد خان الله ورسوله » !

بل عد الرسول اسناد الاعمال لمن لا يحسنونها ، واهمال من يمهرونها ، دليلا على قرب نهاية الدنيا ، لاضطراب الموازين ، واختلال الاوضاع ، فقال : « اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة . قيل : يا رسول الله ، وما اضاعتها ؟ فقال : اذا وسد الامر الى غير اهله (الجديرين به) فانتظر الساعة ».



ولذلك لا يجوز شرعا ان تكون هناك « محسوبية » ، أو مراعاة للقرابة أو المودة في اختيار العاملين لمختلف الاعمال لان ذلك يؤدى الى الفساد والضياع ، ولذلك قال عمر : « من استعمل رجلا (أى ولاه عملا) لمودة أو قرابة - لا يستعمله الا لذلك - فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

ويجب أن نطيل التفكير في قول عمر : « لا يستعمله الا لذلك » ، لانه ليس هناك ما يمنع من تولية القريب أو الصديق ، اذا توافرت فيه صفات العامل الصالح للعمل ، القادر على الصبر في الانتاج واداء الواجب ، والرقيب هنا هو الله جل جلاله ، الذى يعلم السر والنجوى .

وكذلك نلاحظ ان الاسلام منذ عهد الخلفاء الراشدين قد عرف نظام « التكليف بالعمل » ، حيث يرغم العامل القوى الامين على ان يؤدى الواجب القادر عليه ، اذا احتاج المجتمع اليه ، واذا لم يوجد غيره يسد مسده ، أو يؤدى الواجب مكانه .

ومن قواعد الاسلام انه اذا تعين شخص لاداء مهمة لازمة للمسلمين ، كان مفروضا عليه ان يقوم بهذه المهمة .

ولقد كان عمر يكلف بعض المسلمين بأعمال صالحين لها ، وقادرين عليها ، فكانوا لا يرغبون فيها خوفا من المغريات ، التى يحسبون انهم قد يتعرضون لها ، فكان يرغمهم على ذلك بقوة السلطان ، ويقول لهم : « والله لا ادعكم ، جعلتموها (يعنى الخلافة) في عنقى ، ثم تتخلفون عنى » ؟! .

اما بعد ، فان الاضواء التى يشعها القرآن الكريم كثيرة غزيرة ، يضيق عنها مجال مهما امتد ، أو مقال مهما طال ..

د. سيد نوفل

كيف عرفت الهلال قارئًا وكاتبًا

في نهاية العشرينات لهذا القرن ، كنا نتقدم في مرحلة التعليم الثانوي، وكان سلطان القراءة علينا لا يعلوه سوى سلطان التنادى باستكمال الحرية الوطنية والاستقلال السياسى ، والجلاء البريطاني التام عن الاراضى المصرية ، ووحدة وادي النيل ، وبناء التقدم الاقتصادى سبيلا للأمن الجماعي والسلام الاجتماعي ..

كان شغفنا شديدا بالقراءة والاطلاع على الآثار الفكرية والمجلات الادبية والعلمية ... ولم تكن ننتظر قدومها الينا مع باعتها المنادين بها في الطرقات ، وانما كنا ننتظرها في محطة القاطرات القادمة بها من القاهرة ... لقد كنا نعرف مواعيد هذه القاطرات، وكثيرا ما كانت تتخلف مواعيدها ساعة او ساعات، دون أن نفكر في استعجال العودة بغير المجلة المحبوبة لنا، سواء كانت « مجلة السياسة الاسبوعية » بموضوعاتها وبحوثها الفكرية التسامية ، او مجلة « المقتطف » بدراساتها العلمية الشيقة ، او مجلة « الهلال » بما تجمعه من فلسفة وسياسة وعلم وفن وادب منظوم ومنثور ...

لكن صحيفة « السياسة الاسبوعية » كانت هواى الاول فى مرحلة التعليم الثانوى ، وذلك بما تجمعه من اقلام قادة الفكر والرأى ، وما تضمه من مختلف الوان المتاع والزاد المعنويين ، وما تبعثه في النفوس من آمال قومية ، وما توفره من معرفة مفيدة بأنشطة الحياة في ميادينها المتنوعة ...



صالح جودت

ولاريب أن الفرق كبير بين فئة الناشئة لهذه الايام بالقراءة ، وفتنة الناشئة بها للعقود الاربعة الاولى لهذا القرن العشرين ... لقد كنا نحفظ كتابات المنفلوطي حفظا ، ونمتثل كتابات لطفي السيد ، وهيكل ، وطه حسين ، والعقاد ، امتثالا . ونستظهر الكثير من النثر والشعر العربي والاجنبي قديمه ووسيطه وحديثه .... بل ان العناية العامة بالانتاج الفكري كانت أعظم كثيرا منها في هذه الايام . وكان قسط كبير من حديث الناس اليومي ، ونقاشهم الخاص والعام يستأثر به مقال أدبي في الاهرام أو السياسة أو الجهاد ، أو كتاب جديد لاحد الاعلام ، أو نقد لاديب أو شاعر ، أو حوار أدبي بين طه وهيكل ، أو قصيدة لشوقي أو حافظ ، أو ما الى ذلك من مختلف الآثار اليومية التي كانت تشغل الناس خاصتهم وعامتهم ..

ولعل تعليل ذلك يسير ... فالثورة الفكرية في بداية هذا القرن هي التي مهدت للثورات والانجازات السياسية وصاحبتها في سنواتها الاولى ... والاساتذة السابقون قد نجحوا في تحبيب الكتاب والمطالعة الخارجية الى تلاميذهم اكثر مما نجح ، ان لم نقل بينما فشل ، الاساتذة المعاصرون . ولهؤلاء الاساتذة عذرهم في كثرة التلاميذ وقلة المعلمين ، وقصور الحافز ، وفقدان الجزاء المكافىء والاسوة الاعلى ...

كما أن هناك عنصرا أساسيا في الفرق بين الحالين ، ذلك هو ان القراءة كانت الوسيلة الوحيدة للمعرفة ، وقد أصبحت احدى وسائل كثيرة ، وتنوعت

كيف عرفت
الهلال
قارئا وكاتبا

مصادر الثقافة بين مسموعة ومرئية ، ومكتوبة ومصورة ، وصامته ومتكلمة، كما أصبح الانسان يعرف الجديد في عالمه وهو جالس في مكتبه، أو مستلق على سريره أو متجول في سيارته أو مسافر في قاطرته أو طائرته ··· والى جانب ذلك لقد اتسعت آفاق العلوم والفنون ، وأصبح وقت الطلاب والاساتذة والعاملين في مختلف مجالات الحياة لايتسع لغير تخصصاتهم أن لم يضق بها ···

استهواني الهلال عام ١٩٣١

ومهما يكن من أمر فحين دخلت « كلية الآداب » من الجامعة المصرية في خريف عام واحد وثلاثين وتسعمائة وألف ، وظهرت نزعتي الى الاشتغال بالسياسة والشئون العامة ـ استهواني « الهلال » ، وحل المحل الاول من قراءاتي ··· وكان الفضل في ذلك للإسلوب الذى احتفل فيه « الهلال » بعامه الاربعين ، وما زخر به العدد الاول لذلك العام من ألوان المعرفة والرأى والبيان ···

لقد اعلن « الهلال » في بداية عامه الاربعين ، وفي عدده الاول من نوفمبر لعام ١٩٣١ ، انه سيقدم هدايا تذكارية لقرائه منها « كتاب اليوبيل الاربعيني » يتضمن فصولا عن تاسيس « الهلال » والادوار التى مرت عليه والحياة الفكرية طوال عمره حينذاك ، ومقتطفات مما نشر في « الهلال » خلال أربعين عاما ··· ولقد ظللت ارقب هذه الهدية حتى ظهرت ، فاقبلت عليها اطالعها واحفظ ما يروق لى منها ، والشعر بعد الفراغ من استيعابها انني اصبحت من قراء « الهلال » طوال اربعين عاما سبقتنى، وانه من العسير على التخلى عن متابعته ···

وشيء ثان اعجبني في هذا العدد وربطني بالهلال · ذلك هو احتفاله بعودة المنطاد الالماني (جراف تسبلن) من فتحه التاريخي برحلته العلمية الى القطب الشمالي في الثلاثين من يوليو (تموز) لعام واحد وثلاثين، وعلى ظهره طائفة من العلماء استطلعوا القطب الشمالي وأحاطوا بسوالفه، وأخذوا لصورا فوتوغرافية كثيرة ، واتوا بمعلومات وفيرة عنه ، ورسموا له خرائط ، وانجزوا اعمالا كانت تقتضى سنين كثيرة ، لو ان الرحلة تمت بالوسائل القديمة ···

وهذا المنطاد كان بداية التحولات الكبرى في عالمنا المعاصر ··· ولقد

كانت اليقظة المصرية للمسئولية الوطنية فى مواجهة هذه التحولات تدعو الى أعظم التقدير والاعجاب حقا ...

وما زلت اذكر اعلام السياسة والاقتصاد والعلوم والفنون الذين وضعوا دراسات علمية وثيقة ، كل فى مجال تخصصه ، ثم ألقوا حلقة محاضرات عن دراساتهم بقاعة « ايوارت » بالجامعة الامريكية ، واظهروها فى كتاب علمى قيم ، ليكون مرجعا للعمل الوطنى فى عصر المنطاد الالمانى ، أو ما كان يسمى فى تلك الايام : « عصر اكتشاف المجهول الكونى ».

وما زلت اذكر الكلمات البليغة المؤثرة التى قدم بها «اميل زيدان» العدد الاول من السنة الاربعين « الهلال »، والتى تفيض تفاؤلا فى العمل والاخلاص ... وقد استعدت تلاوتها لمناسبة هذا المقال ، وهى :

« ان الهلال يطمح – بين ما يطمح اليه – أن يكون أحد حاملى رسالة التجديد الروحى . فهذا فى نظرنا أمس ما يحتاج اليه عالمنا المريض من صنوف العلاج فى هذه الايام العصيبة.

« والان . فلنغمض اعيننا هنيهة ، ولنتصور ان اربعين سنة اخرى قد انقضت على الهلال .. ماذا عسى ان يقوله ذلك الكاتب الذى سيتولى كتابة الفاتحة فى الجزء الاول من السنة الثمانين ؟

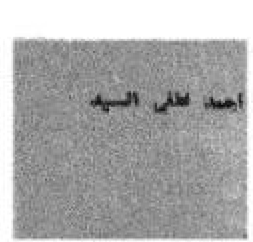
« لعله يراجع هذه الاسطر ، فيسجل تطور العالم فى زمنه وتقدمه فى سبيل الشفاء الروحى ..

« لعله يسجل الى جانب تعدد المخترعات والمستحدثات ارتفاع المستوى الذهنى والخلقى ..

مصطفى لطفى المنفلوطى







احمد لطفى السيد

« لعله يسجل انتشار العدل والانصاف ـ على اختلاف صورهما ـ بين الطبقات وبين الشعوب ..

« لعله يسجل ـ على الخصوص ـ تقدم مصر فى ثقافتها ورفاهيتها ، وسجل تبوءها المقام الجدير بها وبتاريخها بين امم الارض » .

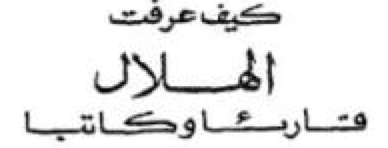
ومثل ذلك ما قرأته فى ذلك الوقت لاميل زيدان عن تحضير الارواح ، ومشاهدته لاحدى تجاربه ، وميله الى التصديق رغم عوامل الشك ... وقد ذكر انه استحضر روح والده جرجى زيدان وساله عن رأيه فى « الهلال » ، فأبدى له الاعجاب بتقدمه وتمام الرضا بتطوره ، وأكد له أن روحه تتابع « الهلال » وأنه فخور به الان ». وذلك دليل تفانى الوالد والولد فى النهوض بالهلال ...

ويكفى أن أشير الى أن عدد « الهلال » الاول من عامه الاربعين قد جمع مقالات للطفى السيد ، واحمد ماهر ، وابرهيم الهلباوى ، وأمين سامى ، وعثمان مرتضى ، وفريد وجدى ، ومنصور فهمى ، وابراهيم المازنى ، واحمد شفيق ، وطه حسين ، ومى ، وخليل مطران ، وعلى ابراهيم .. وهى تتناول الفلسفة والادب والعمران والصحافة والسياسة والاقتصاد والتربية والصحة والمسرح والموسيقى والتصوير والحقوق ...

ولهذا سعدت دائما بقراءة « الهلال » فى مطلع كل شهر طوال خمسة وأربعين عاما ... واذا فاتتنى تلاوته ، لسفر بعيد عن متناول بريد « الهلال » ، حرصت على مطالعة مافاتنى فى أول فرصة تتاح لى ..

واخيرا عرفت الهلال كاتبا

وتاريخ ممارستى الكتابة الصحفية ، يعود الى تاريخ معرفتى بالهلال قارئا . ففى بداية الثلاثينات كتبت ، أثناء الدراسة الجامعية ، فصولا فى نظريات الادب وفى النقد ، كما نشرت قصصا كثيرة . لكن





د. محمد حسين هيكل

كتاباتى كانت موزعــــة بين مجلتى « الرسالة » و « الثقافة » وصحيفتى « كوكب الشرق » و « الوادى » حيث كان يحرر أستاذنا الدكتور طه حسين فترة ابعاده من الجامعة ••• فاذا كان منتصف الثلاثينيــــات وتخرجت فى الجامعة ، عملت محــــررا بصحيفة « السياسة » ، اكتب الفصول القصــار فى السياسة والاجتماع ، واتولى تحرير القسم الادبى متفــــرغا عامين قبل التحاقى بالعمل فى الجامعة المصرية والوزارات المختلفة ، وغير متفرغ بعد ذلك نحو عشر سنوات •••

حقا ان العمل السياسى قد استأثر بعنايتى ، واستنفد أعظم جهدى منذ عملت مساعدا للمشتغلين به فى أعلى المســـتويات ابتداء من عام ثمانية وثلاثين وتسعمائة وألف • لكن متابعة الحركة الفكـــرية فى العالم العربى والاجنبى ، وقـــراءة اثـــارها ، ظلت هوايتى التى تكاد تكون وحيدة ، الى جانب العمل السياسى الرســـمى فى مختلف المجـــالات منذ سبعة وثلاثين عاما •••

غير أن معرفتى « بالهلال » كانت متقطعة بنات الخبراء ، ومنذ اربعة أعوام فقط ••• وكان صاحب الفضـــل فيها هو الصديق الوفى الكاتب الشـــاعر الاستاذ صالح جودت ، الذى استعادنى الى ميدان تخليت عنه عشرات السنين فقد حرص على ان اكتب فى « الهلال » منذ اسندت اليه رياسة تحريـــره فى منتصف عام واحد وسبعين وتسعمائة وألف •••

وعارضـــت اغراءه بمختلف الوسائل ، وأبديت شتى المعاذير ،

كيف عرفت
الهلال
قارئا وكاتبا

ولكن قوة اغرائه كانت من الفاعلية بحيث نزلت اخر الامر على رغبته واجبت داعيه ...

عرفت نفسي

وكان مصدر انتصار الصديق العزيز انه عرفني بنفسي .. لقد ذكرني بالمقالات التى كنت أنشرها فى « الاهرام » منذ عشرات السنين تعريفا بكتاب المغفور له الدكتور محمد حسين هيكل فى أوقات ظهورها ، وبتوقيع « جامعي » فى أكثر الاحوال . وذكرني بالصفحة الادبية التي كنت أنشرها اسبوعيا بصحيفة « السياسة » ، وبمقالاتي الكثيرة تحت عنوان « بين الادب والسياسة » .. كما ذكرني بأنني مؤلف « نشأة البلاغة العربية » فى عام أربعين ، ومؤلف « شعر الطبيعة فى الادب العربي والآداب الاوروبية » عام أربعة واربعين ...

وباغراء الصديق ، وبما تذكرت من أمر نفسي ، أقبلت على الكتابة فى « الهلال » سعيدا أعظم السعادة بها ، ومقتنعا بانها من خير ما ارجو أن يكون فيه نفع لبني أمتي الخالدة على الزمان ...

والحق أنني قد عرفت نفسي بالكتابة فى « الهلال » . وأذكر أن الصديق الاستاذ صالح قد دعاني يوما للكتابة عن طرفة بن العبد بوصفه أحد شعراء الشباب الخالدين . فترددت بادىء ذى بدء ثم قبلت بتأثير اسلوبه المحبب الى النفس ، وطلبت بعض المراجع الجامعية فى الموضوع ، وكانت دهشتي بالغة حين وجدت أحدها ، وأوفاها فى الموضوع ، يضع كتابي « شعر الطبيعة » أول مراجعه ... وعدت أنفض التراب عن النسخة الوحيدة التى نسيتها فى طرف قاص

من اطراف مكتبتى ، واعود الى نفسى استزيد من أصفى منابع السعادة نبعاً .

وازداد الناس معرفة بى

وكتاباتى فى « الهلال » قد زادت الناس معــــرفة بى ، أو فسرت لهم بعض أمرى . فكثيرون من المسئولين والقادة العـــرب كانوا يعجبون من حرصى الشديد على سلامة الاسلوب العربى فى جميع أعمال جامعة الدول العربية ، ومن تأكيدى الدائم على انه لا يمكن الفصــــل بين اللفظ والمعنى ، وان شيوع الاميـــــة الفكرية هو الذى مكن لنشر الاخطاء السياســــية بين الامم النامية ، وان جــــامعة الدول العربية لا يصـــح ان يعمل فيها الا عارف معرفة وثيقة بلغة العرب وفكرهم وقوميتهم : دعامة وحدتهم ..

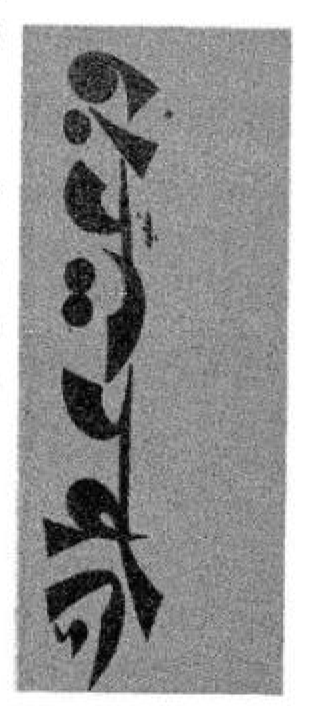
وكان البعض يتنــــدر ، ويزعم اننى اكتب قرارات مجلس الجامعـــــة قبل اجتماعات المجلس ، واتحرى فيها دقة الاســـــلوب ووفاءها بجميع عناصر الموضوع ... لكن مقالات « الهلال » فسرت لهم فتنتى بلغة الضاد ، التى تعتبر المقوم الوحيـــــد للعروبة منذ نشأت جامعة الدول العربية لثلاثين عاماً خلت .

بل اننى فى كثيـــر من اللقاءات العربية ، بالقــــاهرة وبغيرها من العواصـــم العربيـــة تلقيت الكثير من الاســـــتفسارات : هل انت صاحب مقالات « الهلال » او ان هنالك كاتباً اخر باسمك يكتبها ؟!

وقد سألنى ذات مرة احد رؤساء الدول العربية المثقفين هذا السؤال .. وحين اجبته اثباتا اخذ يحدثنى فى بعض ما كتبت ، ويناقش معى طرفا من جوانبه . ولعله كان يستوثق من امرى .. وفى النهـاية قال متلطفا : كيف تجد الوقت لهذه الكتابات ، ونحن نستأثر بجهدك ، ونشغلك بالكثير من أعمال الجامعة ؟!

ولكنى اجبته فى اخلاص وصدق : ان مثل هذه الكتابات ، التى تزودنى بالمتاع النفسى ، هى اقوى طاقة استمد منها المقدرة على العمل والســـعادة بالتفانى فى اداء الواجب ..

فوزى عطوى



أنتِ الكبيرةُ ، أنت النبلُ ينسكب
فما ليشجنوكِ ، يا نيساني ، سببُ ،
وزعتِ عطركِ في الدنيا ، فلا تسلى
والزهرُ زهركِ ، كيف الروض ينتهبُ

***

كان الربيعُ خريفا ، يومَ سامرَني
من الهمومِ شعاع مُدنف تعبُ ،
حتى مررتِ به ، فالروضُ مؤتلق
والبِشرُ مُبتسِم ، والحزنُ مكتئب
تهللتْ أطيب ايامى ، فواحرقى
إذْ راح زَهركِ تذكى وهمه الريب
أنميتِ ، في الرّوضِ ، زهر الروض مرتفقا
فما لهُ باتَ من يومينِ ، يصطخبُ
لعلّ ذنبي ما أرخَصتُ من غزلِ

وما وَهَبْتُ ، بلا حرصٍ ، وما أهَبُ !
مالامَسَتْ نزوةٌ حُبّاً حَيِيتُ لَهُ
ولا انثنيتُ بزهر الروضِ لي أرَبُ
فكان أيسَرَ حتى أن يُبادلني
ودّاً بودٍّ ، فلا ينبو به غَضَبُ !
رَجَوْتُ نبلك ، لا تأسى إذا انشعَبَتْ
كأسي ، فإنّ فؤادي كادَ ينشَعِبُ
ما همّني أن زهرَ الروضِ أنكرني ،
قد تنكرُ اليد ما تسخو به السحب !
الذنبُ ذَنبيَ . ليتَ الحزنَ دمّرني
فلا عتبتِ ، ولا أدماني العتبُ !
عهد علي ، وبي من لوعتي حُرق
وفي كرامةِ نفسي من أذىً ، لَهَبُ
إن عنكِ لم أبتعِدْ حبّاً وتكرمة
فمن أحبّ رحابِ ، لستُ أقترب !

محمد عبد الغني
حسن



أسوان بلد الشلال

والسد العالي ، والشعراء والأدباء

مهداة إلى روح العقاد

في شهر مارس القادم يحل موعد الذكرى الثانية عشرة لوفاة الشاعر الكاتب العظيم عباس محمود العقاد الذي انتقل الى جوار ربه في ١٢ من مارس ١٩٦٤ .

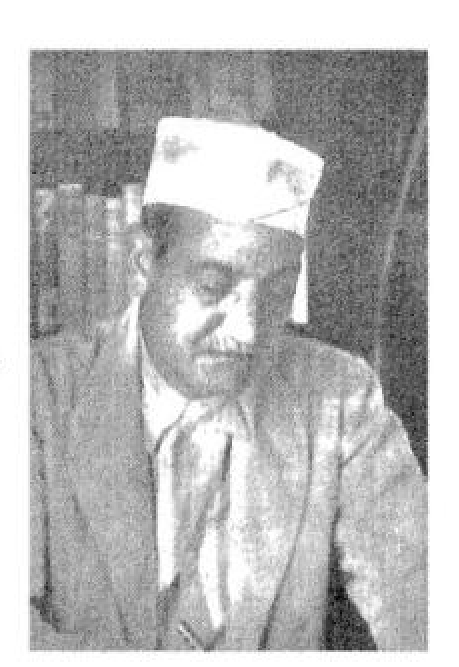
والعقاد من « أسوان » بلد الشلال، والخزان ، والسد العالي ... وقد خلدها في شعره بأكثر من قصيدة . ولم يكن مقبولا منه أن يسكت عنها في شعر يقوله . فذكرها منه وفاء ، والعقاد معروف بيننا بالوفاء ...

ولانزال نذكر قصيدة العقاد (الشتاء في أسوان) التي يقول فيها :

الق الربيع على البشير « كانون » آن بالظهور
أسوان تزهو حين يذ بل كل مخضر ، نضير
في كل مرباة بها نور تألق فوق نور
بلد تجود له الطبيعة بالصغير ، وبالكبير
لا تستقبن شموسه الا على غير البصير
نسماته برء العليل ، وماؤه عذب نمير
ما طب « جالينوس » قيس بطبه الا غرور

ولما جاء الشتاء على « أسوان » والحرب العالمية الاولي لافحة اللهيب ، انعدم وفود السائحين والزائرين إلى هذا البلد الشمس . فافتقرت هذه البلدة الدافئة في الشتاء من وجوه قاصديها من الاجانب ، وأوحشت رباعها الانيسة ، ورآها العقاد كئلة موحشة مقفرة ، فبكاها بقصيدة يقول فيها :

أقلب وجهي ، وماذا يعي باسوان أو ينظر الناظر ؟
بأرض اذا ما علاها السحا ب مر كمن خلفه ناهر
وهذا الشتاء .. فأين الوفود ونور بأحيائهم باهر
فشموس من الغرب مجلوة يجيء ، بها الافق السافر



عباس محمود العقاد



طواهن عنا أيام الحروب   وجو بنيرانها ماطر
فليس « بأسوان » من طلعة   يسر برؤيتها الشاعر
وليس على أفقها كوكب   يرامقه الناظر الساهر
متى أيها النجم يوما أراك   وأنت على غيرها دائر ؟

على أن (أسوان) هذه التي أنبتت « عباس محمود العقاد » وأطلعته نجما عاليا ساطعا في سماء الفكر والادب في زماننا هذا ، قد أطلعت في القديم نجوما كثيرة ، تحفل الكتب والمصنفات بآثارهم وأخبارهم ·

وقد تشتهر الحواضر الكبرى في العالم العربي الوسيع ، بأنها أخرجت رجالا يضربون في مجالات العلم والادب والفكر بما تعتز به نسبتهم إليها ، وانتماؤهم لها ، كالقاهرة ، وبغداد ، ودمشق ، والقدس ، والبصرة ، والكوفة ، والاسكندرية ، وأسيوط ··· ولكن هناك مدنا وبلدانا صغيرة قد اشتهرت بأنها أطلعت فراقد في سموات العلم والمعرفة ، كبنها وطنطا ، والمحلة ، ودمنهور ، ودمياط في دلتا مصر ، وكأسنا ، وقنا وقفط ، وقوص ، وأدفو ، وأسوان في صعيد مصر ·

ولما صنف كمال الدين الادفوي من علماء مصر في القرن الثامن الهجري كتابه (الطالع السعيد ، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد) ذكر في أوله أنه قد خرج من أسوان خلائق كثيرة لا يحصرون من أهل العلم والرواية والادب ، وذكر الخبر التالي ، وهو أنه حضر مرة قاضي قوص ، فخرج من أسوان أربعمائة راكب بغلة للقائه ··· وركاب البغال هؤلاء هم رجال العلم والفقه والشرع والادب واللغة والتاريخ والشعر · وما ظنك ببلدة ـ مثل أسوان ـ يخرج منها في موكب واحد مثل هذا العدد والحشد الحاشد من الادباء والعلماء لاستقبال قاض من القضاة ؟

ولقد حاولت أن أحصي كل من انتسب الى بلدة أسوان من العلماء

أسوان

والادباء والاطباء والفضلاء منذ الفتح الاسلامى . فاعيانى أن أجمعهم من كتب التراجم والطبقات والتاريخ والسير والشعر والبلدانيات وغيرها . وفى « معجم البلدان » لياقوت الحموى ذكر لجماعة منهم ، وان كان الكمال الادفوى قد امتاز بانه عنى بنفسه بجمع أكبر عدد من فضلاء أسوان ، كما فعل ذلك مع أعيان قوص وما يضاف اليها فى القديم من القرى والبلاد .

وما ظنك أيها القارىء الكريم بك أسوان أخرجت حتى نهاية القرن الثامن الهجرى أكثر من عشرين شاعرا ، امتازت حفنة منهم بالفحولة فى الشعر ، والسبق فيه ، كما اخرجت عشرات من القضاة ، والمحدثين ، والفقهاء ، والمقرئين ، والزهاد ، والمتصوفة ، والاطباء ؟

ولقد اخرج لنا بيت (السديد) من « أسوان » شاعرين كبيرين ، هما ابناء عم ، أحدهما « على بن عرام » ، والاخر « هبة الله بن على بن عرام » وقد ذكرهما العماد الاصبهانى صاحب (الخريدة) واثنى عليهما ، وان كان قد نقل حكم قاضى أسوان بأن هبة الله أشعر من ابن عمه . كما أخرج لنا بيت « ابن الزبير » الاسوانى شاعرين وأديبين فحلين من شعراء أخريات العصر الفاطمى ، وأوائل العصر الايوبى ، وهما : « المهذب ابن الزبير » وأخوه القاضى « أحمد بن الزبير » المعروف بالرشيد .

ولنقف هنا وقفة قصيرة مع « على بن عرام بن السديد » الذى شهد له صاحب خريدة القصر بانه (شيخ من أهل الادب مقيم بأسوان فوق قوص ، ملك من الادب الخلوص ، ومن الشعر الخصوص ... فلابن عرام فى ميدان النظم غرام ، وبابتكار المعانى الحسان غرام . ولرويته فى اذكاء نار الذكاء ضرام ، والملوك باصطناع أمثاله يقال لهم كرام وكل سحر وخمر سوى منسوج قدامه وممزوج مدامه حرام ...) ولقد كان على بن عرام معاصرا لابن عمه هبة الله ، ودارت بينهما مساجلات ومطارحات غير قليلة .

وأغلب أشعار على بن عرام فى الغزل المشبوب والحب الملتهب ، وان كان له فى المدائح باع غير قصير ، كما أجاد فى المراثى والوصف والاعتذار والحكمة والهجاء . فمن غزلياته قوله :

حللت قلبى ، فعيتى ... عليك تحسد قلبا ...
فما أرى البعد الا ... قد زادنى منك قربا

وقوله :

اغرك من قلبى انعطاف ورقة ... عليك ، وان تجنى فلا أتجنب ؟
فلا تأمنى حلمى على كل هفوة ... ولا تحسبى أن ليس لى عنك مذهب
وكيف وعندى فضلة من جلادة ... تعلم أصلاد الصفا كيف تصلب !

وقوله :

الوجد للدنف المعنى فاضح ... ودليله باد عليه وواضح
كيف السبيل له الى كتمانه ... والدمع والسقم المبرح بارح
ان يمس قلبى وهو صب نازح ... فلأن من يهواه عنه نازح
فجوارحى وجدا عليه جريحة ... وجوانحى شوقا اليه جوانح

ولقد كانت العلاقة بين على بن عزام وابن عمه هبة الله شديدة متينة ، فلما مات الثاني رثاه الاول بقصيدة يقول فيها :

من لسود الخطوب غيرك يجليـــــها وقد غاب منـــك بدر منير ؟
من يحوك القريض مثلك يســد يه على خـــبرة به وينير ؟
ليس في العيش بعد فقدك خير حبــذا واقد الردى لو يزور
كان ظني اذا المنـــايا انتحتنا انني اول وانت اخيـــــر
خانني الدهــر فيه أمن ما كنــــت عليـــــه وعزني المقــدور
كيف لي بالسلو عنـــه وطي القلب من فقده جوى منثور ؟

أما ابن العم هبة الله بن عزام فكانت الشاعرية فيه أقوى واظهر ، والحس الشعرى فيه أرق وانبل ، وقد شهد له العماد الاصبهاني صاحب الخريدة بأنه كان قويا في فهمه ، جريا في نظمه، ماضيا في عزمه ، راضيا بحزمه ، ولما ظفر بنسخة خطية من ديوانه حصل عليها من (فخر الدولة بن الزبير) ، فرح بها وقال عنها : (فحصلت على الدر المنظوم والمنثور وتلقت الفريدة منه كل قلادة ، تزين كل غادة واوردت في الجريدة من شعره ما يشير بافادة واجادة ..) . وقد ضرب هبة الله بسهم وافر في أغراض الشعر السائدة في عصره ، فتغزل ، ومدح ، وهنـــا ورثى ونظم في الزهد والحكمة .

فمن غزلياته :

يالقومي لغـــادة جمعت دل الأغاني ، وسطوة الإملاك
فتنتني بلفظهـــا ، وثنتني عن رشادي بطرفها الفتاك
صيرتني في العشق اوحد دهرى بعد أن كنت اوحد النساك

وقوله :

قلت لاخـــواني وقـــد زارني ظبي سقيم الطرف طاوى الحشا
مفتتن في كل احـــــوانه محكم في مهجتي كيف شـــا
ها فانظروا واعتبروا واعجبوا من أسد يحكم فيه رشـــا !

وقوله :

ايها العشـــاق ! هل احـــد قائم في الله محتســـب ؟
من مجـــيرى من مدللة لحظها الهنـــدية القضـــب ؟
هي بدر التم ان ســـفرت وهـــلال حـــين تنتقب
سفكت يوم الفـــــراق دمي فهو من جفني منسكـــب ..

ومن شعره في ذم الزمان :

كنت فيما مضى اذا صغت شعرا صغته في المديح او في النســيب
وانا اليوم ان صنعت قريضـــا فهو في ذم الزمـــان العجيب

ومن مراثيه قوله :

نميل مع الآمال وهي غـــرور ونطمــــع أن نبقى وذلك زور
وتخدعنا الدنيا القليل متاعهـــا وللشيب فينـــا واعظ ونذير
ونزداد فيها كل يوم تنافســـا وحرصـــا عليها والمراد حقير
ونطلب ما لا يستطاع وجـــوده وللموت منـــا اول واخيـــر

ومن حكمه قوله :

كن موقنا ان الزمان وان غـــدا لك رافعا سيعود يوما واضـــعا
والطير لو بلغ السماء محـــله لابـد يومـــا أن تراه واقعـــا

وقوله:

اذا اثريت من ادب وعـــلم فلا تجـــزع ولو تربت يداكا

فمعنى الفقر فقر النفس ، فاعلم   وان الفيت فى اللفظ اشتراكا

وقد راقه هذا المعنى الذى كان تعبيرا حقيقيا عن نفسه ، فقال فى أبيات أخرى :

معاذ الله أن أغدو كقوم   متى افتقروا فهم حلفاء هم
اذا تربت يداى فلست آسى   وقد أثريت من ادب وعلم

وحسبنا هذه الوقفة عند شاعرين ابنى عم من أبناء أسوان · أما الشاعران الشقيقان من نجباء أسوان فهما « المهذب بن الزبير » وأخوه « الرشيد » ·

ولقد كان حظ المهذب أسعد من حظ غيره من شعراء العصر الفاطمى ، فقد تناوله بالكتابة عنه والترجمة له كثيرون وان كنا لا نعرف شيئا عن ديوانه المفقود الذى أشار اليه المؤرخ ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان، وهو يترجم لأخيه القاضى الرشيد بن الزبير ·

وفى الحق اننا مدينون لياقوت الحموى صاحب معجم الادباء من ناحية وللعماد الاصبهانى صاحب خريدة القصر من ناحية اخرى لانهما حفظا لنا فى كتابيهما العظيمين قدرا لا بأس به من شعر شاعرى أسوان فى القرن السادس الهجرى : المهذب بن الزبير الاسوانى وأخيه الرشيد ·

واذا كان بعض مؤرخى الأدب المعاصرين قد عزوا جزالة شعر المهذب الاسوانى ورصانته الى نشأته واقامته فى أسوان ، فانطبع بالبيئة المحافظة التى احاطت به هناك ، فان هذا الرأى لا يقبل على علاته ، بل هو موضع المناقشة · فقد تكون القاهرة والفسطاط والاسكندرية وكل حضر مترف مسئولة مثلا عن رقة شعر « تميم بن المعز » ، أو « حيدرة العقيلى » ، أو « ظافر الحداد الاسكندرى » ، ولكن الرقة شيء ، والشاعرية الفحلة الجزلة شيء آخر ·

فالشاعر الحق شاعر ، سواء أكان مقيما فى الحضر ، أم متنقلا فى البادية · ولا شأن للبداوة والحضارة بالأريحية الشعرية التى قد يرزقها شاعر حضرى . كما يرزقها شاعر غير حضرى مثل (المهذب الاسوانى) · ونحن نجد فى البلد الواحد شعراء يختلفون قوة وضعفا وأصالة وتكلفا ، وفحولة وفسولة ، مع انهم جميعا تقلهم الارض نفسها ، وتظلهم السماء نفسها ، ويأتى الاختلاف من ناحية الاستعداد والطبع وبعض المؤثرات الداخلية والخارجية التى قد تصبغ شاعرا بصبغ معين ، ثم تصبغ شاعرا بلديه ومواطنه وابن بلديه بصبغ آخر مغاير · والا فالقاهرة ، وهى حاضرة مصر وقصبتها كانت فى النصف الاول من هذا القرن العشرين الذى نعيش فيه مملوءة بشعراء من امثال احمد شوقى ، ومحمد حافظ ابراهيم ، وخليل مطران ، ومصطفى صادق الرافعى ، وأحمد الكاشف ، وأحمد محرم ، وأحمد نسيم ، وولى الدين يكن ، وعبد الرحمن شكرى ، وابراهيم المازنى ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد الهراوى ، وابراهيم العرب ، فهل كانوا كلهم على غرار واحد من حيث الاصالة والجزالة والقوة من ناحية ، والطراوة والليونة والنعومة من ناحية أخرى ؟ وأين شعر الرافعى على جزالته وقوة بنائه وشدة أسره ، من شعر محمد الهراوى أو امام العبد ، أو ولى الدين يكن السهل اللين الناعم ؟





حافظ ابراهيم



خليل مطران

ولقد نظم الشاعر « المهذب بن الزبير الاسوانى » فى عدة أغراض من الشعر، ويدل القدر الذى أبقاه لنا الزمان من شعره فى مختلف المصادر والمراجع القديمة على انه قال الشعر فى المدح ، والوصف ، والفخر ، والغزل ، والاستعطاف ، والهجاء ، والعتاب ، والرثاء ، والشكوى ، والحكم والمواعظ

واكثر مدائح شاعرنا المهذب الاسوانى فى الملك الصالح « طلائع بن رزيك » وزير الفاطميين ، فوصف شجاعته ، ومواقفه فى القتال ، وانتصاره على الاعداء . ولعل قصيدته النونية فى مدح طلائع بن رزيك وتهنئة بالانتصار على أسطول الروم فى البحر الابيض المتوسط تعد مثالا جيدا على شعره .

أما الغزل عند ابن الزبير الاسوانى فرقيق غير متكلف ولا مصنوع ، سواء أكان غزلا مستقلا مقصودا لذاته ، أم كان مقدمة لقصيدة معينة ليخلص منه الى الغرض الذى يريده . ومن غزله المستقل ما أعجب به الامير الفارس العربى مرهف بن أسامة بن منقذ ، ورواه للعماد صاحب الخريدة ، حيث يقول :

بالله يا ريح الشما	ل اذا اشتملت اليوم بردا
وحملت من نشر الخزا	مى ما اغتدى للند ندا
ونسجت فى الاشجار بين	غصونهن هوى ، وودا
هبى على « بردى » عسا	ه يزيد من مسراك بردا
أحبابنا ! ما بالكم	قلتا من الاعداء اعدى ؟
وحياة ودكم ، وتر	بة وصلكم ما خنت عهدا ..

ومن غزله الذى افتتح به قصائده لاغراض اخرى ، ما قاله فى قصيدته الرائية التى نظمها بمناسبة سجن أخيه الرشيد الاسوانى فى اليمن لاسباب سياسية :

هم نصب عينى انجدوا او غاروا	ومنى فؤادى انصفوا او جاروا
وهمو مكان السر من قلبى ، وان	بعدت نوى بهمو ، وشط مزار

فارقتهم ، وكأنهم في ناظري … مما تمثلهم لي الافكار
تركوا المنازل والديار ، فمالهم … الا القلوب منازل وديار
واستوطنوا البيد القفار، فاصبحت … منهم ديار الانس وهي قفار
فلئن غدت مصر فلاة بعدهم … فلهم باجواز الفلا أمصار

ومنها قوله:

أمنازل الاحباب غيرك البلى … فلنا اعتبار فيك واستعبار
سقيا لدهر كان منك تشابهت … أوقاته فجميعه اسحار
قصرت لي الاعوام فيه فمذ نأوا … طالت بي الايام وهي قصار
يا دهر : لا يغررك ضعف تجلدي … اني على غير الهوى صبار

ومن شعر المهذب بن الزبير الاسواني في الشكوى وذم الزمان والسخط على الايام قطعة أغلب الظن انها من قصيدة له في وصف حال أخيه القاضي الرشيد الاسواني المأسور باليمن . ويبدو الشاعر هنا رقيق الشكوى ، ساهر الجفن ، قائم الليل ، حيث يقول :

لقد غاب عن افق العلا كل ما جد … له حاضر المجد التليد وغائبه
اذا ذكرته النفس بت كأنني … أسير عدا سدت عليه مذاهبه
وكم ليلة ساهرت انجم افقها … اذا غاب عني كوكب لاح صاحبه
يطول على الليل ... حتى كأنما … مشارقه للناظرين مغاربه
وقد اسلم البدر الكواكب للدجى … وفاء لبدر اسلمته كواكبه
يخيل لي أن الظلام عجاجه … وان النجوم الساريات مواكبه
وأن البروق اللامعات سيوفه … وأن الغيوث الهامعات مواهبه

وتتكرر انغام الشكوى في شعر « المهذب الاسواني » . كأنه يجد في البث متنفسا لهمومه وأحزانه . واذا كان الدهر قد بلاه باعتقال أخيه الرشيد في اليمن ، فانه ثنى باعتقاله هو وسجنه على يد الوزير المصري شاور ، بسبب اتصاله « بأسد الدين شيركوه » عم البطل الفاتح صلاح الدين الايوبي . وقد يكون لشاعرنا الاسواني في الحياة هموم أخرى غير هذين الهمين فمن ذا الذي يخلو في الحياة من منغصات ومن أسباب للشكوى ؟

ولقد اجاد شاعرنا « المهذب الاسواني » وصف الاشياء المادية المتجسدة ، سواء أكانت طبيعية أم صناعية ، كوصفه للبحر ، ولجثث القتلى ، وللاسطول المصري ، وللرماح التي يقول فيها :

وسمر عوالي زينتها اكفهم … فقد حسدت منها الكعوب اللهاذم
اذا عقلوها خلتهم متوشحي … سلوخ ، وفي الايمان منهم أراقم
تلوح نجوما ، في النحور غروبها … اذا جنها ليل مع النقع قاتم

ويقدر اجادة « المهذب الاسواني » للاوصاف المادية ، فقد أجاد صفات الاشياء المعنوية ، كقوله يصف شعر الملك الصالح « طلائع بن رزيك » ، وكان له شعر لا بأس بجودته :

وللنار فطنية تريك لفسـعره ... عذبا يروى غـلة الظمـآن
وعقود در لو تجسـم لفظها ... ما رصعت الا على التيجـان
وتنزهت عن ان ترى افـرادها ... لمواضـع الاقـراط والآذان
من كل رائقة الجمـال زهت بها ... بين القصائد عزة السـلطان
سـيارة فى الارض لا يعتالها ... فى سـيرها قيد من الاوزان

وكان فى « المهذب الاسوانى » عزة نفس لا مثيل لها ، كما نلحظه فى كل شعراء اسوان بين قديم وحـديث ،وكان طبيعة حجر أسوان « الصوان » قد اثرت فى نفوسهم ، فهى تأبى على الانكسار امام حادث • ويبدو هذا فى عتابية للمهذب الاسوانى يقول فيها

خليلى ان ضاقت بلاد برحبهـا ... ورائى فما ضاق الفضاء اماميـا
يقل رجال انني جئت سـائلا ... لاسخطنى ان خاب فيهم رجائيـا
وما انا ممن يستفز بمطمـع ... فيخلفه منه الذى كان راجيـا
ولكننى اصفيت قـوما مدائحى ... فأصبح لى تقصيرهم بى هاجيـا
فان كنت لا القى على المنع ساخطا ... كذلك لا القى على البذل راضيـا
محـاسن لى فيهم كثير عديدها ... ولكنها كانت لديهم مسـاويا

وللمهذب الاسوانى فى اخيه الرشـيد الاسوانى حين اسر واعتقـل باليمن قصيدة اسمها (النواحة) بعث بها الى الداعى الفاطمى باليمن يستعطفه لاطلاق سراح اخيه الاسير • وقـد أوردها « ياقوت الحموى » فى معجمه • ومن الاسف أن صاحب خـريدة القصر لم يشر اليها ، ولم نذكر منها بيتا واحدا •• وهى من ارق القصائد التى تدل على علاقة الشقيق بالشقيق • وفيها يقول :

يا ربع اين ترى الاحبـة يمموا ... هل انجدوا من بعدنا أم اتهموا ؟
رحلوا وقد لاح الصباح ، وانما ... يسرى اذا جن الظـلام الانجم
وتعوضت بالانس روحى وحشـة ... لا اوحش الله المنـازل منهم
لو دهـو ما حسن بين سيرهم ... حـيران أستاف الديار ، واسم
اسائل الاحباب ؟ اين همو وايـ ... ـن نسير من بعد السرى عهمو؟

هذه نواح من الشاعر الاسـوانى« المهذب بن الزبير » اما أخوه القاضى « الرشيد » ، فكان شاعرا كذلك ، الا انه لم يبلغ مبلغ اخيه المهذب ، وقد غلب عليه العلم والفقه والفضل ، اكثر مما غلب عليه الشعر ، وان كان له بعض القصائد والمقطعات اللطيفة ، ومنهـا قوله :

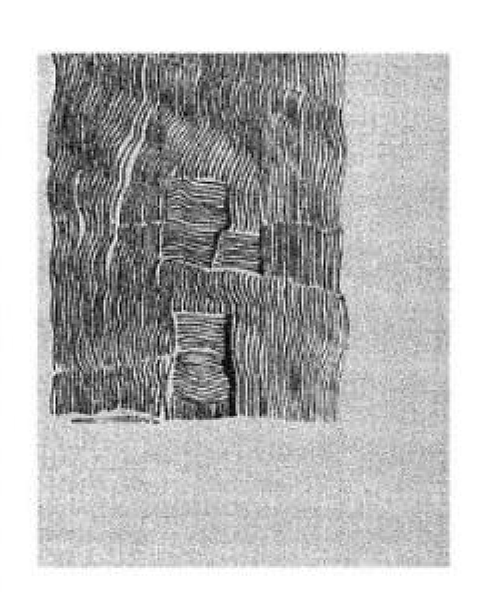
اذا ما نبت بالحـر دار يودها ... ولم يرتحل عنها فليس بذى جزم
وهبه بها صبا الم ير انهـا ... ستزعجه منها الحمام على رغم ؟

وقد أزعجه الحمام فعلا ، فمات مقتولا على يد ممدوحه « شاور » المشهور فى تاريخ الدولة الفاطمية •

وبعد! فهذه ملامح سريعة من (أسوان) الشاعرة ، بلد العقاد ، ومسقط رأسه نهديها اليه ونحـن على ابواب الذكرى الثانية عشرة لوفاته •
رحمه الله رحمة واسعة •

حسن كامل الصيرفي





مَنْ فجّرَ من قلبِ الصحراءْ
هذا النبعَ السحْرىْ الماءْ ؟
شفتان ... حديثهما أنداءْ
فى الكونِ لهمسِهما إصغاءْ
عينانِ .. بريقهما إغراء
قد فجّرتا فى ذاتِ مساءْ
فى مولدِ عيسى ابن العذراءْ
هذا النبعَ السحرى الماء
وخيوطٌ .. مثلَ خيوطِ ذكاءْ
كالعسجد برّاق اللألاءْ
ساقانِ .. كأنهما صهباء
سكِرت من خطوِهما الغبراءْ
ما أجملهُ هذا الإيحاءْ !
ما أكرمَه للشعرِ عطاء !
ما أبدعهُ للخلقِ نداءْ !
ما أعذبهُ فى السمعِ غناءْ !
إلهامٌ لى من فيضِ سماءْ
لى منهُ : وحىُ العصماءْ
لى منهُ : مجتلى الأضواءْ
وإليهِ : رجعُ الأصداءْ ..
ما أروعهُ بالأمسِ لقاءْ
قد فجّر فى قلبِ الصحراءْ
هذا النبعَ السحرىْ الماءْ
مَن فتّح نافذةَ الأضواءْ .. !



بيت التنبؤات

الهرم الاكبر .. اقدم عجائب الدنيا السبع واخلدها على الاطلاق بقى يتحدى الزمن وهو يحتفظ بصفحات تاريخه مطويه ، تحيط بها الالغاز ويكتنفها الغموض .

جلب انتباه المؤرخين والمفكرين على مر العصور . وحاول كل من علماء الآثار والفلك والهندسة والرياضيات والفنون حل لغز الغرض من انشائه ، كل فى ناحية اختصاصه ووسائل تخصصه . توصل كل منهم الى ما وصفه « بالحقيقة » واعلن انه قد وضع يده على مفتاح اللغز عندما « كشف له الهرم » عن الجانب الذى يهمه من اسرار المعرفة

بينما حاول علماء التنجيم والغيبيات تفسير ما اجمعت عليه كثير من برديات الفراعنة ومتون الاهرام ومخطوطات المؤرخين القدماء بان « الهرم كان بيتا للتنبؤات دونوا به ما كان وما سيكون من اول الزمان الى اخره ، واحتفظوا بين جدرانه باسرار المعرفة والوجود التى ترسم مسار الحياة البشرية ومصيرها » كما وصفها الشاعر القديم بقوله:

رموز لو استطلعت مكنون سرها
لابصرت مجموع الخلائق فى سطر

● نقوش وطلاسم واجهات الهرم

أجمع المؤرخون والباحثون على أن واجهات الهرم الأكبر كانت مكسوة بطبقة من الحجر الأملس المصقول يبلغ سمكها ذراعا هرميا وحددوا عدد أحجارها بـ ١١٥٥٦٥ كتلة حجرية • كانت الواجهات مصبوغة باللون الأحمر وتمتلىء بالنقوش والخطوط البيانية باللونين الأسود والأبيض •

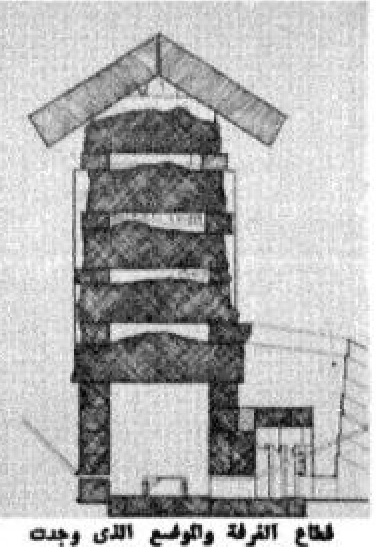
كان أول من وضعها الأمير « خوامس » بن رمسيس الثاني الذى اشتهر فى عهد أبيه بعنايته بآثار السلف عندما قام ملوك الدولة الحديثة باعتناق عقيدة الإله رع الذى كان كل من الهرم الأكبر وتمثال أبى الهول يرمزان إليه • فاهتم بتسجيل النقوش والنون التى على واجهات الهرم وذكر أنها كانت ترمز للمعرفة المقدسة وعلوم الحياة •

ثم وصفها هيرودوت بقوله : « وقد نقش على الهرم بالحروف المصرية مقدار ما أنفق ثمنا لما استهلكه العمال من فجل وبصل وثوم • وإذا وعت ذاكرتى بالضبط ما قاله لى الترجمان عندما قرأ على النقش أن النفقات قد بلغت ١٦٠٠ تالنت من الفضة فإذا كان الأمر كذلك ، فماذا كان بالإضافة إلى هذا مقدار ثمن الآلات المعدنية التى اشتغلوا بها ، وما مقدار ما أنفق على مأكل العمال وملبسهم، ذلك إذا كان الوقت الذى أمضوه فى العمل كما ذكرت ، مضافا إليه ما قضوه من الزمن فى قلع الأحجار ونقلها ».

ويعلق المؤرخ هواردفيس على ذلك الوصف بقوله :« إن دل ذلك الوصف الذى ذكره أبو التاريخ على شىء ، فهو يدل على روح الدعابة والسخرية التى اشتهر بها المصريون عند تضليلهم للرواد والرحالة الاغريق والأجانب الذين كانوا يزورون مصر ويحاولون جمع أخبارها • وقد سبق أن ضللوا هيرودت فى عدة مناسبات أخرى فى كتابه عن تاريخ مصر ، فليس مما يتقبله عقل أن يقوم الفراعنة ببناء تلك المعجزة الفنية ليزينوا حوائطها بحسبة تكاليف الهرم وما استهلكه العمال من بصل وثوم• كما أنه مما يلفت النظر أن الفضة لم تكن متداولة فى عهد الملك خوفو وظهرت بعده بمدة طويلة •

بينما يصف المؤرخ يوسيفوس عندما زار الهرم أن واجهاته كانت مطلية باللون الأحمر وتغطيها نقوش ورموز وخطوط بيانية جعلت من الهرم شبه مزولة كونية ضخمة كان المصريون يسترشدون بها كتقويم يحدد لهم مواعيد الفيضان ومواسم الزراعة والرى والحصاد لمختلف المحاصيل وتاريخ أعيادهم الدينية والشعبية ويعرفون منه الشهور والأيام والساعات تبعا لسقوط الشمس وظلالها على واجهات الهرم• كما ذكر سنشللو مؤرخ المسيحية أن النقوش التى كانت تغطى واجهات الهرم الأكبر كانت عبارة عن جداول فلكية رمز بها كهنة الفراعنة إلى أسرار القبة السماوية وكانوا يستغلونها فى التنجيم والتنبؤ بالمستقبل بدراسة وضع الكواكب ودورتها بالنسبة للخطوط البيانية وسقوط أشعة الشمس على أسطح الهرم أثناء انتقالها بين مختلف أبراجها • وهى من أسرار المعرفة الكونية التى كان يتوارثها ويحتفظ بأسرارها المقدسة كهنة معبد الشمس وكانت تقام لها طقوس معينة استمرت حتى أواخر الدولة الحديثة •

كما وصف نقوش واجهات الهرم من مؤرخى العرب « عبد اللطيف البغدادى » الذى شاهدها بنفسه بقوله « أن واجهات الهرم كانت



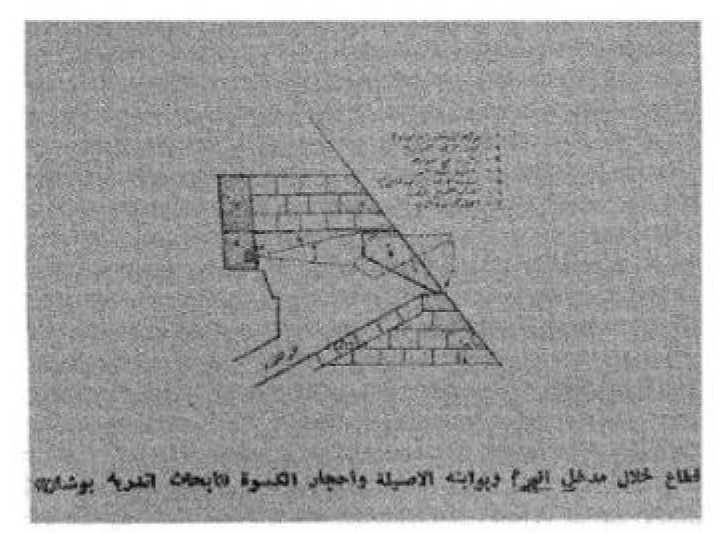

قطاع الغرفة والوضع الذى وجدت به النقوش ، البداية ضمن علامات الاحجار التى نقشها العمال ...

غرفة الملك والناووس الخالية من اية نقوش تدل على اسمه او انها غرفة الدفن الرمزية ......

مكسوة بحجارة ملساء عليها نقوش وطلاسم لم أجد فى مصر من يعرف منها شيئا وهى كتابات كثيرة تملأ عشرات الالوف من صفحات الكتب لمن يريد نقلها· كما ذكر أن قراقوش هو الذى ازال حجر الكسوة لاستعماله فى بناء قلعة صلاح الدين واسوارها·

بينما ذكر المؤرخ الرحالة بالدنسل الذى زار مصر فى القرن الرابع عشر انه شاهد بعض احجار كسوة الهرم التى اسقطها الزلزال الكبير الذى حدث عام ١٣٠١ وكانت لاتزال عليها آثار نقوش مرسومة باللونين الاسود والاحمر · وقام العرب بنقل احجار الكسوة التى تساقطت بعد قيامهم بنحتها وتقطيعها واستخدموها فى بناء القاهرة ومنشآتها وجوامعها التى تصدع معظمها بفعل الزلزال المذكور · ويرجح كثير من الباحثين تلك النظرية خاصة وان قلعة صلاح الدين واسوارها بنيت قبل الزلزال ·

كما يضيف المقريزى أن العزيز عثمان بن يوسف الايوبى ١١٩٦ م « امر رجاله وجنوده بهدم الهرم الاحمر وارسل حملة من رجال المحاجر والعمال والجنود تحت قيادة احد الامراء ليقوموا بهدمه ، واقاموا حوله معسكرا واستحضروا عمالا من جميع البلاد واعدوا المعدات والروافع وعملوا ثمانية اشهر كاملة لم يتمكنوا خلالها من ازالة اكثر



قطاع خلال مدخل الهرم وبوابته الاصلية واحجار الكسوة (الابحاث الفرنسية بوشار)

من حجرين فى اليوم فتوقفوا عن العمل وقاموا بجمع الاحجار المتداعية من المقابر والاهرام الصغيرة » .

ويذكر المؤرخ جريفز فى البيرميديا وصفا مماثلا لنقوش الواجهات ولون الهرم وعلاقة النقوش والطلاسم بعلوم الفلك والرياضيات والتعاليم المقدسة، ويضيف اليها أن جزءا كبيرا من الكسوة قد أزيل فى عهد الخلفاء بدأ فى عصر الخليفة المأمون الذى أزال أجزاء كبيرة من أحجار الكسوة وهو يبحث عن مداخل الهرم حتى توصل الى الوصول الى ممرات الهرم الداخلية بعد فتح الثغرة الموجودة حاليا تحت المدخل الرئيسى . وقد تبع المأمون كثير من الخلفاء على فترات متفاوتة مما ساعد على تصدع الكثير من أجزائها ، وساعد على سرعة انهيارها عندما حدث الزلزال الكبير

لاشك فى أن اختفاء تلك الكسوة بما كان عليها من نقوش ورموز كانت العامل الاول الذى حول الهرم الاكبر الى لغز محير ترك العلماء والمؤرخين يتخبطون بالاجتهاد الى حل اللغز كل فى ناحية تخصصه وبما أمكنهم استخلاصه عما كانت تعبر عنه تلك النقوش والرموز ممن شاهدوها وهى قائمة فوصفوها ولم يتمكنوا من قراءتها او فك رموز طلاسمها .

● الهرم الاكبر .. بيت التنبؤات

كان التنجيم بالنسبة لكهنة معبد الشمس (معبد اون - هيليوبوليس) جزءا من العقيدة الدينية وكان الفلك واسطة علم المعرفة بالغيب او أسرار المعرفة الكونية المقدسة عن طريق مراقبة القبة السماوية . وقد اثبت علماء الفلك والرياضيات والمصريات فى دراساتهم الحديثة نظرية أن الهرم الاكبر كان مرصدا فلكيا كونيا اقامه كهنة معبد هيليوبوليس (اون - عين شمس) لاله الشمس فوق هضبة منف وكان سطحه العلوى عند منسوب أرضية غرفة تاووس الملك أى عند نهاية البهو العظيم التى اطلق عليه « بهو التنبؤات » الذى يتلقى فيه الكهنة رسائل السماء او التنبؤات التى تحمل أسرار المعرفة ومصير البشرية وتعاليم الاله لتسجيلها والاحتفاظ بها فى ممرات الهرم

وأقبيته أو خزائـــن الاسرار . وقد ورد ذكـــر الهرم وعلاقته بالتنجيم وأسرار الوجود فى كثير من المتـون والبرديات والوثائق التاريخية . وقد وصـف الهرم الاكبر بأنه « كتاب آله السماء وبيت الاماكن الخفية ».

كما ورد فى احدى برديـات منف التى ورد ذكرها فى بحـوث عالم الفلك جـون جريفـــز « أن الهرم الاكبر تجسيد لكتاب الموتى بما فيه من معرفة كونية وتعاليم ســماوية وبه اسرار علاقـــة دورة الفلك فى السماء بدورة الحيـاة فى الارض . وسيحتفظ بأسراره لا يكشف عنها الا لمن ينـــال الاذن الالهى . وقد وصف فى أجزاء أخـرى من كتـاب الموتى بأنه بيت الحكمة الذى يحـوى معانى سر الحكمة والعلوم فزواياه الاربع تمثل اركان الدنيا الاربعة أو الاعمدة التىتحمل قبة السماء وتعبر عن الحقيقة والمعرفة والســـكون والغموض وواجهـاته الاربع التى تواجه الجهـــات الاصلية ، الواجهة الجنوبية تعبر عن الحرارة والشمالية البرودة والشرقية النـــور والغـربية الظلام . كما أن اسطحه الثلاثة تعبر عن القوة الالهيه الثـلاثية كما يعبر كل مثلث منها عن ثالوث مقدس من ثلاثيات الخلق والعقيدة والتكوين .

ومن برديـــات علاقة الهرم الاكبر بكتـاب الموتى وأسرار المعرفة بردية تحوت الى خوفو عندما سلمه اسرار الهـرم بقوله « لا تدع احـــدا يطلع عليه أو يراه الا فرعـــون وفرحب (الكاهن الاكبر) لن يـــراه احد او يقترب من بهو المقدسات أحد . انه يحوى اسرار الوجود المقدسة لا يطلع عليه احد او يســـمع عنه غريب — لا تدع عينا تراه او اذنا تســـمعه — لاتنطق بما فيه لاحد ولن يسمع عنه الا انت نفسك ومن يفسر لك تعاليمه واقرب الناس الى قلبك ومن امتلأت قلوبهم بنور الإله . لا تطلع احدا على مكان وجود تلك الاسرار المقدسة او مايدل على وجودها . ان ما به من اسرار تعلى لن يكتشفها القوة التى ترفعه الى مصاف الالهة فى الحيـاة وتكشـف له الغيب وتنير له الطريق المؤدى الى عالم الخلود ســتنير له طريق اليوم وتكشـف ما يخبئه الغد وتحدد له المصير ».

كما اشـارت بحوث علماء العرب وكتابهم علاقة الهرم بالتنجيم والنبؤات وكانوا اول من توصل الى اكتشـاف مدخل الهرم وكشـف ممراته واقبيته وقاعاته الداخلية . ووصفه الجاحظ بقوله « وبه سبعة دهاليز ويقـــال ان كل دهليز علىاسم كوكب منالكواكب السبعة وجدرانها منقوشـــة بعلوم الكيمياء والطلسمات والسيمياءوالطب ويقال انه كان به جميع ما يحـــدث فى الزمان حتى ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم وانه كان مصـــورا فيها راكبا ناقة ».

كما ذكر السيوطى فى (حســـن المحاضرة) « وجعل فيه اخبـــار الكهنة فى توابيت من صوان اسود مع كل كاهن مصحفه وفيها عجـائب صنعته وحكمته وســيرته وما عمل فى وقته من العلوم الغامضـــة وعلم الطلسمات ودونـــوا به ما كان وما سيكون من أول الزمان الى آخره » .

كما ذكر أبو الحسن المســعودى المؤرخ القبطى (٩٥٠م) والذىتحتفظ بمخطوطـــاته جامعة أكســفـورد البريطانية أوصـــافا مماثله بقوله « ويحوى الهرم الاكبر معرفة اسرار الفلك وحركة الكواكب والافـلاك فى دوراتها ومداراتها وعلاقاتهـــا بدورة الاحداث فى تاريخ العالم فى الماضى والحاضر ونبوءات المستقبل . فشكل الهرم ، وابعاده ومقاساته وتفاصيله

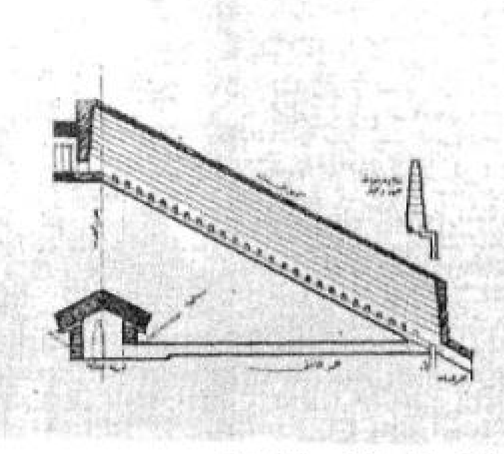
الهندسية قد خططت بدقة متناهية تعبر عن القواعد الاساسية لقوانين الطبيعة ونظم الفلك وعلاقته بالتنجيم.

كما افردت الكتب الدينية لليهود وتعاليمهم السرية ووثائق الكابالاه العديد من البحوث الخاصة بالهرم الاكبر الذى وصفوه بانه « بيت المعرفة المقدسة والاسرار الخفية » وذكروا أن معادلات ابعاده الهندسية ورياضيات تكوينه الانشائية ترتبط جميعها بعلم الارقام الذى يمكن بواسطته فك رموز اسرار الوجود وتحديد علاقة الارقام ودلالتها بدورة الفلك . تلك العلاقة التى تعتبر مفتاح السر فى قراءة طالع مسيرة الحياة والتنبؤ بمستقبل البشرية .

لقد بدأ اهتمام العالم الغربى بالهرم الاكبر ومحاولة كشف القناع عن دوره فى التنجيم والتنبؤات فى اوائل القرن السابع عشر عندما قام الاستاذ جون جريفز عالم الفلك بجامعة اكسفورد عام ١٦٣٧ بوضع بحوثه ودراساته ونتائج بحوثه عن الهرم الاكبر التى استغرقت ما يقرب من ربع قرن واطلق عليها اسم بيراميديا . وخصص جزءا كبيرا منها عن علاقة الهرم الاكبر بالتنجيم والتنبؤات وكان لمخطوطات المسعودى وغيرها من الوثائق المصرية القديمة التى كانت تحتفظ بها جامعة اكسفورد بداية الخيط الذى امسك به ليوصله الى ما توصل اليه من نتائج تعد بداية كشف لغز التنبؤات بعد سلسلة من الدراسات والاستنتاجات والافتراضات لفت نظر جريفز ماجذب انتباهه وهو ذلك التكوين الغامض للممرات والطرقات والدهاليز بابعادها واتجاهات سيرها والتى تشكل ما يشبه الخط البيانى مما لاشك فى انها ترمز الى سر معين يرتبط بتفسير



البهو الاعظم وتظهر به الافاريز التى تمثل السموات السبع ومدخل نهاية الممر الصاعد . . . . .



البهو الأعظم والممر الأفقي وغرفة الملكة

لغز التنجيم والتنبؤات ، فكان عليه ان يعثر على وحدة القياس ممثلة في البوصة البريطانية استنادا الى ما اشارت اليه المراجع القديمة بان البوصة البريطانية اخذت عن البوصة العبرية ، والتي حاول كثير من كتاب اليهود أن ينسبوا رياضيات الهرم الاكبر والنظريات الهندسية التي بني بمقتضاها الى اليهودانفسهم كما ورد ضمن مخطوطاتهم السرية وتعاليم حكمائهم أن الهرم الاكبر يضم أسرار العقيدة وعلوم المعرفة التي نقلها النبي موسى عن المصريين كما ورد في سفر الخروج ٠

اعتبر جريفز ان البوصه او وحدة القياس تعبر عن سنة زمنية ٠ وكان عليه بعد ذلك أن يحدد نقطة الابتداء في مسيرة التاريخ او نقطة الصفر في الخط البياني والتي تبدأ عند مدخل الهرم وبداية الممر المنحدر ،

فبعد عدة افتراضات انتهى بتحديدها بعام ٢٤٤٤ ق٠م وهو التاريخ الذي اتفق علماء الاثار فيذلك الوقت على الانتهاء فيه من بناء الهرم وبداية تسجيل تاريخ البشرية الذي يحتفظ باسراره في قلبه ٠

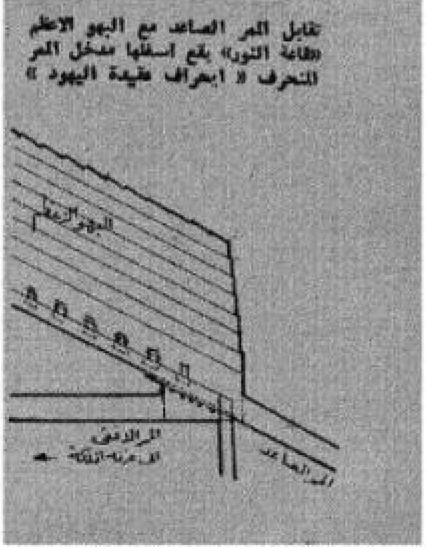
وقام جريفز بتحديد التواريخ الهامة التي سجلها الخط البياني الاساسية وهي نقط الانتقال عند تقاطع الممرات او تغير اتجاهاتها وابعادها او ارتفاع اسقفها او مساراتها كما أطلق عليها فاكتشف انها تمثل الانقلابات الروحانية الهامة في تاريخ البشرية من وقت الطوفان العظيم الذي حدث بعد مرور مائة وخمسين سنة بعد الانتهاء من بناء الهرم ويستمر انحدار الممر ٦٥٠ بوصة أي ٦٥٠ سنة بعد الفيضان لتقابل ممر الصعود الذي يشير الى عام ١٣٦٠ق٠م أو الانقلاب الروحاني



الاول وعودة الاتجاه الى عبادة الاله الواحد ويتفق ذلك التاريخ مع رسالة التوحيد التى نادى بها اخناتون والتى استمرت ما يقرب من ١٤٠ سنة وعبر عنهـــا المدخل المغلق بالســـدادات الذى يبدأ بعده الممر الصـــاعد الذى تحدد بعام ١٢١٨ ق٠م وهو تاريخ خروج اليهود من مصر ونزول رسالة موسى عليه السلام وتستمر الرســـالة فى الصعود بســـقفها المنخفض حتى تنحرف وتســـير فى الاتجـــاه الافقى الذى يرمز الى الانفصـــال أو التيه وخروج اليهود عن العقيـــدة والمجتمع البشرى حيث ينتقل ممر العقيـــدة الصاعد الى الدخول فى البهو العظيم أو قاعة النور التى يرتفع ســـقفها الى ٨٫٧٠ متر ويوجـــد أن بدايتها تتفق مع العام الاول الميلادى والرسالة المسيحية ويستمر البهو بسقفه المرتفع وهو ما يرمز الى استمرار عقيـــدة التوحيد العالمية الجديـــدة التى تنتهى بنهاية غامضة استنتج منهـــا جريفز بانها تعبير عن نهـــاية العالم الذى حدده بعام ٢١٠٠ م وهو الذى ينتهى عند الباب المرصـــد لغرفة الناووس او باب البعث ٠

لقد كان اكتشـــاف جريفز لنظرية الخط البيانى للتنبؤات مفتـــاح السر الذى جذب اهتمام العديد من علماء الفلك والتنجيم والغيبيات فى انحـــاء العالم لحل لغـــز الهرم الاكبر الذى اطلقوا عليه اسم « العراف العظيم »٠

لكن الاهتمام الفعلى بتلك الدراسات بدأ فى اوائل القرن التاســـع عشر بعد الحملة الفرنسية واهتمام علماء الاثار فى العالم أجمع بالاثار المصرية عامة والهرم الاكبر بصـــفة خاصة فظهرت بحـــوث هوارديفيس عام ١٨٣٧ وجون تيلـــــور عام ١٨٥٩ عالم الرياضيات الذى كشـــف « البورصة الهرمية » التى وجد انها تختلف عن



تقابل الممر الصاعد مع البهو الاعظم «قاعة النور» يقع اسفلها مدخل الممر المنحرف « انحراف عقيدة اليهود »

البوصة الانجليزية والتي امكن بواسطتها اكتشاف اسرار رياضيات الهرم الاكبر ووصفها العالم البريطاني دافيدسون اشهر من كشف عن تنبؤات الهرم بانها حددت بدقة مذهلة قياس الزمن وتواريخ الاحداث بالايام والساعات ٠

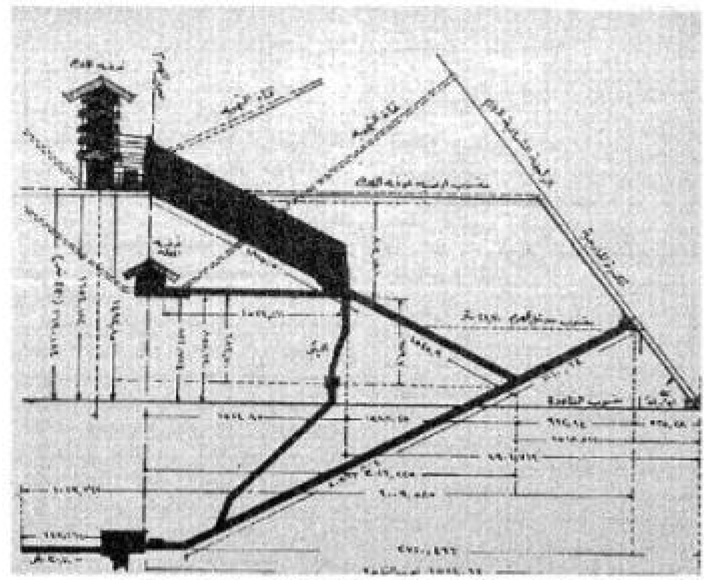
وتتفق جميع النظريات والبحوث التي ظهرت في العصر الحديث ومع بداية القرن الحالي مع نظريات جريفز وتيلور وتعتبر استمرارا لها٠ اتفقت جميعها على أن الممرات والدهاليز والابعاد الداخلية بصفة عامة تشكل تسلسل التنبؤات وتاريخها وان اختلفت طريقة القياس مع اكتشاف ابعاد جديدة للتفاصيل لمحاولة تفسير مايواجه الخط البياني من غموض او تدارك ما ظهر به من اخطاء ٠

من اوائل البحوث التي ظهرت في بداية ذلك القرن بحوث العالم الفرنسي جارنييه التي ظهرت عام ١٩٠٥ التي أمكنه فيها تحديد تواريخ النكبات العالمية والحروب التي غيرت وجه التاريخ ومنها الحرب السبعينية والحروب الدينية ومن بينها الحرب الصليبية وكان أول من تنبأ بالحرب العالمية الاولى التي وصفها بقوله « ان نكبة عالمية ستحدث بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨ تتحول فيها مياه البحار والانهار الى دماء وستحرق النيران بلاد أوربا وتمتد الى انحاء العالم كما ذكر انها ستندلع مرة اخرى بعد مرور ربع قرن أي عام ١٩٣٩ والذي تحقق باندلاع الحرب العالمية الثانية ٠ وقد نشرت مجلة لوموند الفرنسية عام ١٩٣٨ اثناء الازمة السياسية الاوروبية المشهورة مقالا على صفحاتها صورت فيه الهرم الاكبر الذي احتلت صورته صفحة كاملة مع الرسومات البيانية لممراته ودهاليزه السريه وذكرت في عنوان المقال« لو صدقت نبوءة الهرم الاكبر فالحرب العالمية ستبدا في خريف العام القادم » وقد تحققت النبوءة واندلعت الحرب في التاريخ الذى حدده لها الهرم الاكبر ٠

ومن بحوث تنبوءات الهرم الاكبر المشهورة ما قام به مورتون ادجار عالم الطبيعيات الذى قام بعدة دراسات عن الهرم الاكبر خص منها جزءا خاصا بعنوان تنبؤات الاحداث ، صدر في عام ١٩١٠ توقع فيه قيام حرب عالمية عام ١٩١٤ كما ذكر ان نهاية العالم قد حددها الهرم الاكبر بعام ٢٩١٤ الذى اطلق عليه اسم عام البعث ونهاية الشيطان (كما ورد في احد متون الاهرام) ٠

كما ذكر ان تنبؤات الهرم حددت بدء الخليقة او بدء الحياة بعد الطوفان العظيم بعام ٧٠٤٠ قبل بناء الهرم وهو التاريخ الذى ثبت فيه غرق قارة الاطلنتس التي اكدت فيه بعض الدراسات الحديثة الربط بين غرق قارة الاطلنتس وهجرة أهلها الى أرض مصر ونشأة الحضارة المصرية القديمة قبل الاسرات والتي وصفها المؤرخون بعصر حكم الكهنة انصاف الآلهة وعهد الخلق ٠ كما ذكر ان الهرم يشير الى قيام كثير من الحضارات ونزول الكتب السماوية وظهور الانبياء وبناء هيكل سليمان واحداث الاراضي المقدسة ٠

من البحوث العالمية الخاصة بالهرم الاكبر « كخزانة للتنبؤات » والتي تعرض اهم المراجع العلمية في هذا المضمار ، البحوث التي قام بها العالم البريطاني دافيدسون التي استغرقت ما يقرب من العشرين سنة وصدرت عام ١٩٢٤ باسم الرسالة المقدسة للهرم الاكبر ٠



الابعاد الداخلية للهرم الاكبر موضحة بالبوصة الهرمية « وحدة القياس الزمنى » التنبؤات التى يعبر عنها الخط البيانى الذى تكونه الممرات والغرفات . . . . .

وقد وصف الهرم الاكبر بأنه كان مرصدا فلكيا كونيا على شكل مزولة ضخمة تعمل كواسطة للتخاطب مع السماء ليستجيب الفلك الى خدمة التنجيم .

كانت البوصة الهرمية هى المفتاح الذى فتح به دافيدسون كثيرا من الابواب المغلقة على الغاز الهرم الاكبر قام بواسطتها بمراجعة جميع النظريات الهندسية والرياضية والفلكية ثم انتقل بها لحل اسرار التنجيم والتنبؤات وتفسير طلاسمها

الممثلة فى الخط البيانى . كشف بواسطة البوصة الهرمية ان اضلاع الهرم الاربعة التى تبلغ طول كل منها ٩١٣١ بوصة هرمية أن مجموعها ـ أو محيط قاعدة الهرم يبلغ ٣٦٥٢٤ر٢ بوصة ، وهو عدد ايام السنة الشمسية بالايام والساعات والدقائق كما اكتشف ان ارتفاع الهرم وهو ٥٨١٣ بوصة هرمية يمثل نصف قطر دائرة محيطها يماثل محيط القاعدة اى طول السنة الشمسية . فدورة تلك السنة الشمسية وعلاقة تحركها بقبة السماء تنقل رسالة النبوءات من السماء الى الهرم « بيت النور والاسرار الخفية » ليحتفظ بها وباسرارها مسجلة على شريط التنبؤات كالميكروفيلم الذى تقوم فيه البوصة الهرمية بدور وحدة قياس الزمن وتعبر عن سنة فى عمر التاريخ كما حددت جزئياتها حسب الشهور والايام وفى بعض الحالات امكن تحديد الوقت بالساعات فى الاحداث العالمية الهامة التى سجلها دافيدسن فى بحوثه .

فاذا استعرضنا شريط تاريخ البشرية كما سجله الهرم الاكبر على حوائطه وارضياته واسقف دهاليزه وممراته لوجدنا انه يبدا

اول صفحة فى التاريخ بيوم الخلق او بدء الحياة بعد الطوفان العظيم الذى تحدد بعام ٩٥٠٠ قبل بناء الهرم ووصفه بانه طوفان نوح بينما يرجح كثير من العلماء ان ذلك التاريخ ينطبق على تاريخ غرق قارة الاطلانتس وهجرة حكمائها وكهنتها الى مصر · وينتقل التاريخ الى فتحة الهرم او بوابة النور التى تعلوها اشارة « الافق المضيء » ويرمز الى نزول رسالة التوحيد الاولى وعبادة اله الشمس الذى بنى الهرم كمعبد له ومرصد لتلقى رسالته وتحدد بعام ٦٥٠٠ ق · م · وهو التاريخ الذى يؤكد بعض العلماء بانه التاريخ الحقيقى لبناء الهرم فى مرحلته الاولى ·

يلى ذلك تاريخ بداية الممر المنحدر ويرمز الى عام ٢١٤٤ ق · م ويفسر ذلك التاريخ باغلاق الهرم بعد ما ادى رسالته واحتفظ فى خزائنه السرية باسرار العلوم والمعرفة والعقيدة وسجل تاريخ البشرية للاجيال القادمة التى تنجو من الطوفان الثانى الذى ذكرت كثير من الوثائق والمخطوطات القديمة انه سيحدث بعد ٣٥٠ عاما كما ورد ايضا فى وثائق مؤرخى العرب · وقد وجد أن ذلك التاريخ قد سجله الهرم عام

٢٠٩٨ ق · م اى قبل رسالة موسى وخروجه من مصر بـ ٦٣٠ عاما كما ورد فى التوراة · ويسجل شريط التسجيل او الخط البيانى مجموعة من التواريخ بامتداد الممر المنحدر ارتبطت جميعها بالعقيدة وتطوراتها وعلاقتها بالاحداث السياسية والحربية

كما سجلت تاريخ المجاعات وسنوات القحط وعصور الاضمحلال التى منعت فيها العبادة واغلقت المعابد ويستمر انحدار الممر حتى يتقابل مع الممر الصاعد والذى يعبر عن الانقلاب الروحانى فى حياة البشرية ·

وتشير نقطة التحول الى عام ١٣٦٠ ق · م وهو تاريخ نزول رسالة التوحيد على اخناتون وتستمر الرسالة او الممر فيما أطلق عليه منطقة الحواجز أو الصمامات الجرانيتية التى كانت تستعمل لغلق الممر وتنتهى عند بداية الممر الصاعد وتشير بداية الممر الى عام ١٢٨٠ ق · م وهو تاريخ خروج اليهود من مصر ونزول الرسالة على النبى موسى وقد حدد تاريخ الخروج باليوم الرابع من شهر ابريل
ويرمز انسداد ممر الدخول الى العقبات التى واجهت عقيدة التوحيد التى نادى بها اخناتون واستمرت ١٤٢ سنة حتى نزلت رسالة التوحيد مرة اخرى فى التوراة · كما يدل انخفاض الممر الصاعد الذى لا يزيد ارتفاعه على متر واحد ويضطر الانسان الى عبوره منحنيا الى العقبات التى واجهت رسالة موسى من اليهود انفسهم وقد سجل الممر تاريخ سنوات التيه والاحداث الهامة التى ارتبطت بالعقيدة اليهودية منها اقامة عرش سليمان عام ٩٥٠ ق · م وزلزال القدس الكبير الذى حطم الهيكل وينتهى الممر الصاعد عند مدخل البهو الاعظم او قاعة النور حيث يرتفع السقف من متر واحد الى ٨٫٧٠ متر ويرمز ذلك الانتقال الى انقلاب روحانى عالى وتحرر فى العقيدة وهو يتفق مع ميلاد المسيح بينما يميل حائط المدخل ليقابله السقف بعد ٣٣ ½ بوصة هرمية والتى وجد انها تعبر عن طول حياة المسيح وصعوده بعدها عبر السموات السبع التى يمثلها سقف البهو الذى يرتفع على سبعة افاريز بالحائط ·

ان ميلاد المسيح كما سجلته تنبؤات الهرم الاكبر أو بداية البهو الاعظم وجد انه يقع يوم ٤ من اكتوبر

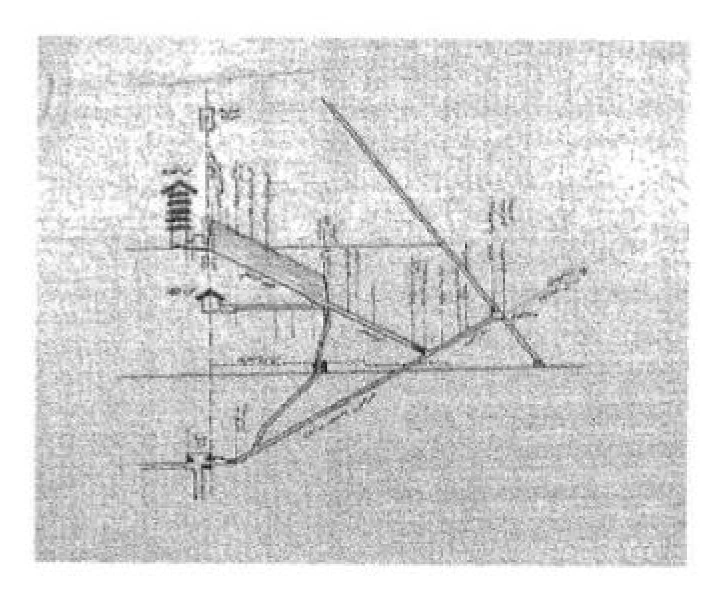
من العـــــام الرابع قبل الميلاد .
ما زال التاريخ الفعلى لميلاد المسيح موضـــع جدال ونقاش بين مختلف الكنائس والطوائف المسيحية وقـــد حددت وثائق القدس القديمة تاريخ الميلاد بين اول اكتوبر و٢٣ من مارس وتاريخ العام نفسه تبعا للحســـاب الوارد فى الانجيل هناك خطأ زمنى يتراوح بين ثلاث واربع سنوات عما هو وارد فى التقويم الحديث كما ان تاريخ صلب المسيح تعرض لنفس الشـــكوك حيث تحدد فى اليـــوم الخامس من ابريل عام ٣٠ ميـــلادية بينما من الثابت ان حياة المســيح امتدت ٣٣ عام وهو الخطأ الذى صححته نبوءة الهرم بتحديد ميلاد المسيح فى العام الرابع قبـــل التقويم الميلادى الحديث .

ويستمر الهرم الاكبر عبر الدهور الاعظم بتسجيل عشرات من التنبؤات التى ملات صـــفحات من كتـــاب « الرسالة المقدســـة للهرم الاكبر » نستعرض فيهـــا بعض الامثلة على سبيل المثال .

٢ م ظهور السيد المسيح فى ارض مصر التى اوته .
٥٨ م ثورة الدعوة .
ابريل ٦٤٥ م الانقلاب الروحانى و دخول الاسلام الى مصر
مايو ١١٠٠ م الحـــروب الصليبية فى ارض القدس .
١٢٠٥ م نهاية الحروب الصليبية
١٣٤٥٠ م اندلاع الحـــروب السبعينية
١٧٩٢ م الثورة الفرنسية
١٩٠٩ م تحالف روسيا مع اوربا
١٢ من مارس ١٩١٣ م اضطرابات البلقان ونذير الحرب العالمية
٤ ـ ٥ من اغسطس ١٩١٤ م نكبـــة بشرية عالمية
تحققت بقيام الحرب العالمية الاولى فى تمام منتصف الليل
ديسمبر ١٩١٧ قيام دولة اليهود المؤقتة
(تسليم القدس لليهود بواســطة اللنبى)
مارس ١٩١٨ قيام الثورة الشيوعية
١٠ من ديسمبر ١٩١٩ التضـــامن العالمى فى سبيل السلام وقيام مجلس الامم الاول
٥ من يونيو ١٩٢٧ زلزال عظيم فى الارض المقدسة (القدس)
١٥ من ديسمبر ١٩٣٩ نكبة عالمـــية وحرب شاملة
يوليو ١٩٤٥ نهاية الحرب
اغسطس ١٩٥٣ نكبة اقتصـــادية عالمية
مايو ١٩٧٠ اضـــطرابات عالمية ونكبات متسلسلة تستمر حتى عام ٢١٥٠ وهو بداية صعود ســـقف غـــرفة الملك او غرفة البعث حيث يظهر تطور روحانى جـــديد وتعود الشعوب الى التمسك بايمان التوحيد وتســـتمر تلك المرحلة من تاريخ البشرية حتى عـــام ٢٨١٥ م الذى ينتهى عند مدخل باب غرفة التابوت أو محكمة الاخرة وهو ما يعبر عن نهاية العالم ونهاية الشيطان ويوم البعث .

● الهرم الاكبر .. بين العقيـــدة والتنبؤات

نشات عقيدة الهرم الاكبر ـ معبد اله الشـــمس ـ اول عقيدة للتوحيد نزلـــت على ارض مصر فى عصر ما قبل الاسرات او ما قبـــل التاريخ . بدأت فى مدينة اون « عين شمس » حيث كان يوجد الهـــرم الرمزى المقدس (بن بن) للاله وكان كما ورد فى الاســـاطير القديمـــة مصنوعا من معدن سرى (اورايخالا) يعكس اشعه الاله بالنهار ويشـــع نوره طوال الليل . وهو الهرم الذى ورد ذكره فى اســـطورة الاطلنتس ونشاة الاهرام والمســـلات فى مصر .



بنى الهرم الاكبر فى مرحلته الاولى بارتفاع ٤٣٫٠٠ مترا كمرصد فلكى لتلقى رسالات السماء عن طريق الفلك والتنجيم وعند تكملة بنائه فى المرحلة الثانية بلغ ارتفاعه ١٤٢ مترا تقريبا وهو منسوب المصطبة العليا الحالية التى كان يوضع فوقها الهرم المعدنى الذى اطلقوا عليه اسم « عرش الاله » كما ورد رسمه فى متون الاهرام وكتاب الموتى ورمز اليه باسم « الافق المنير » · وهناك نظرية اخرى امكن الاستدلال عليها من برديات منف تصف عرش الاله بانه كان على شكل كرة معدنية كبيرة من نفس المعدن على شكل قرص الشمس نفسه وكانت الكرة تعكس أشعة الشمس طوال النهار ويتغير اتجاهها بتغير زاوية الميل وهو ماكانوا يستخدمونه فى ارصادهم الفلكية وتحديد علاقة التنجيم بالزمن كما كانت تعكس أشعة النجوم والافلاك كمرآة راصدة طوال الليل فتحدد دوراتها ومساراتها وانتقالها فى قبة السماء بين بروجها وبيوتها وديكاناتها ·

فكان الهرم الاكبر هو معبد الاله الواحد وبيت اسراره فسجلت اسرار تنبؤاته علاقة السماء بالارض او علاقة البشرية برسالات السماء المتتالية التى تدعو الناس الى عبادة الاله الواحد وهو ما اوضحته تنبؤات الهرم من تحديد تاريخ موجات الايمان والالحاد ونزول الكتب السماوية ورسالاتها المتتالية التى تتفق جميعها فى العقيدة والمصدر والرسالة والدعوة ·

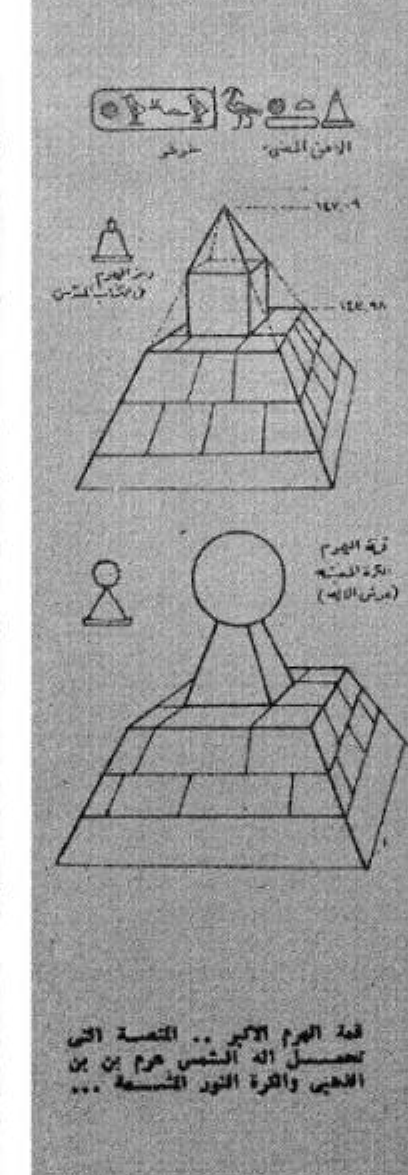
مما يلفت النظر ان رسالة التوحيد الاولى التى عبر عنها الهرم الاكبر مازالت تجد لها صدى فى المجتمع البشرى الحديث ، ممثلة فى احدى الديانات الغربية التى يطلق عليها « جماعة الروزيكروشان » ، اى الصليب الوردى او الهالة الوردية كما يطلق عليها فى بعض اللغات · وترجع نشأة

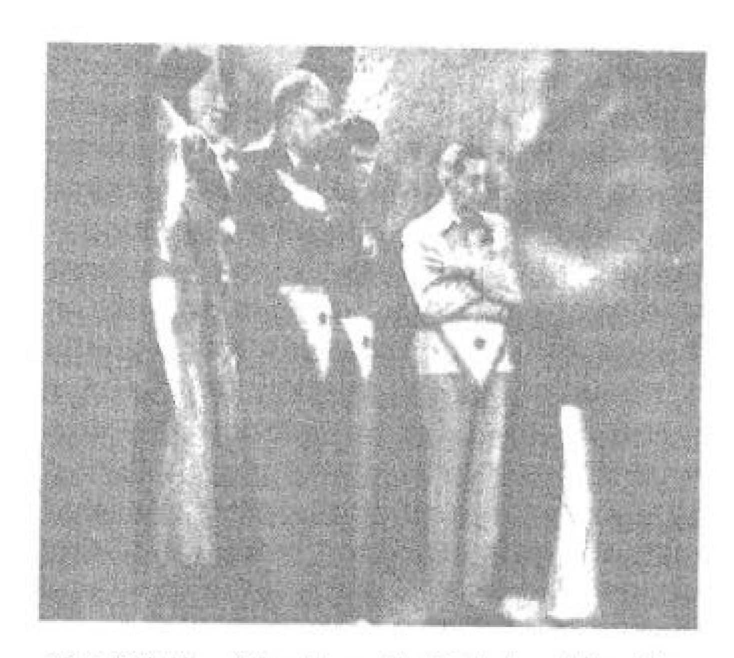
تلك الجماعة الى اوائل القرن الخامس عشر ويبلغ تعداد طائفة الروزيكروشان وفقا للاحصاءات الاخيرة ما يزيد عن ١٤ مليـونا ينتشرون فى دول اوربا وامريكا لهم معابدهم السرية الخاصة ويؤمنون بالاله الواحد الذى يرمز له بقرص الشمس او القوة الخفية خلف الشمس التى تهب الحياة فى الارض وتحرك دورة الكون فى قبة السماء التى يجلس الاله على عرشها .

وتعتبر طائفة الروزيكروشان انجميع الديانات الاخرى التى تنادى بالتوحيد ابتداء من اخناتون ثم ابراهيم وموسى وعيسى خرجت جميعها من مصر لنشر العقيدة فى انحاء العالم وكل دعوة او رسالة ما هى الادعوة للتصحيح للايمان بالاله الواحد كلما انحرف الناس عن العقيدة الاصلية او خرجوا عن التعاليم التى وضعها الاله للبشر ليسيروا بمقتضاها .

وتعتبر جماعة الروزيكروشان ان الهرم الاكبر هو كعبة العقيدة وبيت الاله الذين يحجون اليـه كل عام من جميع انحاء العالم فى ميعاد عيد الاله . وما زالت تصل وفودهم كل سنة حيث يحضرون فى جماعات عن طريق تنظيم هيئاتهم فى فرنسا وامريكا حيث يتجمعون من انحاء العالم ويحضرون مع كل مجموعة احد قادتهم الدينيين ويقومون بمراسيم الحج وزيارة الهرم الاكبر حيث يؤدون طقوسهم الدينية امام التابوت بغرفة الملك التى يطلقون عليها اسم « المحراب المقدس لروح الاله » .

كما يرتدون اثناء طقوسهم الدينية محرمة فرعونية مثلثة الشكل كرمز للهرم او ثالوث القوى الالهية ويضعون على صدورهم وردة حمراء ترمز الى دماء الحياة التى تجرى فى عروق البشر وتدور بانتظام كدورة الافلاك كما تتوقف الحياة عندما يامرها الاله بالتوقف . ويضعون ايديهم متقاطعة فوق صدورهم كالطريقة الفرعونية ويتلون صلاتهم التى يقولون انهم


قمة الهرم الاكبر .. المنصة التى تحمل اله الشمس هرم بن بن الذهبى والكرة النور المشعة ...

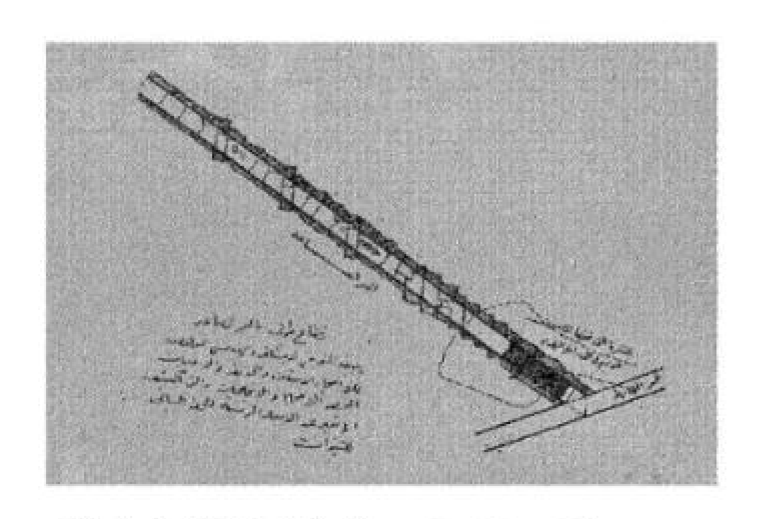


مجموعة من افواج حجاج الروزيكروشان وهى تؤدى الطقوس الدينية فى محراب الإله « غـرفة الملك بالهـرم » أمـام النـاووس . . . . . .

يحتفظون بها فى معابدهم السرية وهى من البرديات والمتون القديمة التى كانت محفوظة داخل الاهرام . ومما هو جدير بالذكر أن تلك النصوص التى يرددونها فى طقوسهم لا تخرج عن بعض أناشيد أخناتون ومتون كتاب الموتى من بينهـا ما يتلونه فى قداسهم أمام الناووس وفيه يقولون « هو الإله الأحد . الخفى من أن يعرف جلاله . واسمى من أن يناقش امره . واقدر من أن يدرك شانه . يخر له الانسان صعقا لتوه من الرهبة اذا نطق اسمه الخفى . خلق الارض ومـا عليها ، ما نراه ومالانراه وحدد مصير الكائنات كلها بحكمة . ما اعظماعماله فهو الإله الاحد ولا شبيه له .

وتهتم تلك الجماعة بالهرم وما يتعلق به من ألغاز وأسرار كما أن لها مكتبة خاصة تحوى مجموعة ضـخمة من المؤلفات والمطبوعات تدور جميعها حول عقيدة التوحيد وعلاقتها بالهرم الاكبـر وتاريخ الفراعنة ومن بين مطبـوعاتهم التى وضعت عن الهرم الاكبر (التنبؤات الرمزية للهرم الاكبر ، للدكتور سبنسر لويس الذى ضمنه جميع التنبؤات التى كشفها علماء الفلك والآثار والغيبيات فى مختلف العصور . وكتـاب الهرم الاكبر بيت الاسرار الخفية . وعقيدة التوحيد والعودة الى الحقيقة .

تضم جماعة الروزيكروشان مجموعة كبيرة من كبار العلماء والكتاب العالميين وفنانين من بينهم على سبيل المثال وليم بترى عالم الآثار ، ودافيدسون عالم الفلك ، ونيوتن عالم الرياضيات ، وسبنسر لويس وبول روبنسون .



● من هم بناة الهرم الاكبر ؟

لقد توصل البحث فى « لغز الهرم الاكبر » فى المقال السابق وتسلسله فى المقال الحالى تفسير اللغز فيما يختص بتاريخ بناء الهرم · ومراحل بنائه · وطريقة بنائه · والغرض من بنائه او مختلف الاغراض التى حققها بناؤه سواء كمرصد فلكى او بيت للتنجيم والتنبؤات او معبد للاله الواحد اوخزانة لاسرار المعرفة والعلوم الدينية والدنيوية لمستقبل البشرية واستبعدت جميع البحوث انه كان مقبرة لفرعون كبقية الاهرام ·

بقى هناك سؤال واحد لم تصل تفسيرات اللغز الى الاجابة عنه حتى الان وهو اسم من بنى الهرم او بناة الهرم فى مختلف عصور مراحل انشائه وهو السؤال الذى اختلف فى الاجابة عنه جميع المؤرخين وذكر كل منهم اسما مخالفا للآخر – حيث أنه لم توجد اية نقوش تدل على اسمه كما هو الحال فى جميع الاهرام الاخرى – لا فى متون الهرم أو فى غرفة الدفن أو على التابوت أو الناووس · فسجلت وثائق المؤرخين القدماء أكثر من عشرة أسماء مختلفة لم يشر أى منهم الى المصدر الذى استقى منه الاسم ·

وأخيرا اتفق علماء العصر الحديث ابتداء من القرن التاسع عشر على اطلاق اسم خوفو على بانى الهرم الاكبر الذى وجد انه اقرب الأسماء الى « كيوبس » الذى ورد فى وثائق هيرودوت وذلك بعدما وجد اسم خوفو منقوشا على ظهر الكتل الحجرية التى تعلوسقف غرفة الملك او غرفةالناووس وقد نقشت بطريقة بدائية بجانب اسم خونوم (اله الشمس فى الجنوب) وكانت المفاجأة التى كشفها علماء بحوث الاثار الحديثة ان كلمة خوفو ليست اسما لملك او لعلم بل هى لقب وترجمتها (جل جلاله) اى ان الاسم المنقوش على الحجر هو (الاله خونوم جل جلاله) ·

وهكذا اصطدم من حاولوا حل لغز الهرم الاكبر بزيادة اللغز غموضا فمن هم بناة الهرم اذن ؟

بعد ما أمكن تفسير تاريخ بناء الهرم ومراحل بنائه والغرض من بنائه والعودة بالرحلة الاولى من بنائه الى الاسرة الاولى أو ما قبلها لفت نظر علماء البحوث الذين يقومون حاليا بدراسة لغز الهرم الاكبر أن اكثر من مؤرخ من كبار المؤرخين القدماء الذين نقل عنهم مؤرخو العصر الحديث تاريخ الهرم الاكبر . اشار كل منهم في موضع آخر من وثائقه التاريخية ما يشير الى ان الهرم الاكبر كان موجودا منذ بدء الحضارة كما اشاروا الى من قاموا ببنائه فى تلك المرحلة التى سبقت الاسرات وعصر الاهرام .

فذكر هيرودوت « انه سمع من الكهنة ان الذى بنى الهرم راع يدعى فيليتون (الراعى فى اللغة الفرعونية يقصد به من يكون مسئولا عن الرعية) وكانوا يرفضون نسبته الى الجيوش لانه منع العبادة واغلق المعابد ومنها معبد الهرم نفسه » .

كما ذكر مانيتون المؤرخ المصرى القديم بناة الهرم بقوله « جاء قوم من الشرق بطريقة غريبة — قوم من عنصر مميز وغريب غزوا بغير معركة » .

وتؤكد تلك الوثيقة النظرية القائلة بأن الذين بنوا الهرم الاكبر كمرصد فلكى ومعبد لتوحيد الاله هم كهنة (أون — مدينة الشمس) هليوبوليس أتوا من الشرق اى من شرق النيل — حيث تشرق شمس الاله — الى منف غرب النيل العاصمة الاولى ووصفهم بأنهم من عنصر غريب ومميز لانه كان يطلق عليهم لقب (انصاف الالهة وأهل المعرفة) .

كما ورد ضمن مخطوطات حكماء بنى اسرائيل المصرية « ان الذين بنوا الهرم الاكبر قوم هبطوا أرض مصر من الشرق بطوم من السماء وقادهم شم أو الملك الكاهن ملخيزنك وأن ابراهيم من نسلهم » .

كما نسب كتاب الموتى (برديات الكتاب المقدس للحكيم آنى) بناء الهرم الاكبر الذى اطلق عليه اسم (بيت الاماكن الخفية) الى الاله تحوت اله المعرفة كاتم الاسرار الالهية وحارس كلمات العدالة والحق . ناقل الكلمة والحرف وقياس الوقت والزمن ، ليكون معبدا وهيكلا للخالق الاعظم وينقل منه رسالته الى البشر . وهو ما فسر للعلماء والباحثين « لغز الهرم الاكبر » فيما يختص بالغرض الذى بنى من اجله .

كانت تلك الوثائق والمستندات التاريخية لقدماء المؤرخين وبرديات كتاب الموتى هى المراجع الاساسية التى اعتمد عليها الكاتب والباحث السويسرى « اريك فون دانيكن » الذى اثارت بحوثه ضجة عالمية . ومن اشهر مؤلفاته التى ترجمت الى عدة لغات « العودة الى الكواكب — والهابطون من السماء والغاز الحضارات » . لقد حاول فى تلك البحوث اثبات « ان جميع الحضارات البشرية وما يحيط بها من الغاز هبط بها كائنات او اقوام من كواكب اخرى ارقى عقلا وعبقرية ومعرفة وحضارة ، وانهم هم الذين بنوا الهرم الاكبر ليكون وسيلة الاتصال بينهم وبين الارض . كما وضعوا أسس الحضارة الفرعونية التى نشأت متكاملة ومتطورة بما حوته من معجزات فى علوم الفلك والرياضيات والطب والهندسة والفنون والكتابة . وقد نسب دانيكن فى بحوثه بناء الهرم الاكبر لهؤلاء الهابطين من السماء من كوكب آخر لذا فقد اطلق عليهم المصريون القدماء اسم انصاف الالهة والكهنة المبجلين حملة رسالة المعرفة السرية المقدسة » .

ان تفسير اللغز فيما يختص باسم بانى الهرم موجود فى المقبرة التى يرقد فيها ويحتفظ بأسراره وأسرار الهرم الاكبر احد الغاز الحضارة الفرعونية . لقد قام كثير من علماء الاثار بالبحث عن تلك المقبرة بمختلف طرق الحفريات

والوسائل العلمية التى تطورت بتطور الزمن حتى دخلت عصر الالكترونيات ··· وانتهت جميعها الى طريق مسدود

● اين توجد مقبرة بانى الهرم الاكبر ؟

يستدل من نصوص الاهرام على أن لكل ملك من بناة الاهرام مقبرتين داخل الهرم · مقبرة ظاهرة (المقبرة الرمزية) التى تكون مقر القرين « كا » ومقبرة أخرى حقيقية وسرية تكون مقر الجسد · وهى الطريقة التى كانت متبعة ابتداء من الاسرة الاولى حيث كان كل ملك يقيم لنفسه قبرا رمزيا فى « ابيدوس » بالقرب من الاله اوزوريس اله الآخرة ويقيم القبر الحقيقى الذى يكون مقر الجسد فى سقارة ·

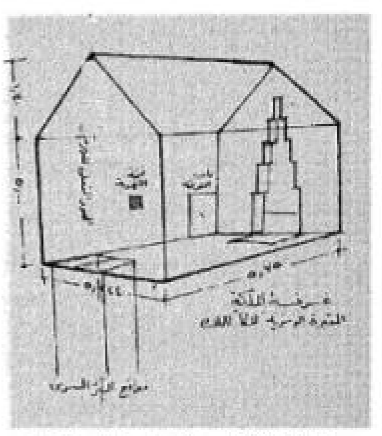
وفى عهد الاهرام ـ ابتداء من بناء المصاطب وتدرجها الى الاهرام اقاموا غرفتى الدفن فى نفس الهرم وفى محور المبنى ، العليا منهما مقر « الكا » فى بناء الهرم نفسه ، والسفلى مقر الجسد تحفر فى الصخر (البناء الخالد) تحت قاعدة الهرم ووصلوا بينهما ببئر عمودية يطلق عليها اسم البئر السرية)

وقد تحقق وجود البئر السرية فى أكثر من هرم منها هرم زوسر المدرج من الاسرة الثالثة وهرم الملكة « ايبت » من الاسرة السادسة وهرم امنمحت الاول من الاسرة الثانية عشرة ·

يختلف وضع التابوت فى كل من مقبرتى الكا والجسد انه فى مقبرة«الكا» يوضع التابوت أو الناووس متجها من الشمال الى الجنوب بينما فى مقبرة الجسد يكون اتجاهه من الشرق الى الغرب ·

معنى ذلك أن مقبرة بانى الهرم الاكبر التى لم تكتشف بعد تقع أيضا فى محور الهرم تحت قاعدته محفورة فى الصخر وتربطها بغرفة الدفن الرمزية البئر السرية العمودية · وهى الغرفة التى وصفها هيرودوت بقوله « تم بناء غرف تحت الارض فى التل الذى تقوم عليه الاهرام واتخذها الملك مقبرة لنفسه فى جزيرة تنقل اليها مياه النيل



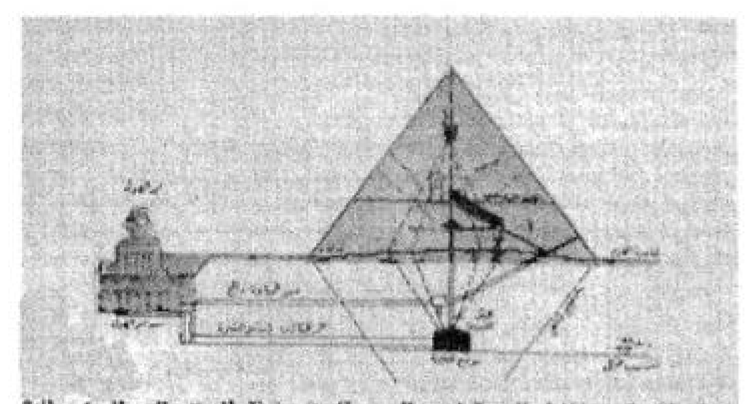


غرفة الملكة .. هل هى القبر الرمزى للكا ـ للملك ؟ هل تخفى تحتها قبرا بالهرم الاكبر .. .. ..

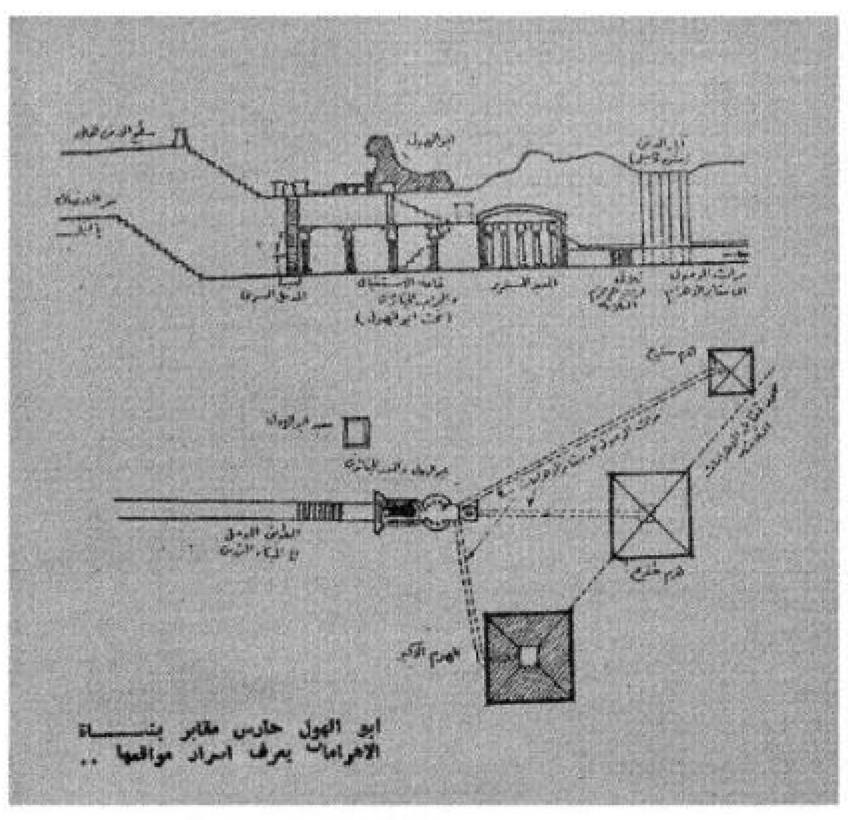
بواسطة قناة ، لقد أكد تلك النظرية أكثر من عالم من علمـــاء الآثار فى العصر الحديث من بينهم العـــالم الالمانى «ارتومولك» الذى حدد فى دراساته موقع غرفة الدفن على عمق ٦٠ مترا تحـت قاعدة الهرم وهو المنسوب الذى يتفق مع وصف هيرودوت ــ أى منســـوب مياه النيل التى كانت تصل الى قاعـة الدفن عن طريق سرداب محفـــور فى الصخر ــ وقد أكد نفس النظرية العالم الفرنسى اندريه بوشان فى كتابه الذى ظهر أخيرا عن «لغز الهرم الاكبر» وحدد به عمق غرفة الدفن على بعد ٥٨ر١٠ متر ٠ كما ألقى ضوءا جديدا على مكان موقع المقبرة عندما أثبت أن ما يطلق عليه اسم غرفة الملك هى غـرفة « الكا » الرمزية للاله ولا تقع فى محور الهـرم بينما غرفة الملكة التى تقع على محور الهرم هى فى الواقع غرفة الكا للملك وهى التى تحدد موقع غرفة الدفن التى تقع تحتها مباشرة ويربطها بها البئر السرية ، ويؤكد فى بحوثه وجود فتحة البئر تحت بلاطات ارضية تلك الغرفة٠

ومما هو جدير بالذكر ان عالمامصريا هو الدكتور خليـــل مسيحة الطبيب الروحانى والباحث الاثرى المعروف قام بعمل دراسات قيمة بواسطة البندول والعلوم الروحانية أمكنه بواسطتها من بضع سنوات أثبات أن غرفة الملكة هى غرفة الكا للملك وحدد فى نفس الوقت موقع البئر السرية التى تقـــع تحت احدى بلاطات الارضية وقام بعمل جسات بواسطة فتح ثقب فى الارضـية فى المكان الذى حدده البندول فوجد انه يؤدى الى فراغ مستمر ولم تصرح له الجهات المسئولة باستكمال بحوثه والكشف عن البئر المؤدية الى المقـبرة حتى لاتتعارض بحوثه مع ما طلبحاث تقوم به الهيئات الاجنبيةبالاشعة الكونية التى بدأتها من عدة سنوات ولم تصـل الى نتيجة بعد ٠

● هناك نظرية أخرى قد تلقى ضوءا جديدا على مكان مقبرة الهرم الاكبر ورد ذكرها فى الوثائق المرتبطة بتاريخ أبى الهول وعلاقته بمقابر الاهـــرام فقد حملت بعضها أوصـــافا تدل على أن أبا الهول يربض على سقف معبد كبير أو هيكل على شكل قاعة كبيرة للاســــتقبال ٠ له مدخل سرى



موقع المقبرة ومداخلها بالنسبة لمحور الهرم وقاعدته وغرفة الروح والممر السرى وقاعة أبو الهول والتسريبات الأرضية ...


ابو الهول حارس مقابر بناة الاهرامات يعرف اسرار موالعيها ..

بين قبضـــتيه تخفيه لوحة او بوابة جرانيتية ضخمة ـ ربما تكون لوحة تحوتمس الحالية· ويتصل الهيكل بمعبد جنائزى مستدير يتصل بممر خاص بكل مقبرة من مقـابر الاهرام الثلاثة ـ وقد وصفت وثائق المؤرخين شكل الممرات وأبعادها واتجاهاتها ·

كانت هـذه النظرية بدورها من النظريات التي جذبت اهتمـام عالم الاثار الكبير الاستاذ الدكتـور سليم حسن والتي ادت بحوثه الى كشـف جسم ابي الهول الذى كان مغمورا فى الرمال واماطة اللثـام عن كثير من الغموض التي كانت تكتنف تاريخـه كما استكشف المعبد الجنائزى العلوى الذى حددت الوثائق القديمـة مكانه بجانبه وتوصـل في نفس الوقت الى تحديد بعض المعـالم التي تؤدى الى الوصول الى الطرقات المؤدية الى المقابر والتى تصلها بأبى الهول ولكن بحوثه توقفت لاسباب سياسية خاصة ولم يهتم احد بعده باستكمالها ·

هل آن الاوان لتكشف مقبرة الهرم الاكبر عن مكانها ؟

المقبرة التي تحتفظ بسر اقدم عجائب الدنيا السبع واخلدها ولغز الحضارة ، الحضـارة الفرعونية ·· اقـدم الحضارات واعرقها ؟ ·



في العـــدد القـــادم

صالح جودت

يلتقي بقـــرائه في
رحلة الشعر كمــا
عودهم كل شـــهر



الدكتور ابراهيم بيومى مدكور رئيس مجمع اللغة العربية ، وواحد من كبار مفكرينا وفلاسفتنا المعاصرين ، عاش بين جنبات المجمع ما يزيد على ربع القرن من الزمن ، عاملا فى ميدان الحفاظ على اللغة العربية ، واثرائها ، وتيسيرها من اجل ان يظل اللسان العربي مستقبلا فى كل يوم العديد من اسرار هذه اللغة الغنية الثرة ..

وفى رحلته الطويلة مع معشوقته والتى وهب نفسه لها .. كان لقائى معه ، متناولا فى البداية حوارا حول حركة الاستشراق ..

الدكتور ابراهيم مدكور يتحدث عن

الاستشراق وقضايانا



قلت للدكتور مدكور : متى بدأت حركة الاستشراق وما هى بواعث ظهورها ؟

ـ اولع الغرب من قديم بالتعرف على الشرق ، وكشف ما فيه من أسرار ، ولا يقف هذا عند الشرق الادنى ، بل يمتد الى الأوسط والأقصى ، ويمكن ان تعد حروب الاسكندر فى التاريخ القديم ضربا من الاستكشاف ، وان كان هدفها الاول غزو الفرس ، والحروب الصليبية فى القرون الوسطى على ما دفع اليها من اهداف دينية ، لم تخل من استكشاف أيضا ، وان غلب جانبها العسكرى على جانبها الثقافى .

ولعل من أوضح الاحداث الدالة على رغبة اوربا فى الوقوف على ثقافة العالم الاسلامى وفلسفته ابان القرون الوسطى أمرين :

أولهما : حركة الترجمة التى بدأت فى القرن الحادى عشر ، ودامت نحو قرنين وكان هدفها الاول أن تنقل من العربية الى اللاتينية فنون الفكر الاسلامى ، ومن أهم مراكز هذه الترجمة طليطلة فى بلاد الاندلس ، وكذلك فى صقلية .

وثانيهما : علاقة الامبراطور فردريك الثانى بهذه الحركة الثقافية واسهامه فيها اسهاما واضحا ، ومحاولة نشر

الترجمات اللاتينية فى المعاهد الاوربية الكبرى ، ولم يخل هذا من تنافس مع الكنيسة الغربية، وحاول الامبراطور الاتصال بكبار علماء الاسلام ، وكان من آثار هذه الترجمة أن هناك نصوصا عربية فقدت أصولها ، ولم يبق الا ترجمتها اللاتينية فى العلم والفلسفة .

وعن هذه الترجمات صدر باحثو الغرب ، وتحركوا عليها حتى القرن الثامن عشر ، ولعلها كانت من بواعث حركة الاستشراق الحديثة ، مضافا اليها أسباب استعمارية أهمها رغبة المستعمر فى التعرف على ثقافة البلاد التى يحكمها ، أو سهولة الاتصال بالعالم العربى والعيش فيه عن طريق الاستعمار .

واذن فحركة الاستشراق العلمية الحديثة بدأت فى أخريات القرن الثامن عشر ، ونمت فى القرن التاسع عشر ،

المعاصرة





وازدهرت فى أخريات هذا القرن وفى الربع الاول من القرن العشرين وهذا هو عصرها الذهبى ..

●● نريد ان نتعرف على اهداف حركة الاستشراق ، وواضح من قول سيادتكم انهم خططوا لها بعنـــاية ، وبالتالى ما هى الثمار التى تحققت من جراء ذلك ؟

– ربما دفع الى الاستشراق قدر من حب الاستطلاع ، وبعض التوجيهات السياسية ، وشىء من التعصب الدينى، ولكنه انتهى الى الوقوف على كنـوز حقيقية فى الفكر الاسلامى تعلق بهـا الغربيون ، ورغبوا فى اقتنائها وفهمها، وفى بعض المكتبات الاوربية والامريكية مخطوطات لا وجود لها فى العـالم العربى ، وغدا المخطوط أثرا تاريخيا تبذل جهود وينفق مال للحصول عليه وفى القرن التاسع عشر كان هناك تجار فى المخطوطات كتجار العاديات الاخرى ولا يزالون موجودين حتى اليـوم ، والقـائمون على التكايا والزوايا والمساجد بوجه خاص مسـئولون عن قدر كبير من هذا التراث الذى حـرم منه أهله .

ولكن هذا التراث فى قدر كبير منه وقع فى أيد أمينة ، فحفظ حفظا جيدا ، ولست فى حاجة أن أشير الى أن قسم المخطوطات فى المكتبات العامة الاوربية والامريكية يفوق فى عنايته ودقته ما نراه فى مكتباتنا العربية .

ولم يقف الغربيون عند الحفـظ والعناية بالمخطوط ، بل نشروا قدرا من مخطوطاتنا العلمية نشرا دقيقا محكما ، وترجموا بعضها الى اللاتينية مرة أخرى أو الى بعض اللغات الاوربية الحديثة .

ولم تقتصر عنايتهم على ميدان خاص ، فنشروا فى الادب واللغة ، فى العـلم والفلسفة ، فى الاخلاق والتصـوف ، وأفادوا فى نشرهم من المنهج العـلمى الدقيق ، ولهم تحقيقاتحلم يسم اليهاكثير من تحقيقاتنا المعـاصرة . وكثير من ناشرينا فى أوائل هذا القرن كانوا عالة على جهود المستشرقين السابقين ..

والى جانب التحقيقوالترجمة والنشر قاموا بدراسات فيها البرىء والنزيه ، والعلمى الدقيـــق وأفادهم فى ذلك تمكنهم من اللغات الشرقية ، ووقوفهم على تاريخ الثقافات الانسـانية ومن هذه الدراسات ما طغى عليه التعصب أو ما جمحت به الاهواء .

هذا الى أنه قد يفـوت بعض هؤلاء الباحثين ادراكهم لاسرار العربيـــة واحاطتهم بجوانب الثقافة الاسلامية ..

●● هل يمكن ان تذكروا لنا بعضا من انتاج المستشرقين ، وايضـــا أهم الدراسات التى كانوا يوجهـون نظرهم شطرها ؟ ..

– ينقسم انتاجهم الى بابين هامين : ملخصات ، ونظرات مجملة غذت الثقافة العامة ، ودراسات متخصصة عميقة .

فمنهم من تخصص فى الفقـه الاسلامى كسنوخ الهولندى وجـــولد تسيهر

النصاوى ، ومنهم من تخصص فى التصوف مثل نكلسون الانجليزى ، وماسينون الفرنسى ، أو فى دراسة شخص معين مثل فاندنبرج الذى عنى بابن رشد ، وهنرى كوربان الذى وقف حياته على السهروردى ·

ومنهم من اولع بتاريخ العلوم كالكيمياء ، ومن باحثيها المهتمين روسكا الالمانى – أو تاريخ العلم بوجه عام على نحو ما صنع سارتون البلجيكى الاصل

ولا شك أن الاستشراق وسع الدراسات الفيلولوجية فى اوربا وسمح بمقارنات بين اللغات الشرقية القديمة ، واللغة اليونانية واللاتينية هذا الى ان تاريخ العلم فى الاسلام كان يعنيهم لاستكمال معلوماتهم عن البحث العلمى فى الاسلام ، وأخيرا شغلهم التصوف الاسلامى ليقفوا على الجوانب الروحية الشرقية ·

●● ماهى اكثر المدارس التى اهتمت بالاستشراق ·· وهل ما زالت تعنى بالحضارة القديمة ؟

– المستشرقون لم يقفوا عند بلد معين ، فمنهم أسبان وايطاليون ، وانجليز، وفرنسيون، وألمان، وهولنديون ومنهم روس أيضا ، وقد حرص عدد منهم على أن يقيم فى القاهرة أو فى بلد عربى آخر زمنا ·

ولا شك ان مدرسة الالمان ، والمدرسة الفرنسية والانجليزية ، كانت على رأس حركات الاستشراق جميعها ، وازدهرت هذه الحركات كما قلت من قبل فى الثلث الاخير من القرن الماضى والنصف الاول من هذا القرن ، ثم أخذت تتضاءل بعد الحرب العالمية الثانية ، وتعنى الان بالعالم العربى المعاصر اكثر مما تعنى بالدراسات الاكاديمية · ومن حسن الحظ ان العرب انفسهم بدأوا يضطلعون بهذا العبء ·

●● ماذا يؤخذ على مناهج المستشرقين فى تناولهم لفكر وثقافة كتبت بلغة غريبة عنهم ؟

– الواقع أنه من الناحية العلميةيمكن أن نقسم دراسات المستشرقين الى قسمين :

الاول : دراسات للمعلومات العامة والقراءة العادية وهذه لم تحظ بالدقة ، ولا بالعمق اللازم ولم تخل من اخطاء أيضا ·

الثانى: دراسات اكاديمية متخصصة ولاشك فى أن المستشرقين قد طبقوا فيها على الجملة مناهجهم العلمية الدقيقة من تعويل على المصادر الاولى واستعانة بالمنهج المقارن لمقابلة الافكار الاسلامية بنظائرها فى الثقافة اليونانية ، وكان منهم فريق أمين كل الامانة فى نقله ونقده وحكمه · ولكن لم يمنع هذا ان من بينهم من دفعه التعصب السياسى أو التعصب الدينى الى تصوير الامور على غير وجهها ·

وهنا أقول ان الاستشراق ككل عمل فيه خير وشر ، فيه جيد وردىء · ولكن خيره يغلب على شره ، وجيده يغطى على رديئه ، لا سيما بعد أن ظهر بين المستشرقين متخصصون يبحثون عن العلم للعلم ، ويربأون بالبحث عن الدعاية والاعلام ، وينشدون الحقيقة



فى ذاتها ..

●● بماذا تدين الثقافة العربية الان لجهد المستشرقين ؟

لذلك ثمار يعنينا أن نشير من بينها الى ما يلى :

١ ــ وجهوا النظر للأصول الاولى للفكر الاسلامى ، وأحيوا منهــا قدرا كبيرا ، الامر الذى تعنى به الان البـلاد الاسلامية عامة ، والعربية خاصة .

٢ ــ انهم وجهوا فى دراستهم النظر الى المنهج التاريخى الذى يقــوم على تأصيل المسائل ويبين تطورها ، ولم يفتهم أيضا أن يلجأوا الى المنهج المقارن، وان اخطأت المقارنات أحيانا فى محاولة رد كل ما هو عربى الى أصل يهــودى أو مسيحى .

٣ ــ وجهوا البحث نحو التخصص ، فهناك مستشرقون وقفوا حياتهم عــلى مدرسة بعينها أو مفكر بذاته .

قلت للدكتور ابراهيم مدكور .. أن الحديث عن الاستشراق يدفعنا لتناول بعض القضايا المعاصرة التى تشغلنـا الان ويسعد قراء الهــلال أن يحظوا بتفسير لهذه القضايا الملحة .. ففى الماضى أضاف الفكر الفلسفى العــربى لتيار الفلسفة الانســانية اضافات أسهمت فى تعميق منسوبه ، هل تعتقد أن الفكر العربى يضيف الى تيــار الفلسفة جديدا الان ؟

ــ لا شك فى أن هناك فلسفة عربية ، وهى حلقة لها شأنها فى تاريخ الفكـر الانسانى ، وفى وسعنا أن نقرر أن العلم والفلسفة العربيين قد مهدوا للنهضــة الاوربية ، وقد سبق العــرب الى اراء ومخترعات لم يهتد اليها علماء الغرب الا بعد نحو خمسة قرون . والغــرب نفسه يعترف اليوم بما كان للعرب من سبق فى ميدان البحث والدراسة .

واذا لاحظنا أن النهضة العربيــة الحديثة لم تبدأ الا فى اوائل القــرن الماضى ، وفى بلاد عربية قليــلة فان ما دونته حتى الان يمكن أن يعتد به .

وهذه النهضة فى نمــو وازدهار شامل ويرجى أن تؤتى اكلها شرقا وغربا .

وفى العلم العــربى فكر جديد ، ومحاولة احياء نشيطة للتراث الاسلامى ونستطيع أن نقول ان العرب يتــولون بأنفسهم احياء تراثهم وليسوا فى حاجة الى معونة من المستعمرين والمستشرقين وهذا الاحياء يؤكد يقظة ووعيــــا جديدين ، ويوجه نحــو افاق للدرس والبحث ، هذا الى أن هناك تيــارات فلسفية بدأت تظهر فى العالم العربى على غرار ما يلحظ فى العالم الاوربى والعلم والفلسفة ملك للانسانية جمعاء ، واذا كان الغرب قد غذاهما طوال القرون الاربعة الاخيرة ، فاننى لا أشك فى أن العرب سيدلون بدلوهم فى هذا المضمار ولهم بالفعل اختراعات ومبتــكرات ، وسيزيد هذا الخلق والابتكار على مر الزمن .

●● فى الستينات برزت اقلام تناصر تناول العامية فى الاعمال الادبية ..

هل اختفاء الدعوة للعامية الان يشكل في حقيقته انتصارا نهائيا للغة العربية في مجال الادب .. وهل معنى هـذا ان تنتصر الفصحى ذات يوم في مجال التخاطب بين الناس ؟

- اعتقد ان موضوع العامية اصبح في خبر كان ، لان الفصحى اخـذت تحل محلها في ميادين كثيرة في الاذاعة المسموعة والمرئية ، في بيانات القادة والسياسيين وفي خطبهم وهي كثيـرة الورود . ويكفي أن نشـهد اجتماعا جماهيـريا ، ونصغي الى المتكلمين ، فنلاحظ أن لغتهم تقتـرب من الفصحى شيئا فشيئا .

ولا شك أن عامية اليوم خير من عامية الامس .. حسن لفظها ، واسـتقامة تراكيبها وكل ذلك نتيجة محو الامية ومتابعة الصحافة اليومية ، والاشتراك في اللقاءات الشـعبية والاجتماعية . وللاذاعة شأن كبير في تقدم اللغـة العامية .

والفصحى نفسها تميـل الى اليسر والسهولة والوضوح ، فهناك حركة تلاق من الجانبين : العامية في صـعود ، والفصحى تبعد عن التعقيد والالفـاظ الغريبة غير المألوفة .

وأخيرا للقومية العربية شأن كبير في محاربة العامية ، واللغة هي الوشيجـة الوثيقة في ربط البلاد العربية بعضها ببعض . وتجربة الجزائر من التجـارب الرائدة التي ترمي الى العـودة الى العربية الصافية .

●● ظهرت دعوات وانعقدت مؤتمرات تنادي بتعريب العلوم في جامعاتنـا ومعاهدنا العلمية ، ولكن هناك وجهـات نظر تتخوف من هذا قبل أن تستكمـل مكتبتنا العلمية تماما ، ما موقفك انت من هذه القضية خاصـة وهنـاك دور ريادي كبير بالنسبة لك بصفة خاصة ، وللمجمع المصري بصفة عامة ؟

- هذا الامل أصبح اليوم واقعـا ملموسا ، فالتعليم في المدرسة الثانوية كله بالعربية الان في مشرق العـالم العربي ، ويحاول الغرب أن يسلك نفس السبيل .

وهناك تعـريب مستمر في التعليم العالي والجامعي ، فالعلوم الانسانية كلها تدرس بالعربية، والعلوم الرياضية من حسـاب وهندسة وجبر ، وفلك وإحصاء تدرس كلها أيضا باللغـة العربية . ولم يبق الا العلوم الطبيعية من طب وكيمياء وفسيولوجيا وصيدلة وهذه بدورها في الطريق السـليم للتعريب .

ويكفي أن نشير الى أن الكتب العلمية التي ظهرت في ربع القرن الاخير انمـا كتبت باللغة العربية وظهرت أيضـا معجمات علمية كثيرة تجمـع بين المصطلح الاجنبي ومقابله العربي .

ولا شك في أن الجامعات والمجامع اللغوية ، واتحاداتها تسعى جاهدة الى استكمال التعريب في المرحلة الجامعية .. والمهم ان يحسن الاستاذ الجامعي لغته الوطنية ، وان يكتب بها ويؤلف .. ومتى تحقق ذلك سيتم التعريب في يسر

راضى صـــدوق

الشـــاعر الغـــريـــب

اراك ترفـل فى الأحـلام مؤتلقـا
والدهر ، يا قلب ، ما ابقى لنـا رمقا
غنيت عمـرك لم تحفـل بنـازلة
فكم رقصت على الاشـواك محترقا
تسقى جراحك من كبر ومن صـلف
تستعذب الموت فى آلامهـا نزقـا
كان دربك جرح ، والوجـود دم
وانت فى الدرب لا تنفـك منطلقا
جناحك الوهم ، والنجمات كوكبـة
من العرائس تطـوى خلفك الأفقـا
كم عالم ردته ، لم تدر عتمتـه
بأن لليـل من احداقنـا فلقـا
نحن الـذين على الافاق تنشرنا
هـوج الرياح سحابا باذلا غـدقا
نسقى ظمأ الرؤى حلما ، ونمسحها
بالعطـر يقطر من اردانهـا عبقـا
ونخضب القبة الزرقاء من دمنـا
فتضحك النار فى اطرافها شـفقا
يا راحلا فى غيـوب الوهم ، ان لنـا
هناك فى غيهب المجهول وعد لقـا
نلوب فى كهفـه المهجـود موعظـة
كاننا فى ضمير الكون فيض تقى !



الق الرحال ، فما يدريك اى غـد
يلقى بك الدهر فى اشـــداقه مزقا
طويت عمـرك فى سـهد وفى ارق
وكنت تجهـل قبل الغـربة الارقا !
من انت غير غريب ضـاع موطنـه
وديس فى زحمة الاقدام وانسحقـا ؟
الارض تنكر فى عينيك لونهمـا
ان الغـريب سراب حيثمـا انطلقـا
كانمـا انت فى عين الـورى كـدر
تطفو على الماء فى دنيـا همو غلقـا
تعود فى حدق النسـيان دغرغة
من الدموع .. اعف الدمع ما خنقـا !
اكلما لاح نجم فى دجـاك هـوى ؟
وذاب فى ظلمة الاحـزان واحتـرقا
فليت روحك لم ترعش لسـانحة
وليت قلبك فى دنيـاه ما خفقـا
ارفع جبينك ، فالاعصـار حشرجة
لن تستذل لنا روحا ولا عنقـا
فوق الرياح جبـاه الـراحلين الى
مشارف الفجر ، لا يبغون مرتزقـا
انت الذى نسج الاحـلام ملحمـة
وما اشـتكى الالا فى الدرب او رهقا
غدا يضمك روح المجد مغتبطـا
ويحتـويك جنـاح الحب معتنقـا

● جدة ـ ياس صدوق ●



طه حسين شاعراً





حين يذكر مؤرخو الادب ونقاده الدكتور طه حسين تتمثل فى الذواكر اجتهاداته المنهجية فى الدراسة الادبية التى جعلته من اعلام هذا الحقل الخصب الخطير، وجعلته يستأثر بالاضواء فيه من دون من سبقه من العرب، ابتداء من ابن سلام الجمحى (٧٦٧ – ٨٤٦) فى كتابه الذى يعد اقدم كتاب فى تاريخ الادب العربى « طبقات الشعراء » والذى قامت عليه شهرته الواسعة، ثم اساتذة طه حسين ومنهم : الشيخ الناقد سيد بن على المرصفى « استاذه القريب الى نفسه – وحمزه فتح الله، ومحمد دياب، والشيخ محمود الشنقيطى، وحسن توفيق العدل، وحفنى ناصف، والشيخ مهدى، والشيخ محمد عبده، وغيرهم ..

كما تتجسد معاركه الفكرية والادبية، وتجديده النقدى، وكتاباته القصصية، وكتاباته فى الفن القصصى، والسيرة والسيرة الذاتية، وبحوثه الاسلامية، ومجاهداته فى التربية والتعليم وغير ذلك من الوان انتاجه الادبى العديد

اما كونه شاعرا فهذا ما حظى باشارات عديدة لدى بعض الباحثين (١)، ولدى الدكتور طه حسين ايضا (٢)، وهذا ما يدفعنا الى ان نقف امام هذا الجانب من عطائه الفنى لنقف على أصوله الاولى فى بواكير انتاجه، ونتعرف على اساتذته الموجهين له فى هذا الفن، وحظهم الفنى، ونقرأ نماذج من هذه البواكير، لنصل الى التعرف على لون هذا الشعر، وعلى الاسباب التى حالت دون تدفق ينبوعه واستمرار عطائه .

ومن البدء نقول ان الشعر على قلم الدكتور طه حسين لا يعد غريبا، فرجل يملك هذا الذوق الفنى الرهيف، واليقظة الادبية المتقدة والذكاء الحاد، والثقافة الواسعة الاصيلة، قمين ان يتخذ طريقه الى الشعر فى بيئته حيث يقوى الاديب حين يجتمع الى النثر الشعر فيجمع الاديب بين الحسنيين .

---

١ – انظر سامى الكيالى : مع طه حسين ج ٢ اقرأ ٢٠١ ص ٤٣، ٥٥، وعباس خضر : غرام الادباء اقرأ ١٥٧ ص ١٠، ١١، والاستاذ خلف الله احمد : هلال ابريل ١٩٧٥ ص ٣٧، والدكتور محمد ابو الانوار : الثقافة ديسمبر ١٩٧٣ .

٢ – الايام ج ٣ ص ٤٠٢ وغيرها – مج ١ ط ٢ – المجموعة الكاملة لدار الكتاب بيروت ١٩٧٤ .



طه حسين شاعراً

واقدم محاولات الشعر (١) لدى طه حسين نجدها في الرحلة التي كان فيها طالبا بالازهر ، بل يكون شعره الناقد احد الاسباب التي ادت الى أن تسقطه اللجنة التي امتحنته في امتحـــان العالمية (٢) كما اشار في « الايام » .

وهو حديث طويل نكتفي بالاشـارة العجلى اليه ، لنصل مع طه حسين الى « الجريدة » حيث استاذه احمد لطفي السيد ، واستاذه الشيخ عبد العـزيز جاويش في مجلات وصحف اخرى كمصر الفتاة ، والهداية والعلم .

ويلتحق بالجامعة الاهلية الناشـئة ويجد من استاذيه هذين تشجيعا وحثا على بدء ومواصلة معاركه الشابة الجريئة في شتى الميادين ومنها الازهر (٣) ويجد من جاويش تشجيعا على قول الشعر ، ومن حبه اياه ينطلق قوله فيه بمناسبة الافراج عنه من السـجن في ٢٢ فبراير ١٩٠٨ :

الان حق لك الثنـــاء فلتحى وليحى اللـــواء (٤)

وحين اقـــام جاويش – عن الحزب الوطني – حفلة بمناسبة عيد الهجـرة وانشد قصيدة بهذه المناسبة امام الشيخ جاويش ، يقول : « فرضي عنها ، وحثه على ان يقول امثالها » (٥) واستقبلت قصيدته احسن استقبال واروعه ، حتى خيل الى الفتى انه قد اصبح حافظا اوقريبا من حافظ ...

« ثم مرت الاعوام وتبعتها الاعوام ، واعرض عن الشعر كل الاعراض بعد أن استبان له انه لم يقل الشعر قط ، وانما قال سخفا كثيرا » . (٦)

من هذه القصيدة قوله : (٧)

---

١ – نشره بالجريدة ومصر الفتاة ، انظر مثلا : مصر الفتاة في ٧ من يناير ١٩١٠ .
٢ – لا نخوض تفاصيل هذا الامر ومن مصادر القول فيه : الايام في مواضع عديدة ورحلة الربيع والصيف ص ٣٢٨ وما بعدها مج ١٤ ط ١ ١٩٧٤ – دار الكتاب المصري بيروت – المجموعة الكاملة ، وسامي الكيالي : مع طه حسين .
٣ – المصدر السابق .
٤ – اللواء جريدة الحزب الوطني .
٥ – الايام حـ ٣ ص ٢٥ .
٦ – الايام حـ ٣ ص ٢٦، ٢٧ .
٧ – انظر سامي الكيالي ، المرجع السابق .

كن انت بعد انخيك خير هــــلال   وانشره لمصر ســـبيل الاســـتقلال
وابســـم بها بعد العبوس فربما   صنع ابتســـامك بالرجاء البالي
كن انت ميمون المطالع مرســــلا   للنيل بالاســـعاد والاقبـــال
البرق وحدث مصر عن امالهـــا   ماذا صـــنعت بهذه الامـــال
اصدق فيك الظنـــون ونظـــر   للنيل نظـــرة مانح وصـــال
ومبيه عن مصر بعض همومهـــا   فلقد اضر بها اخـــوك الخـــالي
الجرى الخطـــوب بها وامطر اهلها   من ريبهن بوابـــل هطـــال
ما بين اونة تمـــر واختهـــا   هـــول يحيق بهم من الاهـــوال
عســف تنوء به النفوس وشدة   سواى العــواقب جمة الامـــلال
ماذا القمر عليـــك من الامنـــا   هيهـــات هل يسع الشكاة مقالي
ان الشـكاة بمصر جـرم مهلك   والنقد مصـــدر محنة ونكـــال
من يشه او يرفع بذلك صـــوته   فهو المهيج والســـفيه الغـــالي
اخلوا على الصحف الطريق وارهقوا   كتابهـــا بالضـــيم والاذلال
وعدا على التمثيل من غلوائهـــم   عـــاه فلان ظالمـــة بـــزوال
فهموا من التمثيل نطـــق ممثـــل   فيه للفظـــة « كامـــل » وكمـــال

ظهرت بواكير شعره اذن وهو فى المرحلة الازهـــرية ، وفيها كان اقرب اساتذته الى نفســـه واحبهم اليه ، واشدهم تاثيرا فيه الشـــيخ سيد بن على المرصفى (١)

والمرصفى من كبار العلمـــاء فى الازهر اشتهر بعلمه فى اللغة والادب ويمكن الوقـــوف على مجمل اراء الدكتور طه حسين فى استاذه هذا ، وهى انه ـ كما يرى تلميذه ـ اصـــح من عرف بمصر فقها فى اللغة واسلمهم ذوقـــا ، وانه يمثل منحى اللغـــويين والنقاد القدامى فى البصرة والكـــوفة

واذا كنا نلتقى باشارة فى الايام(٢) الى انه حين شرع فى الكتـــابة فى الصحف بدا يجرب نفسه فى الكتابة ، كما جرب نفسه فى الشعر بين يـــدى استاذه المرصفى ، واذا كنا قد تعرفنا على الطبيعة الفنية لدى استاذه ، فانه يمكن ان نصل الى معرفة منحـــاه الشعرى حين بدا القريض ، كما لـــم نصل الى معـــرفة علة توقفـــه عن الاستمرار فى ركب الشـــاعرية ، وخصوصا بعد ان فتحت امامه سبـل المعرفة وطرق العلم ، وازداد عـــدد اساتذته وتنوعت ثقافاتهم ، ومشـــاربهم وميولهم ومناهجهم ، فحدث عنـــده انبهار بمناهج البحث الحديثة ، وتذوق لالوان الانتاج العالى فاحس ان شعره لا يسمو الى هذه الافاق .

---

١ ـ وهو لا يمت بصلة قربى الى الشيخ حسين المرصفى استاذ البارودى وصاحب الوسيلة الادبية والمحاضر فى قاعة المحاضرات التى انشاها على مبارك .

وللحديث عن الشيخ سيد المرصفى انظر : فى الادب الجاهلى للدكتور طه حسين ط ٣ ـ ١٩٣٣ ص ١ ، و ٥ ، والايام جـ ٢ ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ وفيرها وزعماء الاصلاح لاحمد امين ص ٢٠٦ ـ القاهرة ١٩٤٨ ، والنقد الادبى الحـــديث للدكتور احمد زكى ط ١ ـ الهيئة ١٩٦٢ ص ٨٨ ، و ٩٠ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٤٧ .

٢ ـ جـ ٢ ص ٣٩٦

كم كان يطلب ـ بالشعر ـ مزيدا من الدرس والمحاضرات من أستاذه حفني ناصف أصالة عن نفسه ونيابة عن زملائه (١) أي أنه لايزال في المرحلة ذات الطابع المحافظ ، حيث كان حفني ناصف والشيخ محمد المهدي وغيرهما ينهجون نهج القدماء في الدرس الأدبي .

لم تتنوع موضوعاته كثيرا ، فمن أشعاره ما اتصل بالمواقف الشخصية وانبثق من موقف الخلاف أو الخصومة، كخصومته مع الشيخ رشيد رضـــا بتحريض من الشيخ عبد العزيز جاويش، كما يقول الدكتور طه حسين (٢) وكما نفهم من موجز القصة ، فقد أنشـــأ الشيخ رشيد رضا مدرسة الدعـــوة والارشاد لاعداد الدعاة الذين يخاطبون غير المسلمين ، وقد عطف الخديو على المدرسة وأعانها ، فسخط عليهـــا الأزهريون وأتباع الامام الشيخ محمد عبده .

وذات يوم أقام الشيخ رشيد رضا وأصحابه حفلا بهذه المدرسة واجتمعوا حول مائدة العشاء في فندق « سافوى » بالقاهرة ونشرت بعض الصـحف أن أكواب « الشمبانيا » أديرت حول هذه المائدة بمحضر من شيوخ الأزهر وشيخه الأكبر دون انكار ، فثـــارت ثائرة المخلصين . وعلى الرغم مما قيل من تبرير أو دفاع، فقد كثر النقد والتعليق، وكان طه حسين من بين الناقدين شعرا ونثرا ، ومن شعره الذي لم ينسبه الى نفسه وزعم أنه تلقاه في البريد ونشره في صحيفة « العلم » (٣) وقوله :

رعى الله المشـــايخ اذ توافوا ... الى « سافواى » في يوم الخميس
واذ شهدوا كؤوس الخمـــر صرفا ... تدور بهـــا السقاة على الجلوس
رئيس المسلمين عـــداك ذم ... الا لله درك مـــن رئـــيس

ومن أشعاره ما دار في مجال المداعبات الشخصية ، من ذلك ما دار بينه وبين أستاذنا الراحـــل الشاعر علي الجندي (٤) حيث بدأ الجندي بأبيات يشكره فيها على صنيع له ، منها قوله :

---

١ ـ الأيام حـ ٢ ص ٥٥٤
٢ ـ المصدر نفسه ص ٤٢٧
٣ ـ انظر تفصيل القصة : الأيام ص ٤٠٠ ـ ٤٠٢ .
٤ ـ هلال ابريل ١٩٧٥ ص ٥٧





من لي بمثل بيـــان طه   مبـدع السحر الحلال
حتى أقــوم بشـــكر ما   أوليت يا فخــر الرجــال
فما كان من الدكتور طه حسين الا ان رد بقوله :
من لي بقلب مثــل قلبــك او بفن مثــل فنــك
حتى اقوم بشــكر ما   اوليتني من حسن ظنــك
ويذكر الاستاذ ســامي الكيالي أن جلوة حدثت بين الصديقين :الدكتور طه والزيات ، ثم دعا الثــاني الاول لحضور حفل قرانه فأجاب ، ونشر هذه القصيدة في صحيفة مصر الفتاة (١) ومنها قوله :
يا خليلي ســلاما   حبذا يوم القــران
حبــذا امس فقــد ذ   لي نوالا غيــر داني
حبــذا ليــلة امس   راق لي فيها زمــاني
ليلة قد نلت فيهــا   من حظوظي ما شــفاني
انا لا احمــد منهــا   حسن توقيــع الاغاني
انما احمــد منهــا   حسن انس يفــلاتي
لم ازل اقصــف حتى   خلت اني في الجنــان
بينمــا نحــن على ذ   لك ٠٠ زف القــران
آه يا زيات ما اجــ   ـمل ساعات الاماني
من قد هجــن لنفسي   ذكر ســحر وعنان
انا لولا ســوء حظي   لم اكن الا ابن هاني
ياشقيق النفس ضاق الشعر   عن نظــم التهــاني
لا تلمني ان دعوت الشــ   ـعر ، والشعر عصــاني
جــل حبي لك يا زيا   ت عن وصــف البيــان
ومن اشعاره ما حلق في سماء الحب ، من تلك تلك القصيدة وعنوانها « ليت الحب لفتاة » (٢) ومنهــا قوله :
شف قلبي ما يعــاني   من تباريح الهــوى
يعشق الحســن ولكن   ليس يحظى بالوصــال
انا من وصــل حبيبي   بين صــد ونوى
من عذيرى من بخيــل   ضن حتى بالخيــال
ومن غزله قوله : (٣)
يا رعى الله عهــودا   للهوى منــذ سنين
حين كنــا في امان   من عيــون الرقباء
نجتني اللـــذات لا نخشى اذاة الكاشــحين
***
انما العــذال للحــب   وللاحبـــاب داء
آه ما احلى الامــاني   ليت ايامي تعــود
***
انا من امضيت من عمــرى عشرين ربيعــا
غير اني قد بلوت الــ   عيش والجهد الجهيــد
بين بؤس ونعيــم   يذهب العمر سريعا

---

١ ـ في ١٥ من اكتوبر ١٩١٠ ٠
٢ ـ انظر عباس خضر : غرام الادباء ص ١١
٣ ـ مصر الفتاة ٧ من يناير ١٩١٠ ٠



طــه حسين شاعرًا

ونلحظ فى هذه الابيات ـ وهى من مجزوء الرمل ـ ميله الى البســاطة الموسيقية وميله الى تنويع الـــروى والتخفف من قيوده الفنية ، غير ان ميله الى التجديد يظهر ايضا فيمـــا كتبه من الشعر المسمط (١) وقد جعل قصيدته تسعة اسماط ، وكل سمط اربعة ابيـات ، يتفق البيت الاول مع البيت الثالث فى الروى والبيت الثانى مع البيت الرابع ، ومنها قوله :

فــاتن عطف   عطفــة الحبيــب
بعدما صــدف   صـــدفة الملول
كم سبى العقــو   ل قوامــه القلوب
يملك القــلو   ب لثمــه لا ينيل

●●●

كل ذى بهـــا   ء يملك الوصـــال
يظهــر الحبـا   د وهو فى صــدود
من لذى الســهو   د منــه بالنــوال
ان فى الجمـــا   ل عثرة الجــدود

ويمضى مع صحيفة مصر الفتاة ، مستجيبا لما توليه للشــباب من حث وتشجيع فينشر مقطوعته :

يحسب العـــذال انى   همت بالحب جنـــونا
لو رأى العــذال رأيى   فى الهـــوى ما عذلونى
ولما قالوا : فـــلان   احـــد المستهترينا
انا لا أعطى غـــرامى   ابدا كل شـــئونى

●●●

ساعة عنــدى للجـــد   واخـــرى للهـــزل
فاذا ملت الى الجـــد   فمقـــدام أريـــب
واذا ملت الى الحـــب   فـــاب للعـــذل
هــذه جملة احـــوا   لى فهـــل فيهـــا ذنوب

---

١ ـ مصر الفتاة ٢١ من ديسمبر ١٩٠٩

كانت مرحلة الطلب أخصب أيامه مع الشعر على نحو ما أشار الزيات في حفلة تكريم الدكتور طه حسين بمناسبة حصوله على الدكتوراه ، وفي حديثه عن شاعريته مسلما بتفرقه في حفظ الكلام وفهمه (١) ، وبشعره الحماسي الجاهلي الأسلوب .

وتتعدد نماذج شعره (٢) مما يثير تساؤلا : لماذا توقف عن كتابة الشعر ؟

كان العصر عصر الشعر ـ ان جاز التعبير ـ ففيه برز أعلامه ومجددوه ، وفيه كان الشعر أرقى مراتب الأدب وأشهرها ، ومن هنا كان دأب معظم أدبائنا في مستهل حياتهم أن يداعبوا الشعر ، فمنهم من لان له وانقاد ، فمضى به ومعه مقتصرا عليه ومتفرغا له أو جامعا بينه وبين غيره من الأجناس الأدبية ، ومنهم من انصرف عنه الى غيره من الفنون الأدبية وغير الأدبية لكننا يمكن أن نلتمس من حياة طه حسين الخصبة المتعددة العطاء سبب انصرافه عن الشعر، فقد انشغل انشغالا شديدا بمعاركه وخصوماته بدافع من نفسه أو بحث وتحريض وتشجيع من غيره

ويتصل بذلك أيضا انشغاله منذ اللحظة الأولى لاعداده للدكتوراه في مصر عن أبي العلاء وللدكتوراه في فرنسا عن ابن خلدون ، انشغاله بالجهد المنهجي المجدد على بساط منهج الشك الديكارتي، مما استغرق جهده ووقته. ولم يجعله مقتصرا على الطابع الأدبي أو العلمي أو الثقافي فحسب بل جره الى السياسة والدين الى درجة كانت تودي بحياته ، وقل مثل ذلك في تجديده النقدي .

ومن الأسباب التي انتزعته من مجال الشعر أيضا استجابته لدواعي العصر الفنية حيث بدأ الفن القصصي يشارك الشعر شيئا فشيئا على يد رائده الدكتور محمد حسين هيكل ، مما جعل طه حسين يدخل هذا الميدان بانتاج قصصي متعدد المستوى والاتجاه .

فاذا اضفنا الى ذلك التجديد المسرحي عند احمد شوقي ، ومجالات التفوق عند حافظ ابراهيم ، واسماعيل صبري ، وخليل مطران، واحمد نسيم، والعقاد وغيرهم ، امكن ان نقول ان طه حسين راى ان يجمع جهده في مجالات بروزه الحقيقي في دروب الادب النثرى مما دفعه الى بذل ثمن ذلك وهو هجر الشعر وايقاف تجاربه الابداعية عنده.

---

١ ـ الجريدة في ٢٦ من مايو ١٩١٤ .
٢ ـ وقد كتب الاذنية ، ومنها ما غناه كامل الخلعي
« انظر سامي الكيالي : مع طه حسين حـ ٢ ص ٥٣ ـ ٥٥ ،
وانظر : محمد السيد الكيلاني : طه حسين الكاتب والشاعر ،
وهلال فبراير ١٩٦٦ » .

إبراهيم محمد الفحام

تصوير ما لا يُرى..

هكذا ، ومنذ ثمانين عاما ، تابعت مجلة « الهلال » تطور اختراع السينما ومولد الفن السينمائي ...

تعد مجموعات الاعداد المتتالية من مجلة الهلال - بما تحوى من الصور والاخبار والبحوث والمناقشات - سجلا وافيا ومفصلا ، لاطوار حياتنا العلمية والادبية والفنية ، منذ صدور المجلة سنة ١٨٩٢ حتى الان ... ومن اهم ما تعرضه لنا تلك الاعداد ، انباء التجارب الاولى للمخترعات الحديثة ، وما طرا عليها من التطورات التلاحقة حتى بلغت ما نراه عليها الان ، من مظاهر التقدم والنجاح ... وقد كان اختراع السينما واحدا من المخترعات التى تابعت مجلة « الهلال » انباء تجاربها وتطوراتها منذ البداية .

في عدد ١٥ من مارس سنة ١٨٩٦ كتبت المجلة تحت عنوان (الفوتوغراف الحى)شرحا لهذا الاختراع (الجديد) بدأته بتفسير ذلك العنوان الغريب فقالت (ويراد به اختراع حديث في صناعة التصوير الشمسى ، تظهر به الصور متحركة كأنها حية . ونسبة هذا الاختراع الى العين ، كنسبة الفونوغراف الى الاذن . وقد حاول اتمام هذا الاختراع كثير من المصورين قبل الان . ولم يفوزوا بالمرام فتوفق اليه مؤخرا الخواجات لوميير بفرنسا ، وسموا الآلة التي تستخرج هذه الصور سينما توغراف . وهذا اختراع من الاهمية بمكان نشبهه الى اختراع تصوير الاحشاء الباطنية) .



جرجى زيدان

وكانت المجلة قد تحدثت عن اختراع (تصوير الاحشاء الباطنية) فى عدد ١٥ من فبراير سنة ١٨٩٦ تحت عنوان (تصـــوير ما لا يرى) . وهو التصوير باشـــعة (رنتجن) التى اكتشــفها العلامة الالمانى (كنراد رنتجن) لاول مرة سنة ١٨٩٣ واذاع اكتشافه لها فى سنة ١٨٩٥ .

وقد اشـــادت المجلة بالخواجات لوميير ، الذين نســـبت اليهم ذلك الاختراع ، الاخوين (لوى واوجست لوميير) الفرنســـيين اللذين كانا يمتلكان مصنعا للاجهزة الفوتوغرافية فى مدينة (ليون) وقد وفقا فى سنة ١٨٩٥ الى تصوير منظـــر متحرك ، لخروج العمال من مصنعهما لتناول الغذاء ، ثم استمرا فى التقاط صـــور اخـــرى مماثلة ، حتى انشأ فى (باريس) اول دار لعرض الصـــور المتحركة سمياها (سينما توغراف) فى اواخر ذلك العام .

ويفهم من خبر نشرته المجلة فى عدد ١٥ من ســبتمبر سنة ١٨٩٦ ان العروض الســينمائية ظهرت فى مصر بعد اختراعهـــا بزمن قصير . فقد ذكرت فى ذلك العدد ان (فى القاهرة شركة افرنجية لها محل بالازبكية قرب التلغراف المصرى ، تعرض فيه صورا تظهر للناظـــرين انها تتحـــرك حركة طبيعية . وقـــد تقاطـــر الناس لمشاهدتها) .

ووعـــدت المجلة قراءهـــا بانها (ستذكر فلسفتها وتحليلها فى فرصة اخرى) .

وهذا الخبر يخالف ما ذكره بعض مؤرخى السينما ، من ان عروضـــها ظهـــرت فى مصر ــ اول مرة ــ فى اوائل هذا القرن ، بل ذكر بعضـــهم ان ذلك حدث سنة ١٩٠٦ او ســـنة ١٩٠٨ ، على وجه التحديد .

وقيل ان اول مكان اعد لهذا الغرض هو دار مطعم ومقهى (ســـانتى) بالازبكية ، الذى كان يقع بالناحـــية الشرقية لحديقـــة الازبكية ، التى تطل على ميدان الخازنـــدار ، وقد تحولت منذ قيام الحرب العالمية الاولى ، الى فندق ومطعم لجنود الحلفاء .

ويفهم من خريطة طبعتهـــا نظارة الاشغال العمومية للقاهرة وضواحيها ، فى ســـنة ١٨٩٧ ان مبنى التلغراف

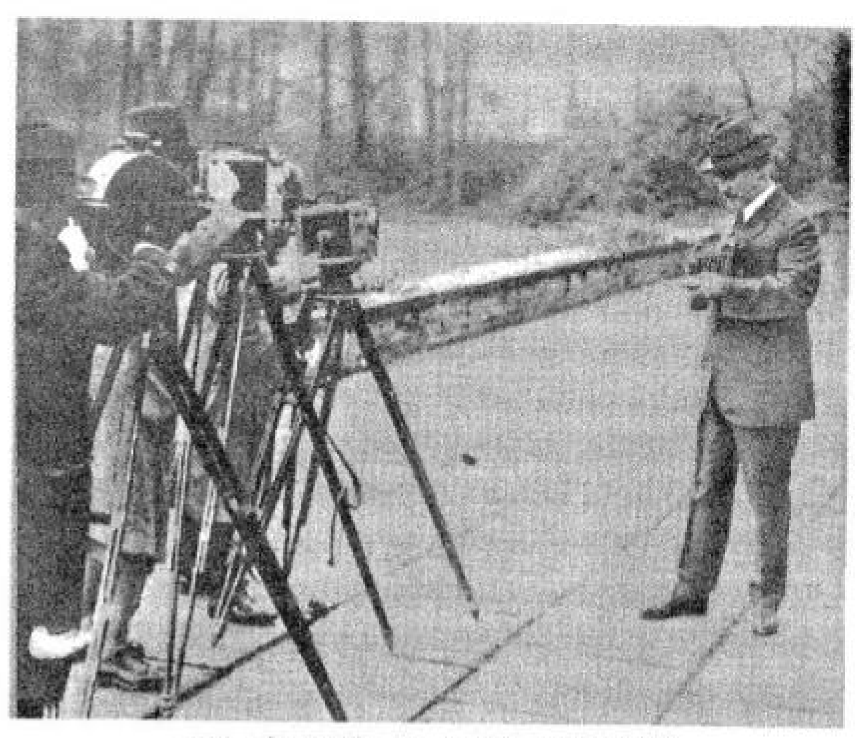
المصرى الذى اشارت اليه المجلة ، يقع عند الزاوية الشمالية الغربية لالتقاء شارعى بولاق وعابدين اى شارعى (٢٦ يوليو والجمهورية) الان . ومعنى ذلك انه كان يقع بالناحية الغربية لحديقة الازبكية .

وقد برت المجلة بوعدها ، فزار صاحبها (جرجى زيدان ذلك (المحل) الذى كان يعرض الصور المتحركة وقدم فى عدد ١٥ من فبراير سنة ١٨٩٧ بحثا مفصلا عن (تعليلها وكيفية اصطناعها) - على حد تعبيره - وذكر انها تسمى (سيناما توغراف) او (كيناماتوغراف) وان فى القاهرة (بضعة حوانيت يعرضون بها ضروبا من مناظرها) ثم استطرد يقول :

(فدخلنا فى قاعة منارة بالكهربائية، فى صدرها ملاءة بيضاء ، تغطى اعلى الحائط . فلما استقر بنا الجلوس ، اطفىء النور ، فظهرت على تلك الملاءة اظلال كالتى ترى بواسطة الفانوس السحرى ، الا انها تتحرك . وفى جملة ما رأينا تلك الليلة قطار وصل المحطة واخذ الناس ينزلون منه او يدخلون ، وفيهم من يحمل صندوقه وعصاه ، وآخر يهرول وقبعته بيده ، ورأينا ايضا امرأتين تناصبتا للمبارزة ، فتطاعنتا امام الشهود ، وقد طعنت احداهما الاخرى فحملت المطعونة وسارت الطاعنة . وايضا كتيبة من الفرسان يعرون سراعا كأنهم يهاجمون حصنا ، وغير ذلك من المناظر التى توهم الناظر انه يرى حقيقة، ولم تظهر هذه المشاهد متتابعة فى منظر واحد ، ولكنها تقسم الى مناظر، بينها فترات تنار بها القاعة، وتستريح الانظار . فلما انقضت تلك المشاهدة ، استأذنا صاحب الصورة ان نرى الآلات عيانا ، لنستوضح ما قرأناه وسمعناه مرارا . فصعد بنا الى سقيفة فوق مدخل القاعة ، مقابل الحائط الذى كنا نرى الصور عليه فرأينا الآلة وكيفية اشتغالها وهاك رسمها).

وبعد ان نشر صورة تلك الآلة ، وقدم وصفا دقيقا لها ، وكيفية ادارتها ، تحدث عن ذلك الحلم الذى كان يراود اذهان العلماء ، منذ بداية تجاريبهم فى ميدان الصور المتحركة ، فكتب تحت عنوان(الصور المتحركة الناطقة) .

(ويشتغل بعض العلماء الآن فى اصطناع صور تتحرك وتتكلم فى وقت واحد ، باستخدام السيناما توغراف والفوتوغراف معا . فستأتى ايام نرى بها العالم وحوادثه رأى العين ونحن جلوس فى غرفتنا . وذلك كله من معجزات هذا القرن).



كاميرات التصوير الخارجي والتي كانت تستخدم بالماضي

ويلاحظ على وصفه مكان العرض بأنه (قاعة منارة بالكهربائية) انه منذ ذلك العام فقط (عـــام ١٨٩٧) رخص لشركة (ليـــون) بتوزيع الكهرباء للحكومة والافراد ، وكانت قد بدات قبل ذلك بخمس ســنوات تضيء امـاكن محدودة بالمدينة ، على سبيل التجربة .

وقد حذرت المجلة في عـــدد أول مارس من ذلك العام ، من استخدام الكهربـاء ، في أغراض الاضـاءة في المنازل تحت عنوان (خطر النور الكهربائي) وقالت ان (تركيب اسلاك النور الكهربائي في المنازل ، يحتاج الى علم ودقـــة نظـــر ، فلا ينبغي الاستخفاف به ، لانه قد يكون سببا في حريق هائل) .

***

وقد عنيت مجلة الهـلال بعد ذلك بمتابعة تجارب (الصـــور المتحركة الناطقة) فكتبت في عدد أول نوفمبر

سنة ١٨٩٧ تحت عنوان (صور تتحرك وتتكلم) عن محاولات العالم الامريكى (توماس اديسون) فى ذلك المجال فقالت :

(ان اديسون المخترع الكهربائى الشهير، يهتم الان فى اصطناع صور تتحرك حركات طبيعية ، وتسمع اصواتها كأنها فى حال الحياة . واساس عمله هذا التوفيق بين الفونوغراف والسيناما توغراف فالاول ينقل الاصوات ، والثانى ينقل الحركات . فلو رسم استرغلادستون مثلا بآلة الصور المتحركة ، وحفظ صوته بالفونوغراف وهو يخطب ، ثم وفق فى تمثيل الاثنين فى وقت واحد ، لرايت هذا الخطيب يتكلم، ويشير بيديه على منبر البرلمان (لندرا) وانت جالس على مقعدك فى مرسح التمثيل بمصر او غيرها ، واتمام هذا الاختراع معقول للاسباب التى قدمناها . وهو من جملة معجزات هذا القرن) .

والواقع ان تجارب اديسون فى ذلك المجال ، بدأت مع محاولاته الاولى لالتقاط الصور المتحركة . ويقال انه استطاع - بمعاونة مساعده ديكسون - أن يربط بين الصورة المتحركة ، التى اطلق على جهازها

تصوير مالاريك..

(الكينتوسكوب) والصوت ، الذى سجله جهاز (الفونوغراف) واستخرجها فيلما يظهر فيه اديسون وهو يتكلم فى سنة ١٨٨٩ الا ان هذه التجربة لم تحقق قدراً مشجعا من النجاح ، فحصروا اهتمامها فى التقاط الصور المتحركة الصامتة .

وعن انباء محاولات التقاط الصور المتحركة الناطقة ، كتبت مجلة الهلال فى عدد ١٥ من مارس سنة ١٨٩٨ تقول (ستخطب ملكة الانكليز ، وبعد قرون يسمع الناس خطابها) .

ثم شرحت ذلك بقولها (ذلك انهم سيعرضون على جلالة الملكة آلة الفونوغراف فتلقى فيها خطابا فيه عظة للشعب الانكليزى ، وستحفظ تلك الآلة فى المتحف البريطانى . ومتى ارادوا سماع كلام الملكة اداروا الآلة فيسمعون كلامها حرفا حرفا ، كأنها واقفة بينهم . واذا أمد الله بحياتها ليتم التوفيق بين التى السيناما توغراف والفونوغراف ، واستخدامهما معا فانهم يصورونها تتكلم ، ويحفظون كلامها ، فيراها اهل القرون الاتية كأنها حية تتكلم وتتحرك معا) .

ولما كانت تلك المحاولات تقوم اساسا على التوفيق بين جهازى الفونوغراف والسينماتوغراف فقد ذكرت مجلة « الهلال » فى عدد اول ديسمبر سنة ١٩٠٨ ان العلماء يطلقون على الجهاز الذى يحاولون اختراعه لتحقيق هذا

الفرض (الفوتو سينما) لاشتقاقه من اسمى هذين الجهازين .

وفى عدد اول يناير سنة ١٩٢١ اشارت المجلة الى تجارب التصوير السينمائى الملون ، وامكان التوفيق بينه وبين الصوت ، فكتبت تحت عنوان (اسرار السينما توغراف) : (متى اتقن السينما توغراف الملون ، واحكمت المطابقة بينه وبين الفوتوغراف ، بحيث تتحرك الصورة وتتكلم عن شكل طبيعى غير مفتعل ، اذ ذاك يبلغ الفن الذروة العليا من الرقى والكمال . والتجارب الحديثة تؤملنا بأن هذا الحلم الجميل ليس بعيد التحقيق باذن الله) .

***

والواقع أن انتاج الافلام الملونة بدأ فى زمن مبكر ، عندما كانت الافلام الفرنسية القصيرة الاولى تلون باليد صورة صورة ثم ظهرت فى انجلترا فى سنة ١٩٠٨ طريقة جديدة عرفت باسم (سينما كولور) وقد استخدمت فى تصوير احتفالات التتويج فى سنة ١٩١٠ وقد تطورت تلك التجارب حتى بدأت تحظى برضا الجماهير عندما عرض فيلم (شبح الاوبرا) الذى تضمن بعض المشاهد الملونة فى سنة ١٩٢٥ ، ثم سجل عرض الفيلم الملون (القرصان الاسود) فى سنة ١٩٢٦ اول نجاح كبير فى هذا المجال . وقد عاصر ذلك النجاح بدء التوفيق فى انتاج الافلام الناطقة ، فاكتمل بذلك نجاح ذلك (الحلم الجميل) الذى تنبأت المجلة بقرب تحققه فى سنة ١٩٢١ .

وفى عدد اول فبراير سنة ١٩٢٣ تكلمت المجلة عن النجاح المبدئى لتجارب (السينما المجسمة) والنظرية العلمية التى تقوم عليها ، والعقبات الفنية والمالية التى تحول دون سرعة التقدم فى ذلك المجال . وكانت قد نشرت فى عدد اول اكتوبر سنة ١٩٢٢ بعض خواطر لمؤسسها (جرجى زيدان) تنبأ بما ستكون عليه احوال البلاد فى اوائل القرن الحادى والعشرين ، واعدها اساسا لرواية خيالية كان يزمع تأليفها ، وكان مما تنبأ به اختراع (السينما توغراف المجسم الناطق) الذى وصفه بأنه (يمثل الحوادث والروايات اتم تمثيل ، بحيث يخيل الى الناظر أن ما يجرى امامه واقعى وحقيقى) .

وقد تابعت المجلة تطور تجارب السينما الناطقة ، فى أعداد متقاربة، حتى نشرت فى عدد اول يونيه سنة ١٩٢٥ تحت عنوان (السينما المتكلمة انقلاب علمى عظيم) نبأ احدى التجارب التى اقتربت بهذا الاختراع نحو الكمال . وقد قام بها ثلاثة من المخترعين هم (هانس فوجت) و (الدكتور انجل) و (جوزف ماسل) (فقد صنعوا آلة سينما تؤدى الكلام والغناء والموسيقى ، وفاقا لظهور

المصورة على اللوحة . وقد تبين من التجارب حتى الان ، ان انغـــام الكمنجة والزمار تنقل بواسطة هذه الالة واضحة ومتفقة مــــع حركات الممثلين في السينما . اما صـــوت البيانو فانه يتغير قليلا كما ان الكلام العادي يعتوره بعض الغموض احيانا ، على ان ذلك كله لا بد ان يصـــلح ويعدل في مستقبل قريب ، بحيث يصير السينما ناطقا تمام النطق) .

ثم شرحت المجلة كيفيـــة ذلك الاختراع .

وفي عدد اول يونية سنة ١٩٢٦ كتبت تحت عنوان (السينماتوغراف المتكلم) :

(وضـــع المهندسان الهولنديان بدرسن وبولسن الة سينما فوتوغرافية قد الف بينها وبين جهاز فنوغرافي ، فيرى النظارة الصور المتحركة ويسمعون في نفس الوقت اصـــوات الاشخاص والممثلين ، وقد عرضـــها مخترعاها في القصر الملوكي بهولاندا وعلقنا على نجاحهما ، في عمـــل طالما حاول غيرهما النجاح فيه) .

ونشرت مع ذلك الخبر ، صـــورة لهذين الجهازين اللذين وفق بينهما . والواقع ان تجارب انتاج الافـــلام الناطقة ، قد حققت نجـــاحا عمليا ملموسا في ذلك العام فانتجت شركة وارنر بعض الافلام الناطقة والغنائية القصيرة ، وفيلما طويلا هو (دون جوان) الـــذي عرض بمصاحبة موسيقى تطابق حوادث الفيلم . ثم قدمت في سنة ١٩٢٧ فيـــلم (مغني الجاز) الذي لاقى نجاحا ساحقا ، وان كان في الحقيقة فيلما صامتـــا تصاحبه موسيقى ، ويتضمن اربعـــة مشاهد ناطقة وغنائية ، ثم عرضت في سنة ١٩٢٨ فيلم (انوار نيويورك) وهو اول فيلم طويل ناطق كله .

وفي العامين التاليين تحولت كـل الشركات السينمائية الى انتـــاج الافلام الناطقة ، وانتهى بذلك ـ او كاد ـ عهد الافلام الصامتة .

وعندما تاكد نجاح تلك الافـــلام نشرت مجلة الهلال في عدد ديسمبر سنة ١٩٢٩ بحثا وافيا للمحـــاولات التي بذلت في هذا المجال ، ومراحل تطورها ، بعنوان (السينما الناطقة ماضـــيها وحـاضرها) للـكاتب السينمائي (السـيد حسن جمعـة) الذي يعـــد من طليعة الكتـــاب السينمائيين في مصر ، وهـــو الذي اخرج (دائرة المعارف السينمائية) في سنة ١٩٣٤ . وكانت مجـــلة الهلال من اوائل المجلات العربيـــة الثقافية التي خصصت جانبا منهـا للكتابة في هذا المجال .

ويبدو ان الافلام الناطقة عرضـــت في مصر بعد ظهـــورها في امريكا واوروبا بزمن قصير ، اذ ترد المجلة في عدد اول مايو ســـنة ١٩٣٠ على

وفي عدد أول يولية سنة ١٩٣٠ تحدث (السيد حسن جمعة) في مقال له بعنوان . (لمحة عن تاريخ الصور المتحركة) عن تطور هذا الاختراع حتى توج بنجاح الافلام الناطقة . ثم لختتم مقاله بكلمة عن السينما الناطقة والسينما اللاسلكية قال فيها :

« ويسعى بعض المخترعين الان الى اختراع جهاز لاسلكي لعرض الشرطة السينما صامتة او ناطقة بمعنى انك تجلس في منزلك ، بين افراد اسرتك، فتشاهدون مشاهد سينمائية تعرضها عليكم الات لاسلكية تنقل هذه المشاهد من مكان بعيد في هوليوود مثلا او من جهات غيرها ، تنشأ فيها محطات للاذاعة السينمائية اللاسلكية . فهل يتوصل المخترعون الى اختراع هذا الجهاز ؟ المستقبل امامنا . وسوف نرى » .



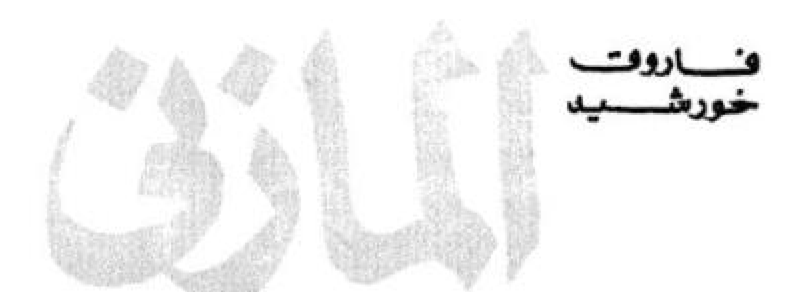
هكذا كان التصوير الخارجي منذ سنوات بعيدة ..

وبذلك تنبأ الكاتب - وفي وقت مبكر تقريبا - بقرب نجاح التجارب التى ادت الى اختراع التليفزيون ، ومنافسته للسينما . والمعروف ان اول برامج تليفزيونية منتظمة ، قد تم ارسالها من (الكسندر بالاس) بلندن في ٢ من نوفمبر سنة ١٩٣٦ اى بعد ذلك المقال بست سنوات ونصف سنة ...

وقد توقف ذلك الارسال خلال الحرب ، ثم اعيد في سنة ١٩٤٦ .

سؤال لاحد القراء ، عما اذا كانت قد (وصلت الافلام الناطقة الى مصر ومن اين تستجلب) بان في مصر عدة قاعات للسينما الناطقة وان معظم افلامها يجلب من امريكا وبعضهـا من فرنسا .

وفي ذلك العام ظهر اول فيلم عربي ناطق هو فيلم (تحت ضوء القمر) ، الذى استعملت فيه طريقة تسجيل الاصوات على اسطوانات . ثم تبعه فيلم (انشودة الفؤاد) ثم فيلم (اولاد الذوات) .



وفنون الأدب

– ١ –

لرؤية اى فنان رؤية نقدية واضحة لابد لنا من معرفة موقفه من الوان الانتاج الفنى فى عصره .. والواقع ان معرفة هذا الموقف له اهميته فى اى دراسة حول المازنى ... فقد التقى هو وجيله بالحياة الفكرية العربية وهى خطابة وشعر ورسائل وفصول ، وتركوا الحياة الادبية وهى شعر وقصة ورواية ومسرح ...

والذى لاشك فيه انهم كانوا المعبريين هذه الالوان الادبية وتلك فقد اسهموا فى ازالة بعضها من الوجود وفى تثبيت بعضها فى وجدان الحياة الادبية وفى التمهيد لتوطيد اقدام البعض الجديد الوليد ...

ومن اقوى الفنون التى كانت فى عصر المازنى وابرزها واعلاها قدما – فن الخطابة ، ولا عجب فى هذا ، والعصر عصر الثورة المصرية الكبرى عام ١٩١٩ حيث مهدت ولعبت فيها وتابعتها خطب الخطباء وبلاغة من هزوا المنابر واثاروا عواطف الجماهير ... ولا عجب فى هذا ايضا والعصر عصر الاحزاب والبرلمانات ، حيث يقوم فن استهواء الجماهير بالدور الاول فى كسب المكانة للفرد او للحزب ، وحيث تلعب المهارة فى استخدام اللفظ والاستهواء به الدور الاكبر فى تثبيت مكانة صاحبها واعلاء شأنه .. وهذا الفن الذى كان سيد فنون القول فى صدر شباب المازنى وواحدا من الح الفنون واخطرها فى حياته قد ذوى الان وانتهى لانتهاء الحاجة اليه من ناحية ولهزيمته الكاملة فى دنيا



المازني

الفن القولى وبين اصـــحابه من ناحية اخرى ...

يقول المازنى فى فصل له بعنوان الخطابة والكتابة : لقد ســمعت فى حياتى خطباء كثيرين لا يزال بعضهم ينعم بالحيـــاة ويحنجرته ، ولكن اقواهم واعلاهم لسانا وابلغهم تأثيرا كان كالطبول التى قالت القردة عنها فيما روى ابن المقفع فى كليلة ودمنة، ولعل أفشل الاشياء اضخمها صوتا . كان يخيل الى اذ اســمعه يخطب الجماهير كان فىوجهه زوبعة ثائرة او بركـــانا فائرا .. ثم كنت اتلو خطبه فى المساء او الصباح فأعجب لتفاهتهـــا وفراغها وخلوها من كل روعة أو جمال وأكاد أقول انها غير ما سمعت أثناى منه ..

والمشكلة فى هذا الفن من فنون القول عند المازنى انه لا يحاول ان يكشف شيئا او يعبر عن خالجة او يثير حقيقة وانما هو فن خـــارجى يقوم على الاســـتهواء والخداع ويستخدم اللفظ والاشارة والخاطرة ليلوى عنق الجماهير ويحيلها اداة طيعة فى يد الخطيب يضع فى عقلها وقلبها ما يريد ، فهو لا يضرف شيئا ولا يقدم للانســـــان جديدا بل هو ينزل بكل معنى الكلمة الى المفهـــوم العام للجماهير ليخدعها ويضـــلها عما تجد الى ما يريد لها الخطيب ان تجد . يقول المازنى : ليس فى وسع الخطيب اذا شـــــاء ان يبلغ من السامعين ما يشـــتهى ان يجاوز الســـطوح او يهوى الى الاعماق ويطلب الاغوار . والا جاوز محيطهم وحلق فوقهم وغاب عن ناظرهم فلم يلحقوا به .. »

والمسألة عند المازنى هى مســـألة رسالة الفن القولى اهى الاستهواء والكذب والتأثير على المتلقى سواء كان فردا ام جمهـــورا ، ام هذا الانســـان الفرد الذى هو التحام مع الناس فى محاولة للكشف عن جديد فى خبايا هذا الانسان واعماقه .. والخطـــابة والفن القولى كله عند البلاغيين العرب القدماء وعند ادباء جيله أو معظمهم هى هذا الاستهواء والاملاء والقدرة على التأثير والابلاغ .. وهذا الموقف هو نقطة الفصل فى دور الادب العربى فى الحياة فى عصر النهضـــة فليس من المعقول أن تظل الحركة الادبية المرتبطة بالســـلطة تفرض وجودها وكيانها على رســـالة الفكر والفن . وليس معقولا بعد كل



المازني

هذه العصور التي مرت بها دنيا العرب فتخلفت وانهارت وركعت تحت اقدام المزيفين والمهاترين

واصحاب الاقلام المريضة ان يظل هذا هو مفهوم الادب ، وان تظل هذه هي رسالة الفن القولي ..

لقد استطاعت الحركة الادبية المرتبطة بالسلطة ان تفرض مفاهيم

خاطئة سادت منذ وقع الادب العربي تحت سطوتها وظلت تحكم بمقاييسها ومعاييرها حتى شوهت وجه حياتنا

الادبية واخفت الجواهر من تراثنا الفكرى والادبى وعادت صورة الادب العربى القديم مجموعة من الانعكاسات

الكاذبة التي لا تكشف عن جوهر الشعب العربى العظيم فما المدح وما الهجاء وما الرسائل ، وما النثر

بالصورة الحقيقية الصادقة فى تعبير الادب العربى عن نفسه ولعله من هنا كان انصراف طه حسين الى

دراسة بيئة المجان فى العصر العباسى لثراء العطاء الفنى الذى كانت تقدمه مستخفية حذرة فى مقابل

العطاء الرسمى الذى حفلت به كتب النقد الادبى واحكام اصحاب الحركة الادبية من النقاد اللغويين

والدارسين . ولعله ايضا كان من هنا التفات العقاد الى شخصية ابن الرومى والتفات المازنى الى بشار .

ومن هنا ايضا كان موقف المازنى

فى رفض الخطابة بكل مقاييسها البلاغية كفن قولى له احترامه فى

دنيا العصر وفى عالم جديد يريد ان يجعل الادب الفن المعبر عن الانسان

لا المقود الذى يقاد اليه الانسان من انفه ليقتنع ويؤمن بمسطحات فكرية ، وفقاعات من الدعاوى التى

لا تضيف له زادا ولا تقدم له جديدا ينير حياته او يكشف عنها .. ويقول المازنى : « تأمل ما تظنه اقوى خطبة

سمعتها وقل لى من اى شىء مبنية؟؟ اليس قوامها الالفاظ المبتذلة والعبارات المبتذلة وما الفت

الجماهير ان تسمع وتتأثر به وتنفعل له ؟؟ وهذه المبتذلات افعل بالباب الجماهير لانها لا تكلفهم مشقة

ولا تدعهم حيارى ولا تتركهم فاغرى افواههم كالبلهاء . ولا يحول دون وقوعها فى نفوسهم حائل من تعويص

او عمق او دقة او سمو خيال او لطف تصور .. ولانها تحرك المزاج العام وتشبه ولا تصدق .. »

انه نفس الموقف الذى يرفض الكذب الفنى ولا يطيقه وهو نفس الموقف الذى يكشف عن تمثل جديد لمهمة الادب ورسالته كان جديدا فى عصره كما هو جديد لا يزال فى

عصرنا .. فالادب تعبير لا القاء والادب كشف لا تعليم ، والادب معاناة لا حلى ورصف .. وما موقف

المازنى من هذا الفن القولى المعروف فى عصره اى الخطابة الا نفس الموقف المتكامل الذى يرسم شخصيته ويظهر ملامحها وتكاملها فى الكلمة كما فى الحياة وفى القلم

كما فى دنيا الناس .. ويقول المازنى فى صدق وفى شجاعة كان

عصره يحتــاج اليهما ليواجه هذا الفن الذى ساد وتربع على عرش دنيا القلم . الخطابة فن اجوف اذا اعتبرت القيمة الحقيقية للكــلام لا التأثير الذى تحدثه والواقع الذى يكون لها فمن حقها ان يكون الجزاء عليها التصفيق الوقتى وما اليه من اعراض زائلة » .

وكم حظى خطباء عصره وكتــاب عصره ممن استمنوا مداد القلم من وقع الكلمـات المجوفة واستهوتهم الخطــابة فكانت تبهم التى منها يخطون ، كم حظوا بالتصــايق والهتاف وصدارة الموائد والمجالس والمناصب .. وباء هو دون كل ذلك او فوقه بكلمة البناء الهادفة الواثقة التى تهمس بعد ان ينتهى ضجيج التصفيق وتدل بنبضــها الحى بعد زوال وقع الطبــل المدوى ... الاجوف ..

– ٢ –

سأل صــديق ثقيل المازنى فى مجلس عابر :« ما هو أحسن تعريف للكاتب ؟ » وقال المازنى ساخرا كاتما لا يود الاجابــة عن ذلك الثقيــل المتهافت .. « الكاتب يا سـيدى هو الذى لا يكون وحده حين يكون وحده .. » وصــدق المازنى حين اراد التظرف واصــاب كبد الحقيقة وهو يريد أن يســخر من صاحبه الثقيل .. فالكاتب الفنان لا يستطيع ان ينفصــل عن مهمته فى التعبير والابانة مهمــا حاول او مهما خيل اليه انه يستطيع ان يخلص نفســه من الرؤى والافكار والصور ما من شىء يمر به الا ويعلق فى نفسه منه الكثيــر . يــدور فى قلبــه ووجدانه وفكره جميعا يريد ان يخرج الى الناس وقد اكتسى من ذات نفس الكاتب وحبــات قلبه ثوبا جديدا ومعنى جديدا وتحول فى هذا المعمل الانسانى المعقد الكبير من واقع حدث الى فكرة وانطباع ووجدان . يقول المازنى فى كتــابه احاديث المازنى الذى نشر بعد وفاته : « تمنيت لو ان فى وسع الانسان ان يتناول راسه بكفيه وينزعه عن كتفيه ويرفع عنه غطاء العظــام وينظر ليعرف ماذا فيه .. » هذا التصور يجعل الكاتب عند المازنى انسانا معنيا بالبحث داخل نفســه ويجعل مهمة التعبير عنده هى لب الكتابة وجوهرها .. وليست المسألة هى مسالة تسـويد صفحات وملء مســاحات من اعمدة الصحف او ملازم الكتب .. وانما المسالة اعمق وادق .. واكثر مشقة وجهــدا هى هذا الغــوص ... المخلص وراء المعنى ووراء الفكرة .

وهى هذه المعــاناة الدائمة عند الكاتب الذى يجد فى نفســه دائما الاف الاسئلة التى تريد الاجابة والاف الصور التى تتزاحم لتخرج معبرة عن المجهــول فى ذاته ، تلك الذى يريد ان يكتشفه من خلال سن القلم المرتعش حينا بين اصابعه والمترس الوجل الخائف حينا اخر يعجز عن الابانة وينف دون محاولة الكشف



والافصاح فتكون محنة الكاتب وازمته الخانقة ..

ومن هنا كانت مهمة الكاتب فى تصور المازنى مختلفة تماما عن مهمته فى تصور الكثيرين من كتاب العصر الذى عاشه والعصر الذى تلاه .. ففى الوقت الذى تلمح فى فصول معاصريه العطاء من الخارج فى تلك الفصول المحددة الموضوع الواضحة الهدف التى تريد ان تتحدث حديث معلم الاخلاق عن ظاهرة مجتمعية بذاتها ، او تريد ان تتحدث حديث معلم الادب او الفلسفة او التاريخ . عن فصل او مرحلة من مراحل وفصول تاريخنا او تاريخ غيرنا تجد المازنى لا يستطيع الا أن يمزج كل شىء بنفسه وبما يجد فى هذه النفس فهو اما يقدم لنا هذه النفس خالصة واما ان يقدم لنا موضوعه الخارجى ممزوجا بتاملات هذه النفس واهتزازتها الوجدانية والفكرية .. وفى الحالين عناء . وعناؤه فى الحالة الاولى انه وهو يعبر عن نفسه مباشرة أن هذه الفصول كانت مذكورة فى دنياه وعالمه لم يستطع نقاد جيله ان يصنفوها فأهملوها ولم يستطع نقاد الجيل الذى تلاه ان يلتفتوا الى نحولها الكامل فى باب العمل القصصى لان التفاتهم كان منصرفا



لاصحاب القصص المدرسية اى التى تسير على النهج المدرسى الذى حدده لهم اصحاب الدراسة الادبية من لغات سبقت الى مناهج القصة فلم يدخلوها فى باب التراث القصصى المعاصر ولم يجدوا عندهم الشجاعة او الانصاف ليجعلوا من صاحبها احد رواد هذا الفن الوليد .. وعناؤه فى الحالة الثانية انه وهو يكتب فى موضوع خارجى ، عناؤه فى البحث والايضاح وتأنيه فى الحكم ثم محاولته الدائمة فى البحث داخل نفسه عما يساند حكمه ويؤيد رايه الموضوعى الذى خلص اليه بادوات المنطق والبحث العلمى ..

يقول المازنى فى قبض الريح فى وصف الكاتب : « عليه ان يتضح ما يريد ان يفضى الينا به ويطلعنا عليه والا كان لا شىء .. والوقت امامه فسيح ليلتمس المواد والعبارة عما يدور فى خاطره ويتمثل لخياله .. والقراء مستعدون ان ينتظروا ويصبروا حتى يهتدى الى ما يبغى ويوفق الى ما يشتهى ، وهو مطالب بان يؤدى ولا يعطل دينه للحقيقة والطبيعة » . واحساس المازنى الحاد بهذا الدين فى عنقه للطبيعة وللحقيقة هو جوهر موقفه ككاتب من رسالة قلمه والغاية من محاولته استخدام هذا القلم .. وهناك عبارة اوردها فى حديث اذاعى منشور له بعنوان اثر الراديو فى الموسيقى والتمثيل والادب تقول : « لا خوف على العموم من ان تسىء الاذاعة الى الادب وتضر به لان الاديب المخلص او الموهوب لا يستطيع أن يخون فنه



او يستخف به .. » ويقول فى فصل له بعنوان الادب والجمهور : « ان شرط الادب الاول هو الاخلاص وصدق السريرة . »

بهذه الرؤيا الواضحة فضل المازنى الكتابة على الخطابة رغم رواج الثانية فى عصره وانتشار صيت اصحابها .. وبهذه الرؤيا الواضحة حدد المازنى مهمة الاديب والفنان الذى يحترف الكتابة ويعانى منها ويصارع معها للابانة عن نفسه فى اخلاص وصدق . وهذه الصورة تغاير تماما كل ما جاءت به كتب البلاغة العربية من شروط الكتابة وواجباتها فبينما تتجه البلاغة العربية اتجاها واضحا الى التاثير على الناس وامتاعهم بمهارة الكاتب وقدرته على التحكم فى اللفظ والمعنى وما يتيحه له تمكنه من حسن الصياغة وجودة السبك وفصاحة الاسلوب .. الى اخر هذه العبارات التى هى صلب مباحث البلاغة العربية . تجد المازنى يفهم الكتابة من الداخل كعملية تعبير تتطلب الصدق والاخلاص كما تتطلب المعاناة والبحث .. وليس فى هذه الدعوى اى انصراف عن تهمة الجمال فى الاسلوب او ضرورة توخى رقة اللفظ وجرسه ورقعه انما هى دعوة الى البحث عن الجمال المتدفق من جوهر جميل . والى تلمس ما فى اللفظ الدال من جمال وفى جرسه الدال ايضا من الجمال ..

والمازنى صاحب رأى واضح فى هذا اذ يقول فى فصله ـ نظرة اولى ـ «ايما رجل زعم نفسه كاتبا اديبا وخلا كلامه من عناصر الجمال فقل له لست به » .. ويشرح المازنى معنى هذه الكلمة القاطع فيقول : « ولا يفهم أحد من كلامنا اننا نقصد الى التكلف واثقال الكلام بالحلى والزينة فما يخطر لنا شىء من ذلك وانما نعنى ان الادب فن . وانه لا بد فى كل فن من الاحسان والتجويد . ولكل امرىء طريقة هو مؤثرها او موفق اليها لابراز المعنى فى احسن معرض وليست المزية فى الانق والتحبير فان للجمال العاطل ايضا موقعا حسنا وروعة ونضرة بل المزية فى ابراز المعانى فى احسن حلاها كيفما كانت . ولقد احتار الناس فى اسلوب المازنى فقوم قالوا هو يقصد الى غريب اللفظ قصدا .. فما تكاد تسير معه فى عبارته السلسة حتى يصدمك بلفظ لم تتعود عليه اذناك ولم يقترب وقعه من نفسك من قبل .. ومن قائل هو يقصد الى العامية قصدا وكلاهما هو يعنى بتوخى البحث عن اللفظ العامى القريب من

المازنى

اصوله الفصيحة ليقدمك لفظا عاميا فصيحا فى آن واحد .. وادعى اخرون انه كان يحاول المزج بين العامية والفصحى فى مزاوجة تخدم اللغة وتثرى اللغتين معا بتقديم اصلحهما واوثقهما والصقهما على الحياة .

والحقيقة فى هذا كله ان اسلوب المازنى جزء من نفسه ومن حياته ومن مكوناته كلها فالمازنى يتدفق حينا حتى لا تحسب له تحبيرا او عودة الى ما كتب او محاولة الى اصلاح ما فسد اثناء هذا الاندفاع وهو طورا بالغ الاناة وكأنما يركب الالفاظ تركيبا ويرتبها ترتيبا بجزء وقعها على الاذن . ويستهويه جرسها لا يديرها فى فمه قبل ان يصلها بعضها الى جوار البعض . وهو فى هذا لا يفرق بين اللفظة العربية الغريبة اذا ما جرت ببساله وبين اختها العامية ذات الاصل العربى اذا ما عنت له وماله هو وللناس يجهدون انفسهم بحثا عن اللفظ وهو الذى يرى ان اللفظ وسيلة لا غاية وان استعمال هذا اللفظ فى الترجمة عن شىء صادق صحيح ينفى تهمته ويجعله مؤديا للغاية .

اما موسيقاه فهى تنبع من داخله هو .. داخل المازنى حين اختاره أو حين ورد المعنى اليه وقد اكتسى اللفظ بعينه وفرض نفسه ولفظه عليه .. والمازنى مزيج من ثقافة عربية خالصة وحياة وسط زمر الناس وابسطهم واكثرهم شعبية ومن هذا المزيج خرج اسلوب المازنى . بل منه خرج المازنى كاتبا فى الحياة والناس واصحاب البصر بأمر الكتابة واهميتها للحياة والناس

— ٢ —

تصور المازنى للكتابة يقوم على انها فن لا صناعة .. واذا جاز لغيره ممن سبقوه ان يتحدثوا عن صناعة الكتابة فهو يفتتح مع جيله صفحة الحديث عن فن الكتابة ولم يتحدث كثير من ابناء جيله عن المعاناة فى هذا الفن قدر ما تحدثوا عما يجب وما لا يجب ليكون العمل المكتوب فنا .. ولكن المازنى يتحدث كثيرا عن لحظة المعاناة وعن مراحل المعاناة المتعددة .. يقول فى فصل له بعنوان متاعب الطريق خصصه كله للوقوف عند وصف معاناة الخلق الفنى : « الاديب اشبه بالعاشق » يعرض له الخاطر فيستهويه ويسحره ولا يجرى فى باله فى اول الامر شىء من المصاعب والعوائق ولا يتمثل له سوى فكرته التى اكتظت بها شعاب نفسه ولا ينظر الا الى الغاية دون الذاهب . ويشيع فى كيانه الاحساس بالاثر الذى يحدثه ، فاذا ما امتلأ حماسا وركبه الحب للخاطرة التى استهوته فمضى مع وهمه يتخيل تقبل الناس لها واحتفالهم بها وترحيبهم الزائد بها .. فيدرك ان عليه ان ينتقى ويختار وان يحرص فى الاداء ولا

يعجل وان يعيد النظرمرة ومرة فى كل ما كتب وان يصبر على العناء والتنفيس ..

وحركة الاسلوب عند المازنى تتساق مع حركة الشعور ومع الحركة الداخلية معا ، والكلمة ثم القلم والخاطر يجر الخاطر .. ويشرح المازنى ذلك قائلا : « وفى اثناء

ذلك كم خالجة عزيزة يضطر ان ينزل عنها ويدعها مدفونة فى طيات نفسه لعجزه عن العبارة عنها

وتصويرها وابرازها فى الثوب الذى ينسجم عليها ويجلوها للقارىء كما هى فى ذهنه او لان كلمة واحدة

.. واحدة لا اكثر ، تنقصها لتستوفى حقها من التعبير الذى يكفل لها الوضوح والحياد .. ويروح

المازنى يعالج هذه القضية الفريدة المتشابكة مصورا ما عاناه الاديب ويعانيه فى بذل الجهد والتغلب على الصعاب ومقاومة احساس اليأس

والفشل وهو فى اثناء ذلك كله يقرأ ما حول موضوعه ويجمع له المادة من مظانها فى مثابرة تضيق لها

النفس وصبر لا تحتمله روح متوثبة تجد وتعانى مما تجد وتريد ان تقفز الى التعبير عما تجد قفزا ،

ويصرخ المازنى فى الم من طالت معاناته واكربه طول الصبر واخذت بخناقة وعورة الطريق :

« وما كل امرىء يدخل فىمقدوره ان يحتمل هذا الضنى كله » ، فالمسألة ليست مسألة الرغبة والارادة وحدها ولكنها ايضا مسألة اكتمال الادوات ونضج التجربة

وصحة العزيمة وما كل من تمنى ان يكتب قد كتب ولا كل من بدأ طريق

الكتابة الوعر قد استمر فيه ولا كل من حمل القلم كان يعرف معنى مثل

هذا الذى يصف المازنى من تجربة تدور بين الكاتب ونفسه ، ولا رقيب عليه الا حسه الصادق ورغبته

الاكيدة ، فى ان يكون كل ما يقدمه الى الناس كشفا يضيف وزادا ينفع وضوءا ينير ويهدى ..

ويقول المازنى فى رأى له عن الفن والادب : « الادب الهام وفن ولكل فن ادواته والاته ولابد فيه من

الاحسان والتجويد اى من الصبر وصحة النظر وسلامة الذوق وصدق السريرة وحسن الاستعداد .. هكذا استطاع ان يرد على ادعاءات

الرومانسيين وما اكثرهم فى عصره، ومن ان الفن شىء كالوحى يرزق به بعض الناس دون بعض وهو بعد هذا لا يحتاج الى استلهام هذا الوحى حتى يحضره وابلا من فيض هذا الادب او الفن الذى يدعيه وكذلك استطاع ان يرد على مرتزقة

العلم الذين يرصفون الكلام رصفا ويتشدقون به حتى ليقف فى حلوقهم وحلوق من يحاولون قراءة ما يكتبون من هذر يغطيه ضجيج وطنين لاطحن وراءه ولا فيه ..

وكما انتشر الحالمون الهائمون فى عصره ، انتشر اصحاب الصناعة والتزويق حتى طغوا على مستهل

جيله وكادوا يطفئون اكثر من مصباح اضاء وسط عتمة عقلهم وكان المازنى والرواد من جيل المازنى بدعة بينهم ينبغى ان يحاربوا!

بسلاح الجهل والادعاء والغرور الكاذب الذى يساندهم فيه رأى عام لم يمرن بعد على الحس والتذوق

المليمين .. ويقول عنهم المازنى · « يكون المرء صانعا لا اكثر اذا رزق الفن وحرم الالهام .. صانعا كهذه الالات التى تدور بلا روح وتخرج الوانا وضروبا من الصور تعجب بصقلها ودقتها واحكام صنعتها ولا تحس ان يد انسان حى او قلبه وراءها .. »

ولعل هذا المقياس هو نفس المقياس الذى حكم به على صديقه ورفيق طريقه الشاعر عبد الرحمن شكرى بانه صنم فيقول المازنى فى الجزء الاول من الديوان : « شكرى صنم ولا كالاصنام القت به يد القدر العابثة فى ركن خرب على ساحل اليم » والسؤال لماذا اطلق المازنى هذه الصفة الساخرة المرة على صديق عمره عبد الرحمن شكرى ؟؟ يقول المازنى : « على قدر ابتعاد الكتابة عن مجال التفكير البارد ودخولها من ميدان الذهن المشبوب والعواطف الذكية تكون الحاجة الى ضرورة فن الاسلوب · ولعل هذا اكبر الاسباب التى افضت الى خمول شكرى وفشله فى كل ما عالجه من فنون الادب لانه اسلوب له اذ كان يقلد كل شاعر ويقتاس بكل كتاب وينسج على كل سؤال وحسب المرء ان يجيل نظره فى كلامه ليدرك ذلك ان كان على شىء من الاطلاع ، فان لم يكن فهو لا يعييه ان يرى انه يستعمل اللغة جزافا، ويكيل (توافق



وتباديل) كما يقول الرياضيون من الكلام غير واضحة ولا مؤدية معنى بعينه ويسطر على الطرس اصداء متقطعة لاصوات مألوفة لا رموزا منتقاه لتمثيل المعنى واحضاره · »

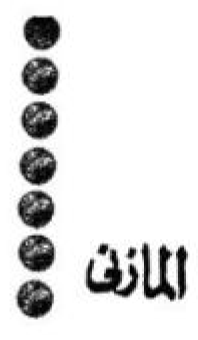
والعجيب فى المازنى انه على صدق حسه ووعيه بواجب الكاتب وتعريفه بدوره كان يدرك ايضا مدى الالتزام الذى يجب أن يرتبط به كل من أمسك قلما او واجه تجربة فكل الذى ذكرناه وذكره هو لا يعنى عنده ولا عندنا ان المسألة الهام وصنعة او استعداد ومران وحسب وانما المسألة اكبر من هذا واعمق ولسنا نقصد هنا الى ضرورة المعاناة والاحساس بالصدق فى التجربة والصدق فى التعبير وانما نقصد الى شىء هام وجوهرى وضع المازنى يده عليه قبل ان يصبح قضية يشغل أناس منا أنفسهم بها بعد أن وضع هو القلم واستراح · يقول المازنى عن فن من فنون القول وهو الشعر فى مقدمة الجزء الثانى من ديوانه: « فلا جرم كان الشاعر احسن الناس واعمقهم حكمة واصحهم ادراكا لخلال الخير وخصال الفضل · فقول الفضيلة والخير ولا نخشى ان يهز القراء رءوسهم انكارا فان الشعر اساسه صحة الادراك الاخلاقى والادبى ولست بواجد شعرا الا وفى مطاويه ادراك اخلاقى وادبى صحيح · وعلى قدر نصيب الشاعر من صحة هذا الادراك الادبى تكون قيمة شعره .. »

وهذا هو الالتزام كما يفهمه المازنى وكما يصر على وجوده وستدرك تماما انه لا يقصد بالادراك الاخلاقى والادبى مفهوم الاخلاق

الديني او المجتمعي بقدر ما سنذكره انه يعني مفهوم الالتزام الحياتي والخلقي الانساني ، فالمسألة عنده مسألة مبادىء تعمق في الكاتب وتترجم عنها اعماله ككل متكامل والموقف الخلقي هنا هو موقف مبدأ لا موقف عظة او حكمة او استهواء لعواطف الناس بادعاء بطولات زائفة وسنذكر هذا حين نقرأ له في قبض الريح قوله اثناء المناقشة الحادة بينه وبين الدكتور طه حسين حول شعراء العصر العباسي قوله : « ان ابا نواس اصح مبادىء واتقى ضميرا من البحتري على كثرة ما تقرؤه للاول مما يروع ويخجل ، وكذلك امرؤ القيس افطن الى معاني الفضيلة واعظم رجولة من ابي تمام وابن المعتز ، ولم يكن الاعشى على حبه الخمر واستهتاره بها وتخلعه فيها بالرجل الفاقد الفضيلة » ..

هنا يتضح معنى الالتزام عند المازني وهو التزام الفنان الكامل الصادق الذي لا يستعمل فنه ستارا يخفي وراءه صنما خلقيا . ولا يستجدي من وراء صرخات الفضيلة في فنه ان ينسى الناس تسيبه وسقوطه في دنيا المبادىء الكاملة .. الفن عند المازني اذن يرتبط قبل كل شيء ومع كل شيء بالتزام الفنان الكامل امام نفسه وامام فنه ودون هذا الالتزام لا يتحقق لعمل الكاتب شيء من الاصالة المرجوة او الصدق المطلوب ..

وقد كان التزام المازني وصدقه هو الذي منعه من الهروب من مواجهة الواقع الذي يعشيه كاملا وهو الذي دفعه الى التصدي له بالسخرية مرة وبالرثاء مرات ، بالتعرية الكاملة الرقيقة دائما . هرب غيره من ابناء جيله ورفاق معركته واصحاب نفس رسالته الى ابتداع اخيلة لا ظل لها من حقيقة في دنيانا وغلفوها بطنين من الالفاظ والمداورات الكلامية التي لا طائل لها وغيره هرب الى التاريخ يختبىء وراء قصص الاسلام وصدر الاسلام وابطال الاسلام لينسى ولا يعيش في واقع مريض يريد ان ينتفض وان يتحرر من اسار رهيبة وعبودية قاسية وغيره وغيرهم استرخص الجلوس على مقاهي باريس وفي اعماق حانات لندن لينقل صورا تطرب وتعجب ولا تمس واقعنا ولا تلمس حقيقة .. هو وحده وضع يده في النار فاحترقت اصابعه .. وبعد موته بست سنوات وقف عالم الرياضيات الاستاذ عبد العظيم انيس يدلي بدلوه في حياة ادبنا المعاصر فيقول عن المازني في تسرع غريب : « ومما لا ريب فيه ان المازني نسيج فريد بين الكتاب المصريين المشهورين ، لان معظم الاخرين كطه حسين او الحكيم ، قد تطور ادبهم مع الزمن وتميزوا في مراحل زمنية مختلفة بمميزات متباينة غير متصلة فلا يسهل ان نفهم ادبهم الا في ضوء فهم متطور لمراحل حياتهم . اما المازني فقد كان مخلصا طول حياته لفلسفة واحدة يتكامل فيها كل انتاجه الادبي من شعر ومقالة وقصة ، هذه الفلسفة هي الهرب من الحياة ونحن نستطيع ان نلقي الكثير من الضوء على هذا الكلام بامثلة مختلفة من شعر المازني ونثره ولكني لا اعرف مثلا اوضح ولا



المازنى

اسطع من قصته المشهورة ابراهيم الكاتب ... »

والاستاذ انيس فى هذا الموقف يقف موقفا يشبه الموقف الذى قفجيه المازنى ورفضه من الدكتور طه حسين فى حكمه على العصر العباسى وشعرائه ببعض انتاج العصر وبعض شعر الشعراء ولسنا ملزمين بالرد على هذا الحديث الذى قذف به الاستاذ انيس الذى ظهر ليلقى احكامه على ابناء العصر ثم اختفى وطلق الادب والنقد وكان الادب والنقد تسلية يمكن ان تزجى بعض الوقت وليست وجودا كاملا ومعاناة دائمة لا تفنى ولست اتجنى على الاستاذ انيس بل التجنى هو واقرأ قوله عن المازنى ينهى به عجالته السريعة المليئة بالاحكام المتسرعة المغرية ... « لم يمنع موقف الهرب من الحياة كاتبا كالمازنى من ان يكون فى يوم من الايام رئيسا لتحرير جريدتى الاتحاد والسياسة وهما من الصحف التى كانت فى الماضى الغابر لسان حال الملكية المصرية والاقطاعية المصرية .. » ثم يعقب احل الله السلام فى قلبه بقوله : « وهو درس .. لكثير من المثقفين المصريين ـ لو يعلمون عظيم .. » عزاء المازنى ان هذا كلام اغفله من يشتغلون بالادب ويكرسون له حياتهم . « عزاء له ان الاستاذ انيس واحد من دنيا اخرى غير دنيا الادب . وانه ترك هذه الدنيا الى دنيا السياسة او الرياضة او اى شيء وان كلمات المازنى نفسه ما زالت فى هذا الجيل هى كلمات الادب وان كتابته فى جريدة هى لسان حال الملكية وغيرها لا تخرجه من دنيا الادب والفن ، ولا تدخله فى دنيا الخيانة والغدر ، وانما تضعه فى اطاره ، واحدا من جيل عانى كل الام عصره ولم يهرب منها ، وانما واجهها بكل الصدق والصراحة والسخرية ، وعبر عنها فكان تعبيره سهما فى قلب الرجعية الفكرية والسياسية والدينية والادبية ادى الى كل تغيير اتى بعده ـ عزاؤه انه يبقى فى دنيا الادب وان ناقده خرج منها بارادته ودون ان يرغمه احد على تركها .. انما هو صاحب احكام مؤقتة وعفوية ماعاشت الا لحظات ثم ماتت . ثم تعيش بعدها كلمات المازنى رغم انه غادرنا وغادر الدنيا .. ولكنه درس لو تعلمون عظيم . درس تملية الكلمة الصادقة ، ويحكيه جهد حياة مات فى سبيل صدق الكلمة الفنية الحقيقية ولم ترهبها سياط الارهاب الفكرى ايا كان نوعه ولونه واسبابه، فعاشت فى رغم موت صاحبها ، وماتت غيرها رغم بقاء اصحابها على وجه الدنيا .. بعده بكثير .

فليس فى الادب حياة للاجساد انها الحياة للكلمة الشريفة الحرة ، ابدا لن تزيفها الشعارات وابدا لن تميتها الاحكام العابرة .



هدية العدد

صورة

الإمام محمد عبده

● ولد لأب فلاح في قرية « محلة نصر » بمركز « شبراخيت » محافظة البحيرة في سنة ١٨٤٩ م

● بدأ تعليمه الازهرى بطنطا سنة ١٨٦٤ م ، ولم يستكمل دراسته الا لثلاث سنوات ثم انتقل الى الجامع الازهر .

● كان لقاؤه بالفيلسوف الثائر جمال الدين الافغاني سنة ١٨٧١ م نقطة تحول في حياته الفكرية والعلمية . فمنذ ذلك التاريخ وكان لايزال طالبا بالازهر، صار الرجل الثاني في حزب جمال الدين الافغاني .

● اخذ ينقل الى طلبة الازهر تعاليم الافغاني وظهرت كتاباته في الصحف المصرية منذ سنة ١٨٧٦ م

● تخرج في الازهر سنة ١٨٧٧ م واشتغل بتدريس المنطق والفلسفة الاسلامية بالجامع الازهر ، ثم عين سنة ١٨٧٨ مدرسا للتاريخ بمدرسة دار العلوم .

● لما قامت الثورة العرابية ودخل الانجليز مصر كان الشيخ محمد عبده في جملة الذين قبض عليهم وحوكموا ، فحكم عليه بالنفى لانه افتى بعزل الخديو توفيق .

● رحل الى سوريا فرحب به السوريون واعجبوا بعلمه وفضله واغتنموا فرصة وجوده بينهم فعهدوا اليه بالتدريس في بعض مدارسهم وقضى بسوريا ست سنوات .

● رحل بعد ذلك الى باريس والتقى باستاذه جمال الدين الافغاني وانشأ جريدة العروة الوثقى وكان الشيخ محمد عبده يحررها فكانت لها رنة وصدى رائع في العالم الاسلامي .

● بعد عودته الى مصر تزعم الاتجاه الاصلاحي في الحركة الوطنية مؤملا ان يكون فئة من المثقفين المستنيرين تكون بمثابة الحزب الذى يتسلم ادارة البلاد من سلطات الاحتلال .

● شارك في تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية سنة ١٨٩٢ م ورأسها سنة ١٩٠٠م وفي نفس العام اسس جمعية احياء الكتب العربية لتحقيق نشر آثار التراث العربي الاسلامي .

● يعد من أهم مفكرى العصر الحديث ، تكونت من حول آثاره الفكرية ومواقفه العملية مدرسة فكرية أثرت ولازالت تؤثر حتى الآن في مصر والعالم العربي والاسلامي

● كان أول صوت ارتفع في مصر الحديثة يدعو الى نشر العدالة الاجتماعية بين الطبقات ونشر الثقافة بين الفقراء ، وكان يرى أن التربية هي السبيل القويم للاصلاح السياسي وأن لا بد من تطهير المناصب الحكومية من ضعاف النفوس ومحترفى السياسة لكي يقدر للامة أن تنهض نهضة حقيقية شاملة .

● قام بعدة رحلات الى المشرق العربي والسودان واوربا ، وأرسل العديد من كبار مفكرى العالم في عصره وتبادل واياهم الرأى في مستقبل الشرق وحياة شعوبه .

● عاش حياة خصبة حافلة صنعها بقلبه وعقله ويده وكانت اعماله وفيرة متنوعة ، وظل مجاهدا ومناضلا من أجل دينه ووطنه الى ان لقى ربه في الحادى عشر من يوليو عام ١٩٠٥ .



وقفة أمام صقلية

«.. وكانت صقلية معقلاً من معاقل المسلمين والعرب..»
«التاريخ»

«صقلية» انداحتْ لمرآكِ أضلعي
وجفّت على أعماقِها فيكِ أدمعي

وعادتْ بيَ الذكرى، حشوداً تمردتْ
على الصمت، تخطو بي إلى كلّ موضعِ

هنا ألفُ تذكارٍ، هنا ألفُ قصةٍ
هنا همسة التاريخ في سمعِ من يعي

هنا يا جدار البحر، يا حضنه الذي
تطاول، والدنيا بمرأى ومَسمعِ

توالتْ من الصحراء يوماً شبولها
فما البحر في تياره المتدفع

ودوت هنا «الله أكبر» فانثنتْ
جيوش، وولت كالقطيع المفزّعِ

واحتنت حصونٌ شامخات بروجهـا
لديها ، وأهوَت مَوقعـا بعد موقـع
هنا ائتلقتْ يوما حضـارة أمــةٍ
تحنُّ إليها الشمس فى كـل مطـلع
أضـاءتْ بصحراء الحجــازِ وأقبلتْ
على هَدى ذياك النـداء المُـوقّع
فألقتْ بأوهامِ القرون ، وأطلعـتْ
سَنَى العِلْم من إيمانِهـا المترفّـع
وأعلتْ بناء الحق والعـدل بعدما
لوى الجهلُ أعصابَ الزمانِ المـروّع
***
قفوا أسـفا ، والذكريات تهـدنى
وأينَ الذى أبكى ، فيبـكى أسى مَعى ؟
« صقلية » انهارت صروح ، وأقفـرت
دروبٌ ، وأرفى مصـرع بعـد مَصرع
وداستْ حمَى الشرق الخطوب،فهل ترى
سيقوى عليهـا بعـد طول التصـدع ؟
فهل تدركين الآن ما بى ؟ وهـل درت
صخورك ، كمْ كانت مشــارا لأدمعى ؟
على أننى ألهمت تغنى رشـادها
وعـدتْ بقلب مسـتطار التطلـع
أرى لمحـاتِ الفجر فى غَيْهَب الدجى
وقد تظفـر الآمال بَعْدَ التمنـع

الجديد في المكتبة الغربية

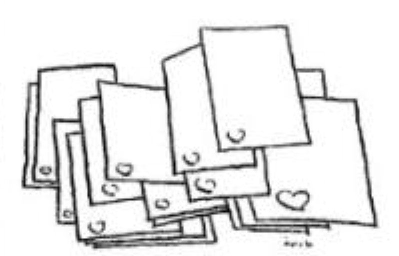


الكتاب : بلادى والعالم
المؤلف : اندرية زخاروف

منذ نفى الكاتب السوفيتي الثائر الكسندر سولزنشتين، أصبح أندريه زخاروف ، ابو القنبلة الهيدروجينية السوفيتية ، وعالم الطبيعة الحاصل على جائزة نوبل ـ الثائر الاول فى بلاده ... وثورته انسانية فى صميمها ، وآراؤه مطبوعة بالمثالية ، والتسامح الذى يصل الى مرتبة السذاجة احيانا ، ولكن من الواضح أن متاعب عالم الطبيعة السوفيتي فى بلاده ، قد انعكست على آرائه عنها ، لذلك فهو لايبتلع الشيوعية بسهولة ، ومن ثم فهو يصدر هذا الكتاب ، ليحذر العالم الغربى من غول الشيوعية الرهيب ، ولكنه فى غمرة حماسه ضد الشيوعية يجانب الحق والانصاف حين يصف بلاده بأنها « خضم من التعاسة والمتاعب والعداوات والقسوة والتاعب وعدم المبالاة » ... ودون ما خبرة بمستوى المعيشة خارج بلاده ، يسوق مقارنات استقى معلوماته عن الغرب فيها من اناس مشكوك فى دوافعهم وآرائهم .

ويبدو أن ثورة زخاروف أبعدته عن الواقعية ، بحيث أصبح يرى أن الغرب جنة وارفة الظلال لا تعرف الالم ، فهو يرفع العالم الغربى ، الذى يكون فى نواح كثيرة تناقضات من عالمنا ، والذى هو فى أعماقه انسانى متفاهم ، الى السماء ولاشك أن زخاروف ، الذى لم يعش ابدا فى الغرب ، لا يعلم الا اقل القليل عن الامه ، التى ليس اقلها المنافسة الرهيبة ، وعدم تكافؤ الفرص ، والفاقة والبطالة والحرمان الذى لا يعرفه الا من عاناه ، لامن سمع عنه مجرد سماع .

ومن الواضح أن زخاروف يشوه صورة بلاده ، فى سبيل الاقناع بوجهة نظره ، او انه لا يعرف عن بلاده ، الا اقل القليل ، حتى لقد انتقده الكتاب السوفيت الثائرون الذين يعيشون اليوم فى نيويورك فى رسالة مفتوحة اليه ، اتهموه



باتخاذ وجهة نظر مثالية جدا تجاه الغرب ، وان الليبرالية والديمقراطية لن تأتي لبلاده من الخارج كما يرجو هو ، بل من الداخل !

وقد لا يبدو مقبولا هذا النقد المر من رجل سوفييتي لبلاده ، ولكن الواقع ان زخاروف اصلاحي محتسل طيب القلب ، وانما ضيقه بما يحدث في بلاده هو الذي يجعل لافكاره هذه الحدة والقسوة . وفي مقابل دعوة الكاتب السوفييتي الثائر الكسندر سولزنشتين الى الندم والتوبة الوطنية ــ ولو انه احيانا ما يستعدى الغرب على بلاده ــ يدعو زخاروف الى الحرص على سلامة ومستقبل الانسانية ، ومن ثم فهو يطالب بحرية التنقل والهجرة ، ويرى أن اتفاق العالم على نزع السلاح لا يكفي ، الا اذا حرمت بلاده من تسديد الضربة الاولى ... ثم ينحاز الى الغرب تماما ، فيرى انه كان من الخطأ أن تنسحب الولايات المتحدة من الهند الصينية ، ويلوم اوروبا على تخليها عن الولايات المتحدة في هذا السبيل ناسيا حق الشعوب في تقرير مصيرها دون ضغط من دولة كبرى..

كذلك فان معلومات زخاروف عن الشرق الاوسط ينقصها المثل والفهم لطبيعة المشكلة ، ومن ثم فهو ينسى الجانب الانساني لشعب عربي طرد من ارضه ليحتلها شذاذ الآفاق من اليهود ، ويطالب بلاده بالتخلي عن العرب ، وتركهم لليهود المعززين بسلاح الولايات المتحدة ... وعموما فهو يدعو الغرب الى بذل ضغط اكبر على بلاده لما يسميه صالح الانسانية، وكلما زاد الضغط ، كلما اصبح الاتحاد السوفييتي ينعم بحرية اكثر!

وفي هذا السبيل يورد زخاروف سبعة اقتراحات للغرب عن التكتيك والاستراتيجية اللازمين لمواجهة بلاده ، فيرى مثلا ان مشاكل الغرب لا تحل الا بتعبئة الموارد وشد الاحزمة على البطون ، لا باضعاف موقفها من التهديد الشيوعي ، فنزع السلاح « المتوازن » مهم جدا، ولكنه لا يأتي من موقف ضعف ، ومن ثم فان الوحدة الاقتصادية والسياسية مهمة جدا للغرب ، بالتعاون مع الولايات المتحدة ، لمواجهة توسع الدول الشيوعية .

ويركز زخاروف في رسالته على اليسار الغربي ، وهو يرى انه « تقليعة » ترتدى ثياب التقدمية ، وهي لا تعرف عن التقدمية شيئا . ويأخذ على اليسار الغربي ، استعداده لتأييد التطرف الارهابي في بلاده وفي العالم ، والدفاع عنه، خوفا من تنديد المتطرفين واتهامهم لمن لا يناصرونهم بالرجعية . وهو كذلك يأخذ عليهم قبولهم محنة الشيوعية، على انها قضية مسلم بها لا تقبل

الجدل والنقاش ... وفي هذا السبيل ينصحهم بقراءة تحذيرات اناس مثل روبرت كونكريستا في كتابه « الارهاب العظيم » والكسندر سولزنتشستين في كتابه « ارخبيل جولاج » ، وروى ميد فيديث في كتابه « دع التاريخ يحكم » ... وينصحهم كذلك الا يأخذوا هذه الكتابات على انها مبالغات .

وواضح ان زخاروف منحاز للمثقفين الغربيين ، انه يقول : « ان اتجاهي بالنسبة اليهم هو مزيج من الحب العميق ، والامل ، والاحترام الذي يكاد يصل الى مرتبة الحسد ... بسبب الحرية والاستعداد للمناقشة التي تحترم وجهة النظر الاخرى » ... ولكنه ينعى على اليسار الغربي المثقف انزلاقه الى تقديس الشيوعيه ، مع ما تنطوي عليه من ديكتاتورية الطبقة العاملة مع ان « اعمال العنف والقسوة والتفرقة الاجتماعية والعنصرية والمجاعات وحتى الحرب التي تقتلهم في بلادهم ، اشياء لا قيمة لها اذا قورنت بالواقع الشيوعي الذي تغطيه الدعايات المضللة الحافلة بالاكاذيب .

زخاروف اذن يرى ان اليسار الغربي مخدوع في نظام يعتمد على اخضاع الفرد للدولة ، والفاشية والديماجوجية ، وهي اشياء ضد الليبرالية بلا شك ، ولا شك في ان الليبراليين لن يحبوها ... « الليبرالي الغربي يؤيد الحريات المدنية ، والاصلاح الاقتصادى والاجتماعى ذا الطابع الاشتراكي ، فهذه هي آمال العصر ، ولكن هذه ان تحققت بحذر ، فانها ستؤدى الى العدل والسعادة والمجتمع المزدهر ... وانا لا انادي بالحذر اعتباطا ، فانا على يقين من ان عدم التبصر والطيش التي تنادي بها طليعة الليبرالية اليسارية تقود الى المخاطر : فهي على المستوى الدولي تقود الى فقدان الوحدة ، وخطر الانزلاق الى ديكتاتورية الطبقة العاملة ، وهي على المستوى المحلي تؤدى الى رأسمالية الدولة واستبداد الطبقة العاملة .. وتذكروا ما قاله اركادى بلينكوف (وهو ثائر سوفييتي فر الى الولايات المتحدة حيث قوبل ببرود وعدم ثقة من الغرب) « الاشتراكية نوع من الاشياء التي يسهل تذوقها ويصعب بصقها » !

ان زخاروف من انصار الاشتراكيه الانسانية ، التي يسميها اعلى المراحل وارقى المجتمعات لذلك فهو يكره ديكتاتورية الطبقة العاملة ، ويسميها « الاشتراكية المزيفة » ، الاشتراكية لا تمنع حرية الراى ، ولا تؤمم الممتلكات ، او تكبت المعتقدات الشريفة ...

وفي الختام يورد زخاروف قائمة بالاصلاحات التي يرى انها تؤدي الى الاشتراكية الانسانية في بلاده على ان يتم ادخالها بالتطور التدريجي لا بالعنف ... وتنحصر الاصلاحات في اصلاح اقتصادى واسع النطاق يسمح باستقلال الوحدات الاقتصادية على ان يقتصر التأميم على وحدات الانتاج الثقيل والنقل والمواصلات . هذا فضلا عن العفو الشامل عن المسجونين السياسيين ، وحرية الاضراب مع باقي الحريات الاخرى ، وبضمانات

قوية ، والغاء امتيازات الحزب والبيروقراطية ، واعطاء الجمهوريات السوفييتية حق الاستقلال ، مع ديموقراطية جماعية واصلاح النظام النقدى !

لقد اعطى زخاروف العالم صورة مظلمة عن بلاده ، لاشك ان المعاملة السيئة التى لقيها منها هى المسئولة عنها ، ولكن العزاء ان الرجل انسان الى اقصى حدود الانسانية ، عزاؤنا انه طلب ان يكون وطنه حقيقة جنة للانسان ... ونحيى شجاعته !

خالف تعرف !

الكتاب : ايرلنديون غريبو الاطوار

المؤلف : بيتر سمر فيل لارج

فى التاريخ الانسانى لمحات رائعة، ومواقف وشخصيات تعيى اعظم مؤلفى الكوميديا ، بغير ابتذال او افتعال . وهذا كتاب علمى ، وان عنى بالجانب الخفيف من حياة شعب مكافح بطل هو الشعب الايرلندى .. وهو ليس تشنيعا ، بل هو سرد لاحداث التاريخ ..

قديما قالوا : هناك خيط رفيع بين العبقرية والجنون ، وكثيرا ما اعتبرت العبقرية نوعا من غرابة الاطوار ، خاصة فى ايرلندا ، كما يزعم المؤلف ، ومن ثم فان غريبى الاطوار الذين يورد المؤلف ذكرهم ، والذين كانوا طلقاء فى ايرلندا القرنين الثامن والتاسع عشر، قد تراهم نزلاء مستشفى المجانيب اليوم ، ولكن منذ قرنين لم يكن المجتمع الايرلندى يحتملهم فحسب، بل ويبحث عنهم ويخلقهم خلقا .. وهم غالبا من الفئة الثرية النبيلة المنعزلة ذات الامتيازات ، وكانوا موضع رعاية وحماية كنوع ايرلندى نادر ، وهم بدورهم يرعون ذويهم رغم نوادرهم الغريبة العجيبة .

كان اهم بند فى وصية جوناثان سويفت ، الكاتب الايرلندى الساخر ، صاحب الروائع مثل « معركة الكتب» و « سلوك الخلفاء » و « رحلات جاليفر » ، والذى اصيب بالجنون فى اواخر ايامه ، انشاء مستشفى للمجانيب فى ايرلندا ، لانه ليس هناك شعب فى اشد الحاجة اليه منه » . !

والواقع ان الشخصيات البارزة فى ذلك الوقت كانت تسير على طريقة « خالف تعرف » ! كانت ترى البروز فى الامور غير العادية والاطوار الغريبة ، الامر الذى جعل المؤلف يرى ان الجزيرة الايرلندية كلها فى ذلك الوقت تشبه « مرستانا » كبيرا !

ولم ينفرد سويفت بغرابة الاطوار، كان له « زملاء » كثيرون مثل « الامير هاكيول » ، « والغراب المخبول » ، و « زيمبو عديم الاطراف » ، « وكومة الخرق » ، « وبيلى اليدين » و « زوزيماس » .. فضلا عن سيدة ظلت طوال



الجديد في المكتبة الغربية

حيواناتها تعيش على « رجيم » من « لحوم الضفادع والجوذان المفرومة المحمرة » ، و « ستوني بوكيتس » ذي الجيوب الصخرية ، الذي كان يحمل الصخور في أحد جيوبه « ليوازن » اعوجاج رقبته اثناء السير أو كما كان هو يقول : « حتى لا تنثني رقبتي للناحية المضادة أو تطير عن جسدي ·· واندميون الذي كان لا يسير في الطريق الا بمعونة بوصلة حتى لا يضل طريقه ، بعد ان كان قد غرق في برميل من مواد الصباغة ·

وفي الكتاب عدد هائل من غريبي الاطوار ، عدد كبير منهم كان يعتبر من أصحاب الكرامات والمعجزات أو السحرة او المجاذيب الدينين كما تعرفهم اليوم · من هؤلاء المبشر الغريب الأطوار جون بيروت ، الذي اودع السجن لأنه حاول ان يبشر بابا روما بالدين المسيحي ، وفردريك هيرفي ، اسقف ديري الذي من فرط كرهه لأصوات الاجراس ، القى طبق مكرونة على موكب ديني كان يمر تحت نافذته ، واسقف ومترلي الكذير الحركة الفائقة الحيوية ، الذي وجدوه في احد الاجتماعات الدينية وقد وضع قدمه « سهوا » في جيب احد الكرادلة ·

ولكن ليس كل غريبي الاطوار بهذه « الرقة » ، كثيرون كانوا يلجأون الى العنف : جورج روبر فيتز جيرالد ، البارز الجنتلمان الغارق دائما في الديون ، جرد سيفه مرة وصرع رجلا لانه ركل كلبه ، وعندما سمع رجلا على مقهى مجاور يقول : « انني اشم رائحة ايرلندي » جدع فيتز جيرالد أنفه وهو يقول له : « لن تشم غيره بعد ذلك » !

ويبدو انه كانت هناك علاقة بين غرابة الاطوار وكثرة الحيوانات : لورد ملسارين ، الذي كان في شبابه يسير في الطرقات وقد شد كتفيه بقوة « حتى يصبح عريض المنكبين » ، أمر مرة أن يسير ٥٠ كلبا في ثياب الحداد ، في جنازة كلبه المدلل ·· والدولفاس كروك ، متصوف بعد من الطف هذه المجموعة ، لانه كان يأمر عماله بخلع قبعاتهم احتراما ، في حضرة ديك رومي كان يعتقد ان روح أبيه قد تقمصته ·· وكان هو الذي عقد هيئة محكمة من عماله ، لمحاكمة أحد كلاب صيده المفضلة ، حتى يكون عبرة لغيره من الكلاب التي تضايق سيدها !

هذا الكتاب الذي يحوي قراءة ممتعة ترفه عن النفس وتنعشها لقي رواجا هائلا حتى في ايرلندة نفسها

·· واذا كان رجال الاجتماع يرون ان غرابة الاطوار ترمز للرفاهية فان ايرلندة ـ كما تظهر في هذا الكتاب ـ كانت جنة العالم ، وقمة الرفاهية في القرنين الثامن والتاسع عشر !

في العدد القادم

·· ولم تكن الفلسفة موردا للرزق

الكونت دي جالارا

ميشيل تكلا

نحن وسكان الكواكب الأخرى

دراسة جديدة عن احتمال وجود الحياة فى الكواكب القريبة منا

منذ آلاف السنين كانت فكرة أن الكواكب الاخرى بها كائنات حية غير مطروقة • وكانت الفكرة السائدة فى ذلك الزمن البعيد ان الكواكب الاخرى هي نفسها كائنات ذكية • فالمريخ كان اله الحرب، والزهرة آلهة الجمال ، والمشترى ملك الالهة •

وفى العصور الرومانية الاولى رأى بعض الكتاب مثل « لوسيان الساماسوتى » أن القمر كان ماهولا بالناس تماما كالكوكب الارضى • ووصف قصته العلمية الخيالية الرحلة الى القمر وصفا رائعا • وسماها « التاريخ الحقيقى » • وكانت بالطبع مجرد تخيلات بعيدة عن الواقع الذى اكتشفه العلماء فيما بعد •

أما فكرة أن الكواكب ساعات سماوية دقيقة الصنع خلقتها الالهة لكى تسحر بها ألباب الناس وتجبرهم على البحث فيها — فقد سادت ابان عصر النهضة •••

وفى عام ١٦٠٠ حرق العالم « جيوردانو برونو » لانه نشر بحثا قال فيه « ان هناك عوالم أخرى مأهولة بالناس » ! ••

البيئة الطبيعية للنظام الشمسى

أصبحت البيئة الطبيعية للنظام الشمسى واضحة للعلماء فى العصر الحالى ، كما أصبح تكيف المخلوقات بالبيئة الارضية واضحا كذلك ، ولكن ظهرت بعض الشكوك فربما يكون فى المريخ والزهرة بعض مخلوقات بشرية ولكن ليس هناك بشر فى القمر أو عطارد أو المشترى بكل تأكيد ••

وفى السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر اثارت مراقبة كل من جيوفانى كيابارللى وبرسفال لوول شعور الناس باحتمال وجود مخلوقات ذكية فى الكواكب المجاورة لنا • وكان تحمس لوول للفكرة عظيما وقال ان مخلوقات تعيش فى كوكب المريخ ، وقربت كتبه الفكرة للناس فعمت وسادت •

ولكن سرعان ما ذبلت فكرة وجود مخلوقات بشرية فى كوكب المريخ عندما اتضح للعلماء أن البيئة فيه لا تسمح بوجود كائنات حية • ثم ظهر فرع جديد فى علم الفلك هو علم الفلك الطبيعى اى تطبيق علم الطبيعة على اسطح النجوم وما فى داخلها ••• وقد نجحت بحوث هذا العلم الجديد

نحن وسكان الكواكب الاخرى

وشجع العلماء على دراســة فلك النجوم بدلا من دراســة الكواكب . وتطورت البحوث تطـورا سريعا ، فبعد الحرب العالمية الثانية لم يبق فى الولايات المتحدة غير عالم فلكى واحد تعمق فى دراسة الكواكب هو العالم « ج . ب . كيبر » بجامعـــة شيكاغو .

ونحن نعلم اليوم أن « قوالب البناء » لاصل الحيــــاة توجد فى بطاقات الطبيعة والفلك . وعندما تتعـرض الاجزاء البدائية الى مصــادر الطاقة العادية فان قوالب البناء للحياة على الارض تسقط من الجو فى أيام أو أسابيع . فقد وجدت هذه المركبـــات العضوية فى الشهب التى سقطت على الارض وفى فراغ ما بين النجوم ، كما أن كميات ضئيلة من قوالب البناء هذه قد وجدت فى البيئة الماحلة كبيئة القمر الجرداء ...

وأغلب الظن أن « قوالب البنـاء » هذه توجد فى كوكب المشترى ، أى فى الكواكب الخارجيـــة للمجمـــوعة الشمسية ، وكذلك فى تيتان أضـــخم أقمار الكوكب زحل ...

وتنص النظريات الحديثة والمراقبات الدقيقة على أن الكواكب مجرد أجسام سماوية مصاحبة للنجوم بدلا من كونها احداثا نادرة ، كما كان الاعتقـاد السائد بها فى عشرات السنين الاولى من هذا القرن .

اتصال الانسان بالكواكب

ان ديناميك الاجهــزة الحديثة ما يمكننا الاتصال بالحضارات الموجودة فى الكواكب والنجوم . ومن الحقائق المذهلة المحيرة أن التلسكوب اللاسلكى الذى يبلغ قطره ألف قدم والتــابع للمركز الوطنى الفلكى لبحوث الفلاف الايونى للارض ، أو الذى تشرف عليه جامعة كورنيل بمدينة ارشـــيبو بيتروريكو - يستطيع هذا التلسكوب أن يتصل بجهاز مماثل له موجود فى أى مكان فى مجرة الطريق اللبنى ...

الاتصال بحضارات المجرات

ان التغيير الملحـــوظ فى الاراء المختلفة عن وجود حياة وحضـارات اخرى فى الكون قد انعكس فى المؤتمر العلمى الذى عقد اخيرا فى بايوراكان بارمينيا السوفييتية وتكفلت به كل من اكاديميتى العـــــلوم السوفييتية والامريكية . ومثل الحاضرون هيئات علمية عديدة . فكان منهم الفلكيون وعلماء الطبيعة والرياضيات والاحياء والكيمياء والاثار والانسان والتاريخ والالكترونات وتكنولوجية الاجهــزة الحاسبة والعقول الالكترونية والكتابة السرية او الشفرة .

وتضمنت اراء هؤلاء العلمـاء فى المؤتمر الكبير : أن فرص وجـــود مجتمعات كونية يمكن الاتصال بهـــا برسائلنا العلمية المحدودة فى عصرنا هذا ، لا تزال تحتاج الى بحوث دقيقة وسعى متواصل

وتوصل العلماء الى بعض النتائج الهامة نذكر منها :

اولا : ان الاكتشافات المذهــلة الاخيرة فى عالم الفلك والاحيــاء وعلوم العقول الالكترونية والطبيعـة اللاسلكية قد حولت بعض مشــاكل حضارات ما بين النجوم والتوصـل اليها بالنتائج والاستقراء الى افاق جديدة من التجربة والملاحظة اوالرصد ولاول مرة فى تاريخ البشرية اصبح فى الامكان اجراء تجارب وبحــوث دقيقة فى اعقد المســائل الاساسية

والمشكلات الهامة التى تعترض طريق العلماء ·

ثانيا : لقد ثبت المشكلة انها على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتطور البشرية · فاذا اكتشفت حضارات فى الكواكب والنجوم والاجسام السماوية الاخرى ، فان الاثر سوف يكون عظيما على قدرات الانسان العلميـــة والتكنولوجية · وان الاكتشاف سوف يؤثر تاثيرا مباشرا على مستقبل الانسان · وان الاتصال العلمى والفلسفى بالحضارات الموجودة فى النظام الشمسى سوف يبرر ما ينفق ق على البحوث العلمية من اموال طائلة ·

ثالثا : ان المصادر العلمية والتكنولوجية لكوكبنا الارض ، عظيمة جدا تمكننا من الاتصال بهذه الحضارات البعيدة المنتشرة فى الكون وان هذه الدراسات سوف توصلنا الى حقائق اخرى حتى لو فشلنا فى الاتصال بهذه الحضارات · لذلك يجب على المعاهد العلمية ان تتبادل المعلومات التى تحصل عليها فى هذا الشأن · بل ويجب ان تتضافر الجهود وتعمل المعاهد العلمية المختلفة بكل طاقاتها معا وبدون تحيز او اقليمية ·

رابعا : لقد نوقشت فى المؤتمر اراء على جانب كبير من الاهمية والخطورة تدور حول احتمال وجود حضارات اخرى فى المجرات البعيدة · وهذه البحوث تحتاج الى جهود مضنية واموال طائلة تعادل تلك الاموال التى انفقت وخصصت لبحوث الفضاء والتفجيرات النووية ، لذلك يجب ان يكون لهذه البحوث نصيبها من الاموال والنفقات ·

خامسا : ان المشتركين فى المؤتمر يقدرون تمام التقدير التجارب التى تجرى حاليا على سفن الفضاء التى تتركز مهامهــا فى البحث عن الحيــاة فى الكواكب وفى النظام الشمسى · وهم يوصون باستمرار هذه البحوث وتقويتها ، وعلى الاخص فى حقول الكيمياء العضوية للعصور البدائية ، والتى تبحث ايضـا فى كواكب المجموعات الشمسية المماثلة وتطور علوم الاحياء ·

سادسا : التركيز على البحوث الخاصة باكتشاف اشارات جديدة صادرة من هذه العوالم البعيدة والحضارات الكونية ، وبناء تلسكوبات لاسلكية اضخم من الموجودة حاليا فى بقاع الارض ·

الحياة فى الفراغ الخارجى

فى القرن التاسع عشر بدأ العلماء يقبلون فكرة التطور البيولوجى ، ويرفضون حقيقة ان الحياة قد خلقت فى هيئاتها الراهنة المعقدة · وكان لظهور نظرية التطور صدى عميق فى نفوس الناس وفى بلبلة افكارهم · وبرز سؤال على جانب كبير من الاهمية كيف يمكن ان تكون الحياة بكل تعقيداتها وسهولتها قد جاءت بمحض الصدفة ؟ ومن اى نقطة بدء كيميائية برزت هذه الحياة ؟ وما هو المدى الذى وصلته حتى بلغت تلك الحالة التى تطلق عليها لفظ « التعايش » ؟

كل هذه اسئلة لا تبرر وجود الحياة عفوا او بمحض الصدفة كما يقولون · فاذا القينا نظرة على الكرة الارضية اليوم فاننا لا نرى تغييرات كيميائية جذرية تأخذ مجراها نحو تطوير الحياة ·· ومع ذلك فنحن لا نتوقع للحياة ان تتطور على الارض اليوم· وذلك لان كيمياء الارض ليست كما كانت عندما تكونت الحياة اصلا · ولكن الحياة غيرتها بدرجة كبيرة منذ ذلك الوقت ، وعليه فان هيئات

الحياة التي وجدت قد تغيرت بدورها على مرور الازمنة والاحقاب.

يقول العالم ايزاك اسيموف في كتابه الجديد عن أصل الحياة : لكي نعرف الطريقة التي تكونت بها الحياة أصلا ، علينا أن نقرر الظروف التي كانت موجودة قبل أن تتكون الحياة، ونأخذ بعين الاعتبار هذه التغييرات التي قد تكون قد حدثت فعلا في غياب أي هيئة من هيئات الحياة ... فمن حيث أن الدلائل الفلكية تشير الى أن ٩٠٪ من ذرات الكون عبارة عن أيدروجين ، فيبدو لأول وهلة أن أجواء الكواكب لا بد أن تحتوى على أيدروجين بجانب مزيج من ذرات الايدروجين وذرات من العناصر الاخرى . فجو كوكب المشترى يتكون أساسا من جزيئات أيدروجين ومركبات مشتقة من خليط الكربون والايدروجين أو الميثان،وكذلك من خليط النيتروجين والايدروجين أو النشادر .

أما خليط الاكسجين والايدروجين أو الماء فمما لاشك فيه انه موجود ولكن ليس في الطبقات العليا لجو المشترى.

وقد دعا هذا التفسير العلمي عالم الكيمياء الامريكي المعروف « هارولد أورى » الى اعادة التفكير في هذه المشاكل بعد الحرب العالمية الثانية ، فقال ان اصل الحياة لا بد ان يرتبط بجو مثل الجو الموجود في كوكب المشترى .

ولقد حاول أحد تلاميذه وهو ستانلي ميللر في عام ١٩٥٢ التوصل الى خلق الظروف الاصلية التي كانت موجودة بالكرة الارضية عند بدء تكوينها . وبدأ تجربته بخليط معقم من الماء والنشادر والميثان والايدروجين مكونا بذلك نموذجا من الحالة الأصلية التي كانت عليها الارض والمحيطات ، ثم استخدم طاقة كهربائية كنموذج صغير للشمس . ومرر الطاقة الكهربائية على الخليط لمدة أسبوع ثم حلله ، فوجد أن الخليط الاصلي الذي لم يكن له لون قد تحول الى لون أحمر وردي. وأن سدس الميثان قد تحول الى هيئة شبيهة الحياة ، وبه جزيئات شديدة التعقيد . ومن بين هذه الجزيئات وجد « جلايسين والانين » وهما من الاحماض الامينية البسيطة ، ويكونان البروتين الذي يعد بدوره أحد نوعي المركبات المميزة في الانسجة الحية . وقد أجريت هذه التجارب في حيز محدود وفي فترات قصيرة من الوقت ... اذن فما الذي يكون قد حدث لمحيط من المحيطات في زمن يقدر بملايين السنين ؟!

الزهرة والقمر والمريخ

وفي أوائل الخمسينات عندما بدأت المعامل الحديثة تبحث في أصل الحياة وقع الاختيار على ثلاثة عوالم تشبه الارض كثيرا هي : الزهرة والقمر والمريخ . ومن هذه العوالم استبعدت الزهرة في عام ١٩٦٢ عندما اكتشفت سفينة الفضاء (مارينر ١١) وبتأكيد تام أن سطح الزهرة شديد الحرارة لا يصلح لنشوء الحياة عليه .

وفي عام ١٩٦٩ استبعد القمر لأن أول عينة من الصخور التي جاء بها الرواد الذين هبطوا على سطحه كانت مخيبة للآمال ، وكشفت أنها فقيرة في العناصر التي توجد الحياة. وليس بها أي تطور كيميائي وكذلك تربته كانت خالية من التفاعلات

الكيميائية .

النيازك السوداء الفضروفية

يوجد نوع ثالث من النيازك أسود اللون سريع التفتيت ، ويحتوى على حبيبات من الصخور يعطيها شكل حباب الفلال . وبما انها تحتوى على مركبات الكربون فيطلق عليها « النيازك الفضروفية الكربونية » ، ويعرف منها اثنا عشر نيزكا فقط سقط اول واحد منها بالقرب من مدينة « اليه» بفرنسا فى عام ١٨٠٦ ، وفى عام ١٨٣٤ انكب على دراستها العالم السويدى « جونز برزليوس » ، وقال انها مادة كربونية كانت ذات مرة جزءا من المواد العضوية الحية .

وفى اوائل الستينات من القرن التاسع عشر جاءت تقارير عن وجود اشياء ميكروسكوبية فى نيازك كربونية سقطت بالقرب من اورجيل بفرنسا عام ١٨٦٤ . وبدت هذه الاشياء كانها كانت حية قبل ان تحترق . ولكن اتضح فيما بعد انها لم تكن كذلك . فقد تلوثت بالارض بعدان ظلت بها مائة عام .

وكل ما كان يبحث عنه العلماء سقوط نيزك من هذا النوع حديث العهد بالارض . وفعلا سقط واحد منها بالقرب من كنكتى بالولايات المتحدة فى عام ١٩٥٠ وانفجر آخر فوق مدينة موراشيصون باستراليا فى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦٩ . وامكن جمع حوالى ٨٨ كيلو جراما من بقايا النيزك الاخير . وتم فحص النيزكين بدقة تامة بالوسائل العلمية المتقدمة اى بطريقة (كروماتوغرافيا) لفصل المركبات بعضها عن بعض ثم التحقق من وجود مركبات الكربون . وفى عام ١٩٧١ تأكد العلماء ان المركبات المعزولة كانت عبارة عن احماض امينية .

وفى نهاية عام ١٩٧٢ عثر العلماء ايضا فى نفس النيزكين على احماض دهنية . وهى تختلف عن الاحماض الامينية لان بها سلسلة طويلة من ذرات الكربون والايدروجين ، ولكنها تفتقر الى ذرات النتروجين ـ وهى قوالب البناء للدهون الموجودة فى الانسجة الحية . وقد تم التعرف على ١٧ نوعا من هذه الاحماض الدهنية . فكيف حدث أن هذه الجزيئات العضوية وجدت فى النيازك ؟

يرد العالم ايزاك اسيمون على هذا السؤال بقوله : « ان التفسير الوحيد المقبول هو ان النيازك عبارة عن بقايا لكوكب وجدت عليه الحياة .. وقد يكون قلب هذا الكوكب من النيكل والحديد وله ستار من الصخور كما لارضنا ولذلك ظهر هذان النوعان من النيازك . وربما كان سطح هذا الكوكب به هيئات من الحياة ، وان الحبات الكربونية عبارة عن اجزاء من قشرته الارضية التى لا تزال بها اثار من المادة التى وجدت فى الحياة القديمة عليه » .

وعلى ذلك يمكن القول بأن الكواكب الكبيرة أو الباردة بها مركبات تدفعها الى تكوين الحياة عليها . لذلك اطلقت سفينتان من طراز فايكنج الى كوكب المريخ الاولى فى العشرين من شهر اغسطس ١٩٧٥ والثانية فى غرة شهر سبتمبر ١٩٧٥ للهبوط على سطحه واستطلاع امره وهل به حقا حياة من اى نوع كانت ... ؟ سوف يعرف العلماء حقيقة ذلك فى الرابع من شهر يوليه ١٩٧٦ عندما تبدأ السفينتان ارسال سيل من المعلومات الى علماء الارض للتأكد من وجود الحياة فى الكواكب القريبة أو البعيدة منا على السواء .


صبري
العسكري
قصة
الرجال
يعرفون
من
أصواتهم

لم يضيع وقتا . استقر بنظراته عليهـا بمجرد ان اخذ مكانه بين الزوجين . ادركت على الفور انه لا يكاد يعرف كيف يسحب نظراته بعيدا عنها . سرها ان تبقى عليها . حاولت ان ترى فيه شيئا يروق لها . . لم تجد . انشغلت عنه دون ان يبدو عليها الضيق .

بقى صامتا . ودت لو انهـا سمعت صوته .

• حسين كان صوته حالما ... الرجال يعرفون من اصواتهم .

رحل حسين عنها الى بلد غريب . قال فى اخر لقاء بينهما انه سوف يكتب لها .

قالت له بانها سوف تنتظره . مضى وقت طويل . تباعدت الرسائل بينهما ثم انقطعت . اصبحت تستعيد صوته بصعوبة .

فوجئت به يميل ناحيتها . اقتربت منه بغير تردد . اعطت اذنيها .

ـ كنت ابحث عنك .

فاتها ان تستوعب صوته . كانت المفاجاة اقوى من رغبتها فى التعرف عليه . دققت النظر اليه . تأكدت انها لم تره من قبل . قفز الى ذهنها انه يسعى اليها متملقـا كـادت تجفل منه . استطاعت السيطرة على نفسهـا فى الوقت المناسب :

ـ لم تعرفنى الا من دقائق .

ـ لكل رجل نجمة فى السماء .

قدره ان يظل يبحث عنها .

ـ والآن . وجدتها ؟

ـ اذا اردت ...

ـ لن اخسر شيئا لو صدقتك

لم يرق له ان تعقد معه صفقة وراقه انها لا تقطع الخيط بينهما

ووسط ذلك الاحساس المتناقض تمرغ فى شباب . دغدغت احاسيسه مشاعر غامضة . وقع على حافة

التمزق . دلق الكاس فى جوفه دفعة واحدة .

ـ على مهلك .

ـ اشربه كعلاج .

ـ مريض ؟

ـ بك ؟

ـ قابل للعدوى .

ـ وغير قابل للكسر !

لم تجد سببا لان يتحداها ... اعادت النظر فى عينيه . رأته طفلا مسالما . لم تر فيه ما يوحى بانه يتحداها :

ـ ممثل ؟

ـ ومن منا لا يمثل !

ـ انت تعقد المسالة .

ـ حليها انت !

ـ ... ...

الرجال يعرفون من أصواتهم

« لم تعد لدى طـــاقة . اعطيت الكثير فيما مضى . لست راغبة فى جولة اخرى حسين اخذ منى الكثير وتركنى دون ان يرد لى شيئا » .

ـ الدموع فى عينيــك . اثقلت عليك .

ـ تثقل على ايامى .

ـ احكى لى . اســـتطيع ان اسمعك ...

ـ ليس كل شىء يقال .

ـ لذن اتركى دموعك تسقط .

ـ تفسد الكياج .

ـ اصرخى .

ـ الناس حولى .

ـ تراهقين على شىء . ؟ اسرقك من هذا العالم . ؟ اهرب بك . ؟

ـ ربما لا اساوى كثيرا .

ـ ... ...

« تعذبينى . يعذبنى ان تضعف المرأة . ضقت بان اكون مسئولا عن الاخرين بودى ان اكون مسئولا من احد » .

وتذكر امه . رأى وجهها بقسماته الحددة المعبرة . لمس يديها . ود لو انه استكان داخل النظرة التى اطلت بها عليه :

ـ تشـــبهين أمى . عينـــاك كعينيها ...

ـ تولدون اطفـــالا . وتموتون اطفالا !

ـ لم امت بعد .

ـ لم يكن قصدى !

« لا احب لاحد ان يموت . من سنوات مات لى صديق مثلك لم يره احد وهو يموت . كان فى الصحراء ومات هناك . لم يعد منه سوى خبر موته .. دفنتـــه فى نفسى . انبت شجرة صبار . تكفينى واحدة » .

ـ مرة اخرى الدموع فى عينيك . هل البكاء من عاداتك المفضلة ؟

ـ انت الذى تبكينى .

ـ اسكت ...

لم ترد عليه . راق لها اكثر ان تطيل النظر اليه . ان تســـتريح بنظراتها على وجهه . بدا مرهقا . سقط فى القاع من كاسه . اخذه الاخطبوط الى غور سحيق . انشب فيه اسنانه . لم يشـــعر بالم . استعذب طعم اسنان الاخطبوط فى لحمه الطرى . استكان . اغمض عينيه . شعر بالرغبة فى النوم .

ـ تنعس ؟

ـ بودى ان اســـتريح ، اعطنى

فرصة ·

ـ أسكت · ؟

ـ تكلمى · ولكن لا تطيلى النظر الى · الرجل تصلبه نظرات المرأة ·

ـ لا بد انك صلبت كثيرا ·

ـ من قديم والرجال يصلبون · فى الحروب وفى المضاجع · عندما يصلب الرجل ينغرس فى الارض · ينبت آخرون !

ـ فى كل مرة يفقد شـيئا من حكمته ·

ـ لكل عصر حكماؤه ·

ـ عدا هذا العصر ·
ـ عصر الحب ·

ـ والازمات · انك تجســـن الاشياء · تفلسفها ·

ـ وانت تعيشينها كما هى ·

ـ ولذلك اطيل النظر اليك ·

ـ ... ...

« ما الذى تعـــرفينه على ؟ انا الذى يكتشب الف مرة فى اليـــوم الواحد · لو ان ما فى داخلى ظهر على وجهى لفـــكرت كثيرا قبل ان تطيلى النظر الى » ·

رفع رأسه اليها · دفعه حزنه الى ان يشتاق لها ·

ـ نظراتك تحرضنى ·

ـ · · · · · · · ·

ـ بودى أن أبوسك ·

ـ تستطيع ·

خيل اليه انها تعطيه شـفتيها ذاق لهما طعما خاصا · تذكر من قبلهن من قبل · اكتشف ان طعم شفاههن كان مختلفا ·

ـ والناس

ـ انها مشكلتك ·

ـ يحلو لك ان تضعينى ووجهى الى الجدار ·

« ليس تماما · لم لا تصدقنى ؟ الست امرأة ؟ الا يحق لى ان اقدم شفتى لرجل ليطبع عليهما قبلة ؟ لا اكاد اتذكر آخر مرة قبلنى فيهـــا رجل »

القت بنفســـها فى المـــاء ·· اخذتها موجة الى بعيد · شـعرت بانها تغرق · رفعها من ذراعيها · استعادت انفاســـها المتقطعة · واســـتراحت لذراعيه القويتين · عامت معه · اقتربت منه · التصقت به · مسح على شفتيها بشفتيه · غاصت فى الماء · غاص معها · لم تعد ترى شيئا · ذابت فى الماء · انتشرت فى الفضاء ·

ـ ذهبت بعيدا ؟

ـ هل جـــربت ان تذوب · ان تنتشر ؟

ـ لا افهم ·
ـ انه شـــعورى عندما انظـــر فى عينيك ·

الرجال يعرفون من أصواتهم

ـ لست بهذا السحر .

ـ في عينيك حب .
ـ من لحظة قلت بانني ممثل .
ـ ولكنك ممثل جيد .
ـ بلهاء مثل كل النساء .
معذرة .

. انا في اروع لحظات صدقي . لحظة ان يحلم الرجل هي لحظة صدقه المقدس . لحظة ان يقيم داخل نفسه . ان يتآلف معها الشجن . ان يسوده الشعور بالسلام . .

ـ اقول لك في استطاعتي ان احبك الليلة كما لم يحب رجل امرأة .

ـ ربما كسرت الملل .
ـ وهل استسلم له ؟
وضاق به المكان . لم يعد هناك متسع . اختلطت الاصوات . تضخمت الاشياء . التقط انفاسه بصعوبة . مال اليها . كاد يقع في حبها .

ـ الناس يروننا .
ـ اريح رأسي على صدرك .
ـ نظراتك تتفرس في لحمي .
لم يبعد نظراته عن صدرها .

ـ الدبوس يخفي على صدرك .
اكره حافة الاشياء .
ـ حتى لا تسقط .
ـ فكيه .

ـ ينظرون الينا .
نظر حوله . رأى العيون تتطلع اليهما . الم رغباته . شعر بالانكسار . اثقل الشراب على اسه . سحب نظراته بعيدا عنها .
ـ انا اكبر منك .
ـ لم تتجاوزي الاربعين .
ـ مسألة احساس .
ـ او مسألة خبرة .
ـ لست خبيرة كما تظن . انا لم احب بعد .

عاودته احلامه . انتشى . كف عن الشراب . اراد ان يبقى متوازنا .
ـ الوقت متأخر .
ـ اوصلني للبيت .

وقاد بها السيارة وكأنه يطير . شعر بالبهجة تعشش في داخله . غنى لنفسه بصوت مسموع .
ـ صوتك خشن .
ـ ولكن لي عواطف .
ـ اترك لي شيئا اقوله .
ـ اخاف رأيك .
ـ لست صبيا .

. اعرف نفسي اكثر . انا الخير والشر مركبا . انت تستطيعين خلاصي . ليتك تدركين مدى حاجة الخير في داخلي اليك . والشر ايضا .

ـ لم توقفت ؟
ـ لاراك . فكي الدبوس .
جمدت ملامحها . بذلت جهدا عصبيا كي تلين . لم تفلح تماما :

ـ ليس في الشارع .
ـ اننا وحدنا . لن يرانا احد .
ـ . . . .

اتحداك ان تفعلي .
ـ لا اريد .
ـ اتحداك ان ترفضي .
ـ .. ..



ـ لا تريدين ايضا .
ـ لا تستفزني .
شعر بالرغبة في البكاء .

ـ انا لا استفزك . انما اعرفك . امرأة مثل جميع النساء .
لمح الدموع في عينيها . بان عليها انها تتعذب . ود لو انها اخذته بين ذراعيها .

اعرف انهــــا لعبة . بداية ونهاية هي لعبة .

ـ لا تعجبني التسمية .
ـ سمها انت .
ـ افضلها واقعا اعيشه .
ـ عيشيه .
ـ في هذه الظروف ؟ احتقــر نفسي .

شعر بانه جرحها . بانها جرحته . انزوى بنفسه في ركن السيارة . ود لو انه كان في بلد آخر . لو انها كانت في بلد آخر :
ـ فعلا . انت اكبر .
ـ اسفة .
لم يشــف اعتذارها جرحه

انطوى على ألمه . شعر بالرغبة في أن يعتذر لها .
ـ انت قمر بعيد المنال .
ـ ليس هناك سوى قمر واحد .
ـ السماء مليئة بالاقمار .
ـ ولكنها معتمة .
ـ ... .

« ربما كنت انا الاخر قمرا في السماء . ربما كان قدري ان اظل ابحث عن نجمتي هناك » .

شعر بالامل يداخل نفســـه . ابتسم :

ـ اصبح لك عن سر .
ـ ... .
ـ انت تحبين بذكاء .
ـ تعريف جديد للحب .
ـ يضايقك .
ـ يعجبني .
عظيم ان اقول شيئا يعجبك .
ـ على اي حال لست نادمة .
ـ اتفقنا .

وانطلق بالسيارة بعيدا . ترك الهواء يتدفق اليه من النافــــذة المفتوحة . انتعش :

ـ سأظل ابحث عنك .
ـ كل منا يتكفل بنفسه .
ـ ولكنك ســوف تتعب . الذي لا تعرفه عني أن لي نجمي الخاص

ـ سأظل ابحث عنه مثلك .
ـ نلتقي ثانية . ؟
ـ ربما .
ووقفت الســـيارة امام بيتها . ونزلت .
ـ من جهتي لن اكف . اعدك .

ـ تذكر ... أن الدنيــا مليئة بالاقمار المعتمة .





امسك لسانك

إمسك لسانك ـ إنّ فيك لسانا
قد يجلبُ الأفراحَ ـ والأحزانا
هو قد يفوهُ بجملةٍ ـ فى مسمَعى
فأعيشُ يوماً كامـلاً ـ فرحانا
ولقد يفوهُ بجملةٍ (مش حلوةٍ)
فأعيشُ يوماً كامـلاً ـ زعلانا !
إن قلتَ لى يوماً : (أراك بصحةٍ
والوشُّ أصبح أحمراً فتّـانا) :
لو كنتُ عيّانا ـ أخِفّ بسرعـة
من فـرحتى ـ بل أنشـد الألحانا
إن قلتَ لى يوماً : (أراك مهـكعا
والوشُّ أصبح أصفراً بهتـانا) :
لو كنتُ يومئذ ـ بأحسنِ صحةٍ
سأنام فوراً ـ بعـدها ـ عيّانا !

هــذا لســانك ـ قطعةٌ من لحمةٍ

لـكنه (ســـكينة) أحيــانا

ويكون أحيــانا علاجــاً ـ مرهمــاً

يشفى جــراحَ قلوبنــا ـ مجــانا

هو قد يزعــل صاحبا ـ من صاحبٍ

هو قد يُصــالح إخوةً ـ جيرانا

هو قد يُحطم أسرةً ـ بوشــايةٍ

هو قد (يُرجعُ) زوجةً غضــبانة

(حَسّسْ) على الكلماتِ قبل خروجها

(م البَقّ) بل إمســك لها ميزانا

إملا كــلامك رقة ـ ومحبّــة

إملا كلامك رحمــة ـ وحنــانا

خلّى كلامك (سُكراً) يحلو لنــا

أو (ميّةً) تروى بهــا العطشــانا

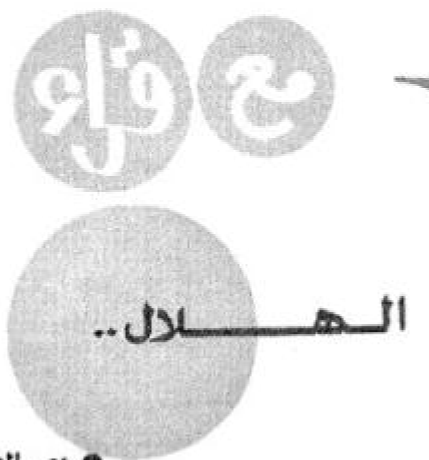
خليــه يسرى كالعبير ـ كنســمةٍ

فى العصر ـ تنعشُ متعباً حيرانا

خلّيــه نوراً للعيــون ـ وغنــوةً

فى كلّ وردٍ ـ تسعد الإنســانا





● نصر الدين عبد اللطيف ●

● سالم على امام ــ القناطر :

ــ فى « المزح » معنى الهزل والدعابة والفكاهة ... وليس مما يعيبك أن تحدث أصحابك أحيانا فتضحكهم ، وأن تكون فى بعض سويعاتك طيب القلب مزاحا ! ..

وفيما يتصل بى ــ وأشكرك ــ فان « سويعاتى » كلها موزعة وحياتك توزيعا ظالما ! ... ولذلك ، ولواحد وأربعين سببا فوق ذلك ، فاننى أخفق عادة ، وكثيرا ، فى أن أكون كما قلت أنت ، أو كما قال قبلك ، وقال أحسن منك ... أبو فراس :

أروح القلب ببعض الهـــــزل
تجاهلا منى بغير جهــــل ! ..
أمزح مزح أهــل الفضــــل
والمزح ، أحيـــانا ، جلاء العقل !

● عادل سعيد فوزى ــ مرس الليان :

ــ لأنك فيما يبدو عظيم السذاجة ، فلقد كتبتنى مع « برنارد شو » فى سؤالك ... ولأن سؤالك بعيد وبحره واسع ... فوالله العظيم لن أكسفك !

رأيى فى المرأة : حلوة !

أما رأى « برنارد شو » ، فلعله كما تروى صحفية انجليزية كتبت تقول :

ذهبت الى « برنارد شو » أسأله عن مسرحيته الجديدة ، فقال لى ساخرا : أتريدين حقا أن أروى لك مسرحيتى الجديدة التى كتبتها ؟ حسنا ، استمعى الى جيدا :

الفصل الاول ــ الرجل يسأل : هل تحبيننى ؟

المرأة تجيب : انى اعبدك !
الفصل الثاني ـ الرجل يسأل : هل تحبينني ؟
المرأة تجيب : انى اعبدك !
الفصل الثالث ـ الرجل يسأل : هل تحبينني ؟
المرأة تجيب : انى اعبدك !
(ســتار)

•• وهنا قلت فى غيظ أسأله : ولكن •• اين مغزى المسرحية فى هذا كله ؟ ••

فقال شو ساخرا : المغزى ؟ اه ••• ان المرأة هى هى لا تتغير فى الفصول الثلاثة ••• واما الرجل فهو يتغير فى كل فصل !!

● نجيبة كمال ـ المنصورة :
ـ لم يبق لدى من معلومات « كتاب الارقام القياسية » الا القليل •••لقد قلت لك اننى قرأت عنه ولم اقرأه ـ وما بقى كمـــا يلى : فى مباراة لحفظ التوازن سجل بهلوان فرنسى رقما قياسيا فى الوقوف على رجل واحدة مدة سبع ساعات ونصف ساعة ، دون أن يفقد توازنه ! •• وفى مباراة لتبادل الصفعات ، فاز رجلان ظل كل منهما يصفع الاخر مدة احدى وثلاثين ساعة ! •• وسجل طالب جامعى رقما قياسيا فى اكل الموز فاكل ثلاثة وستين موزة فى عشر دقائق ! ••• واكل رجل آخر فى مباراة اخرى ثلاثمائة سمكة حمراء ، غير مطبوخة !

وقبل هذه الارقام القياسية لعام ١٩٧٥ ، ومنذ نحو ستين عاما ، سجل الرئيس الامريكى تيودور روزفلت رقما قياسيا فريدا ، ففى مناسبة فوزه بالانتخابات ، صافح ٨٥١٣ شخصا ، فى يوم واحد ! ••

● حمدى محمد عبد ـ عزبة عبد ، كفر الشيخ :
ـ قبلت التحدى ، ووافقت على نشر شتيمتك لى •••
بشرط •••• :
أن تشترى مائتى نسخة من « الهلال » ، توزعها على القراء فى عزبتكم بالشمارقة ، ليقرأ الجميع شتمتك لى ، وردى عليك ، وليشهدوا من منا أكثر شتما ، وأقل ادبا ! ••
موافق ؟ ••

● تقى الدين الحسنى ـ حلب :
ـ السخرية والمرح ، عندى ، ربما ! •• والزهد والتصوف ، حتى الان ـ لا ••
وبالنسبة لك ، خذ لنفسك موقفا وسطا بين اوســـكار وايلد ، والشيخ ادهم ! ••

اوسكار كان يقول : افضل طريقة لمقاومة الاغراء ، هى الاستسلام له ! ••

والشيخ ادهم كان يمر ذات يوم ببساتين مدينة بخارى ، وتوقف عند بعض الانهار فيها ليتوضأ ، فاذا بتفاحة يحملها ماء النهر ، فقال: « هذه لا خطر لها ··· » واخذها فأكلها ، ثم وقع في خاطره من ذلك وسواس ، فعزم على أن يستحل من صاحب البستان أكلها ، فقرع باب البستان ، فخرجت اليه جارية ، فقال لها ادعي لي صاحب المنزل. فقالت : انه لامرأة ، فقال : استأذني لي عليها ··· ففعلت ·

وروى الشيخ للمرأة خبر التفاحة ، فقالت انها تحله من نصف التفاحة « لان البستان نصفه لي ونصفه للسلطان ، والسلطان مسافر في مدينة بلخ ، على مسيرة أيام من هنا وأيام ··· »

وقطع الشيخ المسافة في رحلة شاقة حتى وصل الى المدينة ، وشاهد موكب السلطان يمر به ، فاعترضه ، وروى الخبر للسلطان واستحله من اكل نصف التفاحة ، فدهش السلطان من امره ، ثم امر له بكيس فيه الف دينار ، فنظر اليه ادهم في زهد واستخفاف ، ودون أن يعقب بكلمة استدار ، وانطلق يمشي نحو الصحراء ، فصاح به السلطان « اترفض هديتنا ؟ ··· » فقال الشيخ ادهم دون أن يلتفت : « بل رفضت الاغـــراء » ! ·

● س · س ـ كلية الزراعة ، من قصيدتها « ميلاد يوم جديد » :

··· ويعود الفجر !
يأخذ بالثأر ···
يزحف ، يطوى صمت الليل ! ···
يهزم اشباح الليل ···
ويسود الفجر ، ينتصر الفجر !
وأنا ··· والامل العذب
نسكب أحلام القلب
في فجر الحب !

● وردة شعلان ـ عين شمس ، تقول في قصـــيدة بعنوان : « وكان وداعا » ··· :

قد طويت اليوم حبي ··· بت لا أرجو لقاء
واستوى جرح قديم ··· من بقايا كبرياء !
لن يدوم الحب عهداً ··· نحن من طين وماء
أيها القلب تمهل ··· ليس في الارض الوفاء
ان اردت الحب يوما فالتمسه في السماء !

● درويش الاسيوطي ـ ابيات من قصيدته : « في الذكرى الاولى لكوكب الشرق » :

ريحـــانة العصر ، يا قدســية النغم
يا نفحة السحر في الكلمات والقلم ···
يا زاد عمر مضى ، ألبســــته حللا
من السنا ، والمنى ، والحــق والقيم

هشناك عمــــرا ربيعيـــا تتيه به
مدى الزمان على الاجيـــــال والامم

● عمار جحيدر ـ جامعة الازهر ـ من قصيدته : « جراح » « كوبيد » لا ترشــق ســهامك انني
قلبي ســـــهام كله وجــــراح
كل الاحبـــة قد فتحــت قلوبهـــم
الا انـــا ، وتكسر المفتــــاح
انا ادم في جنـــة ليست بهـــا
حـــواءه ـ هل ينفع التفــــاح ؟!

● مختارات واسعة ●
● من بريد الشعراء ●
في العدد القادم

● ب . رمزي يوسف ـ ميت غمر :

ـ ... كان من الممكن ان أصارحك بان اهتماماتي بالشعر تتجه اكثر الى شعر العصر والمستقبل ... ثم اعتذر بان جهلي بالايطالية لم يتح لي أن اقرأ الكثير عن الشاعر الايطالي الكبير الذي سمعت عنـــه وتحب ان « تتعرف به » : فرانشسكو بتراركا ...

وبالصارحة والاعتذار ، اتخلص من السؤال ... ولكن الحظ الذي يتخلى عني كثيرا في الازمات ، يحلو له ان « يغيظني » ايضـا ببعض « المجاملات » ! .. فلقد لفتني في البريد الاوربي للهلال هذا الشهر ، كتاب المهرجان الذي اقيم في العام الماضي احتفالا بالذكرى المئـــوية السادسة لميلاد بتراركا ...

وبتراركا ، هو اكبر شعراء ايطاليا بعد دانتي الليجيري ، كما انه بعد الاغريقيين واللاتينيين أول شاعر وكاتب وجه اهتمام الثقافة نحـــو « الانسان » ... وكان الفلاسفة والمؤرخون والشعراء في القـــرون الوسطى قد تجاوز اهتمامهم الوجود الانساني ، واهـــملوه في جوهر الفكر والادب ...

والملحمة الرائعة التي نظمها بتراركا باسم «افريقيا» ، والتي تروى معارك روما ضد قرطاجنة ، هي التي حققت له الشهرة والمكانة والفوز بلقب « شاعر روما » ... كما ان مؤلفاته بعدها تعتبر من أبدع ما كتب من الحب بشعرها ونثائها ، وبما تصوره من ملامح الالم الانســـاني والحساسية والطموح والدعوة الى انسانية محورها الضمير الاجتماعي المتحضر ...

ومن وحى هذه المبادىء الرفيعة استلهم الشاعر اروع مؤلفاته ، وخاصة ديوانه الكبير « الانتصارات » الذي يضـــم خمسة فصول ، ابياتها ثلاثية، يصور فيها الشاعر كيف تنتصر الفضيلة على الحب ! .. ويتغلب الموت على الفضيلة ! .. وتتغلب الشهرة على الموت ! ..

مع قراء الهلال



ويتقلب الزمن على الشهرة ! .. واخيرا ، كيف يتغلب الخــلود على الزمن ! ..

● رجب أحمد البقلي ـ البحيرة :
ـ الحق انك تبدو في رسالتك غير مقتنع حيث تقول انك قارىء ، واسع الاطلاع ، عارف بالتراث ، ، ثم تطلب منى بعد ذلك ببضعة اسطر أن « ادلك » على فكرة أو موضوع غريب تؤلف فيه كتاباً لم يسبقك اليه أحد ! ..
ولن اقول لك ردا على ما تطلب : يفتح الله ! ... وانما اقول لك ، وأنت ، العارف بالتراث ، قول ابن حزم :
« التاليف السبعة التى لا يؤلف عاقل الا فى احدها ـ هى : اما شيء يخترعه ... ـ او شيء ناقص يتمه ـ او شيء مستغلق يشرحه ـ او شيء طويل يختصره (دون ان يخل بمعانيه) ـ او شيء اخطأ فيــه صاحبه ، يصلحه . او شيء متفرق يجمعه ـ أو شيء مختلط يرتبه ! ..»

● ماجدة . ع . ف : المطرية :
ـ صحيح اننى قلت هنا مرة وفى عدد سابق : « لكل سؤال جواب » ... ولكنى لم احدد ، ولم اقصد ان يكون محور الاســـئلة والاجوبة كلها الشعر والادب ! ...
كذلك فاننى لم امتنع عن الاجابة على اسئلة مشكلات الحب ، ولكنى عادة اتقيها واتحرج منها ، لواحد واربعين سببا ... اذكر لك منهـــا الان وعلى سبيل المثال ، السبب التاسع عشر ... وهو اننى غشيم ، حالم ، وغير مهذب بصفة غير منتظمة !

● حمدى . ن . الزكي ـ مدينة الاوقاف :
ـ لم يحدث والله ، وكما تزعم سيادتك ، ان قلت فى الموسيقا او فى غيرها : انى عالم ... قلت فقط ... انى عاشق !
ومع ذلك ، ومن اجلها ـ الموسيقا ـ فلست املك الا ان اسامحك ، بل ولعلى اهنئك بمكتبتك الموسيقية « الشاملة » التى تحدثنى عنها فى زهو واستعلاء ، كانك تعيرنى بها ! ... ثم انتهز الفرصة لاسالك عن الطبعة الجديدة التى نزلت السوق فى بداية هذا العـــام الجديد ، من اسطوانة « اغنية للطريق » ـ اول واطرف اغنية من نوعها فى العالم ؟ .
ومن كلماتها :
« قانون الطريق بالنسبة للمشاة ... :
« استعمل الرصيف او ممر المشاة
« وعلى الرصيف او الممر .... :
« لا تمش بالقرب من الحافة وظهرك للجهة التى تاتى منهـــا السيارات
« ولا تعبر الشارع قبل ان تنظر ... » !
انها ـ هذه الاغنية ـ من تاليف الحكومة البريطانية !

فكلماتها مأخـــوذة كلها من كتيب حكومى عن قوانين الطرق والســير ...
أما التلحين والغناء فلأربعة من الاساتذة الجامعيين فى انجلترا واسكتلندا يسمون أنفسهم فرقة « الاساتذة المطربين » ! .

● عبد الرضا جاسم ـ البصرة :

ـ ... ذلك بالفعل رجل من الرواد ، فنان ، شاعر ، وأديب ، تجاوزه ـ ولا ندرى لم ـ اهتمام الباحثين فى تاريخ المسرح العــربى والشعر والأدب ...
كان شمس الدين محمد بن دانيال ، وهو من مواليد الموصل ـ قد وفد الى مصر واستقر بها ... وكان فى مثل هذه الايام منذ نحــو سبعمائة عام ، يملأ القاهرة فكاهات وطرائف وتمثيليات من خيــال الظل بارعة ! ...وكان لطيف المعشر ، سليط اللسان ، حاضر النكتة والبديهة ، ساخرا متهكما ، يتعاطى صناعة الكحل ومداواة العيون ، يكتب التمثيليات ، ويؤديها ، لخيال الظل ، ويقول عن فقره وبؤسه شعرا لم اقرأ مثله لشاعر بعده :

أصبحت أفقر من يروح ويغتــدى
مافى يدى من فاقة ، الا يــدى !
فى منزل لم يحـو غيرى قاعدا ...
فاذا رقدت ، رقــدت غير ممدد !
لم يبق فيه سوى رســوم حصيرة
ومخدة كانت لأم المهتــــدى !
هذا ... ولى ثوب تراه مرقعـــا
من كل لون مثل ريش الهــدهد !

ويوما ، أهدى اليه الملك الاشرف فرسا ليركبه كلما صعد الى القلعة فى عمل ، ولم يكن الفرس على ما يريد ابن دانيال ، فركب حمارا أعرج وصعد الى القلعة ، فرآه الملك واستدعاه ، ثم قال يسأله : « أما أعطيناك فرسا لتركبه ؟ » فقال ابن دانيال : « نعم ... وقد بعته وزدت على ثمنه واشتريت هذا الحمار » ! .. فضحك الملك الاشرف ، وأمر له بحصــان أفضل !

● ع . ر . عزيز ـ الاسكندرية :

ـ وفيم يهمك أو يفيدك كيف مر بى يوم مولد العام الجديد ؟
مثل هذا السؤال يوجه عادة الى النجوم والكبار اللامعين ...
وأنا ، يعنى ... لا .. ولا .. !
لكن ، وحتى لا أغضبك ، أقول لك :
فى الصباح استلمت طاقة بألوان الزهر فى بطاقة عيد !.. وفى الضحى صافحنى سؤال جوابه نعم فى رسالة صداقة جديدة ! ...
و ... كنت فى الليل ، وحدى ، أحتفل بمرور عام على ثلاثمائيات لم تتحقق !

فهرس مجلة الهلال عام ١٩٧٥

• يناير •

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
• بحوث ودراسات ومقالات •			
ان من البيان لسحرا ..	د. سيد نوفل	يناير ١٩٧٥	٥
حديث السحر فى القرآن	د. احمد الشرباصى	يناير ١٩٧٥	١٤
الوثن من استكناه الغيب فى العصر الجاهلى	د. احمد الحوفى	يناير ١٩٧٥	٢٢
مع السحرة الجوكية	على ادهم	يناير ١٩٧٥	٢٨
السحر فى المؤلفات العربية	محمد عبد الغنى حسن	يناير ١٩٧٥	٣٦
السحر والسحرة عند قدماء المصريين	د. سيد كريم	يناير ١٩٧٥	٤٧
السحر فى الادب الانجليزى	د. انجيل بطرس	يناير ١٩٧٥	٧٢
التعاويذ والرقى والطلاسم والاحجبة فى الاساطير الشعبية	د. محمد ابو الانوار	يناير ١٩٧٥	٨٢
فيكتور هيجو يحضر الارواح	د. سامية احمد اسعد	يناير ١٩٧٥	٩٢
السحر فى الادب الايطالى	د. سوزان اسكندر	يناير ١٩٧٥	١٠٤
السحر فى عالمنا المعاصر « استفتاء »	عاطف مصطفى	يناير ١٩٧٥	١١٠
مالك بن نبى صاحب نظرية الانسان و التراب والوقت	انور الجندى	يناير ١٩٧٥	١٢٨
• الشعر •			
هلال الفجر	د. مختار الوكيل	يناير ١٩٧٥	٤٤
صراع مع الحب	احمد عبد المجيد	يناير ١٩٧٥	٧١
مع الندم	حافظ جميل	يناير ١٩٧٥	١٠٢
القلب الذى غنى لنا	حسين خريس	يناير ١٩٧٥	١٢٦
الشاعر ...	عبد العليم القبانى	يناير ١٩٧٥	١٣٢
• القصص •			
موعد مع الشيطان .. « ترجمة محمود عزت موسى »	البرتو مورافيا	يناير ١٩٧٥	١٢٠
وكانت النهاية	رستم كيلانى	يناير ١٩٧٥	١٣٤
منوعات			
الحلاج للتوبة	ابراهيم على الكرار	يناير ١٩٧٥	١٣٨
مع قراء الهلال « سحر التجربات » ــ مع الجمال والجلال	نصر الدين عبد اللطيف	يناير ١٩٧٥	١٤٠

● فـــبرايـــر ●

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ومقالات ●			
مستقبل الاسلام	د. عبد الحليم محمود	فبراير ١٩٧٥	٦
الانسان في القرآن	د. احمد الشرباصي	فبراير ١٩٧٥	١٤
المثقف العربي كما ينبغي ان يكون	د. سيد نوفل	فبراير ١٩٧٥	٢٢
الانسان العربي علميا وتكنولوجيا	د. عبد الحليم منتصر	فبراير ١٩٧٥	٣٠
الانسان في معجم الفكر العربي	محمد عبد الغني حسن	فبراير ١٩٧٥	٣٨
كتاب في صفحة : الحضارة العربية والفكر العربي		فبراير ١٩٧٥	٤٥
الانسان العربي المبدع	فاروق خورشيد	فبراير ١٩٧٥	٤٦
ابو الهول الفيلسوف الساخر	د. سيد كريم	فبراير ١٩٧٥	٦٢
منذ ٧٥ عاما « الهـلال » اول من دعا الى الجامعة المصرية	مصطفى الشهابي	فبراير ١٩٧٥	٩٢
صحف القرن عسكر من الزمانها	محمد حسن	فبراير ١٩٧٥	١١٢
● الشــعر ●			
اغنية الجنوب	صالح جودت	فبراير ١٩٧٥	٥٦
ذكريات القاهرة	حسن فتح الباب	فبراير ١٩٧٥	٨١
المؤامرة الكبرى	شكر الله الجر	فبراير ١٩٧٥	١٠٢
الباحثة عن النور	محمد الجيار	فبراير ١٩٧٥	١١٨
الى شقيقي	محمد مصطفى جمال الدين	فبراير ١٩٧٥	١٢٥
اقوى من الزمان	ابراهيم صبري	فبراير ١٩٧٥	١٣٢
نسمة الجراح	محمد حسن فقي	فبراير ١٩٧٥	١٣٩
● القصص ●			
اليد .. « ترجمة : محمد عبد المنعم جلال »	جي دي موبسان	فبراير ١٩٧٥	٩٦
الجنرال	فيريال وهبه	فبراير ١٩٧٥	١٣٦
منوعات			
رحلة الشعر	صالح جودت	فبراير ١٩٧٥	٨٤
« علوم » العين الحمراء في المشترى ملك الكواكب	ميشيل تكلا	فبراير ١٩٧٥	١٠٦
الحان للهوية	ابراهيم على الكرار	فبراير ١٩٧٥	١٣٤
مع قراء الهلال « جالرتجونكود ـ العربية في لغات العالم ـ لكي تكون مؤلفا »	نصر الدين عبد اللطيف	فبراير ١٩٧٥	١٤٠

● مــــارس ●

الموضـــوع	الكاتب	العـدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ومقالات ●			
وداعا ام كلثوم	صالح جودت	مارس ١٩٧٥	٢
من الافق الدينى لام كلثوم	د. عبد العزيز كامل	مارس ١٩٧٥	١٤
ام كلثوم	احمد رامى	مارس ١٩٧٥	٢٤
احمد رامى	ام كلثوم	مارس ١٩٧٥	٢٨
الاسطورة ... فتاة الشعب العربى	محمد حسن	مارس ١٩٧٥	٣٤
رسالة طرابلس . المفكرون العرب فى ندوة الثقافةالعربية للتعريب	عاطف مصطفى	مارس ١٩٧٥	٥٠
هجرة السلات	د. سيد كريم	مارس ١٩٧٥	٥٥
فيلسوف التعاون د. ابراهيم رشاد	على المطيعى	مارس ١٩٧٥	٧٨
دور السودان فى العمل العربى المشترك	د. سيدا توفل	مارس ١٩٧٥	٨٦
النيل ملهم الشعراء	د. محمد عبدالمنعم خفاجى	مارس ١٩٧٥	٩٩
اللغة العامية في القصـــة السودانية	ثروت اباظة	مارس ١٩٧٥	١١٠
ديك الجــن : والتشـــاف لشاعر قديم	د. صلاح عدس	مارس ١٩٧٥	١٢٠
● الشـــعر ●			
كوكب الشرق	عباس محمود العقاد	مارس ١٩٧٥	٢٢
يا ام كلثوم	جميل صدقى الزهاوى	مارس ١٩٧٥	٣٢
ام كلثوم امتداد الدهر	عزيز اباظة	مارس ١٩٧٥	٤٠
فلسطين والوفاء ..	عبدالله محمد عمر البنا	مارس ١٩٧٥	٩٣
مصر والسودان	محمد مصطفى الماحى	مارس ١٩٧٥	٩٦
تحية مصر والسادات	فراج الطيب السراج	مارس ١٩٧٥	١٠٦
الحب فوق الحدود	محمد عبد الغنى حسن	مارس ١٩٧٥	١١٢
النيل الخالد	عامر بحيرى	مارس ١٩٧٥	١١٥
الثوب الاخضر	ادوار حنا سعد	مارس ١٩٧٥	١١٨
الخرطوم والذكريات	د. عبده بدوى	مارس ١٩٧٥	١٢٠
ردى سلامى	روحية القلينى	مارس ١٩٧٥	١٢٢
● القصص ●			
امرأتان .. « ترجمة محمود عزت موسى »	بول بورجية	مارس ١٩٧٥	١٣٤
منوعات			
رحلة الشهر	صالح جودت	مارس ١٩٧٥	٣٢
صفحة من التراث « خزانة الادب »		مارس ١٩٧٥	٤٩
مع قراء الهلال « دائرةالمعارف الغزامية »	نصر الدين عبد اللطيف	مارس ١٩٧٥	٢٢٠

● أبـــريـــل ●

● مـــايـــو ●

● يـــونــيــو ●

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ومقالات ●			
قناة السويس عبر التاريخ	د. سيد كريم	يونيه ١٩٧٥	٧
قناة امير المؤمنين اول مشروع عربى لقناة السويس	د. عبد الرحمن زكى	يونيه ١٩٧٥	٢٨
قنـــاة السويس فى العصر الحديث	د. سيد نوفل	يونيه ١٩٧٥	٣٦
الشيوعية ارهاب فكرى ورعب	لوميل لبيب	يونيه ١٩٧٥	٥٢
عبد العزيز البشرى ساخرا	محمد حسن	يونيه ١٩٧٥	٥٨
الرواية المعاصرة بين دراما الزمان والمكان	سعد عبد العزيز	يونيه ١٩٧٥ يونيه ١٩٧٥	٦٦
مثل هذه الروايات لا تؤخذ على علاتها	د. حسان الحاج	يونيه ١٩٧٥	٧٦
حوار مع زهير من يوغوسلافيا	نصر الدين عبد اللطيف	يونيه ١٩٧٥	٨٠
مؤتمر الادب والشعر بالجزائر		يونيه ١٩٧٥	٨٩
الادب والعدالة والسلام	يوسف السباعى	يونيه ١٩٧٥	٩٠
كلمة حب : بمؤتمر الادب والشعر بالجزائر	صالح جودت	يونية ١٩٧٥	٩٤
بين النشاط الادبى والنضال السياسى	د. احمد طالب الابراهيمى	يونيه ١٩٧٥	٩٦
تعريب التفكير اولا	د. عبد الله الركيبى	يونيه ١٩٧٥	١٠٢
الطفل فى الادب العربى	روكس بن زايد	يونية ١٩٧٥	١٠٦
الشعر والانحراف الدينى	د. صالح خرفى	يونية ١٩٧٥	١١٢
النضال والثورة فى ادب الطاهر حداد	احمد خالد	يونية ١٩٧٥	١٢٢
● الشـــعر ●			
ميناء من تونس	حسن كامل الصيرفى	يونية ١٩٧٥	٥١
عاد الشباب الى	محمد عبد الغنى حسن	يونية ١٩٧٥	٦٤
نصف سيجار ..	جليلة رضا	يونية ١٩٧٥	٧٤
الحديث الاول	ادوار حنا سعد	يونية ١٩٧٥	٧٨
خيط العنكبوت	ابراهيم عيسى	يونية ١٩٧٥	٨٥
حورية العبد	حسن فتح الباب	يونية ١٩٧٥	٨٦
من هنا	احمد سحنون	يونيه ١٩٧٥	١٣٣
● القصص ●			
امسية الحب	سعد حامد	يونية ١٩٧٥	١٣٤
منوعات			
رحلة الشهر	صالح جودة	يونية ١٩٧٥	٤٤
صفحة من التراث « ابن عبد ربه صاحب العقد »		يونية ١٩٧٥	١٣٦
مع قراء الهلال « تكسير العظيم »	نصر الدين عبد اللطيف	يونية ١٩٧٥	١٤٠

● يـــولــيـــو ●

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ومقالات ●			
الرحلات في الادب العربي القديم	د. سيد نوفل	يولية ١٩٧٥	٧
الرحلات في ادبنا المعاصر	فاروق خورشيد	يولية ١٩٧٥	١٦
الرحلات الفرعونية في الادب المصرى القديم	د. سيد كريم	يولية ١٩٧٥	٢٥
الرحلات في الادب الانجليزى	د. انجيل بطرس	يولية ١٩٧٥	٥٠
مع الشاعر جيرار دى نرفال في رحلة الى الشرق	د. ساميه احمد اسعد	يولية ١٩٧٥	٥٨
صفحات من ادب الرحلات	د. سوزان اسكندر	يولية ١٩٧٥	٦٨
حوار حول ادب الرحلات	عاطف مصطفى	يولية ١٩٧٥	٧٦
مع الشاعر صالح جودت في الذكرى الثانية للشاعر عزيز اباظة .. صفحات مطوية من رسائله	انور احمد	يولية ١٩٧٥	٩٢
صور سودانية : كتشاى ابو قرجه	محمد عثمان يس	يولية ١٩٧٥	٩٨
المسرح نضالا ..	محمد الطاهر فضلاء	يولية ١٩٧٥	١٠٤
معارك ادبية : عتاب على هذه الشطحات	عبد المنعم محمد جاسم	يولية ١٩٧٥	١٣٣
معارك ادبية : معركة في غير معترك	د. احمد الحوفى	يولية ١٩٧٥	١٣٦
● الشـــعر ●			
سفراء النغم	حسن كامل الصيرفى	يولية ١٩٧٥	٤٩
اكتب الى	فوزى عطوى	يولية ١٩٧٥	٦٧
العزف على نغم يونس	د. عبده بدوى	يولية ١٩٧٥	١٠٢
صفحتان من الرحلة وهامش	ابراهيم الحضرانى	يولية ١٩٧٥	١١٢
من كهوف اللاوعى	محمد حسن فقى	يولية ١٩٧٥	١١٨
الامل الممنوع	ابراهيم صبرى	يولية ١٩٧٥	١٢٤
دعوة حارة	محمود المتربس	يولية ١٩٧٥	١٣٨
● القصص ●			
هوراتيوس بطل الجسر « من قصص البطولة في التاريخ »	امين سلامة	يولية ١٩٧٥	١٢٠
منوعات			
رحلة الشهر	صالح جودت	يولية ١٩٧٥	٨٢
مذكرة طبية « فرحة المعدة »		يولية ١٩٧٥	١١٤
المكتبة العربية	محمد حسن	يولية ١٩٧٥	١٣٦
مع قراء الهلال « لكل سؤال جواب-مختارات بريد الشعر »	نصر الدين عبد اللطيف	يولية ١٩٧٥	١٤٠
صفحة من التراث «الفارابى»		يولية ١٩٧٥	١٤٦

● أغسطس ●

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ومقالات ●			
من قصص الحب فى القرآن	د. احمد الشرباصى	اغسطس ١٩٧٥	٦
اجمل قصص الحب فى الادب العربى القديم	د. سيد نوفل	اغسطس ١٩٧٥	١٦
اجمل قصص الحب فى الادب العربى الحديث	محمد عبد الغنى حسن	اغسطس ١٩٧٥	٢٦
اجمل قصص الحب فى الادب الفرعونى	د. سيد كريم	اغسطس ١٩٧٥	٣٩
اجمل قصص الحب فى الادب الانجليزى	د. امين العيوطى	اغسطس ١٩٧٥	٦٦
اجمل قصص الحب فى الادب الفرنسى	د. سامية احمد اسعد	اغسطس ١٩٧٥	٧٢
اجمل قصص الحب فى الادب الالمانى	د. مصطفى ماهر	اغسطس ١٩٧٥	٨٠
حول المؤتمر النسائى العالمى بالمكسيك	امينة السعيد	اغسطس ١٩٧٥	٩٦
الزهاوى والدفاع عن المرأة	عبد الرزاق الهلالى	اغسطس ١٩٧٥	١٠٤
راسى : شاعر الحب والوفاء والحرمان	محمد محمود دلاوراني	اغسطس ١٩٧٥	١١٢
شيخ الفلاسفة فى مجمع الخالدين «د. ابراهيم مدكور»	ابراهيم الاسيوطى	اغسطس ١٩٧٥	١٢٢
● الشعر ●			
الشعر والفن	صالح جودت	اغسطس ١٩٧٥	٣٤
تحية حب	د. عاتكة الخزرجى	اغسطس ١٩٧٥	٨٤
بحيرتا الفيروز	حسن كامل الصيرفى	اغسطس ١٩٧٥	٩٤
حبيبى عنيد	ابراهيم عيسى	اغسطس ١٩٧٥	١٢٠
الشاعر المفقود	على بن هادية	اغسطس ١٩٧٥	١٢٨
الثار	عبد الستار حسن الجواد	اغسطس ١٩٧٥	١٤٤
النمل والانسان	حسين خطاوى	اغسطس ١٩٧٥	١٣٦
● القصص ●			
من أجمل قصص الحب فى الادب الاندلسى : الاميرة الشاعرة .. عاشقة وملهمة	د. محمد ابو الانوار	اغسطس ١٩٧٥	٥٨
منوعات			
رحلة الشهر	صالح جودت	اغسطس ١٩٧٥	٨٦
تذكرة طبية ـ «التهاب المصران الغليظ»	د. السيد الجميلى	اغسطس ١٩٧٥	١١٧
المكتبة العربية	محمد حسن	اغسطس ١٩٧٥	١٣٠
مع قراء الهلال ـ «رباعيات عمر الخيام ـ كلام اى كلام؟»	نصر الدين عبد اللطيف	اغسطس ١٩٧٥	١٢٨

● سبتمبر ●

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ومقالات ●			
طبيعة الشعر وصلتها بالاخلاق	د. زكي نجيب محمود	سبتمبر ١٩٧٥	١٠
كيف انهارت الاندلس	احمد توفيق المدني	سبتمبر ١٩٧٥	٢٠
الثروة في الاسلام	د. محمد على رفعت	سبتمبر ١٩٧٥	٢٨
حكايات خالدة من فاس وتلمسان	د. عبد الهادى التازى	سبتمبر ١٩٧٥	٣٦
الثقافة والحضارة والعلمات	د. عثمان امين	سبتمبر ١٩٧٥	٤٤
نماذج خيرة ونماذج شريرة من الشعر	وليد الاعظمى	سبتمبر ١٩٧٥	٥٢
لغز الحضارة .. خطأ زمنى في عمر الحضارة الفرعونية	د. سيد كريم	سبتمبر ١٩٧٥	٥٧
المعابد والمرأة	احمد سيد محمد	سبتمبر ١٩٧٥	٩٨
الحضارة العربية ودورها في يقظة اوربا	د. الطاهر احمد مكى	سبتمبر ١٩٧٥	١١٠
معارك ادبية من السحر والسحرة		سبتمبر ١٩٧٥	١٢٨
● الشعر ●			
في ذكرى الاسراء	د. عبده بدوى	سبتمبر ١٩٧٥	٥١
ماضر هذا الفن	د. عاتكة الخزرجي	سبتمبر ١٩٧٥	٧٩
من ابراهيم المصرى الى الشاعر صالح جودت	ابراهيم المصرى	سبتمبر ١٩٧٥	٩٠
قيثارة الشعر	حسن كامل الصيرفي	سبتمبر ١٩٧٥	٩٦
يا بسمة الامل	فوزى عطوى	سبتمبر ١٩٧٥	١٠٨
ابتهالات	على الجمبلاطى	سبتمبر ١٩٧٥	١١٧
سبحة من حبات الدموع	على محمد الزامل	سبتمبر ١٩٧٥	١١٨
العودة في الخريف	محمود العتريس	سبتمبر ١٩٧٥	١٣٧
● القصص ●			
مصرع الحب	قبريال وهبه	سبتمبر ١٩٧٥	١٢٢
ثوب واحد لكل النساء	نصر الدين عبد اللطيف	سبتمبر ١٩٧٥	١٣٨
منوعات			
رحلة الشهر	صالح جودت	سبتمبر ١٩٧٥	٨٠
صفحة من التراث « جار الله تاج الاسلام الزمخشرى »		سبتمبر ١٩٧٥	٩٧
تذكرة طبية « الحساسية »	د. صلاح عدس	سبتمبر ١٩٧٥	١٢٠
المكتبة العربية	محمد حسن	سبتمبر ١٩٧٥	١٢٢

• أكتوبر •

● نـــوفـــمـــبر ●

الموضـــوع	الكـاتب	العـدد	الصفحة
● **بحوث ودراسات ومقالات** ●			
الغزو الفكري وكيف نقاومه	د . وحيد رأفت	نوفمبر ١٩٧٥	٦
اعداء الله في القرآن	د. سيد نوفل	نوفمبر ١٩٧٥	١٥
الشيوعية عدوة الله وعـدوة الانسان	د . عبد الحليم محمود	نوفمبر ١٦٧٥	٢٣
الرأسـمالية والشيوعيـة ومشاكل الانسان المعاصر	د . ابراهيم مدكور	نوفمبر ١٩٧٥	٣٠
المسلمون تحت حكم روسـيا	د. احمد الشرباصي	نوفمبر ١٩٧٥	٣٨
الشيطان ضـد الانسان في الادب العالمي	علي ادهم	نوفمبر ١٩٧٥	٥٠
الفراعنة والشيوعية	د . سيد كريم	نوفمبر ١٩٧٥	٥٧
مصر كما وصفها ناصر خسرو في كتابه سفرنامه	شاهنده كريم	نوفمبر ١٩٧٥	٩٠
ام كلثوم بين الشبيبي الكبير ، وابنه ابي كلثوم الوقدي	عبد الرزاق الهلالي	نوفمبر ١٩٧٥	١٠٦
حول رسالة الملائكة لابي العلاء المعري	رشاد علي أديب	نوفمبر ١٩٧٥	١٣٦
● **الشـــعر** ●			
ابن زيدون	صالح جودت	نوفمبر ١٩٧٥	٨٤
ام صابر	محمد المهدي المجذوب	نوفمبر ١٩٧٥	٩٦
تحية للاشقاء	مبارك المغربي	نوفمبر ١٩٧٥	١٠٤
حمى الاحباب	فراج الطيب السراج	نوفمبر ١٩٧٥	١١٢
في مطلع الفتح	عثمان محمد هاشم	نوفمبر ١٩٧٥	١١٥
نافذة الحسناء	حسن كامل الصيرفي	نوفمبر ١٩٧٥	١٢٢
عنقود من الياسمين	د. عبده بدوي	نوفمبر ١٩٧٥	١٢٦
وحدة الوادي	د . محمد عبد المنعم خفاجي	نوفمبر ١٩٧٥	١٢٥
● **القصص** ●			
كلاب القرية	ابو بكر خالد	نوفمبر ١٩٧٥	٩٨
الحب داخل المدينة	عزمي لبيب	نوفمبر ١٩٧٥	١٢٨
منوعات			
رحلة الشهر	صالح جودت	نوفمبر ١٩٧٥	٨٠
صفحة من التراث		نوفمبر ١٩٧٥	١٠٣
المكتبة العربية	محمد حسن	نوفمبر ١٦٧٥	١١٦
تذكرة طبية « امراض الكلى »	د . صلاح عيسى	نوفمبر ١٩٧٥	١٢٤
مع قراء الهلال « الافلاطون ـ اسكندر ديماس الاب »	نصر الدين عبد اللطيف	نوفمبر ١٩٧٥	١٤٠

● ديسمبر ●

الموضوع		العدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ومقالات ●			
البيان والتبيين للجاحظ	د . سيد نوفل	ديسمبر ١٩٧٥	٨
احياء علوم الدين للغزالى	د. احمد الشرباصى	ديسمبر ١٩٧٥	١٦
وفيات الاعيان لابن خلكان	د . احمد الحوفى	ديسمبر ١٩٧٥	٢٦
طبائع الاستبداد رائد كتب التحرر والوعى	محمد عبد الغنى حسن	ديسمبر ١٩٧٥	٣٤
العقد الفريد لابن عبد ربه	د . الطاهر احمد مكى	ديسمبر ١٩٧٥	٤٢
تاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبرى	على ادهم	ديسمبر ١٩٧٥	٥٠
الاغانى لابى الفرج الاصفهانى	د . محمد ابو الانوار	ديسمبر ١٩٧٥	٦٠
الف ليلة وليلة والف اتجاه واتجاه	فاروق خورشيد	ديسمبر ١٩٧٥	٧٠
العمدة لابن رشيق	د . عبد الواحد علام	ديسمبر ١٩٧٥	٨٢
المقدمة لابن خلدون		ديسمبر ١٩٧٥	٩١
نهج البلاغة	د . شفيع السيد	ديسمبر ١٩٧٥	٩٢
لغز الهرم الاكبر	د . سيد كريم	ديسمبر ١٩٧٥	١٠١
الاتجاهات المعاصرة فى الشعر الانجليزى	د. صلاح عدس	ديسمبر ١٩٧٥	١٢٤
● الشعر ●			
يا شاعرى	فوزى عطوى	ديسمبر ١٩٧٥	٥٩
لا تصدقنى	روحية القلينى	ديسمبر ١٩٧٥	٩٠
اصداء	عبد المنعم الانصارى	ديسمبر ١٩٧٥	١٠٠
سمراء	احمد السمرة	ديسمبر ١٩٧٥	١٢٨
منوعات			
المكتبة العربية	محمد حسن	ديسمبر ١٩٧٥	١٣٣
مع قراء الهلال « من شعر ابى شبكة – كازانتزاكى فى الخالدين »	نصر الدين عبد اللطيف	ديسمبر ١٩٧٥	١٤٠

شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية

٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة اسكندرية ت ٧٠٥٣٣/٧١٧٦١ ص ب ٣٨٦ اسكندرية





انى هنا اعزف لحن الهوى
واعشق الليل وضوء القمر
وانثر الاطياب عبر السنا
وافرش القلب واجنى الزهر
مازلت استوحيك شعر المنى
وتسمر الانجم وقت السحر
هاجت بصدرى زفرات الاسى
ورفرف الوجد وماد الشجر
الشاطىء الاخضر يغفو على
قيثارة الشعر ولحن الوتر

***

ما اجمل الصبح وانواره
توقد كالجمر بقلب مشوق !
ما اسعد النسمة فواحة
تغمرنا مثل الشذا والرحيق !
تبلج الحسن على شاطىء
ينثال فيه الماء عذبا رقيق
منحتك القلب واشواقه
تهيم سحرا كالربيع الطليق
وابعث الالحان عرس المنى
يا (مصر) تيهى بالصباح الانيق

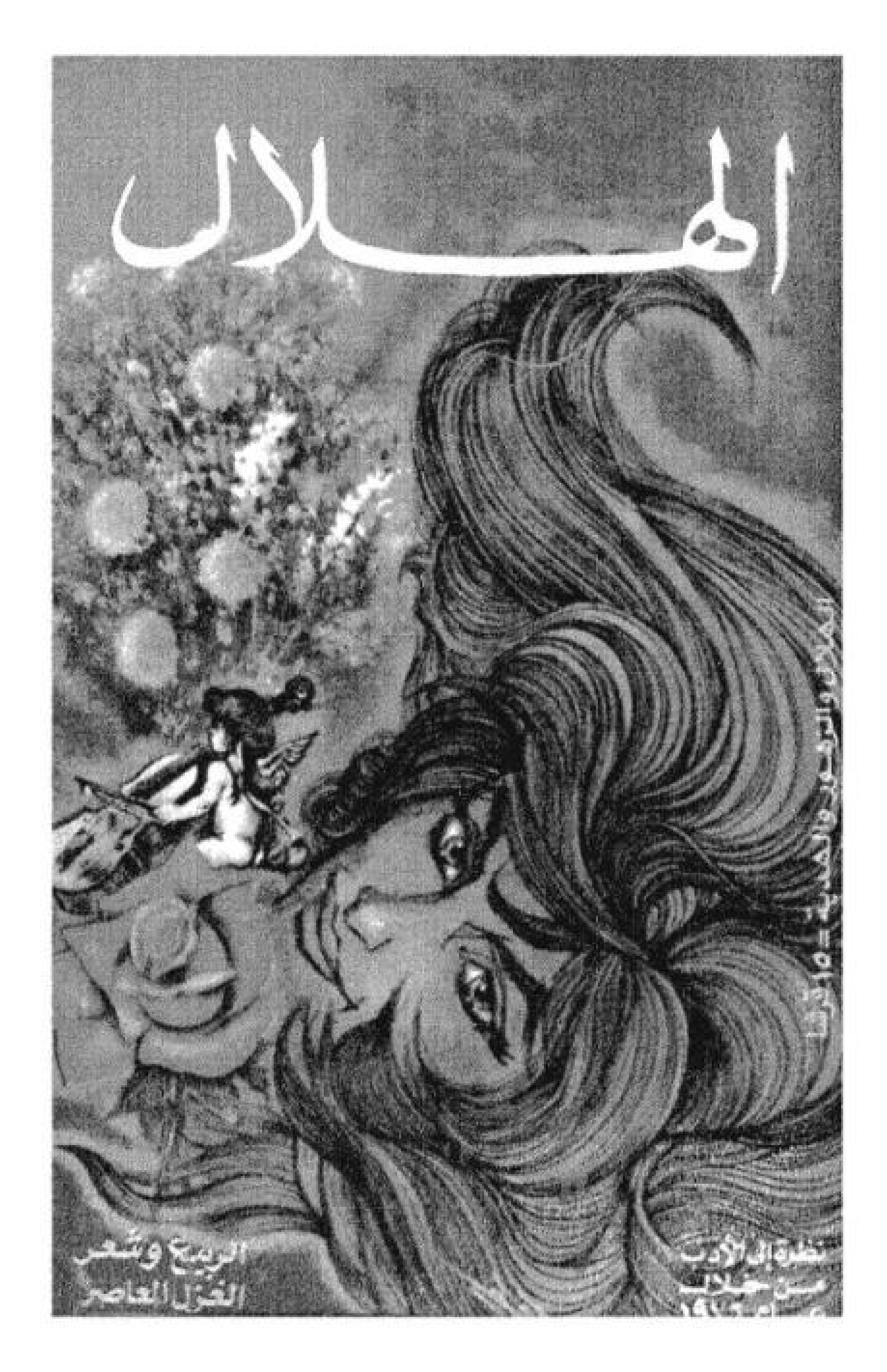
● كربلاء ـ العراق ●● سلمان هادى آل طعمة ●



المرأة في الاسلام
بريشة الفنان جمال قطب

الهرم الأكبر .. بيت التيارات


الهرم الاكبر.. بيت التنبؤات
اقرأ المقال داخل العدد


الهلال
الربيع وشعر
الغزل المعاصر
نظرة إلى الأدب
من خلال

الهلال

ربيع الأول ١٣٩٦ هـ
مارس ١٩٧٦ م

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال – أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ العدد الثالث – السنة الرابعة والثمانون – أول مارس ١٩٧٦ غرة ربيع الأول ١٣٩٦

رئيس مجلس الإدارة
فكرى أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

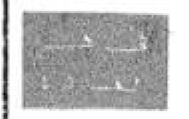
رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفني
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوي : ١٢٥٠ مقدما في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ ج.ا جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة بالبريد العادي – وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .
الإدارة : دار الهلال – ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »





عبد الغنى حسن



احمد رامى



عبد الحليم محمود

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

الاحتفال بالذكرى الاولى لسيدة الفن ، الراحلة العزيزة ام كلثوم ، كان فى الوقت ذاته مهرجانا لأبى الشعراء احمد رامى ، الذى واكب رحلة ام كلثوم خطوة بخطوة على مدى خمسين عاما ، استحدث فيها ثورة غنائية فى الكلمة والمعنى والصورة ، ارتفعت بالاغنية الى اعلى مستويات الشعر القومى والوطنى والوصفى والعاطفى والانسانى .

وكان اروع مافى الاحتفال - الذى اقامته اكاديمية الفنون فى الشهر الماضى لاهداء درجة الدكتوراه الفخرية لأبى الشعراء - تلك الكلمات الجليلة التى استهل بها الرئيس الأديب حديثه فى هذه المناسبة بعد ان استمع الى الخريدتين اللتين تلاهما رامى فى ليلته الكبيرة ، والمنشورتين بهذا العدد ..

قال الرئيس :

« اجدنى فى حيرة شديدة بعد ان استمعت الى رامى « هل يستطيع احد ان يطاوله فيما عبر عنه وما قاله ؟

هل يستطيع احد ان يباريه فى حلاوة اللفظ وجزالة المعنى وروعة النظم ؟



فى حفل اكاديمية الفنون لاهداء درجة الدكتوراة الفخرية للشاعر الكبير احمد رامى

« لقد ظل لخمسين عاما يشجى وجداننا ويلهب احلامنا . وها هو ذا اليوم ، وفى هـذا الحفل ، يشجينا بالرثاء ما أشجانا فى الغناء »
ما اكرم كلمات الرئيس المؤمن

انها وسام على صدر الأدب والشعر والفن .

وسام يدل على عظمة الدولة فى عهد السادات . لان الدولة العظيمة هى التى تعرف قدر العظماء من ابنائها وتخلع عليهم آيات الاجلال والتكريم .

صالح جودت

تحية الشعر

للرئيس السادات

●● أحمد رامى ●●

حىِّ يا شعرُ طَلْعةَ السَّادات

مجدَ سيناء مسترد القناةِ

بَعثَ العزم فى النفوس وأرسَى

فى قرار القلوب أسّ الثبات

فمضَيْنا على ضياءٍ هُداه

تقبَسُ النور من بهى السِّمات

عامرِ القلب بالتقى صادق الوعد

صفىُّ الهوى حميدَ الصفات

ظلَّ تَبِتَ الجنان يقضى الليالى

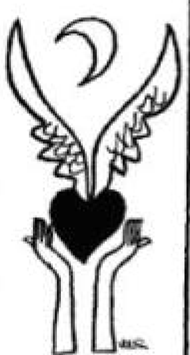
يتناجَى معَ الرجال الثقاة

يضعُ الخطةَ الكفيلةَ بالنصر

على الرابضين فى الأكَمات

ويضم الصفوفَ حتى إذا ما

حانَ يومُ الوغَى وطرد البغاة



وثبَ الوثبة العصية فى الحرب
وأعلى خوافِق الرايات
يا أخا الريف يا نجيَّ رُبَاه
بين زاهى الجنى وغض النبات
عشتَ فى جوه المضمخ بالعِطر
ندِى الظلال والنسمات
رافعَ الرأس للسماء تنادى
مستجيب النداء والدعوات
مبدع الحسن فى البساط الذى
مدَّ على الأرض من كريم الهبات
راجيا منه أن يفيض على الوادى
زلالاً من طيب النغمات
هكذا عشتَ بين قوم هواهم
فى صفاءِ القلوب والنيات
فتنسمت خالص الود منهم
وتبينت صادِقَ العزمات
ثمَّ شاهدتَ كيف يجنون خيرَ
الأرضِ بالكدِّ والكفاح العاتى

تحية الشعر





فتساميْتَ فارعَ العُود تهفُو
للسَّنا الجليل من غَايات

حبُّ مصر وقد حَنَوْتَ عليها
فى شباب منضّر الصّفحات

حبُّ أمن لها ورغْد مِنَ العَيش
ويمن فى الرّزق والأقوات

حبُّ نصر لجيشها وسلام
يغمرَ الشّرق بالرخَاء المؤاتى

كلُّ هذا حملتَه فى حنايا
قلبك المسْتهام بالحسنات

ثم حققت مايطيبُ من الخيْر
ومهّدْت للزمان الآتى

يارفاقى حيوا منارَ الأمانى
واحتفوا بالتّرحيل فى المهجات

ثم ضُموا القلوبَ حولَ الذى
سادَ ، ونادُوا بأجهر الأصوات

عاشَ راعى الحمى أمينا وعاشت
مصرُ تدعُو لهُ بطول الحياة



أحمد رامى

ماجالَ فى خاطرى أنى سأرثيها
بعد الذى صُغْتُ من أشجى مغانيها
قد كنت أسمعها تشدو فتطربنى
واليوم أسمعنى أبكى وأبكيها
صحبتها من ضحى عمرى وعشت لها
أدوفُ شهد المعانى ثم أهديها
سلافة من جنَى فكرى وعاطفتى
تُديرها حولَ أرواحٍ تناجيها
لحنا يدب إلى الأسماع .. ينهرها
بما حوَى من جمال فى تغنّيها
ومنطقا ساحرا تسرى هواتفه
إلى قلوبٍ محبّيها فتسبيها
وبى من الشجو من تغريد ملهمتى
ما قد نسيتُ به الدنيا وما فيها

وما ظننت وأحلامي تسامرني
أني سأسهر في ذكرى لياليها
يادرة الفن يا أبهى لياليه
سبحان ربي بديع الكون باريها
مهما أراد بياني أن يصورها
لا أستطيع لها وصفا وتشبيها
فريدة من عطاياه يجود بها
على براياه ترويحا وترفيها
وآية من يدنه لا يمن بها
إلا على نادر من مستحقيها
صوت بعيد المدى رياء مناهله
له من النبرات الغر صافيها
وآهة من حميم القلب ترسلها
إلى جراح ذوي الشكوى فتشفيها
وفطنة لمعاني ماترده
تجلو بترنيمها أسرار خافيها
تشدو وتسمع نجوى روح قائلها
وتستبين جمال اللحن من فيها
كأنما جمعت ابداع ناظمها
شعرا وواضعها لحنا لشاديها
يا بنت مصر ويارمز الوفاء لها
قدمت أغلى الذي يهدى لواديها
كنت الأنيس لها أيام بهجتها
وكنت أصدق باك في مآسيها

ظللتِ منذُ الصبا تطوين شقتها

وتبعثين الشجى فى روح أهليها

حتى رفعتِ على أرجائها علَما

يَرِفُّ باسمك فى أعلى روابيها

وحين أحدقَ بالأرض التى نشرت

عليك أفياءها شر يعنّيها

أهبتِ بالشعب أن يسعى لنجدتها

بالمالِ والجهد إحياء لماضيها

وطفتِ بالعرب تبغين النصير لها

والمستعان على إقصاء عاديها

حتى إذا صدقت فى العون همتهم

وجاءها النصر وانجابت غواشيها

عادَ الصفاءُ لها وارتاح خاطرها

بعد القضاء على ماكان يغشيها

وأقبل الغربُ يسعى فى مودتها

لما رأى من طموحٍ فى أمانيها

يامن أسيتم عليها بعدَ غيبتها

لاتجزعوا فلها ذكر سيبقيها

وكيف تنسى ؟ وهذا صوتها غَرِد

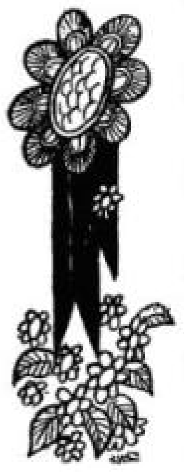
يرنّ فى مسمع الدنيا ويشجيها

أضفَى إلهى عليها ظلّ رحمته

وظلّ من منهل الرضوان يسقيها

تبلى العظامُ وتبقى الروح خالدةً

حتى تردُّ إليها يوم يحييها



الإمام الأكبر
د. عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

دور التصوف في حياة الإنسان المعاصر

بسم الله الرحمن الرحيم
« والعصر ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

ان معالم الايمان ، وسمات التدين ، والفكرة الصحيحة عن الهدف الذى من اجله خلق الانسان والمنطق السليم فى الصلة بين الله والعالم .. ان كل ذلك يكاد ــ فى العصر الحاضر ــ يندرس ويتلاشى

وانه لمن المؤكد . أن الاغلبية العظمى من الناس الآن يسيرون فى الحياة دون شعور واضح برسالة السماء ، وتوجيهها ، وهديها ! وانهم بذلك لفى خسر ، وانهم بذلك لمن الاشقياء ، ومع أن رسالة السماء ، لا تعقيد فيها ، ومع أن هدى الله سهل واضح ، فان الانسان يحاول ــ منذ أن كانت الرسالة الالهية ــ أن ينشق عليها ، وأن يقف منها موقف المتمرد .

هذه الرسالة يمكن تلخيصها فى كلمة : « الاسلام » وليس هناك من تعبير أدق ، ولا أجمل من هذا التعبير ، انه دقيق فى معناه ، جميل فى جرسه .

ورسالة الله الى الانسان : هى ان يلقى الانسان بقياده الى خالقه ، هى أن يسلم الانسان نفسه لربه ، والمسلم من أسلم لله امره ، انه الذى يعتنق مبدأ السلام مع الله ، فاذا ما اعتنق مبدأ

السلام مع الله كان قلبه سلاما بالنسبة الى نفسه : اى رضا وغبطة ، وسلاما بالنسبة الى الخلق ، فيسلم الخلق - للسلام الذى يعمر قلبه - من لسانه ويده .

فاذا ما « اسلم » الانسان فقد استجاب الى الدعوة الالهية .

●●●

هذه الدعوة التي تتسم بالتوحيد ، والوحدة والوحدانية ، والتي يعبر عنها بالاسلام : تختلف في موقفها بالنسبة لتوجيه الانسان ، بحسب موضوع التوجيه ، ذلك انها توجه الانسان بالنسبة للطبيعة ، للكون المادى للعالم الحس ، وفى هذا المجال تأمره أمرا ، وتفرض عليه فرضا ، أن يغزو هذا العالم : فيصل الى أعمق أعماق الارض والبحار ، ويرتفع فى الأفق الى أبعد ما يصل اليه العلم بوسائله وآلاته ، ويغزو الفضاء فيما بين السماء والارض ، وتترك له الاختيار فى استخدام الوسائل ، لذلك : لا حجر عليه فى الحرية ولا تضييق .

وموقف الدين الاسلامي من العلم واضح كل الوضوح ، فأول كلمة فى الدستور الاسلامي : « القرآن » هى : « اقرأ ... » ثم ان الآيات القرآنية التى تحث على العلم ، وتبين فضل العلماء كثيرة : يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وقل رب زدنى علما » ، ويقول الله تعالى : « يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ... »

ويقول تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء ... »

أما الاحاديث النبوية : فانها هى الاخرى كثيرة ، من أجمعها : الحديث الذى رواه أبو داود ، والترمذى ، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« من سلك طريقا يبتغى فيه علما ، سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ، ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما : انما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

وقد وضح هذا الاتجاه فى القرآن ، وفى الاحاديث الشريفة ، وضوحا بينا ، فاندفع المسلمون الى البحث فى جميع ميادين الحياة : روحية كانت أو عقلية أو مادية ...

ونشأ عن ذلك : الحضارة الإسلامية التى انتجت امثال : جابر بن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعيات ، وابى بكر الرازى فى الطب ، وابن سينا فى الطب كذلك والفلسفة ، والغزالى فى الجانب الروحي، وابن رشد فى الفلسفة العقلية ، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ ، وكثيرين غيرهم .

وقد أشاد كثيرون من منصفى الغربيين بالحضارة الاسلامية وبمناهجها يقول (جوستاف لوبون) :

« ويعزى الى بيكون ، على العموم : انه اول من اقام التجربة والملاحظة اللتين هما اساس المناهج العلمية الحديثة ، مقام الاستاذ . ولكنه يجب أن نعترف ، قبل كل شيء ، بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم » .

ويقول العلامة الشهير : « همبولد » بعد أن يذكر أن ما قام على التجربة والملاحظة : هو أرفع درجة فى العلوم : « ان العرب ارتقوا فى علومهم الى هذه الدرجة التى كان يجهلها القدماء تقريبا » .

ويتبين لنا من هذا ان الإسلام :

● يحث على العلم ويشجعه ، ويدعو اليه ، ويأمر بالاستزادة منه .

● وأن روح الاسلام هذه انتجت حضارة خصبة عمت جميع زوايا الحضارة المادية وجوانبها .

بيد أن « اقرأ » ، أو الامر بالعلم والثقافة فى الاسلام قيد بأن يكون :

دور التصوف في حياة الإنسان المعاصر

« بسم ربك » ، وبذلك ينتفي الايذاء والضرر في العلم ، وبذلك أيضا تفترق حضارة الاسلام في هذا الجانب عن الحضارة الغربية ، فالحضارة الغربية لم تنشأ : « بسم الله » وانما نشأت : باسم العلم · ومن أجل ذلك سخرت العلم في التشكيل ، والدمار ، والاستعمار ، واشقاء الانسانية !

وحضارة الاسلام نشأت بسم الله ، ولم تنشأ باسم العلم ، ومن أجل ذلك كان هدف العلم في الاسلام ارضاء الله واسعاد الانسانية ··· هذا شأن الاسلام بالنسبة للكون المحس على أن : « اقرأ بسم ربك الذي خلق » حينما تقيد العلم والثقافة بأن يكونا : بسم الله ، وحينما تصبغ دراسة الكون بصبغة التوجه الى الله ، فانما تضعنا مباشرة أمام توجيه الهي سافر — لا لبس فيه — يرشدنا الى وجوب اعطاء جميع الاعمال التي نقوم بها ، صورة العبادة : ذلك أن ما كان بسم الله ، فهو عبادة ·

وان « اقرأ بسم ربك الذي خلق » تنص على ان القراءة لا تكون باسم منفعة شخصية ، ولا باسم مصلحة القليمية ، ولا باسم غاية مادية أيا كانت، ولا باسم وزير ولا أمير ، ولا باسم وطن أو بيئة ، وانما هي : بسم الله ، واذا كانت بسم الله ، فانها تفيد الشخص باعتباره فردا ، وتفيد المجتمع الخاص الذي نسميه : « وطنا » ، وتفيد المجتمع الاسلامي العام ، بل وتفيد الانسانية جمعاء ·

اذا ما تجردت القراءة لله تعالى ، وكان هدفها الاول والاخير هو : « الله » مصدر الخير والنور ، كانت خيرا ، وكانت نورا في جميع الارجاء ، وفي جميع الأزمان ·

وما كان يقصد القرآن قط بهذه الكلمة الاولى ، القراءة وحسب وانما كانت القراءة رمزا لكل ما يأتيه الانسان في الجانب الايجابي وكل ما يدعه الانسان في الجانب السلبي ·

ان هذه الكلمة الاولى ، تريد أن تقول : اقرأ باسم ربك ·· تحرك بسم ربك ، تكلم بسم ربك ، اعمل بسم ربك ··· أما اذا امتنعت عن حركة أو فعل ، فينبغي أن يكون ذلك أيضا بسم ربك ، ويكون معنى الآية في النهاية : جرد حياتك كلها وكيانك كله : أسبابا وغايات لله سبحانه وتعالى ·

واذا كانت الآية الكريمة واضحة المعنى في الجانب الايجابي ، الذي يحث على القراءة ، والذي يحث على أن تكون القراءة بسم الله ، فان الجانب السلبي — قد نزلت فيه — فيما بعد — آيات صريحة الدلالة ، واضحة المعنى ، يقول الله تعالى : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وانه لفسق » ·

واما ما ذبح على النصب : فلم يرد به الذابح وجه الله تعالى ، فهو أيضا فسق ، لأنه لم يذكر اسم الله عليه ، فكل ما لم يذكر اسم الله عليه يجب الآن الامتناع عنه ·

اما الاقدام عليه ، فانه فسق يتفاوت في درجته من الرجس ، زيادة ونقصانا ·

وهكذا يضعنا الاسلام منذ «اقرأ بسم ربك » أي منذ اللحظة الأولى من تاريخه، على قمة الاخلاص ، وعلى قمة الاحسان، وفي خضم من التقوى ، وعلى السنام من الصدق · فما دامت الحياة كلها لله ، فليس هناك مجال للكذب ، والرياء والنفاق ، والخديعة ، وارادة غير الله بالاعمال ·

وازالة لكل لبس في هذا الجانب ·

وحبا في أن يسير الانسان في الحياة على بينة من أمره – فيهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيى عن بينة – حدد الله ، سبحانه وتعالى تحديدا واضحا كل الوضوح – الغاية التى خلق الانسان من أجلها ، يقول سبحانه :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

والاسلام يريد بذلك أن تكون حياة الانسان فى جميع اتجاهاتها ، وفي جميع جوانبها وزواياها .. حياة الانسان أسسا وبواعث .. وحياة الانسان وسائل ومناهج .. وحياة الانسان أهدافا وغايات ... يريد الاسلام أن يكون كل ذلك : عبادة .

وليس ذلك بالامر المستحيل ، فالعمل الواحد يعمله شخص من الاشخاص ، فيكون عملا دنيويا ، ويعمله شخص آخر فيكون العمل دينيا .

بل ان العمل الواحد يعمله الشخص الواحد فى وقت ما ، فيكون دنيويا ويعمله هو نفسه في وقت آخر فيكون عبادة ، وكل ذلك انما هو بحسب النية ، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه » .

فاذا ما أراد الانسان بعمله وجه الله كان العمل : عبادة مهما أغرق فى الصورة الدنيوية ، وأحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيهذا الجانب كثيرة معروفة .

بيد أن العبادة من ناحية قيمتها الروحية : درجات لا تحصى ، انها قد تكون شكلا من الاشكال ، مجرد شكل ، لا قيمة لها ، ولا وزن فى مقاييس الروح وموازينها ! وقد تسمو وتسمو ، فتصل الى : « أن تعبد الله ، كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك » .

ولقد كان الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، المثل الاعلى لنا فى أن نعبد الله ، كأننا نراه ، أو فى أن نرى الله فى جميع ما نأتى وما ندع ، فى الكون نذلله ونسخره ، وفى المجتمع نصلحه ونهذبه وفيالعمل نتقنه ونخلص فيه وفي الحديث نتحرى فيه الصدق والامانة ...

لقد حول الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، الحياة الى عبادة ، فكان العمل عبادة ، وان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا السعى علىالمعاش، والجهاد عبادة وان افضل الاعمال : الايمان ، ثم الجهاد .

ولقد وصل الامر به صلوات الله وسلامه عليه : أن جعل الاكل والشرب والمشى عبادة .

وهكذا أصبحت الحياة حركة وسكونا لله ، سبحانه ، فأصبحت الحياة كلها عبادة : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياىومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وانا أول المسلمين » .

ولقد وضح هذا الاتجاه منذ اللحظة الاولى للوحى : « اقرأ بسم ربك الذى خلق » ثم أن القرآن كله فسره ، ووضحته أعمال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : الحياة عبادة ، الانفاس، والحركات ، والسكنات والنوم ، واليقظة ، الحياة كلها بل ، والموت عبادة .

تلك هى حياة الصوفية ، وذلك هو منهجهم ، وذلك هو معنى الدين ، وهو معنى : الاسلام ، وهو ما أراده الله بصريح اياته الكريمة وهديه المستقيم .

ان توضيح هذا ونشره ، والعمل على احياء معنى الدين ، ونشر الشعور الدينى ، وبيان معنى : « الاسلام » وقيادة الامم – من أجل سعادة الانسانية – لتسلم وجهها لله ... ذلك هو المهمة الاولى لعلماء الدين : اجل مهمة ، واسمى وظيفة ... انها وظيفة الانبياء والرسل .

هذا وبالله التوفيق .



« شعر الطبيعة » باب طريف في تاريخ الادب العربي . فقد اخذ مكانه فيه حين اتممت في بداية الاربعينات البحث عن : « شعر الطبيعة في الادب العربي » ، ونلت به درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة . وظهر في كتاب قدمه الدكتور محمد حسين هيكل . فكان مما قال تعريفا بالموضوع :

« تعرض بعض مؤرخي الادب العربي للوصف في الشعر العربي ، لكن هذا التعرض لم يعد الاشارات العابرة تتناول اللغة وسلامتها والبيان وبلاغته ، وتستشهد بامثال متصلة بغير الطبيعة اكثر من اتصالها بالطبيعة . بل ان جمهرة شعر الطبيعة قد بعثرت الدواوين والمجموعات الشعرية في ابواب الغزل والمدح والحماسة ، وفرقته في الاغراض المختلفة . اما الطبيعة لذاتها ، وما تركته من اثر في نفس الشاعر او الكاتب ، ومبلغ امتزاجه فيها او امتثاله اياها ، وتفسير هذا الشعور وتطوره في البيئات والعصور ـ فذلك بحث آخر لم يخصه احد قبل الدكتور سيد نوفل بعنايته ، ولم يختص به كتاب ما اختص كتابه : شعر الطبيعة في الادب العربي » .

« وهو مع ذلك بحث ما اجدره ان يكون اول ما يقف عنده مؤرخ الادب في كل اللغات . فالبيئة الطبيعية هي الملهم الاول لكل كاتب وكل شاعر ، بل هي الملهم الاول لكل فن من الفنون .. كذلك كانت ، وكذلك لا تزال .

ولن تزال · فهذا الراعي الذي يهش على غنمه في الصحراء ، أو في المراعي الخضراء ، أو على حافة الغدران ـ يجد من تقلب ألوان الليل والنهار والشمس والقمر ، ومن أصوات الوحش والطير ، ومن شميم النبات والزهر · ما يحرك أصابعه على قيثارته ، أو يحركه الى الغناء بوحي من هذه البيئة المحيطة به ، ومن مشاعر الغبطة أو الخوف أو الرجاء أو الحزن المتأثرة بها نفسه ·· هذه هي البواعث الأولى للفن وللأدب في العصور الماضية ، وهي بعينها بواعث الفن والأدب الأولى في كل عصر · زواج بين النفس والطبيعة يخلق في النفس حالات من الوجدان تستحيل شعرا ، أو تستحيل موسيقى ، أو تستحيل نقشا وتصويرا · فاذا تطور الانسان من حال البساطة البدوية الى حال الحضارة ومركباتها ، وتطورت كذلك حالات الوجدان ، التي تنطبع في نفسه عن وحي الطبيعة المحيطة به ، من البساطة الى التركيب ، ثم بقي مصدر الالهام هو بعينه هذا الزواج بين النفس والطبيعة » ·

وحين طلب « الهلال » أن أكتب عن « شعر الطبيعة في الأدب العربي القديم » تذكرت حديث الاستاذ العميد الدكتور طه حسين معي ، منذ ستة وثلاثين عاما ، حين اقترحت « شعر الطبيعة في الأدب العربي » موضوعا لرسالة الدكتوراه ، فقال : « وهل في الأدب العربي شعر للطبيعة ؟ » ، وحين شرحت بعض ما انتهت اليه دراستي ، أجاب : « سر على بركة الله ·· واذا نجحت أديت للأدب العربي خدمة باقية على مر الزمان » ·

وكان هذا أعظم تشجيع من استاذ مرموق لباحث يطمح الى أن يضيف للمعرفة جديدا · »

تعريف بنشأة الموضوع

وحين اخترت هذا الموضوع كنت متأثرا بما طالعته في الأدبين الانجليزي والفرنسي من شعر الطبيعة ، ذلك الاسم الذي أطلقه النقاد الغربيون على الشعر الذي ساد لأواخر القرن الثامن عشر في حركة الرومانسية الأوروبية · وكان من أهم مظاهرها الحرية في الأدب ·· ونبذ التقليد ، والتخلص من التبعية لمقاييس القدماء من اللاتين واليونان ، والايمان بأن العبقرية الأدبية هبة وقانون معا ·· وكانت هذه الحركة ذاتها أحد مظاهر الحركة العامة لتحرير الفرد في القرن الثامن عشر ، كما كانت الثورة السياسية مظهرا لها ، وكما كانت الثورات الفلسفية والخلقية والدينية مظاهر اخرى ··

لكنني لم اقصد اخضاع الأدب العربي لمعايير اجنبية ، أو تعريف احد فنونه بما ليس من طبيعته · فقد انكرت ذلك على غيري ، ووجدت فيه قصدا خطرا على البحث الفني ، ومباعدة بين الفن وتاريخه من ناحية ، وبين حاضره وماضيه من ناحية اخرى ·· لكن الفن العربي اذا



عن شعر الطبيعة في الأدب العربي القديم

برز بين الفنون العالية فى موضوع ،وسبقها فيه بقرون طويلة ، كان من المتعين تقديم هذا الموضوع للعرب وللعالم ، توثيقا لفكرنا القومى من ناحية ودعما لروابط الفكر العالمى من ناحية اخرى ..

ومهما يكن من شيء ، فطبيعة الحياة العربية تؤكد ماروى من ان العربى القديم كان يحدو ابله ، وانه بدا هذا الحداء بترديد عبارات قصيرة يستعين بها على مشقة السفر كما ان الزارعين فى واحات النخيل وغيره كانوا يغنون استعانة على العمل ، وان هذا الغناء وذاك الحداء تطورا حتى صارا من مواد الشعر الاولى ، وان الطبيعة كانت موضوعاتها اكثر هذه المواد ... ويدل على هذا القدم المأثور من الشعر العربى ، اذ وصف الصحراء وحيواناتها وظواهرها الطبيعية وصفا سداه الملاحظة ولحمته الشعور الذاتى، وبدت فيه الابل والخيل مستولية على فؤاد العربى تمام الاستيلاء ..

وعبر ابراهيم بن هانىء عن صلة الشعر العربى بالطبيعة حين قال فى رواية الجاحظ :

« ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر اعرابيا » . فكانه يقول ان الشعر العربى لا يبلغ درجة الكمال الا اذا كان الشاعر سليل البادية مهبط الشعر ، وان صدور الشعر من ابن بيئته المعبر عن ذاته ومقوماتها له من اسباب التفوق ما لا يتوفر لغيره .. ولهذا قدموا شعراء الوبر على شعراء المدر . بل قال الاصمعى ان سبيل الشعر هو وصف الحياة البدوية ، بطبيعتها وحيواناتها ، فاذا أخرج عنها لان وضعف ..

وظلت الطبيعة منزل الوحى للشاعر العربى . تنطلق فيها نفسه ، وتجود قريحته . ومن هنا قال المرزبانى فى موشحه ان زهير بن ابى سلمى كان يلجأ الى البادية حين يستعصى عليه الشعر .

وقال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ان « كثير » الشاعر سئل : « كيف تصنع » يا أبا صخر ، اذا عسر عليك قول الشعر ؟ » ، فقال : « اطوف على الرباع المحيلة ، والرياض المعشبة ، فيسهل على أريشه ، ويسرع الى أحسنه .. » فالشعر العربى ابن الطبيعة . منها نشأ ، وفى احضانها ترعرع ، وبمثلها العالية بلغ الكمال ...

الوقوف بالديار والاطلال

وامرؤ القيس هو أول الشعراء العرب ، الذين اغتنوا شعر الطبيعة بصور بارعة للبيئة العربية بحيواتها الانيس والوحش ، ومطرها ورحلة صيدها ، وفلسفة الطبيعة ، وبثها الامه ، حتى بدت كأنها جزء من نفسه أو صورة لها ، صيغت على غرارها وتحققت لها امواؤها ومشاعرها واحاسيسها .

ومن اطرف الالوان لشعر الطبيعة عنده الوقوف بالديار والاطلال، وان لم يقدرها مؤرخو الادب العربي حق قدرها ... والديار هنا لا تعنى المنازل الخاصة ، وانما تعنى الوطن او البيئة . ولهذا نراه حين يبكى المنزل في المعلقة يحدده بما بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة ، ويذكر دمنه وسهوله .

ويحدده بمواقع اكثر فى قوله :

غشيت ديار الحى بالبكرات فعارمة فبرقة العبرات
فغول فحليت فاكناف منعج الى عاقل فالجب ذى الامرات
وهذا شأن سائر الشعراء الذين اتبعوا امرأ القيس فى بكاء الاطلال

وقد وسع زهير رقعة الدار من بعدحين قال :

ودار لها بالرقمتين كانها مراجع وشم فى نواشر معصم



فقد قالوا ان الرقمتين ، احداهما قرب المدينة ، والاخرى قرب البصرة ، وانما صارت ها هنا حيث انتجعت ».(١) ..

ويحدد غيرهما من الشعراء الديار بمواضع عدة قد تقرب من العشرين .

فالشاعر يبكي المنزل الكبير او الوطن ويتخذ من رسوم المنازل الدارسة وسيلة لاثارة الذكريات في البيئة كلها .

يقول امرؤ القيس في المعلقة : قفا يا صاحبي نبكي الحبيب ، فقد كان ينزل في هذا الاقليم الذي لم يندرس رسمه ، رغم عاديات الزمان وحملات الرياح . وهاانت ذا ترى بعر الظباء منتثرا في الدمن والسهول كحب الفلفل . لكن صاحبي يطلب الى التجلد ، وما علم ان شفائي في اراقة الدموع ، وان الوقوف بالرسوم لايعدو ان يكون وسيلة ، لا غناء فيه لذاته . ثم يتحدث عن حبه ومغامراته في أحضان الطبيعة .

ومطلع قصيدته :

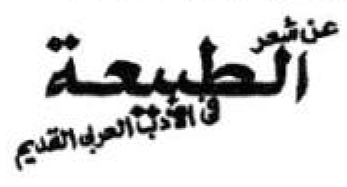
الا عم صباحا ايها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي !

مثل واضح لغناء الشاعر في البيئة واتخاذه الطلل وسيلة ينفذ بها الى اعماق نفسه فيثيرها حتى تتم الصلة بينها وبين البيئة . فيبدو الرسم الدارس انسانا له اخلاقه واوهامه وشقاؤه وبؤسه ، وقديمه وحديثه فيقول : اسعد صباحا ايها الطلل البالي . وهل يسعد من اسن وهرم ! ما السعادة الا للحدث لا هم ولا شواغل ولا فكر ، اما عهدك بالنعيم فقد بعد وكرت عليه الايام والعوادي حتى بليت جدتك كما بليت ديار الحبيبة ، وتغيرت بكر الامطار المتصلة عليها ! ثم يذكر الحبيبة بين الظباء والوديان بنبتها ، وخزاماها والابار ، والجبال ..

وكم اوى امرؤ القيس الى الطبيعة والصحراء في البيئة الحبيبة بآفاقها وبذكرياتها ، فاظل رداءه فوق راسه ، وقعد يعد الحصى ، ويسكب العبرات الهتون ، شاكيا نكرات الايام وهموم الزمان ؟ !

---

(١) شرح ديوان زهير ، ط دار الكتب : ص ٥



وكم اشجاه البصر بالطلل البالي حين انقضى عهـــد الحب ، فقام يبكي الهوى ولياليه ، اذ كان يدعوه الغرام فيجيب ، واعين الحبيب رِوان اليه !

ويقول :

لمن طلل داثر آيـــــــه — وغيره سالف الاحـــرس
تنكره العين من حـــادث — ويعرفه شـــغف الانفس

فترى نفسه قد امتزجت بالاطـــلال حتى لتتبينها في غير حاجة الى اعلام ماديـة تبين عنها ، ولا يخفيها التغير في الشكل المادي ، فهذا ينطلي على البصر اما صلته فقـــوامها النفس وشغفها •

وما اشد معنى الفناء في الطبيعـة والاحياء لها في قوله :

الما على الربع القـديم بعسعسا — كأني انادي او اكلم اخرســا !

فهو قد ضاق بالربع ، لقـــوة ما احياه في نفسه ، حين لم يرجع اليـــه جوابا ، فنعته بالاخرس ، واسـتجار من صمته •

وكذلك تهيأ لامرىء القيس معنى الفناء في الطبيعة في الوقوف بالاطلال على نحو اتم مما تهيأ له في غيرها من موضوعات شعر الطبيعة ، وان تم له فيها جميعا معنى الفتنة والحب •

وبعد ، افليست هذه المناجاة للرسوم والاطلال والباديـة ورهبتها مما يتجلى فيه معنى الربط التام بين الشـــاعر والطبيعة حتى يشكو اليها الوجد ، ويبثها ما في نفســـــه ويستعينها ، وكثيرا ما تعينه !

وما الفرق بينها وبين صـــنيع لامارتين «Alphonse de Lamartine» حين وقف ببحيرتي : بورجيه وليمان «Bourget et Leman» فاسى حين لم توافه الحبيبة ، وقام يبكي ويذكر سوالف الحب ، وكيف كان يمتع النفس مع من احب بجـمال الطبيعة وعذوبة الغرام !

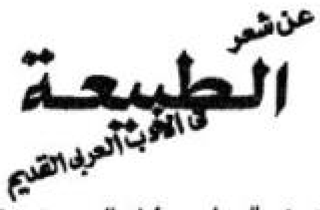
ثم ما الفرق بينها وبين صـنيع بيرون حين وقف ببحيـرة ليمان في تجواله ، بعد ان ضـاع حبه ، يطلب الدفء لفؤاده ، والسـلوان لقلبه ، ويتمثل صوت الحبيبة في انسـياب المياه !

ان البعد عن تصور البيئة البدوية ووحيها هو الذي يخيل الفرق بينهما • لكن لا جرم ، انه الشـــاعر في الحالين ، قد اتخذ البحيرة في الحضر رمزا ودليـــلا لحبه ، كما اتخـذ الطلل البالي في البـــادية ، حيث لا امواج ولا بحار ، وانما هي رمال وجبال •

ويتصل ببكاء الاطلال ويصحبه وصف رحيل الاحبة بين مناظر البيئة كما جاء في الابيات التي اولها :

فشبهتهم في الآل لما تكمشـــوا — حدائق دوم او سـفينا مقيرا

فقد صور مراكب الاحبة فوق ظهور الابل على مثال حدائق الدوم ، والسفن السوداء ، والنخل العالي ، وما على الهوادج من الوشي باحمرار البسر في



خضرة النخل قد حمته بنو الربداء من أهل البحرين حتى اثمر وأينع ، ثم أتى عمال كسرى لجبايته يتأملون فيـه وينعمون النظر اعجابا ٠

وقد جمع بين معـانى البادية ومعانى الحضر بقدر ما يتصـل بالبدويين فى ايجاز بديع ٠ جمـع بين الجمل والسفينة ، وبين جدب البادية واعتمام الزهر ووفرة الثمر ٠ وبدت نغمة الأسى فى حديثه عن هذا الثمر الذى ينضـجه ويجنيه اخرون واستطاع ان يجلى هذا المنظر البدوى الرهيب لارتحال الاحبة فى صـورة مزدهرة مشرقة ٠

الطبيعة في شعر الصعاليك

وهناك لون طريف آخر من شعر الطبيعة فى الأدب العربى ، هو شعر الصعاليك ٠٠ والصعاليك هم طائفة من العـرب يلقبون كذلك بالعدائين . يسـبقون الخيل ولا تلحقهم ٠ مثل الشنفرى ، وتابط شرا ، والسليك بن السلكة ، وعمرو بن البراق ، وأسيد بن جابر ٠

وكتب الأدب تطنب فى حـديث هذه الجمـاعة ٠ وكيف اتخذت النهب والسلب حرفة ومعاشا ٠ ووردت أشعار لبعضهم تمثل حياتهم ، وكيف يلوذون بالصحراء ووحشـها فرارا من بنى الانسان ٠

ومن الشعر المنسوب للشنـفرى القصيدة المعروفة بلامية العرب (١) وفى هذه القصيدة يفضل الشاعر النمر والذئب والضبع على قومه ، ويقول انه قد اتخذ منهم اصدقاء اكثر وفاء له من اهله ، وانه يعيش على القوت الزهيد كذئب اغبر ضـامر يحيا فى الفلوات الجدباء ٠ أصبح جائعا فانطلق بين الشعاب يسابق الريح بحثا عن القوت ، حتى اعياه البحـث ، فدعا أصحابه الذئاب ، فسـارت اليه هزيلة شيب الوجوه ، كأنها منه السهام من اللاعب يحركها فى يديه ، أو رئيس النحل فر حاضا جماعته على اللحاق به حين أثارهم مشتار العسل بعيدانه ٠

وهذه الذئاب بشـعة الخلق ، مغبرة الوجوه ، مشـقوقة الافـواه ، فاتحة ايـاها كأن جوانبهـا عصى مشقوقة ٠ وحين اجتمعت من حوله فى فضاء الأرض ضج بالبـكاء ، فضجت من بعده ، كأنه واياها نائحات ثكل ٠ لكنها لم تلبث أن اقلعت عن البـكاء ولاذت بالصبر ، فما هى بأول من فقد

---

(١) قصيدة تبلغ ٦٧ او ٦٨ بيتا ٠ وقيل انها من وضع خلف الاحمر ، وانه اظهر فيها براعة فائقة فى الشـعر على مذاهب العرب القديمة ٠ واذن فيمكن أن تمثل لون شعرهم على الحالين ٠ راجع الامالى : ج ١ ص ١٥٦ ، والنوادر : ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥ ٠ ومطلعها :

« اقيموا ، بنى امى ، صدور مطيكم   فانى الى قوم سـواكم لأميل »

الزاد • وما أجمل الصبر حيث لا تنفع الشكوى ! وهكذا حين عضت الصيد ركنت الى الصبر مستعينة به على شدة الجوع •

ولا جرم أن هذا تمثيل بديع لحال الذئاب الجائعة ، يفسر بمدى ألف الشاعر للوحش ، واندماجه فيه ، وبراعته فى اسباغ الصفات الانسانية عليه ، من نظام الجماعة والجزع ، والتأسى والصبر • كما أنه قد أحسن التصوير ، وجعله واضحا مشخصا ناتئا ، يقسر القارىء على مشاركته العطف على هذه الجماعة وحالها ، والجزع لفقدانها الصيد ، وان كان الصيد عدوانا •

وانتقل من وصف الذئاب ، أوعلى الاصح حالها ، الى وصف حال الطير وسبقه اياها الى الشراب فقال : أنني أسبق طير القطا الى الشراب ، فيشرب فضلاتى بعد ان يمضى الليل ضاربا جنبيه بجناحيه • لقد سرت واياها الى الماء مشمرا عن ساعد الجد وهى متثاقلة حتى سبقتها ، فشربت وانصرفت وهى لا تزال دانية من الماء ، تسقط لوجهها من شدة السير فتقع أذقانها وحواصلها حول الماء ، ولها ضجة كأنها جماعات القبائل نزلت بعد طول السفر حول المنهل ، أو طوائف الابل وردت الماء من أنحاء متفرقة •

وهذا التمثيل يشبه تمثيل الذئاب من ناحية الالف والانسانية ، ويدل كذلك على مدى اندماج الصعلوك العربى فى الطبيعة الحية •



وقد عبر تأبط شرا عن حياة الصعاليك بقوله :

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ويصبح لا يحمى لها الدهر مرتعا (١)

كما وصفها مسهبا في قصيدته :

يا عيد ما لك من شوق وايراق ومر طيف على الاهوال طراق (٢)

ونسبت اليه قطعة من أربعة ابيات (٣) ، وردت في معلقة امرىء القيس جاء فيها :

انه جاب واديا قفرا ، حاملا قربة على كاهله ، والذئب يعوى ، فلقيه لقاء الصديق وقال له : كلانا بائس لا يبقى على شيء في يديه .

وهذا التصوير يتفق مع حياة هذه الجماعة التي اشتد نفورها من بنى الانسان حتى صادقت الذئاب ، ووجدت في حالها ما تتعزى به عن بأساء الحياة ، وفلسفت حياة الوحش ، مصورة لها في صورة انسانية كاملة .

شعر الطبيعة والصيد

ولم يكن الصعاليك وحدهم المتميزين بهذا اللون من الف الحيوان وحشيه وانيسه ، وانما كان شائعا عند كثيرين من معاصريهم ، وخاصة في الحديث عن حيوانات الصيد كالكلب والعقاب وما تفترسه من حيوانات البادية .. ومن ذلك حديث عبيد بن الابرص (٤) عن وصف العقاب في معركة الصيد ، اذ يقول : انها باتت على ربوة صائمة كعجوز يمنعها الثكل تعدو في سهل فسيح ، فنفضت ما على رأسها من الجليد والندى .. وجرت تطارد الثعلب ، فرفع ذنبه واخذ يتخبط في سيره فزعا من مطاردتها

---

(١) شرح الحماسة ، ط لندن : ص ٢٤٢

(٢) خزانة البغدادى ، طبعة المطبعة الاميرية : ص ٦٦ ، والحماسة : ص ١ و ٣٢ و ٢٤٢ و ٢٨٢ ، والشعر والشعراء : ص ١٠٧ ، والامالى ، ط دار الكتب المصرية : جـ ١ ص ٣٨ و جـ ٢ ص ١٢٨ و ٢٧٧ ومجموع اشعار العرب ، ط برلين سنة ٩٠٢ : جـ ١ ص ٣٥

(٣) رواها الاصمعى وأبو حنيفة الدينورى وابن قتيبة لتأبط شرا ، وخالفهم العسكرى فقال انها لامرىء القيس واكثر الائمة على انها لتأبط شرا ، ويرى المحدثون انها اشبه بشعر الصعاليك .

(٤) من البيت ١٦ ـ ٢٦

له ، ثم انسابت نحوه مسرعة ، فانقلب بياض عينيه حين لحقته وتقدمته ، ثم انقضت عليه وضرجته وهو مكروب من تحتها ، ثم طرحته على الارض الصلبة ، فادمت وجهه ، ثم عادت فرفعته وارسلته مكروبا يصوت من اثار ما اغمدت في جنبه فنقبت صدره :

كانها لقوة طلوب ... تيبس في وكرها القلوب
باتت على ارم عذوبا ... كانها شيخة رقوب
فاصبحت في غداة قر ... يسقط عن ريشها الضريب
فابصرت ثعلبا سريعا ... ودونه سبسب جديب
فنفضت ريشها وولت ... وهي من نهضة قريب
فاشتال وارتاع من حسيس ... وفعله يفعل المذءوب
فنهضت نحوه حثيثا ... وحردت حرده تسيب
فدب من خلفها دبيبا ... والعين حملاقها مقلوب
فادركته فطرحته ... والصيد من تحتها مكروب
فجدلته فطرحته ... فكدحت وجهه الجبوب
فعاودته فرفعته ... فارسلته وهو مكروب
يضغو ومخلبها في دفه ... لابد حيزومه منقوب

وهذا التمثيل يبدو حيا ، بل عظيم النشاط تتابع الانفعال فيه تتابعا ، وتشتد الحركات اشتدادا ، حتى ليبصر الانسان بالمعركة ناشبة امامه ، ويكمل فيه معنى القص والتتبع حتى يخال القارىء الشاعر قصاصا .

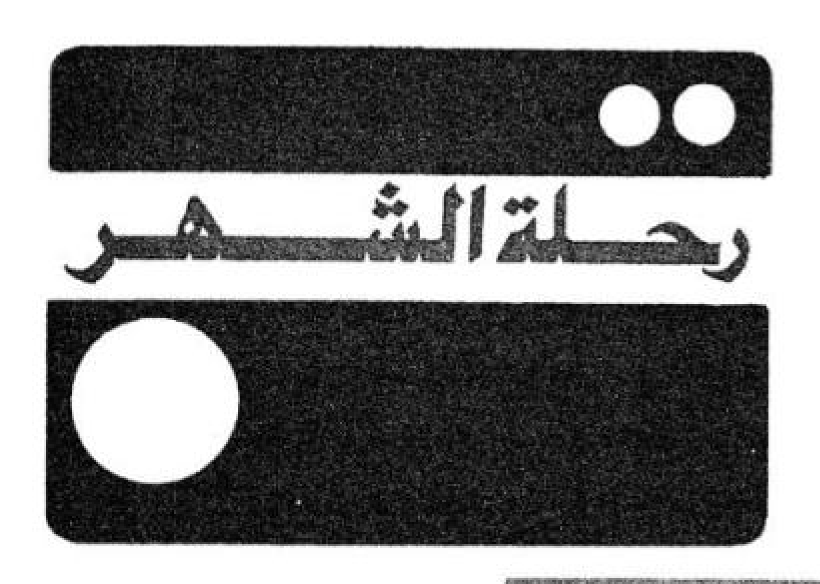
وبقدر ما اجاد في تصوير قوة الصائد وبطشه ، وعنف حركاته وسرعتها ، اجاد في تصوير ضعف الصيد واضطرابه وتخاذله وفزعه . كما ان فيه شيئا اخر جديرا بالتأمل ، ذلك هو التمثيل لبطش العقاب وغريزة القتل المركبة فيه ، حتى اذا رأى فريسته استيقظ من خموله ، وهب من ضعفه ، وثارت في نفسه كل معاني العدوان . ويقابله التمثيل بضعف الصيد واضطرابه ، واستسلامه لرحمة القدر يصرفه كيف شاء فاقد الارادة لا يبدى مقاومة ولا حراكا . ولعل هذا تمثيل للانسان القوى يفتك بأخيه الضعيف .

ويظهر ان عبيد بن الابرص كان يمثل في هذا الشعر تجاربه ومشاهداته واحساسه . فالروايات تمثله شاعرا حساسا رقيقا ، تؤلمه الكلمة ، ويعطف على المخلوقات جميعا حتى الحيات يسقيها الماء حين يجهدها العطش في الهاجرة ، كما تمثله فقيرا جاهدا في طلب العيش ، يرعى الغنم مع اخته ، ويكد في طلب القوت ، فاثارت الالام شاعريته واطلقت لسانه .

***

اما سائر الوان شعر الطبيعة في الادب العربي ، وتطور هذا الفن من الاصالة الى التقليد والجمود ثم الاحياء والنهضة ، وسماته في البيئات العربية المختلفة ، والمقابلة بينه وبين شعر الطبيعة ، في الاداب الغربية .

ـ اما ذلك كله فارجو ان يكون موضع حديث اخر .



لم تكن في الواقع رحلة شهر ، وانما كانت رحلة عام وبعض العام ...

رحلة عذاب ، بدأت في اكتوبر سنة ١٩٧٤ ، وتخففت وتثاقلت، وتثاقلت وتخففت ، الى ان أدركت مطالع هذا العام ، فانتقلت بي من معالجة سكرات الموت الى معالجة سكرات الحياة .

بدأت بثلاثة اشهر في مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، وانتهت بثلاثة اشهر مماثلة ، منها شهر في مستشفى برومتـــون بلندن ، وشهران في مستشفى رويال مارزدن ، بمدينة ساتون ، على مسيرة ساعة من لندن .

في المعادى نزلت فيجناح على النيل ، مشرف علىمدى واسع يمتد من اهرام الجيزة الى اهرام ميدوم ودهشور وسقارة .

منظر رائع حقا ...

ولكنه حينما يقترن بالرقدة الطويلة ، والالام المبرحة ، والليل المؤرق، وسلسلة الجلوكوز والانسولين والتحاليل والاشعات والابر والعقاقير ، يتحول من صورة حية الى صورة جامدة لا تتحرك طول النهار ، ولا تتبدل من يوم الى يوم ، وتصبح جهاز تسجيل للدموع والآهات والالام والحسرات .

ويخفف من بعض هذا العذاب، ما لقيت من رعاية الاطباء الذين ما لبثوا أن تحولوا الى أصدقاء خلصاء .

ويلطف من حدة هذه الشدة ، ما لقيتـــه من عطف الرئيس

المؤمن أنور السادات ، ومن لطف ذات اليد الآسية الحانية ، سيدة مصر الاولى ، قرينته .

وتنتهي الاشهر الثلاثة الاولى من المحنة ، واخرج وانا البس ثوب شفاء كاذب ، اذهب بعده الى الملتقى الاسلامي بمدينة تلمسان بالجزائر ، فلا يلبث الثوب الكاذب ان يتمزق ، واسقط هناك لاجد نفسي على سرير المرض في مستشفى تلمسان ... وما ادراك ما مستشفى تلمسان !

واتحامل على نفسي ، واعود الى مصر ، لانني اريد ان اموت على ارض مصر ..

واعود الى العمل ، بنفس الطاقة التي اعمل بها طول حياتي .. ثماني عشرة ساعة كل يوم .. ولكن الطاقة كانت هذه المرة مستعارة لا صادقة ...

مستعارة من وهم الشفاء ، ومن حب الجهاد ..

ولا البث ان اسقط مرة ثالثة في بيتي ، واستسلم للمخدع ، واسلم امرى لله ، واحس بأن شيئا مجهولا ـ غير كل ما يقوله الاطباء ـ يمهد لي طريقي الى لقاء الله .


الرئيس
انور
السادات

ويلاحقني حب الاصدقاء بالسؤال او بالزيارة كل يوم . وذات يوم يسألني الصديق الاستاذ محمود لطفي ، المستشار القانوني لجمعية المؤلفين والملحنين كيف أصبحت ، فأقول له : كما كنت بالامس ، ان لم اكن أسوأ .

فيضطر بخاطره ، ويصرخ في وجهي : الى متى تصبر على نفسك والحالة تسير على هذا الوجه ؟

فأقول له : الى ان القى وجه الله .

وينتهي حديثنا ، ويهرع هو الى صديق العمر ، موسيقار الجيل ، الاستاذ محمد عبد الوهاب ، ويقص عليه ما دار بيننا ، فيضطرب خاطر عبد الوهاب هو الآخر ، ويتصل بي ، ويقول في حزم : كيف تصبر على نفسك ، ولماذا لا تطلب ان تعالج في الخارج ؟

قلت له ـ وهذه حقيقة من حقائق حياتي منذ طفولتي ـ انني ما تعودت ان اطلب من احد شيئا لنفسي .


يوسف
السباعي

فأنهى الحديث ، واتصل من فوره بالصديق الحبيب يوسف السباعي ، وزير الثقافة والاعلام ، وفي غمضة عين ، وجدت يوسف السباعي فوق رأسي ، يلومني على قولي اني لا أحب أن أطلب من احد شيئا ، لان الدولة ليست احدا ، وانما هي الدولة التي نحرق حياتنا جميعا في سبيل مجدها وعزها ، ومن حقنا عليها أن تقف معنا في محنتنا .

وفي ايام معدودة ، انجز يوسف السباعي ـ رعاه الله ـ اوراق السفر ، وذهبت الى لندن .

خرجت من القاهرة مستندا الى ذراعي الصديقين حسن عبد المنعم ، رئيس اتحاد الاذاعة والتليفزيون ، وعبد الرحيم سرور ، رئيس هيئة التليفزيون .

اما في لندن ، فما كان اقسى المشهد على نفسي حين رأيتني محمولا من سلم الطائرة الى السيارة على كرسي ذي عجلتين ، يدفعه

رحلة الشهر

أحد عمالى المطار ، ونظرات الاشفاق بادية فى عيون القــادمين والراحلين .

***

لم أر من لندن شيئا طوال الشهور الثلاثة .. فقد قضيتهـــا جميعا فى حبس انفرادى

ذهبت ــ أول ما ذهبت ــ الى عيادة الدكتور سيترون ، الطبيب الجهير الذى اختاروه لى . وما كاد يسمع قصتى حتى اريد وجهه لسبب لا أعلمه ، وان كنت أرجح أنه أدرك شيئا ، لعله ذلك الشيء المجهول الذى كنت أحس أنه يمهد طريقى الى لقاء الله .

وحدد الطبيب لى موعدا أستقر فيه بمستشفى برومتون .

وذهبت ، وبدأت مرحلة جديدة من الفحوص والتحاليل وصور الاشعة ... الى جانب عمليتى منظار ، المنظار الاول يدخــل فى الانف ويصل الى الجوف ، والثانى يدخل من الفم ويصل الى العمق .

وأخيرا ... جاء الدكتور سيترون ، ومعه الجـــراح الكبير الدكتور « بانات » ... يصارحانى بالحقيقة القاسية : سرطان فى الرئة اليمنى ... ولا بد من عملية جراحية لاستئصال هذه الرئة .

هذا هو المجهول الذى طالما احسست انه يمهد لى الطريق الى لقاء الله .

وسألانى ، وكأنهما الملكان عن يمين ويسار : ما هو قرارك ؟

قلت مؤمنا : ليس هناك اختيار .

ووقعت اقرارا بقبول هذا القرار ، وأجريت العملية ، وفتحت عينى بعدها لأجد حولى وجوها مصرية حبيبة تبارك نجاح العملية ، منها سفير مصر فى لندن ، الاستاذ سميح أنور . وقنصلنا العام ، الاستاذ أمين سامى ، والدكتور خلاف مدير المكتب الصحى ، وغيرهم من أعضاء السفارة والقنصلية ومكتب الجامعة العربية .

الشيء الذى وقفت أمامه حائرا ، هو أن الجراح الكبير الذى أجرى لى العملية ، لم يمر بى بعدها لعدة أيام .

لم أره الا عندما جاء يأخذ الاقرار ...

وفى البنج لم أره طبعا ...

وذات يوم ، لمحته عابرا امام غرفتى بالمستشفى ، فناديته ، فجاء ، فسألته لماذا لم يلق نظرة على العملية التى أجراها ، على جسامتها ، فقال بهدوء «الجراح البريطانى» الذى تحدثنا عنه اغنية سعاد حسنى : ولماذا القى نظرة ؟ ما دمت قد اجريت العملية ، فهى ناجحة ولا تحتاج الى مراجعة .

ثقة بالنفس ... هى ثقة العالم الواثق بعلمه ، وبمســاعديه وبجهـــاز التمريض الذى يحيط به ...

متى ... متى تصل فى بلادنا الى هذا المستوى ؟

***

ومر الشهر ... وجاءت مرحلة جديدة من العلاج بالاشعاع الذرى ، فانتقلت ــ مطروحا على ظهرى فى سيارة اسعاف ــ من مستشفى برومتون الى مستشفى رويال مارزدن ، بمقاطعة سارى ، وسط الريف الانجليزى الجميل . حيث قضيت شهرين واصلت


حسن عبد المنعم


عبدالرحيم سرور



محمد
عبد الوهاب

فيهما الحبس الانفرادى ، وتكررت حكاية المعادى ومشهد النيل ، فقد أصبح مشهد الريف الانجليزى الجميل على مر الايام صورة متجمدة من العذاب والارق والدموع ·

ومرة أخرى بدأت مرحلة من الفحوص والتحاليل وصور الاشعة · وأخيرا ، جاءت الدكتورة بيكر ، أستاذة العلاج الذرى ، لتضع خطة للعلاج مداها ستة أسابيع ·

وبدأ العلاج ··· جلسات يومية قد لا يزيد مدى الجلسة منها على ثلاث دقائق لا ألم فيها ، ولكنها بعد ذلك تعقب اشكالا والوانا من الالام المنوعة ، بعضها فوق ما يحمل البشر ·

وتنتهى الرحلة ··· واعود الى مصر هزيلا مترنحا اعالج سكرات الحياة ، الى ان اعود مرة اخرى الى لندن بعد ستة اشهر ليراجع الاطباء مسيرة العلاج ·

ومع هذا يهتز القلم من جديد ··

لست أروى هذه القصة لأشغل القارىء بحكاية شخصية ، فما عودته أن أتحدث عن شخصى أبدا ·

ولكننى هذه المرة أضع نفسى أمام القارىء كعينة ··· مجرد عينة ··· لنا نحن خدام الكلمة ·

·· كلنا نذوب ونحترق ولكن القلم يظل يتحرك فى ايدينا الى اخر خفقة فى مصباح العمر ·

فى لندن ، اذ انا هناك ، كان هناك الزميل على امين يعانى الاما مبرحة فى الكبد ··· ولكن قلمه كان يتحرك كل يوم ·

وكان هناك الزميل حسين فهمى ، أحد رؤساء تحرير الاخبار ، يعانى الاما لا تزال تحت التشخيص ·

وكان هناك الزميل الدكتور يوسف ادريس ، يشكو ورما فى القلب ، وقد اجريت له عملية جراحية خطيرة لاستئصال هذا الورم ·

وكان هناك الزميل فاروق منيب ، المحرر بالجمهورية ، وهو مصاب بفشل كلوى ، اى ان الكليتين متعطلتان تماما ، وهو يذهب الى مركز الكلى الصناعية لتجديد حياته ثلاث مرات فى الاسبوع ·· وقد وطن نفسه على ان يعيش على هذه الحال طول العمر !

هل يعرف القارىء ما هى وسيلتنا الى احتمال كل هذه المعاناة ؟

الايمان ···

ان المعاناة اعظم ما يدعم الايمان

يوسف ادريس سار نفس مسيرتى ··· كان فى مستشفى المعادى حينما كنت هناك ، وكان تحت العلاج فى لندن حينما كنت هناك ·

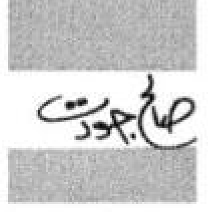
وكنت اعرف انه من المتشككين بحكم يساريته · ولكننى حينما زرته فى المعادى ، وجدت فى عينيه بريق الايمان ، ولمحت حول سريره اربعة مصاحف !

وفى لندن ··· كان مترددا فى امر عمليته ، هل يقدم او يحجم واخيرا ، قال لى بمنتهى الايمان :

ـ توكلت على الله ، وأنا ذاهب الى المستشفى

قرائى الاعزاء

زادكم الله ايمانا ، فانه خير زاد فى الدنيا والآخرة ··



محمد عبد الغني حسن

لا ادرى اذا كنا سننظر الى الادب من خلال سنة ١٩٧٦ نظرة الى عام مضى وسبقته اعوام ، ام نظرة الى عام اقبل وتليه اعوام ؟ .. فان كلتا النظــرتين صحيحة ومؤدية الى الغاية التى نهدف اليها ، ونرجو الالتقاء عندها .

ولا تعدم نظرتنا الى الادب من خلال عام ١٩٧٦ ان ننظر الى الادب فى خلال ١٩٧٥ على انه المحصلة التى اجتمع فيها تطور الادب العربى حتى مستــهل عامنا الجديد ...

نظــرة إلى الأدب

والنظرة المستقبلية المتطلعــة المشرئبة الى تطور جديد ، لا بد لها من نظــــرة « ماضوية » متعقبة ، حتى يمكن التقـــاء النظرتين على مصير مأمول لما نتوقعــــه ، وحتى يظل الحبل الذى يربط المستقبل بالماضى ، ويصل بين المقبل والمدبر حبلا موصولا غير مبتوت ، ولا مقطوع ، وحتى تأخذ من مآخذ المـــاضى وعثراته عدة وعبرا واهبة للمستقبل ، وحتى تتم الموازنة على اشياء مادية محسوسة ، لا على توقعات غيبية غير ملموسة .

وعلى كثرة ما كتب الكاتبون ، والف الغربيون من المباحث والكتب حول القيم الادبية الرفيعة التى يرجوها المفــكرون لآداب قومهم ، من امثال كارى جويس ودافيد دايشيز ، وبرنكووتر ، وموري وستار ، وغيرهم ، فاننا نستهدى ابنـــا على ضوء من واقعنا العربى ، وتجاربنا القومية ، ولن نستعير لادابنا قيما اجنبية نحن فى غنى عنها ، الا المبادىء العــامة التى تشترك فيها الامم جميعا لا فرق بين شرقيها وغربيهـــا ، على ان تبقى الخصائص المميزة لادب كل امة محصورة فى نطاقها ، لانها طابع يجب الحرص على بقائه ، حتى لا تفقد الاداب القومية خصائصها ومميزاتها الواضحة .

ولن ندخل هنا فى تفاصيل لا داعى لها حول « الادب » ، وتعريفه وماهيته،







محمد تيمور

عبد العزيز جاويش



د. طه حسين



من خلال ١٩٧٦

وحول ما يمكن أن يسمى أدبا من كل مسموع ومقروء ومنطوق ، وحول الادب بمعناه الخاص والادب بمعناه العام .. فهذه وأمثالها قضايا قد فرغ القوم من مناقشتها والتحدث فيها وتحديد معانيها . ولن نتوسع كذلك في مفهوم الميادين الادبية فندخل فيها ما هو بعيد عنها .. فكتب الطب مثلا لا تكون أدبا الا حين يتأنق مؤلفوها في عباراتهم ، ويضيفون اليها عنصر المتعة الفنية التي نجدها في كتب الادب المحض أو الادب اللباب . ولا شك أن كتابا علميا في الطب والادوية فيه من الحقائق الجافة ما لا يجوز معه أن نسميه أدبا الا اذا أردنا بالادب الانتاج العقلي والفكري ، ولكن هناك علماء قد (أدبوا) العلم التقريري الجاف ، وأحالوه الى نوع من المتعة الذهنية ، بالاضافة الى ما فيه من عناصر الدقة والتقرير .

وفي هذا المجال كان كتاب (أصل الانواع) لداروين — على الرغم من نزعته العلمية الجافة — كتابا من كتب الادب المتوب في تأديب العلم ،كما كانت مقالات ومؤلفات ومترجمات المرحوم الدكتور « أحمد زكي » كتابات أدبية ممتعة على الرغم من أنها كانت بحوثا في صميم العلم . وما محاولة الدكتور أحمد زكي رحمه الله في سبيل تأديب العلم الا امتداد واع ومتمم لمحاولات عربية قديمة سبق بها علماء

١٩٧٦

عرب من امثال « الطوسى » ، و « عبد اللطيف البغدادى » العالم الرحالة المؤرخ ، و « ابن ماجد » البحار العربى الذى كان يوشى كتاباته التقريرية الدقيقة فى علم البحار والملاحة والازياج والفلك بطرائف من القول ونفائس من الشعر والارجاز .

وياليتنا نجد دائما على صعيد العلم من « يؤدب » لنا العلوم فى أسلوب أو صورة ادبية فنية ممتعة ، كما فعل المرحوم الدكتور أحمد زكى . ونرجو الا يقف مسار هذه الحركة فى انتاج العرب العلمى المعاصر بوفاة صاحبها الذى كان معلما من المعالم البارزة فى هذا الطريق ..

ولقد اجتمع لعالم طبيعى مثل د . أحمد زكى ما لم يجتمع لعلماء كثيرين ، من سلامة اللغة وصحة التعبير ، وتأنق العبارة ، والتمسك بالفصحى ، وتخير اللفظة المناسبة ووضعها فى أكثر الاماكن مناسبة لها ، ولتبادتافيها ، فلا تكون قلقة ، ولا نافرة .. تماما مثل القافية الرصينة القوية فى مكانها المناسب ، فلا تحس أنها قلقة ، أو مجتلبة . وهى ظاهرة تحملنا على الطمع دائما فى أن نظفر بالكاتب الباحث العربى الصحيح العبارة ، السليم الاداء . فنحن نلاحظ مع الاسف على عدد من علمائنا فى العلوم الطبيعية والتقريرية ، والطبية ، بل حتى فى العلوم الانسانية والاجتماع، أوهاما غليظة ، ومآخذ ثقيلة ، فى النحو واللغة وبناء الكلمات وطرق الاداء .. حتى كأن علم العالم الطبيعى لايتم الا بنقص كبير فى لغته .. ولم يسلم من ذلك الا جماعة حفظهم الله من الزلل، وعصمهم من العثار، واستطاعوا بتمكنهم فى اللغة ـ مع تمكنهم وتأصلهم فى العلوم ـ أن يتخذوا الى المجامع اللغوية العربية سبيلهم ، وأن يجلسوا من مقاعدها وكراسيها فى المحل الارفع .. ونجد ذلك ظاهرا فى مجامع مصر ، والشام ، والعراق ، حتى بات بعض أعضاء المجمع الدمشقى الاطباء وكأنهم علماء لغة من طول ممارستهم للبحث اللغوى والصبر على متاعبه ..

ولا شك أن التمسك بالأصالة اللغوية يحجب تلك اللوثة الوافدة التى نادت باتخاذ (العامية) اداة للتعبير والاداء حتى فى المؤلفات ، ومن الغريب أن هذه اللوثة قد سكنت حدتها بعد عوام .. فقد رأينا اديبا وناقدا وصحفيا من رجال الجامعة السابقين يصدر مذكراته عن بعثته وهو طالب فى باريس ، ويلطخها كلها بلغة العامة مع انه كان فى مندوحة عن ذلك كله .. ورأينا رجلا من رجال القضاء يصدر رواية كاملة باللهجة العامية الدارجة ، مع انه كان يمكن تأديتها فى نص عربى فصيح سهل العبارة .

ويبدو أن خيبة التجربتين فى مذكرات طالب البعثة ، وفى الرواية قد ذهبت بالمحاولة الى غير رجعة .. وقد سبق للمرحوم القصاص الكبير محمود تيمور محاولة مثل هاتين فى احدى قصصه ،

ولكنه يئس من تحقيق أى نجاح فى ذلك ، وعاد (عربيا) فصيحا حتى فى « الحوار » الذى يتمحك به المتمحكون من وجوب اجرائه على الواقع لا على لغة القصاص نفسه ·· ومن هنا رجع تيمور الى عروبته المشرقة ، واستطاع أن يدخل مجمع اللغة العربية بعد تجربة توقع هو لها الخيبة والانهزام ··

ومشكلة الكتابة بالعامية ـ التى نرجو أن يتحرر منها كل قطر عربى تحررا تاما ـ ترجع الى مشكلة «الامية» التى لم يقض عليها الى اليوم منذ سنة ١٩٢٤ حين أعلن المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش من موقع المسئولية الواقعة عليه وهو فى وظيفة كبيرة بوزارة « المعارف المصرية » ، انه سيقضى عليها فى مشروع يقتضى تنفيذه بضع سنوات ··

ومضت السنون والحقب حتى اليوم ، ولا تزال المشكلة تطالع البلد بوجهها المخيف ، على الرغم مما يبذل فى علاجها من جهود ، وما ينادى به من وعود · فهل نطمع من خلال سنة ١٩٧٦ أن نرى فى مصر ـ بل فى العالم العربى ـ لغة قومية واحدة ، بدلا من لغتين : فصحى وعامية ، تقيمان سدا منيعا بين كثرة كاثرة من الشعب وبين ما يجب أن يقدم الى الشعب كله من أدب موحد ، وكتاب موحد ، بدلا من هذه الحيرة والذبذبة بين المواطن الفصيح ، والمواطن العامى ؟

والحق أن هذه الأمية تحجب عن اكثر المواطنين كل معانى الحق والخير والجمال والفائدة والمتعة التى يجب أن يحفل بها (الادب) والتى يجب أن يؤدى بها رسالته على اكمل الوجوه ·

وهذه (الامية) الفكرية بين الكبار ، الا تقابلها (امية) بين الصغار والناشئة ؟ فقد تكدست (المدرسة) بالتلاميذ ، وضاقت الابنية المدرسية على كثرتها بالوافدين عليها ، ومع ذلك فان التلميذ فى غمار هذا الزحام لا يظفر (بالكتاب المدرسى) الردىء الا بعد مشقة · واصبح « ادب » الطفل شيئا هزيلا بعد ما احتشد له من الجهد والمؤلفين والناشرين منذ ايام رائده الاول المرحوم (كامل كيلانى) ·

ولقد كنا نطمع ـ مع ازدياد عدد المدارس والتلاميذ ـ أن يزيد عدد الكتب المؤلفة فى (أدب الاطفال) ، ولكن الانسجام مفقود بين الجهتين ·· والا فلماذا لا نصادف فى الانتاج المطبعى تلك الكثرة التى كنا نتوقعها فى أدب الاطفال ؟

واذا كانت مصادر الترجمة عن الادب العالمى للاطفال قد نضبت ـ مع أنها لا تزال بخير ـ فهل عجز المؤلفون منا عن أن يضعوا قصصا عربية أصيلة تستمد أحداثها من ماضى الامجاد العربية وروائعها ، كما تجد من القصص العربى القديم مجالا للتحوير ، والتبسيط ، والتيسير ، كما وجد القوم فى الغرب مجالا خصبا فى روائع شكسبير ، كمثل الذى نراه فى تبسيط « تشارلز لامب » لمسرحيات شكسبير · على أن فى القصص العربية



القيمة من أمثال لطائف العرب وأخبارهم وقصص ألف ليلة وليلة ، وقصص عنترة ، وكتب الرحلات الشائقة ، مجالا للاضافة والالحاق ، اذا عجز الكتاب عن الخلق والابتكار ·

ويسوقنا الحديث عن قصص الاطفال الى الحديث عن ادب القصص والمسرحيات للكبار · وعلى الرغم من وجود بقية كريمة من القصاصين والمسرحيين – اعنى كتاب المسرحية – فاننا ما زلنا نطمع من خلال سنة ١٩٧٦ فى ظهور جيل جديد من هؤلاء يتلقف الراية من سابقيه · واذا كانت تصادفنا عشرات من القصاصين الذين لا يزالون على بداية الطريق ، والذين تزدحم مجلاتنا الثقافية بانتاجهم ، فاننا نرجو ان يكون من هؤلاء الطلائع القصاص الذى نتطلع اليه ، والذى يستطيع ان يصل بانتاجه الى الحد الذى يؤهله لان يكون (عالميا) بدلا من الانحصار فى نطاق المحلية الضيق ·

واذا كنا لم نيأس من الوصول بالقصة المصرية الى اسوار جائزة « نوبل » العالمية ·· وهى تلك الاسوار التى تحددها اعتبارات أخرى غير الفنية ، وتتدخل فيها عوامل مضافة الى العامل (الفنى) الذى ليس هو – وحده – أساسا فى التقدير ·· فاننا

١٩٧٦



د. محمد حسين هيكل

نرجو ألا ينقطع أملنا من الفوز – فى مجال القصة والرواية – بهذه الجائزة العالمية ابتداء من عام ١٩٧٦ ·

ويبدو أن الصخور والاشواك التى كانت قائمة فى سبيل مصر العالمى قد أزيحت بفعل الانتصارات المعنوية بعد حرب اكتوبر المجيدة ، وأصبح الصوت المصرى والعربى فى المجال الدولى أكثر جلجلة وانصاتا اليه ، واستماعا له · ومن هنا لا نستبعد أن القصة المصرية – بما حققته الى اليوم من انسانية وعالمية – تجد طريقها الى التقدير العالمى السليم البعيد عن الهوى والتعصب والاعتبارات والتيارات ···

على أن الامل فى مجال التقدير العالمى والفوز بجائزة نوبل لا يقف بنا فى سنة ١٩٧٦ عند حد القصة والرواية – وهما شكل مألوف رائج من اشكال الادب اليوم – فاننا نطمع أن يكون لنا فى مجال العلوم الانسانية ، والعلم والبحوث الادبية والنقدية مثلا الى تاله



فكرى اباظة

الجائزة المغرية .. وقد استطاع شيخ فقيه مفكر مصرى اسلامى هو المرحوم الشيخ « طنطاوى جوهرى » أن ينفذ بعض كتبه فى السياسة والسلام الى لجنة الترشيح لجائزة نوبل ، وكان ذلك فى الثلاثينات من هذا القرن ، ولكن صوت مصر فى ذلك العهد وحجمها فى المجتمع الدولى كان أصغر من ان يحظى مفكرنا العربى المسلم بالنجاح ، وتخطته أسباب الفوز الى غيره ..وقد كان يمكن لعالم مثل المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفة أن يظفر بهذه الجائزة بعد الذى أحرزه من شهرة عالمية فى مجال العلوم ، كما أن الدكتور طه حسين كان حريا الا تخطئه هذه الجائزة . أفلا نطمع بعد كل هذا الصبر أن نتطلع من خلال عام ١٩٧٦ الى من يضع يده على جائزة يحلم بها العلماء والادباء ؟

ولقد شبعنا عند مؤرخينا العرب المحدثين أحاديث عن الدول وأخبارها وقيامها وسقوطها ، اتباعا للمناهج العربية التقليدية فى كتابة التاريخ على طريقة الاحداث السياسية ومدى تأثيرها فى نشوء الدول وانحدارها . فهل نطمع أن نجد عندنا باحثايصنع مثل ماصنعته الاديبة المؤرخة (ايلين بور) فى كتابها المشهور : (نماذج بشرية من العصور الوسطى) . فقد تخطت هذه الاديبة الطريقة التقليدية فىكتابة التاريخ ، الى طريقة « التاريخ » لمجتمع العصور الوسطى . وهى طريقة أكثر امتاعا وتشويقا وفائدة من طريقة التاريخ السياسى العام . وما ألطف هذا الكتاب الممتع وهو يحدثنا عن مصانع الغزل اليدوى ، وتجار الصوف فى انجلترة فى القرن الخامس عشر ، كما يحدثنا عن تجار الاصواف فى بريطانيا فى ايام هنرى السابع ..

والواقع ان كتاب (نماذج بشرية) لايلين باور يذكرنا بكتاب آخر طريف كتبه الباحثان الالمانيان : أدولف ارمان، وهرمان رانكه عن (مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة) . فان هذا الكتاب يصور لنا مصر بأرضها الطيبة ، وشعبها ، وبلاطها ، والشرطة والقضاء فيها ، والاسرة ، والمنزل ، والملبس ، والملاهى ، والدين ، والموتى، والعلوم ، والادب ، والفن ، والزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، والحروب ، تصويرا زاهيا مشرقا نابضا بالحس والحركة والحيوية . ولا يذهب هذا الكتاب مذهب الكتب التقليدية من سرد اخبار دولة وسقوطها ، وقيام اخرى ،

١٩٧٦

وابتداء عصر من عصور التاريخ المصرى والاسر المصرية وانتهائه ، وغزوة ملك وفتوحاته وامراء وغنائمه ، وغير ذلك مما تمثل فى الاهتمام بفرد (الحاكم) بدلا من الاهتمام بحالة (المحكوم) ٠ والمحكوم هنا هو « الشعب » الذى نرجو ان يتضاعف اهتمام المؤرخين به ٠

ولعل كتابا مثل كتاب (الحضـــارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجـرى) لآدم ميتز هو خير ما يتمثل به فى باب الفكر العربى ٠ فقد صور الوانا من الحضارة العربية الاسلامية فى قرن من الزمان ٠ وجمع مادة كتابه العظيم من أخبار صغيرة مبعثرة هنا وهناك فى كتب التاريخ والفقه والحسبة والادب والنوادر والشعر وما اليهـــا ، والف بينها فى موضوعات قائمة صارت مادة الكتاب وقوامه ٠

ولقد افاد المؤرخ جرجى زيدان منشىء « الهلال » من تلك المنهج الذى استعان به على انجاز كتابه الجليل : (تاريخ التمدن الاسلامى) فى اجزائه الخمسة ٠ ولا ادرى لماذا سكت باحثونا عن دراسة المجتمعات العربية والاسلامية ؟ فان هذا مجال تتسع فيه شعب الحديث ، ويمتد نفس البحث ، وقد يتعمق فيتغلب الرانا صغيرة من المجتمع يظنها الناس تافهة أو غير ذات شان ، ولكن فيهـــا اثراء للانتاج الادبى التاريخى الذى نرجوه ٠

ولقد نجح المستشرق الانجليزى « ادوار وليام لين » فى تصويره الدقيق البارع للمجتمع المصرى فى أول القرن التاسع عشر فى كتابه المعـروف : (المصريون المحدثون) ، ووفق الى ما لم يوفق اليه كاتب مصرى كان أولى أن يخرج مثـل هذا الكتاب على يديه ٠٠ كمـــا وفق الشيخ « سعيد القاسمى » فى كتـــابه عن الصناعات الشامية فى القـــرن الماضى ٠

واذا كان مؤرخنا المرحوم عبــــد الرحمن الرافعى قد وفق فى سلسلة كتبه عن « الحركة القومية » التى تؤلف تاريخ مصر منذ الحملة الفرنسية الى زماننا هذا ، فانه لم يوسع مجـــال البحث ويمده الى (التاريخ) للمجتمع المصرى ٠ وقد كان فيه قدرة على القيام بمثل هذا البحث الجديد بجدية وعمق نظرته الى الاشياء ، ولكنه لم يلتفت اليه ، وشغله التاريخ السياسى لمصر عما عداه ٠ فهل نطمع من خلال سنة ١٩٧٦ أن يطلع علينا باحث أديب مؤرخ يسد لنا النقص فى هذا الباب الذى نرجو أن يتسع مجال التأليف فيه ؟

ويجرنا الحديث عن التاريخ للمجتمع والشعب الى الحديث عن ادب التراجم والسير ؟ فنحن ننظر من خلال ١٩٧٦ الى تراجم جديدة لشخصيات كثيرة من الشخصيات التى يزدحم بها تاريخ العرب

والاسلام على مدار العصور . لقد أصدر عباس محمود العقاد بضعة من التراجم على طريقته الحديثة ودراسته النفسية في العبقريات ، وهي طريقة لم يكن لكتاب العرب السابقين بها عهد ، ولكن العقاد أفادها من طرائق الغربيين المشهورين في كتابة التراجم ، وطبقها على الشخصيات العربية فنجحت نجاحا يليق بجدتها وأصالتها واهتمامها بالبحث النفسي ، والتحليل .

كما شارك المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل بكتابين او اكثر في الترجمة لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وابي بكر الصديق ، وكذلك فعل المرحوم الدكتور طه حسين حين كتب عن بعض الصحابة ، وخاصة عثمان وما صاحبه من الفتنة التي لم يكن للاسلام عهد بها من قبل . كما رأينا المستشار عبد الحليم الجندي يكتب عن ابي حنيفة وابن حنبل وغيرهما فيوفق توفيقا كبيرا .. ثم سكتت أصوات كتاب التراجم والسير ، اما لموت بعضهم من ناحية ، واما لسكوت بعضهم عن الكتابة من ناحية اخرى . فهل نطمع من خلال سنة ١٩٧٦ ان يستمر المساق الذي ساق فيه العقاد تراجمه في العبقريات ؟ وهل نطمع في كتاب من طراز الدكتور هيكل ، وطه حسين ، وعبد الحليم الجندي أن يستمروا في كتابة التراجم على النحو الذي نجد فيه القراء لأدب السير والتراجم ، حتى يظل الطريق واصلا غير مقطوع ، والباب مفتوحا غير مسدود . وحتى نستطيع ان نصل بأدب التراجم الى كتاب من أمثال « اميل لودفيج » ، و « استيفان زفايج » وغيرهما .

ويا ليت شعري ! اين ذلك الزمان الذي كان لا يكاد فيه الكتاب العربي يصدر ويغادر أيدي طابعيه الى أيدي قارئيه حتى يتناوله الناقدون بالنقد الدقيق ، وحتى تدور حوله المناقشات ، بل والمعارك ، على صفحات الصحف والمجلات ؟ انكر ان كتابا مثل (مهذب الاغاني) صدر في العشرينات من هذا القرن العشرين للمرحوم الشيخ محمد الخضري فقام حوله كلام كثير ، ونقاش كثير ، بل كادت تكون خصومة بين طه حسين من ناحية وبين الاستاذ الخضري من ناحية اخرى . كما ان كتبا مثل « مدامع العشاق » للدكتور زكي مبارك و « بلاغة العرب في الاندلس » للدكتور احمد ضيف ، و « جان جاك روسو » للدكتور محمد حسين هيكل ، و « رسائل الاحزان في فلسفة الجمال والحب » لمصطفى صادق الرافعي ، و « الشعر الجاهلي » لطه حسين ، وديوان « وراء الغمام » للدكتور ابراهيم ناجي ، بل وكتاب « الضاحك الباكي » لفكري اباظة قد قوبلت حين صدورها لاول مرة بأمواج من النقد كانت تصادف من القراء اقبالا واستحسانا ، وتثير فيهم



التحمس للقراءة ، وترجهم الى مناطق جديدة في الادب والبحث لم يكونوا على علم بها ، ولا اطلاع عليها ٠

كما وجه حديث طـــه حسين عن « ديكارت » انظار النـــاس في مصر اليه ، ولم يكونوا يعرفون عن هـــذا الرجل شيئا ، الى ان زادت معـــرفة الناس به ، والمامهم بكتبـــه وآرائه ونظرياته ، فقام بعض اساتذة الجامعة يكتبون الكتب عن ديكارت ويعرضـــون مذهبه ، ويحللون آراءه ، كالذى فعله الدكتور عثمان امين ٠ وكان النـــاس والطلاب حين يتلاقون يتحدثون عن هذا النقد ، ويعلقون عليه ، ويهتمون به ، ويترقبونه كل يوم ، لانهم يجدون فيـه استكمالا لمعارفهم ، واتســـاعا لدائرة علمهم ، واطلاعا على احدث الآراء مما لم يكن لهم به عهد ٠٠

واليوم ٠٠ يطلع الكتاب على الناس من المطابع ، فلا يتحرك له ناقد ، ولا يحس به قارىء ، ولا تنعقد له حلقة حوار ، او ندوة نقاش ، الا في فترات بعيدة وللؤلفين مخصوصين ٠٠ فهـــل تطمع من خلال سنة ١٩٧٦ ان تعـــود لحركة « النقد » جدتها ، ونشاطها ، وجدها ؟ وان يظهر الكتاب فلا يخـــلو الامر من قارىء معقب عليـــه ، متتبع له ٠ باحث فيه ، بدلا من ذلك الركود المخيم علي مجالات النقد والبحث في مصر ٠٠٠

ولقد وقفنا في مسيرة الادب العربى منذ القدم على (ادب المذكـــرات) والذكريات ، وان كان نادرا كل الندرة ، مما يكاد ينحصر في مذكـرات الامير الفارس العربى اسامة بن منقـــذ في كتابه : (الاعتبار) ، وفي مذكرات الامير عبد الله بن بلقين ، آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة في القرن الخامس الهجرى ، وفي كتاب (طوق الحمامة في الالفة والالاف) لابن حزم ، وان كان يسمي مذكرات على ســـبيل التجوز ٠٠

وانتقلت كتابة ادب المذكـــرات الى الادب العربى الحديث باخرة من الزمان، فراينا مذكرات للوزراء والسياسيين ، ومذكرات للمحامين ، ومذكرات لرجال النيابة ـ كالذى فعله توفيق الحـــكيم في يوميات نائب في الارياف ـ ومذكرات للاطباء ، ومذكرات لرجال التمثيل ـ كالذى وجدناه في مذكرات فتـــوح نشاطى ـ واخيرا وجـــدنا ثلاثة من الادباء هم فتحى رضـوان ، ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وعباس خضر يكتبون مذكراتهم وذكرياتهم من ايام طفولتهم ونشاتهم ٠٠ ويصرحون فيها بامور من خصائصهم ما كنـــا نتوقع صدورها من كتاب محافظين ٠٠ ونرجو

١٩٧٦



دارون

أن يسفر عام ١٩٧٦ عن مزيد من هذه المذكرات والذكريات التي كانت شيئا جريئا وغريبا منذ أصدر طه حسين كتابه (الايام) ، فان هذه المذكرات والذكريات هي اكبر مصدر للترجمة للادباء وسيرة حياتهم ، على الرغم من احتمال التزيد فيها او التناقص من صاحبها الذي يحاول أن يقدم صورة مقبولة لنفسه .

لقد كنا نتمنى على رجال التاريخ الاسلامي في مساره الطويل أن يترجموا لانفسهم بدلا من أن يتركوا غيرهم يترجم لهم ، وقد ضاع بهذا كثير من تاريخ هؤلاء الرجال ونشاتهم وأحوالهم لولا الاخبار والنتف التي يجمعها ويتلقفها مؤرخ السيرة من هنا ومن هناك . ولكن (المذكرات) تسد هذا النقص الكبير الذي نشعر به في المكتبة العربية وفي باب المذكرات بالذات .

***

اما الشعر فهو آخر ما نطوف به في باب الادب ، وليست هذه العملية في تأخير الطواف به ، تأخيرا لمرتبته ، وزحلقة لمكانته .. فالشعر فن جميل ، ولون ادبي يعمر تراثنا الادبي والفكري بكثير من الروائع ، ويملؤه بكثير من الواحات الخصبة التي يلجأ اليها اللاجئون من الهجير .. ونحن ننظر اليه من خلال سنة ١٩٧٦ نظرة المحب له ، المشفق عليه ، التواق اليه ...
فهل سيثوب شعراء الانفلات والانطلاق الى قيود الشعر الذهبية الجميلة التي صاغها له الاقدمون ؟ او سيظلون في تيههم وانفلاتهم ، لا يمسكهم قيد ، ولا يحدهم حد ، ولا يقبلون من اللغة والعروض والقافية والنحو الى قاعدة أو أصول ؟

انني آمل من خلال عام ١٩٧٦ أن تكون بدعة الشعر المنطلق قد اكتفت بما صارت اليه ، وأن تكون التجربة المغرية البراقة قد انكشفت عن الصريح، عملا بقوله تعالى : (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) .

وأرجو أن يكون ظهور هذه الامنيات في عدد مارس من مجلة الهلال توافقا جميلا مع بشائر الربيع ، التي ترجو من ورائه ربيعا دائما مزهرا للادب العربي .

وبالله التوفيق .

د. عبد الله درويش

صاحب لسان العرب ابن منظور

بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ انقسمت الدولة العربية الكبرى الى ممالك واقطار مستقلة .

وقد اصطلح مؤرخو الادب على ان يسموا تلك الفترة - عصر المماليك والاتراك ، او عصر الدول المتتابعة .

وقد شهدت هذه الفترة اضمحلالا في فنون الادب شعرا ونثرا ولكنها شهدت ازدهارا في تأليف الموسوعات العلمية التي حفظت لنا التراث العربي . مثل معجم الادباء - ومعجم البلدان لياقوت الحموى وكتاب النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة . وكان على راسها جميعا - موسوعة اللغة العربية ، المعروفة باسم معجم لسان العرب . لابن منظور .

وقد شهد ابن منظور نهاية القرن السابع واوائل الثامن ١٢٣٢م - ١٣١١م وقد ولد في افريقية « تونس » ونشأ بها يافعا . ثم رحل الى القاهرة حيث مكث بها فترة شبابه وشيخوخته .

وقد احتضنته مصر كما احتضنت غيره من العلماء ، الذين وجدوا فيها سبل العيش ميسرة ، ووجدوا من الازهر الشريف ومن جوامعها التي كانت مدارس او جامعات كبرى ، مأوى آمنا يهيىء لهم الجو العلمي للبحث والتاليف .

وكتاب لسان العرب موسوعة لغوية تضم كثيرا من علوم اللغة نحوا وصرفا وادبا . ثم أن ابن منظور يستطرد فيها . فيشرح الكلمة اللغوية ثم يستدل على ذلك بالقرآن الكريم · وحين يذكر الآية . يفسرها ويقلب وجوه الاعراب فيها . بل يستطرد لذكر الآراء الفقهية أحيانا ·

ترتيب الكتاب : و« لسان العرب » فى الاصل معجم لغوى ، مرتب على حسب أواخر الكلمات · مثل معجم « القاموس » للفيروزبادى · ومعنى ذلك أن الكلمات – أكل – بقل – جمل – رحل – سال – فصل – همل – مهل – هدل كلها فى باب اللام ثم ترتب فصولها بحسب أوائلها مرة أخرى ·

وقد اعتمد ابن منظور فى كتابه على كثير من أمهات المعجمات التى سبقته ، وأهمها : المحكم لابن سيده· والتهذيب للأزهرى ، والجمهرة لابن دريد – والمجمل لابن فارس ، والنهاية لابن الاثير ·

مقدمة لسان العرب : كتب لنا ابن منظور مقدمة علمية وافية فى أول كتابه ، ذكر فيها ما اعتمد عليه من مصادر ومراجع · ثم نبهنا الى شيء هام جدا من الناحية الاحصائية ، التى لو بدأنا مثلها الآن لاحتاج منا ذلك الى استخدام الآلة الحاسبة والعقل الالكترونى ، الكومبيوتر فمن النتائج التى توصل اليها · علاقة تنظم الحروف الهجائية داخل الاصل أو الجذر للكلمة العربية ·

وقد كانت نتائجه كما أثبتها فى المقدمة هى :

اولا : حروف يكثر تكرارها فى اللغة العربية وهى ؛

ا – ل – م – هـ – ن – و – ى·
ثانيا : حروف أقل من سابقتها تكرارا ، وهى :

ر – ع – ف – ب – ك – د – س ، ق ع ح ·

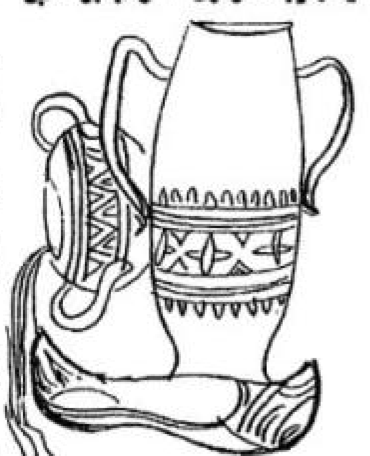
ثالثا : حروف يقل تكرارها وهى :

ظ – غ – ث ز – خ – ض – ذ ·

رابعا : حروف لا يجتمع منها ثلاث وربما اثنان فى كلمة ، وهى :

س ث ص ز ظ ض ·
خامسا : حروف عامة لا تكاد تخلو كلمة من احدها ، وهى :

د – ب – م – ل – ن – ف ·
سادسا : حروف لابد من احدها فى





ابن منظور

الكلمات الرباعيات الاصول او الخماسيات الاصول ، هي :

حروف الذلاقة ف ب م ل ر ن

وفعلا قامت لجنة من علماء مصر اللغويين ، باشراف رائد البحث اللغوي الحديث بمصر ـ الاستاذ

الدكتور ابراهيم انيس ، عميد دار العلوم الاسبق وعضو المجمع اللغوي

بتحليل معجم ـ الصحاح للجوهري ، وهو على نمط ـ لسان العرب ـ الا انه اقل منه حجما ، واستخدموا « الكومبيوتر » في هذا التحليل ،

فتوصلوا الى نتائج قريبة جدا مما ذكره ابن منظور ، في مقدمة معجمه لسان العرب .

وهذا البحث عمل في جامعة الكويت .

كما امكن للاستاذ الدكتور نبيه حجاب استاذ الادب بدار العلوم أن يستخرج من خلال شواهد اللسان ديوان الراعي النميري ، كما يمكن من خلاله ، استخراج كتب ودواوين اخرى .

***

نموذج من معجم لسان العرب : كان ابن منظور في معجمه يوثق الرواية وينقل المعنى عن اكثر من مصدر ، ويستشهد بالحديث الشريف والقرآن . واشعار العرب ويتخلل ذلك استطرادات وطرائف ادبية ، وتحليلات لغوية .

فمن امثلة ذلك السول في مادة « سبل » .

السبل معروف ، وجمعه السنابل . ابن سيده : السبل من الزرع واحدته سنبله ، وقد سنبل الزرع اذا اخرج سنبله . والسنابل : سنابل الزرع من البر والشعير والذرة . الواحدة سنبله . والسنبله برج في السماء . والمستبل : من الطيب ... وفي حديث سلمان : انه رؤى بالكوفه على حمار عربي وعليه قميص سنبلاني . قال شمر : قال ابو عبد الوهاب

الغنوي السنبلاوي من الثياب السابغ الطويل الذي قد اسبل . وقال خالد ابن جنبه : سنبل الرجل ثوبه اذا جر له ذنبا من خلفه فتلك السنبله ،

وقال اخوه ، ما طال من خلفه وامامه فهو سنبله ، فهذا القميص السنبلاني منسوب الى موضع من المواضع . وفي حديث عثمان : انه ارسل الى

امرأة بشقيقة سنبلانيه اي سابغة الطول . يقال : ثوب سنبلاني ، وسنبل ثوبه اذا اسبله وجره من

خلفه او امامه ، والنون زائدة مثلها في سنبل الطعام ، قال ابن الاثير : وكلهم ذكروه في السين والنون حملا على ظاهر لفظه .

وابن سنبل : رجل بصري ، ويقال ابن صنبل . وسنذكره في الصاد . والسنبلة : بئر قديمة

حفرتها بنو جمح بمكة ، وفيها يقول قائلهم :

نحن حفرنا للحجيج سنبله .



اليد الأخضر

أتظنُّ أنّى كلما انهارتْ أوراقى فى الليلْ

بالتسليمِ عنوتى ... ثم أفرُّ على ظهر النخيل !

... أنظرُ إلى حين رأتْ عيناى الجذرَ المقطوع

ستعود على أطراف الأهداب البكماء دموع !

... أنظرُ إلى كلما سال الخوفُ بوادى الصمت

سأودّع فى إبريز عمرى ، ثم أقومُ خفيفاً للموت !

***

لا يا هـذا الشىءُ الملتفُّ على جذرِ الشجرةْ

فأنا خبّأتُ وراء الموت على حذرٍ ثمره

ستعود إلى الأرض المخضرّة وستملؤها حبا

فإذا ما دبَّ الخصبُ بدورتها أعطتْ قلبا

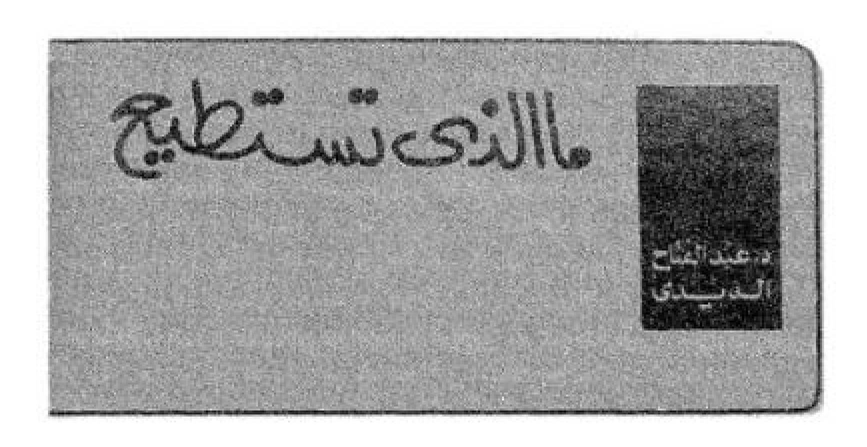
.. هو قلبى هذا الحجرُ الساكنُ فى أقصى النفس

يشعو . يتوارى حينا . ثم يتفجّرُ قلب الشمس !

***

قد جاء أوانى .. فلتصمتْ كلُّ الأيام المحتدمه

فاليدُ الأخضر سوف يكونُ إلى الدنيا السكنه



كانت الفلسفة حتى وقت قريب تعد احد العلوم الموقوفة على اصحابها .. واعتاد الكثيرون ان ينظروا اليها كاحد التخصصات التقنية التى لا يعرفها الا كل من يتقن فنها ويعرف طريقتها فى التعبير والأداء . ولم يجد علماء هذا الفرع من التخصص الدقيق بدا من ان يطلقوا عليه اسم العلم المضنون به على غير أهله كأنه غير مسموح على الاطلاق لسواهم من الناس ان يتعرف عليه او يقترب من أبوابه وفصوله أو يتناول موضوعاته بالشرح والتحليل ..

وليس فى هذا الموقف خطأ كبير طالما كانت الفلسفة معروفة فى كل الاوساط بعباراتها التقنية ومصطلحاتها الخاصة . وليس من الغريب ان يشيع هذا الفهم عن الفلسفة وهى ما هى عليه عند الاقدمين من حب الحكمة او صناعة البحث والتأمل فى العلل البعيدة او فى المبادىء الاولى .. وليس ذلك بالعجيب ما دام البحث الفلسفى مقصورا على قوم دون آخرين ، وما دام البحث الفلسفى علما رفيعا يتدارسه أجل العلماء فيما بينهم فلا يخرج عن حدود العلم الخاص الذى لا يشارك فيه الا اقلية عالمة ذات سلطان معرفى معين .

وشاع مع ذلك بطبيعة الحال ان هؤلاء الافراد يتدارسون فى ذلك المجال فيما بينهم أمرا خاصا فيه غير قليل من الحرج ويثير الكثير من الشبهة ويبعث على الريبة ويدفع الى الشك فيما يمكن أن يكون عليه ذلك العلم . فالعلم الذى يقتصر على مجموعة معينة من الناس هو علم مقفل ، وهو علم اقل ما يقال فيه انه ذو أسرار ، وأنه يتناول موضوعات لا يحسن أن يلم بها كافة الناس . ومعنى ذلك أن هذا العلم وقد اقتصرت دراسته على طائفة من الناس دون غيرها ، قد صار مليئا بالاسرار والالغاز والاحاجى بل وبالمعميات التى لا يدركها غير رجالها . واذا كان الامر كذلك فالاولى بالاخرين أن يحجموا عن هذه الدراسة بل وأن يباعدوا بين أنفسهم وبين قراءتها وأن يرفضوا المشاركة فى بحوثها او حتى مجرد الاطلاع على كتاباتها .

وانزوى الفلاسفة او اصحاب هذا



نيتشه

العلم في ابراج قال بعضهم انها ابراج عاجية .. وقال بعضهم الاخر انها برونزية فقط .. وقال الفلاسفة انفسهم انها مجرد ابراج من الصفيح الساخن الذي ينعكس الى الداخل ولا يتسرب ما فيه الى الخارج ! .. وصارت فكرة القطة السوداء التي يبحث عنها الفلاسفة داخل تلك الابراج الساخنة — وهي لا وجود لها بداخل تلك الابراج — مثار الفكاهة والنكات التي تقال هنا وهناك على أساس انها تعريف صريح وواضح بطبيعة تلك المادة العلمية ، واعتراف ضمني من الفلاسفة انفسهم بحقيقة العلم الذي يشتغلون به .. وكان انزواؤهم الكريه بالخجل وبالتردد سببا في اطلاق ألسنة الناس بالأقاويل حتى أشاعوا انها علم البطالين الفارغين بكل ما تحملها البطالة من دلالات وتوريات ومشتقات ..

●●●

ولكن فجأة تغير كل شيء .. أحس العلماء فجأة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية أن الفلسفة هي الوسيلة الحقيقية لمخاطبة الجماهير .. ظهر لجموع العلماء والمفكرين أن الفلسفة وحدها هي أسلوب الربط بين المعارف المختلفة . كما انها طريقة انشاء حوار بين الفكر والانسان حيثما كان ..

واتخذت هذه الحقيقة طريقها الى التنفيذ . فاتخذت المذاهب المختلفة الفلسفة وسيلة واداة لتحقيق خلق حوار بين الفكر الخالص والجماهير العامة في كل البلاد وعلى كل المستويات ..

واستطاع العلماء أن يجعلوا من الفلسفة وسيلة اتصال جماهيرية . فكل ما يريدون ابلاغه الى الجماهير صاغوه في عبارات فلسفية .

ما الذى تستطيع الفلسفة أن تقدمه للإنسان المعاصر ؟!

وكان هذا الاكتشاف سبيلا الى تغيير كل شيء فيما يتعلق بالفلسفة ..

وانتهت فترة العزلة الفلسفية ، واصبحتبالتالى اداة جماهيرية تخاطب عقل الشعب وضميره ووعيه ولاوعيه فى آن معا .. فكل ما يريد العلماء أن يبلغوه الى الشعب صاغوه فى عبارات فلسفية . ولكن هذه العبارات الجديدة لم تصبح لغة معقدة كما كانت من قبل . بل صارت لغة سهلة ميسرة تتناول اعقد الافكار بالاسلوب الواضح وبالالفاظ المألوفة العادية ، ومن هنا بزغ الأمل الجديد فى حقل الفلسفة ، فاستحال وجودها فى أبراج من أى نوع وصارت لغة العشش والأزقة والمقاهى والبيوت المألوفة . ولم يعد من الميسور أن يقتصر الفيلسوف على حياة الانقفال والعزلة ، وصار يتردد على الاماكن العامة ويخلق هو نفسه بنفسه وسيلة اتصاله بالجماهير .

لماذا ؟ لسبب بسيط وهو أن الفلسفة نفسها هي اللغة المشتركة الاكثر الفة من العامة واشباه العامة . وهى فوق هذا وقبل هذا نظرية المعرفة العامة التى تستقى ملامحها من احوال الناس وتشتق تعبيراتها من كل ما يدور بخلدهم من خواطر ، وتأخذ انساقها هى نفسها من انساق حياة الناس فى حياتهم اليومية ..

فلم تعد الأنساق الفلسفية مقبولة ضمن اطار الفلسفة وانما صار التحليل والتفسير والتبويب والانتماء هو اسلوب الحوار بين العلماء والفلاسفة، وضاق العلماء ذرعا بما يقولونه اذا كان غير مفيد ويغير نفع مباشر للناس اصحاب المصالح الحقيقية فى القول والانفعال . وتحولت الفلسفة بذلك كله الى لغة خطاب يقولها العالم المتخصص فيفهمه الناس ويدركون ابعاد فكره من خلال عبارات سهلة ميسرة .

وساعد على الوصول الى ذلك أن العلماء فيما بينهم اتفقوا اكاديميا وعلما على أن الفلسفة ذاتها هى نقطة التقاء مختلف العلوم وانها قمة المعرفة فى كل فرع من افرع المعرفة وفى كل فرع من افرع العلم أيا تكن نوعية ذلك العلم . ولذلك استطاعوا منذ عصر بعيد ان يقدموا درجة الدكتوراه باسم الفلسفة بداخل الجامعات ذاتها . وكان ذلك شبه اتفاق بأن الفلسفة هى قمة بلوغ العلم فى أى فرع من الفروع التخصص .

وساعد ذلك على أن تصبح الفلسفة نقطة التقاء بين العلوم المختلفة . وصار ملتقى الفلاسفة لا يتحقق منخلال مذاهب شامخة بقدر ما يتحقق من خلال لغات العلوم المختلفة عندما تتصاعد فى شكل نظريات عامة اكثر عمومية من مجال العلم البسيط المتخصص .

فالفلسفة بذلك هى الابداع فى فرع العلم أيا كان هذا العلم وهى بالتالى نقطة الالتقاء الرفيعة داخل اطار العلوم .

فاذا تحولت الفلسفة بعد ذلك الى لغة الجماهير فى التخاطب ، انضاف بذلك عامل جديد الى عامل تغيير وضع الفلسفة فى انظار الخاصة وهو حقيقة الفلسفة بالنسبة الى اصحاب الفلسفات العامة والى الناس المستفيدين من تفهم

هذه الفلسفة ومن قراءتها . وتؤدى بذلك الى وضع الفلسفة فى وضع جديد تصبح فيه اداة الى تقريب الافكار وتذويبها داخل اطار الرأى العام .

ومن المأسوف له أن الفلسفة لم تحظ برجال يعترف بهم الناس فى تاريخها الطويل . فمن أندر الاشياء في تاريخ الفلسفة أن يكون ثمة اعتراف كامل بأحد الاشخاص فى الفلسفة . ومن أندر الاشياء ايضا أن يجمع كل المفكرين على الاعتراف بشخص معين من رجال الفلسفة . وصار من المألوف ـ فضلا عن المأسوف عليه ـ أن يحدث اجماع حول أحد الاشخاص من رجال الفلسفة، كما أنه من النادر أن ينصب الاجماع على مجموع الافكار التى يمثلها الفيلسوف الواحد ، أو بعبارة اخرى يصعب أن يتفق الجمهور والمختصون ايضا علىأن هذا الفيلسوف وفلسفته لهما اهمية مطلقة ، كما يصعب أيضا اتفاقهم على أن فلسفة من الفلسفات أو

سارتر

رجلا من رجالها يمثل اتجاها هو كل ما تتطلبه الفلسفة ومسائلها .

فمثلا قد يفضل القارىء هـذا الفيلسوف على ذاك (نيتشـه على برجسون مثلا) وقد يرتفع بقدر ذاك الفيلسوف على غيره (برجسون على هيدجر مثلا) وقد يفضل جانبا معينا من جوانب النظر العقلى عند فيلسوف (نظرية الحرية الوجـودية) على ما عداها من جوانب فلسفته الاخرى ، كما قد ينفر من احد اوجه الفلسفة وسماتها العامة (الذاتية او الروحية) عند احدهم مع تمييز جوانبها الاخرى على ذلك الوجه .

وبالتالي فليس هناك حكم عام يجمع الناس بمقتضاه على اهمية فيلسوف على من عداه .

وهذه سمة اخرى ثالثة ان صح هذا التعبير واذا صح هذا الترتيب . أعنى ان الفلسفة تميزت دون غيرها بعدم وجود احكام عامة يلتزم بها كل محب للفلسفة . فلكل انسان أن يعشق ما يشاء من أوجه النظر العقلى وليس لأى انسان أن يفرض فلسفة بكاملها على القارىء . فقد يستسيغ أحد الجوانب دون بقية الجوانب ، وقد يحب ناحية فى نظرية أحد الفلاسفة دون غيرها . وذلك يعنى انه لا يوجد فى الفلسفة فرض عقلى لا يقبل الرفض ولا توجد نظرية تتفوق على ما عداها . وهذا هو ما يخلق جو الحرية الكامل داخل اطار الفلسفة . فأنت تأخذ منها ما تشاء وترفض منها ما تشاء وتقبل ما تشاء وتلفظ ما لا تطيقه .

وقد ساعد ذلك بالطبع على تقريب الفلسفة من اذهان الجماهير فهم يقرأون ما يحبونه ويلفظون ما لا يريدونه . فالفلسفة شأنها شأن أى معارض فكرية ونماذج من النظر العقلى ، يقبل الانسان منها ما يشاء ويرفض ما يشاء وليس ذلك شأن العلم الجاف الـذى يفرض على القارىء كل صغيرة وكبيرة

فيه .. ولا وجه للموازنة بين الفلسفة وبين غيرها من افرع المعرفة من هذه الناحية . فالمعرفة العلمية الخالصة هى شيء يفرضه البحث ولا يتنازل فيه عن صغيرة أو كبيرة . أما الجوانب الفلسفية فلك أن تقبل منها ما تشاء وأن ترفض ما تشاء .

واذا جئنا الآن ننظر فى الفلسفات الحاضرة وجدناها فلسفات مجموعات بشرية . فالوضعية المنطقية هى فلسفة أمريكا وبعض العالم البريطانى الذى لا يزال فى معظمه متمسكا بالنفعية ، اى أن الوضعية المنطقية هى علم تحليل الكلام الذى نقرؤه فى أبواب العلم . اما النفعية البريطانية فهى التى تجعل المنفعة العملية هى صاحبة السيادة على كل المبادىء وكل النظريات .

والماركسية هى فلسفة روسيا الشيوعية وكل ما دار مدارها من الدول الاشتراكية .

وفرنسا لا تزال تحبذ « الوحدات » العقلية ، فهى تطلق عنان افكار ابنائها من وقت لآخر لكى يطلقوا خيالهم بفكر جديد ونظر عقلى جديد . وسادت الوجودية بعد الحرب العالمية الثانية من أجل فلسفة الاوضاع العامة عقب سنوات الخراب فى المجتمع المنهوك القوى .

والبنيوية هى المرحلة التالية لهذه الفلسفة الوجودية . وبينهما ظهرت موجة الرواية الجديدة . وتم خلال هذا كله استخلاص فلسفات عامة تنبنى على مدارك الناس وتنوعها من فترة لأخرى.

●●●

والآن ، ما هى هذه الفلسفة التى نسميها ونتكلم عنها ولا نعرف لها تعريفا ؟

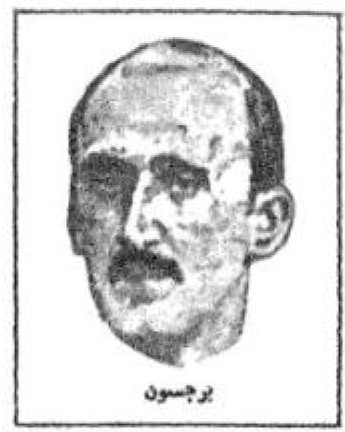
الفلسفة فى نظرنا وبناء على ما تقدم قوله ، هى الشيطنة العقلية وهى كذلك نوع من شقاوة الفكر فى الاحساس النابض بما يجرى فى حياتنا اليومية . وهى كذلك لانها تعتمد أكثر ما تعتمد على الابداع والابتكار . فكل ما هو ابداع ازاء تفسير الاوضاع وتعديل الوقائع وعكس الاحداث من الواقع الى مجالات الفكر هو هو الفلسفة .

الفلسفة هى الشيطنة العقلية التى يبديها الفيلسوف من أجل الانفراد بطابع معين يسبغه على ابناء وطنه وينقله الى كل من يحيط به من ابناء البلد الواحد ، فاذا نظرنا فى أمرنا وحاولنا أن نجد لأنفسنا فلسفة معينة وجدنا أن أهم فلسفة يمكن أن نعطيها لأبنائنا هى نظرية الوجود الارادى . لماذا هذه النظرية بالذات ؟

هذه النظرية هى خلاصة موقف عقلى نابع من صميم كياننا العربى فكريا ومعيشيا . فالسؤال الذى نسأله دائما ويتردد كثيرا على ألسنة الشباب هو : لماذا نحن موجودون على هذه الارض ؟ وما هى حكمة وجودنا ، وما هى دواعى خلقنا بصورة ليس لنا فى تأليفها يد ؟

ونظرية الوجود الارادى على نحو ما شرحناها من قبل فى كتاب « عبقرية العقاد » تنص على أن الارادة غير منفصلة عن الوجود . وتتمثل الارادة فى الوجود بمجرد وجوده ولمجرد أنه موجود . ولا يظهر الوجود الا مقترنا بالارادة كما أن الارادة لاتعنى شيئا الا اذا تمثلت فى صورة وجود . ويكفى أن

ما الذى تستطيع الفلسفة أن تقدمه للإنسان المعاصر ؟!



برجسون

نقول عن الوجود أنه موجود لنقرر في التو انعدام العدم . وانعدام العدم في حد ذاته هو مظهر للارادة . فبغير الارادة ما كان العدم ليختفي ، أعني لينعدم .

وليس الوجود شيئا منفصلا عن الارادة لأن الوجود لا يكون الا بارادة . ولذلك كله تعد الارادة بمثابة البديهية التي لا تحتاج الى برهان . والا كان من الضروري أن نبرهن على أن ما حولنا وجود . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الوجود لا يحتاج الى برهان لأن وجوده في حد ذاته بمنأى عن ادراكنا لا يحتمل الصدق أو الكذب . وما لا يحتمل الكذب أو الصدق هو بمثابة البديهية . وتعد الارادة بالتالي بديهية لانها لا تحتمل الصدق أو الكذب على نحو مساو تماما لقولنا أن الوجود موجود .

هذه النظرية هي اصدق ما يمثل فكرنا لاننا لم نعتد ان نفرق في نظرتنا الى الاشياء بين المادي والروحي او بين الهيكل والمضمون او بين الارادة والوجود .. لقد انقسم عالم الغرب طويلا بين ما هو روحي وما هو مادي . اما نحن في بلادنا وفي عقليتنا الدينية والاجتماعية لم ننقسم قط على انفسنا . فالعالم المادي هو هو العالم الروحي وعالم الوجود هو هو عالم الارادة . ولا يمكن أن ننظر الى العالم المادي كأنه منفصل او مناقض للعالم الروحي . وعالم الارادة لا يناقض عالم الوجود كأنهما عالمان منفصلان في فضاءين معزولين . والصواب هو أن العالم كله قوى من طبيعة الروح التي نتصورها والارادة التي نستشعرها من داخلنا وفي الموجودات من حولنا ، وما الفرق بين الظاهر والباطن منها الا في طريقة الادراك واستعداد الحواس . فهما عالم واحد نسمي جانبا منه بالوجود ونسمي الجانب الآخر بالارادة او بالروح او بالباطن .

ويكفي أن تعطي الفلسفة للانسان المعاصر هذا الشعور بالثقة والأمان داخل اطار الوجود . يكفي أن تبرز له الاحساس بأن الوجود ما ظهر الا بارادة . والا فكيف انعدم اللاوجود والى أين صار .

ولم تحاول فلسفتنا العربية الاسلامية أن تقيم الاحساس بالوجود والايمان به على أساس مبدأ ذاتي على نحو ما فعل الغرب . و « الكوجيتو الديكارتي » يستمد حقيقته من الكيان الذاتي للانسان ، أما مصادر ايمانه بوجود الارادة فهي بديهية نستشعرها في كل لحظة وفي كل أوان على نحو بديهية الحياة والوجود في أن معا .. « الكوجيتو الديكارتي » وأعني به الاساس الموضوعي للذاتية التي تستشعر وجودها وتعكس هذا الاحساس بالوجود على الوجود الخارجي .. هذا « الكوجيتو الديكارتي » يتخطى الوجود من اجل العودة الى اثباته مرة أخرى

ما الذي تستطيع الفلسفة ان تقدمه للانسان المعاصر ؟!

ومن جديد عن طريق وجود الذات وجودا يقينيا . اى أن « الكوجيتو الديكارتي » يرفض التسليم بمبدأ بديهية الوجود وأوليته .

وادى هذا المبدأ الديكارتي الى حدوث انقسام جوهري بين الوجود والماهية في كل الفلسفة الغربية حتى عاد سارتر في العصر الحاضر فأنهى هذا الانقسام بقوله ان الوجود يسبق الماهية ، وهو موقف آخر اختطفه سارتر من الموقف الاسلامي ..

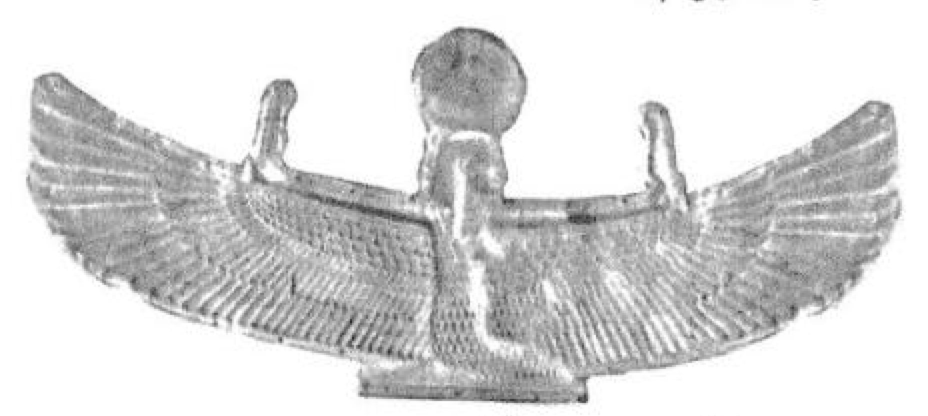
والموقف الاول الذى اختطفه منا هو قوله بأن الحرية هي المسئولية . وبهذين الموقفين استطاع سارتر أن يغذي وجوديته وان يحولها الى تيار فكري عام ، مع ان الموقفين كما أوضحت في غير هذا المكان موجودان بقضهما وقضيضهما في الفلسفة العربية الاسلامية .. بل ان سارتر لم يستطع ايضا بما قاله عن الماهية والوجود ان يتجاوز التفرقة بين الماهية والوجود ، لانه اعطى الوجود اسبقية على الماهية ، وهذه ثنائية ترفضها فلسفتنا في الوجود الارادي التي تجعل الوجود هو نفسه الارادة وكلاهما اولية أو بديهية واحدة يتلقاها العقل والوجدان في آن معا وفي لحظة واحدة . نحن نكتشف الوجود . مجرد الوجود . كمعنى من معاني الارادة الماثلة في الكون والممتدة في الوجود وفي الموجود معا .. وهو اى موجود .. الموجود الموضوعي كالرغبات والمدركات او الموجود الذاتي كالجماعة والافراد .

وبهذه النظرة لا يكون لدينا أى احساس بالثنائية أو الازدواج وهو ما عاني منه الفكر الغربي سنوات وسنوات ... الوجود عندنا ارادة لانه وجود في ضرورات واحكام تبتعث الارادة تلقائيا . وما نسميه الحياة هو الوجود والارادة معا .. الوجود هو الارادة لانه بغير ذلك يمتنع الوجود نفسه ويصبح بذلك مستحيلا أو محالا .. الوجود هو الارادة والا لامتنع وجود الوجود نفسه ، فالوجود ارادة افناء العدم والقضاء عليه ... ان الوجود ذاته يحمل في ذاته ارادة استحالة العدم ، ويحمل معنى انعدام العدم. والوجود لو ظهر بغير الارادة لكان دورا وخلطا حيث لا تفهم عندئذ بأى وجه من الوجوه الضرورات والقيود والاحكام .

واذا اتسق هذا كله في مفهوم واضح حققت نظريتنا جانبا هاما وهو جانب التناسق الذي يتحقق عن طريقه اكتمال الذوق والاحساس الجمالي البديهي .. واستشعار الجمال ركن من اركان الفلسفة تحاول أن تزود بهالوعى والعقل جميعا . ولا تركن النفس الى الجمال الا بعد عناء ، واذا امكن للفلسفة ان تشعر الانسان بمبدأ التساوق الفكري والنفسي ، افضى بنا هذا كله الى الاحساس الفني بقيمة الحياة وهو اول احساس يستقيه الانسان من معنى الوجود .

هذه هي الفلسفة ... وهذا هو الانسان . واذا استطاعت الفلسفة ان تخلق جسرا تنتقل به بنفسها الى الانسان ، لكان هذا اعظم انتصار في عالم الروح .. اعني في عالم المادة الذي نعيش فيه ليلنا ونهارنا ولا نرى كل ما يتحفنا به من ذخائر وكنوز .

د. سيد كريم



عقيدة التوحيد عند الفراعنة

الانسان المصرى لم يعرف العقم فى حياته • عرف العطاء منذ ان شهد مولد الزمان • فالمصرى قد صنع الحضارة •• لافى مصر وحدها بل فى العالم اجمع ••• ان عطاء مصر للحضارة والانسانية دائم ومتجدد واعظم ما جادت به القريحة المصرية كان فى مجال الاديان والعقائد •

فقصة الدين وتتبعها على مدار العصور تنهض دليلا على عبقرية اصيلة ووجدان مرهف لشعب وادى النيل وهى عبقرية لم تنقطع قط وستظل تؤدى دورها طالما بقى نسج حياة ذلك الانسان العظيم •

« برستد »

المعبود حورس حامل رسالة الاله رع يحمل قرص الشمس فوق رأسه



● كان شعب مصر أول شعب آمن بالله ٠

أول من آمن بأن هناك الها واحدا للجميع ٠ آمن بهذه الحقيقة قبل مولد الزمان وقبل ارسال الرسل والانبياء فكان أول من نادي بالتوحيد ٠ فذلك الايمان وذلك التوحيد هو الذي بني حضارة مصر وفي كل مرة حاول اقامة الدولة كانت الفكرة الاساسية فيها توحيد العقيدة وتوحيد المعبودات والايمان بالاله الواحد ٠

لقد اختلف المؤرخون في نشأة العقيدة والاديان في مصر خاصة وأن الدراسات جميعها قد ركزت على مرحلة تاريخ ما قبل الاسرات التي تعددت فيها الطواطم والمعبودات ٠ كان لكل قبيلة طوطمها ولكل عشيرة معبودها ، وبانضمام العشائر لبعضها وتكوين المدن أصبح لكل مدينة الهها الخاص المعبر عن كيانها ووجودها ٠ وبتعدد الطواطم والمعبودات والالهة المحلية تعددت التعاليم والطقوس والشعائر وتداخل السحر مع ما ارتبط به من أساطير بالعقائد والمعتقدات وما ارتبط بها من تعاليم حتى اعتبر بعض المؤرخين أن السحر كان بداية العقيدة عند المصريين القدماء ٠

ان تلك المرحلة بالذات التي اعتبرت بداية العقيدة عند قدماء المصريين تعتبر في الواقع وفي دراسات علم اللاهوت فترة من فترات اضمحلال العقيدة التي نزلت وسادت في أرض مصر في عهود سحيقة على عصر ما قبل الاسرات والتي تعتبر عصور الاسرات التي بدأت بالملك مينا موحد القطرين من العصور الحديثة بالنسبة لتاريخ مصر الحقيقي ٠

ان بزوغ فجر الحضارة الفرعونية يعتبر من أكبر الالغاز التاريخية التي حيرت الكثير من قدماء المؤرخين وعلماء الآثار بظهور تلك الحضارة كاملة النمو بمعرفة متكاملة في مختلف علوم الفلك والطبيعيات والرياضيات والطب ومختلف الفنون والآداب كذلك في علم اللاهوت حيث ظهرت العقيدة متكاملة في أسمى صورها وهو « التوحيد » بتوحيد الاله « رع » رب الارباب وخالق الكون ٠ رمزوا اليه بقرص الشمس المجنحة التي تتربع فوق عرش السماء وعبروا عنه بالقوة الخفية الكامنة التي تهب الحياة وتسير الكون ٠ لقد شد تلك اللغز انتباه الباحثين في العصر الحديث فتقابلت نتائج بحوثهم عند مدينة « أون » هليوبوليس (مدينة الشمس) التي انشأ كهنتها المبجلون الذين أطلق عليهم اسم انصاف الالهة



الإله الأوحد « رع » « الشمس المجنحة »
وناموس الكون لفلسفة الغلاف . . .

ـ وهو الاسم الذى استعاره أول فراعنة الاسرات ـ أول معبد لاله الشمس فى أرض مصر وكانوا أول من نادى بعقيدة توحيد الاله « رع » الذى وجد أنها بدأت ـ كمـــا ذكر المؤرخ المصرى مانيتون الكاهن الاكبر لمعبد أون ـ عام ٩٥٠٠ من التقويم الكهنوتى أى من ١٢٥٠٠ سنة ، ووصف ملوك مصر الذين حكموا بتلك العقيدة بعض ملوك الشمس وهو التاريخ الذى حدده مانيتون لبدء الحضـــارة الفرعونية .

لقد ظهرت عدة نظريات حديثة أحدثت أكثر من ضجة فى الاوساط العلميـــة فيما يختص بنزول عقيدة التوحيـــد متكاملة لاول مرة فى تاريخ البشرية ، وفى أرض مصر (أرض الاله المقدسة) وفى ذلك التاريخ بالذات . حاول البعض تأكيد العلاقة بين ذلك التاريخ وتاريخ الطوفان العظيم الذى أغـــرق قارة الاطلنتس (القارة المفقودة) كما وجدوا فى أساطير الاطلنتس القديمة ما يفسر انتقال عقيدة التوحيد الى مصر عن طريق



لوحة ترمز « مينا » وحد القطرين بتوحيد العقيدة

كهنة معبد الشمس في الاطلنتس الذين نقلوا معهم العلوم والمعارف ونزحوا الى ارض مصر حيث أقاموا معبد الاله وأقاموا مرصد الشمس في مدينة أون (هيليوبوليس) التي خرجت منها الحضارة الفرعونية الخالدة لتحمل للعالم رسالة التوحيد الاولى ·

كان أول من نقل العلاقة بين كهنة عين شمس والقارة المفقودة في العهد القديم الذى أطلقوا عليه اسم « عهد الخليقة » ، المؤرخ والحكيم الاغريقي سولون عند زيارته لمعبد أون لدراسة التشريع والفلسفة · وفي حوار له مع الكاهن الاكبر للمعبد عندما سأله عن مصدر المعرفة المقدسة بالعلوم والمعارف وأسرار الكون ، أجابه بأن تلك المعرفة في مختلف نواحيها توارثها الكهنة انصاف الآلهة أبا عن جد ، وأطلعه في الهيكل المقدس أو خزانة المعرفة على ٣٤٥ تمثالا لاجداده ، وأن أولهم نزل من السماء لانقاذ البشرية بعد الطوفان العظيم الذى أغرق الارض التي كفرت بتعاليم الاله وأمرهم الاله قبل الطوفان بمغادرة القارة والانتقال الى أرض حددها لهم « جب بتاح » أى الارض المقدسة وهي أرض مصر ، واختار لهم وادى « أون » المقدس ليقيموا فيه معبد الاله وينشروا منه رسالة وحدانيته ·

وسافر الفيلسوف الاغريقي أفلاطون وهو من أحفاد سولون للدراسة في مصر حيث قضى بها ١٤ عاما متنقلا بين معابدها لدراسة الفلسفة والتشريع أسوة بجده سولون ، واهتم بصفة

خاصة بالبحث عن حقيقة القارة المفقودة وعلاقة الفراعنة بها وعاد الى اليونان ليكتب « التيمايوس » الذى اكد فيه قصة القارة المفقودة وعلاقتها بمصر الفرعونية ·

وتقوم عدة معاهد للبحوث فى العصر الحديث فى جميع انحاء العالم بدراسات علمية لاسطورة الاطلنتس وعلاقتها بمصر الفرعونية على صور برديات ومخطوطات أون القديمة ومقارنتها بما ورد فى كتب الاغريق والفينيقيين القدماء ومتون شعوب المايا والازتيك التى انتقلت اليها عقيدة رع واهرام عرش الاله فى عصور متاخرة عن طريق الفراعنة ·

لقد اجمعت تلك البحوث اخيرا بما يقطع الشك ـ على علاقة غرق الاطلنتس بحضارة مصر الفرعونية وتحديد تاريخ القارة المفقودة الذى وجد انه يتفق مع ما ورد فى مخطوطات « أون » كذلك أسطورة التوحيد والخلق التى ارتبطت بقصة الاطلنتس وعلاقتها بعقيدة التوحيد التى نادى بها كهنة « أون » · كما ذهب البعض الاخر من الكتاب وعلى رأسهم « فون دنكن » السويسرى بتفسير لغز الحضارة وعقيدة التوحيد التى بدأت فى مصر ونادى بها كهنة « أون » الى اقوام هبطوا من كواكب اخرى ارقى عقلا وعبقرية ومعرفة وحضارة خاصة وان ظهور الحضارة الفرعونية بدأت من القمة ، اى انها ظهرت متكاملة فى مختلف عناصرها ومرتبطة بعقيدة وتشريع ثابت ولم تنشأ بنظرية النمو والتطور والارتقاء كما هو الحال فى تاريخ الحضارات الاخرى · كما علل ذلك بتفسير رسم « الاله » على شكل قرص الشمس المجنحة وهو ينزل الى الارض راكبا مركب الروح (سفينة الفضاء) ·

لقد اجمعت تلك الدراسات فى تاريخ الحضارات وعلوم اللاهوت على ان مصر كانت مهبط العقيدة وان حضارتها بدأت « بتوحيد الخالق » ·

● تفسر برديات « أون » القديمة نظرية التوحيد بما ورد فى مخطوطات قصة الخليقة التى تنص « كان الكون فضاء ازلية يغمره الظلام وتنعدم فيه الحركة حتى خلق الاله الاكبر « رع » نفسه بنفسه فسارت الحركة الدائمة وغمر نوره الكون كله · ومن انفاسه انجب شو (الهواء والفضاء) وتفنوت (الماء) ابا الكون وامه تزوج شو وتفنوت فانجبا « نوت » ربة السماء و « جب » رب الارض وانجب « نوت » و « جب » اربعة ابناء ايزيس واوزوريس وست ونفتيس ـ التى تعبر عن الخصب والخير والشر والضمير ·

وهو ما اطلق عليه بالتاسوع المقدس اى اركان الدنيا الثمانية التى يجلس على عرشها « الاله رع » وبوجودهم بدأت الحياة فى الارض وبدأت البشرية فى صراعها بين الخير والشر عندما قتل ست اله الشر اخاه اوزوريس اله الخير ·

وفى انشودة الخلق التى وردت فى « كتاب الموتى » :

« كان الله حكيما عندما خلق وحده بقدرته البشر قطيع الاله صنع لهم الارض ليعيشوا فوقها والسماء لتظلهم ، وأبعد الظلمات من الهاوية · وجعل نسمة قلوبهم حياة وجودهم وأداة كيانهم فجعلهم صورته الخارجة وصعد الى عرشه فى السماء على رغبتهم بعد ان أمن معاشهم وصنع لهم من النبات والحيوان والطير والاسماك غذاء ، وانزل عليهم المعرفة فعلمهم الكلمة والنطق والحرف ليقرأوا كلماته ويعملوا بتعاليمه التى ترشدهم الى الطريق القويم حتى يسترد الامانات فى محكمة السماء بوابة الخلود » ·

بتلك الكلمات المقتضبة فسر حالعقيدة فكرة التوحيد التى يمثلها الاله « رع » القوة الالهية الكامنة خلف قرص الشمس القوة التى تهب الروح وتعطى نسمة الحياة للبشر وتفسر الحياة بأنها رحلة التجربة التى يقدم بعدها الانسان الى محكمة الآخرة ، ليقدم الحساب الذى سجله ملكا الحسنات والسيئات ويتحدد

فيها مصيره في عالم الخلود ومكانه من مراتب الجنة ودرجات الجحيم . والتي لا تختلف عن أسس عقائد التوحيد التي نادى الانبياء والرسل والكتب السماوية بها .

لقد وصفت أساطير « أون » القديمة أن الاله اختار معبد اله الشمس لنشر عقيدة التوحيد موضع القلب في الجسم فالعقيدة تعبر عن معنى الوجود والحياة والحياة مصدرها القلب - لذا فقد اختاروا موقع المعبد ومدينة « أون » في موقع القلب بالنسبة لجسم وادى النيل فشبهوا وادى النيل بالجسم المقدس الذى ترتفع ذراعاه نحو السماء وهما فرعا النيل في الدلتا ، والجسمهو وادى النيل في الصعيد الذى يرتكز بقدميه على الشلالات الصلبة .

وتقع مدينة أون (هيليوبوليس) بالنسبة لذلك التخيل مكان القلب الذى ينبض بالحياة على الجانب الايسر من صدر الوادى .

● مع ظهور عقيدة التوحيد ظهرت جذور المعرفة في الحضارة المصرية القديمة والتي ارتبطت جميع عناصرها بالعقيدة ، كان مصدر نشأتها نفس المعبد الذى خرجت منه رسالة عقيدة التوحيد، وحمل نفس الكهنة رسالة المعرفة التي أطلق عليها في نفس الوقت المعرفة المقدسة .

تشير برديات هرمس الى تلك العلاقة بقولها « عندما امن المخلوق برب السماء أنعم عليه بنعمة المعرفة التي حملها اليه تحوت رسول الاله الذى ينقل رسالته الى البشر ... علمه الحرف والكلمة والنطق والاسماء فانزل اليه النقش المقدس (الخط الهيروغليفى) ليقرا به كلمات الاله ليحفظ تعاليمه ويتلقى حكمته . وعندما تطلع الى السماء ليرى وجه الاله شاهد عرشه الفسيح (قبة السماء) وراقب دورة حراس الاله التى لا تهدا (النجوم السيارة) فانعم عليه الاله بالتقويم وقياس الزمن . عرف علاقة الافلاك ومكان الارض منها ودوراتها حول العرش فانكشف له سر الفلك ووضعه بالنسبة لبروج السماء وتلقن لغة التخاطب معها ، وهو التنجيم الذى فتح له نافذة يطل منها على اسرار ما وراء الطبيعة وسر الوجود ، عرف معنى الخلود فامن به وامن بالخالق وكلما ازداد ايمانا زاده الاله علما وفتح له ابوابا جديدة من ابواب المعرفة »

فكانت العلوم والمعارف والفنون والاداب التى نسبها الكهنة الى الاله الاعظم الذى اصطفاهم ليقوموا برسالة نقلها ونشرها بين الناس ، والتى اعتبروا فيها أن العلم عبادة والمعرفة من أركان العقيدة ... وهى النظرية التى اكدت أن الحضارة الفرعونية كما وصفها كثير من المؤرخين بأنها حضارة بنيت على العقيدة وعلوم المعرفة معا أى حضارة جمعت بين العلم والايمان .

● لقد ازدهرت رسالة التوحيد الاولى واستمرت كما ذكر المؤرخ والراهب البيزنطى سنسللو في القرن السابع الميلادى في موسوعته المشهورة (تاريخ العالم من أدم الى دقلديانوس) الذى اعتمد في كثير من مراجعه على وثائق مانيتون التى جمعها من مختلف المصادر القديمة - ان عقيدة التوحيد الاولى قد استمرت طوال عهد ملوك الشمس الذين وصفهم مانيتون في قوائم ملوك ما قبل الاسرات الذين امتد حكمهم الى ما يقرب من الفى عام ، وكانت عاصمة حكمهم مدينة اون نفسها، كما ذكر مانيتون انهم كانوا ينتمون الى سلالة أنصاف الالهة من كهنة المعبد نفسه .

وكأى عقيدة أو رسالة تخضع في تطورها الى مختلف المذاهب الدينية وتعدد المعابد التى انتشرت في انحاء الوادى وتنازع السلطات فيما بينها وخاصة في اقاليم الدلتا حيث أصبح لكل اقليم معبده الخاص ، وترجم كل معبد رسالة العقيدة على هواه ، فاتخذ كل معبد الها خاصا به فتحولت ملائكة ومعبودات التاسوع المقدسة الى الهة للخلق ، وظهرت رموز وصور أرضية للاله فرمزوا له بمختلف الحيوانات

والكائنات الحية والاسطورية والخرافية فظهر الجعران والقط وفرس البحر والتمساح والعجل ابيس - كل منها كرمز للاله الاعظم ، ثم تحولت الى الهة مستقلة .

... ولعبت السياسة دورها في الصراع بين الاقاليم ممثلا في الصراع بين الآلهة . واستمر ذلك الصراع بين الالهة الذي يمثل الانحراف عن العقيدة الاصلية او الارتداد عن وحدانية الاله خلال فترة طويلة عبر عنها المؤرخ مانيتون بالعهد الثاني وحدد عدد ملوكه بثلاثين ملكا ، وتلاه العهد التاسع وعدد ملوكه عشرة ملوك . واستمر حكمهم مايزيد على الالف وخمسمائة سنة

ولم تعد عقيدة التوحيد المتمثلة في الاله رع في الظهور او في البعث الا في العهد الذي اطلق عليه المؤرخ مانيتون في قوائمه اسم « عهد البعث والعقيدة » الذي انتقلت فيه السلطة ومقاليد الحكم الى كهنة معبد الشمس مرة اخرى . وقد اطلق المؤرخون القدامى على ذلك العهد اسم الوحدة الاولى التي قام فيها ملوك الدلتا بضم قطري الوادي . وقد استمرت تلك الوحدة حتى عام ٤٢٤٠ ق.م أى ما يقرب من الف عام قبل الوحدة الثانية التي قام بها الملك مينا مؤسس الاسرة الاولى .

● عندما تفككت الوحدة الاولى وانفصل قطرا الوادي عن بعضهما البعض واستقلت معابد الصعيد عن معبد الشمس ومعابد الدلتا دب الانحلال في انحاء البلاد وبدات البلاد تنفصل عن بعضها البعض بعد انفصال القطرين واصبح كل اقليم او بلد يتعلق بمعبد معين ، بل تحول نظام الاقطاع الى الاستقلال العشائري والقبلي ، كان من الطبيعي ان تتعدد الالهة مرة اخرى في ظل الدعوات الدينية الجديدة وتحولت المعبودات التي تدين لرب الارباب رع الى الهة خاصة . فاصبح لكل مدينة الهها الخاص المعبر عن كيانها الديني ووجودها السياسي وكان النزاع بين المدن له مظهر الصراع بين الالهة وكانت هذه الظاهرة المعقدة مصدرها الصراع بين المعابد .

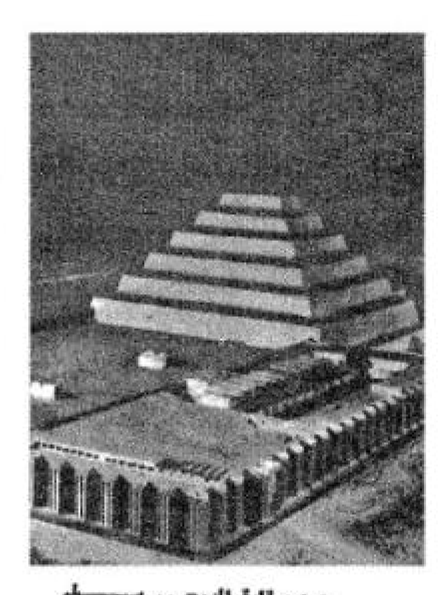
كان اقوى الالهة في الصعيد الاله حورس اكثر الالهة اصالة لانه يمثل ابن اوزوريس - روح القدس - كما انه ثالث الثالوث المقدس الذي ولد من صلب اوزوريس ومن روح الاله ويمثل على شكل الصقر المقدس وكان يرمز به ضمن متون هليوبوليس كاحد صور الاله رع وهو يحمل قرص الشمس فوق راسه تعبيرا عن حمله لرسالة الاله الواحد .

وقد ورد في « اساطير الخلق » في ابيدوس و « اساطير الاطلنتس » انه حمل رسالة الخلق الى ارض وادي النيل حيث هاجر حورس من القارة المفقودة قبل غرقها بامر من الاله مع اتباعه من الكهنة والعلماء الذين اطلق عليهم اسم « شمسو حور » وانتقلوا الى مراس سوليوس « بوابة الشمس على الشاطئ الغربي » ومنها عبروا الصحراء الكبرى خلال طريق هيرودوت حتى وصلوا الى شاطئ النيل في المنطقة التي اقاموا فيها معابد حورس الثلاثة - ابيدوس وادفو ودندرة القديمة .

وتفيد « اساطير الخلق » في كل من هليوبوليس ومعابد حورس وتتفق جميعها في نظرية التكوين - على انتقال كهنة اون الى هليوبوليس عبر البحر الابيض وكهنة حورس عبر الصحراء في وقت متقارب .

● لقد اتخذ القائد نعرمر (الملك مينا) موحد القطرين الصقر حورس شعاراً لحربه المقدسة لتوحيد البلاد ، وكانت في جوهرها حربا دينية او زحفا دينيا وليست حربا سياسية او عسكرية لدعوة البلاد الى نبذ الهتهم المحلية ومعبوداتهم والدخول في عقيدة اله التوحيد اله السماء .

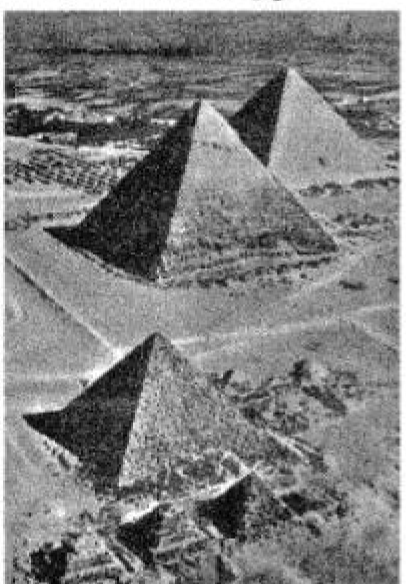
لقد وجدت دعوته استجابة سريعة وبغير حرب في اقاليم الدلتا التي كانت تناصب اقاليم الصعيد العداء وكان الفضل في ذلك لكهنة معبد اون الذين اظهروا لهم الولاء ورمز لدعوته بالصقر



هرم سقارة المدرج .. ســلم الصعود الى عرش الســماء.

●

اهرامات الجيزة ... رمــز التوحيد فى الاسرة الرابعــة



المقدس وهو يحمل فوق رأســه قرص الشمس أى خضوعه للاله « رع » . كما اذاع مينا خلال زحفه أنه من أنصــاف الالهة وأنه من صـلب حورس بالذات حتى ينفى عن نفسه انتماءه الى قبيلة معينة ، أو حتى الى أهل الصعيد حتى لا يلقى معارضة من أهل الشمال وينفى عن نفسه أنه من أبناء الصعيد جاء ليحكم أقاليم الشمال فتحقق له توحيد الوادى بتوحيد العقيدة وكان من الطبيعى أن تسجل نصوص النصر والتوحيد « ان الصقر الالهى المسمى حورس قد ابتلع الطواطم والالهة المحلية كلها التى كانت تمثل الأجيال السالفة ولم يترك مكانا لشريك للاله فى الارض » .

لقد استمرت عقيدة التوحيد بعد موت الملك مينا ما يقرب من مائتى سنة أى الى أواخــــر الاسرة الاولى وكانت خرطوشة كل ملك تحمل رمز الصقــــر المقدس أى أنه ينتمى الى طبقة أنصــاف الالهة والوارث لعرش هيراكونبوليس وكان الملك بهذه الصفة أى الحــامل لرسالة التوحيد يتخذ من الصقر حورس المقدس رمزا لعرشه فاذا مات الملك عبر المصريون عن ذلك بقولهم « لقد طــار الصقر الى السماء » .

لقد تفككت عقيدة التوحيــد بنهاية الاسرة الاولى وعادت مختلف الآلهــة والمعبودات تحتل مكانتها فى المعــابد وتعددت العقائد والاساطير التى ارتبطت بكل اله ومعبود مما كان سببا فى انتشار السحر وسيطرته على العقائد نفســها واحتل كثير من السحرة مكان الكهنة ، وكانت أول محاولة لتوحيد العقيدة التى بدأ ظهورها فى منف فى الاسرة الثالثــة والتى بدأ يخطط لها العالم والحكيــم والمهندس والطبيب « ايمحوتب مستشار الملك زوسر بعد دراسته لعلوم اللاهوت والمعرفة بمعبد هيليوبوليس « حصــن العقيدة » وكان يعد أحـــد كهنتهــا المبجلين .

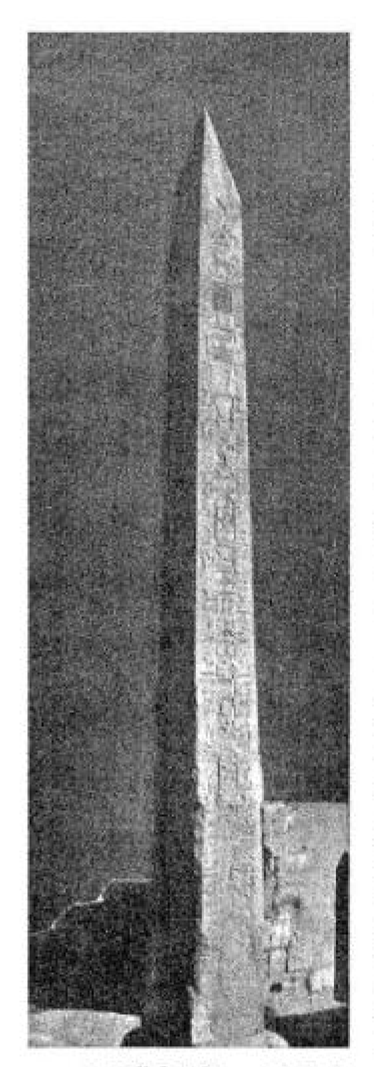
وقد ذكر المؤرخ مانيتون أن الرسالة التى قام بهــا ايمحوتب فى مختلف عناصر المعرفة من اللاهوت الى العلوم

والطب والهندسة وفن البناء هي التي جعلت المصريين يؤلهونه بعد وفاته بعدة قرون وأطلقوا عليه في الاسرة ٢٦ اي بعد الفي سنة من وفاته لقب (ابن بتاح) اله الخلق وبنوا له الكثير من المعابد في منف والصعيد والنوبة كأحد الرسل الرسل الذين نادوا بالتوحيد ٠ كما اتخذ منه الاغريق الها للطب واطلقوا عليه اسم « اسكليبيوس » ٠ ولا شك في أن دعوة التوحيد التي خطط لها ونادى بها هي التي مهدت لدعوة التوحيد التي قامت في الاسرة الرابعة ٠ لا شك في أن الهرم المدرج الذي بناه ايمحوتب للملك زوسر كان يرمز به الى سلم الصعود الى عرش الاله الذي ورد وصفه في كثير من متون الاهرام وبرديات كتب الموتى ، ويرجح البعض أن الهرم المدرج أو سلم الصعود كان بمثابة القاعدة التي يوضع فوقها هرم هيليوبوليس المقدس (بن بن) الذي يعكس نور الاله ويرمز الى عرش الشمس في السماء ٠

● عصر الاهرام وعقيدة التوحيد

لقد بدأ شأن الاله « رع » يرتفع سياسيا مع بداية الاسرة الرابعة حتى أصبح « الاله الرسمي للدولة » ٠٠ وقد توصل المصريون في بداية الاسرة الرابعة في عهد الملك سنفرو الى المعرفة التامة بالوحدانية بما تصوروه من النظام الاداري الخلقي العظيم ، وقد وصل فعلا الى ذلك رجال اللاهوت والفلسفة الذين أتوا بعد ذلك العصر ، وما ورد في كتاب الموتى ومتون الاهرامات مما وضع أسس الكثير من الشرائع التي وردت في الاديان السماوية ٠ وقد نسب الفراعنة جميع القوانين الادارية والنظم الاجتماعية والتشريعات الى انها منزلة من الاله « رع » فكان لا يسمح للملك نفسه بالتدخل في تعديل القوانين أو أحكام القضاء ، رغم أنه هو الذي كان يحملها للشعب والدولة ٠

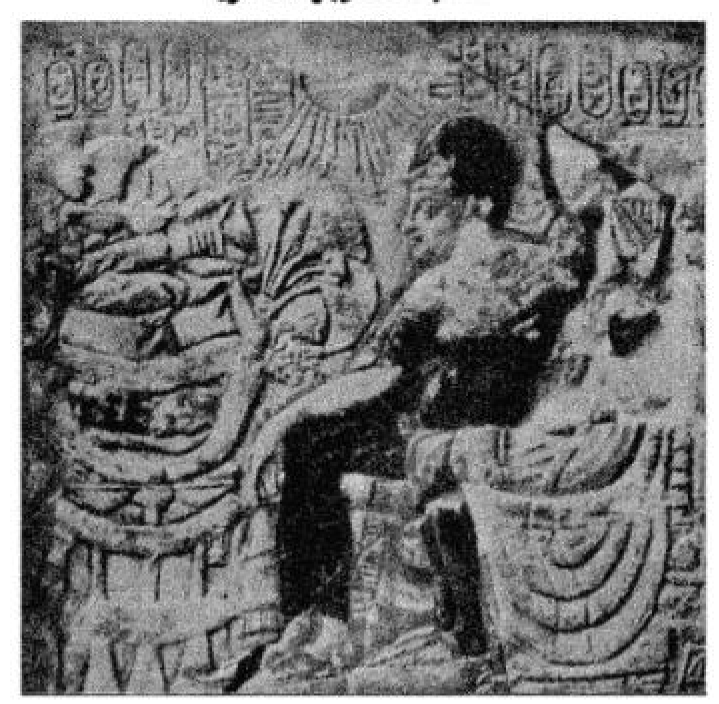
ولا شك في أن كهنة معبد اله الشمس (هيليوبوليس) كان لهم دور فعال في سيطرة عقيدة توحيد الاله رع على منف

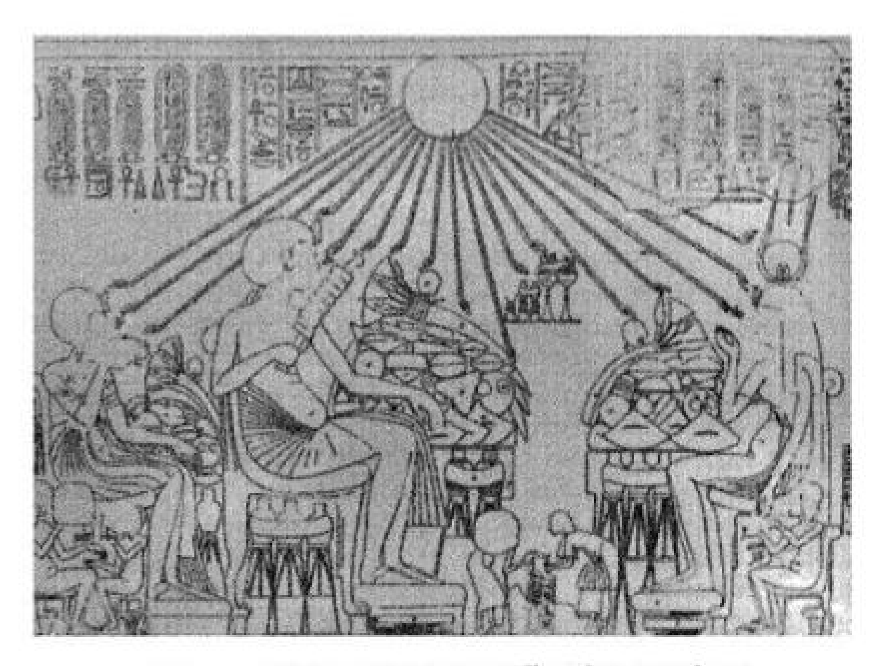


المسلة : اصبح العقيدة التي ترمز الى وحدانية الاله الخالق وتشير الى عرشه في السماء بنه الهرمي ، عقيدة التوحيد في الدولة الحديثة

وكان فراعنة عصر الاهرامات يفخرون بأنهم ينتمون الى كهنة المعبد المبجلين ، وكان بعضهم يحمل لقب الرائي العظيم وهو نفس اللقب الذى كان يطلق على الكاهن الاكبر لمعبد أون ، كما أضافوا الى أسمائهم والقابهم اسم رع ٠
شمس الصيف الناصعة تستطع فـوق
ويوصفت متون الاهرام الاله رع بأنه «الإله الواحد،عرشه الافق غير المحدود» وخرج هيكل تكوين الخلق (بن بن) رمز الاله الذي تعبر واجهاته المثلثة عن القوى الثلاثية للاله وقاعدته المربعةترمز الى اركان الدنيا الاربعة ، وتشير قمته الى عرش الاله فى السماء ٠ لقد خرج ذلك الشكل الهرمي من بين جدران معبد هيليوبوليس ليبني الاهـــرام على اختلاف انواعها كرمز لتوحيد الاله ، وانتقلت منها الى المعابد الجنائزية التى ترتفع الاهرامات فوق قواعد عالية أو فوق قمة المعبـــد ٠٠٠ ثم انتقلت الى المسلات أو تطور ارتفاع القاعدة التى تحمل الهرم المقدس قمة المسلة : لذا فقد وصفوا المسلات باصبع الايمان الذى يشير الى رع اله الشمس المتربع على عرش السماء واصـبـع العقيدة المرفوع لرمز وحدانية الاله ٠
وقامت الاسرة الخامسة بحمـــل رسالة التوحيد وجعلت من سياستهـا اعلاء شأن رع واحياء عقيدة توحيـده وجعلوا منه الها رسميا للدولة خاصة وان اول ملوكها كان من تلاميذ معبد أون او أحد كهنته وهو الملك أوسركاف

اخناتون ورمز الاله آتون



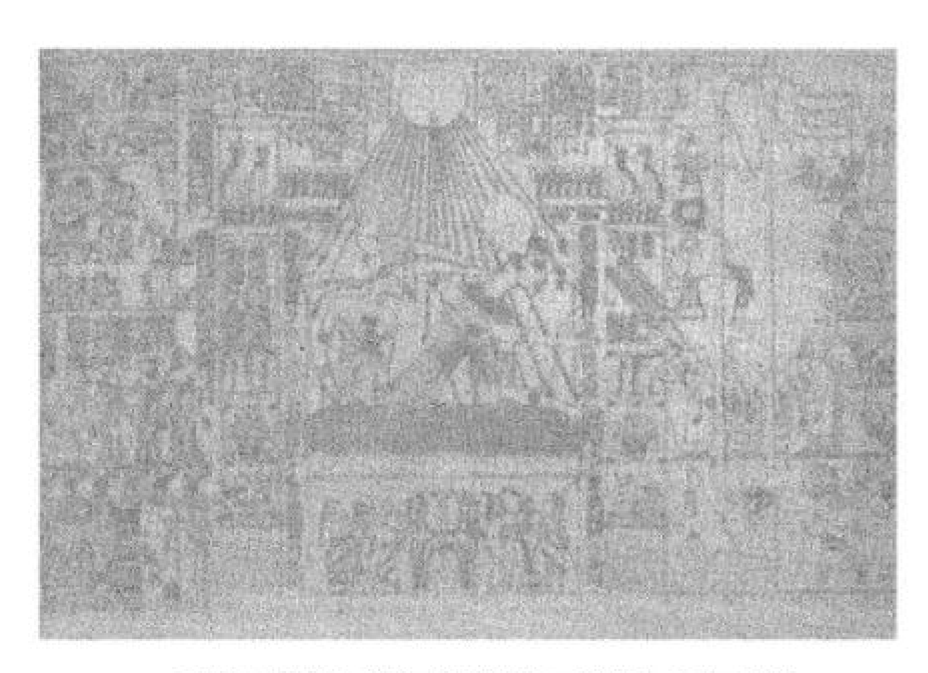


الملك امنحوتب الثالث والملكة تى يقدمان القرابين لاله الشمس وفوقهما رمز الاله آتون وايادية الممتدة

وتشبها بملوك الاسرة الرابعة فقد نسبوا انفسهم الى الاله رع واضافوا اسمه الى اسمائهم الاصلية أو اسمائهم الملكية ومن بينهم سا حو رع ـ نفر ار كا رع ـ نى وسر رع ، حد كا رع .

وقد خالف تلك النظرية الملك «أوناس» آخر ملوك الاسرة فلم يكن متحمسا حماسا كاملا كبقية الملوك للانتماء الى عقيدة رع ورفع شأنها ولم يجد مانعا من رفع شأن الاله أوزوريس أحد الهة التاسوع . وملأ بدعوته حجرات الدفن بأسفل التى اصطلح العلماء على تسميتها بمتون أهرام أوناس وحذا حذوه ملوك الاسرة السادسة جميعا ولعل هذا هو السبب الذى جعل بعض الاثريين يعتبرونه أول ملوك الاسرة السادسة ومؤسسها .

لقد اعطى ذلك الانفصال او التحول فى العقيدة الفرصة لمختلف المعابد للانفراد بسلطانها والدعوة لآلهتها الخاصة . وقد ساعد على انحلال عقيدة التوحيد المركز الاقتصادى الذى كانت تحتله المعابد الخاصة بكل اله ومقاومة هذه المعابد لاتجاه التوحيد الدينى باعتباره ضارا بمصالحهم الاقتصادية مما اثر مباشرة فى الانحلال السياسى وظهور نظام الاقطاع الذى عجل بظهور الثورة الشيوعية الاولى فى تاريخ الفراعنة فى اعقاب الاسرة السادسة التى قضت بدورها على الاديان جميعها ومنعت العبادة وهو العصر الذى اطلق عليه عصر الاضمحلال الذى استمر من نهاية الاسرة السادسة الى بداية عصر التحرير فى الاسرة الحادية عشر



اخناتون ونفرتيتى فى نافذة قصرهما عند الاحتفال بافتتاح مدينة « اخت آتون »

● مع بداية عهد التحرير فى نهاية الاسرة الحادية عشر فى عهد الملك منتوحتب الثانى (نب حبت رع) وبداية الاسرة الثانية عشر ورغم قوة نفوذ معبد طيبة وسيطرة الاله آمون الذى اصبح اله الدولة فقد تحول ملوك الدولة الوسطى الى معبد أون والدخول فى حظيرة الاله رع مما اضطر كهنة طيبة الى اضافة اسم رع الى الاله امون فاصبح امون رعكمحاولة لرفع قوة امون اله طيبة فى مواجهةالاله « رع » الواحد رب الارباب كما سمحوا للملوك باعتناق عقيدة « رع » وحدهم على ان يبقى الشعب فى رعاية الاله « آمون رع » وهكذا اضاف كل ملك من ملوك الاسرة اسم الاله رع ضمن اسمه الاصلى فاصبح :

أمنحتب الاول — سحتب اب رع
سنوسرت الاول — خبر كا رع
أمنحتب الثانى — نوب كا رع
سنوسرت الثانى — خع خبر رع
سنوسرت الثالث — خع كاو رع
أمنمحت الثالث — نى ما عت رع
الملكة سبك نفرو — سوبك كا رع

وقد بلغ ايمانهم بالاله الواحد أن نسبوا انتصاراتهم الحربية العظيمة وفتوحاتهم فى لوحات النصر الى الاله رع الذى كان له وحده الفضل فى انتصاراتهم · وقد ترك كل ملك من ملوكهم العظام مسلة فى رحاب معبد اون كرمزللايمان بتوحيدالاله أو الاصبع الذى يشير الى وحدانية الاله · وقد تحطمت جميعها فى حملة قمبيز الذى أمر بتحطيم جميع المسلات القائمة بالمدينة ولم ينج من حملة التخريب والاضطهاد التى قام بها سوى مسلتان

— مسلة تحتمس الثالث التى انتقلتالى معبد ايزيس الذى اقامته كليوباترة بالاسكندرية ومنها انتقلت الى لندن عام ١٨٧٧ عندما أهداها محمد على باشا الى الحكومة البريطانية · أما

المسلة الثانية فهى التي اقامهـا الملك ستوسرت الاول وهي المسلة الوحيـدة التي ما زالت قائمة مكانها في المطرية لتحديد مكان معبد اون - او اصبع العقيدة الذى تحدى الدفن ليبقى مشيراً الى عرش الاله الواحـد الاحد ليؤكد وحدانيته ٠

● اخناتون ٠٠ وعقيدة التوحيد

من الحقائق التاريخية أن « الانقلاب » الدينى الذى قام به « اخناتون » لم يتم بغته ٠ أو دفعة واحدة فقد بدأت مقدماته فى عهد جده تحتمس الرابع٠ الذى بدأت الدعوة لاحياء عقيدة التوحيد والعودة الى عبادة الاله رع (رب الارباب) فى عهده ومع بداية الدولة الحديثة ٠تنسب الدراسات الحـديثة تلك الدعوة الى النبوءة التي تلقاها تحتمس الرابع - عندما كان أميرا واصغر أبناء أمنحتب الثاني - تلقاها وهو نائم فى ظلال ابى الهول ، وهى الرؤيا التى سمع فيها أبا الهول يخاطبه بقوله « اسمعنى انا ابوك صقر الافق المتجسـد فى الارض ٠ ساعطيك ملكى على الارض لتكون على راس الكائنات الحية ٠ سـتحمل على راسك التاج الابيض والتاج الاحمـر لتكون على العـرش وارثا للمـلك ٠ ستكون لك الارض التى تضمنتها عين الرب بطولها وعرضها ٠ ستكون خيرات الارضين ملكا لك طوال سنى عمرك ٠ وجهى متجه اليك وقلبى معك ٠ ستكون راعيا لشئونى جميعها ٠ ان جميـع اعضاء جسدى تتالم من الرمـال التى غطت محرابى حتى غطت جسدى ٠ ولم يظهر منى غير جبهتى وعينى ٠ التفت الى ما اقوله لك ولنا اريد ان تعمله لتحقق رغبتى ٠ انك ابنى وحارسى ٠٠ وانا معك ومرشدك ٠

لقد تحققت تلك النبوءة التى نطق بها ابو الهول فعين الامير تحتمس الرابع فرعونا على عرش مصر مع انه لم يكن وريثا للعرش فقد كان له أربعة اخـوة يكبرونه ٠

ويصف الباحثون فى علم العقيـدة



تلك النبوءة بأنها رسالة الدعوة للتوحيد التي تبناها تحتمس الرابع فعلا بعدما جلس على العرش عندما اتخذ من الاله رع علما له في حروبه وفتوحاته التي نسب انتصاره فيها جميعا للاله الواحد وسجل ذلك في لوحات ابي الهول المشهورة · ولما استتب له الامر وضع همه في احياء حكم الاله « رع » واعادة توحيده وبدأ صراعه مع كهنة امون في طيبة للحد من نفوذ امون وقوته وهو الصراع الخفي الذي استمر حتى عهد اخناتون ·

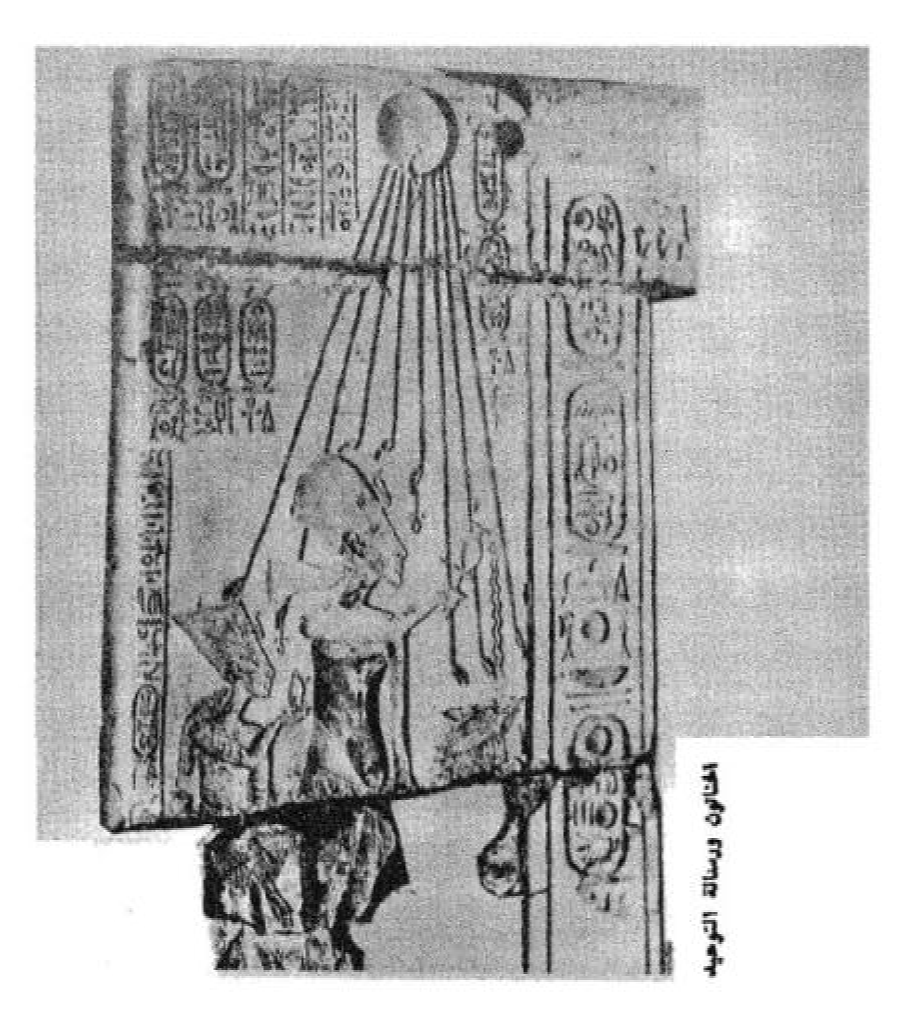
كان تحتمس الرابع اول من رمز للاله الواحد باسم اتون الذي نادى به اخناتون فيما بعد فعلى لوحة الشمس التي عثر عليها بجوار معبد ابي الهول ظهر تحتمس وهو يعبد قرص الشمس اتون وقد تعلى من هذا القرص شعاع ينبعث من قرص الشمس الذي تنبعث منه شعاعات تنتهي بأياد انسانية مماثلة لتلك التي ظهرت في لوحات اخناتون يضاف الى ذلك انه كان اول فرعون ثار على سلطان كهنة امون وانتزع من يدهم لقب « رئيس كهنة القطرين » وقلدها احد كبار مستشاريه الذين يركن اليهم ويثق فيهم ·

● في عهد « امنحوتب الثالث » خطا الميل الى عبادة قرص الشمس « اتون » خطوة ثانية اذ نشاهد ذلك الفرعون يطلق على القارب الاسطوري الذي يتنزه فيه في بحيرته الصناعية العظيمة بمدينة هابو اسم « تحن اتون » او اتون المضيء في الافق · كما ورد اسم اتون بالذات في اكثر من مناسبة من مناسبات حكمه ولم يجرؤ على نشر عقيدة توحيد اتون التي ورثها عن ابيه تحتمس الرابع التي كان يسعى الى نشرها سرا في محيط عائلته والقصر خوفا من سلطان كهنة امون · لكنه وجد تجاوبا كبيرا من حاشيته وبعض العشائر التي ينتمون اليها · ففي الواقع ان اخناتون « امنحتب الرابع » عندما تولى عرش البلاد بعد ان شارك والده في الحكم ما يقرب من ثماني سنوات وجد الامور مهيأة بعض الشيء لعبادة اله الشمس « او الاله الواحد الذي لا شريك له » ورمز له بقرص الشمس الذي أطلق عليه اسم اتون بدلا من رع ليعبر عنه بالقوة الكامنة خلف قرص الشمس لا الشمس نفسها وبني له في بادىء الامر معبدا في طيبة عاصمة البلاد ومعقل كهنة آمون ولم يغضب ذلك كهنة المعبد لان معبودهم كان قد سبق تحويله الى « آمون رع » الذي يجمع بين الاله آمون اله طيبة الاصلي والاله « رع » الذي ينادي به كهنة أون ويسمونه « رب الارباب » وظنوا بذلك انهم يخضعون الاله رع وبقية الآلهة للاله امون « سيد الآلهة »

لكن ثورتهم الحقيقية ضد اخناتون بدأت عندما فاجأهم بدعوته الجديدة واصراره على عبادة الهه « الواحد الاحد الذي لا شريك له » وتحريم عبادة امون او غيره من مختلف الآلهة المحلية او الاقليمية · كما الح في نشر رسالته ومذهبه في طول البلاد وعرضها مدعيا بأنها رسالة منزلة من الاله الاكبر خالق الوجود والبشر وما هو الا رسول يحمل رسالة اله السماء الى الارض وتتلخص في توحيد الاله وتمجيد ذاته ·

كان يمقت الاله آمون مقتا شديدا وفي العام السادس من حكمه قلب له ظهر المجن فاغلق معابده حيث وحطم وهشم تماثيله ومحا اسمه أينما وجد· بل محا اسم والده لان في تركيبه اسم آمون ثم ولى وجهه شطر الآلهة الاخرى فانزل بها ما فعل بآمون وزاد بأن محا لفظة الآلهة بصيغة الجمع من كل المعابد حتى يؤكد وحدانية الاله ·

كانت النظرية التي تبناها اخناتون في تحطيم تماثيل الآلهة هي القضاء على كيانها في عالم الوجود وذلك كما تشير اليه الوثائق القديمة في عالم السحر بأن محو صورة الانسان تعني القضاء عليه وان ذلك ينطبق كذلك على الآلهة ·· لانها ليست آلهة وليس لها حصانة من رب الخلق لانه يعترف بعدم وجودها فليس هناك الا اله واحد وليست له صورة ارضية يعبر عنها



اخناتون ورسالة التوحيد

باحد كائناتها ، وذلك لان روح الشخص أو الكائن تسكن تمثاله أو صورته او اسمه .

وهو نفس ما قصده تحتمس الثالث حيتما هشم تماثيل حتشبسوت واتباعها ومحا اسمهم من على الآثار ، وما كان يقوم به كثير من السحرة للقضاء على أعدائهم ومنافسيهم من الملوك .

كان الشعار الذى حمله اخناتون عند القيام بحملته على الآلهة والمعبودات وقيامه بتحطيم تماثيلهم ومحو أسمائهم والذى بدأ به دعوته ورسالته المشهورة ... « **الله الواحد الاحد . الفرد الصمد خلق السموات والارض ولا شأن بجواره لاحد . هو الاب وهو الام وليس له ولد** » والتى بدأ بها أناشيده وصلواته « **الله وحده لا شريك له** » .

● ليس هناك انصع تعبيراً عن عقيدة التوحيد من تلك الاناشيد التي تقص علينا تعاليم اخناتون وفي مقدمتها بهاء اخناتون وقوته العالمية والتي وجدت مكتوبة مع نشيد اخر على جدران مقبرة الكاهن اي في تل العمارنة وهناك عدة اناشيد أخرى كانشودة الشمس المشرقة وأناشيد الخلق والتي لم يصل منها للاسف الا بعض المقاطع والتي وجدت أن مزامير داود التي ظهرت بعدها بسبعة قرون لم تكن الا صورة طبق الاصل منها ·

● مناجاة الذات الالهية لآتون اله التوحيد

انك تشرق ببهائك وجمالك في افق السماء
انت اتون الحي كنت في ازلية الحياة وبداية الوجود
حينما تشرق في الافق الشرقي
تملأ البلاد ببهائك وتغمرها بنورك
انت جميل ومتلالىء ، جمالك ساطع فوق كل الارض

اشعتك تحيط الكون كله حتى اطراف ما خلقت
انت « رع » تخترق الارضين حتى النهاية القصوى
على الرغم من انك قصي جدا فان اشعتك فوق الارض

وعلى الرغم من انك نجاة البشر فان خطواتك خفية عنهم

●●●

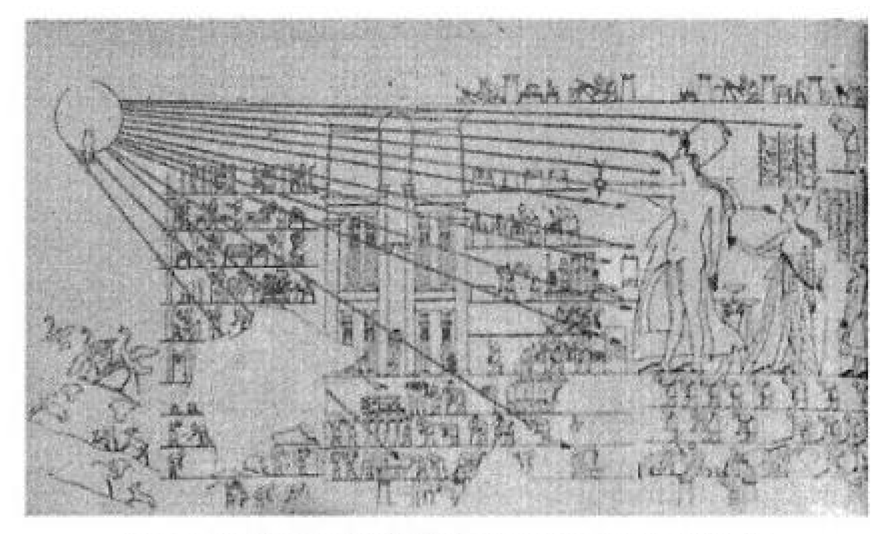
حينما تغيب في افق السماء الغربي
تظلم الدنيا ظلام الاموات
يمضي الناس الى مضاجعهم ملفوفي الرءوس
لا ترى عين صاحب لها
وتسرق امتعتهم من تحت رءوسهم
وهم لا يشعرون

●●●

تخرج الاسود من عرينها لتفترس
والحيات من جحورها لتلدغ
يخيم الظلام ، والارض في صمت
لان خالقها هاجع في افقه ·

اخناتون ونفرتيتي واطفالهم الثلاثة ورمز الاله آتون احدى لوحات تل العمارنة « متحف برلين »





عندما يشرق نورك على الكون تعود اليه الحياة ويذهب كل الى عمله ويسبح الكل بحمدك

وعندما تشرق في الافق بوجهك المنير
ويسطع نورك « كاتون » شمس النهار
فتطرد الظلمات وتضفي اشعتك
فتحتفل ارضك المقدسة بالعيد
ويستيقظ الناس ليقفوا على اقدامك عند ايقاظك لهم
يغتسلون ويتطهرون ويلبسون ثيابهم
ويرفعون أيديهم تعبدا لطلعتك
يذهب كل لأداء عمله
وترعى الماشية وهي ترتع في مراعيها
والاشجار والنباتات تينع والزهور تتفتح
والطيور في مستنقعاتها ترفرف وتغرد
وتفرد أجنحتها تهليلا لروحك

وتقفز الحيوانات والغـــزلان على اقدامها
وكل ما يطير او يحط يحيا عندما تشرق عليه
وتقلع السفن في النهر صـــاعدة او منحدرة

وكل الطرق تفتح عنـــدما يشرق نورك عليها
وتقفز الاسماك على سطح النهر امامك
واشعتك تنفذ الى اعماق الوادى الاخضر
الواسع العظيم

●●●

يا من تخلق بذرة الحياة في المرأة
وتخلق سائل الحياة في الرجل ليذرأ من البذرة اناسا
يا من تجعل الطفل يعيش في رحم امه
وتهدئه حتى يكف عن بكائه
مرضعا اياه في الرحم ومعطيه النفس حتى يحفظ له الحياة
وكل انسان خلقته حين ينزل من الرحم يوم ولادته
فأنت تفتح فمه وتمنحه ضروريات الحياة
وتحمله كتاب أجله ومصيره في هذه الدنيا

●●●

يا من يكون الفرخ في الغلاف الحجرى للبيضة
وتودع فيها الروح ، ليبدأ حياته
وتعطيه النفس ليحفظه حيا في داخلها
وقدرت له ميعاداً ليخرج من البيضة
يخرج منها في ميقاته الذى قدرته له
ليمشى على رجليه حال خروجه منها
ويتقر بمنقاره باحثا عن قوته الـــذى أعددته له

ما اكثر تعدد اعمالك وهى على الناس خافية
يا أيها الاله الاوحد .. الذى لا يوجد بجانبه شان لأحد
خلقت الارض حسب مشيئتك وطوع رغبتك
عندما كنت وحيدا ولا شيء غيرك
ما يمشى على رجليه وما يزحف على بطنه
وما يطير باجنحته وما يغوص فى الماء
خلقت لكل واحد منهم مكانه او قوته ورزقه وايامه المعدودات
خلقت الوديان والجبال والبحار والانهار
خلقت ارض مصر وسوريا وكوش وكل الشعوب
اختلفت السنتهم فى الكلام وجلودهم فى الالوان
خلقتهم طبقات ووضعت كلا فى موضعه الذى أردته له
صنعت السماء العالية وزينتها بالنجوم لتشرق فيها ماثلا فى وحدانيتك
وعندما تظهر فى صورتك كاتون الحى تشرق ثم تزدهر ثم تبتعد فيخيم الظلام
وكل عين تراك ماثلا أمامها فى وجودك وغيابك
لأنك ألواحد الأحد
وليس بجانبك شان لأحد
انك فوق الكون كله ، لتسع الكون كله
ما اعظم اعمالك يا رب
فالارض ملأى بصنيعك وغناك
لأنك صنعت كل ما فى الوجود بحكمة وصنعته لحكمة

● من دعاء اخناتون

بردية تل العمارنة « متحف برلين »

الله وحده لا شريك له ... نعمه لا تحصى تفوق حبات الرمال التى تكون الصحراء التى تمتد لتعانق الأفق على جانبي نهر النيل
وتفوق قطرات الماء التى تكون البحار اللانهائية التى تمتد لتعانق السماء .
انظروا الى يد الاله وهى تمتد الى زهرة اللوتس لتفتحها
لتنظر اليه وتسبح بنعمه .

انظروا الى يد الاله وهى تمتد لتوقظ الطيور على الاشجار وفى البحيرات لتجمع ما أعده لها من غذاء .. وتغرد تسبيحا بحمده .

انظروا الى يد الاله وهى تحرك بصماتها الذهبية على سطح النيل فتملؤه دفئا وتهب الاسماك الحياة .

انظروا الى يد الاله وهى تلمس القمح الاخضر فى الحقول فتصبغ سنابله باللون الذهبى وتنضجها .

انظروا الى يد الاله وهى تبارك كل شيء فى الوجود وهو جالس على عرشه

انظروا الى يد الاله وهى تنشر نور الخير لتبدد ظلمات الشر .

انظروا الى يد الاله وهى تلمس البيضة فتضع الحياة فى الجماد وبطن المرأة فترعى الجنين وتهبه الحياة .

انظروا الى يد الاله وهى توقظ الزارع بعد أن تزيل عنه تعب الامس ليرعى حقله والصانع ليرعى حرفته .

انظروا الى يد الاله وهى توقظ الحاكم ليرعى شعبه والكاهن ليبشر بحكمته .

انظروا الى يد الاله فهى الشعاع الذى يملأ قلوبنا بالايمان وطريقنا بالنور .. وهما ما نحتاج اليهما فى رحلتينا .

انظروا الى يد الاله وهى تمتد الى جحور الحشرات الصغيرة لتوقظها وتخرجها لتبحث عن رزقها وما أعده الاله لها من قوت .

انظروا الى يد الاله وهى تمتد الى الصحراء القاحلة فتؤمن رزق كل كائن فيها ، فيد الله لا تنسى مخلوقا من مخلوقاته سواء كائنا يسير على سطح الارض أو يطير فى السماء أو كائنا فى الجحور أو ساكنا فى أعماق الماء أو فى صخور الجبال أو رمال الصحراء .

انظروا الى يد الاله وهى لا تحمل الا النعم والعطايا والخيرات . توزع نعمه على الجميع فالجميع أمامه سواء لافرق

بين الحشرة التي تدب في الارض او الدودة التي تعيش تحت الارض او الطائر الذى يطير في السماء او السمكة التي تعيش في الماء او الحيوان الذى يعيش في الغاب او الانسان ٠

كلهم امامه سواء لانه لو اراد ان يجعل الحشرة انسانا لجعلها او الانسان حيوانا لجعله او السمكة طائرا لجعلها، فله في خلق كل كائن حكمة ٠

فيداه تمتدان اليهم جميعا وتؤمنان حياتهم جميعا كل بقدر ايمانه به ٠

● من اقوال اخناتون

● الحياة في الحقيقة ٠٠ عش على الحق وتزود من صدق قلبك ٠

● ان نور الاله يشرق امامه حيثكان سواء في الجحور السفلى او في ظلمات الليل ٠ لذا فلا يخشى من يتبعه ان يضل طريقه ٠

● ان الاله الذى خلق العالم وحده يحب الحياة التي اودعها فيه ٠

● الهى زدنى حكمة ٠ وزدنى علما حتى اكون شعلة تضيء لمن يضرب عليهم الحجاب فاملا قلوبهم بالايمان وانير طريقهم حتى يمكنهم بفضل ما اوتوا من علم ان يشعلوا نارهم ليهتدوا بها ويتجنبوا طريق الظلمة والجهالة ويحيوا على مدى الايام في نور شمسك الساطعة ٠

● املا قلبك بالحب والايمان واملا عقلك بالعلم والمعرفة ٠

● كل ما هو خير ينزل من السماء وكل ما هو شر يصعد من الارض ٠

● الله احد ٠ الواحد الصمد ٠ ليس بجانبه شان لاحد هو الاب وهو الام وليس له ولد ٠

● نهاية اخناتون ٠٠٠ نهاية عقيدة التوحيد ٠

لقد اكتنف الغموض نهاية اخناتون فلم يتفق علماء الآثار والمؤرخون على رأى في نهايته ٠٠ هل تمكن كهنة آمون من اغتياله ٠٠ او عزله ٠٠ ام انه مات على فراشه فريسة مرضه العضال رغم ان اكثر الشواهد تدل على انه قد اغتاله المتآمرون بعد ان غفلت عنه عين العناية التي كانت تحرسه ٠

الذى لا خلاف عليه ان اخناتون وافته المنية وهو لا يزال في سن الشباب ٠٠ في الثلاثين من عمره ، تاركا وراءه صراع معركة خاض غمارها ولم يمهله القدر ليقودها الى نهايتها ٠

كانت النتيجة الحتمية لكل هذا ان توارت عبادة اتون عندما وارى الثرى جسد اخناتون عام ١٣٥٨ ق ٠ م

هناك فرق بين النهاية المرجوة والنهاية التي لاقاها اخناتون بعد موته كالنهاية التي كان يرجوها لعقيدة التوحيد التي نادى بها والنهاية التي لاقتها العقيدة ، فبدلا من ان يدفن باقامة الافراح والاحتفالات الضخمة التي تليق بمقامه وهي التي تنبأ في « اخت اتون » مدينته المقدسة التي احبها بكل قلبه بقوله « سينحت لي ضريح في الجبل الشرقي ويحتفل بدفني في الافراح العديدة التي امر بها والدى اتون وكذلك سيحتفل بدفن الملكة نفرتيتي الملكة الشرعية وكذلك سيحتفل بالبنت الملكية مريت آتون بعد عمر طويل سيؤتى بي وادفن في « اخت اتون » كذلك الملكة نفرتيتي في الشمال او الجنوب او الغرب او الشرق بعد ستين يخطئها العد ويقررها الرب في اخت آتون مدينته المقدسة ٠ »

نجد انه قد قذف به في قبر حقير في مقابر طيبة التي كان يمقتها من اعماق قلبه ٠

● ان الرمز الجديد الذى وضعه اخناتون وعبر عنه بآتون قرص الشمس تخرج منه اشعة متفرقة تنتشر فوق الارض وينتهي كل شعاع من اشعته بيد بشرية وهو ما يعبر عن اليد القوية الخارجة من منبعها السماوى وتضع ايديها فوق العالم وعلى شئون البشر الارضية ، ما هي الا امتداد لما ورد في نظرية التوحيد الهرمية القديمة في عصر الاهرام فقد عبرت متون الاهرام عن قوة الاله رع بشعاع الشمس على شكل

لقد وجدت عدة نماذج مماثلة فى لوحات ابى الهول المقدمة من الملك تحوتمس الثالث كما ظهر ذلك الرمز الذى يمثل الاله آتون وأشعته التى عبر عنها بالايادى البشرية التى كانت شعار عقيدة اخناتون قد وجدت متكاملة فى احدى لوحات امنحتب الثالث والملكة تى يتوجهما قرص الشمس اتون وايادى اشعته والتى تعتبر صورة طبق الاصل للوحات اخناتون .

كما وجدت لوحة أخرى جمعت بين امنحتب الثالث وزوجته تى فى جلسة عائلية مع اخناتون ونفرتيتى قبل أن ينادى اخناتون بعقيدة التوحيد وقد رسم فوقهم قرص الشمس آتون مرسلا اشعته المقدسة التى تتدلى منها أياد ترمز الى النعم التى يمنحهم اياها اله السماء الواحد الأحد .

● توت عنخ آمون وعقيدة التوحيد

رغم أن توت عنخ امون الذى كان اسمه « توت عنخ اتون » (الصورة الحية لاتون) وقد غير اسمه وعقيدته بعد انتقاله الى طيبة وارتداده عن عقيدة اتون تقربا لكهنة آمون وغير اسمه الى توت عنخ امون الا ان اثاثه الجنائزى وبعض قطع اثاث قصره الذى نقله معه فى قبره يخلط بين اسمى اتون وامون وأهم ما يسترعى النظر فى هذا التناقض أو الغموض كرسى العرش نفسه الذى نقشت عليه صورة فرعون وزوجته باسميهما مركبين من لفظة آمون وفى نفس الوقت وضعا فوقهما الاله اتون مرسلا أشعته التى ينتهى كل شعاع منها بيد انسان ولتأكيد ذلك نقش طغراء باسم اتون على جانبى قرص الشمس ونرى نفس الظاهرة بادية على ظهر الكرسى نفسه لحماية العرش .

كما أن الكرسى الثانى الخاص بالملك والذى يطلق عليه اسم الكرسى النموذجى فقد نقش عليه اسم توت عنخ اتون فقط مع شعار اله الشمس الواحد .

لقد تولى توت عنخ امون الحكم



اخناتون

ذراعين تمتدان من خلف قرص الشمس والتى وصفت بأنها تنوب عن الاله فى الارض لتساعد البشر .

كما رسمت الذراعان فى فنون عين شمس وكتاب الموتى وهما ترفعان الملك أو سفينة الشمس التى تنقله الى العالم الآخر أو عالم الخلود دلالة على رضاء الاله عنه .

وهو فى بداية العقد الثانى من عمره وتوفى وهو لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره لم يمهله القدر فاختفى من مسرح السياسة والحياة ولم يترك التاريخ كلمة عن نشأته ومراميه التى كان يهدف الى تحقيقها فيما يختص بعقيدة التوحيد التى كان يعمل سرا للحفاظ عليها .. والتى ربما كانت السبب فى نهايته الغامضة أسوة باخناتون .

● كانت السنة السادسة من حكم اخناتون هى نقطة التحول الرئيسية فى تاريخه وتاريخ العقيدة ، ففى تلك السنة غير اسمه من إمنحتب الذى ينتسب به الى أمون الى اسم اخناتون (اتون مسرور) كذلك محا اسم آمون من القاب واسماء ابائه وأجداده وبذلك انفصل عن التقاليد الدينية القديمة تمام الانفصال كما غير اسم طيبة نفسها الى (ضوء اتون العظيم) وفى نفس السنة شيد عاصمة ملكه الجديدة (اخت اتون) - أفق اتون - كعبة التوحيد التى يتوسطها معبد اتون .

يصف التاريخ رحلة اخناتون المقدسة التى قام بها من مدينة الكرنك حيث أقام معبده الاول (رع حوراختى) وهجرته المقدسة على سفينته التى اطلق عليها اسم (شعلة اتون التى لا تنطفىء) وتركها تسير على صفحة النيل يقودها التيار الذى يوجهها « بامر الاله الواحد معطى الحياة الى ابد الابدين » .

وسارت السفينة تتبعها قافلة من السفن تحمل رجال البلاط والعلماء وكهنة الدين الجديد ومن تبعه من أهل طيبة ممن آمنوا بدين التوحيد الجديد .

استمرت الرحلة ستة أيام عرجت بعدها سفينته تجاه الشاطىء الشرقى لترسو عند المكان الذى حدده له الاله «أرض مقدسة لم يدنسها بشر » حيث شيد مدينته المقدسة (اخت اتون) وحدد أركان المدينة التى يبلغ طولها ستة أميال وعرضها ثلاثة أميال بأربع لوحات حفر على كل منها « انه بعين الصدق الذى احلف به ، انها اللوحة



توت عنخ آمون

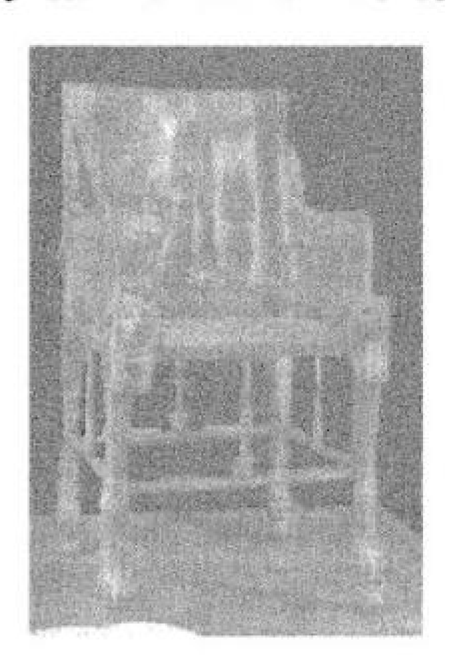
الجنوبية الغربية التى حدد الاله موقعها ولن أتخطاها أبد الأبدين - كما سجل على كل لوحة طول المسافة التى بينها وبين اللوحة المقابلة لها . كما ورد فى أحد البرديات القديمة الا يطأ أرض المدينة أو يعيش فيها الا كل مؤمن بالاله اتون ويهدر دم كل كافر يتخطى حدود أرضها الطاهرة . أما موقع المعبد المقدس فقد ذكرت أساطير تل العمارنة أن الاله اختاره بأن أنزل من السماء حجرا مقدسا أمر اخناتون أن يبنى المعبد حوله . وقد بنى اخناتون مدينته بعيدا عن الشاطىء للاحتفاظ بالمزارع الخضراء والأرض الخصبة .

وقد اشترك اخناتون وزوجته الجميلة نفرتيتى فى وضع تخطيط المدينة واحتفل بهذا الحادث احتفالا عظيما سجله على احدى لوحات أحجار الأساس التى أقامها فى حرم مدينته المقدسة وقد أبقت الايام من تلك اللوحات

أربعة عشر لوحة كتبت تاريخ المدينة وانشائها . وقد ورد في النص المدون على تلك اللوحة « السنة السادسة . الشهر الرابع من الفصل الثاني في اليوم الثالث عشر . في هذا اليوم كان الملك (يلي ذلك القابه والقاب الملكة الجميلة وآيات المديح) في سرادق من نسيج أمر جلالته بصنعه في أخت آتون وقد زار جلالته في عربته العظيمة المصنوعة من الذهب مثل اتون عندما يشرق في الأفق وملأ الأرضين بجماله عندما بدأ السير في طريقه وقام بأول جولة ليشيد أثرا خالداً لآتون معطي الحياة الى أبد الآبدين ويقوم بإقامة هيكله في وسطها في المكان الذي اختاره الآله وحدد موقعه . وقد أمر جلالته أن تقدم قرابين عظيمة من الخبز والجعة والثيران والعجول والماشية والطيور والخمر والذهب والبخور وكل الازهار الجميلة ففي هذا اليوم تم ارساء حجر الأساس لمدينة (اخت آتون) لآتون الخالق الحي الجالس على عرشه في السماء حتى يمنح الملك الحظوة والرضى والحب » .

واشرف اخناتون بنفسه على تصميم معبد الآله « على رغبته » واستغرق بناؤه دورة كاملة للآله في الأفق أي اثني عشر شهرا وعند افتتاحه اقام به صلاته الأولى التي أم فيها المصلين فكان أول سجود وأول ركوع في تاريخ الأديان وأول طواف حول الهيكل المقدس .

كرسي العرش هل يحتفظ بسر نهاية العقيدة .. ونهاية توت عنخ آمون ؟



• إبراهيم عيسى •

معطفها

قالت : أتحمل معطفي ؟ إني أضيق بسُحْبِهِ
فأجبتُ : كيف أرُدُّهُ وأنا أهيمُ بحبِّهِ
وكأنني بالقُرْبِ منكِ ، اذا سعدتُ بقُرْبِهِ
وأنا .. كعهدِكِ بي .. أنا جَدْبٌ يحِنُّ لخصْبِهِ
صَبٌّ تخلّفَ يا خميلةَ رُوحه عَنْ سِرْبِهِ
غنّى الربيعُ بقلبِهِ : إحمِلْ هواكَ وسِرْ بِهِ
فسحبتُ معطفَكِ الدفيءَ إلى الشتاءِ وسُحْبِهِ
وطويْتُه .. وحملتُه .. ولثمتُه في هُدْبِهِ
وهتفتُ حين ضممتُه : ياليتها كانت بِهِ !



شعر الغزل المعاصر وهموم الإنسان

ان حب الرجل للمرأة وعلاقته بها كانتا اسبق من فجر ميلاد الانسانية على وجه الارض ، حيث كان لقاء آدم وحواء في رحاب الجنة الطهور وهذه العلاقة كانت وستظل محور الحياة الانسانية في تجددها الخلاق ، واذا كانت العاطفة التى تربط الرجل بالمرأة اقوى العواطف الانسانية أو كما يقول الشاعر الاستاذ صالح جودت (١)

كل لذات الدنيا غايتها ... لذة في هوة النفس خبيئه
لذة من جنة الخلد ، وان ... قالها الناس بالفاظ بذيئه
النبي الاول استقى بها ... عن جنان بالهناءات مليئه

هذه العلاقة ليست مجرد نزوة جنسية لان المسألة في حدود هذه العلاقة ما كانت تقدم للحياة اكثر من حفظ النوع ككل عوالم الحيوانات ، ولكن هذه العلاقة عالم شاسع شديد التعقد والتشابك سداه ولحمته العواطف الايجابية الخلاقة التى تزحف بالانسان الى غايات لا حدود لها : تارة يصل بها المرء مراقى الكمال والرفعة ، وأخرى يهبط فيها وبها الى سعار الجحيم والتشرد ، وبين هذين الطرفين المتباعدين دروب ومسالك ودرجات لا حصر لها ولا ينقضى العجب في تقصيها والعجز عن بلوغ نهايتها ، ويطوف علماء النفس والاجتماع — وشتى أنواع الدراسات الانسانية — ثم يعودون لنا بالوان من حصاد الدراسات في دروب هذه العلاقة التى تسع الحياة في شتى مظاهرها واعمق اسرارها ، ولكن صوت الشعر يظل الوتر الأسمى والاليق بتناول هذه العلاقة والعزف على جميع ما يناسبها من لحون وايقاعات .

خطأ شائع :

من الملاحظ ان شعر الحب او الغزل لازمه خطأ شاع واستقر ولا بد من رده على اعقابه ، ومرجعه ان كلمة « غزل » تعنى جوانب العواطف الخاصة التى

---

(١) ديوان حكاية قلب قصيدة « عصير التفاحة » ص ٢٥



صالح جودت



محمود سامي البارودي

تحكم علاقة الرجل بالمرأة ، ومن هنا أصبح شعر الغزل عندما يطلق يراد به شعر تلك العواطف الخاصة ، فاذا اضيف الى هذا ان خلائق الحب ونوازعه في المجتمعات الحديثة هبطت كثيرا عما قدمه لنا التاريخ من صور وحكايات عن علاقات المحبين فان مفهوم الحب والغزل أصبح في العرف الشائع اقرب ما يكون الى الخطيئة ، ومرادفا لمعنى من معاني الاقتناص ، والتضليل وقضاء المآرب ، في سلوك مهما تغيرت به الازياء وتعددت معه الاساليب فانه في النهاية مسلك ردىء ان لم يكن ضربا من ضروب الرجس والهوان وسلما الى الندم الابدى لدى من يفيقون على الضياع •

والحق ان نزعة العصر المادية ، وموجة الاباحية الفاشية على انها خير الاساليب واصدقها في تحقيق ذات الانسان والاحتفاظ بكل قواه وامكاناته للنجاح في القيام بمسئولياته ـ هذه النزعة هي المسئولة عن ذلك الطمس والتشويه الذى اصاب مفهوم كلمة الحب ونزل بها من عالمها العلوى الى مهاوى الرداءة والانحطاط ، ولقد اثر هذا المفهوم على بعض الادباء فتناولوا معاني التسفل والسقوط في عرى مخجل ورجاسة ممقوتة • وليس شيء من قولهم يعنينا بل انه فيما يبدو لا يعني حتى هواة الغواية لانهم يستغنون بالحقيقة عن وصفها ، فهذا النمط من القول اذا غاب عنهم لا يفتقدون مطلبا يحسون بالحاجة اليه فليس شارب الماء بمحتاج الى وصفه في قليل او كثير اذا كان هدفه الاول والاخير ان يروى غلته •

وانبه هنا الى ان بعض الشعراء قدامى ومحدثين قد تناولوا العلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة في مستويات مختلفة وبقى شعرهم شعرا عاليا وفنا رفيعا ، وليس على هؤلاء من سبيل ، انما السبيل على الذين يبغون بالكلمة غير ما هي اهل له من الفن الذى لا نزاع حول قيمته ومستواه •

الغزل وهموم الحياة

كان شعر الغزل ولا يزال يتناول عواطف النفس وخوالج الروح ووجيب القلوب في تشوقها الى المحبوب ولهفته عليها وفتنته بها وامانيه معها

شعر الغزل

ولها ، وله من خلال ذلك كله رؤى ومشاهد ولمحات قادرة على الاعجاب والسيطرة ... ولكن الشاعر المحدث لم يعد يسبح في هذه البحيرة الانفة الذكر بل تخطاها ليركب الامواج العاتية في البحار العالية

ولم يعد له باب واحد من أبواب الحياة يدق عليه عندما يرتاد شعر الغزل ، بل اصبحت أبواب الحياة الكبرى مرتادة عند القول في هذا الغرض ومن هنا اصبح شعر الغزل يحمل هموم الانسان الكبرى في عصرنا الحديث .

لذا رأينا شعر الغزل يخوض في قضايا السياسة وهمومها ومشكلات الاقتصاد وعنائها ، ويكشف عن حقائق الوجود العليا التي تحكم مسيرة الانسان والحياة ، واصبح يتقصى حقائق النفس البشرية في وجودها المعقد المتشابك ، بل انه الغرض الذي يتسع لكل مسارب الحياة ومشاكلها .. ولعل تغلغل المرأة في كيان الحياة والرجل - حتى مع رفضه لها واعراضه عنها - هو الذي جعل وجودها حقيقة في كل مذاق للحياة كملح الطعام لا يصلح بدونه ، ويفسد بالكثير منه ، ويحرمه الاطباء على المرضى فقط .

بداية القول

ما دمنا قد فتحنا باب القول في شعر الغزل على مصراعيه فلابد من تتبع مساره في شعرنا الحديث ، وهو موضوع لا تنتهي منه في مقال ..

وبداءة فاني اشير الى انه كلما تقدمت مع مسيرة الزمن في تتبع هموم الانسان وقضاياه الكبرى في شعر الغزل وجدتمادة اكثر غزارة واقوى اغراء واكبر عطاء وتنبأ هنا بما نراه طورا تاريخيا من اطوار القول في غير الغزل بأسلوب الغزل .

(١) الغزل والحنين الى الوطن :

هناك ملابسة علمية فنية تحتاج الى مزيد من التحري وهي أن بعض الباحثين عد الشعر الوطني الذي قيل في الحنين والشوق الى الوطن من شعر الغزل بسبب ان الشاعر مزج الغزل بالحنين الى الوطن أو بعبارة أدق عندما ركب الشاعر الغزل مطية للقول في حب الاوطان والتشوق اليها .

والحق أنه يجب الا نعمد الى خلطبين الاسماء والمسميات ذلك ان هذا النوع من الشعر شعر وطني قيل في غرض الحنين الى الوطن ، وليس من شعر الغزل ، وانما اسلوب الغزل بخصائصه الجوهرية كان وسيلة الشاعر للتعبير عن عواطفه ولوعته وحنينه الى وطنه فالشاعر حن الى وطنه وملأته لهفة الشوق اليه - لا سيما عند اولئك الشعراء الذين تعرضوا للنفي خارج البلاد مثل البارودي وشوقي - ففاضت مشاعره المحبة اللهفى الى من يحب واذا كان الموقف موقف حب وحنين فان اقرب اسلوب للتعبير عن تلك المعاني هو شعر الغزل ذلك انه يحرك أقوى العواطف الانسانية وهي عاطفة الحب ، فما الظن اذا كان حبا كبيرا يترفع على الرغبات ويحلق مع أسمى العواطف واشرفها وهي العاطفة الوطنية .

مع البارودى :

المعروف أن هذا الرجل أمير النهضة الشعرية الحديثة حيث قاد الشعر الى قمة الماضى الذهبى الذى كان يتربع عليها فوصل حاضر القول فيه بماضيه ، ورد على الشعر العربي قوته ورد على الشاعر العربي ثقته فى أنه أهل للقول على غرار القدماء ، هذا بالاضافة الى أن أصالته فى القول ترجع الى أن شعره يدل على ذاته وشخصيته أقوى دلالة ٠

هذا الشاعر استخدم ببراعة فن الغزل فى الحنين الى الوطن ، والغزل هنا ليس غرضا بل أسلوبا فى التعبير عن الحنين اليه والتعلق به والاخلاص له والهيام به وبكل ذكرياته عنه وعالمه فيه، فالشعر اذن هو الحنين الى الوطن ، قيل بأسلوب ما ومهمة المتذوق له أن يرد كل معنى وكل عبارة فيه الى المنابع النفسية والفكرية والشعورية التى حركت الشاعر الى ابداعها على هذا النحو ، وللبارودى نماذج قوية تتعاقب بعضها فيما يلى :

يبدأ البارودى فى احدى قصائده التى قالها فى منفاه فيتوجه الى ذلك المحبوب الذى يحرك أشواقه ويثيرها ، ويقول : لبيك ، مرنى بما شئت ٠ تبلغ ما وصلت يدى اليه ٠ وتأكد أيها المحبوب انى مخلص لك ولا يمكن أن ينال العاذلون الخداعون من حبى لك فحمى قلبى حرام عليهم ٠٠٠ ولتعلم أن مهجتى حصن للحب يلوذ به من غدر الغادرين ٠

ثم يعاتب المحبوب مستخدما أسلوب الالتفات قائلا له : بذلت نفسى وهى غالية عزيزة ، لمن يبخل عليها بصفاء الود ، وانى أشكو اليه ولا يصغى الى الامى من غير ذنب اقترفته ، ومن غير سبب يدعوه الى ذلك الهجران، ثم يصرخ صرخة الوجد المدمر من تلك اللهفة على محبوبه التى يعجز عن تحقيق ما يرجوه من ورائها يقول البارودى :

لبيك يا داعى الاشواق من داعى	أسمعت قلبى وان أخطأت أسماعى
مرنى بما شئت أبلغ كل ما وصلت	يدى اليه فانى سامع واعى
فلا وربك ما أصغى الى عذل	ولا أبيح حمى قلبى لخداع

الى أن يقول :

للحب من مهجتى قلب يلوذ به	من غدر كل امرىء بالشر وقاع
بذلت فى الحب نفسى وهى غالية	لباخل بصفاء الود مناع

وفى البيت الحادى عشر بعد الوله والشوق والشكوى والحنين يكشف لنا عن هذا المحبوب فاذا هو وطنه مصر ٠٠٠ يقول كاشفا عما يتشوق اليه :

يا حبذا جرعة من ماء محنية	وضجعة بين برد الرمل بالقاع

الى أن يقول :

فان يكن ساءنى دهرى وغادرنى	رهن الاسى بين جنب بعد امراع
فان فى مصر اخوانا يسرهم	قربى ، ويعجبهم نظمى وابداع

وهناك نموذج رائع للبارودى فى تناول هذه الظاهرة فى أدبه وهو النموذج الذى مطلعه :

لكل دمع جرى من مقلة سبب	وكيف يملك دمع العين مكتئب

وفيه يتكلم عن مكابدة الاشواق ويحذر العاذل من اخفاق مسعاه لان سلطان الحب غلاب ، ثم يغترف من معين الحكمة ما يجعله مطمئنا الى ما وقع ٠٠ لأنه لا مهرب من يد الغيب وقضائها ، ويعلن أنه لا قبل له على السلوان ، ويصف لوعته على النحو التالى :

اصبحت فى الحب مطويا على حرق يكاد ايسرها بالروح ينتقب

الى ان يقول :

لا يترك الحب قلبى من لواعجه كأنما بين قلبى والهوى نسب

وهكذا يشدنا الى حديث الحب بكل ابعاده النفسية والشعورية حتى يثير فى نفس القارىء منابع الهوى والعشق ، ولوعة الفراق والمكابدة ، ثم ما يلبث ان يكشف عن المحبوب ولكنه لا يكشف عنه بكل الايضاح بل فى اشارة يرتاب معها من لا يعرف البارودى وحنينه الى الوطن فيقول :

فلا تلمنى على دمع تحدر فى سفح العقيق فلى فى صفحه ارب

. . . .

لى عند ساكنها عهد شقيت به والعهد ما لم يصنه الود منقضب

ويكاد يكشف عن المقصود الاصلى حين يقول :

فياسراة الحمى : ما بال نصرتكم ضاقت على ؟ وانتم سادة نجب

اضعتمونى وكانت لى بكم ثقة متى خفرتم ذمام العهد يا عرب

ولكنه لا يلبث ان يغرق نفسه والمتلقى عنه فى احاديث الغزل الخالص حيث يقول هذه الابيات الجيدة :

فكيف تسلبنى بلا ترة فتاة خدر لها فى الحى منتسب

مرت علينا تهادى فى صواحبها كالبدر فى هالة حفت به الشهب

تهتز من فرعها الفينان فى سرق كسمهرى له من سوسن عذب

كأن غرتها من تحت طرتها فجر بجانحة الظلماء منتقب

ويستمر فى وصفها والشوق الى نظرة منها يحيا بها الرمق ، ويشكو غربته ووحدته ثم يكشف عن هواه ومأساته فى هذا الهوى فاذا الحبيبة مصر ، واذا الشوق اليها واللهفة عليها واذا الحرمان كان بسبب الدفاع عن دينه ووطنه يقول :

ومن عجائب ما لاقيت من زمنى انى منيت بخطب امره عجب

لم اقترف زلة تقضى على بما اصبحت فيه فماذا الويل والحرب

فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى ذنب ادان به ظلما واغترب

وهكذا نرى محمود سامى البارودى وقد اصبح الوطن محبوبه الذى يملأ عليه كل ذرات نفسه ، ومعشوقته التى يفتن ويجن بها ، وهى لا تجود بنظرة ، من غير ذنب جنته النفس او داع ، الى ذلك التدلل فى الهجر والامعان فى القطيعة .

ان البارودى فى صدق عواطفه واشعارها لم يكن يسعفه الا اسلوب الغزل فى محبوبه الوطن ، لانه ما دام السياق سياق حب ووجد فماذا يركب الشاعر غير مطية الغزل ؟!

والبارودى يكرر نفس العواطف ونفس المعانى بل احيانا يكرر التعابير (١) ، وهو فى كل مرة تحس منه حرارة الصدق وقوة الانفعال ، ولا بأس عليه فى اثناء الغزل ان يتذكر مناسبات وعلاقات شخصية مع محبوبات حقيقيات كما فى قصيدته التى مطلعها :

---

(١) راجع على سبيل المثال فقط القصيدتين السابقتين وقصيدة ثالثة مطلعها هو التالى مباشرة فى نص المقال



احمد شوقى





رفاعة الطهطاوى

ترحل من وادى الأراكة بالوجد   فبات سقيما لا يعيد ولا يبدى

والبارودى فى كل « سرنديبياته » التى ملأها بالحنين الى الوطن كان يقول شعرا وطنيا ولا يقول غزلا ، اما انه استخدم الاسلوب الغزل فى الشوق والحنين الى الوطن فهذا مجرد اسلوب تعبيرى ، وجد الشاعر انه يستوعب عواطفه واحاسيسه فى التجربة التى يعانيها ، ولكن هذه القصائد ومثيلاتها تسجل فى ديوان الشعر الوطنى فى تاريخ الادب العربى الحديث .

وهكذا ينهض الغزل كوسيلة تعبيرية تحمل العواطف الوطنية العالية ولا يجد الشاعر فى بعض ادوار نهضتنا الشعرية بدا من ركوب مطية الغزل ليصل بها الى ما يريد من التعبير عن احاسيسه الصادقة المهتاجة بالحنين الى الوطن فى موقف من اشد المواقف معاناة واحساسا بحب الوطن والشوق اليه واللهفة عليه على أن هذا المسلك من البارودى ليس معيبا أو متخلفا ، ولكنه نهج فى التعبير له مشروعيته الفنية التى يثبت بها وجوده طبقا للطاقة الشعرية الاصيلة التى يبدعها الفنان فيما يقول ..

وطاقة البارودى رغم صدقها واصالتها وقدرتها على التعبير عن ذاته كانت تمتاح من التراث الشعرى رؤاها فى التخيل والاحساس ، وتعابيرها فى الصياغة والسبك على نحو اضحت معه اللغة رمزا للمعانى حيث كان بين اصحاب الاتجاه المحافظ من يتخذون من العالم العربى القديم عالما مثاليا يتأسى لغته الفنية القديمة للتعبير عن نفسه وحاضره ، ومن هنا كانت اللغة الموروثة ذات قوى رمزية لاستيعاب ما يريد الشاعر المحدث (١) .

والاعتماد على الغزل كاسلوب فنى فى التغنى بحب الوطن والهيام به انما هو موقف يعنى ان الشاعر يريد القول بأن حبيبه الذى ملك عليه حياته ووجوده هو الوطن فليس له من نفس الشاعر منزلة غير الحب بكل ابعاده العليا ...

وكما نجد هذا الاسلوب لدى البارودى نجده لدى شاعر كبير معاصر هو الاستاذ

شعر الغزل

صالح جودت ٠ حيث يجعل عنوان القصيدة « حبيبتى » ويقول فى حبيبته قولا مشبوبا يصل الى أبعد المدى من قوة العاطفة ووهج سعارها ، ثم يصرح الشاعر فى آخر القصيدة بأن المحبوبة مصر ، ولو لم يصرح الشاعر فى نهاية القصيدة لما كانت لدى القارىء أدنى ملابسة ليكتشف أنها مصر يقول الاستاذ صالح جودت :

حبيبتى ، وان قطعت من حنانها الامل
وعشت فى يأس بمرود السهاد اكتحل
وبالعذاب اغتذى ٠٠٠ وبالدموع اغتسل
وللشجون والظنون والجنون امتثل
لقلت من تعلتى : احبها ٠٠ ولم ازل

الى ان يقول مصرحا باسم المحبوبة :

حبيبتى مصر ، وكم اثقلتها ولم اقل
وقلت من تبتلى : احبها ٠٠٠ ولم ازل (١)

والفرق بين الشاعر صالح جودت والبارودى يرجع فى جملته الى طبيعة الفرق بين شخصيهما وفنيهما : فاللغة ووسائل الصياغة ، وطبيعة الاحساس والتخيل ولون العاطفة ، وكل وسائل الابداع الفنى مسارات لطبيعة هذا الفرق، وينبغى الا نهمل هنا طبيعة المرحلة الادبية والدور الفنى لكل من الشاعرين ٠
ويهمنى أن اشير هنا الى أن الاستاذ صالح جودت له نتاج فنى فى الحنين الى الوطن والتغنى به يتميز بميزات خاصة ويعد بابا مستقلا فى ديوان الشعر العربى الحديث ، وسوف نقف معه وقفة طويلة فى دراسة خاصة به ، لكنى اشير فقط الى انه طور أسلوب البارودى ووضعه فى مساره الفنى الصحيح بعيدا عن دور البعث الذى كان رسالة البارودى ورفده فى العطاء ، والاستاذ صالح شارك شوقى فى ابداعه الفنى الوطنى مع الاحتفاظ بطبيعة الفرق بين فن صالح جودت وفن أمير الشعراء ٠

مع امير الشعراء

ان شوقى لم يركب فن الغزل كما ركبه البارودى فى الحنين الى الوطن ولكنه استخدمه استخداما اقل بكثير مما فعل البارودى، ان شوقى يتكلم عن الحب والحنين ولكنه واضح يحدد أن حبه لمصر وأن وجده بها ، وذلك فى قصيدة قالها فى منفاه بالاندلس وقد سمع الحمام يغنى ويسجع فأخذ يناجيه ويسائله ويبثه شكواه وحنينه الى مصر يقول :

ابثك وجدى يا حمام واودع   فانك دون الطير للسر موضع

---

(١) ديوان الحان مصرية ص ٣٦ ـ ٣٧

وأنت معين العاشقين على الهوى | تلن فتصغي أو تحن فتسمع
.ناك يعاتبنا ومصر خميلتي | كلانا غريب نازح الدار موجع

***

ومن عجب الأشياء أبكي وأشتكي | وأنت تغني في الغصون وتسجع
لعلك تخفي الوجد أو تكتم الجوى | فقد تمسك العينان والقلب يدمع

ثم يمتاح شوقي من معين الحكمة التي تهدىء الروع وتكفكف اللهفة والفجيعة فيقول :

اذا كان في الآجال طول وفسحة | فما البين الا حادث متوقع

وفيما يتصل بباب النسيب عند شوقي لا يوجد فيه قصيدة في مستوى هذه القصيدة التي يعالج فيها حنينه وأشواقه الى مصر ، وأقوى الأبيات في تصوير شوقه وحنينه تلك التي ذكرتها ، والكثرة الباقية تمتاح من معين الحكمة التي تصلح لسياق أو آخر .

وباقي القصائد في هذا الباب كثرتها في الغزل الخالص الذي يعرف الشاعر فيها كيف يروي احساساته وتجاربه من ينابيع الحكمة الخالدة ، وفي قلة من هذه القصائد يستطيع الناقد وليس لديه دليل تاريخي على مناسبة القصيدة كما في ديوان البارودي — أن يجد في السياق ما يجعله يرى على سبيل الاحتمال وليس القطع أن هذا القول أو ذاك قيل في شوقه الى مصر . من ذلك قصيدته التي مطلعها :

بأ الطيف بالجميل وزارا | يا رسول الرضا وقيت العثارا
خذ من الجفن والفؤاد سبيلا | وتيمم من السويداء دارا
حسن يا خيال صنعك عندي | أجمل الصنع ما يصيب افتقارا

الى أن يقول في نهايتها :

يا ليالي لم أجدك طوالا | بعد ليلى ولم أجدك قصارا
ان من يحمل الخطوب كبارا | لا يبالي بحملهن صغارا
لم نلق منك يا زمان فنشكو | مدمن من الخمر لا يحس الخمارا
فاصرف الكأس مشفقا أو فواصل | خرج الرشد عن أكف السكارى

ومع ذلك فالدليل ظني لا رجحان فيه (١) .

لكن شوقي عندما يتحدث عن مصر نفسها ويناجيها ويفرغ أشواقه — في فن خالد في ديوان الشعر العربي — فانه يبدع ابداعا رفيع المنزلة بحيث يمكن القول بأن شوقي تمكن من ابداع غزل لا يقال الا في مصر وحدها وهو لم يركب فيما قال فن الغزل في المرأة الذي ركبه البارودي وبرع فيه وانما واجه شوقي تجربته في حب مصر من ينابيع هذا الحب ذاته دون استعارة لاطار أو أسلوب الغزل في المرأة ومن أروع نماذج شوقي السينية الشهيرة التي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسي | اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

الى أن يقول :

وسلا مصر هل سلا القلب عنها | أو أسا جرحه الزمان المؤسي
مستطار اذا البواخر رنت | أول الليل أو عوت بعد جرس
راهب في الضلوع للسفن فطن | كلما ثرن شاعهن بنقس

---

(١) بالمراجعة وجدت أربعة نصوص في هذ المستوى مع اختلاف في الدرجة واللون راجع الشوقيات جـ ٢ ص ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ و ١٧٦ ط أولى .

شعر الغزل

وشوقي فيما ابدعه في هذه القصيدة وسواها كشف عن طاقة شعرية هائلة تعرف كيف تعزف على وتر الوطنية عزفا جديدا لا عهد للشعر العربي به ولا نظير لما كتبه شوقي عن مصر في ديوان الشعر العربي الى يومنا هذا ... وكانما نظر شوقي فوجد أن موقف البارودي لا يروي الاشواق الظماى بالحديث عن مصر الا من خلال وسيلة فنية أخرى هي أسلوب الغزل بالمحبوبات ، ثم يسوق الشاعر ما يدل على أنه يقصد مصر ويعنيها، فأعرض شوقي عن ذلك وجعل مصر بكل تاريخها الماضي وواقعها الحاضر مصدرا للالهام ووحيا للعطاء الفني الخلاق فقال شعرا وطنيا هو غزل في مصر وما هو من شعر الغزل - من المرأة في شيء - لانه لا يتكىء على القول في المحبوبة ليصل من القول فيها الى حب مصر ..

وقف شوقي امام بعض مشاهد الوطن واجزائه وقال فيها بدعا من القول لمن يتأمل ويتذوق ، انه في السينية مثلا :يصف الجزيرة بانها عروس النيل ، وقد صنع النيل عروسه على عينه وهواه ،والجزيرة عروس راضية عن عرسها ، من ثم تزينت له بثياب موشاة بين عرى ولبس ، وقد استحت منه وهي بين ذراعيه ففرت من احد حضنيه لتحتمي بالحضن الاخر يقول شوقي :

هي بلقيس في الخمائل صرح من عباب وصاحب غير نكس
حسبها ان تكون للنيل عرسا قبلها لم يجن يوما بعرس
لبست بالاصيل حلة وشي بين صنعاء في الثياب وقس
قدها النيل فاستحت فتوارت منه بالجسر بين عرى ولبس

وهو في هذا الوصف العبقري يستفيد من الحقائق العلمية والتاريخية حول تكوين هذه الجزيرة ومثيلاتها وسط النيل ، ولا يغيب عنه أن يلمح حركة الفرار والاستحياء التي يمثلها ويوحي بهاميل الجزيرة وانبعاجها الى ناحية الشاطىء الايسر من شاطئيه ، وهي صورة يعين على فهمها وتذوقها من ينعم النظر اليها من فوق كبرى الجامعة .

ويصور حبه للوطن وحنينه الدائم اليه فيقول :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي
وهفا بالفؤاد في سلسبيل ظمأ للسواد من عين شمس

فهو في الجنة دائم الشوق والحنين لا تستقر به نفسه مع البعد عن الوطن ، الى المدى الذي يحس معه وهو يشرب من ماء السلسبيل الطهور - مع الحرمان من وطنه - بالظما . الى ماذا ؟ الى النيل ... لا . انه يحس بالظما الى تراب الضرائب المهجورة من عين شمس ...

●●●

وهكذا حمل شعر الغزل في النهضة الشعرية ولا يزال اشواق الانسان الكبرى وهمومه العليا التي تعتصر وجوده ، وفي هذا المسار بالذات مسار الحنين الى الوطن فجر اللجوء الى شعر الغزل طاقات جديدة في ابداع الشعر الوطني الخالص حيث لم يعد الكلام عن المحبوبة كافيا لطرح الاحساسات والمشاعر الوطنية التي تليق بمعالجة هذا الحب وما يتعلق به من مشكلات كبرى ، ورواد هذا الطريق وعبده شوقي ، وان كنا لا ننسى في هذا السياق النماذج اليسيرة الجيدة التي قالها رفاعة الطهطاوى .

صلاة

عبد المنعم الأنصاري

لأنكَ أعطيتَ الذى لستُ أطلب
قضاءً ، ومَالِي من قضائِك مهربُ
جعلت له قلبي وقاءً ، وصنتهُ
كما صان سرَّ الموت والبعث غَيْهب

***

عطاياكَ أسرارٌ . وللعقل طاقةٌ
فما شئتَ تبديه . وماشئتَ تحجب
ولكنما قيدى خفيٌّ . وجذوتى
تضاءلَ فيها النورُ والزيتُ ينضب

***

بجنبيَّ حزن عبقريٌّ محجّب
وإني لعبّادٌ له مترهّبُ
أقدّمُ قرباني لمحرابِ قدْسه
كما قدّم القربان للدير مذنبُ
وأقرأ من أسفارِه ما يحبهُ
وأعصرُ ممّا يشتهيه وشربُ
لعلّي أرى وجه الرّضى ذاتَ ليلةٍ
ويشرقُ في ذاتي سناهُ المحبّبُ

***

على شرفتي طيرٌ من الشرق أزغب
جريح وأفعى خلفهُ تتوثّبُ . .
وفوقَ خِواني شمعدانٌ ومصحفٌ
قديمٌ وسيفٌ لم يَعد فيه مأربُ !



• د. السيد الجميلي •

الروماتيزم القلبي وضيق الصمام الميترالي بالقلب

ميكروب دقيق الجرم صغير الحجم يسكن حلق المريض ، لكنه يستطيع أن يدمر حياته ويتلف صمامات قلبه ويجعل بقاءه جحيما لا يطاق !

هذا الميكروب اسمه « ستربتوكوك » أي الميكروب السبحي ، وهو المسئول عن الحمى الروماتيزمية التي تسبب الروماتيزم القلبي ، كما يعزى اليه الباحثون والعلماء كثيرا من الالتهابات التي تصيب أعلى الجهاز التنفسي ..

وقد تضاربت الاراء واختلفت النظريات عن مسببات الحمى الروماتيزمية ، ولكن الكثيرين يرجعون أسبابها الى ذلك الميكروب اللعين ، رغم أن المزرعة البكتريولوجية قد لا تظهره في الدم عند المرضى بهذه الحمى في أغلب الاحايين .

وتبدأ أعراض الحمى الروماتيزمية في الظهور على المريض الذي يتراوح عمره ما بين الخامسة الى الخامسة والعشرين — تبدأ الاعراض في الظهور حين يبدأ الميكروب في مزاولة نشاطه الهدام المدمر في بنيان الجسم



وتقويض دعائم صمامات القلب واصابة المريض بالتوكسيميا •

وعلامات هذا المرض تظهـــر فى التهاباتاللوزتين ووجع بالزور واحتقان الحلق واحيانا تسوس الاســنان او التهابات الجيوب الانفية المزمنـة مع ارتفاع فى درجة الحرارة •

ولكن نادرا ما تحــدث الحمى الروماتيزمية بعد البلوغ او بعد سن الخامسة والعشرين ، واذا حدثت فانها قلما تصيب القلب ، فان هناك مناعة طبيعية للقلب بعد هذه السن من هذا الخطر الداهم •

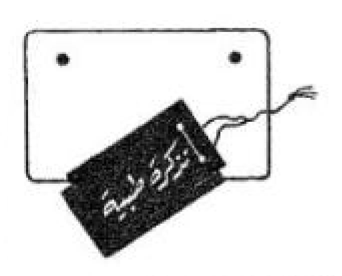
وامارات الحمى الروماتيزمية المميزة لها عن سائر الحميات الاخرى الىجانب ما ذكرنا فيما سبق حدوث الام مبرحة فى المفاصل وخاصة مفاصل الركبتين ، لكن تورم الركبتين يكون بالتبـادل ، فيتشخصمفصل احداهما ويتورم ويحتقن وتقل قدرته على الحــركة ، وما ان يشفى هذا المفصل حتى يكون التـورم قد انتقل الى مفصل الركبة الاخـرى بنفس الدرجة او اشد ، ولا يمـكن اصابتهما معا فى آن واحد ، وقد يحدث رشح سائل لزج فى داخل الكبسـولة التى تغلف المفصل نفسه •

حالة اخرى قد تظهر مميزة لهــذه الحمى وهى « الكوريا » ، وهى رعشـة لا ارادية تنتاب الطفل وتجعـل منظره غير طبيعى وقلق مما يجعل الكثيرين يعتقدون مخطئين فى تعليل اسـباب تلك الاضطرابات ، وقد يلجأ البعض الى « وصفات » تضيع فرصة العلاج الحقيقى للمريض بل تصيب حيــاته بافدح الاضرار بعد ان كان الشـفاء سهلا فى بادىء الامر •••

الى جانب التهابات المفاصل بالطريقة المميزة التى ذكرناها وارتفاع الحرارة والكوريا والام الحلق ، قد تظهـــر « بلابيع » تحت الجلد وبالذات فىقمى المريض ، ويكون ملمسها مؤلما ، ومع كل هذا انيميا حادة وفقر دم ونزيف من الانف مع نقص مطـــرد فى الوزن وفقدان الشهية للاكل ، ومع خفقــان فى القلب واضطراب ضرباته •

وقد تستمر هذه الحال شهورا عديدة دون تحسن يذكر ، مما يزيد من سوء الحالة النفسية للمريض •••

انها امانة فى عنق الاباء تجــاه



ابنائهم ، فان استشعر الطفل حتى بمجرد الام بسيطة فى الزور او احس باحتقان الحلق ، او تحشرج صوته ، أو احس بالام فى مفاصل جسمه ـ

فيجب عرضه على الطبيب فورا ، حتى اذا ما انتهى من تشخيص الحالة ووصف لها العلاج المناسب ، تكون قد جارينا الواقع ولم ندع المريض ينتهى الى ما لا تحمد عقباه من أضرار ٠

•••

ولكن، اذا اهملت الحمى الروماتيزمية دون علاج ما الذى يحدث ؟

وقد تهمل نتيجة الجهل والانصراف عن الطب الى « الوصفات » ومخادعات الشعوذة ، وقد تهمل كذلك نتيجة التشخيص الخطأ ، وقد تستمر نتيجة عدم استعمال العلاج استعمالا صحيحا واطاعة أوامر الطبيب المعالج بدقة ٠٠ واذن فما هى النتيجة وراء ذلك ؟

بعد أسابيع قليلة من ابتداء المرض تبدأ صمامات القلب فى التآكل حيث يغل الميكروب نشاطها ويعوق حركتها ، وبالذات الصمام الميترالى يليه صمام الاورطى ، وقد يصاب الصمام الثلاثى أو الصمام الرئوى وقد تصاب هذه الصمامات جميعا ٠٠

ودرجة التلف قد تكون بضيق الصمام نفسه أو بالارجاع أو بكليهما معا ٠٠
والسؤال الان ٠٠ ما هى علامات ضيق الصمام الميترالى ؟

يشكو المريض من « كرشة » النفس وضيق بالصدر وانقباض واضطراب فى دقات القلب اذ تصبح سريعة احيانا وغير منتظمة ، ولا يستطيع المريض أن ينام مستريحا على ظهره ٠

ومع هذه الاعراض احتقان الرئتين الذى يصحبه التهاب الرئتين ومن ثم يزداد الضغط على القص الايمن للقلب أو البطين الايمن الذى يتضخم حجمه ويصير مثل حجم قلب الثور تماما وفى خلال شهور قليلة ، وقد تمتد فتصل الى سنوات ـ يصاب المريض بهبوط القلب ، وعلاماته السابقة تكون أكثر تطورا ، ويصبح المريض أكثر قلقا وتعبا ، مع انتفاض واضح فى عروق رقبته واحتقان شديد وتضخم بالكبد ، وتورم شديد بالقدمين والساقين ٠

وقد تتطور الحالة فى أحيان قليلة وتصل الى احتقان الجهاز الهضمى مما يحدث معه عسر الهضم وأحيانا استسقاء ، وتنتهى الحالة ـ التى احدثها ذلك الميكروب الدقيق الجرم الذى لا تراه العين المجردة ـ تنتهى بحياة المريض بعد طول العناء والتعب ٠

• التشخيص والعلاج :

ان الطبيب وحده هو المسئول عن تشخيص الحالة وهو وحده الذى يقرر العلاج ويصدر التعليمات ٠

وفى حالة الحمى الروماتيزمية يطلب الطبيب عمل سرعة ترسيب للدم وهى فى العادة (٧) فى الساعة الاولى و(١٨) فى الساعة الثانية ، اما فى حالة نشاط الحمى الروماتيزمية فقد تصل الى

(٨٠) فى الساعة الاولى و (١٠٠) فى الساعة الثانية او اكثر من هذا ٠

أما اذا اشتبه الطبيب فى اصابة القلب فقد يطلب عمل أشعة عادية على الصدر لتشف عن حجم القلب ومدى تضخمه ان كان ثمة تضخم به واظهار أى الصمامات تالف وأيها سليم ٠

● علاج الحمى الروماتزمية :

يكون العلاج طبقا لتعليمات الطبيب ، ولا بد من تنفيذ تعليماته بدقة ، وأول هذه التعليمات الراحة الجسمانية الكاملة للمريض فى الفراش ، وان كان ثمة اصابة بالصمام الميترالى فيجب أن ينام المريض على وسائد عالية ٠ وليعلم المريض أن مغادرة الفراش والحراك يقلل من فرصة الشفاء التام ٠ وقد يؤخر العلاج شهورا عديدة ويقلل من فعالية العقاقير ٠

ويجب أن تكون غرفة المريض جيدة التهوية ، بينما تكون خالية من التيارات الهوائية ، فقد وجد أن سوء التهوية يؤثر فى سير العلاج ٠

والراحة النفسية والتحرر من القلق لا يقل اهمية عن الراحة البدنية ٠

وأقول هنا بصراحة أن مريض القلب يستطيع أن يعيش سعيدا فى راحة عضوية تامة لو أنصف نفسه واتبع تعليمات طبيبه ٠٠٠

ولكن الام ستكون مدة هذه الراحة ؟ ٠ انها قد تطول وقد تقصر ، وتتوقف عند اختفاء الاعراض تماما وشعور المريض بقدرته على تحريك مفاصله وعودة سرعة الترسيب الى معدلها الطبيعى او دونه ٠

اما العلاج بالعقاقير فيكون بصلاج

السبب واستعمال اللوزتين فى الوقت المناسب ، واستئصال الاسنان التالفة والبحث عن البؤر الصديدية المقنعة داخل الجسم لقتلها جذريا ٠

● لمعلوماتك ●

● الطفل ابان ولادته ، تكون لديه مناعة كبيرة ضد كثير من الامراض اكثر من الشخص البالغ !

● وجدت بعض الفيروسات على صورة جافة وحالة ميتة تماما بعيدة عن الماء كلية ، ولكنها اذا ما التصقت بخلية حية سرعان ما تنقسم ممارسة الحياة الى عديد من الفيروسات ٠ فكيف هذا ، وجعلنا من الماء كل شىء حى ، ويخلق ما لا تعلمون ٠

● الشقراوات ، وبالذات الحسناوات ، اكثر عرضة لالتهابات الكلى وتكون الحصى بها ، ولكنهن اكثر مناعة لمرض السل ٠٠٠ بيد ان الجنس الاسمر اكثر مقاومة لحصوات الكلى ، وكذلك اكثر عرضة لمرض السل ! ٠٠

● قد تتسبب فى اصابة الطفل بتبلد الذاكرة اذا أعطى جرعات مركزة من فيتامين د بغرض تقويته على التسنين ، وقد يسبب له هذا الفيتامين المركز تكوين حصوات بالكلى نتيجة تراكم عنصر الكالسيوم بها ٠

● الاسراف فى استعمال حقن الثيورازين المضادة للقيء والمهدئة للاعصاب دون اشراف الطبيب قد يسبب « مرض باركنسون » ٠

● مرضان خطيران كلاهما يحمل أفدح الخطر لأطفالنا ، ما لم نقو مناعات الطفل ضدهما ، أولهما الالتهابات الرئوية الشعبية ٠٠٠ وثانيهما كوليرا الاطفال أو الاسهال الصيفى ٠





منذ الف عام كتب ياقوت الحموى ، نقلا عن القزوينى الجغرافى ، يصف شاعرية اهل الاندلس : « ان اى فلاح فى مدينة شلب ، يستطيع وراء محراثه ان ينشد الابيات من الشعر » ..

تيارات جديدة فى الشعر

ولقد تغيرت فى الاندلس اشياء كثيرة وجوهرية ، ولكن طبيعة البلد الشاعرة حافظت على خصائصها ، وواصلت الحركة الشعرية سيرها ، ولا تزال اسبانيا من أغنى البلاد شعراء وشاعرات ، وتمثل قصائدهم أدبا نابضا بالحياة والقوة ، والمرارة احيانا ...

وسوف نقف عند المحدثين منهم ، أولئك الذين ولدوا غداة انتهاء الحرب الاهلية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ، أو خلالها .. او قبلها بقليل ، وفتحوا عيونهم على اسبانيا وقد ذهبت الحرب بكل ما فيها من خير ، وأتت على كل ما فيها من تقدم ، وحولتها الى خرائب وأنقاض ...

وجاءت الحرب العالمية بأهوالها فزادت من عزلة بلدهم ، على حين أن القمم الثقافية فيه رحلت عن الحياة تباعا ، فقد حمل الشعراء السلاح خلال الحرب الاهلية ، يناضلون دفاعا عما يؤمنون به ، من اليمين أو اليسار

او الوسط ، او بعيـــدا عن المذاهب المعروفة كلها • والذين امتدت بهــم الحياة هاجروا يحملون مرارة الهزيمة، ويتجرعون قسوة النفى ، وفيه أبدعوا ادبا دافئا حزينا ، ينضح انســانية ويشع جلالا •

والذين اثروا البقاء اخلدوا الى الصمت ، فرضوه على انفسهم ، او فرضته عليهم الظروف • لقد صمتت الجـــامعة ، وفرضت الرقابة على الصحف ، وتوقفت حركة التجديد ، وفي عام ١٩٤٢ كتب الشاعر الاسبانى الكبير ليون فيليب من منفاه ، قصيدة رائعة يصور فيها الواقع التاريخى ، وحالة الشـــعر الاسبانى فى تلك الاعوام :

اخى ••• الضيعة لك ،
والبيت ، والحصان ، والمسدس ،
ولى صوت الارض العتيق •
انت بقيت مع كل شيء ،
وتركتنى عاريا ، هائما عبر العالم
ولكنى تركتك اخرس •• اخرس !

الأسبانى المعاصر!

فكيف ستحصد القمح ،
وتشعل النار ،
اذا كنت انا حملت معى الاغنية !

وحين شب جيل الحرب عن الطوق ، وذهبـــوا الى الجامعة ، بدأوا يحسون بذاتهم ، وجدوا وطنهم معسكرين ، واحدا ربح الحرب فهو يتصرف بعقلية المنتصر ، وآخر خسرها فاستسلم مهزوما ، وكان على المنتصر والمهزوم أن يلعقا جراحهما الغائرة • ولم يكن الجيل الجديد طرفا فى المأســاة ، لم يشهدها ، وان عانى من آثارها ، ومن ثم فهو يبحث عن ذاته ، وعن حل جديد لمشكلاته ، لمشكلات وطنه ، ولم تستطع أعوام الصمت أن تقتل فيه حيــوية الاسبانى الدافىء الداخل دائما ••

تيارات جديدة

وبدأ يتكون ما عـرف فى عـالم النقد بجيل ١٩٣٦ ، أى الذين ولـدوا حول الحرب الاهليـة ، وهم الان فى عنفوان الشباب ، يبحثون عن مشـكلات اسبانيا ، وعيونهم عليها ، يحلمون بهـا وطنا عزيزا حرا ، لم تمسكهم الـرقابة حين كانت ، ولا اخافتهم المعتقلات ، ولم يستطع أحد شراءهم بالمناصـب ، لقد تغنوا بوطنهم وانشدوا له ، علانية حين يستطيعون ، ورمزا حين لا تتاح لهم الكلمة ، وسرا ، تحت الارض ، حين لا يكون فى وسعهم هذا ولا ذاك ٠

واذكر اننى ايام كنت طالبا فى كلية الاداب بجامعة مدريد ، كنت وزملاء لى نتبادل قصيدة للشاعر الاسـبانى الشاب خوسـيه أجوستين جويتسولو تدور حول الحرب الاهلية وفظائعهـا والمسئول عنها ، كتبها رمزا أقرب الى التصريح ، وانتشرت شفاها أو مكتوبة باليد :

حكم مؤجل !

ارتكبت جريمة ٠
وكل الشعب شاهد
على ما حدث
القاضى تأخر والطبيب الشرعى
غاب ، والحراس هربوا ٠٠٠
وصيرنا
عاما وراء عام ،
وانتظرنا عقاب المجرم
ولكن احدا لم يصل ٠
وضاع
الطريق فى الوادى
خاليا
وقال صوت :
علينا ان نصنع شيئا ٠
وافقنا ٠ الشعب

اصبح قاضيا ، وطبيبا شرعيا ،
وحارسا وشاهدا ·
والمحامى ؟
لا شىء ،
لا تسمع شيئا · وهناك
ملايين العيون
تحملق فى القاتل ·

***

ويمكن القول ان الحركة الشعرية المعاصرة فى اسبانيا يحكمها اتجاهان : الكلاسيكية الجديدة ، والواقعية ·

وقد بدأت الكلاسيكية الجديدة تعبر عن نفسها مع نهاية الحرب الاهلية عام ١٩٣٩ ، بدعم رسمى من الدولة ، وتهدف بدءا الى احياء امجاد ماضية زاهية ، تشغل الناس عن حاضر أليم ، وتزكيها صوفية ذات طابع سياسى تتطلع الى امجاد الامس الامبراطورية، غير الواقعية ، من خلال قصائد ذات تركيب قوى فخيم ، ولكنها لا تضم أى محتوى شريف ·

ومن هذا الاتجاه تفرع لون من الشعر الدينى كان قد اختفى خلال الحكم الجمهورى (١٩٣٢ ـ ١٩٣٩) ، ويقول عنه فيثنت الكسندرى Vicente Alexandro شاعر اسبانيا الكبير ، فى حوار أجرى معه عام ١٩٥٩ : « الشعر الدينى الصحيح فى أزمة تقريبا ، وقد قل نظمه ، أما الشعر التقى فيمكن القول انه اختفى » ، ومنذ عام ١٩٦٣ اختفت القصيدة الدينية من الحياة الادبية تماما · وورث هذا الاتجاه الشاعر الناقد كارلوس بوسونيو Carlos Bousonio ، استاذنا فى كلية الاداب بجامعة مدريد، وكان يدرس لنا نقد الاسلوب فى الخطوات الاولى من حياته الشاعرية ، حافظ على الشكل وانزلق بالمحتوى الدينى الى الهروب والمرارة ، غير انه لم يثبت هناك طويلا ففارق هذا اللون ليظهر مع بقية شعراء الكلاسيكية الجديدة فى عالم الواقعية الرحيب ، ولو ان اسبانيا ظلت أغنيته المفضلة دائما :

ابناء هذه الارض لهم وجوه قاسية ، وجوه قوية برتها الفاس الالهية ،
وتحمل اكتافهم ثقلا باهظا دمويا ، الله العلى ، وقد استلقى عليها
واسع الارجاء ·

يشكل الشعر الواقعى حركة واسعة وعنيفة ، وفيها تلتقى بشعراء من مختلف الاعمار ، ومن كل الاتجاهات الادبية والاجتماعية ، ويشرح لنا وخينيو نورة Eugenio Nora أحد عمد الحركة الاولى ، الاسباب التى

أنت اليها ، يقول في مقدمة كتابه « اسبانيا ، احساس بالحياة » : « كان طموحي أن ابني قصيدة طويلة ، بيتا بيتا ، يعيش فيها التاريخ ، وتعكس حاضر اسبانيا ، ومستقبلها الذي نتمناه من خلال احساس شاب من اسبان ما بعد الحرب الاهلية » ، ويشير الى أصول وطبيعة وموضوعات الحركة :

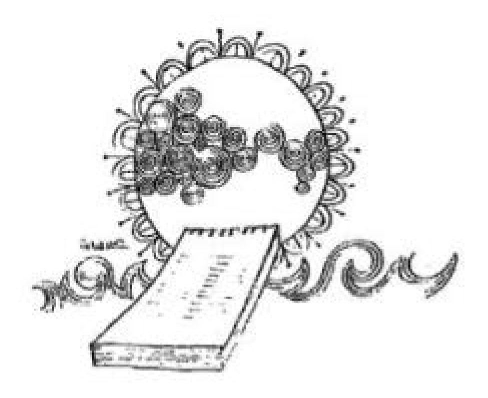
« كان لدينا أمل كبير ، واحساس قوي بالحياة ، لا أود أن أدعوها وطنية ، وانما اسبانية فحسب ، تعبيء الشباب ضد ما هو رديء ، وكانت الخلافات بيننا كبيرة ، ولكن الرغبة في البناء ، والحب الجارف ، انتصر أخيرا ، ووحد بين الجميع » .

كان شعراء الواقعية يختلفون كثيرا فيما يتصل بالواقع الاسباني ، ولكنهم يلتقون جميعا عند الرغبة القوية في تغييره ، وانقاذ وطنهم من الجمود الذي أطبق عليه غداة انتهاء الحرب الاهلية ، وكانوا يتفاوتون فيما يتصل بادراك الحياة حولهم ، ووسائل تغيير الواقع ، مع خاصية ذاتية لكل شاعر في مناحي تعبيره ، واختيار موسيقاه ، مما أعطى الحركة ثراء في مضمونها ، وصورا جديدة تحمل هذا المحتوى ، وقدرة فائقة في التعبير عنها والتقوا جميعا في أنهم أبرياء من ماسي الحرب الاهلية ، وان اكتووا بنارها ، ومن ادانتها كان منطلق الجميع ، أوخينيو نورة يرى :

استيقظت من طفولتي الاكثر صفاء على طلقات الرصاص ،
من رجال في اسبانيا وهبوا أنفسهم للموت ،
وماتوا دفاعا عنها وعضضت أرضا قاسية ،
جافة ، وتدفق الدم علامة انسانية حارة ! .

ويعبر خوسيه جويتيسول عن الفكرة نفسها :
فجأة ، انقض
الهواء ، ملتهبا .
سقط ، كسيف
فوق الارض ، أوه ، نعم ،
اني أتذكر الصياح .

وجبرييل ثلايا Gabriel Celaya يبرر وجود الحركة الواقعية ، وكان واحدا من أعلامها ، ويحدد بعض ملامحها : « الصعوبات التي واجهتنا ، والخطر الذي تعرض له وجودنا ، فرض علينا أن نقف في وجه كل المحاولات غير المسئولة ، التي تهدف الى أن تجعل من شعرنا مجرد أشكال بلاغية ، وكانت



دعوتنا الى أن نعتنى بما هو أكثــر جوهرية فينا ، وبآلامنا الانسانية ، وكانت غايتنا أن ننشد شعرا انسانيا بالمقام الاول ، فياض الشعور ، حى اللغة ، ايجابيا ومثيرا ، يقول أشياء كثيرة ، ولا يحتاج الى شرح » ٠

ويقول فيثنت الكسندرى مشـــيرا الى تنوع الالوان فى هذه الحركة : « ليس كل الشعر الحديث اجتماعيـــا ويوجد شعر رائع وصـــادق لا يدور فى فلك هذه الحركة ، ولو انها كلهـــا تعبر عن الانسان المعـــاصر ٠ ومن الواضح ان الشاعر حين يغنى انمـــا يصنع ذلك من خلال المجتمع الذى ينتمى اليه ، ويتخذ مادته من الانسان كمادة اجتماعية ، وهذا الاحساس ، فيما يبدو ، يسيطر على جانب كبير من شـــباب الشعراء » ٠

وقد أتسع قطاع الشعر الاجتماعى فى نطاق الحركة الواقعية وبقـــوة ، وكسبت الى جانبها عددا من كبار الشعراء مثل : كابييرو بونالد C. Bonald وكورييدور ماتيوس C. Matheos وآخرين ٠

وقبل أن تصبح الواقعية على ما هى عليه اليوم ، وجدت اتجـــاهات أخرى ، مثل « الطليعة La Vanguardia » ، وقد اختفت الان تماما ، ولا يمكن القول فى الحقيقة بانها كانت تيارا ، بقدر ما كانت صراخا ثائرا ضـــد الكلاسيكية الجديدة وحـــركة ما فوق الواقعية الجديدة Neosuperrealismo وولدت فى برشلونة ، كبرى ثغـــور اسبانيا على البحر المتوسط ، وعرفت شعراء يجمعون بين الشعر والفـــن التشـــكيلى ، أمثال خوان ادواردو ثرلوت J. E. Cerlot والشاعـــر الرسام تبييس Tapiés

ونحوا من عام ١٩٤٠ ، ظهرت فى مدريد العاصـــــمة حركة تدعى Postismo ، قلقة غير ثابتة ، وذات أصــــول واقعية ، ومن أبرز شعرائها ادواردو تشيتشرو A. Chicharro وكرييدو A. Carriedo مؤسس ومدير مجلة « شعر اسبانيا » ، ولكن هاتين الحركتين ، وحركات أخرى أقل أهمية وتأثيرا ، تلاشـــت وذابت فى حركة الواقعية ، دون أن تترك أثرا يذكر فى الحياة الادبية ، وكان عمرها قصيرا ، والشىء الذى يذكر لها انهـا

تيارات جديدة

شاركت بكل الوسائل فى مناهضة دعاة « الفن للفن » .

فى البدء كان دعاة الواقعية يهتمون بالمحتوى اكثر من اهتمامهم باشكال التعبير ، ولكن باتساع الحركة .. وانضمام عديد من الشعراء الشبان اليها ، ازدادت ثراء فى مجال التجارب والتعبير ، وبدأ شعراؤها يهتمون بتقنية القصيدة ، وصورها وموسيقاها، مما اكسب الشعر الواقعى قيما جمالية كبرى ، دون أن يفقد مع العناية بالشكل حرارة النضال التى اتسم بها . لقد استطاعت الواقعية فى صورتها الاخيرة أن تقدم لنا بروح العصر أشياء كانت محببة الى شعراء عصر النهضة أو الرومانتيكية ، أو شعراء مطلع هذا القرن ، من جيل العمالقة ، مثل انتونيو متشادو ، وميجيل هرنانديث ، ورفائيل البرتى .

لقد تأصل الاتجاه الواقعى فى الحياة الادبية الانسانية بعامة ، وليس فى مجال الشعر بخاصة ، وان اتخذ ظلالا متباينة ، وملامح ذاتية مختلفة ، وجعل من الشعر غناء انسانيا ، ورد لقضايا كثيرة هجرها أدب الحرب وما بعدها اعتبارها ، ويمكن أن تلتقى كلها تحت عنوان : « مشكلات اسبانيا » وهو فى تناولها يبشر بالحب ويوائم بين الفردية والجماعية ، وبين العدل والحرية ، ويهدف الى أن ينتزع الخوف من قلوب الناس ، وأن يثير روح التجديد فى الشباب ، وأن يهبط بالحاكم الى حيث عامة المواطنين .

***

غنى عن القول اننا نعنى بالشعر الاسبانى ما قيل فى اللغة الاسبانية ، أو القشتالية كما كانت تسمى قديما وحتى اليوم ، وليس ما قيل على الارض الاسبانية كلها ، ، ذلك انه فى نطاق الحركة الواقعية ثمة من يقولون شعرا عاليا وراقيا فى اللغة القطلونية ، وهى التى يتكلمها سكان منطقة قطلونية فى الشمال الشرقى من اسبانيا ، وهى منطقة ذات قومية خاصة ، تحددها اللغة والارض والحياة الاقتصادية ، والتركيب الاجتماعى للسكان ، ورغم أن اللغة تعرضت فى فترات من تاريخ اسبانيا الى الوان من القهر السياسى والمادى ، استطاعت أن تثبت وأن تظل لغة ادبية راقية الى جانب انها لغة عامة الناس فى المنطقة ، وتصدر بها بعض المجلات الادبية والصحف، ويمثل بها فى بعض المسارح ، وقد هالنى فى آخر مرة زرت فيها مدينة برشلونة ، عاصمة المنطقة ، عام ١٩٧٤م ، ما عليه الحياة الادبية القطلونية من ازدهار وتوهج وبخاصة حركة الترجمة الواسعة من اللغة القطلونية واليها وهى ما تعادل ما يترجم الى الاسبانية ومنها. واذا عرفنا ان قارة كاملة تتكلم الاسبانية ، هى امريكا اللاتينية ، وأن اسبانيا احدى الدول المتقدمة التى تعنى بالترجمة على نحو واسع ادركنا الجهد الذى يبذله القطلونيون ، لكى يصلوا

لغتهم بالحياة الجديدة أخذا وعطاء • وفي اللغة القطلونية شعراء ممتازون ، بعضهم لا يكتبون بغيرها ، وبعضهم يكتب بها الى جانب اللغة الاسبانية •

وفي الشمال الغربي توجد اللغة الغاليسية ، أو الجليقية في المصادر العربية القديمة ، وفيها يكتب عدد من أبناء المنطقة خواطرهم شعرا أو نثرا ، ولكن منذ رحلت عن الحياة الشاعرة الغاليسية الكبيرة رو ساليا كاسترو Rosalia Castro لم تعرف الحياة في المنطقة شاعرا آخر في مستواها • وبعامة فالحياة الادبية في منطقة غاليسية خامدة ، لفقرها اقتصاديا ، وهجرة أغلب سكانها للعمل في مناطق أخرى داخل اسبانيا، أو في أوروبا أو أمريكا ، ولأن الادب فيها انطوى على نفسه ، أو عاش عالة على الادب القشتالي ، فهو مقطوع الصلة ببقية الآداب العالمية الأخرى •

وللباسك لغة أخرى قديمة ، أقدم من اللاتينية نفسها ، ويظن أنها ذات صلة باللغة الفرعونية ، وليس بها شعراء يتخذون منها أداة لابداعهم الفني الآن ، ويعبرون فيها عما يجتاح داخلهم من احاسيس ، رغم أنها أعنف مقاطعات اسبانيا مطالبة بالاستقلال ، ولكنها قد تصبح في المستقبل لغة أدب أخرى ، على بطحاء شبه الجزيرة ، لأن أهلها يتعصبون لها اشد التعصب •

ونأتي على لون من هذا الشعر الحديث ، فنختار قصيدة للشاعر خسوس لوبث بتشيكو ، الذي ولد عام ١٩٣٠ ، ونشر ديوانه الاول بعنوان : « دعوا الصمت ينمو »، وحصل به على جائزة ادونيس للشعر عام ١٩٥٢ ، الى جانب جوائز أخرى في القصة والرواية ، وله ديوان ثان بعنوان : « يدي على اسبانيا » ، ونشر في ايطاليا ، أما ديوانه الثالث ، واخترنا القصيدة منه ، فنشره عام ١٩٦٢ بعنوان « أغنيات الحب المحرم » :

قلبك ، وضع يوما
في يدي ،
مثل حمامة مرتجفة ،
كان صعبا أن أحمله
لاجئا
طول الحياة •
أيها القلب الصغير :
اغفر لي أنني أحيانا
أسيء اليك •
هناك
اشياء
كثيرة
تخنق
تقبض اصابعي •
اشياء
كثيرة
أود أن اسحقها
بقبضتي رجلا •

ميشيل تكلا

تكنولوجيا الفضاء وأثرها على الإنسان

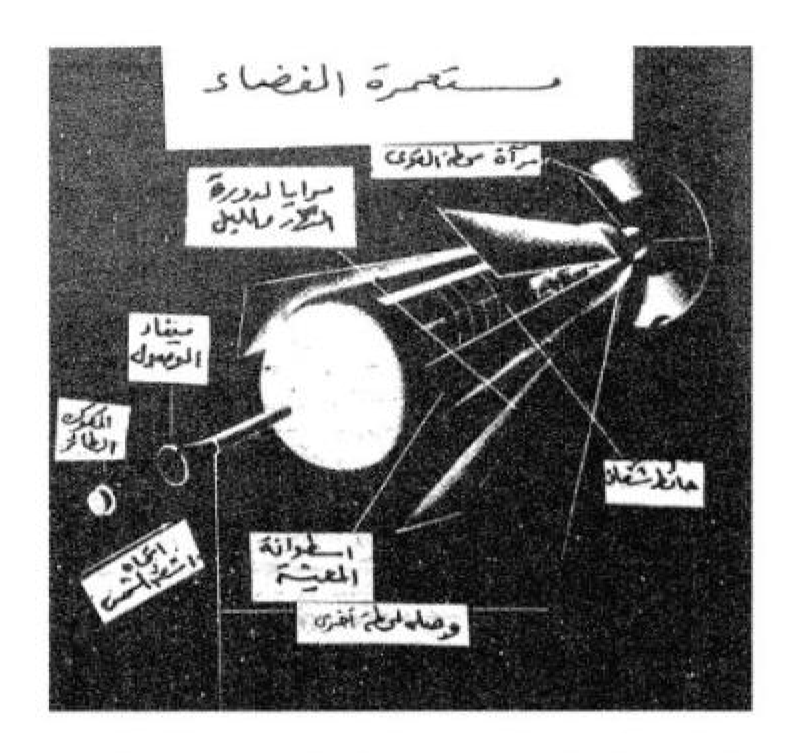
منذ مئات السنين والانسان يحاول ان يسبر غور الفضاء وكيف يستطيع الوصول الى الاقمار والكواكب والنجوم ! .. كان الامر بالنسبة اليه ضربا من المحال ، فالاجهزة التى لديه بدائية ، مجرد تلسكوبات صغيرة رصد بها جاليليو الكواكب منذ اكثر من ثلاثمائة سنة، بالاضافة الى ما ظهر على بعضها من تغييرات موسمية .

وبالرغم من هذه التكنولوجية المحدودة استطاع العلماء على مر السنين ان يسجلوا بدقة تامة ، وبحسابات ادق بعد الارض عن الشمس ، وبعد الكواكب الاخرى التى تدور حولها . ومع تطور التكنولوجيا ، واستخدام الرياضيات المعقدة بهر انسان العصر الحديث بدقته علماء القرون الماضية .

ولعل ابرز مثل على ذلك سرعة الضوء ، تلك السرعة التى عرفها العلماء فى عام ١٨٤٩ ـ ففى هذا العام بدأت محاولات بالقاء حزم من الضوء جيئة وذهابا بواسطة المرايا، وتقدير السرعة التى قطعها الضوء لعدة اميال او عدة ياردات بكسور الثانية . وفى عام ١٩٢٢ كان العالم الامريكى ميشيلسون يقوم بتجارب على جبلين فى كاليفورنيا يبعدان عن بعضهما البعض بنحو اثنين وعشرين ميلا ، وقاس المسافة بدقة تامة الى اقرب بوصة ، ثم سلط الضوء مستخدما مرآة ذات ثمانية جوانب تدور فى حركة مستديمة .

واستخدم فيما بعد انبوبة مفرغة الهواء ليرى كيف يمكن للضوء ان يرحل فى الفراغ ...

ثم اعلنت النتيجة ـ بعد موته بعامين (١٩٢٤) بان سرعة الضوء تبلغ ١٨٦٫٢٧١ ميلا فى الثانية ، وكان هذا التقدير دقيقا واقل من الحقيقة باحد عشر ميلا فقط ..



وفى الســتينات من هذا القرن استخدمت اشعة ليزر التى تنتج حزما من الضــوء بحيث تصبح فيها موجات الضوء ذات طول واحد ... ولاول

مرة فى تاريخ العلوم اســتطاع العلماء ان يقيســوا طول الموجة بدقة متناهية ، وباستخدام الساعات

الذرية امكنهم قياس عــدد الموجات التى تتكون فى الثانية بدقة بالغة — ويضرب عدد الموجــات فى الثانية بطول كل موجة ، فان الناتج يعطيه سرعة هذه الموجات فى الثانية اى سرعة الضوء .

وفى اليوم الثامن عشر من اكتوبر ١٩٧٢ اعلن العلمـــاء ان الرقــم الصــحيح لسرعة الضـــوء هو

٢٨٢ر١٨٦ ميلا فى الثـانية . وهذه السرعـة هى سرعة الضـــوء فى الفراغ . واذا رحل الضوء خلال اى شىء آخر فى الفراغ فان سرعته تقل



تبعا لطبيعة ذلك الشيء . حتى ان الجزئيات الموجودة في الهواء العادي تقلل من سرعة الضوء فاذا كانت حزمة من الضوء ترحل خلال الهواء ، وفي الوقت نفسه تتسابق مع حزمة من الضوء ترحل خلال الفراغ ، فان حزمة الضوء التي تمرق في الهواء تقل سرعتها بمعدل ميل واحد في كل ستين جزءا من الثانية .

والضوء يمرق خلال الماء بسرعة ١٤٠ر٠٠٠ ميل في الثانية ، أي ثلاثة ارباع سرعته في الفراغ .

ومرور الضوء خلال قطعة من الماس تهبط سرعته الى ٧٧ر٠٠٠ ميل في الثانية ، بنسبة جزءين على خمسة أجزاء من سرعته في الفراغ ، والضوء يمرق بسرعة بالنسبة للمستريات الارضية . فالضوء يصلنا من القمر الذي يبعد عنا بنحو ٢٣٧ الف ميل في ١ر٢٧ من الثانية . ويصلنا من الشمس التي تبعد عنا بنحو ٩٢ مليونا في ٨ر٣ دقيقة . وعلى المستوى الكوني فان الضوء يصلنا من ابعد جسم سماوي بعد ١٢ مليار سنة ضوئية !!

وقد افادت هذه النتائج انسان العصر الحديث في حساباته لدقة ابعاد الاقمار والكواكب والنجوم ، واستطاع بذلك ان يصل الى بعضها عن طريق الصواريخ ومركبات الفضاء التي يديرها رواد من البشر او اجهزة اتوماتيكية ، بل ويهبط على سطح القمر اكثر من مرة ويترك عددا من الاجهزة المرهفة الحس لقياس الزلازل والاشعة فوق البنفسجية ، والبحث عما في باطن القمر من معادن خام هو في مسيس الحاجة اليها بعد أن كادت المعادن الارضية التي ظلت في باطن الارض ملايين السنين ، واستخرجها الانسان واستخدمها خلال الستمائة سنة الماضية ـ كادت تنضب ، مما يضطره الى اعادة تركيبها واستغلال نفاياتها ... ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل أرسى العديد من الاقمار الصناعية التي تدور بانتظام حول الكرة الارضية لرصد حركتها والبحث عن مصادر الثروة المختلفة فيها ، والتي لم يستطع انسان العصر الحالي ان يصل اليها بوسائله التكنولوجية المتطورة .

● غزو الفضاء ●

وفي صيف عام ١٩٧٥ ذهب فريق من العلماء وعلى رأسهم عالم الطبيعة جيرارد أونيل الى مركز البحوث بكاليفورنيا لدراسة المشكلات العملية لارسال أول مستعمرة الى مدار حول الارض . ومن رأى العالم اونيل تركيب اسطوانة كبيرة من الالومنيوم في الفضاء بحيث يستطيع ان يعيش في داخلها مجتمع انساني له القدرة على الاكتفاء الذاتي . وعلى أن تبنى هذه الاسطوانات أو السلندرات عند نقط

التوازن » الدائمة الحركة حيث تلغى جاذبية الارض جاذبية القمر وتظل هذه الاسطوانات بصفة دائمة عند هذه النقط · وكل زوجين منها بطول ١١٠٠ ياردة وبقطر ٢٢٠ ياردة يحتويان على عشرة الاف شخص وبهما جو يشبه جو الكرة الارضية، وماء وارض زراعية وعدد من النباتات والحيوانات ·

وتدور هذه الاسطوانات ببطء وتكون جاذبية تحتفظ بالمبانى وتجذب سكانها الى الارض الموجودة على سطحها · وعلى ان يعتمد سكان المستعمرة على ضوء الشمس الذى تأسره مرايا ضخمة داخلية يمكن التحكم فيها لخلق ليل ونهار والتغيير الموسمى للفصول ·

وفى جامعة برينستون تناقش العالم اونيل مع غيره من العلماء المتحمسين لهذا المشروع بانشاء اول مستعمرة عند نقطة التوازن المعروفة بالرقم (ا ٥٠) والتى تقع فى مدار القمر عند نقطة متساوية البعد من الارض والقمر · ومن ثم يقوم المستعمرون الارضيون باقامة قاعدة منجم على سطح القمر ·

والهدف من ذلك امداد سكان مستعمرة الفضاء بقوالب البناء اللازمة لمستعمراتهم · وبما ان حجارة القمر غنية بالالومنيوم والتيتانيوم وهو معدن يتحمل درجات الحرارة العالية ، والحديد والمواد الاخرى الاساسية بما فى ذلك الاوكسيجين — فيمكن « اصطيادها » وذلك بتسليط اجهزة تضربها باستمرار ومن ثم تفجرها · وبما ان ترتفع هذه الصخور ببطء وتفلت من جاذبية القمر فانها فى نهاية الامر تهبط عند اماكن البناء فى الفراغ الحر · وهذه طريقة رخيصة التكاليف بدلا من نقل المواد من الارض التى قلت فيها الخامات · كما ان نقلها ، ان وجدت بدرجة كافية ، يحتاج الى صواريخ خاصة باهظة التكاليف لاطلاقها الى الفضاء ·

ويقول العالم اونيل ان مستعمرات الفضاء الاولى سوف تكرس وقتها لاعمال البناء وصناعة توربينات لتوليد الكهرباء يديرها ضوء الشمس · ويمكن انشاء هذه الماكينات الضخمة فى البيئة الحرة من الجاذبية حول مستعمرات الفضاء ، ويمكن كذلك نقلها الى جوار الارض وتثبت فى مدارات ثابتة لاستخدامها فى نقل القوة الشمسية الى الارض كحزم من الموجات القصيرة ·

ويمكن تحقيق ذلك كله بالوسائل التكنولوجية الحالية او المستقبلة وبناء هذه المستعمرات فى الفضاء سوف يتم فى القرن الحادى والعشرين · ولن يتكلف المشروع اكثر من ٢٥ مليار دولار ، وهو نفس المبلغ الذى انفق على مشروع ابوللو الذى تمكن من هبوط الانسان على سطح القمر لاول مرة فى تاريخ الكون · فالقمر الصامت لم يزره مخلوق من قبل ولم تطأ قدم سطحه منذ نشاته من حوالى ٤٠٠٠ مليون سنة · ولكن انسان العصر الحديث استطاع ان يصل اليه ، ويترك اثار اقدامه وبصماته واضحة عليه كدليل حى على ما فعلته تكنولوجية الفضاء فى هذا العصر الذى نعيش فيه ·

● مكوك الفضاء ●

ودخلت فكرة العالم أوتيل الى حيز التنفيذ فعلا . فقد بدأت « هيئة بحوث الفضاء » المعروفة باسم « ناسا » بتصميم طائرات نقل جديدة اطلقت عليها « مكوك الفضاء » لتنظيم رحلات من الارض الى محطات الفضاء أو مستعمرات الفضاء التى تدور فى مدارات حول الكرة الارضية وعند نقط تعادل الجاذبية الارضية بالجاذبية القمرية ، وعلى ان تبدأ هذه الرحلات فى عام ١٩٧٩ .

ان البرنامج الخاص بطائرات « مكوك الفضاء » الذى رصد له الرئيس السابق ريتشارد نيكسون حوالى ستة مليارات من الدولارات فى عام ١٩٧٢ قد طرأ عليه تغيير طفيف ، فالبرنامج ينص على صناعة خمس من طائرات المكوك تستطيع أن تقوم بمائة رحلة قبل ان تدخل « ورش » الصيانة . والهدف الاساسى انجاز ستين رحلة من هذه الرحلات كل عام .

والمكوك الجديد طوله ١٢٢ قدما



ويجرى تجميعه حاليا فى « روكول انتر ناشيونال » فى بالمديل بكاليفورنيا . وهو فى حجم طائرة الركاب « دى سى ٩ » النفاثة ، ولكن فى ضعف وزنها ، اذ يمكنه ان يرتفع بوزن قدره ٦٥ الف رطل ويتسع من الداخل لطائرتين من مقاتلات الحرب العالمية الثانية . وهذا الاتساع يجعله اقتصاديا لدرجة كبيرة بالمقارنة بطائرات الشحن الجوية . وفى برنامج ابوللو تكلف نقل الرطل الواحد الى الفراغ البعيد حوالى خمسة الاف دولار وهو سعر مرتفع جدا ، اما سعر رفع الرطل الواحد عن طريق المكوك الطائر فلن يزيد عن مائة وستين دولارا ..

ومن اللحظة التى يترك فيها المكوك المدار الى لحظة هبوطه فوق القمر ، فان هذا الهبوط يتم تلقائيا. ولا يفعل الرواد شيئا بل يجلسون فى صمت ، ويتركون الامر الى الحاسب او العقل الالكترونى ليقوم بالمهمة بدلا منهم . ولكن اذا حدث أى خلل فان الطيار يتدخل فى الحال ليصلح ذلك الخلل . وقد صمم المكوك الطائر ليهبط فوق الجسم او الكوكب او القمر المراد الهبوط عليه بزاوية قدرها ٢٤ درجة وليس بطريقة الهبوط المسطح الذى تتبعه الطائرات التقليدية . وهذا معناه أن المكوك الطائر سيهبط من ارتفاع عشرين الف قدم الى الارض فى اقل من دقيقتين .

وسوف يطير المكوك فى عام ١٩٧٩ الى مدارات حول الارض لتركيب محطات فضاء المستقبل التى



سيتنقل اليها عشرات الالوف من الناس لاستعمار الفضاء ولكى تعمل كمحطات رئيسية ينتقل منها الرواد الى الكواكب والنجوم والاقمار المنتشرة فى الكون .

● فى الطريق الى زحل ●

ان مركبات الفضاء من طراز (بيونير) التى اطلقت فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٣ لاتزال فى طريقها نحو النظام الشمسى . فقد اقتربت هذه المركبات من كوكب المريخ وفحصته فحصا دقيقا وارسلت عددا من الصور النادرة لكوكب الزهرة وعطارد ، واخترقت بكل جدارة وثقة احزمة الاشعاعات القوية التى تحيط باكبر كوكب يدور حول الشمس وهو كوكب المشترى .

وبعد أن اقتربت احدى المركبتين (بيونير ١١) من المشترى فى ديسمبر ١٩٧٤ وصورته تركت لقبتا رحلتها الى كوكب زحل ، التى سوف تقطعها فى خمس سنوات تقطع فيها ١٫٥ مليار ميل . ويعتقد العلماء ان المركبة التى تزن ٥٧٠ رطلا سوف تتحمل الرحلة الشاقة فى غياهب المجهول . واذا نجحت فى الوصول الى كوكب زحل ، فسوف تؤدى التكنولوجيا التى نجحت فى ارسالها اعظم الخدمات واجلها للبشرية لانها ستقترب من الكوكب كثيرا وتصور حلقاته وترسل سيلا من المعلومات تسهم فى تطوير او تأكيد النظريات الفلكية الحالية .

ولاتزال الاشارات اللاسلكية تأتى من مركبة بيونير ١٠ التى تتجه الآن نحو النظام الشمسى - اما مركبة بيونير ١١ فسوف تواجه صعوبات شديدة فى شهر سبتمبر ١٩٧٩ عندما تلف بين زحل وحلقاته الثلاث .

فربما تصطدم المركبة بكتل ثلوج احدى حلقاته التى يصل عرضها الى نصف ميل . واذا اجتازت مرحلة الخطر فسوف تهبط الى ارتفاع ١٨٥٠ ميلا من اعالى سحب زحل بالمقارنة الى اقترابها من كوكب المشترى على ارتفاع ٢٦٧٧٥ ميلا . ثم تدفعها جاذبية الكوكب نحو اكبر اقمار زحل المسمى تيتان وهو اكبر من قمر الكرة الارضية وقد يكون به جو وبعض انواع الحياة . ولكيلا تصطدم بالقمر فلن تقترب منه الا بنحو ١٢٠٠٠ ميل . وبعد ان تصور القمر الضخم تتجه نحو النظام الشمسى وترسل اشارات لاسلكيا حتى



تصل الى مدار حول كوكب اورانوس فى عام ١٩٨٥ • وبعد ذلك تصبح الاشارات اللاسلكية ضعيفة لا تستطيع اتيئات الارض التقاطها •••

● الدروس المستفادة ●

ان رحلات « سكاى لاب » التى مكث الرواد بموجبها اكثر من ستة اشهر بفضل تكنولوجية الفضاء يدورون حول الكرة الارضية على ارتفاعات عظيمة قد افادت البشرية والدوائر العلمية ، واتاحت لهم فرصة معرفة الكثير من الكرة الارضية ، لم تتهيأ لهم معرفته الا فى عصر الفضاء •

فالعمل الذى قام به الرواد وهم على ارتفاع ١٧٠ ميلا من الارض والتجارب التى انجزوها فى المعمل الذى يزن ٨٥ طنا ، والذى دار حول الارض مرة كل ٩٣ دقيقة ، كان من نتائجها ان تضاعفت معرفة الانسان للشمس ، واثبتت هذه الرحلات ان الانسان يستطيع ان يعيش طويلا فى حالة انعدام الوزن وان صفر الجاذبية هو المفتاح لصناعة مواد احسن مكان او رصيف يمكن منه المستقبل • وان للعمل الطائر هو للانسان أن يدرس الكرة الارضية دراسة ممتازة •

ان العمل الامريكى الذى أطلق من الارض فى يوم ١٦ من نوفمبر ١٩٧٣ عاد رواده الى الارض فى يوم ٨ من فبراير ١٩٧٤ بعد أن قضوا فى داخله ٨٤ يوما • واول بعثة لهذه المعامل مكث الرواد فى داخلها ٢٨ يوما ، ثم ٥٩ يوما اثناء الرحلة الثانية ، و٨٤ يوما فى الرحلة الثالثة • واثناء الرحلة الاخيرة لاحظ الاطباء والعلماء حدوث تغييرات طفيفة فى الرواد • فقد شكا الملاحون من ان الطعام كان حلوا فاضطروا الى تمليحه • وقد اقنعت هذه الملاحظة الاطباء بضرورة اعداد طعام افضل لرحلات الفضاء القادمة •••

اما الظاهرة الثانية فكانت اغرب لان كل رائد طالت قامته بأربعة سنتيمترات تقريبا • فبدون وجود جاذبية تضغط على جماجمهم ، يعتقد الاطباء ان جسم الرائد يمتط ، ويتمدد العمود الفقرى بين كل فقرة واخرى • ومن المشاكل التى اعترضتهم وجود فقاعات من الهواء فى الماء الذى كانوا يشربونه • اضف الى ذلك ان « أمواس الحلاقة » التى اعدت لتعمل فى صفر الجاذبية امتنعت عن العمل تماما •

ومن اهم ما انجزته معامل الفضاء تصوير اماكن معينة فى الكرة الارضية وهى على هذا الارتفاع الشاهق للبحث عن مصادر الطاقة • وقد تم التصوير بالوان مختلفة • رفحص الرواد حوض نهر المسيسبى

واسباب احتراق الغابات فى الشمال الغربي. كما فحصوا غرب الولايات المتحدة بحثا عن الطاقة الحرارية ومنافذها فى الارض وبرسم خريطة كاملة لمستودعات الحرارة الارضية .

وسوف تستخدم شركات التنقيب هذه الخرائط لاستغلال مصادر الطاقة لتوليد الكهرباء وتخفف من ازمة الطاقة الحالية

ولم يقتصر الامر على ذلك بل قام رواد « سكاى لاب الثانى » فى صيف ١٩٧٣ بتسليط عدسات التصوير على الصحراء الافريقية بسبب الجدب الذى راح ضحيته الوف الناس فى اثيوبيا للبحث عن مصادر المياه المختفية تحت رمال الصحراء المحرقة .

وبجانب ذلك اسهمت المعامل الجوية فى المعركة التى شنتها الفلاحون على طول حدود تكساس والمكسيك على حشرات الفاكهة والنمل الذى خرب المحاصيل الزراعية ، وقد عاونت هذه الصور خبراء الزراعة فى القضاء على هذه الحشرات ومعرفة الطريق الذى ستسلكه فى المرة القادمة .

ومن الدروس المستفادة التى حققتها تكنولوجية الفضاء ما كشفته صور (سكاى لاب ٢) و (سكاى لاب ٣) عن وجود جيوب من المياه الباردة فى البحر الكاريبى قد تفيد فى التكهن بالجو ومعرفة الاماكن التى تكثر فيها مزارع الاسماك . كما ان تكوين العواصف والانواء فى البحر الكاريبى يجعل دوامات المياه الباردة تسحب موادا غذائية غنية الى السطح ومن ثم يمكن تحويلها الى مزارع اسماك .

ومن اهم ما حققته هذه التكنولوجية بالاضافة الى ما سبق ذكره ، ما جمعه الرواد من حقائق جديدة عن الشمس من وهجها الى بقعها المختلفة .. وبرغم أن هيجان واضطراب سطح الشمس كانا هادئين اثناء رحلة سكاى لاب الثالثة فقد سجلت البعثة حقائق جديدة عما يسميه العلماء « النتوء الشمسى » وهو عبارة عن سحابة من الغاز ابرد بمائتى مرة عما يحيط بها ، ودراسة الشمس ضرورية لان لها تاثيرا مباشرا على الارض وسكانها وعلى الاخص طبقات الجو العليا .

ومن التجارب الهامة التى اجريت فى داخل معامل الفضاء لحماية اشجار الارض من الحشرات الضارة فاخذت ١٠٠٠ بيضة الى الفضاء واكتشف العلماء ان مدة فقسها يمكن تخفيضه الى النصف وهو احد اسرار حالة انعدام الوزن . ولكى يمكن مقاومة هذه الحشرة التى قضت على مليونين من اشجار البلوط فى شمال شرقى الولايات المتحدة ، يجب انشاء مزارع للانسال فى الفراغ - وبما ان استعمال الـ (د.د.ت) اصبح محظورا فيرى العلماء ضرورة انتاج مجموعات هائلة من الذكور المعقمة واطلاق سراحها وبذلك تسلم اشجار البلوط من اذاها - ولكن المشكلة التى تواجههم هى ان دورة اكتمال الحشرة تستغرق وقتا طويلا .

هذه بعض اثار تكنولوجيا الفضاء التى استطاع الانسان ان ينميها ويطورها فى فترة زمنية قصيرة وذلك كله من اجل رخاء البشرية والمحافظة على حضارة الانسان .

د. سوزان اسكندر

ساخر القرن الثامن عشر في الأدب الإيطالي جوزيبي باريني

ازدهرت السخرية كلون أدبي في إيطاليا خلال القرن السادس عشر، حين نشطت حركة الدراسات الانسانية، وحين دأب الكتاب والدارسون على ترجمة ودراسة أمهات الادب القديم في اللاتينية واليونانية، فعاشوا عالمها ونهلوا من مناهلها..

وها نحن في عصر النهضة نلتقي ببعض أشعار «أريوستو» (١٤٧٤ ـ ١٥٣٣) الساخرة الا اننا نحسها مرحة، صافية، تتناثر بها الحكم الجميلة المبنية على ملاحظات دقيقة نابهة..

بعد ذلك نلتقي بكتابات «بيترو أريتينو» (١٤٩٢ ـ ١٥٦٥) اللاذعة

المرة ، التى كان يرشق بها من لايغدقون له العطاء من أمراء وحكام وكبار عصره ، حتى لقد اشتهر بلقب «سوط الامراء» .

نجد أيضا هذا النوع من الادب الساخر ، ممثلا فى كتابات غيره من شعراء القرن السابع عشر ، مثل « بينيدتو مينزينى » ١٦٤٦ ـ ١٧٠٤ وهو يشبه سلفه فى سخريته الغاضبة العنيفة ، والى جانبه نلتقى بـ « سلفاتور روزا » (١٦١٥ ـ ١٦٧٣) الاديب الشاعر والمصور المشهور الذى تناول بالسخرية فى سبعة مؤلفات معاصريه من الادباء والشعراء ..

الا ان السخرية فى الادب الايطالى بلغت ذروتها فى مؤلفات « جوزيبى باريني » (١٧٢٩ ـ ١٧٩٩) حين نظم أشعار ديوانه المشهور « اليوم » ـ وهو أعظم مؤلفاته ـ فقد حول وصفه الرائع الدقيق المشوق لحياة نبلاء سهل اللومبارديا الى حديث جاد حافل بالسخرية من تفاهة تلك الحياة المليئة بالفراغ والفساد ..

تلا « باريني » فى هذا المجال الخصب ، ساخر القرن التاسع عشر « جوزيبى جوستى » (١٨٠٩ ـ ١٨٥٠) بأشعاره السياسية والوطنية السلسة الصادقة بحيث كان يضحك ويمزح ويهزأ ليوارى دمع نفسه الباكية ألما وحزنا لمصير ايطاليا التعس فى تلك الآونة ..

أما فى القرن العشرين ، فاننا نلتقى بمؤلفات الكاتب الايطالى الكبير «لويجى بيراندللو» (١٨٦٧ ـ ١٩٣٦) ـ الذى نال جائزة نوبل للاداب عام ١٩٣٤ ـ حيث تتخذ السخرية بعدا آخر أشمل وأعمق من البعد الذى اتخذته عند سابقيه .. فالسخرية المرة التى تتسم بها أعمال « بيراندللو » لا تختص بطبقة معينة او بمجتمع أو نظام معين ، وانما تشمل أزمة الانسان المعاصر فى عالم ملىء بالتناقضات، وما أكثر التناقضات فى عالمنا المعاصر .

وهذه التناقضات هى حجر الزاوية الذى تقوم عليه سخرية « بيراندللو » التى تأثرت بطبيعته المتشائمة التى ترى أن الانسان فى العالم المعاصر لا يستطيع أن يصلح شيئا ، ولذا فمن العبث أن يستهدف أصلاحا لعجزه عنه.

وهذا هو ما يثير ضحكاته المرة الساخرة ... ففى احدى رواياته « المرحوم ماتيا باسكال » ـ (عام ١٩٠٤) ـ يكشف ساخرا عن تفاهة الانسان فى العالم المعاصر الذى هبط بالانسان الى ان جعله رقما أو هوية ليس الا ... فليس الانسان انسانا بطبيعته او بما يعمل ـ فى نظر المجتمع ـ وانما هو هوية واسم ورقم فى سجلات المواليد والوفيات ! ..

***

ويعود بنا الحديث الى « جوزيبى باريني » المؤلف والشاعر الساخر صاحب ديوان « اليوم » ، الذى ينقسم الى أربعة أجزاء أو مراحل ـ هى « الصباح » و « الظهيرة » و « الغسق » و « الليل » ، نحس فيها بمدى الالتزام الفكرى والعملى من جانب الشاعر وهو يحمل على عاتقه مسئولية قيادة معركة الاصلاح الاجتماعى الذى كان يجب ان

ساخر القرن الثامن عشر

بيدا بالطبقة الارستقراطية المعرقلة لتقدم الركب الحضاري .

كان « باريني » بحكم عمله كمعلم ومرب لابناء الامراء والنبلاء يلمس ما يدور وراء الاسوار الشاهقة من اساليب في الحياة اختصت بها فئة معينة من الناس سماهم «اشباه الالهة» . الا أن « باريني » خرج من هذه التجربة برفضه التعامل مع اصحاب القصور بل برفضه للقصور ذاتها بذلك الوضع ...

شن « باريني » معركته بالشعر ، فكان سلاحه ساميا راقيا ، كان يهدف الى ايقاظ الوعي والفكر المستنير حتى تنتفض لومبارديا اخلاقيا واجتماعيا وحضاريا ، فكان يوجه حديثه الى الحكام والى رجال الفكر المسيطرين على الثقافة في لومبارديا ، والذين كانوا ينتمون في كثير من الاحيان الى ذات الطبقة المتميزة المميزة ، وهي الطبقة التي اختارها الشاعر هدفا أساسيا يصوب تجاهه نقده وضحكاته الوقور التي يسخر بها من عاداتها ومن حياتها العاطلة المتطفلة ، ومن متطلباتها وامتيازاتها في الحياة الاجتماعية والسياسية التي ليس لها ما يبررها !..

لم تكن افكار « باريني » ومفاهيمه المستنيرة ، تؤمن الا بالحرية والمساواة بين البشر جميعا ، وبغير حدود او امتيازات طبقية ، وقد جسد هذه الافكار في مضمون قوي مقنع نجح في صياغته باسلوب تختلط فيه الاناقة بالسخرية ..

تظاهر « باريني » في ديوانه «اليوم» بقيامه بعمله اليومي كمعلم لشاب نبيل ، وكان من واجبه أن يرشد هذا النبيل الشاب الى ما يجب أن يهتم به من أمور طوال اليوم ، حتى يكون جديرا بمركزه ، وحتى يتخذ مكانته المثلى بين ابناء طبقته من السادة ... نسمعه يقول له في حديث ودي :

« ساعلمك كيف تقلب هذه الايام الطويلة الملول

في حياتك ، وما يلازمها من سأم

وضيق قاسيين ...

فما ان يطلع الصباح

او ينتصف النهار ، أو يحل المساء

ستعرف بماذا يجدر اهتمامك

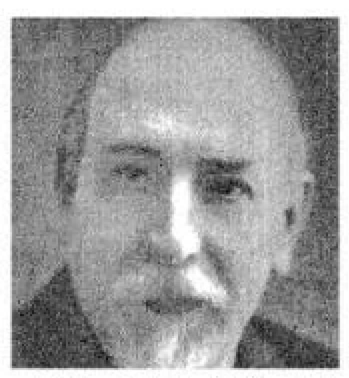
اذا ما بقي من فراغ حياتك فراغ

واصغيت الى ابيات شعري »

●●●

يشرع « باريني » اذن في مهمته التربوية ليرشد الشاب النبيل الى ما ينبغي أن يهتم ويقوم به من اعمال ، ليقتل الملل ، في الصباح والظهيرة والمساء ...

ولما كان هذا الشاب النبيل ـ حسب ما يروي باريني ـ قد طاف في ترحال



الشاعر الايطالي : لويجي بيرانديللو

طويل بالقطار بعيدة مثل فرنسا وانجلترا سعيا وراء المتعة والهوى في « جد ومثابرة » بالغين ، فقد آن له أن يستريح ، وحيث انه يجزع من الدماء ويتحاشى السلاح ، ويمقت الدراسات ، فهي تضجره ... فثمة مهام أخرى ، عذبة ، رقيقة يجب أن تحظى باهتمامه !

يستسلم « السيد الشاب » للنوم ساعة الفجر ، أي وقت أن يصحو العامل لينهض الى عمله ، ولذا يجدر به الا يستيقظ قبل أن تعلو الشمس كبد السماء في عز النهار ، الا انه لايجب أن يتركه مضجعه ، بل ليبادر بدق الجرس مناديا خادمه حتى يفتح النافذة قليلا ، قليلا ، فلا تخدش أشعة الشمس سيده .. ثم يطلب ما يفضله من طعام ، وفي نفس الوقت يستقبل زائريه ، على الا يكون من بين هؤلاء مدير أعماله وأملاكه ، أو مزارع أرضه (فهذه أمور تافهة لا تستحق منه التفاتا) ، بل عليه أن يستمتع بلقاء معلمي الرقص والغناء والموسيقى والفرنسية ، ليس بالطبع ليتلقى دروسا ، وانما ليلهو معهم في سرد أسرار وفضائح عالم الترف !

بعد هذا على النبيل أن ينهض فيلتف الخدم حوله ليعاونوه على الاغتسال وارتداء ملابسه ، وما أن ينتهي من هذا الأمر حتى يبعث برسول له الى رفيقة أيامه ، « لا داما » ، وهي بالطبع سيدة أرستقراطية مثله اختارته ليكون فارسا لها (حسب مفهوم الفروسية في القرن الثامن عشر) ، يبعث برسوله اليها ليسأل عنها ، بالرغم من أنه كان قد أصطحبها الى قصرها في مركبته منذ ساعات أي قبل انتهاء الليل بقليل . وصاحبنا « الشاب النبيل » لا يطيق رباط الزواج ، فهو تقليد قديم بال ، انه يفضل الحب للحب ، والعلاقة الخاصة بينات وزوجات الآخرين كما يملي بذلك « طقس الحب » وأسلوب «الفروسية» !

على التلميذ « النبيل » أن ينتقل بعد ذلك الى « أكبر وأخطر الأعمال اليومية » ، وهي : زينته .. وهنا يتسع المجال لشاعرنا حتى يبدع في تصوير « النبيل الشاب » بين الثياب الفاخرة ، والعطور والحلي والسلاسل الذهبية والشعر المستعار وغيرها من مستلزمات زينة أمثاله في القرن الثامن عشر ..

وعليه أن يتوجه بعد ذلك ، اذا رغب الخروج ، ليستقل مركبته ، واذ يمر بالدهليز يقع نظره على صور أجداده المعلقة على الجدران وربما كان منهم محاربون أو رجال قانون أو أساتذة أو أطباء .. ولكنه يكره هؤلاء الاشخاص ويضجر من ذكر أعمالهم المشرفة ، فلا عليه منها ، بل من حقه أن ينزل الدرج في سرعة بين خدمه وقد اصطفوا على الجانبين ، ثم يصعد ليتكيء في مركبته الذهبية !

وهنا يصبح « باريني » وكأنه ينشد لقدوم بطل تاريخي :

ساخر
القرن
الثامن عشر



هذه البيئة الناعمة الحالمة ، فنموذجها الذى قدمه لنا هو « النبيل الشاب » لا يحب السلاح ولا الدماء ، ولكن أنى له الآن أن يسيل دماء تلطخ عجلات

مركبته الذهبية ؟ أهو في طريقه لاداء واجب مقدس يضحي من أجله بالدماء ؟! نعم ... انه يأخذ طريقه فى عجلة الى « سيدته » التى تنتظر ، فى قصرها مع نخبة من المدعوين !

***

يتنقل بنا « باريني » بعد ذلك الى الجزء الثاني من ديوانه : « الظهيرة » حيث يصل النبيل الشاب الى قصر « لا داما » صديقته ، وهنا نحن ننتقل

معه لنرى مظهرا آخر من مظاهر الارستقراطية اللومباردية فى القرن الثامن عشر . عند وصول النبيل

الشاب تكون السيدة قد فرغت من زينتها وتهيأت لاستقباله واستقبال مدعويها ، وعليه — بمجرد أن يراها — أن ينحنى أمامها ، ويقبل يديها مرتين ، ويجلس بجانبها ليهمس اليها بأحاديث لا يسمعها الآخرون .

وعليه بين الحين والآخر أن يرسم ابتسامة على شفتيه مصحوبة بنظرات تنم أو تتظاهر بحبه لها . وعندما تكون الموائد الفاخرة قد أعدت ، فعلى النبيل الشاب أن يصطحب « سيدته »

الى المائدة فيتبعهما المدعوون . وفي مؤخرتهم الزوج — زوجها — وعليه الا يشبع جوعه كالحيوانات والسوقة بل يكتفى بتذوق أصناف الطعام والشراب المختلفة .

فى هذه المناسبة نلتقى بشخصيات ومواقف ارستقراطية يقدمها شاعرنا ليواصل سخريته الجادة أو جده الساخر ... نسمعه يحدث « الشاب النبيل »

« أيها الشعب ، الزم الجانبين ...
وافسح الطريق للعرش الجالس عليه
سيدى : ويله أيها التعس لو عاقه
ولو لحظة واحدة من أجله !
خلف الحوذى ، فلا يحكمه قانون أو
عصا
أو اغلال ، خلف العجلات ،
التى ادارت ، مرارا ، اطرافك
مع دورانها ، ودمك المشوب
جرت به ملطخة ، وتركته على الارض
ممدودا .
للمشهد البائس علامة . »

بهذه الابيات ينهى « باريني » الجزء الاول من مؤلفه الشعرى وهو جزء « الصباح » ، وبرغم حدة كلماته وقسوة معانيه ، الا أنه يعبر تعبيرا

صادقا عن مشاعر ووجدان باريني وعن ثورته الداخلية ، ولقد استمتع شاعرنا بوصف حياة البذخ والترف ، واستمتعنا ساخرين معه بالتجول فى

عن « السيدة » صديقته وقد سالت من عينيها « دمعة عذبة » وهي تنصت الى احد المدعوين يحكي عما اقترفه خادمه الذي طرده ، بيد أن دمعتها لم تسكب اسى لمصير الخادم البائس، بل من اجل ما قام به ذلك الخادم التعس ، فقد ركل برجله « الكلبة الحبيبة » عندما تركت

على قدمه الغليظة آثار أسنانها العاجية الناعمة وهي تداعبه ...وكان ان ثارت سيدة هذا الخادم وغضبت عليه فلم تنفع توسلاته أو وعوده ، ولم يفد بشيء ما قدمه من خدمات طوال مدة خدمته ... وكان أن احدا لم يعد يقبله للعمل في قصره بعد ما اقترف من « جرم مروع » :

« ... وكان ان ارتمى البائس

مع ذريته التعسة وزوجته ،

على جانب الطريق ، ينشر

بين المارة شكواه اليائسة ...

اما انت ، ايتها « الكلبة البكر » ،

وثن تهدئه

الضحايا البشرية ، سرت مرفوعة

الرأس ...

تلك هي ابرز الاحداث التى نشهدها في « الديوان » كله . واذا ما كان « باريني » قد ختم الباب الاول بما يشبه الانشودة الحماسية التى تتغنى بأعمال احد الابطال ، فاننا نجده هنا يتغنى متحمسا بانتصار طبقة اجتماعية بأسرها ، لقد انتقم جميع « السادة من الخادم فانتصرت الكلبة » — وهى تنتشي لذات العالم المنعم — وسارت مرفوعة الرأس ..

ولن يخفى على القارىء بالطبع المعنى الحقيقي الذي يقصده « باريني » من رسم هذه الصورة وغيرها من الصور الرائعة — التى زخر بها مؤلفه — مهما برعت خطوطها أو برقت الوانها ..

ويلفتنا في تلك الاحداث كما قدمها « باريني » موقف الزوج من علاقة زوجته « السيدة » بالسيد « الشاب النبيل » ، فرغم ما يعكسه هذا الموقف

من خذلان وعار ، نجد ان « باريني » يتحدث عنه في صراحة وبساطة تكاد تتسم ببراءة تختلس منا الضحكات

.. فالزوج يعلم كل شيء ، وهو يقر هذه الامور (حسب المفهوم الارستقراطي) فالحبيبان يعيشان في حب ووفاق يدومان حسبما يتراءى لهما ، وسينفصلان

— حتما — يوما ما ، وحينئذ سينشر الزوج خبر انفصالهما على الجميع ، وكأن الامر لا يمسه من قريب او بعيد !

●●●

واذا ما فاض الجزءان الاول والثاني من « الديوان » بالصور الحية التى نقلها لنا المؤلف عن حياة نبلاء عصره وبلده — وقدمنا بعضا منها — فقد امتلأ الجزءان الآخران — « الغسق » و « الليل » — بالمشاهد والاحداث أيضا ، اذ أن « اليوم » لم ينته بعد .

يبدأ شاعرنا الجزء الثالث من ديوانه — « الغسق » — بهذه الابيات :

« تحت ناظري الثور العظيم

يأخذ عالم في الاختفاء : فتذهل من

اشعته الساطعة



ساخر القرن الثامن عشر



في تهم ، كويا ، والمكسيك ، وتلك الأخرى

الغنية باللآلىء ، كاليفورنيا البعيدة ومن وراء المرتفعات العظيمة والهضاب العالية

ترسل الشمس آخر تحياتها

لايطاليا ، ويبدو انها تتوق

الى رؤيتك ، ايها السيد ، قبل ان تحجبك

عن عينيها جبال الالب او الابينين او البحر ... »

تريد الشمس اذن ان تشاهد وجه النبيل ، ولذا فان المعلم ينصحه بأن يخرج مع « السيدة » في العربة حتى

تتمتع الشمس برؤيته ، وليقوما ببعض الزيارات – متحاشين المملة منها – فيذهبان الى حيث يستطيعان اشباع

فضولهما بالاستماع الى ما يحدث في قصور بعض العائلات ... يذهبان – على سبيل المثال – لزيارة تلك الصديقة

التي تشاجرت مع زوجها ، او لزيارة تلك « العروس » التي وهبت ابنا بكرا

لعائلة من اشهر العائلات ، فنشر الشعراء خبر هذا الحادث السعيد

وأذاعوه على العالم . وبعد الانتهاء من هذه الزيارات فليذهبا الى الطريق الرئيسي ، وبعد أن يقوما فيه بجولتين

أو ثلاث ، فعلى السيدة أن تبقى بالعربة لتستمتع بدعابات وغزل فرسان آخرين ، ... وأما هو فليذهب ليتحدث مع

سيدات اخريات فيحكي لهن بعض الطرائف وينقل اليهن آخر اشاعات اليوم !

●●●

وينتهي بنا المطاف الى الجزء الاخير – « الليل » – وفيه يجب على « السيد الشاب » ان يتوقف برفقة سيدته حينا ليستمتع بهواء المساء الرطب ، في الظلام

الذي طالما تاقت اليه نفسه . وعليه بعد ذلك ان يذهب مع سيدته الى ملتقى ليلي دعت اليه سيدة نبيلة رائعة ، لتستقبل فيه أمثال السيد الشاب .

على الشاب ان يدخل مصطحبا « السيدة » الى القاعة الخاصة بالنبلاء ، الا أنه ينبغي أن يتحاشى

الجلوس على الاريكة حيث يجلس الشيوخ وكبار السن ، بل يجب عليه ان يأخذ مكانه بين اقرانه من الشباب ، ليتعرف على زملائه العظام ويتعلم منهم .

وفي هذا المجال نسمع صوت « باريني » وهو يتحدث الى الشاب قائلا :

« ياله من جمع للابطال ! وانت ، يامن لامثالك

يجب ان تكون انموذجا

لكل فضيلة نبيلة ، وعمل عظيم ، تعلم

كيف تعرف اقرانك ، واجمع فى ذاتك
كل جميل او مجيد او عظيم
من خصال او فنون مائة منهم »

ويستعرض « بارينى » النمــاذج البطولية امام عينى الشـــاب ليقتدى بها – ويا لها من نماذج ! ‥ – ها هو ذا احدهم يواظب فى ثبات واصرار على



المقاهى ، فيقضى بها جل يومه ، لايفارقها الا ساعة الغداء :

« ذاك يذهب الآن الى الساحات
حيث تقدم مشروبات وبطالة واخبار
يقصدها مبكرا فى الصباح، وينصرف
عنها وقت الغداء ·
ليعود اليها طوال الليـل : ثلاثون عاما
على هذا المنوال الجميل دارت
منذ ان كان فى شرخ الصبا »

ومن الشخصيات الاخرى التى يقدمها « بارينى » ليتعرف عليها الشـــاب النبيل شاب يفوق الجميع فى مقـدرته على فرقعة السوط ، فينتشر صــدى انغامه فى قاعات قصره الهائلة طوال اليوم ! ··· وشاب اخر يدير المباريات فترة فائقة ! ‥ واخر مراهن جرىء على الخيول ··· واخر يقوم – بقدرة بالغة – بتوزيع الدعوات للافـــراح والمآتم ‥ ويسوق اليه غيرهم من الامثلة الحية لشخصيات « بارزة » فى ذلك المجتمع الارستقراطى الفارغ !

وعندما تختار « السيدة » رئيســة المجلس ، دائرة الذين سيشتركون فى اللعب ، فانه يجب على « الشـــاب » الا ينتظر برهة واحدة ، بل يأخذ مكانه تجاه « سيدته » · الا ان مكانهما يقع بجوار عاشقين قديمين ، ولى حبهما ، فمنحا كل وقتهما للعب – واحسرتاه ! –

هكذا سوف ينتهى حب بطلينا ايضا ، اللذين يواصلان سهرتهما الممتعة بين المرطبات والكئوس واللهو !

وهكذا ينهى « بارينى » : « اليوم » اى يوم « النبيل الشاب » ·

من هذا العرض الذى قدمناه ، ومن هذه الامثلة التى ســقناها نرى ان « بارينى » – كمعلم ومرب للشـــاب النبيل – لم يتبع الاسلوب التقليدى فى التعليم والنصح ، بان يقص ويكتب له قصصا بطولية ، وسيرا حميدة ، ونهجا مثاليا يقتدى به ، ولكنه اراد – متعمدا – ان يختار اسلوبا اخر فى تعليم ذلك الفتى ، هو النقيض تماما ، فنصح الشاب – ساخرا – ان يقتدى برفقائه من النبلاء والسادة ، فافاض وابدع فى وصف مفاهيم الارستقراطية واساليبها ودقائق حياتها ، بل تغنى واشاد ساخرا بعظمتها وبطولاتها اللابطولية ، وضحك واضحك ·

وكان ان انطلقت نبرات الســخرية الحادة من الايقاع الملحمى الذى نغم به « بارينى » تصويره لحياة الارستقراطية على تفاهتها وفراغها ·

سألتني عن الربيعِ ، مطروبا   في رباه ، ومائسا في جمالِه
وعن الروضِ تزدهي فيه أحلا   م . وتصبو إلى عبيرِ شمالِه
تائقاتٍ لوصله .. بقـلوب   ضمَّتِ الوجدَ نابعا من دلالِه
ونهودٍ تهتز سكرى بكأس   عَصرتْ من ضلاله وظِلالِه
وعيونٍ تعيرُها أعينُ الفجرِ   دموعَ الندى ، وحلو نوالِه
وشفاهٍ بدا عليها ابتسام   ظامىء للوجودِ بل لضلالِه
فضلالُ الورى لديه سناءٌ   وهدى الناسِ لا يروق لبالِه
وهدى الناسِ عنده شبح   أعمَى كسيحٌ يرنو إلى آمالِه

***

سمعَ الحسنُ ماشدَتْ ألحاني   فانبرى معجزا بأي بيـان
أتظن الربيعَ يأسرُ لبّا   مثلَ خمرٍ مقتولةٍ في الدنان
خابَ من رامَ عزّه في بناتِ   الكرم ، مذ بات زائغَ الأجفان
نظرَ الحسنُ حوله وهو مُغرى   بجمالٍ على الربا فتّانِ





مصطفى
محمد
الغماري

قال لي ، وهو واقف حوله الأيك يناجي الصبا بسر الزمان
مائسا عن يمينه وشمال قد غفا الكون غير «ذات كمان»
ترصد الوحي من ملائكة الحب . وتسعى في روضها الفينان
قد حكت في لحونها رنة الكأ س ، وللكأس رنة العيدان !

***

وعنا الحسن لي وقال: أصبت القول ، يا صائغا من الشعر سحرا
ذاك من كوثر البلاغة رقرا ق ، جرى في لسانك اليوم شعرا
قد سحرت النهى به ، وأسرت الروح والذوق والمشاعر أسرا
فتدفق ، فالكون سكران من لحنك يختال في الخمائل كبرا
صاغ منه مدامه ، فاذا ما أقبل الليل فهو يختال سكرا
جنب الحرب لي قصيدك حتى قد حسبت السلام نارا وجمرا

● مصطفى محمد الغماري ●

● الجزائر ●

الربيع والحب



الجديد في المكتبة الغربية



محمد حسن

قمة انكار الذات

الكتاب : دستويفسكى : ذكريات

المؤلف : انادستويفسكى

توقف الكاتب الروسى المشهور عن الاملاء فجأة ، ثم سأل سكرتيرته انا سنيتكينا : « اى زوجة اختار : الذكية ام طيبة القلب ؟ » فردت السكرتيرة على الفور : « تختار الذكية بالطبع » .. ولكن الكاتب قال .« لا .. لقد اخترت فعلا ، اخترت الزوجة الطيبة ، حتى تعطف على وترعانى وتحبنى » !

وكانت هذه الزوجة هى سكرتيرته انا سنيتكينا .. ورغم انها لم تكن على حظ من الذكاء الاكاديمى او الفلسفى ، الا انها كانت على حظ وافر من الذكاء العملى ، سخرته ، مع حبها ، فى خدمة الكاتب العظيم حتى آخر عمره ــ ١٤ عاما حاولت خلالها ، ونجحت فى حمايته من الازمات المالية والصحية ، حتى لا يتأثر عمله ..

وذكريات « انا » ليست جديدة ، فقد نشرت فى الاتحاد السوفييتى سنة ١٩٢٥ ، اى بعد وفاة انا نفسها بثمانية اعوام ، ولكنها لم تترجم الى الانجليزية الا الآن ، ومن خلال الذكريات تبرز شخصية انا ، التى تجمع بين الادراك السليم والتضحية التى تكاد تصل الى مرتبة التصوف وانكار الذات .

و« انا » هى الزوجة الثانية للكاتب العظيم ، ولكنها انفردت عن سابقتها بأنها اضفت على زواجهما نفس الروح الدينى الذى اضفاه الكاتب على كتاباته .. عندما التقيا فى سان بترسبرج سنة ١٨٦٦ ، كانت هى طالبة اختزال فى العشرين من عمرها ، فتاة جادة مجدة مستقلة ، وكان هو عبقريا فى الخامسة والاربعين ... محطم الحياة . كان يعمل فى « الجريمة والعقاب » ، ويعانى من الصرع .. والديون التى اضيفت اليها ديون اخيه بعد موته .. وكرست « انا » ، التى كانت من قبل احدى معجباته ، جهدها لتذليل مصاعب حياته ، فبدأ يبوح لها بمنغصات هذه الحياة ، وهى بدورها تعتبره عما او صديقا قديما .

وبعد تسعة أيام من املاء « المقامر » عليها ، عرض عليها الزواج !

وعلى الفور هددت زواجهما صرامة الكاتب فى حياته الخاصة ، وديونه الميئوس من تسديدها . وقررت « أنا » وزوجها « الهرب » الى اوربا ، فباعت كل ما تملك وأضافته الى « بوطتها » ، وسافرا . وفى الخارج عمل ديستويفسكى فى رواية « الغبى » ، وكتب مقالات للصحف ... وكانت هى سكرتيرته ، وكاتب حساباته ، وناقده الفنى ، ولكن ادمان الكاتب للمقامرة ، استهلك ثروتهما المتواضعة ، وجعل الديون تتراكم من جديد ، رغم سلف « أنا » الكثيرة من المعارف والأصدقاء وأمها ... « ولكنى لم ألم زوجى أبدا على خسائره » ، كانت ترجو ان « يشفى » من داء المقامرة يوما ، ومن تلقاء نفسه ، كما يشفى مريض من الحمى ... وحدث هذا بعد ذلك فعلا ! .

ولكن ديستويفسكى كان دائم المرض ، وحملت أنا ، ولكن طفلها الاول مات ، وشعر الزوجان بالحنين لبلادهما ، وبعد اربع سنوات من الغربة ،فعادا الى روسيا .. وهناك عاوده الدائنون المطاردة ، ولكن « أنا » تولت المسئولية : كانت قد اتقنت فن الاقتراض ، والرهونات ، والتوسل .. والمساومة ، وعانت : « ضيعت شبابى ، وساءت صحتى ، وتلفت اعصابى » !

واتقنت « أنا » كذلك تعقيدات مهنة النشر ، وبدأت تنشر كتب زوجها بنفسها ، أما الكاتب نفسه فقد تفرغ للعمل ، بعد ان حمته زوجته من أعباء النشر ، أو كما تقول هى : « لأن هذه التفصيلات تعوق عمل الكاتب » ... وهنا بدأ ديستويفسكى يعمل بكل طاقاته ، رغم الصرع ، وداء التورم الرئوى ، فأخرج الروائع : الأخوة ، والأخوة كارامازوف ... حتى توفى من نزيف بالرئة ، وهو فى التاسعة والخمسين .. « فأصبح قلبى ارمل الى الأبد » !

ومن بين الذكريات يبرز ديستويفسكى بشخصيتين : ديستويفسكى المتقلب المزاج ، المتوتر ، المدمر لذاته ، الاتانى ، المحب كالاطفال .. وديستويفسكى الشديد النبل ، الخير ، التى تصفه بأنه « افضل انسان فى الوجود » ... كل عيبه هو الغيرة ، لذلك حرصت « أنا » على اهمال اناقتها ، ومعاملة باقى الرجال ببرود شديد ، ومن ثم فان « زوجى الطيب لم يحبنى ويحترمنى فقط ، بل عبدنى ، كأنما أنا مجرد كائن خلق خصيصا من أجله » !

و « أنا » تصر على انها امرأة عادية ، ولكن الواقع انها هى — وليس ديستويفسكى — التى تبرز من ثنايا الكتاب ، بقدرتها التى لا نهاية لها على انكار الذات ... كأنها شخصية غير عادية تمخض عنها خيال الكاتب العبقرى ، وجدت طريقها الى الحياة !



اخطاء شائعة

الكتاب : قاموس المعلومات الخاطئة
المؤلف : توم بورنام

● ماري انطوانيت لم تقل لشعبها ابدا « ولماذا لا تأكلون الجاتوه ؟ »

● الفرنسي دكتور جوزيف جيلوتين لم يخترع آلة الاعدام الفرنسية المشهورة !

● دليلة لم تقم ابدا بقص شعر شمشون !

● اعلان « التحرير » الامريكى لم يحرر الرقيق !

● قانون حظر الخمور الامريكى لم يحرم ابدا تعاطيها !

هذه « عينة » من المعلومات الخاطئة بعد تصحيحها ... فالتى سخرت من الشعب حين لم يجد هى دوقة توسكانى المتعجرفة سنة ١٧٦٠ ... والة الجيلوتين ليست فرنسية ولم يخترعها دكتور جيلوتين ، بل اخترعها مجهول قبل مولد دكتور جيلوتين ببضع مئات السنين ، وكل دور دكتور جيلوتين هو انه اشار باستخدامها كالة اعدام ، بدلا من الوسائل البدائية التى كانت مستخدمة وكانت تؤدى الى تعذيب المحكوم عليهم قبل اعدامهم ! ..

ودليلة ، الغانية المشهورة ، لم تقص شعر شمشون ، يقول الاصحاح السادس عشر من سفر القضاة : « وانامته (اى شمشون) على ركبتيها ، ودعت رجلا ، وحلقت سبع خصل (من) رأسه » ..

واعلان التحرير كان ينطبق فقط على الولايات الكونفدرالية التى كانت فى حالة حرب مع الاتحاد وتجاهلت روح ونص القانون ... اما قانون حظر الخمور فلم يحرم تعاطيها ، بل حرم صنعها وبيعها ونقلها فقط

والكتاب حافل بثروة من المعلومات العامة ، الناتجة من التركيز على تصحيح الاخطاء ، والمؤلف ، وهو استاذ اللغة الانجليزية بجامعة بورتلاند الامريكية بولاية اوريجون ، يقول فى مقدمة كتابه الفريد : « اننا حين نخطىء فليس هذا لان ملكات الادراك فينا قد خانتنا ، ولكن لاننا نأخذ ما تسمعه قضية مسلمة » ... وحتى لا نخطىء ، يقلب معظم معلوماتنا العامة رأسا على عقب ... مثلا : البومة ترى وتصطاد جهارا نهارا ، بعكس الاعتقاد الشائع بانها من طيور الليل ...

الثعلب ، رمز المكر والدهاء ، حيوان غبى ! ... الغوريلا حيوان جبان ، بعكس الاعتقاد الشائع بضراوتها وجراتها ، التى اهلتها فى اساطيرنا الفولكلورية لتحمل اسم « امنا الغولة »

والكتاب يسخر من عدد كبير من حكمتنا المتوارثة فالمال لا يقترن بالتعاسة ابدا ، وليس كل انسان يشعر بالتفاهة اذا نظر من حالق . وطبيعى ان يحفل الكتاب بمجموعة ضخمة من « هل تعلم ان » مثلا : هل تعلم ان الثلج كائن نباتى يتكون فوق سطح الماء ليحول دون تجمده ؟ .. وهل تعلم ان فردريك الاكبر هو سبب تهكمية وسخرية فولتير ، لانه اهداه عصا كانت تنثنى حين يتوكا عليها !

وهل تعلم ان هناك خطا فى عنوان هذا الكتاب ؟ .. كان ينبغى ان يسمى « قاموس المعلومات الصحيحة » !

الغول !

الكتاب : سر دراكيولا
المؤلف : برام ستوكر
تعليق : ليونارد وولف

منذ ٧٨ عاما ، وبعد سلسلة من القصص التى لم تلق رواجا ، ابتكر برام ستوكر شخصية دراكيولا : شبح رهيب برز من المراديب القرمزية لعقد الجنس الفيكتورى ، فى جو من الارهاب والحرمان ، اعطاه لقب مصاص الدماء ، فنال شهرة مدوية ، حتى اصبح اشهر « غول » فى الغرب ، واصبحت له دمى ، واغان ، وكتب فكاهية ، وتاريخية واسطورية ، تريد ان تبرهن على وجود طاغية عاش فى القرن الخامس عشر ، باسم الكونت دراكيولا !

وكانت السينما فى قمة حياتها فالتقطت هذه الشخصية العجيبة ، واعطتها بطولة افلامها ، فراجت رواجا مدهشا ، ومنذ ذلك الوقت انتج اكثر من ٢٠٠ فيلم عن دراكيولا بكل اللغات الاوربية ·· مع ان الاوساط الادبية لم ترحب بالقصة فى حينها ، لانها كانت ترى انها تفتقر الى الصدق والحبكة اللازمين للقصة الجيدة ·· كانت ترى ان فكرة الارستقراطى الانيق الذى سافر من ترانسيلفانيا الى لندن بحثا عن دم يروى عطشه ، فكرة سخيفة ساذجة ، بل ان كثيرين من مواطنى ، دراكيولا لم يعبأوا به او بكتبه ورواياته ·· الا حينما تحققوا من الفرص السياحية التى يمكن من تحققها هذه القصص الخرافية ··

اليوم فقط ، يقدم استاذ للغة الانجليزية ، ومحاضر فى جامعة سان فرانسيسكو ، اول دراسة مطبوعة فى كتاب ، عن دراكيولا ·· بعد سنين من تدريس هذه الشخصية العجيبة فى الجامعة · يقول الاستاذ ليونارد وولف : « من بين سطور الرواية تبرز شخوص كشخوص الاحلام ، ومع ذلك فهى حية نابضة بالحياة ، تفرض نفسها علينا « كرموز » لاحداث ازمنة غابرة ·· فى كل سطر منها صراع مهذب ، وتوتر غامض مستتر بين الظلام والنور ، بين الخير والشر ، فضلا عن تعقيدات الجنس بكل براءته وخطاياه ، كل هذا فى جو من الدم الدافىء المثير ·· المدرجة الخجل »!

وواضح ان ستوكر ، الذى كان سكرتيرا للممثل البريطانى المشهور ، سير هنرى ايرفنج ، قد درس موضوعه دراسة وافية ، وجلس فى قاعات الاطلاع بالمتحف البريطانى زمنا طويلا ، ليستخرج شخصية غريبة من اساطير وسط اوربا ·· التى لا تزال تتحدث عن مصاصى الدماء الذين يلزمون قبورهم نهارا وفى الليل يتحولون الى وطاويط تغادر قبورها فتمتص دم البشر ، سائل الحياة اللازم لبقاء اجسادها غضة نابضة بالحياة ، رغم ظلام القبر · والفولكلور السلافى حافل بمثل هذه القصص ، ولو انه لاتوجد وطاويط مصاصة دماء فى اوربا لان الوطواط مصاص الدماء موطنه امريكا اللاتينية ، وهى حيوانات لها انياب تغرسها فى جسد الفريسة لتمتص دمها ·· ورجال التاريخ الطبيعى يقولون ان هذه الوطاويط تختفى نهارا فى شقوق الاشجار ، لتخرج ليلا للتغذى على دماء الانسان والحيوان الحار الدم · ولا شك ان الاساطير الاوربية قد خلطت بين الاسطورة والحقيقة !

اختار ستوكر بطل قصته شخصية تاريخية اشتهرت بالقسوة وغرابة

الجديد في

المكتبة الغربية

الاطوار ، وهي شخصية الكونت دراكيولا ، الارستقراطي الفاسد الذي لا يكاد يغادر قصره نهارا ، اما في الليل فانه يهيم على وجهه وقد تحول الى وطواط ضخم او نئب ·· او ضباب ! في ذلك الوقت يكون اعداؤه في فراشهم ، ضعافا لا حول لهم ولا قوة ، فينتقم منهم بمص دمائهم ·· وربما كان ستوكر لا يدري انه عثر على شخصية حقيقية ، فالامير الروماني فلاد كان يعيش فعلا في القرن الخامس عشر وكان يحمل اسما مستعارا هو دراكيولا — اي التنيني — ولكنه لم يكن مصاص دماء ، اللهم الا اذا كان هذا تشبيها للطاغية الذي عاش في بلاد الفرس زمنا تعلم فيه وسائل التعذيب والارهاب ، وطبقها عند عودته الى بلاده ، حين حكم مقاطعة والاشيا الرومانية بسياسة سادية تعتبر متطرفة حتى في ايامنا هذه ·

ويقول المؤرخان دكتور رادو فلوريسكا ودكتور ريمون ماكنالي ، ان شابا فارعا طويل الشارب كان يعيش في قصر امير في التيرول ، ويحكم مقاطعة والاشيا واجزاء من ترانسيلفانيا، وانه قتل ما بين عامي ١٤٥٦ و ١٤٦٢ ، اكثر من مائة الف من رعيته ، وكان يتلذذ باجلاسهم على خوازيق حتى الموت ·

ويقول المؤرخ فلوليسكو ان الامير فلاد ، احد امراء الامبراطورية البيزنطية ، حكم شعبه حكما ارهابيا، ومن الجائز ان الامير كانت تنتابه حالات جنون بين الحين والحين ، فيامر بقتل افراد رعيته بهذه الطريقة المفزعة ·· ولكنه ابدا لم يكن يمتص دماءهم · اما الرومانيون فيقولون ان الامير فلاد كان من اعدل الامراء الذين حكموا مقاطعة والاشيا ، وان القسوة كانت من نصيب الخونة وقطاع الطرق وعملاء السلطان محمد الخامس الذي كان يهدد بغزو بلاده ، ورغم ذلك فقد لقي الامير مصرعه في احدى معاركه مع الاتراك ، الذين فصلوا راسه عن جسده ، وحملوها على راس رمح الى سلطان استمبول ، اما الجسد فدفن في ستاجوف ، احدى جزر رومانيا ·

ومهما يكن الامر ، فقد انتهزت الحكومة الرومانية فرصة شهرة رجلها التاريخي ، فاعلنته بطلا قوميا ، ووضعت برنامجا سياحيا بعنوان : « دراكيولا : اسطورة وحقيقة » ، وهو برنامج يجتذب اكثر من ١٥٠ الف سائح في كل عام ، ينفقون ١٥ مليون دولار · ويزورون موطن دراكيولا ، وينزلون في فندق جولدن كراون الذي ورد اسمه في كتاب ستوكر الممنوع تداوله في رومانيا ويتناولون وجبة شهية من الكباب والنبيذ الابيض ·· طعام دراكيولا المفضل !

وكتاب وولف عبارة عن صورة فوتوغرافية للقصة الاصلية في جانب من الصفحة ، وتعليقات تتناول كل سطر في القصة شرحا وتفصيلا في الهوامش ·· مع رسوم جميلة بريشة الرسام العالمي سانتي · ولا يقتصر شرح وولف على سياق القصة ، بل يتعداه الى طريقة طهي طبق دراكيولا المفضل ، ، وطريقة « تهوية » المخ المحموم بعملية تربنة ·· وفضلا عن « وصفات سحرية » عديدة ، يمكنك ان تصنعها بنفسك ، من واقع الشرح المستفيض !



هـدية العدد
صـورة...
أبو القاسم الشابى...

● ولد الشابي سنة ١٩٠٩ في قرية الشابية ، احدى ضـواحى « توزر » بتونس ، وتعلم فى المعهـد الزيتوني وتخرج فى مدرسة الحقوق التونسية .

● من اعظم شعراء تونس ، يتغنى كل عربى ببيتيه المشهورين :

اذا الشعب يوما اراد الحيـاة   فلا بد ان يستجيب القـدر
ولا بد لليل ان ينجـلى   ولا بد للقيد ان ينكسـر

● بدأ ينظم الشعر على الاسلوب القديم في صباه المبكر ، وتاثر بما قرأه من المترجمات عن الادب الغـربي والاتجاهات التجديدية فى الشعر العربى المعاصر وبخاصـة اتجاه « جبران » الرومانسى ، وظهر اثر ذلك فى شعره الناضج ..

● تزعم اللجنة الوطنية بمدرسـة الحقوق ... وكان حـدثا فى تاريخ الشعر العربى أن يقف ذلك الشـاب الضئيل النحيل، الذى لم يتجاوز التاسعة عشرة يهتف فى وجه الطغاة قائلا :

« الا ايها الظالم المسـتبد   حبيب الفنـاء عدو الحيـاه
» سخرت بانات شـعب ضعيف   وكفك مخضوبة من دمـاه
« وعشت تدنس سحر الوجـود   وتبذر شـوك الاسى فى رباه

● لم يكن شعره تعبيرا عن انفعال الانسان فقط ، ولكنه كان تعبيـرا عن الانفعال وتغييرا للافكار التى يؤمن بانها جامدة أو متخلفة .

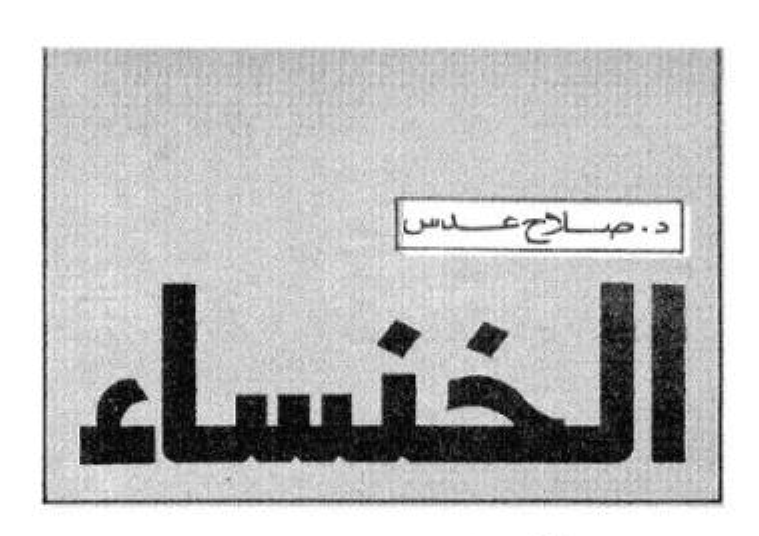
● غنى للحياة وللـربيع وللحب فى تناسق جميل ، وبلحن غير معهـود ، يقول فى احدى قصائده :

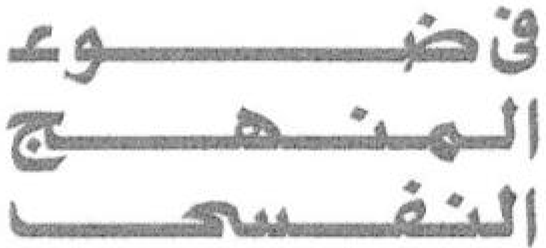
« عذبة انت .. كالطفولة كالاحـلام
كاللحن .. كالصـبـاح الجديد
« كالسماء الضحوك ، كالليلة
القمـراء ، كالفجـر الوليد ...

● وظل الشـابي يغنى رغم آهاته وجراحه ، فقد كان يؤمن فى أعماقه بأن الظلام لا بد ان يتبدد ثم يأتى الصباح .

● وكان مرضه يفرض عليه أن يعيش فى شبه عزلة ، وشعره فى هذه الفترة يمثل صراع الشباب ، والموت ، والفرح ، والحزن ، واليأس القريب والامل البعيد ، ويصل تعقد الشعور فيه أحيـانا الى التعبير الرمزى التلقائى ..

● وفى سنة ١٩٣٤ جمـع ديوانه « أغانى الحياة » لطبعه فى مصر ، غير أن وطـأة المرض زادت عليه ، وحالت دون أن يرى ديوانه الكامل فى حياته ، وفى ٩ من أكتوبر من نفس السـنة ودع الشابى حياته وهو لم يتجاوز الثـلاثين .. وفقدت العربية واحدا من ألمع شعر ائها الشبان وانبغهم . وما زال شعره أثيرا محببا لدى محبى الشعر وعشاقه ...



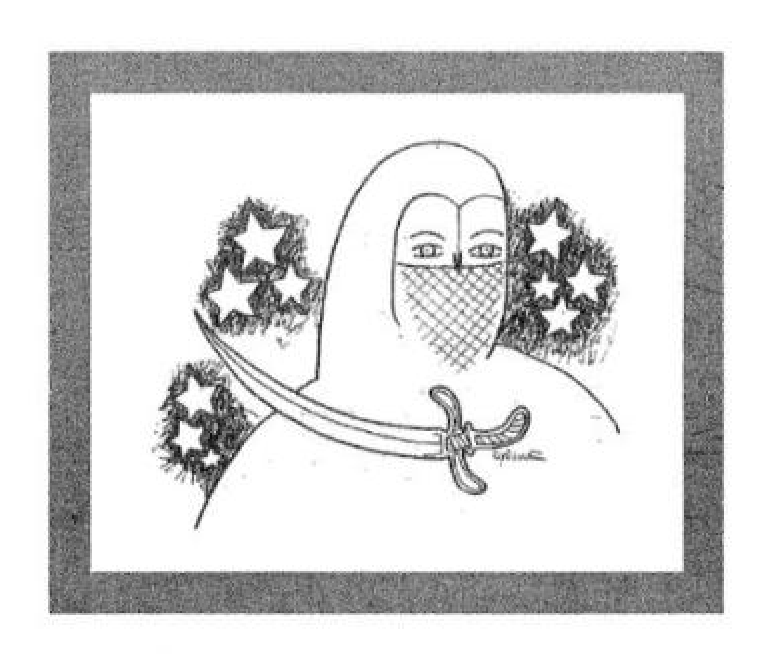


إن دراسة الأدب العربي القديم فى ضوء مناهج النقد الأدبى الحديثة أمر يفيدنا كثيرا فى إعادة تقييم تراثنا ... وإننى أميل إلى المنهج النفسى فى دراسة الشعر بالذات باعتبار الشعر تعبيرا عن وجدان صاحبه وتجاربه الذاتية وباعتبار الإنتاج الشعرى انعكاسا لحياة الشاعر ...

فالديوان الشعرى يشيع فيه جو نفسى خاص وهذا الجو النفسى يتكون نتيجة لتأثير الأنغام الوجدانية المميزة للشاعر وتتكون تلك الأنغام بتأثير الصور الشعرية التى يستخدمها فى قصائده ... أى أن الصور الشعرية تكون فى مجموعها الأنغام الوجدانية التى تكون بدورها الجو النفسى المميز للشاعر ...

فما هو الجو النفسى المميز لشعر الخنساء ... وما هى الأنغام الشعرية السائدة فى ذلك الجو وما هى الصور الشعرية التى توحى بتلك الأنغام ؟ ...

لكى نجيب عن تلك الأسئلة ونحلل قصائد شاعرتنا فى ضوء المنهج النفسى : يلزمنا أولا أن نتعرض لحياة الشاعرة وعصرها ... لأن حياة



للشاعر وعصره عموما يسهم كل منهما فى تلوين الجو النفسى الخاص به ...

والخنساء هى تماضر بنت عمرو بن ال الشريد من قبيلة سليم ... وقد سميت باسم الخنساء تشبيها لها بالظبية ، وفى ذلك يقول صاحب « تاج العروس » :

« وأصل الخنس فى الظباء والبقر » ...

والخنساء من الشعراء المخضرمين الذين عاصروا الجاهلية وعاصروا الاسلام ، ولذلك ينقسم شعرها بالتالى الى فترتين : الفترة الاولى وتمثلها مراثيها فى العصر الجاهلى .. والفترة الثانية وتمثلها مراثيها فى الاسلام ، وفيها يتجلى تأثرها بمعانى الاسلام وألفاظ القرآن مثل قولها :

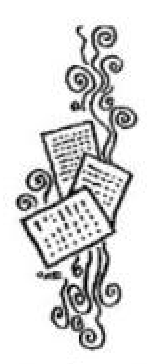
فخر الشوامخ من قتله ... وزلزلت الارض زلزالها

ففى الشطر الأخير من هذا البيت اقتباس واضح من ايات القرآن الكريم ... وكذلك قولها :

لاتكذبن فان الموت مكترم ... كل البرية غير الواحد الباقى

وقد كان لأسرة الخنساء مكانة كبيرة فى قبيلة سليم وقد أنجب والدها





شيرها اخويها معاوية وصخر ... اما معاوية فكان اكبرهما وقد سبق اخاه الآخر في قيادة فرسان قبيلته كعادة الفرسان في الجاهلية مما اظهره بصورة البطل وجعل لأسرته وقبيلته شأناً دعا العرب لتناقل اخبارهما ...

ومات معاوية هذا مبكرا في احدى تلك الغارات مما جعل الخنساء وهي في مطلع شبابها ترثيه وتدعو للأخذ بثأره ...

ثم مات صخر في سبيل الأخذ بثأر معاوية ، فكان موته بمثابة الكارثة التي هزت وجدان شاعرتنا والتي صبغت الجو النفسي لانتاجها الشعري بصبغة حزينة الى الابد ، اذ قصرت شعرها على رثائه وظلت تبكيه حتى ماتت في شيخوختها في عهد عثمان بن عفان .

وكانت الخنساء في صباها جميلة مدللة تعيش حياة ناعمة لأنها البنت الوحيدة في الأسرة ، حتى كانت نقطة التحول المأساوية في حياتها وهي موت اخيها صخر وقبله معاوية ... وكانت ايضا نقطة تحول في شعرها ،

وفي ذلك يحدثنا ابن حجر فيقول :« كانت الخنساء تقول في اول امرها البيتين او الثلاثة حتى قتل اخوها معاوية وقتل اخوها صخر ، وكان احبهما اليها ، لأنه كان حليما محبوبا في العشيرة » ...

وكان صخر هذا واسع الثراء بسبب الغنائم التي يظفر بها من غاراته ، وقد جعل له ذلك الثراء مكانة اجتماعية رفيعة ... وكانت الخنساء تلجأ اليه حين يشتد بها الضيق او العوز فيعطيها ما تشاء بكل سخاء وكرم ... وخاصة بعد ان تزوجت من احد ابناء العم ويدعى « رواحة » ، وكان مسرفا متلافا يلعب الميسر مما كان يصيب الاسرة بالفاقة والعوز فتلجأ الى اخيها صخر فيعطيها اكثر مما تطلب ...

هذا وما دمنا بصدد الحديث عن زواج شاعرتنا وحياتها العائلية نقول انه قد سبق لها أن رفضت خطبة « دريد بن الصمة » رغم انه كان صديقا لأخيها معاوية ، وكان بطلا لقبيلته « جشم » ، وسببا لقيام الحلف بين قبيلته وقبيلة « سليم » ... وكان سبب رفضها له هو كبر سنه وتعصبها لقبيلتها ، لذلك قبلت الزواج من رواحة رغم انها لم تحبه ولم تسعد بزواجه ، ولذلك لم ترثه حين مات ، ثم تزوجت بعده « مرداس » وفي ذلك يحدثنا « ابن قتيبة » في « الشعر والشعراء » فيقول انه قد خلف عليها « مرداس بن ابي عامر السلمي » وأن حياتها مع هذا الزوج الثاني كانت خيرا من

حياتهـــا مع الزوج الاول الذى كان يضيع امواله فى الميسر ٠٠ ولم تنجب من رواحة سوى « عبد الله » المكنى بابى شجرة ٠٠ اما « مرداس » فقد انجبت منه اربعة هم : عمرة ، ومعاوية ، وعمرو ، ويزيد وهؤلاء جميعـــا ماتوا فى معركة القادسية ٠٠٠

ويبدو انهـا كانت تحب مرداس لانها رثته بعـــد موته ٠٠٠ ويحدثنا صاحب « تاج العروس » عن الخنساء واولادها فيقول « روى انها شـــهدت القادسـية ومعها اربعة بنين لها فلم تزل تحضـــهم على القتال وتذكر لهم الجنة بكلام فصيح ، فابلوا بلاء حسنا واســـتشهدوا ، فكان عمر رضى الله عنه يعطيها أرزاقهم » ٠٠٠

ولما بلغ خبـــر موتهم اليها قالت الحمد الله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مســـتقر رحمته ٠٠٠

ولعل ذلك يفسر لنا عدم رثائها لاولادها الشهداء وقصرها رثاءها على اخويها وخاصة صخر ٠٠٠

فقد كان رثاؤها لأخويها مرتبطا بالعصبية القبلية والدعوة للأخذ بالثأر والرغبة فى الانتقـــام وكلها نوازع جاهلية ٠٠٠ اما بالنسبة لقتل اولادها فى القادسية ، فقد كان فى سبيل الله ونصرة الاسلام ٠٠٠ فليس ثمـــة عصبية قبلية ، ولا ثأر ، ولا انتقـــام ، وانما هناك شهادة فى سبيل الله ٠

اما عن عصر الخنساء فقد قضت الفترة الاولى من حياتها فى الجاهلية حيث ســـادت روح القبلية والعصبية والجدب والسعى وراء العشـــب والماء وسط صحراء قاحلة فقيرة ، مما دفعهم الى غارات السلب والنهب وما يترتب على ذلك من ثأر وحروب قبلية ٠٠٠

وهكذا كانت حيـــاة القبيلة يسودها جو من القلق والخوف والترقب والحزن والقتل والثأر والانتقام ٠٠٠ وهذه هى الانغـــام الوجدانية التى تنعكس فى شعر الخنساء ٠٠٠

وهذا يفسر لنا نبوغ الرثاء عند العرب ، وبراعة شاعرة مثل الخنساء فى الرثاء ، اذ ما تكاد المراة العربية تنسى اخا أو عـــزيزا مات حتى تفاجأ بمقتل عزيز اخر ، وهـــكذا تتوالى موجات الحزن ٠٠٠

***

اما الفترة الثـــانية من حيـــاة الخنساء فقد عاشتها فى صدر الاسلام حيث انشغل النبى بتبليغ الرســـالة ، ثم انشـــغل ابو بكر بتوطيد الدعوة ومحـــاربة اهل الردة ، ثم انشـــغل عمر بن الخطاب بتوسيع نشر الدعوة فى الخارج عن طريق الفتوحات ٠٠٠

ويحـــدثنا ابن حجر عن اســـلام الخنساء فيقول « انها قدمت مع قبيلتها الى المدينة لاعتناق الدين الجديد منذ ثمان للهجـــرة » ٠٠ وفى ذلك يقول ايضا القلقشـــندى فى كتابه نهـــاية الارب : « أن والد الخنساء كان يرد على

النبي صلى الله عليه وسلم ويرويله شعر أمية ابن أبي الصلت .

وأما عن حياة شاعرتنا في الاسلام فيحدثنا « ابن حجر » أيضا قائلا أن النبي صلى الله عليه وسلم رق لها واستمع لشعرها وهو يقول « هيه يا خناس » ، وهكذا جاملها في حزنها ...

ويروى « القلقشندى » في « نهاية الارب » أنها كانت اذا ما قدمت الى المدينة تزور السيدة عائشة وكانت الخنساء انذاك تدب من الكبر على عصا ، وكانت أم المؤمنين دائما تنهاها عن التشبه بأهل الجاهلية لأنها كانت تحلق شعرها وترتدى الصدار وهو زى الجاهلية في وقت الحزن ...

ويقول ابن عربي :

اقبلت الخنساء حاجة فمرت بالمدينة ومعها ناس من قومها فاتوا عمر بن الخطاب فقالوا هذه الخنساء نزلت المدينة بزى الجاهلية فلو وعظتها يا أمير المؤمنين ، فلقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام ...

فقام عمر فأتاها فقال : « يا خنساء » ... فرفعت رأسها فقالت : ما تشاء ؟

فقال : ما الذى قرح عينيك ؟

قالت : البكاء على السادات من مضر
قال : انهم هلكوا في الجاهلية وهم حشو جهنم ...
قالت : فذاك الذى زادني وجعا
فقال لها : اسمعيني شعرك

فانشدته من شعرها فقال عمر : دعوها فانها لا تزال حزينة ابدا ...

وهكذا بقيت الخنساء في شيخوختها وحيدة دون ولد ولا أخ ولا زوج ... ولكنها تفاضت عن رثاء الكل وظلت ترثى صخرا حتى ماتت ....

ونستطيع بعد هذا العرض الموجز لحياة شاعرتنا وعصرها ان نتبين العناصر التى اثرت في تلوين الجو النفسى لانتاجها الشعرى ... لقد كانت الخنساء كما قلنا بمثابة الاخت الوحيدة الصغيرة بالنسبة لأخويها ، ولذا كانت اثيرة لديهما محببة مدللة ،وقد اثراها بحبهما وكانت الصلة بينهما قوية ... ولذلك كان موتهما بالنسبة اليها فاجعة هزت وجدانها واثرت في نفسيتها اثرا عميقا ...ومن هنا جاء شعرها تعبيرا عن تلك المأساة الأليمة . مأساة فقد الاخوين العزيزين ... وهذه هى النقطة





الرئيسية التى تشكل الجو النفسى فى أشعار الخنساء وهى نغمة سوداوية حزينة ...

وهى فى شعرها لا تعبر عن الاحساس الميتافيزيقى للانسان امام الموت ، بقدر ما تعبر عن احساس الوجدان الجماعى للقبيلة بفقدان الحامى والراعى الكبير وذلك باعتبار الوجدان الذاتى جزءا من الوجدان الجماعى باعتبار الشاعر اكثر بنى قومه حساسية ورهافة ، فهى تندب فى صخر الكرم والحماية ، اذ من سيحمى بعده القبيلة ومن سيكرم الضيف ومن ومن ... فقد كان على حد قولها :

كأن عينى لذكراه اذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار
وان صخرا لوالينا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لمقدام اذا ركبوا ... وان صخرا اذا جاعوا لعقار
وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

ونلاحظ ان شعر الخنساء يقتصر على الرثاء ويحاول المستشرق «بروكلمان» تفسير ذلك فى كتابه تاريخ الأدب العربى فيقول :

« على أن اظهار الحزن لم يكن شيئا مناسبا لرجال القبيلة بينما كان مناسبا لنسائها وخاصة الاخرا وبذلك تمهدن فن الرثاء » ...

ولكن رثاء الخنساء ليس رثاء بالمفهوم التقليدى كالذى نراه فيما بعد فى العصر العباسى والعصر المملوكى مجرد مجاملة للملوك والأمراء ، حتى رأينا بعضهم يرثى الملك الفقيد ويهنىء ابنه يتولى العرش فى فرح وابتهاج فى نفس القصيدة ... وانما كان رثاء الخنساء شيئا مخالفا لذلك تماما ، شيئا نابعا من القلب الى القلب يتميز بالصدق العاطفى والحرارة والرقة ... كما كان رثاء شاعرتنا كما سبق أن قلنا تعبيرا عن الوجدان الجماعى باعتبار موت صخر ومعاوية بمثابة كارثة للقبيلة ككل ...

ويتميز شعر الخنساء ايضا بالموسيقية اذ أن أوزان قصائدها تتلاءم مع الجو النفسى للحزن والنواح فمعظمها من مجزوء الكامل او المتقارب ...

ولنتأمل تلك الصور الشعرية الحزينة التى تلون الجو النفسى لشعر الخنساء بأنغام الأسى اذ تقول :

وسوف أبكيك ما ناحت مطوقة ... وما أضاءت نجوم الليل للسارى

ولنتأمل ايضا الصور الشعرية والموسيقى الداخلية فى تلك الأبيات :

جم فواضله تندى أنامله ... كالبدر يجلو ولا يخفى على السارى
رداد عارية ، فكاك عانية ... كضيغم باسل للقرن هصار
جواب أودية ، حمال ألوية ... سمح اليدين جواد غير مقتار
نحار راغية ، قتال طاغية ... فكاك عانية للعظم جبار

ولعل تلك الأبيات خير ما نختتم به حديثنا عن الخنساء وشعرها فى ضوء المنهج النفسى .

● أمين سلامة ●

لكان تاريخ الشعوب والناس سلسلة محكمة الحلقات ، حلقة هنا وحلقة هناك .. ولا مجال للدهشة ان تشابهت الحلقات مهما تباعدت العصور والاوقات .. فالجنس البشرى واحد والحياة تفرض اسلوبها على الناس اجمعين طالما ان الناس يحيون الحياة ويمارسونها ويتوارثون منها التجارب والتقاليد والمحاكاة ..

الناس والحياة والأدب في روما القديمة

منذ الف عام كانت روما بلدا عظيما مزدحما بالاهلين ، كثير الحركة والضوضاء والدخان والغبار ، ذا معابد جميلة ومبان عامة كثيرة . فقد بدأ الاثرياء يشيدون القصور الكبيرة الفخمة ، كما كان به عدد كبير من المباني المتعددة الشقق والمنازل الحقيرة . أما التلال المبيعة فكانت تصل بينها وتصعد فيها شوارع ضيقة .

كان يستعمل هذه الشوارع أعضاء مجلس الشيوخ المبجلون وغيرهم من أغنياء الرومان ، يذرعها بعضهم سائرا على قدميه ، وبعضهم محمولا في محفات عبارة عن أسرة مغطاة بالستائر وترتكز على قضبان من الخشب يحملها العبيد الاشداء .

كان الرومان يفخرون بتلك الايام الغابرة التى عاش فيها العظماء عيشة بسيطة شبيهة بحياة الفقراء . غير ان المعيشة البسيطة التى عاشها الجميع متساوين قد ذهبت . فقد اخذ الاثرياء يمرحون في بحبوحة العز ، والفقراء في أملاق ...

ولكن ، مع هذا ، لم تكن حياة أولئك الفقراء كالحة في تلك المدينة العظيمة . فقد كان هناك ما يمتعون به أبصارهم وآذانهم وما يتحدثون عنه ، كأعياد الدولة ومواكبها العظيمة ، وعروض المسارح ، والمباريات الرائعة ، والتجالد



شيشرون

في المجلدات ٠٠ وكان التمتع بكل هـذه المناظر مباحا للجميع ٠٠٠

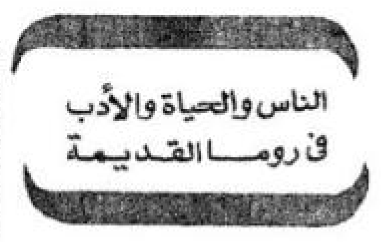
كانت الحوانيت الصغيرة تشـغل الطوابق الارضية لكثير من البيوت على جانبي الطريق ٠ وتفتح هذه الحوانيت على مصراعيها في ايام العمل ، وتغلق ابوابها ليلا وفي اوقات القيلولة اليومية تماما كما هو حال معظم الحوانيت في مصر الان ٠ وكانت تعرض في حوانيت روما سلع من كافة انحاء العالم المعروف بعضها رخيص ميسور ، وبعضها الاخر نادر غال الثمن ٠

وقد اعتاد اصحاب الحـرف ان يصنعوا كثيرا من المصـنوعات في حوانيت صغيرة، ويبيعون فيها منتجاتهم ايضا ، كما كان بعضهم يعيش في تلك الحوانيت ، وكانت الاسواق تمـد المواطنين بالطعام الذي يجلب اليهـا غالبا قبل بزوغ النهار ، في عربات المزارع ٠٠٠ وما زال هذا متبعا في ايطاليا الان وكثير غيرها من بلاد العالم وكانت بعض الحوانيت تقـدم الطعام الساخن ياكله البعض واقفين او يحمله الاخرون الى بيوتهم ٠٠٠

وكان بالامكان التعرف ، في الحال على مواطن روما من العبـاءة البيضاء الثقيلة التي لا يلبسها غـير المواطن الروماني ٠ وهي اشبه بالجلباب الذي يلبسه المصري ابن البلد وفي الريف ٠

ولغرض البساطة والاقتصـاد كان العامل الروماني يرتدي سـترة من الصوف الداكن اللون ، ذات حزام ، وكان الجندي يسير بعدته الحربيـة اللامعة البراقة ، وحذائه الثقيـل ذي المسامير الغليظة الرءوس ، اما الثياب المتنوعة الاشكال والالوان فكانت دليلا مما يعرف به سكان جميع البلاد المحيطة بالبحر الابيض المتوسط ٠

وفي تلك الايام كان الروماني يسمع في الطريق عدة لغات ، كما كان يسمع كل نوع من اللاتينية ــ كاللغة المهذبة التي يتكلمها المثقفون ، ولهجـات الاقاليم المختلفة ، ولغة الجهلاء الركيكة وعلى اية حال ، فقبل ان يبدا العمـل في السوق ، كانت المدينة تستيقظ قبـل شروق الشمس ٠ فترى الصـبيان في طريقهم الى المدرسة ، في صحبـة العبيد المسنين غالبا ٠ وكان العاملون ينتظرون فتح الابواب خـارج بيوت الاغنياء وذوي النفوذ ٠ وكان الواحد من رجال الطبقة العليا يبدا نهاره قبل ان تشرق الشمس ٠ فيتناول الفطار بسيطا، ثم يعمل في بيته في تصريف شـئونه الخاصة ، فيراجع حساباته ويتشاور



مع مديرى اعماله ، ويصدر التعليمات ويملى الرسائل على كاتم سره ٠

وكـــان شيشيرون ، وبلينى ، يريان أن تلك الساعات الباكرة انسب الاوقات للقيام بعملهما الادبى ٠٠٠ ويتقـــل هوراس انبـــاء بعض المحامين الذين كانوا يدلون بنصائحهم فى الســـاعة الثالثة من الصباح ٠ واذا ما انتهى رب البيت من اعماله الخاصة ، اتخـــذ مجلسه فى البهو ـ وهو غرفة الاستقبال الكبرى فى البيت ـ وأمر بفتح الابواب للمقابلات ٠ فيدخل العملاء المنتظرون فى الخارج ، ويقـــدمون له فروض الاحترام ، أو يطلبون عونه ومشورته ، اللذين كان من واجـــب رب البيت أن يسديهما دائما ٠٠

قد تؤجل كل هذه الاعمال اذا كان رب البيت مدعوا الى حفل زواج، أو الى حفل تسمية مولود ، أو حفل بلوغ ابن احد اصدقائه سن الرشد ٠ وكانت مثل هذه المراسم تتم فى الصباح الباكر ثم يذهب الرومانى بعد ذلك الى ســـاحة السوق ، ماشيا أو محمـــــولا على محفة ، ويقوم عملاؤه على خدمتـــه ٠ ويقف الى جانبه حاجبه ، الذى يهمس بأسماء من يتحدثون اليه ٠ اذ يقضى الادب أن يتكلم بادىء ذى بدء ، شخص من الطبقة الدنيا ، بغير انتظار معرفة شخصيته ٠٠

وكان الرومانى يهتم بالاستحمام كان يستعد ، فى الايام العادية بالمدينة، بعد وقت القيـــلولة ، للذهاب الى الحمامات العامة او للتمرينات الرياضية فى حقل مارس (لعله الاســـتاد فى عصرنا الحاضر) ، او للسباحة فى نهر التيبر ٠ وكانت فى الحمامات العـــامة الكبرى مواضع للراحة وللتجـــــول ولمقابلة الاصدقاء ولسماع الانبـــاء والتشاور مع زملاء العمل وللتحدث فى اى موضوع من الموضوعات التى قد لا تختلف كثيرا عما يتناقش فيها النـــاس الان فى النوادى او غيرها ٠

بعد ذلك ، فى منتصف فترة ما بعـــد الظهر ، يأتى وقت العشاء فى البيت او فى منزل أحد الاصدقاء ٠ وكان يعقب هذا حديث او تسلية فى غرف المـــائدة حتى ينصرف الزائرون الى منازلهم ٠٠ وكان الرومانى يصحب معه الى الاقاليم عاداته التى تعودها فى روما ٠ وهذا الوضع قائم اليوم فنحن ننقـــــل الى الريف المصرى تقاليد المدينة والبنـــدر وبالعكس ننقل الى المدينة الكثير مـــن تقاليد الريف المصرى العريقة ولطالـــما حدثنا الرئيس السادات عن تقاليد القرية التى نشأ فيها ويطالب أهـــل الحضر بالتمسك والعمل بها فى حياتهم اليومية والرئيس السادات بممارسته لهـــا استطاع أن ينجح فى كسب صداقة العالم كله ومحبته واحترامه لنا ولشعبـــنا المصرى العريق ٠

●●●

وكان القـــانون فى عصر الرومان ، كمـــا هو الحال اليوم ، يؤهل المـــرء للمناصب السياسية ٠ فان رجـــلا كشيشيرون ، ليس لاسرته نفوذ يسنده ، كان يجد القانون الطريق الوحيـــد الى التقدم السياسى ٠ لم تكن هناك حاجة الى

اى شىء لمزاولة القانون فى المحاكم · لم يكن هناك مدع عام ، وكان فى مقدور

اى شخص رومانى ان يقيم الدعوى على اى شخص آخر لأية تهمة · واحيانا كان السياسى الناشىء يعمد الى اقامة دعوى ، لا لشىء ، غير الاعلان عن نفسه حتى ولو لم تكن هناك دواع للاتهام !

حرم القانون على المحامين قبول اية اجور · فقد جرت العادة فى ذلك الزمان الغابر ، أن يذهب المرعى الى راعيه طلبا

لمشورته القانونية وحمايته اللتين كان الراعى ملزما بتقديمهما له · ومن

الوجهة النظرية ، كان المحامون ، فى عصر تال لذلك العصر ، فى خدمة كل من يطلب مشورتهم وقد اعتبر اصحاب

المناصب السامية أن من دعائم الشرف أن يقدموا معلوماتهم القانونية مجانا لزملائهم من المواطنين · غير أنه لم يمنع أى شخص يرغب فى التعبير عن عرفانه للجميل من تقديم الهدايا القيمة، وكم من وصايا سخية تركت لمحامين ناجحين ·

لم يكن لشيشيرون، كما نعلم ، وسيلة غير القانون ينمى بها دخله الخاص ، ولو انه يقرر انه كان يراعى القانون فى

ناحية تقاضى الاتعاب · ومع ذلك فقد كان يملك منزلا فى روما فوق تل البالاتين ، الذى كان من احياء ذوى

اليسار ، فى ذلك الوقت · كما امتلك ثمانية اماكن فى الارياف · ورغم انه لم يعتبر فى عداد الاغنياء ، الا انه عاش فى بحبوحة ، ينفق عن سعة فى شراء الكتب والاعمال الفنية ·

يمكننا أن نعرف الى أى وقت حرم القانون على رجال القانون تقاضى أجر ، من تحديد الامبراطور كلاوديوس (من

سنة ٤١ ــ ٥٤ م) للاتعاب التى يمكن أن يطلبها المحامى من موكله ·

وعلى العموم كان الجيش أو العمل فى الجيش أيام الرومان مهنة ، وهو اليوم شرف وواجب ، كانت هناك علاقة وثيقة بين العمل فى الجيش وبين الاشتغال

بالوظائف العامة · فيوسع أى شاب رومانى من أسرة طيبة أن يبدأ حياته العملية بالعمل ضمن موظفى احد القواد

وبعد عودته الى روما فى السن المحددة (حددت فى عصر شيشيرون بالثلاثين) كان يمكنه أن يلتحق بمنصب مراقب مالى · وبهذا يمكنه أن يزيد فى دربته

العسكرية ، اذ جرت العادة على ارسال مراقب مالى مع كل قائد · وهكذا يستطيع أن يخدم كأمين خزينة ومندوب لصرف المرتبات والاجور فى الجيش ·· وفيما بعد يمكنه أن يعمل محافظا لاحد

الاقاليم ، فيرأس قوات الجيش المرابطة هناك · وغالبا ما يستدعى للدفاع عن الحدود أو لقمع فتنة ، وقد يشترك فى حملات الغزو ·

***

اما فى مجال التجارة والصناعة فان أوجه الشبه تبدو قوية جلية بين كل من روما القديمة وكثير من الدول الحديثة·

قديما شملت التجارة الرومانية جميع البلاد والبحار المعروفة ، ولو انه لم يكن لايطاليا نفسها غير القليل من صادرات

التجارة · ويقول بلينى الكبير (٢١ ــ ٧٩ م) : كلفت التجارة مع الهند والصين ، روما اكثر مما يعادل خمسة

ملايين من الدولارات سنويا · أما الغرب وبلاد الغال (فرنسا حاليا) واسبانيا وبريطانيا فكانت ترسل الى ايطاليا من المواد الخام اكثر مما يرسل



الشرق ، ولكنها كانت ترسل أقل منه بضائع مصنوعة ٠

يمكن اكتشاف آثار قليلة لنظام المصانع ، ولو انه يبدو أن شيئا من هذا النوع كان قائما فى صناعة الحديد بمدينة بوتيولى ، وفى صناعة النحاس والبرونز وربما مصنوعات الفضة والزجاج أيضا فى كابوا ، والفخار فى أريتيوم ، والطوب وقرميد السقوف فى روما ٠ وربما قامت السيدات فى بيوتهن بالغزل والنسيج وارسلن انتاجهن الى التجار ، وربما الى صانعى الأقمشة ٠

كان معظم تجارة الجملة فى ايدى الراسماليين ، بينما كانت تجارة التجزئة فى ايدى المعتقين والاجانب ٠ وقد استخدم الوف فى توريد الأطعمة لروماء ولكن يبدو كقاعدة عامة ، ان متعهدى التوريد كانوا يتعاملون مع تجار التجزئة مباشرة ، ولم يكن هناك غير القليل من الوسطاء ٠

وحد أصحاب المصارف بين صرف النقود واقراضها ٠ اذ كان من الضرورى أن يقوم صرف النقود فى مدينة ترد اليها نقود من كافة انحاء العالم ٠ وعلى الرغم من أن مهنة الصرف لم تعتبر وقتذاك عملا محترما يليق بالمواطن الرومانى ، الا انه كان بالامكان مزاولتها باسم أحد المعتقين ٠

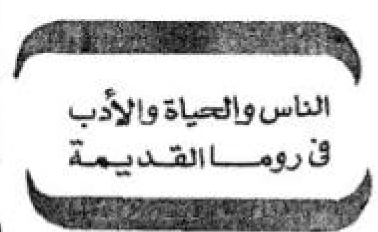
قام أصحاب المصارف باستلام الودائع ودفع الارباح وصرف قيمة الاذون المكتوبة ، وساعدوا عملاءهم فى استثمار أموالهم ٠ وعن طريق اتصالاتهم الخارجية ، قدموا للسياح ، ما نسميه نحن الآن « بخطابات الضمان » ٠ وكل هذه انظمة نعرفها وهى قائمة فى الوقت الحاضر وتحتضنها البنوك المصرية وشركات الاستثمار المصرية بما تقدمه للعميل المصرى من خدمات وارباح ٠

***

ومن حفائر بومبى عرفت بعض المعلومات ، عن حوانيت تلك العصر ، وعن عمل صغار الصناع ٠٠٠ كانت تلك المخازن الصغيرة ، فى العادة ، عبارة عن حجرات فى المساكن الخاصة الواقعة على جوانب الطرق ٠ لم يكن بينها وبين البيت نفسه أية علاقة ٠ فغالبا ما كان مثل تلك الحانوت حجرة صغيرة فى واجهتها نضد ، وتقفل ليلا بمصاريع ثقيلة ، وتفتح أبوابها على الطريق بالنهار ٠ وكثيرا ما كان صاحب الحانوت ينام فى نفس الحجرة التى يعمل فيها ٠٠٠

كان فى بعض المنازل، كمنزل بانسا ، حوانيت من عدة حجرات ٠ فكان المخبز مكونا من ست حجرات ، تفتح أربع منها على الطريق ٠ وتضم احداها عدة طواحين لطحن الغلال ٠ وكان ، أحيانا، يضم سلما يوصل الى حجرة او حجرتين فى الطابق الذى فوقه حيث تعيش أسرة صاحبه ٠

وفى بعض الاحوال ، كانت البضائع التى تباع فوق النضد ، تصنع خلف



ذلك النضد نفسه مباشرة • فكان الحذاء يضع هناك مقعده ونضده وصندوق قوالبه ، حيث يصنع الاحذية ويصلحها •

وكان النضد يصنع أحيانا من الحجر وبه فتحات لحفظ الأطعمة الساخنة المعروضة للبيع • وقد وجدت بعض النقود الصغيرة (الفكة) فى أحد حوانيت بومبى ، مبعثرة فوق النضد حيث تركها صاحب الحانوت و «الزبون» مذعورين عندما ثار بركان فيزوف •

وكان لصناع الاقفال والصياغ ومن على شاكلتهم من الصناع آلاتهم الخاصة • وكانوا يبيعون مصنوعاتهم بانفسهم ، كما كانت هناك أيضا حوانيت لبيع البضائع المصنوعة فى أمكنة أخرى على نطاق واسع ، كالفخار الاحمر المصقول الوارد من اريتيوم ، والمصنوعات الحديدية من بوتيولى وأوانى الطبخ النحاسية والبرونزية من كابوا •

اعتاد القوم فى ذلك الوقت ـ كما هو الحال فى وقتنا الحاضر ـ أن يذهبوا الى تلك الشوارع ذات الحوانيت ويتنقلوا من نضد الى نضد للشراء والمساومة أو لمجرد مشاهدة ما هناك من سلع •

ويصف الشاعر مارتيال (فى القرن الاول للميلاد) رجلا أنيق الملبس يتنقل من حانوت الى آخر فى حى الحوانيت الفاخرة بروما ، فيطلب من التجار نزع الاغطية من فوق سطوح المناضد الثمينة وتقديم أرجلها العاجية اليه ليفحصها ، وينتقد التحف الفنية ويضع بعضها جانبا ثم يغادر الحوانيت اخيرا ليتناول غداءه ، فيشترى قدحين بيتس واحد ويحملهما معا الى منزله !

***

ولعل نظام النقابات فى وقتنا الحاضر يعتبر طبق الاصل لنظام النقابات فى روما العظيمة •

فقد تكونت فى روما ، منذ عصر موغل فى القدم ، نقابات لشتى الصناعات لدراسة الطرق الفنية لكل حرفة والعمل على الوصول بها الى حد الكمال • وقد عرفنا معظم ما نعلمه عن هذه النقابات من نقوش العصر الامبراطورى • وتختلف النقابات الرومانية عن كل نقابات العصور الوسطى واتحادات الصناعات الحديثة ، فلم يكن هناك نظام للتلمذ ، ولم يطلب الاعضاء من نقابتهم التدخل فى طلب زيادة الاجور أو تحسين ظروف العمل • ولم يجبر العمال على الانضمام الى النقابة ، ولم يعرف نظام

الناس والحياة والأدب في روما القديمة

تسجيل المخترعات او اية امتيازات خاصة في طريقة الصنع ٠

يرجع تاريخ ثمان من النقابات القديمة ـ وهى نقابات دباغى الجلود، والحدادين ، والنجارين ، والصياغ ، والنحاسين ، والخزافين ، والصباغين ، وصانعى المزامير ، الى عصر « نوما » ثانى ملوك روما ٠ ويبدو أن حوانيت كل مهنة كانت معا في منطقة واحدة ، كماهى الحال فى بعض مدننا عندما يخصص مكان معين لكل صناعة ٠

ويحدثنا شيشيرون عن شارع صانعى المناجل ٠ ولما تقدمت المعارف عن الفنون وقسم العمل الى عدد أكثر من الاقسام، تكونت نقابات أخرى ٠ فمثلا الحقت بنقابة الحذائين القديمة عدة نقابات أخرى ، تتخصص كل منها فى نوع معين من الاحذية ٠

وفى عصر الجمهورية التى جاءت بعد ذلك ، ادى استخدام السياسيين المتهورين للنقابات كوسيلة لتحقيق مآربهم السياسية ، الى وقف معظمها ٠ ومنذ ذلك الحين ، روعى منتهى الحيطة فى تكوين النقابات الجديدة ، ويبدو انه لم تكن هناك قيود على تكوين جمعيات دفن الموتى التى أطلق عليها هنالكايضا اسم « نقابات » ٠ وحتى اذا لم تكن هذه النقابات منظمة ، فغالبا ما كانت تحتفظ جميعا بجباناتها المشتركة ٠

***

ولقد منحت النقابات العمال التابعين لها بعض فرص الحياة الاجتماعية ، فمنحت المعتقين ـ وأحيانا العبيد ـ حق شغل الوظائف وادارة الاعمال ، اذ كان لها حكامها ورؤساء مجالسها بالاضافة الى هيئة الاعضاء الدائمين المعروفين باسم « العوام » ٠ وكلما وزعت عليهم اية نقود ، نال كل منهم نسبة معينة حسب درجته ورتبته فى النقابة ٠

كان لكل نقابة راع أو أكثر ، يتجون لثرائهم ولصيتهم فى الكرم ، كما كان لها راعيها الدينى الخاص ، وطقوسها الدينية ٠ ويجتمع الاعضاء فى أوقات معينة ، وفى مكان محدد للعمل وللاغراض الاجتماعية ، واذا كان الاعضاء اغنياء ، ولهم راع كريم ، امتلكوا قاعة لاجتماعاتهم ٠ وتحصل النقابة على الاموال اللازمة لها من اشتراكات الاعضاء والغرامات ، وفى العطلات الهامة ، كان أعضاء النقابة يسيرون فى خيلاء ، فى موكب ترفرف فوق رءوسهم البيارق والاعلام ٠

***

ولقد عرف الرومان أيضا نظام مستخدمى المكاتب الحكومية ، فكان معظم الموظفين فى شتى مكاتب الحكام، من المعتقين ، ويتقاضون رواتبهم من الدولة ٠ ورغم أنهم كانوا يعينون اسميا لمدة سنة واحدة ، فانه من الجلى أن استمرارهم فى ذلك العمل رهن بحسن سيرهم ٠ واكثر ما يرجع اليه استمرارهم فى العمل مدة طويلة ، هو بقاء الحكام فى مناصبهم مدة قصيرة ٠ وقلما كان يعاد انتخابهم لفترة ثانية ٠ وعلى ذلك يأتى الحاكم الجديد غير

متمرن على ادارة منصبه ، فيحتاج الى مساعدين متمرنين ومدربين ٠

شغلت طائفة الكتاب أرقى الوظائف فى الخدمة المدنية ، ولا يعطينا اسم هؤلاء اية فكرة عن مدى واهمية واجباتهم ٠٠٠ واذا كان العمل يجرى الان بواسطة موظفى الوزارات وأمناء الاسرار الخصوصيين وكتبة الالات الكاتبة ، فان الكاتب وقتذاك كان يقوم وحده بجميع هذه الاعمال ٠

ويقال ان الشاعر هوراس اشتغل فى وظيفة كاتب فى ادارة الخزانة عندما عاد الى روما بعد موقعة فيليبى (سنة ٤٢ ق ٠ م) ٠

وكانت هذه الوظائف رائجة السوق دائما ٠ ويأتى بعد هؤلاء موظفون اخرون لهم نفس الاهمية تقريبا ، ولكنهم لم يحظوا بمثل الاحترام الذى حظى به الكتبة ٠ ومن بين هؤلاء الموظفين : الجلادون وحاملو المراسلات ٠ وقد خصصت للمستخدمين المدنيين اماكن فى المسارح والملاعب ٠

●●●

نأتى فى الختام الى الاطباء والجراحين وكانوا فئة هامةفى العصور القديمة أيام روما العظيمة ٠ ويبدو ان الجراحة نشأت فى العصور القديمة لغرض علاج جروح الجنود ٠

كان الجراحون والاطباء من العبيد احيانا ، واحيانا كثيرة من المعتقين والاجانب ، ولا سيما الاغريق ٠ وكان أول جراح أجنبى فى روما اغريقيا (سنة ٢١٩ ق ٠ م) وفى بعض الاحيان كان قيصر يمنحجنسية المواطن الرومانى للاطباء الاغارقةالمقيمين فى روما، بينما منحهم أوغسطس ميزات معينة ، ويشهد كثير من المصطلحات الطبية المستعملة الان ، بالنفوذ الاغريقى فى تاريخ الطب

ويمكننا الحكم على طرق العلاج التى استخدموها فى كل من الطب والجراحة، من مؤلفات كيلسوس الرومانى ، التى كتبها فى القرن الاول من عصرنا هذا ، وجالينوس ، الطبيب الاغريقى العظيم الذى قدم الى روما فى حوالى سنة ١٦٤ م ٠ ويمكن التعرف بسهولة على الالات الجراحية التى وجدت فىبومبى٠

يقول جالينوس فى مؤلفه : ان فن الطب قد تميز تماما فى عصره عن فن الجراحة ، كما كان هناك ايضا اطباء للعيون وللاسنان والخصائيون اخرون وقليل من الطبيبات ٠ وفى القرن الثانى للميلاد ، استأجرت مدن كثيرة اطباء لعلاج الفقراء واعدوا لهم حجرات للعيادات ٠ وفى عصر الامبراطور تراجان (٩٨ ــ ١١٧م) عين اطباء لمرافقة كتائب الجيش ٠

لم توجد فى ذلكالوقت مدارس للطب، غير أن الاطباء اتخذوا لهم تلاميذ يصحبونهم فى جولاتهم عند المرضى ٠ ويشكو « مارتيال » من كثرة الايدى الباردة التى كانت تجس نبضه عندما كان الطبيب يعوده مع قافلة تلاميذه ٠

يبدو ان الاطباء المتخصصين لبيوت العظماء ابان عصر الامبراطورية ، كانوا يتقاضون اجورا طيبة ٠ تستند فى هذا على ممتلكات اطباء البلاط ٠ وقد ترك طبيبان مزرعة مشتركة بينهماتعادل قيمتها مليون دولار ، بينما كان احد الاطباء يتقاضى من الامبراطور كلاوديوس مرتبا يعادل خمسة وعشرين الف دولار ٠٠٠

● من روائع القصص العالمى ●



بقلم : جى دى موباسان

ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

اوقف السيد « شيكو » ، صاحب فندق قرية ابريفيل ، عربته امام مزرعة الام « مجلوار » ، وربط جواده الى الحاجز ، ثم دلف الى الفناء ..

كان رجلا طويل القامة متين البنيان فى الاربعين من عمره ، متورد الخدين ، بادى الكرش ، تلمع عيناه ببريق الخبث والدهاء . وهو يملك قطعة ارض

لصق اراضى المراة العجوز الام «مجلوار» ويحاول منذ مدة طويلة شراء ارضها ليضمها الى ارضه بيد أن الام «مجلوار» كانت ترفض ان تبيعه اياها فى اصرار وهى تقول :

ــ كلا .. لقد ولدت فى هذه الارض وسأموت فيها !

ووجدها تقشر البطاطس امام البيت ، وكانت فى الثانية والسبعين من عمرها ، قد امتلأ وجهها بالتجاعيد ، واحدودب ظهرها . ولكنها كانت لا تزال قوية كما لو كانت فتاة فى مقتبل العمر ... وربت « شيكو » بيده على ظهرها ، فى مودة ثم جلس على مقربة منها قائلا :

ــ كيف صحتك اليوم أيتها الام « مجلوار » ؟ . على ما يرام أن شاء الله ؟

ــ لا بأس . وكيف حالك انت يا سيد « شيكو » ؟

ــ لولا بضعة آلام خفيفة لكانت حالى على اتم ما يكون من الرضا

ــ حسنا ...

ولم تزد . وراح « شيكو » يتأملها وهى تتناول بأصابعها النحيلة المعوجة الجافة البطاطس الواحدة بعد الاخرى ، فتديرها بسرعة وهى تنزع عنها قشرها بسكين عتيقة تمسكها فى يدها الاخرى ، وعندما تفرغ منها تلقى بها فى دلو

به ماء وكان فى الفناء ثلاث دجاجات كانت تجرؤ من وقت لآخر فتقترب من الام « مجلوار » وتلتقط القشر بمناقيرها ثم تولى هاربة بسرعة .

وبدا على « شيكو » الارتباك والتردد . ولم يطاوعه الكلام اكثر من



مرة . ولكنه لم يلبث ان قال أخيرا :

ـ الا تخبريننى ايتها الام « مجلوار » ؟

ـ ماذا تريد ؟

ـ الا تبيعيننى هذه المزرعة ؟

ـ كلا يا صديقى .. انزع هذه الفكرة من راسك ! .. لقد سبق ان اطلعتك على رأيى ولا أريد ان تعود الى هذه المسألة مرة أخرى

ـ وما رأيك فى حل يرضينا نحن الاثنين ؟

ـ وما هو ؟

ـ هو ان تبيعينى اياها ثم تحتفظين بها فى نفس الوقت ... الا تفهمين ؟ .. اصغى الى ...

وكفت العجوز عن تقشير البطاطس ، وراحت تحدق فى صاحب الفندق بعينين حادتين تحت اجفان متعبة .

واستطرد يقول :

ـ ساوضح لك كل شىء . ساعطيك كل شهر مائة وخمسين فرنكا ، هل تسمعين . ساحضر اليك كل شهر واعطيك المائة والخمسين فرنكا . وهذا كل شىء .. لن يكون هناك أى تغيير ، فسوف تبقين فى بيتك كما انت الان ، وانا من ناحيتى لن ازعجك .. ثم انك لن تدينى لى بشىء ما . لن تفعلى اكثر من ان تأخذى نقودى . الا يوافقك هذا ؟ ..

ونظر اليها مسرورا مغتبطا بينما تأملته العجوز فى ارتياب محاولة ان تهتدى الى الفخ الكامن بين طيات كلماته وسألته قائلة :

ـ ولكن هذه الطريقة لن تعطيك المزرعة ..

فقال : ـ لا تزعجى نفسك بهذا . سوف تبقين فى مزرعتك طالما مد الله فى عمرك ، ولن تفعلى اكثر من تحرير ورقة صغيرة عند موثق العقود تؤول المزرعة الى بعد وفاتك ، فانت لا اولاد لك وليس هناك من يهمك أمرهم .. الا يوافقك هذا ؟ ستحتفظين بأملاكك طول حياتك وتأخذين منى فوق ذلك مائة وخمسين فرنكا كل شهر !

بانت الدهشة والقلق على العجوز . ولكن الرغبة كانت أشد تأثيرا فقالت :

البرميل الصغير



— هذا صحيح .. ولكن اتركه لى مهلة افكر فيها .. عد الى فى الاسبوع المقبل لاعطيك رأيى .

وانصرف السيد « شيكو » مسرورا كانما هو ملك غزا دولة .

وغرقت الام « مجلوار » فى لجة عميقة من الافكار ، ولم تستطع ان تغمض عينيها ليلتين متتاليتين .. واستبدت بها حمى التردد طيلة الايام الاربعة التالية . كانت تحس كأن هناك شيئا مريبا فى هذه الصفقة سوف يلحق بها الضرر .. ولكن المائة والخمسين فرنكا التى ستاتيها فى كل شهر من غير تعب تغلبت على ترددها .

وذهبت الى موثق العقود تسأله الرأى ، فنصحها ان تقبل عرض السيد « شيكو » ، ولكن على ان تطالبه بمائتين وخمسين فرنكا بدلا من مائة وخمسين، فان مزرعتها تساوى ستين الف فرنك على اقل تقدير . واردف يقول :

— وانت اذا عشت خمس عشرة سنة اخرى فانه سيدفع لك بهذه الطريقة اكثر من خمسة واربعين الف فرنك .

واضطربت العجوز لمجرد احتمال قبول السيد « شيكو » بان يدفع لها مائتين وخمسين فرنكا . ولكنها كانت متشككة وتخشى احتمال وقوع اى فخ ، فراحت تلقى على الموثق الف سؤال وسؤال حتى تامن شر الخدع المستترة . كل هذا وقلبها لا يطاوعها على الانصراف . واخيرا سألته ان يعد الوثيقة ، وعادت الى مزرعتها وراسها تدور كما لو شربت اربع زجاجات من النبيذ الخالص .

وعندما ذهب « شيكو » اليها ليستطلعها رأيها اظهرت كثيرا من التردد ، ورفضت فى باديء الامر وهى تخشى فى قرارة نفسها ان يتراجع امام فكرة المائتين والخمسين . واخيرا ازاء اصراره اوقفته على رغبتها . وانتفض « شيكو » وقد تملكته خيبة الامل ورفض الفكرة .

وحاولت العجوز عندئذ اقناعه فقالت له انها لن تعمر طويلا . واردفت تقول :

— ليس امامى غير خمس او ست سنوات على الاكثر . فانا الان قد بلغت الثالثة والسبعين ولم اعد قوية كما كنت . ولقد خيل الى فى الليلة الماضية انى سأموت وبدا لى كان جسدى قد انهار بحيث اضطروا ان يحملونى الى الفراش حملا .

ولكن « شيكو » اعترض عليها قائلا :

— كفاك مكرا . ايتها العجوز . فانت قوية كالثور ، وسوف تعمرين ثلاثين سنة اخرى على الاقل . وسأموت انا قبلك بكل تأكيد .

وضاع اليوم كله فى مجادلات عقيمة . ولما لم تتزحزح العجوز عن

رأيهـــا قبل السيد « شـيكو » أخيرا أن يدفع لهـــا الثلاثين والخمسين فرنكا .

ووقعا الوثيقة في اليوم التالي . وأصرت الام « مجلوار » على أن ينقدها « شـيكو » خمسين فرنكا حلوانا .

ومرت ثلاث سنوات والعجـوز على أتم ما تكون من الصحة ، لم تشك فيهـا من أية علة . وبدأ اليأس يدب في قلب السيد «شيكو» وقد خيل اليه انه يدفع لها ذلك المعاش منذ أكثر من نصف قرن وأنها خدعته في هذه الصـفقة ... وكان يذهب من وقت لآخر لزيارتها شأن المرء حين يذهب الى الحقل ليرى ان كان الوقت قد أزف ليجني ثمار ما زرعه . وكانت تسـتقبله في خبث كما لو كـانت تهنيء نفسها على الدور الذي مثـلته . وكان يسرع الى عربته وهو يتمتـم بينه وبين نفسه :

ـ اما ان لـــك ان تموتي أيتهـــــا « الكركوبة » ؟!

ولم يدر ماذا يفعل ، وود لو انه يستطيع ان يخنقها . وأحس بكراهية شـديدة نحوها لم يحسها نحو أحد من قبل !

وراح يبحـث عن وسيلة ...

وذهب ليراهـا ذات يوم وهو يفـرك يديه جذلا كما فعل في نفس اليوم الذي عرض عليها فيه الصفقة الاولى . وبعد ان تبادلا الحديث هنيهة قال :

ـ لمـاذا لا تأتين لتناول الغـداء في فندقي عنـدما تذهبين الى ابريفيل لقضـاء حاجيـاتك ؟ .. ان الناس يتكلمون ويقولون اننا لم نعـد صديقين ، وهذا يثقل علي .. انك لن تدفعي سنتيما واحدا ، وأنت تعلمين انني انفق في الطعام بغير حساب .. فاذا قدمت الى ابريفيل فتعالي الى فندقي من غير أي تحفظ فان ذلك يسرني كل السرور .

وقبلت الام «مجلوار» الدعوة على الفور ، وذهبت الى السوق في غداة اليوم التـالي مستقلة عربتها التي يقودها خادمها سلستان .. وبعد أن فرغت من قضاء حاجاتها ، امرت خادمها أن يذهب بهـا الى فندق « شيكو » ، وهناك طالبته بالغداء الموعود ..

وعاملها صـاحب الفندق أحسن معاملة فقـدم لها كل ما لذ وطاب من الطعـام . غير انها لم تتنـاول شيئا تقريبا ، فهي عاشت طول حياتهـا على الكفاف بحيث يكفيها قليل من الحساء وكسرة من الخبـز المقدد .

وأحس شيكو ، بخيبة امل كبيرة ، وكدره انها لم تشرب كذلك ، كمـا رفضت القهوة التي قدمها اليها . وعندئذ سألها قائلا :

ـ لعلك لا تمانعين في شرب كأس صغيرة .

ـ اذا كان الامر كذلك فلا بأس .

وصاح يقـول بكل قوته :

ـ احضري النبيـذ يا روزاليا .. النبيـذ المعتق .

واقبلت الخادمة ومعها زجاجة كبيرة من النبيذ ، فملأ « شيكو » كاسين وقال :

ـ تذوقي هذا النبيذ ايتها الام « مجلوار » .. انه اجود النبذة فرنسـا كلها !

وراحت العجوز تشرب في تؤدة وفي جـرعات صغيرة في استمتاع .

ـ نعم ، هذا نبيذ جيد حقا ...



وملأ « شيكو » كأسها للمرة الثانية قبل أن تفرغ من كلماتها هذه ، وأرادت أن ترفض ولكن الكأس المملوءة كانت أقوى من ارادتها فشربتها في بطء كما فعلت بالكأس الأولى .

وأراد أن يملأ كأسها للمرة الثالثة ، ولكنها رفضت ، فأصر وهو يقول :

ـ ولكن هذا النبيذ حلو كاللبن . انني أشرب منه كل يوم عشر كئوس ، بل أكثر بدون أن أحس بأى ضيق ... انه خفيف على المعدة وخفيف على الرأس ، وهو يتبخر وهو على اللسان .

وكانت رغبتها أشد نقبلت ، ولكنها لم تشرب غير نصف الكأس . ولما رأى « شيكو » ذلك صاح يقول وهو فى نوبة من الكرم :

ـ مادام هذا النبيذ قد أعجبك فسأعطيك برميلا صغيرا منه لا لشىء الا توطيدا لصداقتنا .

ولم ترفض العجوز الهدية . وعادت الى بيتها وهى سكرى شيئا ما .

وفى اليوم التالى أقبل صاحب الفندق الى المزرعة وأخرج من عربته برميلا صغيرا وأصر على أن تذوقه لترى أنه من

البرميل الصغير



نفس النوع الذى تناولته بالامس . وعندما شرب كل منهما ثلاث كئوس قال وهو ينصرف :

ـ يمكنك أن تطلبى برميلا غيره اذا فرغ هذا ، فان عندى منه الكثير ، ولا تهتمى بأمر النقود .

وعاد بعد أربعة أيام . وكانت العجوز واقفة أمام البيت تقطع الخبز للعشاء . ودنا منها وحياها تحية الصباح وهو يشم أنفاسها ... وعرف رائحة الخمر التى تفوح منها فانبسطت أساريره وقال :

ـ ألا تقدمين لى كأسا؟

وتناول كل منهما كأسين أو ثلاثا .

ولم تلبث الشائعات أن أخذت تدور فى كل مكان، وكان محورها أن الام « مجلوار » أخذت تسكر فتارة يلتقطونها فى المطبخ ، وتارة فى الفناء، وأخرى فى الطرقات المجاورة فيحملونها الى البيت وهى لا تبدى أية حركة كالجثة الهامدة .

ولم يعد « شيكو » يذهب اليها . واذا تحدثوا عنها أمامه يهز رأسه فى حزن باد ويقول:

ـ أليس معيبا أن تتمكن هذهالعادة الذميمة منها بعد أن بلغت هذه السن ؟ .. أن المرء اذا كبر وشاخ لا يستطيع المقاومة ، وسترون أن الخمر سوف تقضى عليها .

وصح ما توقعه فقد ماتت فى الشتاء التالى، عشية عيد الميلاد ، اذ سقطت على الجليد وهى سكرى وتجمدت أطرافها.

وآلت المزرعة الى السيد « شيكو » وعندئذ قال :

ـ لو أن هذه الفلاحة القذلة لم تشرب ، لبقيت على قيد الحياة عشر سنوات أخرى على الاقل، فشكرا لله يا خمر !



"طوق الحمامة"

لابن حزم الأندلسي

ولد ابن حزم سنة ٣٨٣هـ (٩٩٤م) وتوفي سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٣م) في قرطبة وكان ابوه وزيرا للمنصور بن ابي عامر ، وهو ينتسب الى بيت وسيع من موالي بني امية . دخل ميدان السياسة وهو بعد في مطلع الشباب ، ثم عاني اوصاب النفي واشترك في الكفاح السياسي واصبح اخر الامر مفكرا عضب اللسان ، وجواب آفاق ينازل العلماء والفقهاء ، ويتحدى بجدله العنيف آراء متأصلة في الفقه والفلسفة والدين، وكان الى جانب ذلك شاعرا ، ويضم كتاب « طوق الحمامة » اكبر مجموعة من شعره .

ويعتبر « الطوق » اهم ما الف ابن حزم في باب الادب ، وهو رسالة عن الحب والمحبين ، ويقع الكتاب في ثلاثين بابا ، يدور كل منها حول موضوع معين من موضوعات الحب مرسلة كلها بطريقة متشابهة يلتزمها ابن حزم في كل فصل منها .

فيبدأ بتعريف النوع الذي يدور عليه الباب او يصف خاصية من خصائصه بتغيرها ، ثم يورد طائفة من الحكايات الواقعية يدلل بها على صحة ما يقول، وتتخلل الكلام قطع من شعره .

وكتاب ابن حزم يقدم لنا تفاصيل عظيمة القيمة عن حياة الاندلسيين في بيوتهم خلال القرن الحادى عشر ، ويصور لنا المآسي التي كانت تحدث في البيوت من وراء ستار ، ويحدثنا بقصص المحبين ذوى الحيلة والابتكار او المستهترين .

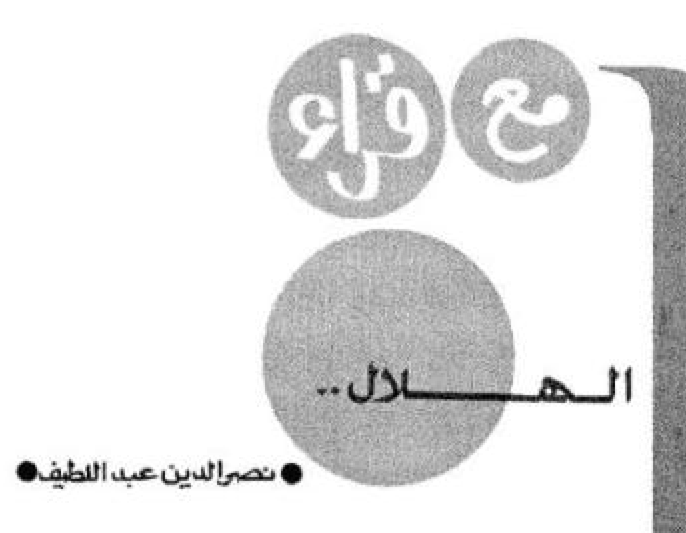
ويروى كثيرا من مآسي بني امية ، ويذكر كيف ان بعضهم قضى نحبه شهيد الهوى .

والكتاب حافل بالمعلومات القيمة عن حياة ابن حزم نفسه نتعرف منها شيئا من اخلاقه وما عرض له من الحب . ونلم بالكثير عن اصحابه ووقائع حياته السياسية .. والى جانب ذلك يضم « طوق الحمامة » تحليلا نفسيا لطيفا لعاطفة الحب وما يتصل بها الى جانب الكثير من شعر ابن حزم .

وقد درس الفيلسوف الاسباني « اورتيجا اى جاسيت » الكتاب وكتب مقدمة لترجمته الاسبانية وقال عنه : انه يرشح الى جوار خير ما الف عن الحب على امتداد كل العصور ، والى جانب بقية المستشرقين الذين تناولوا الكتاب بالبحث والتحليل نقل عنه بعض الذين جاءوا بعده من العرب او احتذوه في كتابه هذا دون ان يبلغوا ما بلغ ابن حزم ، ومن اشهر هؤلاء ابن ابي حجلة التلمساني والذى عاش في القاهرة في كتابه « ديوان الصبابة » ، وداود الانطاكي في كتابه « تزيين الاسواق في مصارع العشاق » .

وعقد طه حسين مقارنة طيبة بين ابن حزم في « طوق الحمامة » والكاتب الفرنسي الشهير ستاندال في كتابه « عن الحب » ..

وقد ضبط نصه ونشره وحرر هوامشه مؤخرا الدكتور الطاهر احمد مكي ، وصدر عن دار المعارف ...



● ... « شربة اهل الهوى » !
لو انك تعرفها ... فعرفني بها ؟!

● همام موسى ـ شبين الكوم ●

ـ ليتني لم استشعر فى سؤالك شبهة التحدى ... اذن لاعترفت لك بالجهل واسترحت !

لقد خطر لى ، اول وهلة ، انها ـ « شربة اهل الهوى » ـ مصطلح من قاموس ادب المتصوفة ...

والتصوف ، بالمناسبة ، وبالنسبة لى ، عالم رحيب ، مهيب ... اتطلع اليه فى نوازل الضياع والاغتراب ، وقد اطرق الباب ، ثم اتهيب ان ادخل ... فاتنهد ، ثم اقفل راجعا ، بطىء الخطى ... فى الطريق الذى لا طريق امامى غيره ... الى الغاية !

لكن ... ليس ذلك على اى حال ، جواب سؤال ! ..

الكون اذن « شربة اهل الهوى » فى بعض ما عرفت من الدكتور جوزيف راميتش فى لقاء وحديث معه نشر فى عدد سابق من « الهلال » ؟ .. كان الدكتور راميتش ، وهو مستشرق يوغوسلافى ، قد اعد رسالته للدكتوراه عن « المقامات » فى الادب العربى ، ومنه تعرفت بكتاب « منامات ومقامات الوهرانى » .

والوهرانى هو الشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهرانى ، اديب كبير عاش منذ نحو ثمانمائة وخمسين عاما ، وتميز بالبراعة والظرف ورشاقة الاسلوب ، وله فى مناماته فصل قصير لطيف يقول فيه تحت عنوان :

« شربة أهل الهوى » ••• :

« يؤخذ على بركة الله ، وعون الله ، أوقيتان من صافي وصال الحبيب ، منتقاة من عيدان الجفا وخوف الرقيب ••• وثلاثة مثاقيل من نور الاجتماع ، منقاة من غلث الهجر والانقطاع ••• وأوقيتان من خالص الوداد والكتمان ، منزوعة من نوى الصدود والهجران ، وعناق النحور ، وضم الصدور ••••

« ويدق الجميع ويخلط بأوقيتين من شراب الرضا ، وورد مربا اللقا ••• ويشرب على الريق ثلاثة أيام ، بالتمام ، ويكون الغذاء منحساء الاشتياق ، مضافا اليه قلب لوز العناق ، و ••••• »

ويأتي بعد ذلك ، وقبل ذلك ، كلام لا يكتب هنا ولا يقال ••• الهذه ، ياسيد همام ، هي « الشربة » التي جئت تعرف ، بالتحدي، سرها ؟ ••

أم أقدم لك « شربة » غيرها ؟!!

● مراد توفيق زكي ــ طنطا :

ــ ••• أعرف أنه ليس أخطر منها ولا أبعد أثرا في حياة الناس والحب والفن والأدب ــ : القبلة !

ولكن ، متى عرفها الانسان ، وكيف عرفها ، وما أجمل ما قيل فيها ؟ •• ــ فتلك هي الأسئلة التي من مثلها انقصف عمر كبير الحكماء في فارس ، فمات ووراءه واحد وأربعون جملا محملة بالكتب !

هل تقبل اذن ، ولضيق ذات المساحة ، أن تقبل الاجابة مسلسلة بالقسط على حلقات ، أو ــ اذا شئت ، ومن باب تغيير الجو اللغوي ! ــ محلقة على مسلسلات ؟!

••• عن البداية في تاريخ حياة القبلة ، لا أعرف الآن أكثر مما أذكر من قراءاتي البعيدة ، ومنها ما يقول المؤرخ اليوناني بلوتارك (بين عامي ٤٥ : ١٢٥ بعد الميلاد) ــ : بعد أن أصدر الرومان قانونا يمنع النساء من شرب النبيذ ، كان على الأزواج أن يتأكدوا من عدم مخالفة زوجاتهم للقانون ، فأخذ كل زوج يشم فم زوجته كلما عاد من عمله آخر النهار ••• ومع تكرار الشم ، كل يوم ، واقتراب أنف وفم ، تلاقت الشفاه صدفة ••• فكانت تلك هي لحظة البداية في أرق ، وأطول ، وألذ ، مسلسلة في التاريخ العاطفي لبنات وأبناء جلدتك !!



من بريد الشعراء

● نبيل أحمد سلطان ــ ليفربول ، انجلترا : مرحبا برسائلك وقصائدك ، ومبروك قرارك أن تدرس الأدب الانجليزي في بلاد الانجليز ••• ● ابراهيم راغب الدسوقي ــ هندسة طنطا : لو اكتملت للقصيدتين سلامة الوزن ، لكانتا من أحسن ما يكتب شباب

الشعراء ··· ● سمير فخري حسن ـ علوم أسيوط : أنت الجدير بالشكر والثناء ، لانك تقبلت التوجيه بسماحة وارادة ، فقرأت ودرست العروض ، ونجحت ··· مبروك ، ويبقى أن تعنى بالصياغة الجيدة والافكار الجديدة ··· ● حمدى رمضان حميدة ـ الفيوم : « فى الحلم » و « دروس فى النفاق » مقطوعتان مبشرتان ، لولا بعض الكسور فى الاوزان ··· ● عادل عبد الرحمن وزوز ـ القس : مرحبا بك فى كل ما تكتب ، وسنحاول عرض مختارات من شعرك فى أعدادنا القادمة ··· ● حسنى عبد المنعم درويش ـ كلية الهندسة: الصواب ما قلت فى رسالتك ··· مزيد من المعرفة باللغة · ودراسة العروض والقوافي ، والاحساس الشعرى ظاهر فيما تكتب ··· ● عبد الحميد السيد ـ طب طنطا : « أنشودة الحب » مقطوعة جيدة ، لولا بعض الاسهاب واختلاف الاوزان فى بعض المقاطع ··· ● عبد السلام محمد السيد ـ الدقهلية : مقطوعتك « آه يا حبيبتى » محاولة من محاولات البداية الطيبة ، فاستمر ··· ● محمد محمود عثمان ـ شبرا الخيمة : فى أى مكتبة بالقاهرة يمكن أن تجد ما تطلب من مؤلفات تدرس علم العروض ··· ● جمال محمد الدكرونى ـ القاهرة : الكلمات فى « ثلاث صور للضياع » شاعرية ومعبرة ، والمعنى عصرى ، لا بد أن تهتم بمعرفة الاوزان ··· ●

● و ··· آه ، تعبت ! ·· تعبت هنا وانكسفت أيضا ، من تكرار نفسى فى كلمات : أوزان ـ كسور ـ عروض ـ قوافى !

ليتها ، الآن ، تكنولوجيا العصر ، من أجل الاعزاء أصدقاء الشعر، ومن أجلى معهم ـ تبتدع لنا « كومبيوترا » يجبر الاخطاء والخلل ، و ··· « يعلمك عدم كسر الشعر بدون معلم » !

شعر وشعراء

● الشاعر عدنان أسعد ـ من قصيدة « دعاء » ، تحية بسلامة العودة لاستاذنا ورئيس التحرير الشاعر الكبير صالح جودت :

من القلب المحب دعـــاء
ومن بعد العناء شـــفاء
وربى يقبـــل النجوى
دعاء الشـعر والشـعراء
أن احفظه لنا نغمـــا ···
وأين المثـــل والنظـراء
الهى قـــد دعوت ولى
اليك رغبـــة ورجاء !

● حمدان أحمد ـ من قصيدته « التناغم » :

لا تقـــولى وهبتك الحب يوما
انه الحب لم آتي باختيـــارى

كـــل فرد يفـــر حينا لفـــرد
ثم يسلو محطما فى الاســـــار
هكذا ، هكذا الامور جميعـــا
بعضها ثابت وبعضها فى انهيار

● سيد احمد الهمشرى – من مقطوعة « بعد الوداع » :
لما انت وتبسمت وتقـــــددت
منى فكانت كالصـــباح النجلى
سكتت وكان الدمع اية حبهـــا
والدمع مصداق الحديث الاول !

● محمد توفيق شلبي – المحلة :
– هى والله تهنئة خالصة ، بلا سخرية مقصـــــودة او مكتومة او مكتوبة ! ···· القصص ، كما ترى فى « الزهور » ، عن الحب والفن والابداع ، واهتمامات ، وهموم الانسان !

● س · س · كلية الزراعة :
– كل هذه الرقة والعذوبة فى قصيدة « امل » لا تستحق منك الوصف بانها « خلط » ! ···
« الخلط » قد يكون تعقيب نقد لشعر مصنوع وكلمات لا رصيد لها من الصدق ··· فهل هى – « امل » – كذلك ؟!

● فؤاد كريم عثمان – كنج مريوط :
– ··· ربما لاسباب غير الواحد والاربعين سببا الشهيرة – ابدو كما تراني ، متناقضا ··· : ظاهر اللذع والمرح ··· مفعم النفس باشجان الحزن والغضب !
لعلها ، يا اخى ، انعكاسات ايام رمادية مرة ، تمر بلا وهج ولا بهج ، وانا – الآن – اضعف من ان اغيرها ، واقوى من ان اقبلها !
على اية حال ، ولا تحزن لى . فلعلها مرحلة ومجرد موقف صعب ··· وفيما تعلمت من الامل ، فان اصعب المواقف ، لا يطيل الوقوف !

● اسامة مصطفى – السيدة زينب ، القاهرة :
– ··· نعم أعرفه ، فهو من المع المواهب التى تفتحت على صفحات « الزهور » ، وهو – فاروق جويدة – صديق وشاعر رقيق ··· ولم اكتب عن ديوانه الثانى والجديد « حبيبتى لا ترحلى » لانى لم اقرأه بعد ··· ولم اقرأه بعد ، لان شاعرة زائرة اخذته منى ولم ترده بعد ! ··
واذا كان يهمك ان تشغلها خناقة شعر ونقد بيننا ، فاروق جويدة وانا ، فاذهب الى مسجد السيدة ، فى حيكم ، وصل ركعتين لله وابتهل ان يهدى الشاعرة لترد ما اخذت ، او يهدى الشاعر ليهدينى نسخة بديلة من الطبعة الجديدة !

● محمد القباني ـ الدقي جيزة :
ـ لك الثناء على ثنائك ...
وعن الشعر والقصص مما تكتب ، يمكنك وكما جاء في رسالتك ان « تتجرا » وترسل لي نماذج منها ...
واطمئن ، فسوف « اتجرق » واقرؤها ... بل اني قد « اتجرق » ايضا و « اتجرق » فاقول لك رأيي ! ..

● ليلي ٠ م ٠ د ٠ تجارة القاهرة :
ـ مجمل الرأى يا آنستى ٠ أو يا سيدتى ، أنه بعد انعدام الوزن في قصيدة « انى راحلة » ـ لا يبقي منها سوى الكلام الذى يخطر عادة لأى حبيبة طيبة ، غاضبة ، تهدد بالانسحاب وفك الاشتباك !

وفيما يتصل بي من رسالتك ، فان موقعي هنا ، وكما ترين ، يجيء في ذيل صفحات « الهلال » ، بعد كتابات أعلام الفكر والشعر والادب ، ومثل هذا الجوار الكريم مع أساتذتي الكبار ـ يضطرني الى ان أحتشم، واتوقر ، واتكمش ... فلا أشغل القــراء أو اثقل عليهم باحاديثى الشخصية ، خاصة وان رأيي الشخصي في شخصي ـ : لا يسر !
... مع ذلك ، ولاني متهم هنا بانني عصبي غضوب ـ فهانا اجيب صراحة على اسئلتك الثلاثة :
● هل أحببت ؟
ـ بلى !
● كم مرة ؟
ـ مظلوم !
● والآن ؟
ـ احب ربنا ... واحب اكون عند حسن ظنك !

● نديم والى ـ الاسكندرية :
ـ ... انحسرت هذه الموجة ـ اللامعقول ـ عندهم ... فلعل مؤثراتها فيما أرجو ، تنحسر عندنا !

لم يكن اللامعقول ، كما تظنه ، أدبا مبهرا غشيت له عيون النقــد والنقاد ... بل ان صاحبه الذى تعجب به ، والذى ارفقت برسالتك لي دراسة هزيلة عنه ـ أوجين ايونسكو ـ قد ألف مسرحيته الخاصة « مرتجلة الالما » دفاعا عن نفسه وعن مسرحه في مواجهة النقد اذ جعل أبطالها ثلاثة نقاد هم « برتولوميوس الاول » و « برتولوميوس الثاني » و « برتولوميوس الثالث » ، واظهرهم في محاوراته معهم ومع بعضهم البعض طوال المسرحية بما يكشف ما « يتميزون » به من التناقض والجهل والتعالم والادعاء والحذلقة !
ولا تذكر الآن هل جاءت هذه المسرحية الخاصة والقصيرة قبل او بعد الهجوم النقدى العنيف الذى لقيه ايونسكو من كبار نقاد المسرح في فرنسا ، وفي طليعتهم الناقد الجهير « روبير كامب » صاحب المقولة

المأثورة : « ان ايونسكو من « الغرائب » الصغيرة في مسرح هـذه الايام ! »

وهو ايضا ـ كامب ـ صاحب « الخماسية » المشهورة :
لا اعتقد ان السيد ايونسكو مفكر ، او مجنون !
ولا اعتقد ان السيد ايونسكو عبقري او شاعر !
ولا اعتقد ان السيد ايونسكو مؤلف مسرحي !
ولا اعتقد ان السيد ايونسكو مؤلف مهم !
ولا اعتقد ان السيد ايونسكو عنده شيء ليقوله !!

● ساهر سميح ـ المعادى :

ـ ظنك في محله ! ..
لك من صداقتي ما شئت واكثر !
اوافق بالطبع ، مرحبا ، ان يزيد عدد رسائلك • كتابة ورسـوما وشعرا ...
لم استطع ان اكتب هنا « امنياتي الثلاث » التي لم تتحقق في العام الماضي ، لواحد واربعين سببا : السبب التاسع عشر منها ، ان تلك الامنيات الثلاث ، اصبحت الآن اربعا ! ..

● محيي الدين الزواوي ـ الاسكندرية :
ـ ... على العكس ، انا قليل الحفظ من شعر التراث والشعر المعاصر عربيا وغير عربي ، ولا تعلق بذاكرتي « ماثورات وحكم » احفظهـا وأتمثل بها ! .. ربما ، فقط ، وكلمـا عصفت هواجس الحيرة ، واللوعة ، وشرود القلب ، ووحشة المكان ، تذكرت بيتين رائعين من شعر ذي الرمة ، يعبر عن هذه المشاعر دون ان يصرح بها .. !

عشية ما لي حيـلة غيـر انني
بلقط الحصا ، والخط في الترب ـ مولع
اخط ، وامحـو الخط ، ثم اعيـده
بكفي ، والغربان في الدار وقـع !

● م . م . عزت ـ العجوزة :
ـ ... يا سيدي ، ما دامت « المدام » غير كارهة ولا مسترجلة ولا معقدة ، فان العناد والثرثرة معضلة خاصة تواجه عادة بالتسامي ، وحب الفلسفة ، والحلول الذاتية ! ..

وصدقني ... انا لا اعرف بم انصحك في ازمتك ، الا ان تعتمد على نفسك ... او تعتمد على دورثي ريكس ! .. (خبيرة امريكية عجوز في العلاقات الانسانية) ـ تقول :

لا بد ان يعرف كل رجل ان في وسعه ان يقبل عيني زوجته فيغمضهما حتى تكاد تكون قطة مغمضة !
ولا بد ان يعرف ايضا انه يستطيع ان يطبع على شفتيها قبلة تفقدها القدرة على النطق ! ..



يا صميم الحياة انى وحيد
مدلج تائه فاين شروقك ؟
يا صميم الحياة انى فؤاد
ضائع ظامىء فاين رحيقك ؟
يا صميم الحياة اين اغانيك
فتحت النجوم يصغى مشوقك

***

كنت فى فجرى الموشح بالاحلام
عطرا ، يرف فوق ورودك
حالما ينهل الضياء ويصغى
لك ، فى نشوة يوحى نشيدك

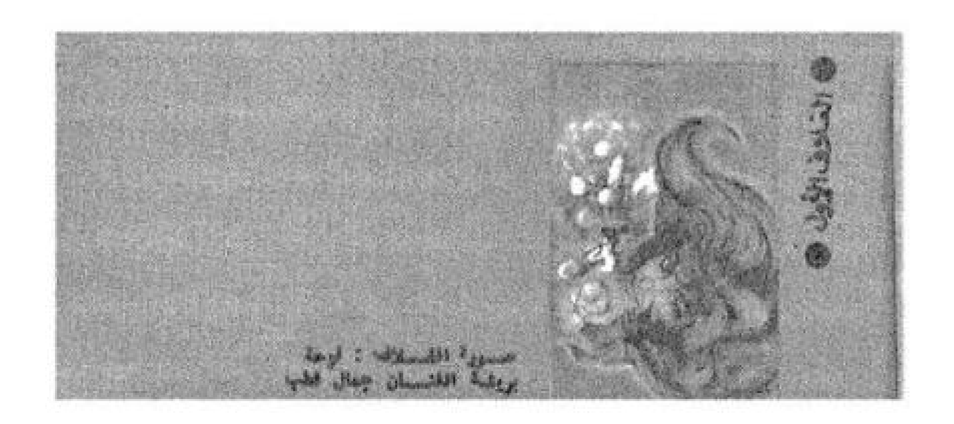
***

ثم جاء الدجى . وامسيت اوراقا
بدادا من ذابلات الورود
وضبابا من الشذا .. يتلاشى
بين هول الدجى وصمت الوجود

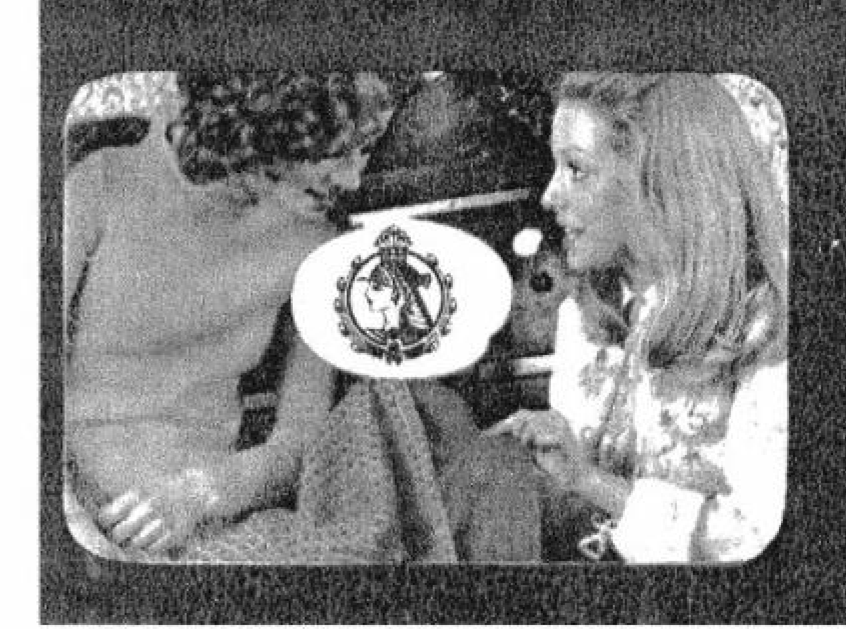
***

كنت فى فجرك المغلف بالسحر
فضاء من النشيد الهادى
وضياء يعانق العالم الرحب
ويسرى فى كل خاف وباد
وانقضى الفجر فانحدرت من الافق
ترابا الى صميم الوادى

● ابو القاسم الشابى ●



صورة الغلاف : لوحة
بريشة الفنان جمال قطب



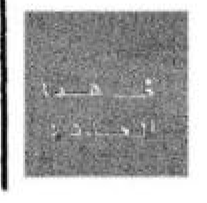

الهلال
جزء خاص
المصريون القدماء
لال والزهور

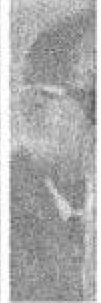
الهلال

ربيع الثانى ١٣٩٦هـ
أبريل ١٩٧٦م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ العدد الرابع ـ السنة الرابعة والثمانون
اول ابريل ١٩٧٦
لم ربيع الثانى ١٣٩٦

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٥٠ سددا فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »





د نوفل



د. احمد الشرباصى



عبد الغنى حسن

بسم الله الرحمن الرحيم



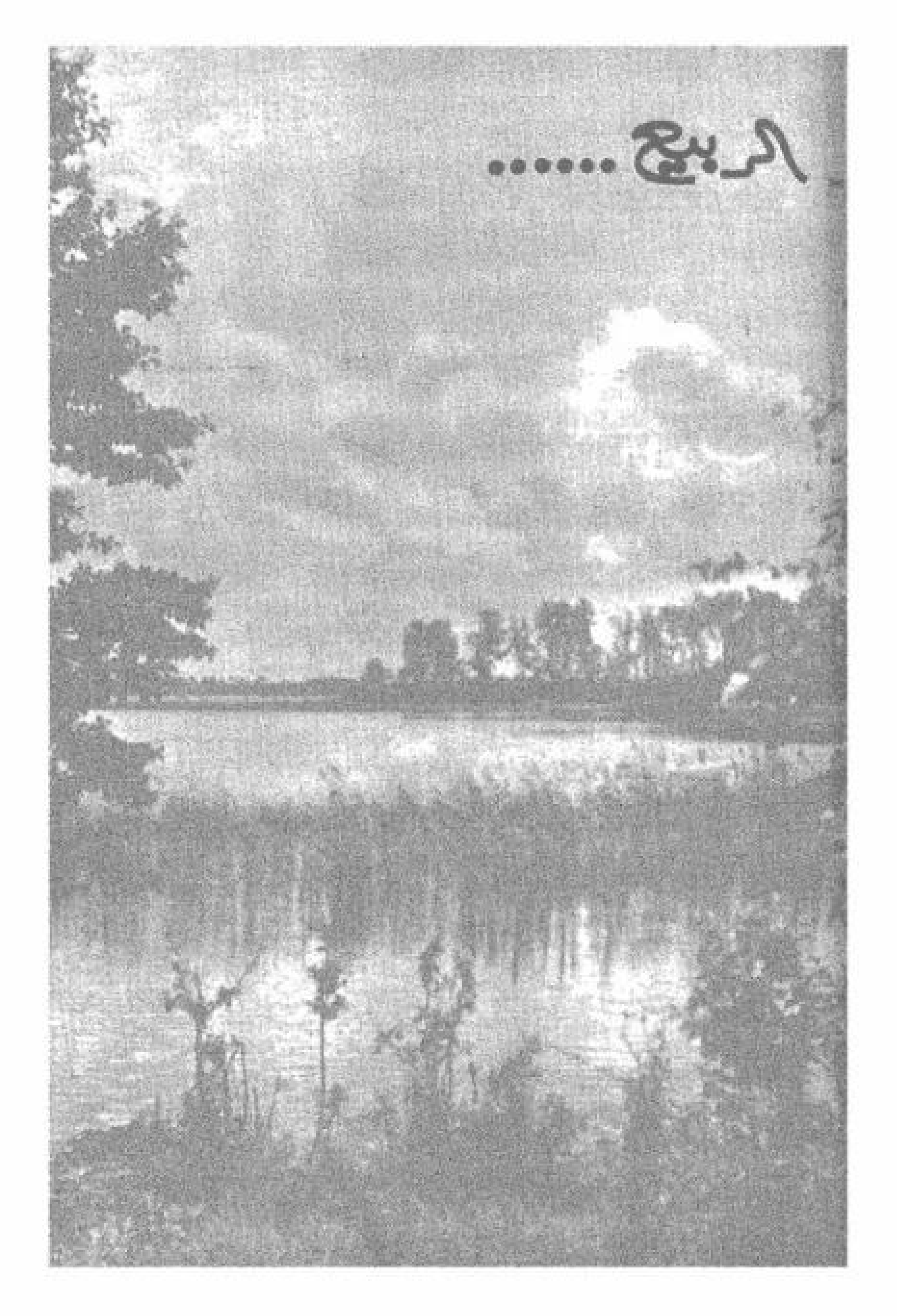
كلمة الهلال

للروائي الانجليزي هـ . ج . ويلز رواية مؤمنة ، عنوانها : The mam who could make miracles « الرجل الذى استطاع ان يصنع المعجزات »

قصة هذا الرجل انه تمنى على الله سبحانه وتعالى ان يمنحه شيئا من قدرته ، فاستجاب الله دعاءه ، وراح الرجل يامر فيطاع ، وبهذا القدر من القدرة امر الزهر فى آنيته فتحول الى سمك ، ثم امره مرة أخرى فتحول الى نار ... ودعا على رجل شرطة ان يذهب الى الجحيم ، فذهب ... وترملت زوجته وتيتم اولاده ... ووو ... وهكذا جعل يستغل هذه القدرة ليعيث فى الارض فسادا ، حتى انتهى الى ان امر الارض بان تكف عن الدوران وهنا فقدت الارض جاذبيتها التى تحفظ بها توازنها مع المجموعة الشمسية ، وطارت فى الفضاء لا ميزان ، وتخبطت الاجرام السماوية فى بعضها ضا ، وانهارت العمائر وتساقطت الجبال وخرب العالم ، ووجد الرجل نفسه يطير فى الفضاء بلا مدى ، فرفع يديه الى السماء قائلا :

ـ يارب ، اسحب منى ما منحتنى من قدرتك ، فان الانسان لو اصبح الها لحطم كل شىء .. حتى نفسه !

● صالح جودت ●


اے ربیع......



شعر الطبيعة في جوهره ، على ما ساده في تطوره من فلسفة وتعمق ، من اكثر فنون الشعر ملاءمة للحياة البسيطة وللبيئات غير المعقدة • ولهذا وجدت أصوله الأولى بين الرعاة والفلاحين المصريين واليونان قديما ، وبين الجماعات المتبربرة وسكان أوربا القديمة والوسطى ...

والمأثور من الأدب المصرى القديم ، وهو من أقدم الآداب العـــالمية ، يبين ان أصول شعر الطبيعة موجودة في اقدم فنون الشعر المصرى ، فقد حفل ذلك الأدب في عصره الأول ببذور شعر الطبيعة ... كان الرعاة المصريون يسوقون الأغنام عقب الفيضان ، فوق التربة اللينة لتحرثها بحوافرها الحادة ، وينشدون في ذلك الأناشيد المطردة ، وكان صيادو السمك يغنون ، وهم يشدون الشباك من الماء ، بما يشبهه حداء الابل عند العرب الجاهليين من بعد ...

ومتون الاهرام حوت نصوصا في الأدب الدينى الذى يرشـــد الأرواح الى السماء • وهى على قصور دلالتها في موضوعنا ، تبين مدى تأثرهم بالطبيعة ،

فالأخيلة منتزعة من البيئة المصرية بأرضها ونيلها وزرعها وحيوانها ، والحب شديد لكل ما فيها حتى للأفاعي !٠٠

ولا جرم أن المقطوعات الدينية تأتيمتأخرة عن المقطوعات الريفية التيغنيها الفلاح القديم في أحضان الطبيعة قبل أن يعرف الله ٠ لكن الأولى تدل على الثانية وتشير الى نوعها ٠ كما أن الطبيعة في الأدب المصرى القديم كان لها متنفس آخر في سائر الفنون الجميلة ، فحروف الكتابة طير وحيوان ، والآنية وأدوات الموسيقى على هيئة الطير والحيوان ، والحلى صيغت على مثال الزهر والطير ، وللنيل رموز وتماثيل من الطبيعة ، وللحقول لوحات ورسوم من وحيها ٠٠

وهذا ، وان كان يخدم شعر الطبيعة من ناحية التجويد ، فانه لا يخدمه من ناحية الذيوع ٠ وأما اليونان ، في حياتهم البدوية القديمة ، فكانوا كالعرب ليس لهم متنفس فني سوى الشعر ٠

سلطان الطبيعة

أما سلطان الطبيعة على العربي القديم فعظيم ٠ والتاريخ شاهد بأن العرب كانوا يؤثرون الصحراء على المدن دائما ٠ فالذين نزحوا منهم الى العراق والشام ومصر ، منذ القرن الثاني الميلادي أو قبله ، قد أقاموا بالبادية على حدود الحضر مع يسر الاقامة به ٠ كما سكن العرب صحارى برقة وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب ، يقيمون بها فصل الأمطار والمراعي ، فاذا حل الجدب لجأوا الى الحضر يتزودون منه ، ثم يؤوبون الى صحرائهم ٠٠٠ ولا يزال ذلك دأبهم ، يأخذون من خيرات الحضر ، ويتشبثون بالبادية ٠

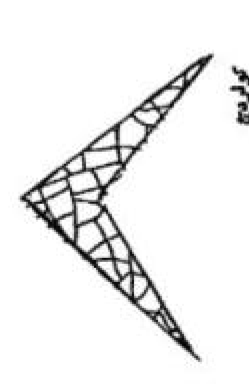
ولغتهم قد اصطبغت بصبغة عامة ، وصدرت في جملتها عن مصادر واحدة تضمها البادية وما فيها من نبات وحيوان وجماد ٠

وآداب العرب وسيرتهم ناطقة بشدة حبهم لبيئتهم وهيامهم بها ٠ فاذا خرج البدوى الى الحضر قال الشعر حسرة على الدهناء ورمالها وسهلها وجبلها ، وأقسم أن رياح الصحراء تثير الغبار أحب اليه من رياح الحضر تهز الأشجار ، وتمنى أن يبيتن ليلة واحدة في الصحراء ٠٠٠ والبادية ـ عنده ـ موطن العزة والكرامة ، ومن تحضر فقد العز ٠ كل ما فيها حبيب الى قلبـــه ، وان بدا غير جميل ، وكل ما في الحضر وضيع وان بدا متطاولا ٠

فتماضر بنت مسعود ، حين يخرج بها زوجها الى المدينة ، تنشد الشعر بكاء على البادية ومعاهدها الحبيبة ٠


لامارتين


كولردج





ويروون ان امرأة ضبية احتملت من البادية الى الحضر ، وقعدت على بركة في روضة بين الرياحين والازهار في الطف وقت وأبهجه ، فقيل لها : كيف حالك هنا ؟ اليس هذا أطيب مما كنت فيه بالبادية ؟ فأطرقت ساعة ثم تنفست وقالت شعرا يعبر عن الحسرة على نجد وطيب ترابه ، وازدراء للحضارة وملاعبها !

وهذا شاعر ان رأى المكاء على شجر الحضر ، بعد أن كان كعهده به يفرخ على الأرطى في البادية ، أشفق عليه ، وناداه أن يرتفع الى البادية وطنه الحبيب فرارا بنفسه من المرض :

الا ايها المكاء مالك ههنـــــا ! الاء ولا أرطى فـاين تبيض ؟!
فاصعد الى ارض المكاكي واجتنب قرى المصر لا تصبح وأنت مريض

وهذا ثان يشبب الصحراء ومواقعها ، ويمني النفس بلقياها :

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة بصحراء ما بين الجثوم الى شعر ؟!

وهذا ثالث يدعو على جبلي غور تهامة بالفناء لأنهما يحولان بينه وبين التاع بالبادية ، ويعلل قيظهما بما يحملان من شوق لنجد ، ورابع يجعل وصيته ، ان غلبه القضاء فمات بالحضر ، قراءة السلام على نجد وغضاها ومعاهدها ، وخامس يجعل كل امنيته أن يبيتن ليلة واحدة بالصـــحراء ، حتى يمتع البصر مكثبانهـا وتلالها . وكثيرا ما لهج الشعراء بذكر نجـــد ، وترنموا برياها وريا عطرها وغدوها بالنفس لجمالها .

لكن العرب ، في تشبثهم بالبادية ، شديدو الاعجاب بجنات الحضر ونعيمه ، يقصون عنه القصص ، ويشيدون برخائه .

وكان نزول الغيث مثيرا لشـجاعتهم . حتى قالوا انهم اذا أخصــبوا هاجت اضغانهم ، وطلبوا الثأر من اعدائهم ، وتمنوا أن يتصل الغيث حتى يغيروا على الملوك فيسلبوها عروشها .

قال شاعرهم :

ان الذئاب قد اخضرت براثنها والناس كلهم بكر اذا شبعوا

وقال ثان :

يا ابن هشام اهلك الناس اللبن فكلهم يسعى بقـــوس وقرن

وقال ثالث :

وفي البقل ، ان لم يدفع الله شره، شياطين ينزو بعضهن الى بعض

وقال رابع مصورا حالهم :

قوم اذا اخضرت نعـــــالهم يتناهقون تناهق الحمـــــر

وقال خامس في مثله :

قوم اذا نبت الربيـــــع لهم نبتت عداوتهم مع البقـــل

ولعل معنى الحرمان هو الذي جعلهم يبالغون في تقدير الخصـــب ، ويرون له رونقا خاصا في هذه البيئة الجرداء

ودارت عندهم قصص طويلة حول الآبار والمياه ، وما ورد حـــول زمزم وحفرها من روايات مثل في هذا .

والحق أن أمر هذه الفتنة يبدو عجبا ، فالجزيرة ليست بالمكان الســهل ولا بالوطن الرغد ، بل ان فيها لقسوة وجدبا من شأنهما أن يصرفا الانسان عنها .

وقد علل المسعودي له بأن جولان الارض في البادية وتخير بقاعها اشبه بذي العزة والانفة ، فهم آثروا هـــذه الارض لانهم يتحكمون فيهـــا وينزلون حيث يشاءون ، حر تصرفهم ، سليمة ابدانهم ، قويمة اخلاقهم ٠

وكتب ابن خلدون في المقدمة ان البدو اقدم من الحضر واسبق ، وان اهل البدو اقرب من أهل الحضر الى الخير اذ الفطرة اليه اقرب ، وان اهل البدو اشجع لفقدان طمانينتهم في الحياة ، وعدم معاناتهم للاحكام التي تفسد الباس ، وان اهل البادية اقرب الى النصر الحربي ، فالامة اذا كانت بدوية وحشية كان ملكها اوسع ٠

وقال بعض المحدثين : انه سحر الصحراء ، وسرها الغامض ، ومعانيها غيـر المتناهية ٠

وعندي ان هذه تفصيلات تدور حول السبب الطبيعي وتشير اليه ، وان كلام المسعودي وابن خلدون اشبه بوصف الحال منه بالتعليل ٠

اما هذا السبب ، فهو ان العربي يحيا حياة فطرية الى حد ما ، لم ياخذ بحظ كبير من المدنية او التعقيد في اساليب الحياة ، والانسان بفطرته شديد التشبث بوطنه ، عظيم الحرص على اللصوق به ، وان اكره على مفارقته طلب اقرب الامكنة منه واشبهها به ٠

وقد قوت بيئة العربي في نفسه معنى التشبث بالوطن الاول ٠

وقد فسر ذلك أحد خطباء العرب لكسرى ، حين سأله عن سكناهم البادية وتعلقهم بها ، فقال : « أيها الملك ! ملكوا الارض ولم تملكهم ، وأمنوا من التحصين بالاسوار ، فمن ملك قطعة من الارض فكانها كلها له ، يردون منها خيـــارها ، ويقصدون الطافها » ٠

هذا تعلق العربي ببيئته ، فما اثره في شعر الطبيعة العربي ؟

مراحل شعر الطبيعة

طلع فجر الشعر العربي ، كما اوردنا في مقالنا السابق ، بظهور شعراء يصدرون في الطبيعة عن انفسهم ، ويصورون مشاعرهم ، ويأخذون بحظ مذكور من معنى الفناء في الطبيعة ، وتظهر عناصر الصدق والبساطة والحب والجمال في شعرهم ويظهر هذا في شعر امرىء القيس ومعاصريه : المهلهل وعلقمة وعبيد ، كما ظهـر في شعر الصعاليك او العدائين ٠٠٠

ثم اعقبتهم جماعة ساروا على سنن سابقيهم ، ولزموا الخطوط التي رسمها اسلافهم للطبيعة ، مع اخذ بنصيب من الطرافة في الفكرة والاسلوب ٠ وهذا شأن شعراء الجاهلية الذين تلوا سابقيهم ٠٠٠

وخلف من بعد هؤلاء خلف عاشوا في عالم غيرهم ، وجمدوا في الاتباع ، تمشيا مع النزعات الاجتماعية والسياسية والوطنية التي تتجه نحو الماضي ، وتتعلق بمعانيه ٠ وتمثل هذا في الشعر الاسلامي الاول ٠٠٠

ولم يلبث ان قام بعض الشعراء يعملون ، مبالغة في الجمود ، لاحيـــاء الماضي الطبيعي ، ويرجعون الى السلف في ايمان وتعصب ، ويضفون على نزعاتهم الوان البهرج ومختلف الزينات ، ويمتثلون الماضي الشعري امتثالا ، ويؤدونه اداء بارعا ٠

لكن تطور الحياة قد اجبر من تلوا هؤلاء على التفكير في انفسهم ، وعلى تصوير الحياة المحيطة بهم في أوضاعها الجديدة ٠ فقامت الشام تحمل علم التجديد في شعر الطبيعة ، ثم شاركتها في حمل اللواء مصر ، وخطت الاندلس نحو الكمال خطوة ٠ اما المشرق فقد اكتفى بترديد الصدى ، والسير في اعقاب السابقين ٠

ولم يكن ذلك كله وليد الصدفة ، وانما كان متفقا مع سنة الحياة التي تساير ما تقضي به النواميس الكونية والاسباب الواقعة ٠ وان استبهمت بعض الامور على

الباحث ، فمنشأ ذلك قصور العلم البشري ، بحاله الراهنة ، عن الاحاطة بجميع الأسباب والعلل في عالم تقادم ماضيه وكثر خافي حاضره •

ومن اروع مظاهر شعر الطبيعة عند العرب في بيئتهم المحدودة أن الشاعر القديم كان يقصد الوصف الطبيعي لذاته لا تبعا لغيره ، وأن الجاهلي كان في وقوفه بالأطلال وتصويره لها لا يعني دار الحبيبة وحدها ، وانما يقصد البيئة بما فيها من سهل ورمل وجبل وحيوان وغيرها ، وانه كان يقصد ، بما يعرضه من نماذج طبيعية مختلفة في القصيدة الواحدة ، الى وصف البادية بأعلامها وموجوداتها المتنوعة ، وأنه قد ظفر من التصوير الفني المطابق للحال بأوفر نصيب ، وان المدح والتقليد قد تأخرا بشعر الطبيعة ، وان شعر الطبيعة في دور النهضة عني بالطبيعة الصامتة اكثر مما عني الشعر القديم، وان الفن الحضري كان وثيق الصلة بتطور شعر الطبيعة •

وقد عرف العرب التصوير الهادىء للطبيعة ، كما عرفوا التصوير المليء بالحركة والنشاط ، وصوروا اشكال الطبيعة كما صوروا أحوالها ، واتخذوا بحثا من معاني الاندماج فيها والفلسفة لها ، واتخاذ العبرة والموعظة منها ، وربطوا بين الطبيعة والخمر والطرب ، كما تغنوا بالحب في ظلالها •

وقد ظهر صدى كثير من نغماتهم في شعر الطبيعة الاوربي ، وبخاصة الربط بين الطبيعة والحب ، ورد بعض الباحثين الغربيين الصدى الى مصدره القريب الاندلسي •

لكن هذا لا يعني ان الفن العربي يشبه الفن الغربي تمام الشبه • فهذا يخالف طبيعة الاشياء ، بل وان البيئات الغربية التي خضعت لمؤثرات متشابهة ، تتصل بالماضي والحاضر والمصادر والمثل العليا ، يتميز كل منها عن الآخر تميزا •

بين شعر الطبيعة العربي والاوربي

وقد يطول الحديث اذا تقصينا الآن الفرق بين شعر الطبيعة في العربية وبينة في اللغات الاوروبية ، لكننا نشير الى الخطوط الكبيرة في ايجاز :

وأولها – ان هذا الفن العربي ، وان كان له عصر نهض فيه واتسعت موضوعاته، ظل وثيق الصلة بالماضي ، يتطور بقدر ، ويأخذ منه كل عصر بحظ • اما شعر الطبيعة الغربي ، فكان بمعناه الكامل انقلابا في العمل الادبي من ناحية الفكرة والاسلوب وتبدلا في المقاييس والمثل العليا الفنية ، ومسايرة لحركات كبرى في الفلسفة والاجتماع والسياسة •

وثانيها – أن شعر الطبيعة العربي تأثر في دور نهضته بعمل الحضارة الممثل في الحدائق والاحواض والمتنزهات المقامة بالمدن الكبرى • وزاوج بين الطبيعة والفن • اما الشعر الغربي فقد عني بالريف في بساطته الخالصة ، وقصد الى تنسم الحرية فيه ، والنجاء من أسر المدينة ومجتمعها وحياتها الصاخبة ، وكأنما كان





يسخر من أولئك الذين جذبهم بهرج المدينة وثراؤها الصناعي ، فهجروا الريف الجميل وحرموا من روعته وبهائه ...

وثالثها — عناية الشعر العربي بالطبيعة الهادئة ، ممثلة في النهـــر والزهر والنبات والقمر والنجوم والربيع ، فأكثر من عنايته بالطبيعة العنيفـــة ممثلة في البحر الهائج ، والريح الصرصر ، والشتاء القارس ، والركام الجليدي ، والظلام المطبق .

ورابعها — شدة الوضوح في شعر الطبيعة الغربي لتصور الطبيعة وحدة ، يثير المظهر سائر مظاهرها في نفس الشاعر ، ويبعث المعنى سائر المعاني . وقد وجدنا حظا من هذا التصور في الشعر العربي ، لكنه قد استوى على نحو تام عند الغربيين . وكان الشعر العربي في دوره الاول أشد أخذا بهذا المعنى منـــــه في الادوار الأخرى ، اذ كان البدوي يتصور في الاطلال البيئة بمرتفعاتها وسهولهـا ورياحها وأمطارها ونباتها وحيواناتها ، ويعرض صور البادية في تتابع لا يشوبه سوى ما قد يظهر فيه من معنى التجزىء .

وخامسها — ظهور العناية الوصفية أو تصوير الشكل في الشعر العربي . فالشاعر ، وان وصف الحال ، يعنى عناية بالهيئة والأعضاء والأجزاء . وكانت هذه العناية من معاني الجمال ودلائل الفتنة في الشعر الجاهلي ، اذ كان الشاعر يعبر عن شدة تعلقه بفرسه أو ناقته بالامعان في وصف أجزائها وحركاتها . أما الشاعر الغربي فانه يعنى بتصوير الحال وفلسفة الموضوع قبل كل شيء ، ولا تظهر عنده العناية بالشكل .

وسادسها — تمام معنى الفناء في الطبيعة عند الغربيين . أما العرب فقد بدا هذا المعنى قويا عندهم في الجاهلية ، ثم تضاءل بتضاؤل معنى الصـــــدق في العاطفة ، وان ظفر منه بعض الشعراء المتأخرين بحظ مذكور .

وسابعها — اتساع الأفق عند الشعراء الغربيين في نظرتهم الى الطبيعة ، واتخاذها موضوعا فكريا عاليا . فمنظر البحيرة أو النهر أو الجبل يثير في نفس الشاعر معاني الزمان والمكان والماضي والحاضر ووحدة الكون والأبدية والخلود ، فيستخرج منها فلسفة ، وينتهي الى أفكار وتصورات سامية . أما الشعر العربي، وخاصة ما بعد القديم ، فانه يهيم بمحاسن الطبيعة وألوانها الفاتنة ، ويتصورها في العموم مادة من مواد الطرب ، ومجلى للزينة ، ومعرضا للحسن ، ولا يأخذ بنصيب كبير من اعتبارها موضوعا للتأمل ، ومادة للتفكر والتبصر .

أمثال لشعر الطبيعة الاوربي

هذه هي الخطوط الكبيرة التي تميز الشعر الغربي عن الشعر العربي في الطبيعة ، يتبينها القارىء لآثارهما الأدبية . ولست في حاجة الى ايراد الأمثلة العربية ، فحديثها يطول وقد أوردنا في مقالنا السابق قليلا منها . أما الشـــعر الغربي فمن الخير عرض بعض أمثلته .

فوردزوورث حين يقف بنهر واي ، بعد متاع قديم بالحب والطبيعة في جواره ، يتجه اليه في جو نفسي حزين ، وفكر ثائر ، وقلب مضطرب تسرع بضرباته الام الحياة ، ويقابل بين متاعه القديم بالطبيعة أيام الشباب ومباهجه ، ويصور كيف يعيش بذكريات الماضي وبآمال المستقبل ، ويتغنى بحبه للطبيعة ، بجبالها وشلالاتها ورياحها وكل ما فيها .

ثم يحلل معاني فتنته القديمة بالطبيعة تحليلا فلسفيا فيقول :

« كانت الطبيعة تستولي على حسي ، لأني لم أنظر اليها بعين الشباب العابث ، وانما كنت أكثر الاصغاء لموسيقى الخليقة الحزينة السرمدية ، فأحس احساسا ساميا بمعان غامضة لا سبيل الى تحديدها ، تنبعث من ضوء الشمس والبحـــر



المحيط والهواء المنعش والسماء الزرقاء ، وتستقر في وعي الانسان . روح تنساب في جميع مواد الفكر ، وحركة تتخلل الاشياء كلها . ولهذا احتفظ بحبي للاعشاب والغابات والجبال ولكل ما في هذه الارض الخضراء ، وهذا العالم الجبار ، ما تبصره العين او تسمعه الاذن » .

ويختم الحديث بهذه الكلمة الجامعة الدالة على مدى اتصـــاله بالطبيعة وسلطانها عليه :

« واني لسعيد ان اتبين في الطبيعة لغة الشعور ، ومحرك افكاري النقية ، والمربي ، والمرشد ، والحارس لقلبي ، والقوام لعقلي » .

وتثير قمم الجبال ، بما يكللها من السحب والجليد ، في نفس بيرون معاني العظمة وتكاليفها ، وواجب العظماء فيقول :

« من يرتفع الى قمم الجبال يجد ذراها مكللة بالسحب والجليد .

« ومن يعلو الناس ويبسط سلطانه عليهم ، يجب أن يتـــرفع عن بغضاء الادنين .

« ومن يرقى الى شمس المجد ويبعد عن الارض ومحيطها الممدود ، يحوطه الركام الجليدى ، وتصطخب العواصف العاتية حول راسه العارى .

« وهذه عاقبة الاعمال الكبيرة تؤدى باصحابها الى هذه المواطن » .

ويحن الى بحيرة (ليمان) حنينا ، وينس فى مائها الام العالم فيقول :

« أى (ليمان) الصافية المطمئنة ! لقد لجأت الى بحيرتك التي تقابل العـــالم المضطرب . وانها لشيء يدعوني بهدوئه الى نسيان الدنيا الهائجة في ينبـــوعه النقى . ان الشراع الهادىء لجناح ساكن يصبح بي بعيداً عن القلق . ولقد أحببت مرة زمجرة المحيط ، ولكن صوتك الخافت الناعم يحلو وقعه فى أذنى ، كأنمــــا هو صوت أختى تسخر من أن تستخفنى أقوى الملذات ! » .

فالشاعر تفتنه زمجرة المحيط ، كما يستهويه صوت البحيرة الناعم . واذا تحدث عن معان رقيقة ، فانه لا ينسى التحدث عن الظلام يخيم على ما بين البحيرة والجبل ، وتختلط معانى الابهام والوضوح فيه كما يعبر عن موسيقى الكون ، وعن قوة الطبيعة الهائلة ممثلة فى الليل والعاصفة والظلام ، وعن تعلقه بهذه القوة وعن مقاسمته الليل وحشته ، وعن فنائه فى العاصفة .

و « شلى » حين ينظر الى القمر لا يتعلق بصره باللون والهيئة البراقين ، وانما يراه شاحبا منهوك القوى ، يتسلق السماء ، ويطيل التحديق فى الارض ، ويعيش غريبا فى عالم النجوم ، ويمعن فى التغير والتحول كأنما هو عين قلقة لا تجد شيئا يستحق استقرارها .

و « كولردج » لا يعنى بالوان البلبل وصورته حين يتحدث عنه ، وانما يقول نحو قوله :

« انه البلبل الطروب . تتزاحم نغماته العذبة ، وتسرع وتتهور فى شدوه القوى الممتلىء كأنما يخشى أن تقصر ليلة من ليالى ابريل عن ان يغنى أنشودة حبه ، وأن يفرغ كل ما فى فؤاده الزاخر بالموسيقى » .

ولا مارتين يبيا تاملاته الشعرية :(Medit atlonr Poétiquar)بانه كثيرا ما يجلس فوق المرتفع ، في ظل شجرة البلوط العتيقة ، عند غروب الشمس ، يتأمل في عمق ، ويجيل بصره في السهل ، ويرقب الطبيعة ، ويصغي لهـــدير النهر الصاخب ، وينفعل لكل ذلك ٠

وفي هذه التأملات يقف بالبحيرة التي طالما جلس وحبيبته ايلفير Elvire يمتعان النفس بجوارها ، ويتبادلان احاديث الهوى ٠ فقد كانا على موعد بالالتقاء عندها ، لكنها لم تأت ، ثم توفيت بعد ثلاثة اشهر دون ان يتلاقيا ٠ ويبدأ الوقفة متسائلا :

« انظل دائما في رحلة لا اياب بعدها ، مندفعين نحو شواطيء جديدة في ليل سرمدي ؟! الا تقف سفينتنا ، وأن يوما واحدا ، أثنـــاء رحلتها فوق اوقيانوس الزمن ؟! »

ثم يتحدث عن صخب البحيرة ، ومجلسه مع الحبيبة على احدى صخورها وطلبه الى الزمن أن يتوقف عن السير ، والى ان يتمهل حين شرع الفجر في هتك ستاره ، والى الحبيب أن ينتهز المتاع فالعيش خلس ٠ ويأسي على ما فات ، وينادي الزمن الحقود ، ويتمنى أن تعود الساعات الجميلة الماضية ، فليس يستحيل على من أبدعها أن يعيدها ٠ لكنه لا يلبث أن يرجع الى الحقيقة ، فيذكر الازلية ، والماضي وهوته السحيقة التي تبتلع الأيام فوها ، وينادي الصخور الصماء ، والكهوف ، والغابة المظلمة التي ابقى عليها الزمن ، وينتهي بأن يطلب الى البحيرة ذات الطبيعة المشرقة أن تحتفظ لحبه بالذكر ، ويتوسل لهذا الرجاء بقوله :

« ففي دعتك ، وصخبك ، وضفافك الباسمة ، واشجارك ، وصخورك الموحشة المتدلية الى حافة الماء ــ جمال وروعة ٠ وفي النسمات العابرة ، وخرير الماء حول ضفافك ، وتألق النجم المنعكس ضوؤه على صفحة لجينك ــ صفاء هادىء ٠ ولينطق الريح والغصن المتنهد ، ولتنبعث من عبير جـــرك المعطار زفرة تقول : هام العاشقان ! » ٠

تقييم وانصاف

فنحن في هذه الأوصاف الطبيعية بطالع فلسفة عميقة وروحا عالية ، وافكارا سامية ، وشعورا صادقا ، وفناء في الطبيعة وتصويرا تاما لهــا ٠ ولا نحس بالأوصاف الشكلية واللونية التي تعنى بظاهرها ، وقد تغشى مكنون جمالها ، وروائع اسرارها ٠

ولكن ، هل يعني هذا أن الشعر العربي ، لعصـــوره الكبرى ، قد وقف دون اللحاق بغيره ، أو تأخر حين تقدم سواه ؟

كلا ! لقد بينا أن شعر الطبيعة عند العرب قد اخذ من الالوان الطبيعيـــة المختلفة بحظ ٠ واذا كان حظ غيره أوفر من حظه في بعض المعاني الطبيعية السامية فاننا يجب ان نتذكر البيئة العربية بمقوماتها المختلفة ، والفرق بين القرن الرابع الميلادي، وما تلاه الى القرن الثالث عشر عند العرب، وبين نهاية القرن الثامن عشر وما تلاه عند الاوروبيين ، وأن نتذكر التراث اليوناني واللاتيني الذي ورثه الغربيون في الشعر ، والحركات الفلسفية والاجتماعية والسياسية التي مهـــدت للحركة « الرومانسية » ، والادب القصصي وما يؤدي اليه من سعة الخيـــال الشعري ، والتنسيق في الاداء ، والتأليف بين الجزئيات ــ مما حرم منه شعراء العربية ٠ واذا ذكرنا كل هذا فانه يحق لنا ان نقدر اعظم التقدير حظ العرب من شعر الطبيعة، وان نفخر بما تهيأ لهم من المعاني التي تقدم بها الغربيون من بعدهم بقرون طويلة، نتيجة لحركات فلسفية ونقدية وأدبية واجتماعية عظمى ، ومسايرة لسنة الحياة في تطورها وتقدمها نحو الكمال ٠

ربيع الفلاسفة

لا ينسى قارىء « بلزاك » عبارة من عباراته التي قالها وهو يصف احدى شخصياته النسائية في روايته عن « بشرة الأشجان » . تلك العبارة هي : « قد يكون لنا الخيار في التخلي عن المرأة التي تبيع نفسها ، ولكن ليس لنا نفس الخيار ازاء فتاة تهب نفسها عن عطاء لانها تجهل مدى تضحيتها » .

ويبدو لى أنه لا شيء يصور عطاء الربيع مثل هذا التعبير . فهو عطاء سخى غير مقرون بأقل دعوة عابرة للشكر وان كان مليئا بألف دعوة للامتلاء والرى والشبع والمتعة . واذا كان كل باد يريد أن يتوارى ـ كما يقول العقاد في شعره ـ في الشتاء المقلق المسدود ، فكل خاف يريد أن يتجلى في الربيع المزخرف المشهود .

كل شيء في الربيع يريد أن يتقدم ويرتفع ويود لو يراه الناس وتشهده عيونهم وتتمتع به أنوفهم وآذانهم . وكل العطاء في الربيع هو عطاء بلا مقابل الا مقابل واحد وهو أن يكون الانسان على مستوى التقدير والتذوق وأن يكون قادرا مالكا لحواسه مسيطرا على مقدرته في الاغتراف والعب واشباع القلب والوجدان من هذا العالم الصريح ، عالم الربيع ، الخالي من كل دلالات الخجل أو التوارى كما قال العقاد في قصيدته تلك التي وازن فيها بين الشتاء والربيع .

فلا يمكن أن يعرف الربيع في فصل الربيع الا من بلغ الذروة من معرفة نفسه ومن معرفة الحياة من حوله . يندر أن يدرك الانسان معنى الربيع المزهر ولم تزهر نفسه ولم يورق قلبه ولم تثمر قواه ويعرف الخلق والابداع ولو مرة واحدة في عمره الطويل .

نقول هذا من قبيل الاستعارة والتشبيه وتلك هى نفسها حقيقة العلم . وفي



بلزاك

د. عبد الفتاح الديدى

الحقيقة التي ادركها الفلاسفة منذ اقدم العصور لربطهم بين عطاء الربيع والابداع الفلسفي . فان النفس الانسانية محتاجة الى حقيقة الواقع الذى تمارسه فى التجربة لتمر به فى صورة من الصور حتى تبلغه من بعد ذلك كفكرة وتحققه كرؤية . فما لم تزهر النفس غاب عنها معنى البرعم الصغير الذى يتفتح عادة وسط غمامة من الصقيع البارد ولا ينقذه من الفناء الا دفء الربيع وسخاؤه ورياحه .

وما يدركه الانسان عادة من معارف الحياة ، وما يحيط به فى اطار قلبه ووعيه لا يزيد على كونه لمحة أو قبسا من رؤية وسط غياهب الوجود ، ولايقل عن كونه ذبالة نور مرتعش وسط ظلام القفر والاملاق والعوز . وهذه الحالة نفسها هى التى يمر بهـا الانسان فى أبسط صور معرفته وفى مراحل مداركه الدانية فضلا عنها فى أضيق نطاق من معالم البحث عن المكونات العامة لوقائع الحياة من حوله . أعنى أن الانسان يتعرف على هذه الحالة وهو فى أبسط مراحل البحث المعرفى بل وفى أضيق معالم البحث العلمى . أى أنه يتعرف عليها فى مراحل الطفولة كما يتعرف عليها فى مراحل البدائية وفى مراحل السذاجة كما يتعرف عليها فى مستوى التعقيد والمعرفة العلمية

فاذا حكمنا الان بأنه لا يعرف ربيع الفصول من لم يعرف ربيع عمره أو من لم يبلغ هذا الربيع فى سنى حياته لم نكن قد تخطينا الحقيقة أو تجاوزناها كثيرا .

ولا بد أن يتمثل المرء ربيع حياته قبل أن يعرف قيمة هذا الفصل العابر مرة فى كل سنة من سنوات عمره . وكان لا بد أن يتكرر الربيع مرات ومرات كيما يعرف معنى ربيع العمر . كذلك لا بد أن يعرف فصل الربيع من كان يريد أن يشرف بعد ذلك على ربيع العمر .

***

ولكن كيف يدرك الانسان الربيع ؟ هذه هى المشكلة كما يقول الفلاسفة . فالانسان له عقل ووجدان وشعور . ولكى يبلغ الانسان مستوى تجربة الربيع الحى المنطلق من حوله يتعين عليه أولا الاحساس بمعنى الربيع على نحو وجدانى ذاتى كما يلزمه ثانيا أن يستشعر صورة الربيع فى داخل كيانه ووعيه .

واذا لم يستطع الشخص أن يدرك هذه التجربة من أعماقه أحس كما أحس شوبنهور أن هذا الجمال وهذه الفتنة التى تلبس الطبيعة زيها فى الربيع هى نوع من الخداع والغش من أجل ابداء الحياة حلة زائفة تدفع الغرائز الى الظهور والانتعاش . فكأن اللذة الحسية هى التى تغرى بالاحساس بالجمال فى الطبيعة المحيطة بالانسان . والواقع غير ذلك تماما كما يقول « جوته » فى كتابه عن الحقيقة والخيال عندما يقرر أن أول نزعة للحب عند الشباب السوى تنشأ نشأة روحية خالصة وليس للعنصر الجسمانى دخل الا من حيث هو عامل مساعد وحسب .

وسنعود مرة أخرى الى التفاؤل والتشاؤم وعلاقته بالاحساس بالربيع ولكننا نقرر هنا أن خطأ الاحساس بمعنى جمال الطبيعة فى الربيع لدى المتشائمين ناجم عما سبق أن سجلناه وهو احتياج المرء الى الفهم الذاتى لتجربة الربيع فى نفسه أولا قبل أن

يلقى صداها فيما حوله • وهو ما لا يحدث للمرء الا بالتجربة والمعاناة لدلالة الربيع فى ذاته •

ويقول « هيدجر » الفيلسوف الالمانى الوجودى شيئا من ذلك عندما يؤكد فى كتابه « ما هو الفكر » ان النجار نفسه لا يستطيع أن يقوم بعمله وصناعته ما لم يعرف أشكال الخشب المختلفة وصوره المتنوعة وطبيعة الكتلة الجامدة التى يمثلها الخشب فى واقعه الملموس• من السذاجة أن نقول ان النجار محتاج أولا وقبل كل شيء الى معرفة وسائل استخدام أدواته أو محتاج الى أن يكتسب مهاراته فى تداول الآلات والادوات التى يستخدمها • انما الشيء المهم من ناحية الفكر هو أن يستشعر الخشب فى واقع كتلته وأن يألف طبيعة الخشب كصنف وأن يتحسس حقيقة الخشب الذى يتعامل معه ويطبق كل رغباته واستعمالاته على أجزاء منه وعلى بعض أشكاله •

أو بعبارة أخرى ليس المهم فقط أن يتعلم النجار وسائل قطع الخشب ووصله ، وليس المهم فقط أن يدرك كل طرق استخدام الادوات التى يمارسها على صناعة الخشب بقدر ما يكون من المهم بل ومن الاساسى جدا فى حياته أن يألف الخشب كمادة خارجية يوائم بينها وبين قدراته ويحاول أن يملأ نفسه من الخشب اذا صح هذا التعبير •

وينطبق هذا على صناعة الاخشاب والنجارة ـ هكذا يقول هيدجر ـ كما ينطبق على صناعة الشعر ذاتها •

ولا ينبغى ان يتجلب الفكر نحو التشاؤم أو نحو التفسير بالأسوأ كما تقول عادة ، لا ينبغى ترجيح اسوأ الاسباب او احطها فى تفسير الظاهرة • او بعبارة اخرى ينبغى ان ينأى الفكر بنفسه عن الوقوع فى أسفل دواعى حدوث الظاهرة تلقائيا عند تفسير الظواهر •

وليس من الضرورى أن يجد الفكر نفسه منقادا او مشدودا الى ادنى العلل والاسباب الخاصة بالظواهر التى نخضعها للدرس والبحث • تقول ينبغى وينبغى ••• ولكن الفكر لا يطيع الا ما هو اهل له بالتجربة والممارسة والمعاناة • ولذلك يلزم الفكر الشيء الكثير لكى يكتسب هذه النظرة ويحتاج الى تجارب طويلة لكى تصبح هذه النظرة عنده بمثابة العادة الفكرية ويحتاج الى اكثر من عشرين او ثلاثين ربيعا يمرون بحياته وينتشرون فى خياله ووجدانه من أجل انتشاله من هوة التفسير بالأسوأ ، والتبرير بما هو اكثر انحطاطا من كل الاسباب •

والشباب عادة متشائم لانه لم يمر الا بعدد محدود من الربيع وليس عجيبا ان العرب كانوا يحسبون العمر بعدد فصول الربيع التى عاشها الشخص • ولا يعرف التفاؤل الا من اكتسب خبرة ربيع العمر عن طريق تكرار حياة الربيع فى وجدانه ومرور ربيع الفصول على خياله مرات ومرات • او بعبارة اخرى يصعب ان يحمى الفكر نفسه من الوقوع فى أخطاء التشاؤم بغير ان يمر عليه ربيع حقيقى هو ربيع العمر • وهو الربيع الذى لا يتحقق الا اذا تحقق الربيع عشرات المرات حول الانسان فى مظاهر حياته ويكون نبراسا لكيانه ووجوده بالتجربة اثناء معاشه •

فالربيع ليس مجرد مظهر جمالى يسبغ على حياة الانسان بهاء وروعة ورونقا • ليست المسألة مجرد مسألة أزاهير تزهر وبراعم تتفتح وحياة تتجدد وزى جديد تتحلى به الطبيعة ويطرب لها الانسان • ليس الربيع مجرد ظاهرة او عدد من الظواهر التى

ربيـــع الفلاسفـــة



تتعاون على تغيير ملامح الحياة حول الانسان بل هو كذلك طريقة من طرق التفكير تفرض نفسها على عقل الفرد والجماعة وتنأى بالفرد عن التفكير فى المستحيل وفى الدور اللامتناهى وتبعد اسوأ الاحتمالات عن خواطر الجماعة ، وتجعل الذهن متقاربا مع الواقع ومعصوما من الوقوع فى عادة التفسير بالأسوأ عند تبرير ما يجول بخاطره وما يجرى حوله وما يعن له فى بيانه وفكره ٠

ولمثل هذه الاسباب كان «برجسون» يشير الى ان الطبيعة شيء ووظيفة الذهن فى احتضان هذه الطبيعة وفى احتوائها شيء آخر ٠ ولكن وظيفة الذهن ذاتها لا تخلقها الا طبيعة عرفت معنى التفاؤل ومارسته فى صور مختلفة من صور الازهار والحياة والتفتح ٠

ولمثل هذه الاسباب ايضا ذهب « هوسرل » الفيلسوف الظاهرى الالمانى سنة ١٩١٢ الى حد القول بوجود علاقة متبادلة بين الطبيعة والجسم والروح فيما يمكن ان نسميه بالتلقائية ٠ وينبغى التساؤل بطريقة افضل من خلال التجربة او دفعها ــ اعنى دفع التجربة ــ الى التعبير بطريقة افصح واصلح عن طريق مطاوعة كل ثناياها القصدية -او بعبارة اصدق ما دامت التلقائية توفر لنا نسيجا من التجربة فى صورة علاقة متبادلة بين الجسم والروح والطبيعة فلا بد من النظر اليها على ضوء ما تعلمه لنا الحياة نفسها فى الصور والمشاهد التى تقدمها لنا ، ولا بد أن نجد فى منهجية الحياة من حولنا ــ ولنطلق عليها هنا اسم منهجية الربيع اذا شئنا ــ طريقة من اجل تأليف شيء متكامل فى فكرنا من جملة الاحداث المتناثرة المفككة فى مظاهر الوجود وفى الفصول والمواسم على وجه التحديد ٠

يمكن اذن أن نطلق اسم منهجية الربيع على كل فكر يحاول أن يخلق من التداعيات المتناثرة نسيجا كليا متكاملا من الفكر المتلاحم وأن يوجد من عادات الفكر افضل العادات بعدم مطاوعة النفس فى التفسير بالأسوأ عند التعرض للظواهر العامة ٠

وقد يجد البعض غرابة فلسفية فى أن نقول « منهجية » ونستخدم «المنهجية» ونحن نتكلم عن الربيع ٠ ولكن الواقع أنه لا يجرى على ألسنتنا كلام عن التفاؤل والتشاؤم الا اذا كنا بصدد البحث فى التاريخ ٠ التفاؤل والتشاؤم هو جوهر علاقة الانسان بالتاريخ أو هو كما يقول « هيدجر » ــ على وجه التحديد علاقة خاصة بين الانسان وما نسميه بالتاريخ أو بين الانسان وما نطلق عليه اسم التاريخ (انظر ص ٣٨ من كتاب ما هو الفكر لهيدجر ــ الطبعة الفرنسية) ٠

واذا كان التفاؤل والتشاؤم علاقة خاصة بين الانسان والتاريخ فالربيع هو منهجية التاريخ لانه العلاقة التى يقوم عليها تصور الانسان لسير الاحداث وتطور الوقائع ٠ أى أن الربيع وتكرار فصوله سنة بعد سنة فى حياة الانسان من شأنه أن يخلق فى نفس هذا الانسان تداعيات متتالية بانتظام تؤدى به الى الاحساس بالمستقبل على نحو معين وبصورة بعيدة عن مرض الهواجس الذى يفرض دائما أسوأ التقديرات فى أدق المواقف وفى أصعب منحنيات الزمن ٠

ولهذا فاذا كان عمر الانسان يقاس بعدد فصول الربيع التى يقضيها على سطح الارض فان منهجية عقله التى يمارس بها كل ضروب معاشه قائمة على الربيع الذى ينحاز اليه فى تخيله لسير الاحداث وتوقعات المستقبل ٠
حياك الله ياربيع من منهج ٠



لم يقف شعراؤنا القدامى امام تألق الكون بالربيع صامتين ، او غير ابهين ... فقد هشوا لمقدمه ، واستقبلوا موكبه الحافل الرائع بالشعر الذى يلائم تألقه وازدهاره ، وعبروا عن أحاسيسهم امام مقدمه ، ووصفوا الدنيا حين يطرزها هذا الفصل المزدهر بأثوابه ووشيه الانيق ، وانتبهوا الى اللذات التى يثيرها الربيع ويوقظها فى كل نفس .

ولاننسى الصور المشرقة التى صوربها الشعراء القدامى موكب الربيع ، من أمثال ما قاله « ابو تمام » « وابن الرومى » « وابن وكيع التنيسى » الشاعر المصرى الذى عاش على ضفاف بحيرة المنزلة ، او فى ضواحى القاهرة يعب من سحر الطبيعة الفاتن . « وابى بكر الصنوبرى » شاعر سيف الدولة الحمدانى الذى وقف شعره على الازهار والرياض ، و « ظافر الحداد » الشاعر الاسكندرى الذى عاش فى اخريات العصر الفاطمى متنقلا بين القاهرة والاسكندرية ، فلم يفته موسم من مواسم الربيع ، حيث يستقبله بمثل قوله :

جاء الربيع اخو حياة الانفس ـــ ومجمل الدنيا بافخر ملبس
فاغنم بنا ملح الزمان مبادرا ـــ وتنل منها حظا من لم يبخس
واستقبل الارج المعطر كلما ـــ مرت عليه الريح كالمتنفس

وقد يقال ان العيون تستجلى محاسن الربيع ، كما تتعطر الانوف بشميمه الارج ... ولكن الشعراء الذين حرموا نعمة البصر قد احسوا الربيع كما يحسه المبصرون ، واستقبلوه بما تستقبل به متع الحياة ، كما فعل « ابو العلاء المعرى » وهو يهنىء صديقا له تأهل فى استهلال الربيع ، وكما فعل الشاعر « بشار بن برد » الذى استعاض عن حاسة البصر التى فقدها بحاسة السمع التى اعانته على سماع الحان الطيور فى الربيع حين قال :





احمد شوقي



صالح جودت

الأخطل الصغير

انسم ريح الخزامى من متالعها   فتملأ القلب أشواقاً وأشجانا
جاء الربيع ـ ولم أعلم بمقدمه ـ   حتى سمعت لسرب الطير ألحانا

ولقد أوجد الربيع لشعراء العرب في كل زمان جوا يليق بمقدمه، وهيأ لهم أن ينظموا فيه أكثر ما نظم السابقون وأن يلتفتوا اليه في كل نسمة، وفي كل خفقة، فأطالوا الوصف فيه، والاستقبال له، والتمني بحلوله. ووصفوا الأرض وهي تتأرج وتتبرج، كأنها الأنثى تتهيأ للقاء الذكر ... وغنوا للربيع حين يقبل، وبكوا عليه حين يدبر، وودعوا معه ـ حين يودع ـ النضرة والخضرة، والنسمة والبسمة، والحلاوة والطلاوة ...

ولم يفت شاعراً مثل «أحمد شوقي» أن يصور لنا (الربيع) في وادي النيل وهو يستقبل الكاتب الروائي الشهير (هول كين) الذي كانت زيارته لمصر مصاحبة لمقدم الربيع، فانتهز شاعرنا الفرصة واستقبل الربيع بقصيدة طويلة يقول في مطلعها:

آذار أقبل ... قم بنا يا صاح   حي الربيع حديقة الأرواح
واجمع ندامى الظرف تحت لوائه   وانشر بساحته بساط الراح
صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها   فالصفو ليس على المدى بمتاح

والحق أن شوقي في قصيدته تلك قد ألم بمظاهر الربيع في مصر إلمامة طويلة مستأنية حتى خرجت لوحة كاملة لم ينقص منها مشهد من مشاهد الربيع أو مجلى من مجاليه ... فهو يصور بريشته المبدعة الخمائل التي لبست لمقدم الربيع وشيها، ومرحت في كنفه وجناحه، كما يصور أزهار المنثور، والورد وهو في سرر الأغصان مفتح، متقابل يثني على الفتاح، وهو مميز بين الزهور جميعاً بشوكته وسلاحه .. ويصور النسرين، والياسمين، والجلنار، والبنفسج، والمرو، والنخل وهو ممشوق القدود، مخضب، متزين بمناطق ووشاح، وقد شبه «شوقي» النخيل في قيام سوقه وتحلي سعفه بالعذارى

كعنات فرعون شـهدن مواكبـا ... تحت المراوح في نهـار ضاح

ولم ينت « شوقى » – ليستكمل لوحة الربيع الشعرية – أن يصور حتى السواقى التى تروع الشجى بأنينها ونواحها ...

وجرت سواق كالنوادب بالقـرى ... رعن الشـجى بأنة ونواح
الشـاكيات وما عرفن صبابة ... الباكيـات بمدمع سـحاح
من كل باديـة الضلوع عليلة ... – والماء فى أحشائها – ملواح
تبكى اذا ونيت ، وتضحك ان مضت ... كالعيس بين تنشـط وبزاح

وأجمل ما فى لوحة شوقى الربيعية أنه عقد فى ختامها موازنة بين حسن الربيع ، وبين عهد الشباب ... فما كان الشباب مقيما ولا ماكثـا ، ولكنه كان ضيفـا كزهرة من أزهار الربيع أدركها الفناء العاجل ، والقضـاء النازل ...

أنى لأذكـر بالربيع وحسـنه ... عهد الشـباب ، وطرفه المراح
هل كان الا زهـرة كزهوره ... عجل الفناء لها بغير جنـاح ؟

واذا كان الشـاعر أحمد شوقى قد استقبل الربيع فى وادى النيل مصاحبا لمقدم كاتب روائى عالمى ، فان هناك شعراء آخرين قد اسـتقبلوا الربيع لذاتـه هو ، ولمقدمه بنفسـه ، لا فى صحبة زائر أو طائف ... فالربيع عندهم هو محل احتفاء واسـتقبال لذاته لا لغيره ، وهو موضع حفاوة من أجله هو لا من أجل اعتبـار آخر ... ومن هؤلاء الشـعراء الشاعر المهجرى (شكر الله الجـر) الذى توفى فى العام الماضى وضمـته أرض لبنان بعد أن ظل غريبا فى المهجـر الجنوبى الامريكى عقودا من السنين . وقد جعل شاعرنا الربيع زائرا أشقر، وأسماه « عريس الزمـان » وجعل عيده عيد الحياة ، ونحن صنـوج فى الهيكل الأكبر ... وشبهه فى الطبيعة بالطاووس الذى يختـال فى جوها الأنور، وجعله مبهرج أصباغ الطبيعة وريشة رسامها العبقرى ...

أتانا الربيع فضـج الوجـود ... وهلل للزائـر الأشـقر
فأهلا عريس الزمـان المطل ... على الكـون فى موكب مزهـر
أرى الأرض ترقص من زهـوها ... كما يرقص الحـور للأنهـر
كما يرقص الغصـن للعندليب ... أو الموج للشـاطىء الأسمر
فعيدك عيـد الحيـاة فنحن ... صـنوجك فى الهيكل الأكبر
طيور تطير ، وزهـر يمور ... وغيـد تغنى على مزهـر
ونحل يفتـش بين الحقـول ... يفتش عن وردهـا الأعطـر
وبنيـا تجن جنون الشـوق ... لأنفـاسه الريـق الخير
فانك طـاووس هـذى الطبيعة ... تختـال فى جوهـا الأنور



وانك مرآة العصــــــارها … وحمرة خد الشمس المشفق
فانت مبهـــــــرج اصباغهـــا … وريشـة رسامها العبقري
تبرقش وجه الربى والوهـــاد … بمنقاشــــــه الازرق الاخضر
تطرز للســـــهل ازهى البرود … على ثوبك الابيض الاحمر ...

ولقد عقد الشاعر شكر الله الجر فى « ربيعيته » موازنة بين وجه الربيع المشرق وليل الشـــتاء الكئيب ، وبين بسمة الربيع ، وعبوس الشـــتاء ، وبين نغم الوجود فى الربيع ، وبرد الشتاء ، وبين نضرة الحيــــاة فى الربيع ، ووجهها المقفر فى الشتاء .

فاين ليــالي الشـــتاء الكئيبة … من وجهـــــــك المشرق النير ؟
فيا فرح القلب بعد انكمــاش … الجسوم على موقـد مجمر
ويا فرح العين يجلو ابتســـامك … عنا غيـوم الفضـــا المطر
تكـــاد تصافق من زهوتــــا … باجنحة الطائــــر المبكـــر
تهش لشمسك نغم الوجــود … وترقص فى ليلك المقمـــــر
اعدت الحيـــاة الى الكائنـــات … ونضرت من وجهها المقفـــر
فلم لا تعيـد الينـــا اخضرار … الفتـــوة يا اخضر المنظر ؟!

والواقع ان اعتناء الربيع (بتوشيته) وتطريزها كان مثـار التفات الشعراء فى القديم والحديث ، فهى عنـــاية تستحق ان يلتفت اليها فى كل عصر .. وممن اشار اليها واشاد بها الشاعر العراقى « معروف الرصـــافى » الذى يقول من قصيدة له عنوانها : (وقفة فى الروض) :

ماذا اقول بروضة عن وصفها … يعيا البيان ، ويعجز التعبير ؟
على الربيع بوشـــيها فتنوعت … للعين انـــوار بها وزهـــور
مثلت بها الاغصان وهى منابـر … وتلت بها الخطباء وهى طيـور
متعطر فيها النســـيم كانما … جيب النسيم على الشذا مزرور

وقد زاد الشـــــاعر التونسى « ابو القاسم الشابى » فى توشية الربيع فلم يجعلها مقصورة على توشية الدنيا بالزهـــر وحسب ، ولكنه جعل هذا الفصل الســـاحر يوشى الوجــــود بالســحر ، والاحلام ، والزهـــر والشذا ، واللحون ...

للربيع الذى يؤجج فى الدنيـــا … حيـــاة الهوى ، وروح الحنين
ويوشى الوجود بالســحر والاحلام والزهـر والشـــذا ، واللحون ..

واذا كانت قصيدة « ابى القاســـم الشابى » التونية ليست كلها خالصـة للربيع او خاصة به ، ولكنها من وحى (تحت الغصون) كما يدل عنوانها ؛ فانها فى الحق لوحة شـــاملة تجمع مباهج الربيع ومجاليه كلها فى اطــار واحد ، فليس من المعقول ان تكون هذه الدنيا الفريدة الفنية حول الشـــاعر من وحى فصل آخر غير الربيع ... فالحيـــــاة التى تغنى حواليه ، على الســـهول والربى والينـــابيع ، والعصافير ، والنســـيم الذى يشمغ احلام شاعرنا بعطر الاقاح والليمون ، لايمكن ان يكون ذلك كله الا فى الربيع وبين ابراده واثوابه القشب ...

●●●

وما دمنا فى معرض اســـتقبال الربيع ، وتحية لقائه فلن يفوتنـــا ان نقف وقفة قصيرة عند الشاعر الناثر « طانيوس عبده » الذى صدر ديوانه عن مطبعة دار الهلال سـنة ١٩٢٥ مع مقدمة للمرحـــوم انطون الجميل ... وقد سوى الشاعر تحيته من خماسيات استهلها بالبيت المشهور :

الربيع في الشعر العربي الحديث

ما مضى فـات والمؤمل غيب ... ولك الســاعة التي انت فيها

وختمها بذلك البيت نفسـه ... وكأنه يدعو بذلك الى انتهاز فرص الحياة المواتية ، وانتهاب اللذة في حينها ، مادام الماضي لا يعود ، والمستقبل سرا لا يماط اللثام عنه ... فلم يبق الا ساعة الصفو المواتية ، وهى ساعة الربيع المقبل :

يازمـــان الربيع انك ابهى ... زمن والفصــول تحت لوائك
عطرتك الازهار ، وانكسفت شمس البرايا امـام شمس بهـائك
حيث حجبت جوهـــا برقيق ... من غيوم تفرقت في سمـائك
يدغدغ الزهـر بالنسيم ، ورفقا ... بوروده تضــوع في ارجائك
ما تراها تميل سكرا وتهتز من ... الشوق ، ثم تختـــال تيها ...

●●●

يا ربيع الحياة ! حى بنى الحب ... وانشــد ابياتك الخالــدات
قل لهم : انما الحيــاة ربيع ... قل لهم : انني ربيع الحيـــاة
ان يومـا تودعــوني فيه ... هو يــوم مهما يطل سوف ياتي
فاغتنموا فرصــتي ، فاني فان ... واستفيدوا ما عشتمو من عظاتي
ما مضى فـات ، والمؤمل غيب ... ولك الســاعة التي انت فيها

ولقد فطن الشعراء – كما فطن من عداهم – الى ان الربيع هو دائمـا الفصـــل الموحي بالحب ، والملهم للمحبين . والماضي بعض شعراء الربيع المعـــاصرين في وصف هذه الظاهرة التي يحسها كل انسان على الحياة ، بل يحسها الحيوان، والطير، وكل شيء في الكون . ومن هنا نلتقي بقصــيدة الشـاعر « محمد طاهر الجبلاوي » في ديــوانه (من بقايا الكأس) ، وهى قصيدة : الربيع والحب التي يقول فيها :

بكر النحل في الفضـــاء وغنى ... وتمنى ما شـــاء ان يتمنى
رشـفة من ازاهر الحب تجنى ... في رياض تضوع طيبا وحسنا

●●●

هو ذاك الربيع ملء النـواحي ... هاتفـا بالقلـــوب والارواح
ما علينا في شرعة من جنـاح ... ان قضــينا من حقه ما علينا

●●●

فتعالى نلب صـــفو الحيـاة ... بغــرام ونحيي بالمهجــات
ونحيي الربيـــع قبل الفوات ... وهو يزجي الجمال في كل مغنى

وهذا التلاحم بين الربيع والحب ، أو التلازم بينهما بعبارة اخرى ، هو الذى اوحى لشاعر لبناني متحفظ مثل الشيخ « خليل اليازجي » – ابن الشيخ ناصيف ، وشقيق اللغوى الشـيخ ابراهيم – أن يقول – وهو في القاهرة – يتذكر بعض ربوع لبنان الجميلة :

جاء الربيع ... فاين من اهواه ... كيما اسير مرافقـا اياه ؟
نختال ما بين الخمـائل نجتلي ... وردا نضــيرا مثله خداه
ونجـوس هاتيك الغياض كاننا ... غصـان تبقى في الخبا الصماء





محمد ظاهر الجيلاوى



جليلة رضا



محمود سامى البارودى

فالربيع هنا قد ذكر شاعرنا الشيخ خليلا بالحبيب .. فحين استقبل الربيع أراد أن يستقبل معه وجه الحبيب ... وهكذا نجد الربيع دائما – على اخضراره – لايمر بربوة الا الهبها ، ونشر فيها الضرام ... ومن التفت الى ذلك الشاعر اللبنانى «بشارة الخورى» ، أو الاخطل الصغير ، الذى يقول :

من شاعر نسق الرياض ونظما ... اكبرت فيه العبقرى الملهما
قالوا الربيع.. فقلت : ما اكرهه ... رشف الدموع وردهن تبسما
حمل المشاعل ... لا يمر بربوة ... الا وخضب باللهيب وضرما
فاذا الاريج سحائب وردية ... لبس الهزار بها الطراز المعلما
ثم استقر على مخبأ وردة ... فشكا ، وداعب لحظة وترنما
واذا الفراش رسول كل حبيبة ... لحبيبة ، بابى الرسول الابكما

أما الشاعرة ، جليلة رضا ، فقد استحالت اناقة الربيع فى نظرها فوضى شارية ، لان الربيع حب ، والحب فوق القيود وفوق الحدود ، ولنسمع الى شاعرتنا وهى تقول فى قصيدتها : (الفوضى فى الربيع) :

وراح الفجر فى نهم ... يقبل حمرة الورد
ويسحب نهره الفضى ... فوق شواطىء النهد
ومن حين الى حين ... رأيناه على بعد
يشق لهن اكماما ... ويغريهن بالوعد ..
فقلت له : الا تخجل ... لقد اسرفت فى الود ؟
فاذ بالفجر يهمس لى ... الم اسأم من الزهد ؟
لقد حل الربيع بنا ... وفارت نشوة الوجد
انا حب واشواق ... وما للحب من قيد ..

وهكذا كان كل شيء – عند شاعرتنا – فوضى فى الربيع .. فالفجر ، والازهار ، والزنبقة ، والعصفورة ، والطيور ، والغدير فى حالة من الفوضى فى الربيع ، لانهن يحببن الحياة والحب بلا قيود ... فكانت نفضة الربيع انتفاضة لشاعرهن ...

وهذه (الفوضى) التى رأتها ، جليلة رضا ، فى مشاهد الطبيعة فى الربيع ، قد رآها الشاعر ، عدنان مردم بك ، فى الاضواء وهو يصور الربيع فى غوطة دمشق ، فيقول :

خطرت بمحبوك الربيع تصفق ... والفجر يعصف غربه المتدفق
وتبرجت بمطارف من سندس ... عجب تكاد من النضارة تفرق
الوانها قوس الغمام تعددت ... الوانه ، وتنورت تتالق
فوضى من الاضواء كاد بريقها ... فوق الثرى من جدة يتدفق ..

واذا كان شعراؤنا المعاصرون – وقبلهم القدامى – قد رأوا أن ازهار الربيع هى نسيج منواله ، ووشى يديه ، فان الشاعر السورى « أنور العطار » قد رآها « قبلا » للربيع تنفح بالطيب . ولعل « أنور العطار » قد انفرد من بين شعراء العربية قديما وحديثا بهذا التشبيه الرائع . وما اصدقه – رحمه الله ونضر قبره – وهو يقول من قصيدته : « الربيع » :

نضر الحقل ساحة وتجلى ... رائعا فتنة العيون قشيبا
هو ذا موكب لآذار حلو ... يتمشى على السهول لعوبا
ملأ الارض والسموات عطرا ... ونفى الهم والضنى والشحوبا
وعلى معطف المروج تراءت ... قبل للربيع تنفح طيبا
تجد النفس فى شذاها الامانى ... صورا تترع الجنان لهيبا
تغمر الروح بالهناءة والصفـ ... ـو ، كما يغمر الحبيب الحبيبا ..

ومهما كانت مجالى الربيع : وشيا، أو قبلا عطرة ، أو نسجا بديعا على منوال الطبيعة ، أو زهرا ، أو طيرا ، أو ورقا ، أو غصنا ، أو غديرا صافيا، أو روضا حاليا ، فان شاعرنا « الدكتور ابراهيم ناجى » كان يجد فى ذلك كله قوتا لنفسه ، وغذاء لروحه ولا يبيع خردلة من خلك بالدنيا وما فيها ، وما اصدقه فى مقطوعة « الحب والربيع » وهو يقول :

جددى الحب والذكرى لى الربيعا ... اننى عشت للجمال تبيعا
اشتهى ان يلفنى ورق الايك ... وانوى خلف الزهور صريعا
آه ! در بى على الرفاق جميعا ... واجعل الشمل فى الربيع جميعا
لا تقل لى : اشتر المسرة والجا ... ه فانى حسن الربى لن ابيعا
فلغيرى الدنيا وما فى حماها ... اننى اعشق الجمال الرفيعا
انا من اجله عصيت وعذبت ... والست غيره لن اطيعا



ويطيب الربيع الفتات زهرا ... وعبيرا ، ولا اكابد جوعا
فهو حسبي زادا اذا علت الدنيا ... واقوت منازلا وربوعها ...

والحق أن شعراءنا المعاصرين والمحدثين لم يقصروا في الاحتفاء بالربيع ولا في وصف مشاعرهم به . وقد نحتاج الى مقام طويل جدا لكي تقف وقفات قصارا مع كل شاعر عربي معاصر رحب بالربيع وأحسن لقاءه ، فالشاعر « محمود سامي البارودي » يدعو الى المبادرة باغتنام الربيع في رائية يقول فيها :

واغتنما صفوة الربيع بدارا ... فالاماني مغضوبة بالبدار
هو فصل تختال فيه غصون الرو ... ض في حلية من الازهار

والعقاد (١) يستقبل الربيع قائلا :

هات الربيع الغض لي كله ... في روضة بل طلعة ، بل شفه
ان فاتني جمع ازاهيره ... في لحظة فالراى ان ارشفه !

والشاعر الليبي « رفيق المهدوي » يقول في استقباله :

جاء الربيع فقم بنا يا صاح ... نلق الزمان يمر بالافراح
في موكب لبس الزمان شبابه ... واختال منه ببهجة ومراح

والشاعر « أحمد زكي أبو شادي » يصور الربيع في اكثر من قصيدة وكذلك المازني ، وناجي ، ومحمد الهمشري ، وأحمد مخيمر ، والعوضي الوكيل ، ومحمود حسن اسماعيل ، ومحمود غنيم ، وعبده بدوي ، وعلي هاشم رشيد ، وكمال نشات ، وروحية القليني ، ومحمد محمود زيتون وصلاح الاسير ، وعبد القادر رشيد الناصري ، وعمر ابو ريشة ، ومصطفى علي عبد الرحمن ، وادوار حنا سعد ، وصالح جودت وغيرهم . كما احتفى بالربيع من شعراء المهجر « ايليا ابو ماضي » ، ورشيد أيوب » ، و « الياس فرحات » الذى أسمى أحد دواوينه باسم (الربيع) (٢)

ولم يكتف الشاعر « مصطفى عبد الرحمن » بالاشتراك في الحفاوة بالربيع بشعره الرقيق ، بل زاد في التحفي فاصدر كتابا طيبا بعنوان : (الربيع في الادب والفن والحياة) جمع فيه اكثر ما قيل في الربيع قديما وحديثا ، وان كان فاته كثير ممن لم يتح له الاطلاع عليه ، او الوصول اليه . وهو على كل حال مشكور مأجور ..

وبعد ! فقد كنا نود لو اتسع المجال هنا للوقوف مع كل شاعر ممن ذكرناهم هنا ، فان قصائدهم في الربيع بين ايدينا ، ولكن عذرنا ان المجال محدود ، وان المدى لنا غير مبسوط ولا ممدود .. والعذر عند الكرام مقبول ...

(١) للعقاد في الربيع شعر غير قليل يرجع اليه في دواوينه ، فلقد كان – رحمه الله – متيقظ الحظ لهذا الفصل البديع ..

(٢) كان من مظاهر احتفاء الشعراء المعاصرين بالربيع أنهم اصدروا بعض دواوينهم باسم الربيع .. من امثال صالح حامد العلوي ، والعوضي الوكيل ومحمد رزق سليم ، وفؤاد بليبل ، ورشدي معلوف ، وطاهر زمخشري ، والياس فرحات ، ومصطفى عبد الرحمن ، وكمال نشات ، ومحمد محمود زيتون ، وعبد المحسن الرشيد ..

أنور الجندي

اذا كانت الحياة على وجه الارض تتقلب بين ربيع وخريف ، فان البشرية نفسها تمر بمثل هذه المراحل وتتحول من مرحلة الى مرحلة • وكذلك الامم العربية والاسلامية تنتقل اليوم من شتاء الضعف وخريف التخلف الى ربيع اليقظة ونضارة النهضة وشباب التقدم ، وقد واتتها اسباب القوة والنماء • ولا ريب ان البشرية كلها اليوم تتحرك الىعصر جديد من التقدم الروحي والنفسي وتتطلع الى افق جديد تتمكن فيه من تحقيق الاخاء البشرى والعدل والرحمة : يمكن ان يطلق عليه « ربيع البشرية » •

ولا ريب ان عالمنا العربي والاسلامي يشارك في هذا التقدم مشاركة فعلية اليوم بما يمتلك من وسائل القوة : من طاقة وتفوق بشرى • (وقوة تكنولوجية هي في اولى مراحل تكوينها ونموها) وقد فتح لها العاشر من رمضان الطريقواسعا الى هذا العصر الجديد : الذى هو بمثابة الربيع بعد خريف طويل وشتاء قاس منذ ان سيطر الاستعمار والنفوذ الاجنبي على بلادنا ومقدراتنا ، ومنذ وقفنا والفلك المجد دائر ، ومنذ عجزنا عن اداء رسالتنا وتحمل مسئوليتنا كقوة اساسية ضخمة في بناء هذا العالم ، ولقد قاوم العرب والمسلمون وجاهدوا وجالدوا قوى الاستعمار حتى استطاعوا ان يخرجوا الى النور ويتقدموا لاتتعاد مكانهم مرة اخرى تحت الشمس وكانوا من قبل سادة العالم وهم الذين قدموا للبشرية «المنهجالعلمي التجريبي» الذى تسلمته اوربا من المسلمين في الاندلس ودفعت به الحضارة الى الامام • واليوم يتقدم العرب والمسلمون وهم يؤمنون بان المبادىء والعقائد التى يملكونها قادرة على العطاء بما يؤهل البشرية لاستقبال ربيعها المونق المزهر الذى يملأ الحياة بالعطر والدفء •

هل اقترب ربيع

يقول الاستاذ « ايل جونز » في كتابه « البحث عن الحق » ان العصر الحاضر بدأ يبحث عن الحق • بعد ان اثيرت في السنوات الاخيرة أكاذيب كثيرة حول مستقبل البشرية وحول دور المسلمين والعربفي الماضي ودورهم في المستقبل •

ويردد المؤلف قول هوسمان : ان أضعف الميول البشرية هو حب الحق ، ويقول ان الكثرة الكاثرة من العلماء لم يخلصوا الاخلاص التام في طلب الحقائق الخاصة فكثيرا ما سيطرت عليهم اوهامهم واهواؤهم واغرتهم بالتشبث بوجهات نظرهم دون ان يستطيعوا التجرد في البحث عن الحق ويتخلصوا من رق النزعات والميول والاهواء •

ويقول : ان العالم اذا فقد اخلاقياته فانه جدير بأن يكون مطعونا فى علمه ، ويقول انه بالرغم من أن فرنسيس بيكون هو موجد الطريقة الاستقرائية فى البحث عن الحقائق ، فقد عرف من مجمــل سيرته ان اخلاقه لم ترتفع الى مستوى كفايته العقلية وان له سقطات وعيــوب اخذت عليه فى كتابة القانون الجديد الذى الفه ليعارض طريقة ارسطو فى البحث عن الحقائق وتصحيح الاوهــام الفكرية فى مذاهب البحث ·

ويخلص المؤلف الى القول بأن هنــاك عقبات اربع تحول دون سلامة المنهــج الغربي فى الفكر والبحث وتضل عــن الحقائق وهى عنده أربعة أوثان اولها : (اوثان القبيلة) وهو تصور الطبيعــة على صورة لا برهان لها من التجـربة والمشاهدة ، والثاني : (اوثان الكهف) وهى تمثل اوثان الفرد نفسه وأوهــام بيئته · والثالث (اوثان السوق) وهى التى تنتشر باختلاطه بغيره من الناس· والرابع (اوثان المسرح) وهى النظريات



المضلة والمبادىء الزائفة والافــكار الخاصة التى تسرى الى عقول الناس ·

ويقول : هذه الطوائف من الاوثان تحجب الانســان عن رؤية الحق وان الاقتراب من الحقائق يتطلب ان يتخلص الانسان من رق افكاره الســـابقة ومعتقداته القديمة وان أوجه كثيرة من



الاكاذيب تعترض طريق البــاحث عن الحق ، تقوم على الاخفاء والانتقــاص والمبالغة والتهويل وعــدم الامانة والاخلاص او قصور فى التفكير البشرى ذاته ، فضلا عن دعايات الســياسة واكاذيب الحروب واكاذيب الاعــلام وتعصب اصحاب المذاهب والعقــائد · وان هناك كثيرا من الناس يعتقدون انهم يدافعون عن الحــق وهم فى الواقع يدافعون عن مذهب راقهم او قصــة اجتــذبتهم او اتجــاه امتلك عليهم عواطفهم : وان الولاء للمذاهب هو من الاشياء الخطيرة التى تقيم العقبات فى سبيل البحث عن الحق وقد يكون للمذهب قيمته وشأنه ولكنه فى الوقت نفسه لا يمكن من رؤية جميع أوجه الحق » ···

هذا موجز ما قصد اليــه الكاتب الغربي « ابل جونز » على نحو يمثــل مع كتابات بعض كتاب اخرين سبقت فى هذا الطريق شهادة صادقة للعصر والحضارة والعــالم فى هذه المرحلة من حياته · ويرجع ذلك الى مدى الرأى فى سلامة المنهج الغربي فى الفــكر وموقفه من البشرية ومن غير الغربيين تحت لواء دعوات سيادة الرجل الابيض والامم الملونة التى يرى النفوذ الاجنبي انه له حق السيطرة عليها واعتصــار

ثرواتها . وقد أصبح ذلك كله اليوم موضع النقد الشديد .

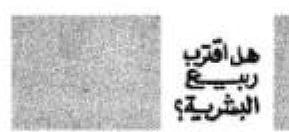
وقد صدر كتاب جديد في أوربا تحت عنوان « أوربا ونورها في شقاء العالم » بقلم الكاتب السويدي « جان ميردال » والكتاب يكشف في صراحة ووضوح الواقع الاستعماري الأليم الذي قامت به أوربا حين بسطت نفوذها على البلاد ذات الموارد ، وكيف اعتصرت هذه الثروات وسبحت في النعيم بينما تركت أهل تلك الموارد في فقر شديد ، ويشير المؤلف الى اتهامات أوربا لهذه البلاد بأنها متأخرة ، وبأنها من شعوب ملونة وبأنها لا تستحق الحرية وبدور الغرب الكاذب في تمدين البشرية حيث لم يعمل على تمدين هذه الشعوب وانما قدم لها فتات موائده ونتاجه الاستهلاكي بينما حجب عنها عناصر التقدم الحقيقية وفي مقدمتها التكنولوجيا .

ونحن حين نقرأ مثل هذه المؤلفات نذكر أن صوت الحق لا بد أن يدوى وانه لا بد أن يأتي اليوم الذي يعرف الغرب لعالم الاسلام والعرب والشرق مكانه ودوره ولن يتأخر ذلك الأمر كثيرا .

•••

ولقد ظهرت في السنوات الأخيرة بحوث كثيرة منصفة لحضارة الاسلام منها كتاب الدكتورة سجفريد هونكه « شمس الله تشرق على الغرب » الذي أحدث ضجة كبرى وكشف عن مدى قيمة المعطيات التي قدمها المسلمون للحضارة والبشرية ، ومن قبل ذلك كشف علماء التكنولوجيا والطبيعة من أمثال : درابر وبريفولت وسارطون عن دور المسلمين في بناء الحضارة .

واليوم يصدر كتاب جديد للكاتب الألماني « هاينز جولكر » تحت عنوان



مثير هو : « أوربا ولدت في آسيا » .. يتحدث فيه عن المعطيات الاسلامية العربية التي كانت مصدر الحضارة الحديثة على النحو الذي يؤكده المؤلف بأنه لولا آسيا العربية الاسلامية لما كانت أوربا الحضارة الغربية الحديثة التي تزدهي بها على العالم كله والتي ما زالت تتعالى على العالم بدورها في الحضارة ...

ومما يقول المؤلف : ان انجازات العلماء العرب في العصور الوسطى ربما تكون قد انقذت أوربا من الأوبئة خلال الجزء الأكبر من تلك العصور ، وأشار المؤلف الى أن العلماء العرب هم الذين اكتشفوا البذور الأولى من المضادات الحيوية فضلا عن عدسات الرؤية وأدخلوها الى أوربا لأول مرة في نهاية القرن الثالث عشر (السابع الهجري) على شكل مسطح ومحدب وأثبتت فائدتها فيما تحقق من بعد من كشوف الفضاء وقد تردد في الأسبوع الثقافي الألماني الذي عقد في أوربا في العام الماضي مثل ذلك ـ مما أشارت اليه « الهلال » في وقته .

ومعنى هذا أن هناك ظاهرتين واضحتين اليوم في أفق الفكر البشري العالمي :

(الأولى) : تحاول أن تصحح وضع الحضارة الغربية في الاستعلاء على الأمم الأخرى ذات الحضارات القديمة وفي مقدمتها العرب والمسلمون الذين قدموا للبشرية المنهج العلمي التجريبي

الذي هو بمثابة الخابق الاول للحضارة العالمية الحديثة

(الثانية) الاعتراف بالدور الذي قام به العرب والمسلمون في بناء البشرية والدور الذي هم الان مؤهلون لادائه . وقد توالى البحث حول هــــذا الدور ومداه وأثره بعد انتصارات العاشر من رمضان التي غيرت النظرة الغـــربية والبشرية كلها ازاء المسلمين والعرب .

ومن هنا نرى ذلك السيل من المؤلفات الغربية التي تحاول ان تســتكشف ما يسمونه العقلية العربية وما يحمـــل المستقبل لهم من دور في الحضارة .

ومن ذلك ما كتبه أحــــد الباحثين الغربيين تحت عنوان : العرب قوة جديدة واعتزاز بالنفس . يقول : ان الزمن قد تغير فجاة وعلى غير انتظــــار تبدلت نظرة العالم الى العرب بعـــد طول معاملة لهم على انهم دول متخلفـــة ، فلاول مرة منذ زحفت جيوش الاسلام من الجزيرة العربية في القرن الســـابع الميلادي لنشر رسالة محمد في العالم ، قد تمكن العرب من تحقيق سلسلة من الاعمال الناجحة عســكريا وسياسيا واقتصاديا .

وقد استعاد الكبرياء العربي ثقته القديم وتفجرت قدرات الخـــلق الفني والادبي في كل بلاد العرب ... ولقـــد رسم الاوربي صورة مشوهة للانســـان العربي تعطيه صفات البدائي الهمجي غير المتحضر ، هذه النظرية ترجـــع اساسا الى العصور القديمة عنـــدما وصلت الجيوش العربية الى اوربا ، وفتح الاوربيون اعينهم على جندي غريب أثار الخوف في نفوسهم وشعروا مـــع قدومه بما يمثله من خطر على تقاليدهم ان هذا الجندي نفســه هو الذي حمل معه الى اوربا « العلم » الذي كان العرب سباقين الى كشف اسراره .

العربي يتسم بصفتين : تاكيد الذات والانتماء للجمـــاعة (الاسرة والدين والامة) والكرم ضــارب بجذوره في طبيعة العربي . وجاءت حرب اكتوبر تضيف الى العربي سمات جديدة بمـــا احدثه من تاثيرات على شخصيته ..

والسؤال المطروح في الغرب الان : هو كيف سيستخدم العرب قوتهم الهائلة الجديدة ؟ ولا ريب ان اقتحام جيوش مصر حصون اسرائيـــل عبر الجيش الاسرائيلي الذي تجاوزت غطرسته كل حد واستطاعت ان تضرب تفوق الصهيونية السابق ، وكذلك فقد وضع اقدام العـرب على عتبات الطريق نحو مستقبل مشرق والعرب ملتزمون بمواصلة نضالهم في سبيل التحرر الكامل » .

هذا ما اشار اليه الباحث الغربي ، وهناك عشرات من الكتب في هذا المعنى وحوله تعترف بمكان العرب والمسلمين في عالم اليوم وهم يملكون القـــوى الثلاث : « الطاقة والتفـــوق البشرى والتكنولوجيا » .

***

لقد خرج العرب والمسلمون من مرحلة الاستعمار الى مرحلة الرشد الفـــكرى والاجتماعي واستعادة مكانتهم في العالم على طريقتهم الاصيلة : القـــائمة على السلام والرحمة والاخاء البشرى فهم ليسوا طلاب سيطرة ولا يرغبـــون في تفوق عنصرى او استعلاء بالقدرة المالية او غيرها ، وانما هم يؤمنون بان يعطوا وياخذوا في معادلة سليمة بعيدا عن كل مفاهيم الفكر الاستعماري او العنصرى وهم يواجهون الان تحديات خطيرة تتمثل في الصهيونية العـــالمية التي ما زالت تسيطر على اجزاء من بلادهم ، والتي تعمل عن طريق المذاهب والايديولوجيات المختلفة لتدمير شخصيتهم ، التي كانت

العاصم لهم خلال معركتهم الطويلة مع الاستعمار والنفوذ الاجنبي ٠

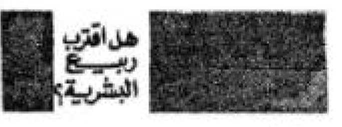
واليوم والعرب يستشرفون هـــــذه المرحلة الجديدة من حياتهم على طريق القوة والنهضة فانهم يعلمون أن القدرات المادية التي في أيديهم لن تحولهم عـن وجودهم الذاتي وكيانهم الخـــاص وطابعهم الذى صنعتـــه لهم مواريثهم وعقائدهم وقيمهم الاساسية وخاصـــة التزامهم الاخلاقي الذى يصبغ كل برامج حياتهم السياسية والاجتمـــــاعية والقانونية والاقتصادية والتربوية وهم بفضل هذا المفهوم الحـــكيم السليم قادرون على نقل مستحدثات العـــلم والتقدم والحضارة المادية لتكون موادا خاما يصوغونها داخل اطار فكـــرهم وقيمهم وبذلك يستعيدون مكانهم بين الامم ، مقدمين للحضارة اضافاتجديدة أهمها اخلاقية الحضارة وطابعهـــــا القائم على الرحمة والاخاء ٠

ان أخطر ما واجه الحضارة الغربية الحديثة وأسلمها الى الازمة الخانقـة والصراع بين القوى مع ما امتلكته من أسباب التقدم المـادى هو انها كسرت الاطار الدينيوالاخلاقي الذىهو الحاجز الحامي لكل نهضة من التعثر والتصدع ثم مضتتواجه الحياة بغير ستار يحمي ظهرها ، أو نور يضيء طريقها ،وبذلك وقعت في أسر ذلك التناقض الذى أشار اليه مؤلف كتاب البحث عن الحق كمـا أشرنا في مقدمة هذا البحث ، لقد حال ذلك الفصل بين الروح والمادة والعـلم والدين، والعقل والنفس ، الى تلك الازمة المادية الخانقة التي أكلت أهواءالنفس وتغليب الترف والملذات والشـــهوات فانتهت بها الى ما يسمى الآن « أزمـة الانسان الحديث » وصراعه وتمـــزقه وغربته وضياعه ، كل هذا الذى قاساه ويقاسيه من أهوال نفسية بالرغم من وفرة العطاء المادى والحضـــارى على أعلى مستويات الرفاهية والترف ٠

ويرجع هذا كله الى غيبة المعنويات وتجاهل أشواق الروح مما أدى الى تصدع النفس وتمزق الكيان الانساني وفقدان الهوية والهدف وفهم أمـــانة الانسان في هذه الحياة ورسالته وغايته والمصير الذى ينتظر البشرية كلها ٠

والعرب والمسلمون حين يأخـــذون دورهم في استعادة مكانهم وهم يمتلكون اليوم أدوات الحضارةالحديثة ومعطيات التكنولوجيا العلمية والميكانيكيةيبدأون من نقطة الاخلاق والقيم فيضعون هذه المعطيات كلها في داخلها فيسبيل الى العمل للبشرية كلها ولرفع شعار الاخاء الانساني والعدل والرحمة باعتبارها من معطيات الاديان للانسانية وليجعلوا من هذا كله اطارا يتحركون فيه فيخضعون العلم للاخلاق والتقوى وبذلك يحققون ارادة الله في بناء المجتمع الانســـاني الحق الذى تتطلع اليه الانسانية وترى فيه ربيعها المونق ، بعد ذلك الخريف والشتاء الطويلين ، وبعد عصور الظلم والاستعباد التي عاشتها الشـــعوب العربية والاسلامية تحت سلطان النفوذ الاستعمارى والصهيوني ٠ ولا ريب في ان العرب والمسلمين مؤهلون لتقديم هذا الزاد المعنوى والروحي والاخـــلاقي للبشرية اليوم وهذا هو أملها الوحيد والاخير ٠

فهل البشرية اليوم في طريقها الى ربيعها المونق المزهر الذى يملأ الحياة بالعطر والنغم والنور ؟

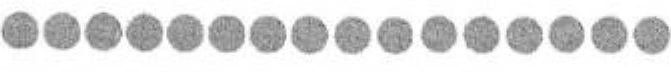


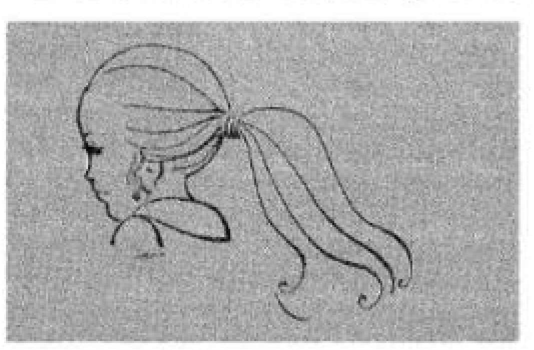


أين مني الربيع؟

يا ليالي الأسى يهيجُ شجوني
ما ألاقيه من صراعِ السنينِ
ضلَّ روحي ، ولم أزلْ أتردّى
بين شكٍّ من الرؤى ويقينِ
حائرٌ في متاهةِ الأرضِ ، أمضي
مثقلَ الخطوِ في سرابِ الظنونِ
كلّما أشرقَ الصباحُ بروحي
كذّبته عند المساءِ عيوني !
إيه يا شاعري الحزين ... رويداً
إن صرفَ الأيامِ غيرُ أمينِ

أين منى الربيع؟





كم تبسَّمتَ والليالى غِضابٌ
وتمرَّغتَ فى الهوَى والمجونِ ..
ومنحتَ الأيامَ معنىً جديداً
لم يُهوِّمْ على خيالِ السنينِ
وعبَرْتَ الدروبَ روحاً يُغنِّى
كلَّما هاجَ خافقٌ بالحنينِ
كانت الأرضُ عالماً من طموحٍ
وأمانىُّ شامخاتِ الجبينِ ..
تلثمُ النجمَ فى السماءِ وتَطوى
مُشرئبُّ الأحلامِ .. دَرْبَ السكونِ
أين ماكانَ ؟ . حفنةٌ من سرابٍ ؟
أم خيالاتُ شاعرٍ مفتونٍ !؟

أين منِّى الربيعُ ؟.. أين شبابى ؟.
ضــاع فى لُجَّةِ العُبــابِ سفينى
إيهِ يا قلبىَ الجــريحُ ... حنــانا
لا تُحــرِّكْ لواعجى وشُــجونى
إنَّ بعضَ النِّســيانِ فيــه عزاءٌ
ودواءٌ للخــافقِ المطْعــونِ !
خلِّنى للعــذابِ ، إنَّ عذابى ...
قدَرى ، جنَّتى ، وتبضُ لحونى
ما تُرانى من الجــراحِ أُغنِّى ؟!
إنَّ قلبى ينزُّ عبرَ جفــونى !
لم أعُدْ فى الوجودِ غيرَ خيــالِ
كان يوماً حكايةً من جنــونِ
دمعةٌ .. كلمةٌ .. ورعشةُ حرْفٍ
قطــرةٌ من دمٍ ، وخفقــةُ طينِ
يا رياحَ الأسى ، حنــانكِ .. إنِّى
بعتُ سيفى، وقدخفَضْتُ جبينى!
ليس يقْــوى على الصِّراع شريدٌ
لفظتْهُ الأيامُ تنفُضُ مهينِ ! ..

● راضى صدوق ــ جدة ●

● د. الطاهر أحمد مكي ●

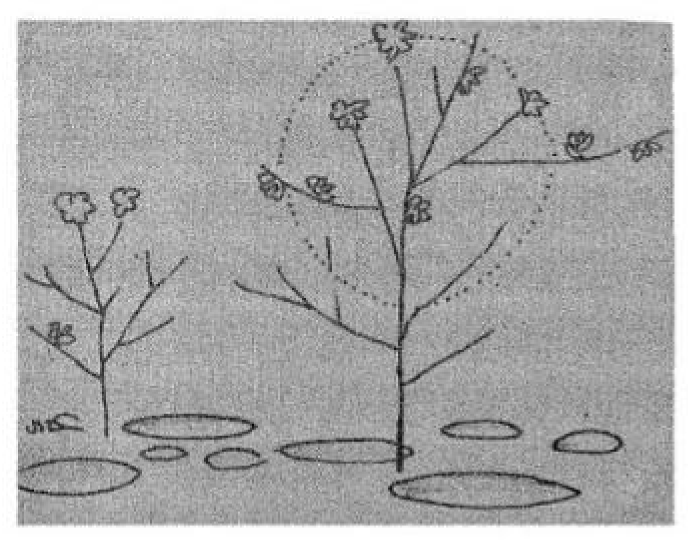
الربيع في الشعر الأسباني

يقول المفكر الإسباني العظيم « أميركو كاسترو » في كتابه الرائع : « اسبانيا بين المسلمين والمسيحيين واليهود » ، أو كما اسماه في طبعته الثانية : « حقيقة اسبانيا التاريخية » ـ : « على أولئك الذين لا يريدون أن يخطئوا عندما يصدرون أحكاما على الأدب الايبيرى (أى الإسباني والبرتغالي) أن يعرفوا ما كان يحدث في الجانب العربي من اسبانيا » واهتداء بقولة العالم الإسباني الرت أن ألقي نظرة على شعر الربيع في الأدب الأندلسي .

بدءا يمكن القول ان الطبيعة استحوذت على الجانب الأوفر من ابداع الشعراء، الكبار والصغار على السواء، فلم يتركوا مظهرا لم يقفوا عنده ، ولا حسنا لها لم يتغلوا به . وصفوا الزوارق تجرى على صفحة النهر ، والأوز يسبح في مياه البرك، والسلاحف تغادر الشط ، والمطر يجلد الحدائق ، والعواصف والرعود والبروق، والرياض والوديان والجبال ، والشمس والقمر والنجوم ، والليل والفجر ، وكل ما يرد على الخاطر من منظر جميل أو معنى مستحدث . وتميزوا عن أقرانهم في المشرق بأن الطبيعة تأتي عندهم بعضا من كل ، قاعدة مثلث ضلعاه الشراب والمرأة ، انها أقانيم اللذة الثلاثة ، تأتي معا ، ولا تتخلف الا نادرا :

كم قد بكرت الى الرياض وقضبها ... قد ذكرتني موقف العشاق
باحسنها والريح تلحف بعضها ... بعضا كاعناق الى أعناق
والورد خد والأقاحي مبسم ... وغدا البهار ينوب عن أحداق
لم انفصل عنها بكأس مدامة ... حتى حملت محاسن الأخلاق

وطبيعة الأندلس متنوعة ، تعطيك الشيء ونقيضه في الزمن الواحد ، فبينما تثلج الدنيا في الشمال منه ، شرقيه وغربيه ، وتكتسى أعالي الأشجار، وقمم الجبال ، وأسطح المنازل ، ثيابا



بيضا ، نسجت من برد ، تكون قرطبة دافئة ، واشبيلية ساخنة ، ومالقة حارة يسبح الناس في شواطئها ، وعلى حين يتميز وادي اش بالمهــابط المخضرة ، والنهيرات المنسابة ، تجد الجوف جافا قاحلا ، وسهول قشتالة مراعي، وأراضي بلنسية حدائق ، ومن ثم فقد تتعــدد الفصول واقعا في الزمن الواحد ، وقد يكون حظ مقاطعة ما فصلين في العام لا اكثر ، والقاسم المشترك بينها جميعا ديمومة المطــر ، وان اختلفت الوانه وأقداره وأوقاته ٠

واول ما نتوقعه ان يكون الربيــع المهبط الاول للشعر ، احتفاء به ، وتغنيا بجماله ، وازعم وقد عشت في الاندلس أعواما طوالا ، وخبرت كل شبر منه ، ووجدت الطبيعة قد حبته بالــكثير من سحرها ، انني خلت الأمر كذلك بادىء الامر ، ولست أدرى أكان اســتجابة لموروث كامن في أعمــاق النفس ، أو تصورته حدثا بديهيا لا يستأهل البحث، فلما عدت الى مصادره وجـدت الامر على غير ما ظننت ، فشعراء الاندلس، والمجيدون منهم بخاصة ، أقل الشعراء احتفاء بالربيع ، وقلما يرد في شعرهم ٠٠٠ صحيح أن أبا الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الاشبيلي ، وكان شاعرا ووزيرا لابن عباد ، وتوفي قريبا من عام ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م ، جمع مختارا صغيرا من الشعر أسماه : « البديع في وصف الربيع » ، توجـد مخطوطته في الاســكوريال ، ونشره المستشرق الفــرنسي هنري بيريس في باريس عام ١٩٤٠ ، لكن العنوان خادع للغاية ، والجائه اليه الرغبة في أن يجيء عنوانه مسجوعا ، لأنه باقة عطرة عن طبيعة الاندلس الفاتنة ، وعن مباهج اشبيلية العامرة ، ولم يورد فيه شعرا عرض للربيع نفسه غير مقطــوعات ثلاث ، احداهن له ، والاخــريان لشاعرين مغمورين ، أولهما ابو عامر ابن مسلمة ، والثاني أبو جعفــر بن الأبار ، وكلاهما متوســط الصناعة ٠ ومرد ذلك فيما أرى ، ولا أعرف من استرعته الظاهرة ووقف عندها ، أن

الربيع

ذهاب كل فصل من فصول العام بقدر لا بأس به من الجمال ، واقبال الناس جميعا ، والشعراء من بينهم بقدر أكبر، على الحياة يعبون منها في كل الاحوال، جعل احساسهم بتغير الفصول ، وتقلب الأيام ، شاحبا واهنا . فهناك على الدوام ماء يجرى ، وحدائق تعطى ، وأشجار تظل ، ورياض تستقبل ، وجارية ترقص ، وزامر يعزف ، وغرد يغنى ، وندامى يسمرون .

وحين تأصل الشعر العربى فى الاندلس ، وأصبح يعبر صادقا وفيا عن هموم الاندلسى ، دون أن يجرى فى تيار الشعر الشرقى تقليدا ، بدأ شعر الطبيعة يأخذ على يد المجيدين من الشعراء طابعا مسرحيا ومأسويا فابن الزقاق مثلا ، شاعر من القرن الحادى عشر الميلادى ، أراد أن يصف وجها جميلا ، أحمر الخد ، فى اطار من الطبيعة ، وأن يقول عنه أنه فى لون شقائق النعمان ، فلم يلجأ الى التشبيه المباشر ، وقد استهلك واستنفد ، وانما أعطانا صورة كاملة جديدة : لقد ذهب ضحى الى روض غنى بزهور شقائق النعمان ، يهزها النسيم رفيقا ، وما لبثت السحب أن غطت السماء ، وتساقط المطر عنيفا يجلد زهورا فى لون النبيذ، فسأل من رآها مشفقا : ما ذنبها حتى يجلدها المطر ؟ .. فقال الشاعر : لقد سرقت حمرتها من خدود الملاح :

ورياض من الشقائق أضحى
يتهادى فيها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها
زهرات تروق لون الراح
قيل : ما ذنبها ، فقلت : مجيبا
سرقت حمرة الخدود الملاح !

فأنت هنا ، كما ترى ، أمام سرقة وسؤال ، وعقاب !

***

ولقد ذهبت العربية ، وأخرج الذين كانوا يتكلمونها من الاندلس ، وأقفرت الارض بعدهم طويلا ، وأجدبت الحياة زمنا ، ثم عاد لها بهاؤها من بعد ، خضرة فى الحقول ، وأمنا فى الطرق ، وبهجة فى قلوب الناس ، فبدت الشمس من جديد ، فى أحاسيس المتأمل ، أقوى صفرة وأشد حرارة ، والقمر أسطع نورا وأبهى منظرا ، والزهور أعبق أريجا ، والماء أعذب خريرا ، وهي ألوان من الجمال تركت أثرها فى حياة الناس ومشاعرهم ، حبا غامرا للطبيعة ، ولصوقا وذودا بالوطن ، وتعلقا حنونا به فى المهجر ، أكره الاندلسى على الغربة أو سعى اليها ، يستوى فى ذلك عربه فى العصر الوسيط ، وأسبانه بعد زوال دولة المسلمين .

وكانت رحلات الأندلسيين الى المشرق لا تنقطع ، يعودون منها أو يلقون الله حيث هم ، ولم تتوقف هجرة الاسبان الى أمريكا اللاتينية ، فى أعوام القرن وما تلاها ، وحتى يومنا هذا ، والى بقية دول أوربا لدوافع اقتصادية ، وأبدع لنا أولئك وهؤلاء فى غربتهم أدبا مرا حزينا .

ومن هنا كان الشاعر الاسبانى ، مثل مواطنه الاندلسى ، نعم بالطبيعة وأحبها ، وجرت فى شعره تأملا حزينا أحيانا ، ومتصوفا أحيانا أخرى ، وأقرب الى التشاؤم على الدوام . وما يشده منها أكثر من غيره فكرة الموت والفناء ، والاشياء الجميلة فى الطبيعة تموت

أسرع من غيرها ، تولد من جديد نعم، ولكن ما ان نسعد بها حتى تفارقنا ، وليس أبعث على الأسى من انفاق العمر مودعا ومستقبلا ·

والشاعر الاسباني وجمهـوره يرى فى الموت طريقا كلنـا وارده ، فليس الغريب أن تموت ، بل الغريب ان تبقى، والموت ليسحدثا عارضا ، وانما موقف محدد ، نسقط امامه يوما ، واكثـر الجمل دورانا على لسان الاسباني : « كله سوف ينتهى » ، وتقول اغنيـة شعبية :

لا شيء يبقى فى هذه الحيـــاة القاسية ،
صالحا كان ام شريرا ،
وقبر موحش
يسوى بيننا جميعا !

ومن ثم كان الموت اكثر ورودا فى الشعر الاسبانى من الطبيعة ، واذا كان اول ، واروع ، ما حفظ من الشعـر الجاهلى ديوان امرىء القيس ، وشهر بالغزل ، وشغلت الطبيعة ثلاثة ارباع ديوانه ، فان اروع ما وصلنا من الشعر الغنائي الاسباني ، قصـيدة طويلة ورائعة ، للشاعر الاسـبانى خورخى منريكى (١٤٤٠ ـ ١٤٧٩ م) ، يرثى فيها اباه ، ويستخرج العظة من موته :

لتذكر الروح نائما
ينعش العقل ويوقظه
متأملا ،
كيف تمضى الحياة ،
وكيف يجيء الموت
صامتا ·

ما اسرع ما تمضى اللذة ،
وكيف تصبح ذكرى
تورث الما ·
فالاسبانى ، لظروف تاريخية معقدة، كأسلافه الاندلسيين ، يرى من كل شيء جانبه المظلم اولا ، يراه ويقف عنـده ويتغنى به ، ويتخذه سببا لكى ينتهب حياته ، ويسرف فى لذاته ، قبـل أن ينصرم الكون من بين يديه ، ومن ثم كانت أسبانيا ، أو الاندلس اذا شئت ، على امتداد تاريخها ، فقيرة أو غنية ، تملك او معدمة ، يعيش الناس فيهـا ، كل الناس ، حياتهم بأعرض وأعمـق ما يستطيعون ·

فالشاعر ليوبولد دى لويس لا يرى الحياة تمضى ، وانما نحن نجرى الى نهايتنا ، نصعد الى قطار يمضى بنـا دون غاية ، ومعه نرى مناظر لم نرها من قبل :

لم يمر شيء · نحن الذين نمضى ،

نمضى بعيدا فى قطار بلا غاية ،

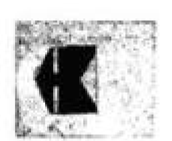
ما هذه المناظر الطبيعية التيلم نرها من قبل قط ؟

لقد غيرت سواعدنا قليلا من وجه الارض ،

لكى نسمعها انغاما موسيقية جديدة،

وكنا نحن الذين نمضى لنصنع عالما اخر ،

واليوم ، ودون امجاد ، نتهـاوى قلاعنا ·



تقول : « نصنع الزمن » ، والزمن هو الذى يصنعنا ،

« نقتل الوقت » ، والوقت هو الذى يقتلنا ،
كيف يمضى الزمن ، ولكن
نحن الذين نمضى تحت امطاره ، ولا مهرب لنا ٠

وعرف الشعر الاسبانى من الطبيعة جانبها المأسوى ، فلم يقف طويلا عند الربيع ، حتى ان مجموعة « الشعر الاسبانى » ، التى صدرت فى سلسلة « بنجوين » الانجليزية ، وصدرت طبعتها الثانية فى لندن عام ١٩٦٠ ، وجاءت فى ٦٠٠ صفحة تقريبا ، وشملت كل الشعراء ، على امتداد حياة الشعر الاسبانى ، منذ القرن الثالث عشر حتى يومنا هذا ــ لم تتضمن اشارة واحدة الى الربيع ٠ وأما « مختارات من الشعر الاسبانى المعاصر » ، واصدرتها دار « مربو الجامعية » الشهيرة ، فى بروكسل عام ١٩٦٩ ، فلم تتضمن غير قصيدة واحدة فى الربيع ، ولكن الشاعر لا يتحدث فيها عن الربيع فى مباهجه ، أو الطبيعة فى اشراقها ، بقدر ما يتحدث عن الامه وحيدا ، يجتر أحزانه منفيا فوق جسر على شاطىء نهر السين فى باريس :

عبر جسور نهر السين ،
فى هذا الربيع المنفى ،
احسستانى عجوز ووحيد مع احزانى ،
ضقت بقيود مثل هذه الحرية

الربيع

المسرفة ،
وقد أصبحت جذعا قديمة نخرة ،
على أرصفة شتوية مهترئة ،
تجىء الى اغصانى ،
الى غصن نسيانى ،
عصافير باكرة مرحة ،
تبنى أعشاشها ٠

***

كجسر عتيق
تتدفق تحته جداول ذاكرة مطحونة ،
كبرده الذابله شمس صفراء كالورس ،
تعبر امام عينى فيضانا ،
ولم يبق منها فى أعماقى غير الصدى ،
مثل ما يلمع ضوء على سطح مرآة !

***

وحين يمس الشاعر جانبا من مباهج الطبيعة ، كالماء مثلا ، يجعل منه مأساة دامية ومحزنة ، فشاعر غرناطة العظيم ، غرسية لوركا ، فى قصيدته : « جريح الماء » ، يجعل للبحيرات والعيون والآبار سيوفا تلوح بها ، وينقب عن ماضيها فى اعماقها بمخرز أسود ، وعبر أبياته تتناثر كلمات ، الموت والاحتضار والوحدة والجليد والانين والصحراوات ، وعنده يصبح الموت أبيض ، والنور صحارى ، والفجر رمالا ، وتملأ قلبه الطحالب :

أريد أن أهبط الى البئر ٠
أريد أن أصعد الى أسوار غرناطة
لأرى قلب الماضى
بمحرز المياه الاسود ٠

الولد الجريح يئن
مع اكليل من الجليد ٠

بحيرات وعيون وآبار
تلوح بسيوفها فى الهواء ٠

اى ! يالحميا الحب ! يالها من شفرة جارحة !



اية اشاعة ليليـــة ، وياله من موت ابيض !

يالها صحراوات من نور تغرق شيئا فشيئا

رمال الفجر !
وبقى الولد وحيدا
والمدية فى حنجرته نائمة !
ودفقة ماء تأتى من عالم الاحلام
تحميه من جوع الطحالب ·
الطفل واحتضاره وجها لوجه
كانا مطرين خضراوين متخاصمين ·
ونام الطفل على الارض
وانحنى احتضاره ·
اريد أن اهبط الى البئر
اريد أن يموت موتى فى جرعات ،
اريد أن أملأ قلبى طحالب ،
لأرى جريح الماء ·

ولكن الشــــــعر الاسبانى عرف « الخريف » من فصول العام ، ووقف عنده وتأمله ، ربما لأن اشياء كثيـرة تموت فيه ، ويرمز الى ما هو فى طريقه الى النهاية من كل شيء ، وربما اكثر الشعراء المحدثون من وصـــفه ، لأنه

طريقهم الى التعبير عن الحـــال التى انتهى اليها وطنهم ، خارجا من حرب ، او مقبلا على خراب ، فمنويل منتشادو ، شاعر اشبيلية الفرد (١) ، يجعل من « الخريف » عنوانا لواحد من دواوينه ، ويناديه :

ايها الخريف البنفسجي
ليست عندك حكايات لى ،

مزامير الاوراق الميتة

التى حملتها الريح ،

لم اسمعها ابدا ·

وانما الاحلام الخضراء

للأرض المريرة ·

ويتحدث بلاس دى أوتيرو عن الخريف فى الطبيعة ، وفى وطنه ، وهو متفائل رغم كل العواصف ·

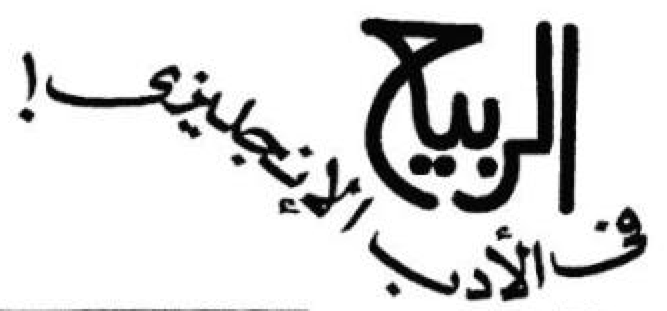
انه شعب يعبد البطولة ويقدسـها ، ويؤثر التضحية ويمجدها ، ويطرب لكل عنيف فى الحياة ، فى رقصه وموسيقاه فى رياضته وملهاه ، وتحرك احاسيسه الدماء الدافقة ، وتدمع قلبه الحيــاة الذاهبة ، ويصفق للمصارع الفـائز ، وللثور حين ينتصر ·

انهم يحتفلون بالخـــريف على حين يحتفى غيرهم بالربيع !

---

(١) انظر دراستنا له فى مجـــلة الشعر ، عدد يناير ١٩٧٦

د. إنجيل بطرس



الربيع في الأدب الإنجليزي!





د. هـ. لورنس   وردزورث



يقال في الانجليزية « يحب المرء شيئا كما تحب الطيور الربيع » و « اجمل من الحقول المزدهرة في شهر مايو » ، و « رخات ابريل تنبت زهور مايو » .

ويتحدث الناس عن زهور الربيع واجراسه ، وخضرته ورقته والوانه ، كما يتحدثون عن تفتح اكمام الورد واخضرار الاشجار وعودة الحياة الى الارض ... فالربيع في بلاد الشمال يعني عودة الحياة الى الارض والنبات والاشجار بعد صقيع الشتاء وجدبه واسوداد الارض وجفاف الاشجار ، بشكل اكثر وضوحا مما هو الحال في البلاد الدافئة التى تكاد تتمتع بخضرة دائمة .

وفي الادب الانجليزي يتغنى الشعراء بالربيع – ربيع السنة – كما يتغنون بالشباب او ربيع العمر ، ويتخذون منه رمزا لميعة الصبا وأمل الحياة ، ويربطون بينه وبين الحب والعاطفة الشبوبة التى تجد في جمال الطبيعة وازدهارها الجو الملائم ... وفي الرواية ، التى تعالج اهم ما تعالج العلاقات الانسانيةوابرزها علاقة الحب، يضفي الروائيون على الربيع اهمية خاصة ، ويفيضون في وصفه كخلفية معبرة لبدايات قصص الحب او نهاياتها السعيدة ، او كعامل مؤثر في نفوس

المحبين وما يصطرع في داخلهم من احاسيس غامضة مبهمة تتضح رويدا رويدا لتاخذ شكل الحب ·

الا أن الربيع أيضا كثيرا ما يثير في نفوس الادباء من الافكار ما هو اقرب الى الفلسفة والتمعن في صفات الكون فالربيع قصير قصر حياة الانسان ، وازهاره ورياحينه ما تلبث أن تذبل مثلما يذبل شباب الانسان وقوته وحياته وهكذا فالربيع مصدر وحي ثرى متنوع لانواع شتى من الادب ···

●●●

وفي الشعر الانجليزي قلما يخلو ديوان شاعر من ذكر الربيع ، اما في قصيدة مستقلة واما في معرض الحديث عن الطبيعة او فصول السنة او تجربة شخصية للشاعر ، وسنحاول أن نورد هنا بضعة امثلة لذلك في ترجمة حاولت بقدر الامكان الاحتفاظ بالمعنى ، اما الوزن والموسيقى وجمال اللفظ فلا مناط من احتفائها — الا اذا كان المترجم شاعرا ···

ولعل قصيدة توماس ناس (١٥٦٧ — ١٦٠١) « الربيع » من اشهر القصائد التي تتغنى بهذا الفصل من العام :

« الربيع، الربيع الحلو هو ملك السنة السار ،
فيه يزدهر كل شيء ، وترقص الفتيات في حلقة ،
لا يلدغ البرد ، وتغنى الطيور الجميلة
« كوكو ، جاج — جاج ، بو — وى ،
تو — ويتا — وو » !

●●●

« تغطى غصون النخيل وزهور الزعرود على المنازل بهجة ،
« تقفز الخراف فرحا وتلعب ، ويزمر الرعاة النهار بطوله ،
ونسمع العصافير تغنى هذا اللحن المرح ،
« كوكو — جاج — جاج ، بو — وى ،
تو — ويتا — وو » !
تتنفس الحقول روائح حلوة ، وتلثم زهرات الاقحوان اقدامنا ،
يلتقى العشاق ، وتجلس الزوجات المسنات في الشمس ،
وفي كل شارع تحى اذاننا هذه الالحان :
« كوكو ، جاج — جاج ، بو — وى ،
تو — ويتا — وو » !
الربيع ! الربيع الحلو !

وتتميز القصيدة في الاصل بوزن موسيقى راقص يردد المعاني التي تنقلها كلمات القصيدة وصورها ·

●●●

وفي اغنية لشيكسبير يربط الشاعر جمال الربيع وقصر الحياة وضرورة الاستمتاع بهما :

كان عاشقا ومحبوبته
باغنية هي وهو وهي نونينو
هما اللذين مرا على حقل حنطة اخضر
وفي وقت الربيع ، وقت الحلقة الجميل الوحيد ،
عندما تغرد الطيور : هي ، وينج اوينج ينج ،
يحب العشاق اللطاف الربيع ·
بين حقول الشعير
سيرقد هؤلاء الناس الريفيون الظرفاء !
وفي تلك الساعة بداوا تلك الانشودة:
كيف ان الحياة ليست سوى زهرة !
ولذا خذوا اللحظة الحاضرة
باغنية هي وهو وهي نونينو !
فالحب يتوج في ميعة الصبا
في وقت الربيع ، وقت الحلقة الجميل الوحيد ·
عندما تغرد الطيور هي ، وينج ·· ! دينج ! » ·
يحب العشاق الظرفاء الربيع !

●●●

وابان الحركة الرومانسية وفي ذروة حب الشعراء الانجليز للطبيعة وجميع مظاهرها كان من الطبيعي ان يحظى الربيع بقدر وافر من اهتمام الشعراء ، الذين حاولوا وصفه من ناحية والتعبير عما يحسون به نحوه او اثناءه من ناحية اخرى ·

يقول وردزوورث (١٧٧٠ — ١٨٥٠) ابو الحركة الرومانسية وشاعر الطبيعة



في قصيدة يخاطب فيها احد طيور الربيع عنوانها « التفيفحى الاخضر » وهو عصفور صغير مغرد :

« تحت اغصان اشجار الفاكهة هذه التي تطرح
زهورها البيضاء كالثلج على رأسي ،
وضياء الشمس الوضاء منتثرا حولي
في طقس الربيع الخالي من السحب
في هذا الركن المنعزل ما احلى
ان اجلس على مقعدى بحديقة الفاكهه
واحيي العصافير والزهور مرة اخرى
اصدقائي من العام الماضى جميعا ·

●●●

بينما الطيور، والفراشات ، والزهور
تشكل جميعا جولة من المحبين
فانك في تنقلك الى اعلى واسفل العرائس
انما تصنع تلك بمفردك
حياة ، وجود مثل الهواء ،
توزع الغبطة دون عناء ،
اكثر سعادة من ان تتخذ لك اليفا
فمتعتك في ذلك ···· »

وفى قصيدة أخرى يخاطب وردز وورث طائر الوقواق الذى يبشر عادة بالربيع ، مطلقا عليه لقب « محبوب الربيع » :

ايها الوافد الجديد المرح ! لقد سمعتك ،
اسمعك وابتهج ·
ايها الوقواق ! هل اسميك طائرا
او مجرد صوت ضارب في الارض ؟

●●●

بينما ارقد على الحشائش
اسمع وقوقتك الثنائية
تبدو وكأنها تنتقل من تل الى تل
في ذات الوقت عن بعد وعن قرب
مع انك تفمغم فقط للوادى
عن ضوء الشمس والازهار ،
فانك تأتيني بقصة
عن ساعات حالمة ·

●●●

مرحبا ثم مرحبا ، يامحبوب الربيع !
ولكنك بالنسبة الى
لست طائرا ، بل انت شيء غير مرئي،
صوت ، سر غامض ···· »

وفى قصيدة تحمل عنوان « كتبت في الربيع المبكر » يتغنى وردزوورث بالسرور الذى يرى في الطبيعة والذى يبدو أنه قانون الكون كما توحى بذلك الطبيعة المزدهرة فى الربيع · ولكن الافكار السارة تثير في نفسه افكارا حزينة ، فيشكو مما يفعله الانسان باخيه الانسان ·

الطيور من حولي قفزت ولعبت
اما افكارها فلا أستطيع استكشافها
ولكن اقل حركة تأتى بها
بدت لى هزة سرور ·

●●●

نشرت الاغصان المزهرة مروحتها
لتمسك بالهواء العليل
وليس لى الا ان اظن ، مهما فعلت ،
ان كان هناك سرور ·

●●●

اذا كان هذا الاعتقاد مرسلا من السماء
اذا كانت تلك هى خطة الطبيعة المقدسة
الست على حق عندما ابكى
ما فعله الانسان بالانسان ؟ ··»

وهكذا نرى هنا مثلا من أمثلة ارتباط الربيع وجماله بفلسفة الكون وبالحياة الانسانية فى قصائد الشعراء · من امثلة ذلك ايضا قصيدة للشاعر جون كيتس (١٧٩٥ ـ ١٨٢١) بعنوان « مملكة الخيال » ، يتحدث فيها عن براعم وأجراس الربيع وعن نصل الحشيش يبلله الندى · وعن الطيور الحلوة تنشد الصباح والقبرة المبكرة فى شهر ابريل ، وعن مختلف الزهور وأوراق الشجر يغطيها لؤلؤ من رخات هذا

الشهر ، ولكنه يضمن القصيدة نغمة لا تخلو من الحزن ، عندما يشير ، كغيره من الشعراء ، الى سرعة زوال كل ذلك ، قائلا :

« ومتعة الربيع
تذبل كما تذبل براعمه المتفتحة • »

وفي قصيدة بعنوان « الفصول الانسانية » يقارن بين فصول السنة ومراحل الحياة الانسانية المختلفة على هذا الوجه :

اربعة فصول تكون السنة
واربعة فصول توجد في ذهن الانسان
فله ربيعه الغض ، عندما يستقبل الخيال الصافي
الجمال كله بخطوة سهلة !

***

وله صيفه ، عندما يحلو له بترف
ان يجد جدة الربيع المعسولة من افكار الشباب
وعن طريق مثل هذه الاحلام
يكون اقرب ما يمكن الى السماء ••»

***

اما الشاعر شيللي (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢) في قصيدته المسماة « رثاء » ، فيندب انقضاء الربيع والصيف ولكنه يتذكر ما استمتع به فيهما من سعادة :

ايها العالم ! ايها الحياة ! ايها الزمن !
يامن اتسلق اخر درجاتكم
ارتجف عند تلك التي كنت اقف عندها من قبل ،
متى يعود مجد الشباب
لن يعود ـ اه لن يعودابدا !
من النهار والليل
فر الفرح هاربا
الربيع النضر ، والصيف ، والشتاء الاشيب
تحرك قلبي الواهن بالحزن ، اما ان تحركه بالسرور
فلن تفعل ـ لن تفعل ابدا • »

***

ويعالج توماس جراى (١٧١٦ ـ ١٧٧١) الموضوع من وجهة نظر اخرى في « قصيدة عن الربيع » اذ ينذر الكل بالنهاية المحتومة • الموت يتربص بنا والحياة ستأتي حتما الى نهاية •• الا ان صوت الشباب يبدو وكأنه يقول : تلك فلسفة اولئك الذين غربت الشمس عليهم ومضى ربيعهم ، أما نحن فأغنيتنا هي :

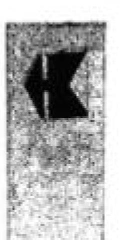
« سنلهو ما دام الوقت ربيعا • »

***

اما من ميدان الرواية فسنختار مثلين لاستخدام الربيع في صورة الحياة التي يقدمها الروائيون •

اول هذين المثلين نجده في رواية اميلي برونتي الشهيرة مرتفعات وذرنج التي تدور احداثها في احضان الطبيعة في قرية نائية من قرى مقاطعةيوركشير، على حافة الاحراش التي تتميز بجمالها الطبيعي الاخاذ وقسوة طقسها في ذات الوقت • وهنا نرى العلاقة واضحة بين ما يحدث في الرواية وبين مظاهر الطبيعة وتعاقب الفصول • وتعنى اميلي برونتيعنايةخاصة بتحديد زمنالاحداث وربطها بشهور السنة او فصولها • فالسيد ايرنشو ـ رب الاسرة ـ يذهب الى مدينة ليفربول مثلا في يوم من ايام الصيف ويعود بعد ثلاثة ايام حاملا معه هيثكليف الذى يصبح بطل القصة وشخصية من اشهر الشخصيات الروائية على الاطلاق •

وفي ليلة عاصفة تعترف كاثرين بطلة القصة بقبولها الزواج منلينتون الشاب الغني الوسيم ، بالرغم من حبها لهيثكليف ، لأن الاخير لم يعد اهلا لها ، بعد ان جعل من اخيها هندلي خادما بدلا من فرد من افراد الاسرة ، ويبلغ هذا القول سمع هيثكليف ، فيترك المنزل لا يلوى على شيء ، وتقع كاثرين فريسة المرض• ثم تشفى وتتزوج لينتون مع حلولالربيع، ويتمتع الزوجانبسعادة





هادئة طوال ما يقرب من ثلاثة اعوام الى ان يعود هيثكليف مرة أخرى ، وتكاد كاثرين تجن من فرط الفرح والسعادة ولكن سرعان ما يدب الخلاف بين هيثكليف وبين زوجها ادجار لينتون ، ويحرم على هيثكليف العودة الى المنزل بينما تصاب كاثرين بنكسة . يقع أثناءها وفي الربيع ايضا لقاء بينها وبين هيثكليف يعد قمة علاقة الحب الغريبة التى تربط بينهما . فهو اللقاء الاخير بينهما ، لقاء مفعم بالحب العاصف الرقيق المعذب الذى تحيط به اللوعة والاسى واللوم واللعنة وطلب المغفرة والدموع والقبلات فى آن واحد . وهو لقاء يأخذ مكانه فى يوم من أجمل أيام الربيع واقربها الى دفء الصيف وشمسه الساطعة .

اما كاثرين التى لا تستطيع تحمل انفعالات هذا اللقاء الجارفة ، فلا تفيق بعده ، انما تلد ابنتها عند منتصف الليل وتموت بعدها بحوالى ساعتين .. ويستمر الجو الجميل عند مولد كاثى الصغيرة وحتى دفن امها ، ثم يتغير فجأة ، فتهب الريح الباردة وتهطل الأمطار وتسقط الثلوج .

واثناء مرض كاثرين ، وعند بداية الربيع تجلس بجوار النافذة وترنو بعينيها الى المرتفعات التى كان يحلو لها ارتيادها قبل زواجها ، فيقول زوجها : فى الربيع الماضى كنت اتوق الى وجودك تحت سقفى ، اما اليوم فكم اتمنى ان تكونى قادرة على الوجود هناك بعيدا حيث هواء المرتفعات الذى قد يعيد اليك القوة والصحة . بينما ترى كاثرين فى حديث آخر لها ان الربيع التالى لن يجدها على قيد الحياة .

وبينما يسود الجو الربيعى والشعور بالسلام والسكينة فى الايام السابقة لدفن كاثرين ، تشتد العاصفة بعد دفنها بحيث يصعب كما تقول الرواية أن يصدق المرء انه كانت هناك ثلاثة أسابيع من الجو الصيفى قبل ذلك ، اذ فجأة تختفى زهور الربيع تحت الريح الثلجية وتتوقف العصافير عن الغناء ، وتسود أوراق الشجر الحديثة الظهور ، ويزحف صباح اليوم التالى حزينا باردا . ولعل رمزية هذا المشهد المتغير لا يحتاج الى تفسير .

وتمر حوالى ثمانى عشرة سنة بعد ذلك ، وبعد عدة أحداث مثيرة ، منها : هرب ايزابيلا اخت ادجار لينتون مع هيثكليف وزواجها منه ، ثم مولد ابن لها بعد تركها لزوجها لما تحس به من شقاء وعذاب فى الحياة معه ، ثم موتها هى وعودة ابنها الى خاله أولا ثم الى والده هيثكليف ، وقصة حب ثم زواج بالاكراه بينه وبين ابنة خاله كاثى الصغيرة . وأخيرا موته بعد زواجه بوقت قصير ، وموت الخال ، وبقاء كاثرين وهاريتون المثل الاخير لاسرة ايرنشو ، وحفيد ايرنشو الجد وابن هندلى ـ عدو هيثكليف الاول .

وبغتة وبينما هيثكليف يكاد يشبع رغبته الجنونية فى الثأر والانتقام من آخر افراد الاسرتين اللتين حرمه بعض افرادها من حبه الذى ملك عليه قلبه ونفسه بحرمانه من كاثرين يتقارب هذان الشابان بعد جفاء فى علاقة حب جديدة ، ويفقد هيثكليف كل رغبة فى الانتقام .

ففى الربيع يضطر هاريتون الى البقاء فى المنزل نتيجة لحادث يلم به أثناء عمله فى الخارج فيجتمع بدرجة اكبر بكاثرين وينمو الحب بينهما . هذا بينما يطرأ تغيير مفاجىء فى سلوك هيثكليف فيمتنع عن الاكل والشرب وتبدو ابتسامة مخيفة على وجهه ، ويعترف أخيرا للراوية انه على وشك الوصول الى جنته ، اى الى الاتحاد بكاثرين ، وبالفعل يجدونه ميتا فى صباح يوم بعد ليلة ممطرة .

وهكذا فى الربيع تصل قصة الحب الاساسية ، حب كاثرين وهيثكليف الى نهايتها الطبيعية بلقاء المحبين فى العالم الآخر ، وتبدأ قصة حب أخرى بين محبين من جيل جديد وهكذا تستمر دورة الحياة كما يستمر تعاقب الفصول .

***

وفى رواية قوس قزح للروائى الانجليزى المعروف د . هـ . لورنس (١٨٨٥ ــ ١٩٣٠) نجد ايضا صورة لعلاقة الحب فى ثلاثة أجيال متعاقبة من نفس الاسرة ، ومرة أخرى نحس بالعلاقة الكامنة بين ما يقع للشخصيات من احداث وما يحسون به من احاسيس وبين ما يحدث فى الطبيعة من تغييرات ومرة اخرى يلعب الربيع دوره ويحمل دلالاته الرمزية الواضحة .

وتبدأ علاقة الحب الاولى بأن يلتقى توم برانجوين « فى بداية العام » بسيدة بولندية يحس لأول وهلة انها تلك المرأة التى سيحبها ويتزوجها ، ولكن تمضى فترة من الزمن وهو غير قادر على الذهاب لطلب يدها ، فهو يحبها ويعلم الا مفر من الزواج منها



شيلى

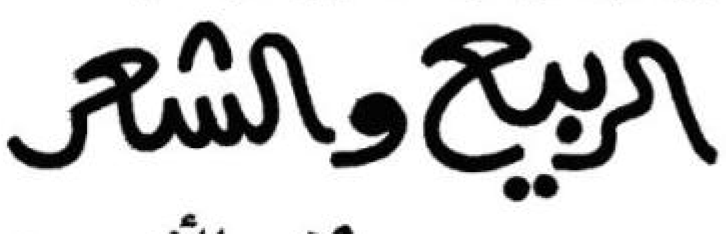
ولكنه يحتاج الى الوقت ليقرر ذلك بشكل قاطع ، وأخيرا فى أمسية من امسيات شهر مارس والريح تزمجر ، يذهب اليها حاملا بعض زهور النرجس البرى الاصفر ، رمز الربيع والحب ، واثناء قطفه لتلك الزهور قبل ذهابه كانت الريح تزمجر فى شجر التفاح وكانت الزهور الصفراء تتمايل فى عنف الى اعلى واسفل ، واثناء ذهابه كانت الريح تكاد تقتلع الزهور من بين يديه ، اما عند عودته فكان يشعر بالقمر والسحب ولمعان الضوء وسط البخار ، مع ما لكل ذلك من دلالات رمزية لا تخفى على القارىء .

وفى تصور المحب لمحبوبته يراها محاطة بزهور الربيع وغناء الطيور والخضرة وصوت البحر والنور . « كانت تحيط بها خضرة وزرقة ولون فضى » و « ترى الزهور بين الاشجار ويسمع خرير الماء فى النهيرات تحت الاشجار » (١) .

وعندما يلتقى أبناء الجيل التالى : انا وابن عمها ويل لاول مرة ، فالجو صيفى والنور يغمر الكون وفى ملتقى الضياء تزهو الفتاة انا .

اما الجيل الثالث الذى تمثله اورسولا فينتهى به الحال الى تجربة حب فاشلة ، تحس اورسولا فى آخرها ومع صفحات الكتاب الاخيرة انها كالثمرة الجافة فى اواخر فبراير فى سبيلها الى الخروج من القشرة لتنمو من جديد ، فهى قريبة من الارض ومن الانبات . كما تشعر وكأنها زهرة هشة رقيقة ، صافية تتفتح فى آخر الشتاء ، لتنمو فى ربيع جديد وعالم جديد يلقى فيه قوس قزح بألوانه الجميلة المتعددة ، رمزا لأمل متجدد ، لا يخبو .

(١) لزيادة التفصيل انظر كتاب : « بين الروائى والرواية » (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ــ ١٩٧٢) ص ١٦٩ ــ ٢٣٦ .



في الأدب الإيطالي

الربيع فصل الزهر والطير وكل أحياء الارض ، تتجدد فيه الطبيعة وتنطلق في أروع صورها كأنشودة حلوة في أفـــواه الصغار . عرفه الايطاليون القـدماء والرومان كأول فصل من فصـــول السنة ، وكان له منذ أقدم العصور جماله وجلاله ، بل وقدسيته ..

وعن الربيع يكتب المؤرخ الروماني تيتو ليفيو فيقول « اعتاد الرومـان والايطاليون القدماء أن ينذروا لاحدى الآلهة – في أوقات الخطر والمحن – كل ما « يولد » لهم في أول ربيـــع يحل : أي في الفتـــرة ما بين أول مارس وآخر ابريل ، حتى تنقشع عنهم الكوارث وأخطارها » . وفي بادىء الأمر كان النذر يشـمل أيضا الأطفال من مواليد « الربيع المقدس » ، إلا أنه تقرر بعد ذلك ابعادهم خـــارج حدود الوطن متى بلغوا العشرين من عمرهم . ثم بعد ذلك أخذوا يقصرون النذر على الحيوانات فقط .

والآن وقد ذهب الرومان والقدماء وذهبت معهم معتقداتهم واحتفالاتهم، ظل الربيع خالدا يتجدد ويحمـــل مع حلو نسيمه ، وعذب أنغامه ، وعبق رحيقه ، وصفاء ألوانه ايمـــاءاته العذبة ، فكان دائما مصدر الهـــام للشـــعراء والفنانين في مختلف البلاد والأزمنة .

نقرأ كيف يتحدث أرق وأعـــذب شعراء ايطاليا ، بتراركا عن الربيع وقد أحيا في نفسه ذكرى حبيبة ، لم يعد له اليها سبيل .. هذه بعض من أشــــعاره بعد أن فارقته جميلته « لاورا » :

« تعود رياح الغرب ونســـماتها الحلوة ،
وصحبتها العـــذبة من عشب ومن زهر ،
تنشد السونونوة وينوح البلبل ،
انه الربيع الناصع والقرمزي .
تضــحك المراعي ويعود للســماء صفاؤها ،
يبتهج « جوبتر » لرؤية ابنته ،
الهواء والماء والأرض ملأى بالحب ،
كل حي لحبيبه يأنس .
أما أنا ، ويحي ! ، تعاودني أقسى الزفرات
حفرتها في أعماقي
من حملت الى السماء مفتـــاح الفؤاد ،
فغناء الطير ، وزهر الوادي
وجميل خصال الحسناوات ،

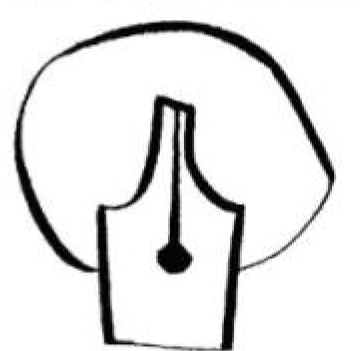
د. سوزان اسكندر

صحراء موحشة ضارية » ٠

ان حزن « بترارکا » وألمه ، وقد عبر عنهما في أبيات شعره ، قد طغيا على مشاعره تجاه الربيع ٠٠ كاد بترارکا الا يتغنى بالربيع ، وكاد وصفه يتسم بالوصف الجاف لمظاهر الطبيعة وان كانت رائعة ٠ فقلبه لا يفرح ولا يبتهج وقد اغلقه موت « لاورا » وحرم عليه الحياة والفرحة وان كانت بالربيع ٠ وما ان تشتعل مشاعره وما أن تكتسب كلماته حرارتها الا ليعبر عن كدره وهمه من اجل « لاورا » التي غلبت الربيع في قلبه وفي نفسه ٠٠

***

الا ان صفحات الادب الايطالي تزخر بالاشعار المرحة والفرحة ،التي تدعو الى الاستمتاع بالحياة في



الربيع ، وقد قدمت فيه الطبيعة وسائل السعادة والبهجة الى نفس الانسان فاشعار لورنسو دي ميدتش (١٤٤٩ ـ ١٤٩٢) ، واناشيد انجلو بوليتسيانو (١٤٥٤ ـ ١٤٩٤) تبعث في القارىء هذا الاحساس ، فالشاعر يطلب من الجميع أن يتركوا كل ما يمكن أن يبعدهم عن المتعة واللهو ليتمسوا بكل ما هو جميل في الحياة وفي الشباب الذى يفر هاربا بلا عودة ، فالحياة الخ والشباب والجمال فرصة من فرص الحياة التي يحث الشاعر على اغتنامها مهما كانت الظروف ٠

وممن اشتهروا باسم شعراء الطبيعة ، حيث تغنى كثيرا بها في اشعاره ، وأحس في اسرارها بجمال وجلال الكون والخليقة ـ نذكر جوفاني باسكولي (١٨٥٥ ـ ١٩١٢) ، يحل ذات ربيع بالشاعر وهو بعيد عن أرض مولده أوربينو ، حيث نشأ وتلقى علومه في مدارس الكابوتشين ، ويستجيب للذكريات وللحنين ، فتنقله النسمات الرقيقة الى جو آخر والى مكان آخر والى حياة اخرى ، حياة الطفولة السعيدة ، يسمع أصداء صيحات رفقاء صباه وهم يتمتعون بلهوهم٠ وهكذا يوقظ هواء الربيع في نفس باسكولي ذكريات الماضي المحببة ، فيجوب في أرجائها ويلتقط لحظاتها الحلوة السعيدة ويتغنى بهذه الابيات بعنوان « طيارة من ورق » :

« ثمة جديد بالشمس ،
بل هو بالعتيق ، انى اعيش هناك ،
أحس زهرات البنفسج من حولي
في بستان الدير ،
دير الكابوتشين ، وسط وريقات جافة
ينثرها الريح حول شجر البلوط ٠
اتنسم هواء حلوا ، يذيب

اكوام الجليد ، ويملا الكنائس
بالريف ، وقد غطى العشب اعتابها •
انه نسيم مكان اخر ، وشهر اخر
وحياة أخرى : نسيم سماوى ،
يحمل اجنحة كثيرة بيضاء معلقة ••
نعم ، طيارات من الورق ! •••

***

وإذا ما تحدث شعراء كثيرون قدماء كانوا او محدثين عن الربيع التقليدى ، يوجه دييجو فاليرى حديثه الى ربيع فريد من نوعه ، انه الربيع فى فينيسيا او « المدينة العائمة » على مياه البحر :

« التمسها تحت الصخر ، مكتومة
انتفاضة الارض الثائرة ،
فى عنف فتى سجين ؟
أتحس بهذه النفحة الهائلة ترفع
قصورا ، وقبابا نحو السماء ،
والى السماء تذرى جبالا
من سحب فضية ، وتفتح جروحا ،
من ضوء ازرق ، حى كالدم ؟ •
يا لك من ربيع لا تزدهر •
على أغصان الخوخ ، ولا تلمع
على عود من العشب ، ولا تتهل فى
الهواء ،
بألف شفة ، الشمس والندى ،
ولا تنسكب كجدول فى مجراه ،
ولا تنحدر مع أمواج النهر الطويلة
فى السهول ••• أيا أيها الربيع
الاسير ،
وما اعرف اعذب ولا اجمل منك ،
وانت تبتهج تجلو
بريق المياه والسماء ، وبصفير
حاد لسنونوة ، وبدوى جرس يسرى
وبهفهفة بيضاء
للابس تحت الشمس ، وبرجفة شراع
ذهبى فى رياح تملؤه لتفرغه ،
يا لك من ربيع لا تعطى زهرا ،
ويا لك من شباب بلين الفؤاد •• »

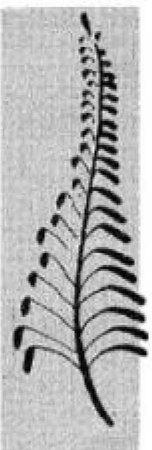
***

ومن الشعراء المحدثين من تغنى بالربيع باسلوب العصر ، مثل الشاعر الرمزى ساندرو بينا – وهو من مواليد ١٩٠٦ – فى قصيدة له اجاد التعبير فيها عن حيرة الانسان المعاصر وقلقه ، بل واحساسه أيضا بالضياع •

وقد استطاع الشاعر ان يعكس هذه الاحاسيس فى براعة ورشاقة على كل ما حوله من زرع ومياه ، ومن شباب يحسه ويراه وميضا خاطفا :

« سلام نفس حائر تحت سماء ابريل
الخضرة الزاهية تتحرك الان
تحت الريح لاهية • ما زالت تنام
المياه ، ولكن عينيها متيقظة •
صبية على العشب يجرون ، ويبدو
كان الريح تشتهيهم : وما مشتت
الفؤادى ، وقد بقى له وميض
نابض (الشباب) لقمصانهم
البيضاء المطبوعة على الخضرة » •

الربيع
والشعر





من وحي الليالي الشعرية

هل للقريض وحلو الشعر من باقي
أم انقضى بين آهات وعشاق
في الجاهلية والاسلام ما تركت
منه الفحول لذى قول وإطراق

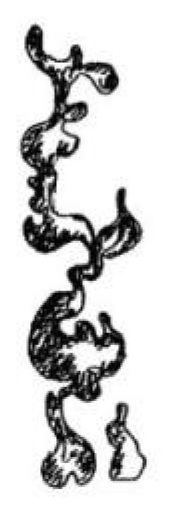


فسل زهيرا وحسانا وما صنعا
بالشعر بين هدايات وإخفاق
من قائل يدفع الشيطان قولته
وآخر لرضاه الله تواق



أيام حسان من ندمان جبله في
رحاب جلق بين الكاس والساقي
في فتيه من بني غسان هيأهم
للملك ما ورثوا من طيب أعراق

من وحي الليالي



قد كان للشعرِ فيما مر من زمنٍ
حكم على الناسِ من والٍ وأفّاق

نالَ الرضا ابن زهير بعد سقطته
فيا لحلم رسول الله عن عـاق

عفا محمد عن كعب إذ أنشـده
بانت سعاد فيا للشـعر من واقى

هذى سـكينه فى جمع بمجلسهـا
تطارح الشعر فى نقـد بأعمـاق

يوم صالونها ما بينَ محـترف
للقولِ أو ناشد للشـعر ذواق

تدين فيهِ جريرا فى قصـيدته
لطارق فى سوادِ الليل مشـتاق

لقوله وهو لاهٍ غيرَ مـرتقب
عد بالسلامة وارجـع دون إشفاق

مضى الفرزدق كم ضمت قصائده
من شاعر مبدع الألفـاظِ خلاق

وأين عهدُ أبى تمـام بتحفتنـا
بحكمه الشعر فى يسرٍ وامـلاق

وكم روائعَ غنّى البحترى بهـا
حتى لتحسبها أطـواق أعنـاق

واذكر دمشقَ وما كانت تعج بهِ
من مادحٍ لأمـيرٍ أو لعمـلاق

وما تجلت به بغدادُ يبهجهـــا
عصر الخلافة من مَجـد وإشراق
ما أمة فقـــدت من شـاعر يتها
إلا وقيدُها حـُـكم بأطـــواق
فالشعرُ للشعب روح يستمِد بها
سر الحياة وبعليــه لآفـاق
لله در فحولُ الشعر ما تركوا
لقائلِ بعدَهم للشـــعر تشاق
لكن أحفادهم بالنيل قــد ورثوا
نبعا مِنَ الشعر لا تحصيه أوراقى
يقوم فى ملتقى النيلين مربدهم
وفى النوادى عكاظ مِن أسواقِ
توارثوا الشعر طبعا فى فصاحتهم
فكان سحرا ولـــكن ما له راقِى
غـدا به النيل عذبا من منابعِه
حتى المصب بفيض منـــهُ دفاق
بوركتَ يا وطنى فى كل مرحلـة
إنى أحبكَ من قلبى وأعمـــاقى



● الخرطوم ● ● عثمان محمد هاشم ●

● عاطف مصطفى ●



يلعب الربيع فى حياة ادبائنا ومفكرينا دورا كبيرا ، فحملة الاقلام من شعراء وكتاب وفنانين ، يلهمهم الربيع ، ويلهب خيالهم بالكثير من كتاباتهم ، وابداعهم على طول مسيرتهم الطويلة متمثلين فيه الخصب والنماء وصفاء السماء وجمال الطبيعة الاخاذ اللذى يضفى ثراء فنيا ، والوانا متجددة فى نتاجهم الغزير .. فالربيع فى حياتهم له شـان واثره واضح المعالم فيما انتجوا ، وفيما الفوا مما كان له عظيم الاثر فى تراثنا الادبى وحضارتنا الفنية .

وعن الربيع يحدثنا ادباء وكتاب كان للربيع فى كتاباتهم نصيب موفور وملموس ..

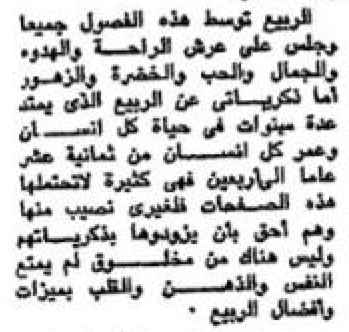
.. يقول فكـرى اباظة : سبحانه وتعالى جلت حكمته، وجلت رحمته، خلق الفصول الاربعة : الشتاء والصيف، والخريف، ثم عزيـزى وصديقى « الربيع »، ولست اول كاتب يحب الربيع ويعشقه، وانما تاريخ كل كتاب العالم القديم والحديث ، وكل شعراء العالم نشروا اروع ما كتبـوه عن الربيع ، والقصصيون الكبار جعلوا قصصهم عن الربيع ، واكثـر ما يعجبنى قصيدة البحترى عن الربيع ...

ويقال اكبر الشعراء فى رايى من عهد الجاهلية حتى اليوم « احمد شوقى » فى مقدمة لمجموعة مقالاتى الاولى فى « الاهرام » هذه القصيدة ، وقد استعار فى تحليله الجميل « الربيع » الذى وصف به مقالاتى فقال :

فكرى « الفت القوم علو بلاغة
وزففت محضـا للنهى ولبابا
مازلت تلقر كل طيبة الشـذى
حتى جمعت من الزهور كتابا
فاتى الذ من « الربيع » وعهده
فصلا وامتع فى البـدائع بابا

ولا ادرى ماذا قصد الذين اطلقوا اسماء على الشهـور بالربيع الاول والربيع الثـانى ، ولكن الذى لفت نظرى بكل اجلال ان سيد الانبيـاء محمد عليه الصلاة والسلام نحتفل بعيـده فى الثـانى عشر من ربيع الاول ، ومجرد ذكر الربيع محفوفـا بالاجلال والاحترام ، يدل على قيمته الخالدة المباركة .. فاذا ما طرقنا باب « السياسة » ، فان ثورة التصحيح التى يتزعمها الرئيس « السـادات » بدات فى منتصف الربيع « ١٤ ، ١٥ مايو » ومايو فى صـميم الربيع ، ووفقه الله حتى يقرن النصر الاول بالنصر الاخير الكامل ان شاء الله .

ومحظوظون نحن الكتاب والشعراء


فكرى اباظة — د. رشاد رشدى

والقصصين من عهد الخليقة حتى اليوم اذا اسعدنا الربيع فزود بصفاء البدن ، وصفاء الذهن في جوه الجميل ، فاحس « القلب » بالحب ، وتمتع الانف برائحة الزهور الذكية من ورد وريحان ، وفل وياسمين وبنفسج الى اخر القائمة التى تملأ الصدور والنفس سعادة وأملا بالحياة ..

ولعل الجنة التي وعد بها الله سبحانه وتعالى المؤمنين الخالدين ستكون « ربيعا » الى الابد ! فقد ورد في وصفها الانهار التى تجرى تحتها ، والخضرة والزهر الذى تملأ كل جوانبها ، والحب الحلال والحور الحسان وكل ذلك ربيع فى ربيع .

ولا يغضب مني « الشتاء » اذا شكوت من قسوته ، وبرده ، وثلجه، ومطره، واحتباسنا في البيوت، بينما الربيع يرحب بنا في كل وقت من اوقات النهار والليل .. ولا يغضب مني الصيف اذا شكوت من قيظه وحرارته وعرقه وضيقه وامراضه واوبئته المعدية الخطيرة .. ولا يغضب مني الخريف اذا تناثرت اوراقه ، وجفت خضرته وانتلعت رياحه فلم نستطع ان نستريح في ايامه الثائرة ..

الربيع توسط هذه الفصول جميعا وجلس على عرش الراحة والهدوء والجمال والحب والخضرة والزهور أما ذكرياتي عن الربيع الذى يمتد عدة سنوات في حياة كل انسان وعمر كل انسان من ثمانية عشر عاما الى الاربعين فهى كثيرة لاتحتملها هذه الصفحات فلغيرى نصيب منها وهم احق بأن يزينوها بذكرياتهم وليس هناك من مخلوق لم يمتع النفس والذهن والقلب بميزات وافضال الربيع .

والمدهش بجانب هذا كله ان كتبي ومؤلفاتي التى تجاوزت خمسة عشر مؤلفا ، الفتها كلها واصدرتها في الربيع ، والمدهش اكثر من هذا انني بدأت احرر اول مقال في « الاهرام » في ابريل سنة ١٩١٨ ووفقني الله كل التوفيق ، فكانوا ينادون باسمي على الاهرام - ورحمة الله على الماضي الجميل ! ..

والمدهش اكثر أن أول اذاعة اذعتها ، كانت في أوائل مايو سنة ١٩٣٤ بين ثلاثة الاف اذاعة من ذلك التاريخ حتى اليوم ، واضف اليها مائتي اذاعة تليفزيونية في الربيع أيضا ، أول ما ظهر التليفزيون في مصر .

وفي ذات يوم من أيام الربيع أواخر مايو سنة١٩٥٥ كنت في شمال اسكتلنده ، وهي في نظرى من أجمل بلاد العالم ، فاحسست في احلام اليقظة أن ثورة حامية قد نشبت بين اجزاء جسمي ، واخذ كل جزء من جسمي يدعى انه وليد الربيع ، وأن الحب الاول كان لوحده - ويعذرني القارىء - اذا نشرت منا هذا الزجل المكسور ، الذى أرخ هذه الفتنة



الاهلية فى داخل ـ فكرى اباظة ـ وكان العنوان« الحب والربيع » اقول فى مطلعه :

الاوله فى الحب يا اخوانا انا
سهم الحليوه أول مايرمى بيرميني انا
بشوفه أولا انا ·· واعشقه أولا انا!
ولا اكمل فهو زجل طويل وجميل الا فى بعض كسور الوزن ·

ثم يختتم فكرى اباظة بقوله : والى اللقاء فى ربيع اخر واخر واخر ان شاء الله ··

***

وعن الربيع يقول الاستاذ ابراهيم المصرى :

فى الربيع تزدهر الطبيعة ، ويتقد الذهن ، ويتفتح القلب ، ويصبو الى العواطف والمشاعر التى تملأ النفس شوقا الى الجمال ، وتوقا الى الحب ، واملا فى السعادة ، ورغبة عنيفة فى الحياة ···

وانا فى الربيع استحيل الى انسان اخر ، فيرتد الى فجاة شبابى ويخفق دمى فى عروقى ، واحس كانى ارى الدنيا لاول مرة واستكشف روائعها بعين جديدة وفكر جديد ··

ومما لمسته فى نفسى أن الربيع يضاعف من قوى عقلى ويلهمنى . فلا استطيع الا أن اخرج الى الطبيعة واتملى من محاسنها ثم اندفع ، واتصل بالناس ، واندمج فيهم ، والاحظهم ، ثم اكتب ما يعن لى ، وانا فى وقدة غامرة من الصحة والقوة والنشاط ·· فحصارة الارض تغلى فى الربيع ، وكذلك هى تغلى فى عقل الانسان ·· ففى الربيع ، ومن وحى الربيع ، ومما يبعثه فى الذهن من حرارة وتوقد وتوثب ·· وضعت انا اربعة من كتبى هى « الوجه والقناع » و « اغلال القلب » و « ضحكات القدر » و « خبز الاقوياء » ··

ولقد حدث لى منذ اعوام ، وكنا فى مطلع الربيع والطبيعة قد اتخذت زينتها ، وبدت فى أروع الحلل ·· حدث ان عرفت امراة فى مقتبل صباها ، جميلة جمالا يخطف البصر ، ويسلب اللب ، استبد بها زوجها واشقاها ، فتعلقت بشاب ، واحبته حبا خارقا ، حبا نقيا بريئا ، حبا لم تشبه شائبة من دنس ، حبا أودعته صفوة مشاعرها المكبوتة المخنوقة ، وتسامت به الى ذروة من الوجد الصوفى العجيب · ثم مات الشاب فى يوم مكفهر عاصف ، فظلت المراة امينة على حبه ، وفية لذكراه حتى ابرات ذمتها ، وزوجت اولادها ، ثم لبت نداء حبيبها ، وماتت هى الاخرى فى مثل ذلك اليوم المكفهر العاصف الذى مات فيه الشاب ·· فهذه المراه العظيمة فى حبها الثابت العلوى ، الطاهر العفيف ، اوحت الى قصة « النداء الاعلى » التى يجدها القارىء فى كتابى « اغلال القلب » ··

ولولا ما انطوت عليه هذه القصة من قيمة انسانية عميقة ، ولولا القوة التى الهبها الربيع فى ذهنى اذ ذاك ، ما استطعت أن اكتب القصة ، وأصور فيها ماساة تلك الروح الفذة المثالية التى جاهدت مشتهياتها جهاد المستميت ، وعاشت معذبة ، ومحرومة وماتت دون أن تدنس مثلها الاعلى ··

***

والربيع عند الدكتور رشاد رشدى هو البعث ، وتجدد الحياة ··· ثم يقول : لقد أوحى الربيع الى باكثر

كتاباتى ومنها « حبيبتى سامحينا » و« لعبة الحب و« الحب فى حياتى » و« الرجل والجيل »، وانا اجد فى الربيع دائما مصدرا للرغبة فى الحياة ·· والرغبة فى الحياة عندى مقرونة بالرغبة فى الخلق ، لان الخلق او الابداع الفنى عندى هو كيانى ، والسبب فى وجودى ، وبدونه لا اوجد ··

واكثر ما يبدو فى الربيع مظاهر البعث فى النبات بما فى ذلك الشجر والزهور والورود ، ولذلك فانى احتفظ دائما بمجموعة من النبات والزهور التى ارى الحياة تدب فيها وتعود اليها عندما يبدأ الربيع يوما بعد يوم ، فاذا بالغصن الجاف الذى يتكسر بسهولة اثناء الشتاء وكأنه قد مات ، راح يخضر ويشتد العود ·· عوده ، وما هى الا ايام حتى يزدهر ، وهذه هى معجزات الحياة ، وأعتقد أن الحياة كلها معجزة ، وأنا أحب المعجزات ، وأنها لا نهاية لها ، وأن الفناء انما هو وهم ، والحقيقة ان ما يبدو وكأنه قد زال او انتهى او مات ، فانه فى الواقع يمر بمرحلة تحول من حياة الى حياة أخرى، لاتقل، بل تزيد جمالا عما كانت عليه ، وليس فى هذا اى مبالغة اذا دققنا النظر او لاحظنا كيف تنمو وتتطور حياة النباتات وليس الانسان هو الكون وحده ، وانما الكون هو كل ما خلق الله ، ووجود الله فى جميع ما خلق من نبات وحيوان وانسان ، وهو وجود يتضح ويتمثل للعين، بما لا يقبل الشك عندما يأتى الربيع ··

وانا اعتقد أن الربيع الذى يعطينى صورة متجددة انه لا فناء ، ولايقترن عمل السبب فيه بمصدره وهى الربيع باى نظرة تشاؤمية ، وهذا ينطبق بالنسبة للكثير من كتاباتى ، فانا دائما اصحو مع الربيع ، وأجد نفسى كثير الكلام اثناء الربيع حتى لو لم اكتب ، وكما لو ان الحياة تنطلق من جديد ، او كأننى ولدت ، ولكن ليس طفلا ، بل انسانا مكتملا متفتحا على كل ما فى الحياة من جمال خلقه الله ، وهذا أسمى انواع الجمال ·

***

وعن الربيع يقول الدكتور مهندس سيد كريم . ليس هناك من شك فى ان الربيع ترك بصمات كثيرة على عملى وكان نتاجه ملموسا فى تصميمات كثيرة والانشاءات قمت بعملها على مستوى امتنا العربية ، ولكن كل ما اريد قوله ، وما أحب ان يعرفه قراء الهلال ان الربيع ولد فى مصر ·· فقد كان المصرى القديم اول من شاهد مولد الربيع ، حدد موعده عندما وضع اول تقويم زمنى عرفته البشرية واهداه للعالم أجمع ليسير على هديه وبمقتضاه الى اليوم ··

ولما كان التقويم المصرى يرتبط بالظواهر الفلكية وعلاقتها بالطبيعة ومظاهر الحياة فقد حدد ميعاد الربيع بالانقلاب الربيعى ، وهو اليوم الذى يتساوى فيه الليل والنهار وقت حلول الشمس فى برج الحمل وهو أواخر شهر برمهات فى تقويمهم القديم · ووصفوا ذلك اليوم فى كتابهم المقدس ومتون كتاب الموتى بانه اول الزمان وبدء خلق العالم وكانوا يحتفلون ذلك اليوم والاحتفال باعلانه فى ليلة الرؤيا او لحظة الرؤيا عند الهرم الاكبر التى وصفوها بقولهم ، عندما يجلس الله على عرش السماء فوق قمة الهرم الاكبر وهى الساعة السادسة تماما من ذلك اليوم (الذى يوافق ٢١ مارس فى التقويم الحديث) حيث يجتمع الناس فى احتفال رسمى امام الواجهة الشمالية للهرم حيث يظهر قرص الشمس فى مسيرة



الغروب، وخلال دقائق محدودة وكأنه يجلس فوق قمة الهرم وتظهر معجزة الرؤيا عندما يشطر ضوء الشمس وانعكاسات ظلالها واجهة الهرم الى شطرين (لغز الهرم الاكبر) وأطلق قدماء المصريين على ذلك العيد اسم عيد شمو أو شم أى بعث الحيـاة وهى التى أضيفت اليها كلمة النسيم الذى يعلن مقدم الربيع فتحول الى الاسم المعروف « شم النسيم »، وكان احتفالهم به لاول مـرة فى الاسرة الثالثة فى عصر الاهرام .. وهكذا كان المصرى القديم اول من شـاهد مولد الربيع وحدد موعـده وأعطاه اسـمه واحتفل باستقباله كعيد دينى ودنيوى رسمى وشـعبى ... احتفل به دينيا باقامة حفـلات القداس ، وصلوات الشكر للاله فى المعابد وفى الحقول مع ظهور نور الاله فى العيد عند شروق الشمس .

كان الاحتفال به دينيـا كما ورد فى متون الاهرام ، وبرديات الكتاب المقدس (كتاب الموتى) بتقديم قرابين الشكر للاله مما يقدمه الاله لهم فى عيد الخلق من زهـور ومحاصيل نباتية ونتاج حيوانى ، فقد ورد فى أحد نصوص كتـاب الموتى أن الاله حدد مولد الربيع ليذكرالبشر بوجوده ممثلا فى ايـات البعث فى مختلف صورها . بعث الحيـاة فى الحبة المدفونة لتشق الارض وينمو النبـات وتتفتح زهوره . وفى الاشجارالجافة وأغصانها الميتة لتعود اليها مـاء الحياة فتكسوها الخضرة وتزهـر براعمها وتبنى الطيور أعشاشـها وتضع البيض فيخرج الحيـاة من الجماد عندما يخرج « الكتكوت » من البيضة . وتبعث الحيـاة فى الاجنة النباتية والحيـوانية والبشرية لترى جميعهـا النـور . نور الاله الذى خلقها وأخرجهـا من العدم لتدور دورتها التى رسمها لها الاله وتعـود ثانيـة من الارض التى خرجت منها لتعـود اليها ثانية . فالعلاقة بين الربيع وفلسفة الوجود والخلود عبر عنها الفراعنة أدق وأرق تعبير ...

كما احتفل الفراعنة بالربيع دنيويا بعيد « شم » أو « شم النسيم » .. استوحوا طريقة الاحتفال به، وتقاليد استقباله .. شاهـدوا الطبيعة وهى تستقبل الربيع بأبهى ازيائها وتتعطر بأجمل أريج زهورها وتشـترك معها الطيور وهى تشـدو بتغريدها والحشرات من نحـل وفـراش ترقص وهى تتنقل بين الزهـور والبراعم لتشترك مع رقصات الاغصـان مع نسيم الربيع .. تلك السـيمفونية الخالدة التى وصـفها الفراعنة فى برديات أدب العقيدة والحب أبـدع وصف .. حاكوا الطبيعة فاستقبلوا العيد بارتداء أجمل الملابس وتعطروا بالروائح التى استخرجوها من زهور الربيع وزينوا مساكنهم بما قدمته لهم الطبيعة من زهور وورود وتصدرت موائد العيد ، البيض رمز الحياة ومختلف فواكـه وخضروات الربيع التى قدمتها لهم الطبيعة ..

لقـد انتقل عيـد الربيع أو عيد « شم النسيم » من مصر الى مختلف شـعوب العالم القديمة والحديثة ، انتقل الى العالم الحديث بتقاليـده وطريقة الاحتفال به ، وانتقلت بيضة شم النسيم « رمز بعث الحياة » ـ وأخرج الحيـاة من الجمـاد فأخرج الكتكوت من البيضة ، انتقلت كرمز

للاحتفال بالربيع فى جميع انحـــاء العالم .

لقد ارتبط بعيد الربيع عند قدماء المصريين عدة أعياد اخرى ـ كانوا اول من احتفل بها ؛ واهدوها للعالم اجمع ليشاركهم فى الاحتفـال بها من بينها عيد شجرة الميلاد التى ترمـز الى شجرة الحياة التى احتفظتبروح اوزوريس التى حملت منها ايزيس ـ نظرية الثالوث المقدس ـ ، ثمعيد الام التى عبروا عنها بايزيس وهى تحمل ابنها حورس الذى ولدتـه فى عيد الربيع واتخذوا من ايزيس الام رمزا للخصب وحماية الطفل واستـمرار الحياة ...

لقد اطلق قدمـاء المصريين على الربيع اكثر من اســم اقدمها عيد الخلق وعيد البعث وعيد النور ، أو نور الاله وعيد صحـوة الطبيعة كما وصفوه فى بعض اغانيهم بعيد الحب وصحوة القلب ، ولـذا فقد ارتبطت كثير من اغانى الحب واناشـيده بالربيع ، وقد حفظت لنا وثـائق البردى مجمـوعة كاملة من اغانى الربيع واناشيده ، منها ما كان للالهة ومنها ما كان للطبيعة وصحوتها ... ومنهـــا ما كان للحب أو للقلب وصحوته ، وقد سبق نشر كثير منها فى مقالى بالهــلال « أجمل اغانى للحب عند الفراعنة » و « اعيــاد الفراعنة » . ويمكن اضـافة امثـال اخرى اليها فيمـا ورد فى احـدى برديات الدولة الحديثة ...

● لقـد حـل الربيع .. الجميع يحتفلون بحلوله فغنى الجميع للحب الزهور تفتحت واكتست باجملوازهى ثيابها للقائه

واسراب الطيور اتت من بعيـد والقت بنفسها فى احضـان البحيرة وهى تتناجى وتتغازل وتغرد للربيع الناس عندى



د. مصطفى محمود

د. سيد كريم

والاسماك فى البحيرة تقفـز من الفرحة تحت اشعة الشـمس الذهبية التى تكسو سطح الماء

ولكنى انصرف عنهم جميعـا .. ولا افكر الا فيك انت وحدك ياغرامى

لن يعـرف الربيع طريقه الى قلبى الا اذا سكنت فيه لان قلبى معقـود لقلبك انت

انى اتمنى ان اعيش العمـر كله بقربك

الست انت ربيع الحياة

فاذا اعرضت على وأبيت ان تعود الى فساصبح كسكان القبور جسدا بلا روح

الســت انت الربيع الذى يحمـل الغبطة والسرور الى قلبى الذىيبحث عنك وينتظر حضـورك ليعيد الربيع الى قلبى

ان قلبى سيهتف لرؤياك كما تهتف الطيور بتغريدها عندما تستقبلالربيع ... الست انت الربيع

ومن اجمل التعبيرات التى وصـف بها الحبيب حبيبته فى اغانى الربيع والتى احتفظت بها احدى برديـات الدولة الحديثة تلك الاغنيـة التى يخاطب بها حبيبته ..

يا زهرة الربيع المشرقة ..ياأجمل



يا ذات الوجه الباسم والتقاطيع الحلوة الرقيقة

يا ذات الأهداب المكحلة والملامح الرقيقة

أين أنت .. الكل يحتفل بالربيع ويغنى للربيع

ويختتم الدكتور سيد كريم هذه الصورة الرائعة لما كان يحدث للربيع عند الفراعنة بقوله .. ان الربيع ولد فى مصر وحددت موعده وأعطته اسمه قبل أن يكون هناك حضارات أخرى فى العالم وأهدته للعالم على مر السنين ليحتفل به .. بما يحوى من تقاليد وأصول وعادات ..

***

والربيع عند الشاعر حسن كامل الصيرفى ابتسامة على فم الزمان بعد عبوس تضحك له الدنيا عند مقدمه وتتفتح له اكمام الزهر عن حقل بهيج من الألوان متضوع الشذى ، فتخضر أوراق الشجر بعد اصفرار لتكتسى القشيب من ثياب وتنطلق الأطيار من أكنانها تنفض عن أجنحتها ما بللها رذاذ المطر ، وإننا لنرى الشاعر البحترى يصور لنا الربيع ويضفى عليه كلمة الطلق من الطلاقة وهى ما يبدو على وجه الدنيا من بشر وبهجة بكل معانى السرور فهو يقول :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

فيمهد بهذا البيت الى اليقظة الحلوة التى تتنبه لها الطبيعة من غفوة كادت أن تكون مواتا ، ثم يصور لنا فى الجزء التالى من الصورة هذا التنبه الوادع بقوله :

وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه
يبث حديثا كان قبل مكتما

ولا يخرج الشاعر فى هذا التصوير والتعبير عن الجو الحالم ، فهو يعطينا الصورة وادعة متمثلة فى حديث هادىء لا جلبة فيه ولا لغو يبثه الندى فى حنان الى الورد الذى بنات أزراره تنحل عنه ليكشف عن مفاتنه ، وهذه خلجات تختلج فى نفس الشاعر ، فهو يصور احساسه الباطن ليعود فى الجزء الثالث من الصورة الى الحس الواعى الذى يشترك فيه مع غيره من الناس فيقول :

فمن شجر رد الربيع لباسه
عليه كما نشرت وشيا منمنما

وهو بهذا يكمل أجزاء الصورة السابقة ، فان أول شىء يفكر فيه المستيقظ عند انتباهه أن يأخذ أهبته للقاء الناس باللباس الذى يروق له .. ثم يتابع هذا بقوله :

أحل فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين اذ كان محرما

فهو بعد أن طوف بخياله فى هذا النسك الرائع من مناسك الطبيعة يرتد بذهنه الى صورة من صور الواقع الحسى يستمدها من احرام الحجيج حين يتجردون من مخيط الثياب . ويأخذ من هذا المشهد الذى بقى عالقا بذهنه من حجيته الى الحرم .. صورة لتجرد الاشجار من أوراقها وأزهارها . فشاعرنا لا يكتفى بعرض اللوحة أمامنا بألوانها الطبيعية التى نقلها عن الطبيعة ذاتها ، ولكنه يدعنا نلمح فى أرضية اللوحة ظلالا أخرى تضفى على الصورة حيوية حين يمازج بين احساس خفى ، واحساس ظاهر .. على أنه يمكن أن نقول ان هذه

الظاهرة الجميلة من مظاهر الزماع في دورة من دورات السنة، قد يضفي على مباهجها شعور الانسان اذا كان حزينا أو مهموما أو مريضا أو من كل ما يمر بالانسان من محن وشدائد . فلا يحس بهذه الدورية المتألقة المتأنقة من دورات السنة لما في نفسه من عبوس وقتام ، وألم وحزن ، فيتشابه الربيع عنده الخريف .. ولقد عبرت عن ذلك في ديواني « الالحان الضائعة » بقصيدة عنوانها « اغاني الربيع » ومطلعها :

يا اغاني الربيع يسمعك الكون
وما فيه غير شاج وضاحك
والاهازيج في المحافل تطفي
في جنون على صدى صداحك
يتظرون الجمال في الزهر الغض
غنيا في لونه من سماحك
يتقلون الرسوم عنها افتتانا
ناقلين الالوان عن الواحك

ثم في قصيدة أخرى بعنوان ربيع كالخريف لانى وقتذاك كنت أمر بأزمة عاطفية القت بظلها الحزين على مباهج الربيع ، واخلفت في سمعي اغانيه الصداحة ، على حين انني كتبت بعد ذلك عن الربيع صورا متألقة تبعا للظروف التي عشتها بعد ذلك .

فالربيع في نظري لا تكتمل صورته عند الانسان منا الا حين تتجاوب نفسه بمباهج الحياة مع مباهج الطبيعة .. وقد أوحى الربيع بقصائد أخرى لعل اقربها في النشر ، قصيدتي « ذويها والربيع » .. وقد تناولت الكتابة عن الربيع في حالتي الاسى والحزن كما كتبت عنه في حالة الانس والبهجة وان اختلف التعبير النفسي عن الصورة هنا وهناك ..

***

والدكتور مصطفى محمود يقول : الربيع عندى ليس هو شهر ابريل بمعنى انه ليس ربيعا زمنيا ، ولكنه لحظة استواء المزاج وتفتق الخاطر ، وخصوبة القريحة ، حينذاك يجود الشعر ، وتنهمر الكلمات وهذا هو ربيعي .. وقد كتبت الكثير من كتبي في الربيع حيث اشعر فيه بالرغبة الشديدة للكتابة .

ومن منطلق الربيع فالحب بالنسبة لى دائم ، وهو غير محدود بموضوع لان جميع الموضوعات ، وكل ما خلق الله في الارض وفي السماء من جناح الفراشة الى ريشة الطاووس الي ورقة الشجر الى وجه الطفل الى فتنة الشابة الجميلة ، الى الجمال الانثوى المكتمل ، الى لحظة الغروب وزقزقة العصافير ..

فالربيع عندى مظهر من مظاهر الحب التى ذكرتها ، وأما الحب فانني أحب كل ما في الحياة من جمال ولكنني احاذر دائما ان اقع في أسر أي لون من الوانه .. وهذا الحب الشامل هو قرين الحرية عندى وهو ربيع القلب الدائم .

حقيقة أذكرها ، وهي انني اقضي ربيع كل عام في المملكة العربية السعودية متنقلا بين مكة والمدينة .. في هذه الايام الجميلة التي اقضيها في الاراضي المقدسة احس باعتدال المزاج ، وفيض الخاطر ، وقد ساعدني هذا على كتابة الكثير من كتبي واستلهام الجديد من الافكار ..


ابراهيم العرى


حسن كامل الصيرفى

شعر الغزل

نافذة لفهم

الشعر كان وسيلة الرفيق الاول للوجدان الانساني . ومن اعظم التجارب التي اخصبت مشاعر الانسان ووجوده تجارب الحب ، وقد استطاع الشعر ان يتناول باقتدار هذه التجارب وان يكشف لنا عن عوالم رحبة منها . والذي يلفت النظر جيداً أن شعر الغزل لا يقف كما قلنا - في مقال العدد الماضي - عند حدود التغني بجمال المحبوبة والشوق اليها واللهفة عليها، بل يتخطى ذلك ليصبح بابا للتأمل الواسع العميق في فهم الحياة والانسان ، وفي عديد من قصائد الغزل لدينا في الشعر العربي الحديث نماذج تمدنا بضروب من الرؤى التي تكشف لنا الكثير من الحقائق الوجودية العليا التي تسير الحياة وتلعب فيها دورا بعيد الاثر ، كما تكشف لنا الكثير من العوالم الباطنة المستترة في حنايا النفس البشرية وتقلباتها . وسوف نرى معا مذاقات من عطاء شعر الغزل في هاتيك السبل الصعبة الغامضة .

غلبة الجمال

عندما نقرأ قصيدة العقاد « مباراة في مزايا الفتاة » في ديوانه وحي الاربعين ، فاننا نجدها تصور لنا ان ثمة مباراة قامت بين رجال القوة ، ورجال العبقرية ، والجمال ممثلا في اعلى نماذجه وهن الحسان ، واخذ كل طرف في المباراة يلقي حجته ليثبت انه صاحب السيادة على الطرفين الاخرين ومن ثم على الحياة باسرها فرجال القوة يقولون في سياق حجتهم :


العقاد

د. محمد أبو الأنوار

الحياة والإنسان

اذا ما نطقنا توالت خطوب وصالت شعوب ودالت دول
وفى مسسة تنجلى فتنة وفى مثلها يتدانى أجل !

وأما رجال العبقرية فيجمل الشاعر ابرز حججهم فى قوله :

لنا وحدنا جائزات الشفاه اذا اختلفت سبلها فى الجدل
وبالنطق يكتمل الآدمى وفينا تكامل حتى اكتمل

وأما الجمال فيقول ضمن ما يقول :

لنا القول فيكم رجال الكلام لنا القول فيكم رجال العمل
بسنا شفاها فاضت سناء وجرنا على جائر فاعتدل

ويوضح الشاعر أن « الاله » ـ ولعله المثل الاعلى ـ يحكم هذه المباراة ، وقد حكم فيها بالفوز للجمال على النحو التالى :

فأطرق ربهم لحظة ونادى باكرمهم (١) فامتثل
وقبل مبسمه قبلة يضرم منها مكان الخجل
وقال :أجل ٠٠تلك أغلى الشفاه فأصغوا وقالوا جميعا أجل !

ويتدخل الشاعر اخيرا ليعلق على الموقف برمته بين يدى محبوبته قائلا:

بذا حكموا بعد طول المطا ل فليسمعوا رأيى المرتجل
اذا التمسوا مثلا للشفا ٥ ٠ فقد لهم شفتاك المثل
لثمت الحياة بلثميهما وعاودت بعد السلو الغزل

الى هنا يبدو للقارىء للوهلة الاولى أن الشاعر كان يعبث عبثا ذهنيا محببا لانه جعل هذه الاطراف تدخل فى مباراة كل منها يطلب لنفسه الفوز باحتلال الصدارة ومن أجل أن يهدى الشاعر محبوبته قصيدة يسترضيها بها ليعود الى الحب بعد السلوان ، أجرى الحوار على هذا النحو ، وانتصر للجمال بهذه البساطة ، ولكن هذا الرأى لا يمثل الحقيقة الوجودية ، العليا التى تسير الحياة وتقبض على زمامها وتتفق مع الفطرة السليمة ٠

لكننا مع معرفتنا بالسيرة الذاتية للشاعر ومعرفتنا بالطبيعة المزاجية والنفسية له ايضا ، ثم من واقع النص الشعرى بين أيدينا ـ نرى أن الشاعر عاد الى الحب بعد أن أخذ نفسه بالسلو عنه ، وعلى عهدنا

(١) المقصود فى سياق القصيدة الجمال ٠

شعر الغـــزل

بالعقاد في تجربته مع « ســـارة » - بالذات انه كان شــديد التأمل لانواع العواطف والنزعات التى كانت تعترى المحبين ، وكان يتخذ من نفســـه ومن محبوبته نموذجـا للفهم والتحليل ،ولاتكاد تجد موقفا صغيرا او كبيرا - فى قصته سارة - ألا وجعله موضوع تأمل وتحليل ووســيلة فهم وتفاذ الى معرفة أسرار الحب وعلاقته ، وطبيعة الرجل والمرأة وأسرارهمــا ، وكثيرا ما يطرح تحليله على الطبع الانسانى عامة ، وكثيرا ماتكون الصفة خاصة، والسمة شاردة ....

والعقــاد الى جانب ذلك كما تثبت سيرته الطويلة الخصبة كان شــديد الثقة فى تكــانه ، قوى الارادة فى المضى الى ما يقتنع به .

والموقف الذى معنا - فى القصيدة هنا - عود الى الحب بعد الاقتنــاع بالسلوان عنه ، وفى وسعنا ان ندعى أن العقاد استجمع ارادته وتســلح بشتى الحجج التى املتهــا عليــه عبقريته لينصرف عنه ، ولكنــه وجد نفسه خائرا ضعيفا مقبلا على الحب غير مدبر ، راجعــا عن قطيعته غير مصر ، راغبا فى الكلمة والقبلة غير معرض . هنا اتجهت نفســه الطلعة وفؤاده الذكى وبصـــيرته النافذة الى تحليـل الموقف . ما معنى أن الارادة القويـــة تغلب هكذا ، وأن العبقرية الفذة تعجز الى هذا المدى ؟! هناك بالتأكيد سر علوى يحكم الحيـــاة ويسيطر عليها . الموقف بأسره ظاهرة توجب التأمل : يبـدو أن للارادة فى هذه القضية مكانا لا تعدوه، وللعبقرية سلطانا لا تتجاوزه ؟ ! ومن ثم كان عجزه عن مقاومة الحب والصمود الى شواطىء السلوان .

واهتدى الشاعر فى تحليله للموقف الى حقيقة عليــا تحكم الوجـــود الانسانى فى علاقته بالجمال ، وهذه الحقيقة العليا سر سرمدى من أسرار مبدع الحيــاة - جلت حكمته - حيث خلق الاشياء والمعانى ووزع العلاقات بينها ، وفطر الطبائع تجاهها ، ومن لمح الحقيقة العليـــا فى الطبيعة الانسانية نعرف : انه تخضع للجمال علينا بســلطان غالب وليست غلبته لنا دليل ضعف فينا ، بل دليل حكمة ورشاد ، لانها غلبة تدل على امتثالنا للفطرة الســليمة التى تدرك بالهامها الاول : الحق والخير والجمال .

والعقـــاد الذى قبض على هذه الحقيقة الوجودية العليا أراد أن يقدمها لنا ، فقدمها بلغة الفن الشــعرى . ان لحظة الاشراق الصـوفى قد هبطت على نفسه فادرك الحقيقة ، ثم هبطت عليه لحظـــة الاشراق الفنى ، فالبس الحقيقة لباسها الشــعرى الذى ارتآه مناســبا لها ، وقدمها الينا ليفهمها من كانت فى نفوســـهم القدرة على تفجير اللحظة ، اعنى لحظة الابــداع الفنى فى نفس هذا الشـــاعر او ذاك .

لقد أرجع العقاد كل طاقة فيه الى اصلها العام ، ونبعها الاول ، ثم ادرك طبيعة العلاقة الاولى في عالم الحقيقة بين هاتيك الطاقات ، ومن هذا الادراك استراح الى فهم الحقيقة في موقفه من الحب والحبيبة •

ان جبابرة العالمين - في القصيدة - هم رمز القوة والارادة في الانسان، والعباقرة الملهمون هم رمز الذكاء الخارق والفكر الرفيع ، والملاح الحسان هن رمز الجمال في ابدع صوره ،وفيما يبدو لنا فان « الاله الاعظم » خلق الجمال مسيطرا وقاهرا بما فيه من جبروت الحق ، وليس بما فيه من سقوط الشهوة كما يتوهم البسطاء ،فان عناصر الشهوة في الانسان تستحول عند ذوى البصيرة النافذة الى محاولة في فهم اسرار الجمال ، واسرار الانجذاب اليه ، ان الشهوة بالنسبة لهم لغة حيرى ، لم تغن عنها لغة المقال ، فارتمت تطلب التوحد مع السر السرمدى الخالد في الجمال ، عندما اعيتها اللغة والفكر والحيلة •

على اية حال استطاع العقاد ان يقبض على الحقيقة التي تسيره، والتي تؤكد لديه صحة وجوده وسلامة ذاته، فذهب يلثم الحياة كلها لانه استطاع ان يقبض على ذاته ووجوده ، وهما اتقى ما يكونان جوهرا ، واصفى ما يكونان سلامة ، ولعل نغمة الطرب الراقص في كلمات القصيدة مردها فرحة الشاعر بامساكه بزمام الحقيقة التي ردت عليه حبه ، وصانت له ذاته معا ، وصدق سقراط عندما قال : « السعادة هي ادراك الحقيقة »

والحقيقة التي اكدت للعقاد ذاته ، واملت عليه صحة موقفه هي : ادراكه ان استجابته للمحبوبة لا تعود الى ضعف فيه ، عليه ان يستخذى منه ، او الى نقص فيه عليه ان يستدركه ،انما موقفه الفطرى هذا ، استجابة لاسباب كونية عليا تحكم الوجود كله، والشذوذ في الطابع يأتي عند الخروج على هذه الفطرة ، لان الاستجابة لهذه الفطرة، رجوع الى الحق الخالد، والحق مطلوب لذاته ، وكما قلت من قبل : للجمال علينا سلطان غالب ، وليست غلبته لنا دليل ضعف، بل دليل حكمة ورشاد ، لانها غلبة تدلنا على امتثالنا للفطرة السليمة التي فطر الله عليها الوجود كما اراده لنا مليئا بالخير ، عامرا بالحق ، مضيئا بالجمال ، وما الحق والخير والجمال الا كمات ثلاث لمسمى واحد •

عبد الرحمن شكرى



وهكذا يستطيع كل قارىء مقتدر على فهم الشعر أن يرى في هذه التجربة نفسه وموقعه وأن يعرف الطريق الى صحة نفسه وسلامة

فكره فى مـــدى مواءمتـــه للطبيعة الانســـانية العامة او خروجه عنها ، وهكذا يقودنـــا الشعر الى طريق واضحة فى فهم الحيـاة فى درب من اشد دروبها صعوبة هو غاية الجمال لنا ، وعلاقـــة هذه الغاية بالفطرة القويمة أو المريضة ٠

● اصح الطرق لاسعاد النفس البشرية ●

ان النفس الانسانية عـالم واســع الابعاد تعتريه بين آونة واخرى تيارات موارة لا حدود لها ، وترتفع امواجها كلما هاجها انفعال أو شـغلها طارق ثقيل ٠ والحب كان ولا يزال ويسيطـر من اقوى الانفعالات التى تطرأ عليها. والشاعر عبد الرحمن شكرى قدم لنا فى قصيدته « الحسن الكاذب » تجربة ذات مســـارب معقدة فى النفس البشرية ، انها تجربـة اقبال المحب ، واعراض المحبوب ، بينمـا المحب يقيم على العهد لا يحيد ولا يتحـول ولكن شيئا مما به لم يعطف محبـوبه اليه ولو بهمسة اعذار واعتذار واشـارة تقدير توحى الى ذلك المحب الذى لايجد اســـتجابة بالانصراف والتبصر فى امره حيث لا اقبال لدى الطرف الاخر ولا استجابة ٠

تجربة كهذه لها اهوالها من التمزق والحسرات ولها ايضـــا ابـواب فهم ووجوه تأمل تقودنا الى فهم جوانب من طبيعة النفس الانسانية فى هذا الدور المؤلم ، والشاعر يطالعنا بثورته على هذه المحبوبة قائلا :

وبذلكم جهدى فما نفع الـــود ... ولم يدننى منكم وفاء ولا عهـــد
فلا ترحمـــوا قلبـــا يحن اليكم ... فان فؤادا ليس يهجـــركم وغد
للؤلم ابخلوا من الشجو والجوى ... اقر والهو ليس يكرثنى البعد (١)
فانى خليق بالتنقص والجفـــا ... وانى خليق أن يتيه به الصـــد

ان ابرز الحقائق الهامة التى فتح الشاعر عيوننا عليها ، فى ســياق ثورته ورفضه ان الانسان حتى عندما يكتشـف أنه اخطأ فى حبه ، فانه مع ثورته ورفضه يحتاج الى اقناع نفسه بقرار العدول والكراهية والرفض ،وهذه حقيقة لا تواجهنا فى عالم الماديات .فنحن عندما نكتشف أن تاجرا غاشـا يخـدعنا ننصرف عنه ونكرهه وكذلك عندما نعرف أن دواء ضـارا بنا قد أخطأ الطبيب فى وصفه ، فاننا نلقى به ونلعن الظروف التى حملتنـا اليه

---

(١) يكرثنى : يحزننى

او حملته الينا • لكن ألست ترى معي أن النفس في كل أشـــواقها يصعب عليها أن تتصرف عنها حتى عندمـــا تكتشف بطلان ما تسعى اليه ؟ بدليل اننا نراها في اشـــدّ حالات ضعفها تحـــرص على ما تشـــتهيه وتلتذه ، وتستبقيه ، وفي أعدل حالات رشـدها تســـقط فريسة التمزق بين الرفض المطلوب والتعلق المرغوب ، وحتى اذا توفر النموذج المتميز الذى يســـتجيب اســـتجابة مطلقة للرفض ، فانه بحال من الاحوال لابـــد أن يدفع قليلا أو كثيرا من ذات نفســـه ، ليقوم بعملية اجهاض نفسي صحيح •

وهذه المعاناة التي تكابـدها النفس امام اشواقها تستوى فيها أشـــواقها المادية والمعنوية ـ والا فما بـــال الذين تغضـــبهم اذواق الاخـــوان ممن لا يتصرفـــون عنه ، وبعضهم من ذوى المعرفة العليـــا باضراره كالاطبـــاء والعلماء ؟ ثم ما بال الذين انصرفوا عن عقائد الى غيرها قد عانوا ماعانوا في فترة التحول والاقتناع ؟ ثم ما بال شاعرنا يسعى في قصيدته حثيثـــا الى اقناع قلبه ، مع توعده له وحثه اياه على الانصراف ، معتمدا في ذلك كله على التحليـــــل للحقيقة تارة ، وعلى التخويف بالشر اخرى ، كأنما يرشـــد صغيرا يرى نفسه مسئولا عنه ؟!

ان الوقـــــوف على هذه الحقيقة الانسانية والنفسية يجعلنا اكثر اعذارا للانسان عندما نراه في موقف ضعف وخطأ من هذا النوع ، ويجعلنا اكثر فهما لانفسنا ، واقـــل ثورة عليها ، وخزايا منها ، وكـــذبا عليها ، وعلى الاخرين ، وهذه امـــور ليست بالهينة القيمة في ضبط ســـلوكنا ودفع كثير من الانفعالات الضـــارة عنا ، وتجنب كثير من المشكلات المحيطة بنا •

وهكذا يتصل العمل الادبي بأبعـــاد حياتنا الخاصـــــة والعامة وينفذ الى جوهر الحياة وصميم وجودها ، وليس الادب ذلك المخلوق التافه الذى يتسكع فوق قشرة الحياة ؟!

ويجب أن يكون واضـــحا أن دارس الادب يقع على لب الحياة وجوهـــرها ويتصل بها أشـــــد وأعمق ما يكون الاتصـــال وليست المسألة كما يهرف الجاهلون ـ وما اكثرهم ـ بأن الادب ترف باطل اذا جد جد الحياة ، فان الحياة لا يجد جدها الا عندما تقبض عليها بين أصبعيك ، ولن يكون ذلك على مثـــاله الاعلى الا في عمـــل ادبي تستهديه فيهديك وتسترشده فيرشدك •

ثم نختـــــــار الفقرة الاخيرة من القصيدة لنرى منها مع الشاعر حقيقة ما يدور بنفوســـنا عن الحب والحبيب عندما نقبل عليه فنحبه ، ونكتشـــف هول المفـــــارقة بيننا وبينه ، فنود الفـــــرار والخلاص من حبه ، ولكننا ندفع الثمن غاليا من ذاتنا وحياتنـــا الاما مضـــــنية ، وتمزقـــا وحسرات وحرمانا • يقول الشاعر عبد الرحمن شكرى :

وقد خلت أن العقل عنك وأهـــجر | لقد كان ذاك الظن مزمعه الحب
فلا تحسبن أنى عنيتك بالهـــوى | لقد كان خلق غير خلقك في قلبي

وقد كنت أهوى فيك ما قد ظننته | وقد كنت أهوى ماخلقت من اللب
فما أنا ان جافيت بالواله الجوى | ولا أنا أن ماعدت بالهالك الصب

شعر الغزل

ان الشاعر يكشف لنا عن حقيقة هي : أن للحب ضلالات وسفاهات اقلها اننا نخلع على المحبوب صفات في الشكل والمضمون يزورها لنا الحب ، ويخيلها لنا اتم واكمل ماتكون ، وكأنما يهدينا الشاعر الى وجوب التريث في الاعتقاد والحكم خاصة في عالم الحب ، حتى لاتقع ضحايا مفارقة هائلة وقاتلة . فان للحب سفاهات اسبقها الينا ما يخيله لنا وما يزوره علينا .

ثم يميز الشاعر بين يقين الحب وسفاهته ، ويصرح لنا بانه لم يخطيء الا في التطبيق ، والحب كان ولا يزال قائما للمثال المنشود ، اما هذ: المحبوب الخارجي فانه عزم الامر على ابعاده عن عالمه . وكأنما يرفض الشاعر ان يأسف على شيء بذله في حبه ، لانه بذله لمثاله المنشود وليس للنموذج الخارجي الخاطيء .

لكننا في البيت الاخير من هذه المقطوعة نجد الشاعر يدعي انه بريء من الوله والتهالك والصبابة ولكننا لو ارهفنا حسنا الى ما وراء الاجراس العالية في رفضه ، لوجدنا رفضا يحمل اعترافا بانه محب لم يقو على التخلص من حبه ، وانه لا يزال ينتظر وصل المحبوب اذا تفضل به .

انه يقول للمحبوب : ان جافيت ... وان باعدت ... فلن يأكلني وله العشق ولن يمحقني تهالك الشوق . هذا حسن ، ولكن ماذا هو فاعل اذا المحبوب لم يتجاف ولم يتباعد؟! بل ماذا هو فاعل اذا المحبوب اعطى وبذل ، واقبل واغدق ؟! وهل يليق بمحب يملك كل هذه الثورة الصريحة ، ويملك الرفض حقيقة ان يبقى في مكانه ينتظر حكم المحبوب فيه ، فاذا جافاه وابتعد عنه فاز بسلامة نفسه من هلاك الاشواق الحيرى ، وحسبه من الغنيمة الاياب؟! .. الحق ان الشاعر يبدو في هذا البيت وهو يلقي باخر اسلحته ، انه يعمد من طرف خفي الى تحريض المحبوب على الاحسان اليه والتعلق به ... ان قوله ان جافيتني أو باعدتني فانني لن انهار ، قول له ظاهر وباطن ، وهذه الكلمات في سياقها العام والخاص تعني في لغة العاطفة ضراعة — مهما بدت قاسية أو يائسة — انها ضراعة الى المحبوب أن يقبل على المحب ويقدر عواطفه ، والا ينصرف عنه ، والا فلماذا لم يقل كما قال المازني في قصيدة « السلو » : « قد ذبت عنك القلب قبل تذود » ان هذا الانذار على صراخه العالي هو انذار الضعيف واستجداء المحتاج .

في ضوء هذه التجربة التي قدمها الشاعر نفهم أنه لا يستقيم — دائما

عندما نرفض مثل ذلك المحبوب، ونتجه الى مثالنا المنشود ـ اننا نتخلص من كل آثار العلاقة السابقة التى توصف بأنها خطأ وقعنا فيه واذا صح اننا نتخلص أوننسى فلماذا كان هذا العناء فى اقتلاع جذور هذا المحبوب للذى خدعنا فيه ؟ ان رفض العلاقات ، ونفي الانفعالات وما اليها لايدل دائما على صدقنا ، بل يحدث أحيانا أن يكون الرفض دليل الطلب ، والنفى دليل الاثبات ، فمثلا نفى الحب فى البيئات المحافظة من اقوى الادلة عليه ، وصرخة الرفض لعلاقة انشبت أظفارها دليل العجز الواضح عن قدرة اسقاطها فى يسر وسهولة ، وبداهة واحتقار ، ذلك ان الالم الشديد فى بعض المواقف دليل الحب الشديد أو التعلق الشديد .

● دلالة هذه التجربة الشعرية ●

ان الانسان ـ أحيانا ـ لا يتخلى عن عواطفه وحبه بسهولة حتى عندما يرى انه اخطأ ابتداء بالتورط فى هذه العواطف ، بدليل أنه يقوم بعملية اقناع لنفسه تدل على مدى العناء الذى يبذله فى محاولة اسقاط هذه العلاقة النفسية والشعورية التى ارتبط بها واكتشف خطأه فيها .

وتدلنا هذه التجربة ايضا على ان الانسان شديد الاخلاص لما يتطوى عليه عالمه الداخلي . انه على سبيل المثال يحب دائما نماذجه التى ابدعها فى أعماقه ، وهذه الحقيقة بدورها تلفت نظرنا الى سؤال هام ، هو : هل نحن عندما نحب شخصا نحب الذات الخارجية أونحب الذات الداخلية التى صنعناها فى أعماقنا ؟!! وتبعا لهذا فان الانسان عندما يكتشف اتحادا ، أو وحدة بين الذاتين يزداد اعجابا وهياما بلذات الخرجية ، وعندما يكتشف بعض الفروق فانه يتعرض لآلام وهزات تختلف باختلاف طبيعة هذه الفروق كما وكيفا ، وباختلاف طبائع الاشخاص وظروفهم المتباينة .

وهذه الحقائق النفسية والشعورية التى يطلعنا عليها الشعر من خلال تجربته تثرى معرفتنا بالحياة والانسان وتوشك ان تكون درسا نافعا فى وجوب تنبه الانسان الى التمييز بين الصحيح والزائف مما يدور فى عالمه الداخلى وهو عالم تضيع فيه اكثر الحقائق ، لانه يحتاج الى دراية خاصة تحدد أبعاد فهمه وطرائق التعامل معه ، وينبغى ان ندرك ان فهم النفس البشرية هو اصح الطرق لمحاولة اسعادها وتخفيف ويلاتها ، ولكنها سبيل شديدة الوعورة كثيفة الظلمة متشعبة السراديب ، ومن ثم فالرحلة اليها والجوس خلالها محاولة صعبة وشاقة ، ولكنها ممتعة ومفيدة ، والشعر بطاقته من اقوى الفنون واقدرها على اثراء معرفتنا بالنفس الانسانية اذا تناوله حس صفى وبصيرة نافذة وفكر دءوب ...

حديث السخرية في القرآن الكريم

د. أحمد الشرباصي

السخرية تفيد معنى الاستهزاء . تقول العرب : هزىء به واستهزأ به ، مثل قولهم : سخر منه ، وقيل : الهزء مزح في خفة . والاستهزاء : الاستخفاف ، والاستهزاء بالشخص احتقاره وعدم الاهتمام بامره . وكثيرا ما يصحب ذلك السخرية منه ، وهي الضحك الناشىء عن الاستخفاف والاحتقار .

وتقول العرب : سخر منه ، وسخر به : أي هزىء به واحتقره . وسخر الله منهم : اهانهم ، واتخذه سخريا : أي مثار استهزاء . واستسخره : بالغ في السخرية به . وقد يطلق الضحك بمعنى السخرية ، ومن ذلك قولهم : ضحك به او سخر، ويراد منه التعجب . وقد يطلق ايضا على هذا المعنى كلمة : التفكه ...

وللسخرية في القرآن الكريم حديث يساق ...

لما كانت السخرية – في الغالب – لونا من التطاول على الانسان ،

والاســـتخفاف بالغير ، لم يرتض الاسلام – وكتابه القرآن المجيد – ان تكون صفة من صفـــات المؤمنين ، اللهم الا فى حالة الانتصـــاف ورد الكيد الى أهله ، لان القرآن يقول : « والذين اذا أصـــابهم البغى هم ينتصرون »٠

وجعل القرآن رذيلة الســـخرية المتطاولة الجاهلة صفة غالبة على الكافرين المجرمين ، ولذلك قال عنهم فى سورة الصافـــات : « واذا رأوا آية يستسخرون » أى يدعو بعضهم بعضا الى أن يسخر، كأنهم يتنافسون فى السخرية ، أو يتواصـــون بها ، للتسابق فى الشر ٠

ويحدثنـــا القرآن بأن شر انواع الســـخرية هو ســـخرية الكافرين بالرسل وذلك لان الرســـل هم النمـــاذج العليا للبشر ، وهـــم الدعـــاة الهداة بأمره وتوجيهه ، وطاعة الرســـول من طاعة الله ، ومحبته من محبة الله ، فاذا تطاول عليهم متطاول ، أو اســـتهزأ بهم مستهزىء ، فكأنه يتطاول بذلك على مقام ربه سبحانه وتعالى ٠

ونحن نجـــد القـــرآن فى سورة « هود » عليه الســـلام ، يقص لنـــا قصة نوح عليه الســـلام مع قومه فيما يتعلق بالســـفينة والطوفان ، فيقول فيما يقول :

« ويصنع الفلك وكلما مـــر عليه ملأ من قومه ســـخروا منه ، قال ان تسخروا منا فانا نســـخر منكم كما تسخرون ٠ فسوف تعلمون من يأتيه عـــذاب يخزيـــه ويحل عليه عذاب مقيم »٠

أى يأخذ نوح – عليه الســـلام – فى صنع السفينة التى ســـتحمل المؤمنين لانجـــائهم من كارثـــة الطوفان ، ويصنع نوح ذلك استجابة لامر ربه القـــوى القـــادر ، وانتظارا لوعده الكريم المأمون بالنجاة والفوز ويمر عليه قومه، جماعة بعد جماعة، وفوجا اثر فوج ، وكلما مرت عليه جماعة سخرت من عمله ، واستهزأت به ، وتندرت عليه ٠٠٠

لقد حسبوه فى زعمهم مجنونا ، أو مصـــابا بهوس ، وعلى الرغم من أنهم يـــرون بأعينهم ما يصـــنعه ، يسألونه فى استهزاء واســـتخفاف : ماذا تصنع يا نوح ؟٠

فيجيبهم : اصنع بيتا على الماء ! وهو صادق كل الصدق فى اجابته، لانه يصنع سفينة تسير فوق الماء ، ولكن لعل الســـفن لم تكن مألوفة لديهم ، أو لم يكن عندهم دقة النظر التى تمكنهم من فهم جوابه ٠٠٠

وحينما يوجهون ســـخريتهم الى نوح يرد عليهم قائلا فى انتصاف ٠ ان تسخروا منا – لجهلكم فائدة ما اصـــنع ، فانا – نحن المؤمنين – سنجازيكم من جنس عملكم ، فنسخر منكم اليوم لجهلكم ، ونســـخر منكم غدا ، لما يحل عليكم من انتقـــام الله عز وجل ٠

وسوف تعلمون غدا من يصـــيبه عذاب يذله فى الدنيا ، ثم يصيبه





فى الآخـــرة عذاب دائم ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ...

ويرصد صاحب « ظلال القرآن » هذا المشهد من مشاهد قصة نوح ، ويلحظ ما فى كلمة « يصنع الفلك » من حيـــوية فيقــــول : « التعبير بالمضارع ـ فعل الحاضر ـ هوالذى يعطى المشهد حيويته وجدته ، فنحن نراه ماثلا لخيـــالنا من وراء هذا التعبير ... يصـــنع الفلك ، ونرى الجماعات من قومه المتكبرين يمرون به فيسخرون ، يسخرون من الرجل الذى كان يقول لهم : انه رســول ، ويدعوهم ، ويجادلهم فيطيل جدالهم ثم اذا هو ينقلب نجارا يصنع مركبا ... انهم يســـخرون لانهم لا يرون الا ظاهر الامر ، ولايعلمون ماوراءه من وحى وأمر ، شـــأنهم دائما فى ادراك الظواهر ، والعجز عن ادراك ما وراءها من حكمة وتقدير .

فاما نوح فهو واثق عارف ، وهو يخبرهم أنعيادلهم سخرية بسخرية : « قال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون » . نسخر منكم لانكم لاتدركون ما وراء هذا العمل من تدبير الله ، وما ينتظركـــم من مصير : « فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخـــزيه ويحل عليه عذاب مقيم » انحن أم أنتم ، يوم ينكشـف المستور عن المحذور » !! .

واذا كانت ســـخرية هؤلاء الطغاة المجرمين بنبى الله نوح مثالا لفسق الانسان وفجوره حين يسخر بدعاة ربه ورسوله خالقه ، وقد وقع هذا الاثم الفاجـــر فى الزمن القديم ، فان الانســـانية ممثلة فى بعض ابنائها الطغاة ـ لم تكف عن هـــذا الاثم الآثم ، بل ظل رســـــل الله عليهم الصلاة والســـلام يلقون مثل هذه الجريمة ـ الســـخرية ـ ممن كتب الله عليهم الشقوة ، وأعد لهم سوء العذاب .

وهذا هو القرآن يوثق تلك النبأ حين يقول فى سورة الانعام :

« ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » .

فأهل الكفر والضلال قد استهزأوا برسل كرام عظام من رسل الله قبلك يا محمد ـ عليك الصلاة والسلام ـ وربك بالمرصاد ، فالحق بأولئـــك الساخرين ما يستحقونه من عقاب ، وتاريخ هؤلاء يحدثـــك عن الوان البلاء والهلاك التى نزلت بهم ، وهذا جزاء عـــادل مقـــابل اســـتهزائهم بالرسل .

وكان هذه الآية الكريمة نـــوع من التسلية لرســـول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وتبشير له بأن الله سينصره على أولئـــك الســـاخرين ، وينتقم له منهم بعذابه وعقـــوبته . واذا كان المشــــركون قد طغـــوا وبغوا على رسول الله محمد بالوان من التكذيب والاســـتهزاء والايذاء ، ويحسبون انهم بمنجاة من الســـوء والعذاب ، فقد كان الذين سبقوهم من طغاة الحياة أشد منهم قوة ومالا ، وكانوا يحسبون كما يحسب المشركون انهم آمنون لا تنالهم عاقبة طغيانهم . ولكن الانتقام احاط بهم كما سجل القرآن وصادق التاريخ .

وهؤلاء المشركون الذين يســـخرون منك ـ يا محمد ـ سيلاقون ما لاقى اسلافهم ..

لا تحـــزن ... انهم على الطريق وبئس الطريق !.

ويعـــود القرآن المجيـــد ليعرض

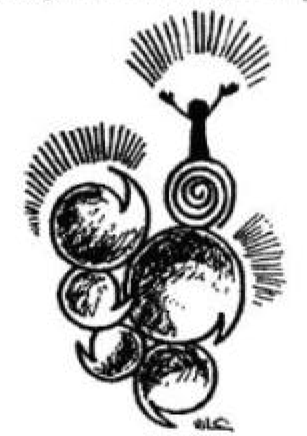
علينا مشهدا من مشاهد سـخرية المجرمين بخيرة الناس اجمعين .

يتحدث القرآن الى الرسـول فى سورة « الصافـات » عن المشركين المنكرين للبعث والحساب ، فيقـول له فيما يقول :« بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون . وإذا رأوا آية يستسخرون ».

انك قد عجبت يا محمد من حماقة هؤلاء وسـفههم حين كذبوا البعث وأنكروا القيامة ، وأنت موقن بصدقه وحقه ، وهم مع ذلك يسخرون من هذا الحق المبين ، وكلما شاهـدوا دلالة على صدقه ، اعرضـوا عنها واستهزأوا بها .

وحق لرسول الله صلى الله عليه وسـلم - كما يعبر صاحب ظلال القرآن - ان يعجب من امرهم ، فان المؤمن الذى يرى الله فى قلبه كما يراه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويـرى آيات الله واضـحة هذا الوضوح ، كثيرة هذه الكثرة، يعجب لذلك ويدهش : كيف يمكن ان تعمى عنها القلـوب ، وكيف يمكن ان تقف منها هذا الموقف العجيب !

وبينما رسول الله صلى الله عليه وسـلم يعجب منهم هذا العجب ، اذ هم يسخرون من القضـية الواضحة التى يعرضها عليهم ، سـواء فى وحدانية الله ، أو فى شـأن البعث والنشور ، واذا هم مطموسـون ، لا تنفتح قلوبهم للتـذكير ، واذا هم يتلقون آيات الله بالسخرية الشديدة، والتعجيب يريهم اياها، واستدعاء أسباب السخرية ، وطلبها طلبا كما يوحى لفظ « يستسخرون » ! .



وبعد سخرية المجرمين بالرسـلين تأتى جريمة السـخرية من الكافرين بالمؤمنين ...

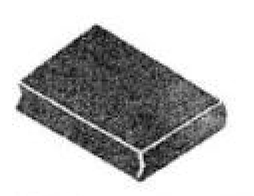
يقول الله جل عـلاه فى سـورة البقرة :

« زين للذين كفـروا الحيـاة الدنيا ، ويسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا فوقهم يوم القيـامة ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ».

ان الذين لا يؤمنـون بالحق الثابت ، والحقـوق المشروعة لله وللناس ، بل يفضلون زينة الدنيـا على ما عند الله سبحانه من النعيم المقيم الدائم ، جعـلوا هذه الزينة اكبر همهم وغاية قصـدهم ، وهم يهـزأون بالمؤمنين الصـادقين ، ويسـخرون من فقرائهم ، لانهم محرومون من زينة الدنيا بسـبب فقرهم ، ويسـخرون من أغنياء المؤمنين لانهم - فى زعم الكافرين - لا يتمتعون بأموالهم وغناهم فى مباذل الحياة وشهواتها ووجوه اسرافهم ،بل يسـتعدون للقاء ربهم ، ويحلون أنفسهم بمكارم الاخـلاق ومحاسن الفعال .

وأغنياء المؤمنين يرون لـذتهم فى خدمة غيرهم ، والقيام بحقوق الافراد والجمـاعات . وكلما أنفق المؤمنون فى سبيل الخير مغنما ، عده أولئك الكافرون مغـرما ، وزادوا فى سـخريتهم ، ولبئس ما يفعلون .

وفى هذه الآية يخبر الله تعالى - كما يذكر ابن كثير - عن تزيينه الحيـاة الدنيا للكافرين الذين رضوا بهـا ،



وأحسنوا اليها ، وجمعــوا الاموال ومنعوها عن مصارفها التى أمرهم الله بها ليرضى عنهم ، وسخروا من الذين آمنوا الذين أعرضوا عنها ، وأنفقوا ما حصل لهم منها فى طاعة ربهم ، وبذلوه ابتغاء وجهه ، فلهذا فازوا بالمقــام الاسعد والحظ الاوفــر يوم معادهم ، فكانوا فوق أولئك فى محشرهم ومنشرهم ومسيرهم ومأواهم ، فاســتقروا فى الدرجات فى أعلى عليين ، وخلد أولئك فى الدركات فى أسفل سافلين ...

ويقدم القرآن الحكيم لونا آخر من الوان سخرية الكافرين بالمؤمنين :

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة التوبة عن المنافقين :

« الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ، والذين لا يجدون الا جهدهم ، فيسخرون منهم ، سخر الله منهم ، ولهم عذاب أليم » .

تتحدث الآية الكريمة عن أولئــك المنافقين الآثمين ، الذين يعيبون المؤمنين المتطوعين بالخير والانفاق ، ويطعنون فيهم : لا لعيب عندهم ، ولا لسيئة منهم، بل لأنهم يتطوعون ويتبرعون بأموالهــم وأشيائهم لمن يستحقون المعاونة ، وكذلك يعيب أولئك المنــافقون اللؤماء ، على الفقراء المؤمنين الذين يتصــدقون بالقليل الذى يدخل فى وســعهم وطاقتهم .

والله المنتقم العادل يسخر من أولئك الساخرين ، أى يعذبهم بما أجرموا ، وسمى عذاب السخرية هنا سخرية على طريق « المشاكلة » والجزاء من جنس العمل ، فجازاهم بمثل ذنبهم ، فجعلهم بقدرته سخرية للمؤمنين وللنــاس أجمعين ، حيث فضح نفاقهم وكشــف صــغارهم ، ثم توعدهم بعذاب أليم بعد ذلك .

ولقد جــاء فى صحيحى الامامين البخارى ومسلم عن أبى مسعود البدرى رضى الله تعالى عنه قال :

لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل (أى يحمل بعضنا لبعض بالاجرة) فجــاء أبو عقيل الحباب بنصف صاع، وجاء انسان بأكثر منه ، فقال المنافقون : ان الله غنى عن صدقة هذا ، وما فعل الآخر هذا الا رياء، فأنزل الله تعالى قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ... » الخ .

وجاء فى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة ، فجاء عمر بصدقة ، وعثمان بصـدقة عظيمة ، وبعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ــ يعنى عبد الرحمن ابن عوف ــ ثم جاء أبو عقيل بصــاع من تمر . فقال المنافقون : ما أخــرج هؤلاء صــدقاتهم الا رياء ، وأما أبو عقيل فانما جاء بصاعه ليذكر بنفسه ، فنزلت الآية الكريمة .

وعن عكرمة قال :

حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة ــ يعنى فى غزوة تبوك ــ فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقال : يا رسول الله ، ما لى ثمانية آلاف جئتك بنصفها ، وأمسكت نصفها

فقال له الرسول : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت .

وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال: يا رسول الله ، أصبت صاعين من تمر . صاع أقرضه لربى ، وصاع لعيالى ...

فلمز المنافقون فقالوا : ما الذى أعطى ابن عوف الا رياء . وقالوا عن صاع أبى عقيل : ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا ؟! .

واذا كان الحق جل جلاله لا يرتضى للمؤمنين أن يتدنسوا بدنس السخرية الجاهلة المتطاولة، لأنها رذيلة من شأن الكافرين والفاسقين، فان الله عز شأنه يتيح للمؤمنين فرصة السخرية المنصفة

المتقمة ممن يستحقون الانتقـــام ، لان المؤمنين لو استناموا للسخرية تزحف اليهم وتتطاول عليهم من هنا وهناك ، لـــكان من وراء ذلك شر كبير وبلاء مستطير •

ومن هنا أخبر الله جل جـــلاله انه سبحانه يستهزىء بالمجرمين ويجازيهم على سفاهتهم ، وان المؤمنين لهم موقف مشهود يسخرون فيـــــه من الفاجرين والكافرين، ويضحكون منهم، وما أعدل السخرية حين تأتي ردا على طغيـــان أو قهرا لكفران •••

يقول الله تعالى في سورة المطففين :

« ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضـــحكون • واذا مروا بهم يتغامزون • واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين • واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون • وما أرسلوا عليهم حافظين • فاليـــوم الذين آمنوا من الكفار يضـــحكون • على الارائك ينظرون • هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون » • ؟

ان الاستاذ الامام يعلق على هـــذا المشهد بتلك الكلمات :

« من شان القوى المعتز بالقـــدرة والكثرة أن يضـــحك ممن يخالفه في المنزع ، ويدعوه الى غير ما يعرفه، وهو أضعف منه قوة وأقل عددا •

كذلك كان شأن جماعة من قريش — كأبي جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص ابن وائل ، وأشياعهم — وهكذا يكون شأن أمثالهم في كل زمان ، متى عمـــت البدع ، وتفرقت الشيع ، وخفى طريق الحق بين طرق الباطل ، وجهل أمـــر الدين ، وأزهقت روحه من عباراته وأساليبه ، ولم يبق الا ظواهر لاتطابقها البواطن ، وحركات أركان لا تشايعها السرائر ، وتحكمت الشهوات ، فلم تبق رغبة تحدو بالناس الى العمـــل ، الا ما تعلق بالطعام والشراب ، والزينـــة والرياش، والمناصب والالقاب، وتشبثت الهمم بالمجد الكاذب ، وأحب كل واحـــد أن يحمد بما لم يفعل ، وذهب الناقص يستكمل ما نقص منه بتنقيص الكامل ، واستوى في ذلك الكبير والصـــغير ، والامير والمأمور، والجاهل والملقب بلقب العالم ••

اذا صار الناس الى هذه الحال ، ضعف صوت الحق ، وازدرى السامعون منهم بالداعي اليه ، وانطبق عليهم نص الآية الكريمة • واذا مروا بأحد من أهل الحق يغمز بعضهم بعضا هزؤا به •

واذا انقلب هؤلاء الضـــالون الى أهلهم ، ورجعوا الى بيوتهم ، رجعـــوا اليهم فكهين ، متلذذين بحـــكاية ما يعيبون به أهل الايمان ، اذ يرمونهم بالسخافة وقلة العقل ، كأن يقولوا : عجبا، هذا فلان يقول لا تدعوا الا الها واحدا ، ولا تتوجهـــوا بالطلب فيما يفوق طاقتكم الا الى الله وحـــده خالق الســـــموات والارض •• فأين الاولياء والشـــفعاء ؟ • وكم فعلوا وتركوا ، وضروا ونفعوا •• وهو ينكر جميع ذلك ، كأن النـــاس جميعا في ضلال ، وهو وحده يعرف الحق !! ••• ونحو ذلك مما يعدونه فكاهة يتلذذون بحكايته » •

ثم يضيف الاستاذ الامام :

« ذلك ما كان من معاملة المجرمين للمؤمنين في الدنيا : يهـــزأون بهم ، ويضحكون منهم ، ويجعلونهم أحاديث لهو ولغو •

فانظر ما تكون معاملة المؤمنين لهم يوم القيامة •••

« فاليـــــــوم » — أي يوم الدين والجزاء — « الذين آمنوا من الكفـــار يضحكون » • لا ضحك الجاهل المغرور بل ضحك الموقن المسرور ••• ضحك من وصل به يقينه الى مشاهدة الحق فسر به ، وانكشف لهم بالعيان ما كانوا يرجونه من اكرام الله لهم ، وضـــلاله





لأعدائهم ، فسروا بذلك وفرحوا ، وضحكوا من أولئك المغرورين الجحدة، الذين تجلت لهم عاقبة أعمالهم، وظهر لهم سفه عقولهم ، وفساد أقوالهم ، فتكست أعناقهم لخزيهم وذلهم .

فما أعظم مجد المؤمنين في ذلك اليوم .. « على الأرائك ينظرون» الى صنع الله بأعدائهم ، وتذليله لمن كان يفخر عليهم ، وتنكيله بمن كان يهزأ بهم جزاء وفاقا » .

قيل ان الله تبارك وتعالى يهيىء الفرص أمام المؤمنين في الدار الآخرة ، لكي يضحكوا من هؤلاء الكافرين الساخرين ، وقيل ان هناك كوى مفتوحة بين الجنة والنار ، يطلع منها أهل الجنة ، فاذا اراد المؤمن أن ينظر الى عدو كان له في الدنيا ، اطلع من كوة من هذه الكوى ، فذلك قول الله تعالى : « فاطلع فرآه في سواء الجحيم » .

وذكر ابن المبارك أنه يقال لأهل النار ـ وهم في النار ـ : اخرجوا . فتفتح لهم أبواب النار ، فاذا رأوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج ، والمؤمنون ينظرون اليهم على الارائك ، فاذا انتهوا الى أبوابها غلقت دونهم ، فذلك قول الله تعالى : « الله يستهزىء بهم » . ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم فذلك قوله سبحانه ، « فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون » .

والقرآن المجيد الذى حدثنا فيما سبق أن السخرية المتطاولة رذيلة فاحشة وأن شر هذه الرذيلة ما كان موجها الى مقام رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأن الرذيلة التى تليها هي سخرية الكافرين بالمؤمنين ، يحدثنا بأن عاقبة السخرية وخيمة ذميمة ، وأن عاقبة المسخور بهم المظلومين في هذه السخرية عاقبة عظيمة كريمة ، فالعذاب يتوعد الساخرين ، والفوز ينتظر المسخور بهم المؤمنين .

يقول الحق جل جلاله في سورة « المؤمنون » عن الكافرين وهم في النار: « قال اخسأوا فيها ولا تكلمون . انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون . انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون»

ان الكافرين يحاولون يوم العذاب أن يخرجوا من النار ، ويرجون ذلك ، فيكون الجواب من قبل الحق جل جلاله: « اخسأوا فيها » ... امكثوا فيها صاغرين اذلاء ، ولا تعودوا الى سؤالكم هذا فلن تجابوا اليه .

ويذكرهم الله سبحانه باحدى جرائمهم الشنيعة ، وهى سخريتهم بفريق المؤمنين الطائعين المستغفرين ، حتى حملهم اسرافهم في السخرية على نسيان الله عز شأنه ونسيان حقوقه الواجبة .

ويؤكد الكتاب العزيز أن السخرية بالايمان ، والاستهزاء بالدين وأوامره، مما يفضى الى الخسارة والبوار ، وها هو ذا يقول في سورة الزمر :

« أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين. أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين . بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة . أليس في جهنم مثوى للمتكبرين . وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » .

وفى سورة « ص » يقول القرآن عن الكافرين : « وقالوا ما لنا لا نرى رجالا

كنا نعدهم من الاشرار . أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار » ؟

وهذا مشهد من مشاهد الاخرة يعرضه علينا ربنا فى كتابه ، حيث نرى أهل النار يفتقدون من حولهم رجالا كان الكافرون يعدونهم من الاشرار ، وهم المؤمنون الذين يزعم الكفار انهم أهل الضلال ، ويقول الكافرون حينئذ . ما لنا لا نراهم معنا هنا فى النار ؟ .

وكذبوا وضلوا وخابوا ... ان هؤلاء المؤمنين ليسوا هنا ، انهم هناك فى الدرجات العلى ، حيث الثواب العظيم والنعيم المقيم ، وليدرك اهل الضلال الآن ادراك المعاينة أن عاقبة السخرية وخيمة .

ومن حقنا ان نؤكد أن الله الحكيم العليم الذى حرم السخرية الجاهلة المتطاولة ، قد أباح السخرية المنتصفة من اهل البغى والطغيان ، ولذلك قال القرآن على لسان نوح للكافرين من قومه : « ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون» أى ان تستجهلونا – أى تحملونا على الجهل على سبيل الهزء – فانا نستجهلكم كما تستجهلوننا وذلك على حد قول الاول :

الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقد سبق قوله عز من قائل : «فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون » :

لقد كان المجرمون يسخرون بالمؤمنين فى الدنيا بغيا وعدوانا ، فلما انطوت صفحتها ، واقبلت الاخرة الباقية ، انقلب الوضع ، وتغيرت الحال ..

لقد ذل الكفار اليوم وهانوا ، وضاعت كرامتهم تحت اقدام العذاب ، واعتز بالله عباده المؤمنون ، وتهيأت امامهم الفرصة لينتصفوا وينتقموا ، فهم اليوم من الكفار يضحكون ، وشتان ما بين ضحك وضحك ، وما بين سخرية وسخرية .

هذا ولقد ذكر الله تعالى النهى عن السخرية صراحة بلا غموض ولا اجمال حيث قال فى سورة الحجرات :

« يا أيها الذين امنوا لا يسخر قوم منقوم عسى أنيكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان . ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون » .

وهذا نهى صريح للمؤمنين عن السخرية بغيرهم – رجالا كانوا أم نساء – لانها حرام، وربما كان المسخور به اكرم عند الله من الساخر المتطاول والرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

« الكبر بطر الحق ، وغمط الناس »

وبطر الحق هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقا ، وقيل هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله ، وغمط الناس هو الاستهانة بهم والاحتقار لهم .

وكذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « بحسب امرىء من الشر أن يحقر اخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » .

والمجتمع المؤمن مجتمع يترفع عن الدنايا ، ويحرص على تكريم الاخوة الانسانية الموجودة بين كل فرد وفرد ، وتكريم الاخوة الايمانية القائمة بين كل مؤمن ومؤمن . فكرامة هذا الفرد – سواء أكان رجلا ام امرأة – مصونة لا يجوز ان تمس ، وهذا الفرد يمثل كل الافراد ، فاحترامه احترام لكل الافراد والتطاول عليه يعد تطاولا على كل الافراد : « انما المؤمنون اخوة » .

فلا يليق – والامر كذلك – ان تصدر سخرية أو تطاول أو استهزاء من فرد على فرد .

ولقد يزن الشخص غيره بميزان لا يستقيم وزنه عند الله ، فلله ميزان الهى عادل ، أساسه : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فليس الغنى والفقر ، ولا الجمال والقبح، ولا نحو ذلك بميزان مرضى لدى الله اعدل العادلين .



رحلة الشهر

النور فى قلب الشاعر

النور فى قلب الشاعر

فى اليوم التاسع من الشهر العاشر من العام الماضى ، عبرت بنا ذكرى مرور اثنتين وأربعين سنة على وفاة سيد شعراء الشباب فى هذا القرن ، الشاعر التونسى أبى القاسم الشابى ٠

وقد احتفلت تونس بهذه الذكرى فى ديسمبر الماضى ، فى مهرجان احتشدت له صفوة من شعراء تونس والوطن العربى ٠



محمد المزالى

وقد تفضل القاضى الشاعر التونسى ابراهيم عبد الباقى عند زيارته لى منذ أسابيع قريبة باهدائى عددا من مجلة « الفكر » التونسية خصص لذكرى الشابى ، وقعت فيه على دراسة لشعر الشابى بقلم الاديب التونسى الكبير محمد مزالى ، يتناول فيها نفحة « النور » فى قلب الشاعر ٠

يقول الاستاذ مزالى :

« ان ضمير الوجود لا يسبر العقل وحده اغواره ولا يدرك العلم بمفرده اشاراته ومعانيه ، فالحقيقة الباطنة ، ومعنى السعادة ، ورسالة الانسان فى الكون ، والخير والشر ، وخبايا المستقبل ،

والعشق والفناء ، ومنزلة الشاعر في الوجود ، ووظيفته في قومه.. كلها لا تدرك ادراكا واضحا ، ولا تفهم فهما كاملا ، ولا تندرج جميعا في نسق فكرى متآلف العناصر ، او تنسجم ضمن رؤية مستقبلية شاملة ، الا بفضل « الحال الشعرية » او التعاطف الممتاز مع الاشياء والتناغم بل التمازج بالكائنات، او ذلك النور الذى قال عنه ابو حامد الغزالى أن الله يقذف به في القلب فتضىء الدنيا ويزول الغموض وترجع الطمأنينة ويصدق اليقين .

« وهذا النور عبر عنه ابو القاسم بقوله :

النور في قلبي وبين جوانحي
فعلام أخشى السير في الظلماء ؟

« وان قلب الشاعر لكبير ، رحب ، تتفجر منه الانوار الكاشفة ، وتصدر عنه الومضات النورانية الفاحصة ، وتستروح به الايماءات العبقرية الخالدة » .

الشاعر والإلهام


توفيق الحكيم

ما احسب ان بين ابناء جيلنا من هو اكثر اقبالا على دراسة الادب الالماني الحديث ، كالدكتور مصطفى ماهر ، الذى نقل الى الالمان كثيرا من بدائع ادبنا المعاصر ، آخرها مجموعة الشعر التي نظمها توفيق الحكيم في شبابه باللغة الفرنسية ، والتي ترجمتها الى العربية شعرا في ديواني الاخير « الله والنيل والحب » .

وقد اضاف الدكتور مصطفى ماهر الى ذلك الجهد المقدور ، انه نقل الينا عن الالمانية المعاصرة نماذج فريدة من القصة والشعر والمقال والنقاش ، في سفر ضخم يربو على خمسمائة صفحة ، عنوانه « الوان من الادب الالماني الحديث » .

وقد وقفت عند فصل في هذا السفر الجليل ، في باب «المناقشات» تأمل الفارق بين صورتى الكاتب الاصيل والكاتب المتصنع .
والحديث في هذا الفصل عن الالهام ...

وانا اؤمن بالالهام ، ولا سيما في الشعر ، لأنني عرفته عن تجارب ذاتية ، حين اغمض عيني فاسمع هامسا يهمس لى بالمعنى ، وأحيانا بالمعنى مصوغا في قالب شعرى .

ويروى لى رامى ان بسطة الالهام كانت مفرطة عند امير الشعراء عليه رحمة الله · فقد سهر معه ليلة فى « حانة دلباتى » التى كانت على النيل ، وبينا الالهام يهبط على امير الشعراء ، فانسحب من مجلس اخوانه وقام فركب عربة حنطور طافت به الجزيرة ، ثم عاد فاملى على رامى نحو عشرة ابيات ، وما لبث بعدها ان هب هبـة اخرى ، وطاف طوفة اخرى حول الجزيرة ، وعاد بحفنة اخرى من الابيات ، وظل هكذا طول الليل حتى انهى القصيدة برمتها ، وهى من مائة وخمسين بيتا ، هى قصيدة النيل التى تعد من أجمـل خرائده ، والتى مطلعها :

من اى عهـد فى القـرى تتدفق
وباى كف فى المدائن تغـدق

أما الفصل الذى أحدثكم عنه فى كتاب الدكتور مصطفى ماهر ، فعنوانه « افكار اساسية عن الكتابة ومعناها » للكاتب الالمانى المعاصر « بينس رين » ··· يقول :

« لقد شاع فى هذا العصر أن ينصرف الكتاب عن الالهام ، أى أن ينكروه انكاراً · فالاديب يجلس الى الالة الكاتبة ، سـواء اكانت السماء تمطر أو كانت الشمس طالعة أو كان الثلج يتساقط وسواء كان الصداع يستبد بالرأس أو كانت الذراع مصابة بكسر · ولا يزال يضرب على ملامسها حتى يفرغ من مقرر اليوم · ومهما كان الرأس من الفراغ والقريحة من الاجداب ، فان هـذا الشىء السخيف المسمى « الهام » لا يجد قبولا ·

« ان الكتاب يصنعون نصوصا · وانا اقدم لهؤلاء الكتاب احترامى واعجابى ، وأبتعد عن طريق كتبهم ما استطعت الى ذلك سبيلا ·

« اما انا فانتظر الالهام ، وان لم اكن اسميه بالضرورة بهـذا الاسم · فانا لا اكتب الا اذا كنت ميالا لذلك · فاما ان اكتب او اخلد الى الكسل · وقد يسعد حظى فيكون كسلى هو التامل بعينه » ·

هـل الغلظـة من طبـاع العرب ؟

من أمتع الكتب التى طالعتنا بها هذا الموسم الادبى ، كتاب فى وصف سكان مصر قبل قرن ونصف قرن من الزمان ، وضعهمهندس فرنسى اسمه ج · دى شـابرول عاش فى مصر فى تلك الفترة ،



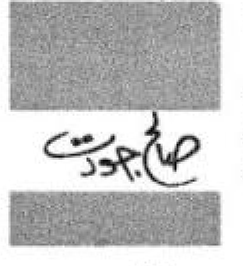
زهير الشايب

والكتاب الذى بين أيدينا هو الجزء الاول من السـفر الكامل ، واستغرقه هذا العمل زهاء ثلاثة عشر عاما (١٨٠٩ ـ ١٨٢٢) · وعنوان هذا الجزء « دراسة فى عادات وتقـاليد سكان مصر المحدثين » ··· نقله الى اللغة العربية قصصى شاب لامع ، هو الاستاذ زهير الشايب ·

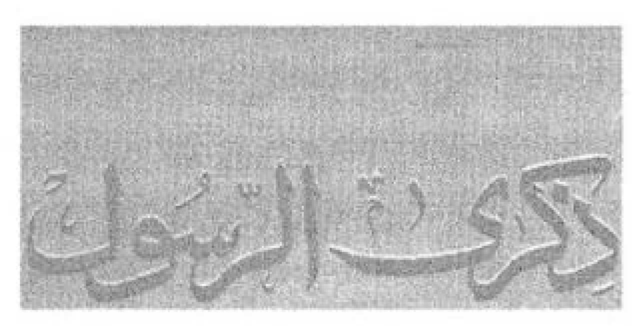
وعلى الرغم من الحقائق التاريخية التى يصورها لنا المؤلف فى كثير من مواقع هذا الكتاب ، والتى تطرح أمامنا صورة عامة للحياة فى ذلك العصر ، فاننا نشعر ، ونحن نقلب صفحات الكتاب ، بأن الروح الاستعمارية المتعصبة قد لعبت دورها فى رسم الصورة ، محاولة الغض من شأن الشعب فى أكثر من موقع ، ومثال ذلك قول المؤلف :

« ان المجتمع الذى تستعبد فيه نساؤه لايقدم مطلقا هذا المزيج من الرقة واللياقة اللتين تميزان الامم الاوربية على وجه الخصوص · وحيث أننا لا نكاد نحس بأثر النساء على العادات الاجتماعية فى مصر ، فمن الممكن أن نتفهم بسهولة لماذا تتميز التقاليد فى مصر بوجه عام بهذه الغلظة الهمجية التى هى بالتأكيد غلظة تقـاليد العرب الغزاة · وتلك فى الواقع هى الملحوظة التى تتضح لأول وهلة · فرياضة الشعب والعابه ومسراته ذات طابع خليع ، متهور ووحشى فى وقت معا ··· الخ »

وانك لتجد مثل هذه العبارات المسمومة فى كثير من مواقـــع الصورة التى يحاول بها المؤلف أن يطرحها موهما انها حقـــائق مصرية ، ونحن نعلم من قراءاتنا التاريخية منذ عهد الفراعنة الى اليوم أن المصريين لم يكونوا بهذه الغلظة فى اى عصر من العصور ·



كنت أتمنى على المترجم الذى بذل هذا الجهد الضخم فى ترجمة الكتاب ، أن يذيل بعض صفحاته بهوامش تدحض هـذه المفتريات الاستعمارية التى طالما تكررت عن عمد فى مؤلفات الكتاب الاوربيين عن مصر والشرق عامة ·



ريحَ الحجاز هززتِ الطلح والبانا
وثبّه الشوقُ قلبا كان نعسانا

فتحت عيني وعيس الحيّ نازحة
والقلبُ يركضُ خلفَ الظعن ولهانا

لمْ يبقَ لي غير دمع فرّ من مقلي
لو كان يمشي اليهم سالَ غدْرانا

لظبية دارها كانتْ بذي سَلمٍ
يا ليتها تركت للحيّ عنوانا

أصمّت فؤادي بأجفانٍ لو انكسرت
على الصفا رقّ حتى صار إنسانا

لما ذكرتُ رسول الله هِمتُ به
وزادني عِشقه باللهِ ايمانا

وقلتُ والنفسُ تصحو من سلافتها
لن أتركَ الراحَ بعد اليوم ظمآنا

كأسٌ من الحبّ في الهادي وعترته
تُنسي الفؤادَ الهوى في الغيد نسيانا

ياقوم إني بوصيري شاعر بأبي الزهراءِ،
ما بالني ما زلتُ نشوانا

والنورُ بالنورِ أولى أينما كانا
والحق بالحقّ لا يحتاجُ برهانا

كأنَّ (غارَ حـــراءٍ) وهو يعبدُ فيـــه
اللهَ أصبحَ رَوْضا فى حنـــايانا

سَلْنى عن العشقِ وانظر ما أكابده
ولا تسلْ بعدَ ما كابدت هيمـــانا

الراح من حبِّه بالله تســــكرنى
وجدا وإن كان مثلى لم يَرَ الحــانا

قالوا التصوف خمر قلت ، لا ، أبدا
بل التصوفُ ذكرى المصطفى الآنـــا

لا راحَ تسكرُ بل فيضٌ أهيمُ بــهِ
والنور يبهر فيهِ العينَ أحيـــانا

مَنْ حدَّقتْ عينه فى الشمس لم يرها
الاّ ضبابا وغضَّ الطرف حـــيرانا

ترنى ونورَ هدى المختارِ يغمــرنى
أغيبُ آنا وأصحو بينه آنـــــا

فما الصبابة شـــعرٌ بل مــــكابدة
والنبضُ ماكان أبياتا وأوْزانـــا

يا سيِّدى يا رسول اللهِ معـــذرةٌ
إن قلت شِعرا فكم رتلت قـــرآنا

عذرى لديكَ كيانُ العبدِ فى مــلا
يلقاكَ جبريل فيه ليسَ يلقـــانا

شتَّـــانَ بين عباد يسمعونَ لـــهُ
وبينَ من جاءَ بالتنزيل شـــتانا

هذا إلى اللهِ عن جبريل متصـــلٌ
وذاكَ يرهف للتنزيل آذانـــــا

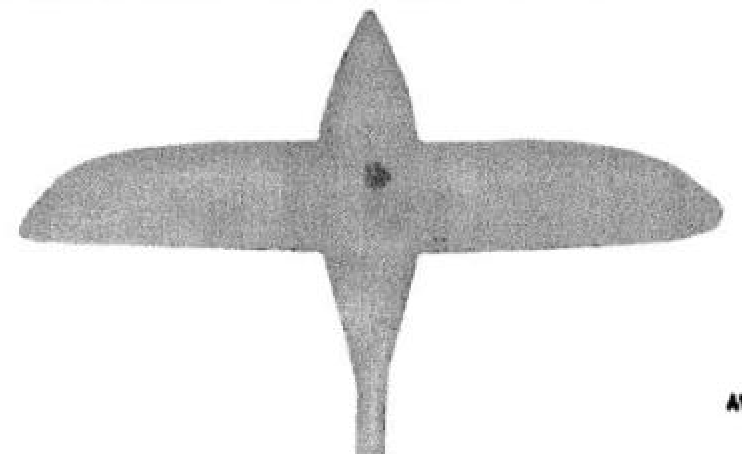


د. خليل مسيحة

في آخر زيارة لرواد الفضاء لمصر طلبــوا بطبيعة الحال زيارة المتحف المصرى ، ولم يدر بخلدهم مطلقا انهم سيشاهدون عملا علميا فذا مضى عليه اكثر من الفين وثلاثمائةسنة . لقد « فوجئــوا » بأن المصريين القدماء كانوا اول من فكر فى ريادة الفضاء ، بل لقــد سبقوهم فيما تخصصوا فيه الا وهو تصميم الطائرات! وقف رواد الفضاء فى دهشة وذهــول يتطلعــون الى نموذج الطائرة المصرية القديمة . ان لها جميع المقومات الاساسية الهندسية لبناء الطائرة . لقد اثار هــذا النموذج ضجة علمية فى العالم الغربى منذ نشر عنــه عام ١٩٧٢ ، ومازال صداها يتردد حتى الآن ..

المصريون القدماء

أول من



اخترع الطائرة!

حورس رع متوجا
بقرص الشمس ..

منذ فجر التاريخ تطلع الانسان الى السماء وتمنى لو ان له اجنحة الطيور لينطلق محلقا فى الفضاء .. امنية عزيزة لم تفارق خياله ، وسجلها على ما خلفه لنا من آثار وفى « الفولكلور » .

وتؤكد لنا الحكمة القديمة ان أهل اطلنطيس صنعوا مركبات طائرة سموها « فيرماناس » واستخدموها فى الحروب ، وقبل غرق قارتهم العظيمة هرب بعض حكمائهم عليها طائرين الى أرض مصر !

وفى الاساطير اليونانية حكايةعن مخترع عبقرى اسمه « ديدالوس » ولد فى اثينا وذهب الى كريت ، ولما رأىملكها اختراعاته حقدعليه وسجنه مع ايكاروس ابنه . لكن ديدالوس صنع لنفسه ولابنه اجنحة من الشمع والريش وانطلقا فى الجو هاربين من الجزيرة . ووصل ديدالوس سالما الى سيشل ، اما ابنه ايكاروس فقد اقترب كثيرا من الشمس وانصهر الشمع وتبعثر الريش وسقط الشاب فى البحر وغرق ..

وتحضرنى هنا قصة مشهورة بطلها مخترع عربى هو عباس بن فرناس الذى عاش فى الاندلس نحو سنة ٨٨٧ ميلادية . وقد صنع لنفسه اجنحة من الريش وقفز من مكان عال قاصدا الطيران لكنه سقط واصيب بكسور . ولا بد انه اخذ فكرته عن اسطورة ديدالوس وايكاروس اليونانية .

الطيران فى اللغة المصرية القديمة

عبر المصرى القديم عن كلمة « يطير » فى لغته بثلاثة اشكال او رسومات مركبة . فى الشكل الاول للكلمة نشاهد من اليمين لليسار رسم ذراع ممدودة هى حرف العين تحتها دائرة مظللة هى حرف الخاء ، والمخصص او دليل الكلمة هو نصف جناح منبسط . وتلفظ هذه الكلمة « عخى » بالخاء الثقيلة المشددة أو « عخى » وفى الشكل الثانى لهذه الكلمة ونرى فيه الذراع الممدودة (العين) وتحتها علامة حرف الخاء الخفيفة ثم المخصص وهو نصف جناح منبسط وتلفظ هذه

الكلمة « عخى » لكن بالخاء الخفيفة.

الشكل الثالث لهذه الكلمة يتكون من مربع هو حرف الباء المفخمة (تساوى P بالانجليزية)ثم شكل بطة ناشرة جناحيها منطلقة الى أعلى ويمدها صقر واقف هو حرف الالف ، ثم نصف جناح منبسط ، وتلفظ هذه الكلمة « يا ». مخصص الكلمة هنا مزدوج البطة المنطلقة ونصف الجناح . وأعتقد أن لهذه الكلمة معنى شاملا فهى تعنى « يطير » ومعنى خاصا هو « يحلق » والطيور تحلق بواسطة أجنحتها لمدة طويلة مثل الحدأة والصقر .

الطيران في الحضارة المصرية

هناك مئات من النقوش والتماثيل المجنحة ، وأول ما يطالعنا منها قرص الشمس المجنح ، ومن النماذج الجميلة النقش على واجهات الحجرات الخشبية المغشاة بالذهب والتى وجدت فى مقبرة توت عنخ أمون .

ومن تماثيل ونقوش الارباب المجنحة ايزيس ونفتيس . ومن أروع النماذج تمثال « نفرتوم » اى اتوم الجميل (رقم ٤٤٢٩ سجل خاص ـ بالمتحف المصرى) مصنوع من البرونز وهو احد ارباب ممفيس وابن الرب بتاح ، ونرى له ست أجنحة منبسطة وقد ضم قبضتيه ، ومن وراء يخيل اليه انه يهم بالطيران . وقد عثر على هذا التمثال فى السرابيوم بسقارة ، ويرجع تاريخه الى ٦٠٠ ق . م مما يؤيد ان فكرة الطيران قديمة عند المصريين القدماء .

أما الصقر حورس فله آلاف النقوش والتماثيل ومن أجملها تمثال « حورس رع » بن أوزيريس وتراه متوجا بقرص الشمس ناشرا جناحيه فى حركة طيران . وهناك أيضا بالمتحف المصرى نماذج رائعة للصقور والنسور مصنوعة من صفائح البرونز ومغشاة بالذهب تحمل ارقام ٨٧٤٤ ، ٨٧٤٩ ، ٨٧٥٥ .

وهناك جعارين مجنحة تسترعى الانتباه مصنوعة من الاحجار النصف كريمة (تحمل ارقام ٦٨٥٣ ، ٦٨٥٥ ، ٧٤٨٣) ومما هو جدير بالذكر ان معرضا للطيران أقيم فى مدخل المتحف المصرى سنة ١٩٧٢ ولمدة ثلاثة اشهر ضم تماثيل الصقور والجعارين ونموذج الطائرة الفرعونية .

وقد أورد الدكتور حشمت مسيحة مدير عام مصلحة الاثار الفقرة التالية من النصوص المصرية ومعناها :

« تبعا للتقاليد الدينية فان نصوص اهرام سقارة (٢٤٠٠ ق . م تقريبا) توضح ان قدماء المصريين اعتقدوا أن المركب الصباحى للاله رع كانت تحمله عائمات السماء لتقله الى حورس الملك (المتوفى)الذى يسكن فى الافق . كذلك سينقل حورس الى الاله رع بالافق بعائمات السماء » .

والكلمات المعبرة عن الطيران هنا هى « عائمات السماء » وما زلنا نستخدم هذا فى العصر الحديث وفى جميع اللغات فنقول ملاحى الطائرة وملاحى الفضاء ، ونقول سبح ملاح الفضاء خارج سفينة الفضاء فلا خلاف ولا جدال فى ان فكرة امتطاء ظهور مركبات الفضاء ـ والتى نعبر عنها بقولنا مركبات تسبح أو تعوم فى الفضاء ـ انحدرت الينا منذ قدماء المصريين .

المصريون القدماء



تمثال يرجع تاريخه الى عام ٦٠٠ ق ٠ م يؤيد ان فكرة الطيران قديمة عند المصريين القدماء ٠٠

عصر نموذج الطائرة الفرعونية

أرى قبل وصف نموذج الطائرة المصرية القديمة أن نأخذ فكرة عن العصر الذى وجد فيه ، فى بلادنا العريقة فى العلوم والفنون ٠ وقد تسربت هذه العلوم ونسبت الاختراعات فيما بعد الى آخرين ٠ لقد وجد هذا النموذج فى حفائر سقارة ، وعصره يرجع الى المدة ما بين ٣٠٠ ـ ١٥٠ ق ٠ م ، وسمى بالعصر المتأخر او عصر العلوم ٠ ويقول البعض انه سمى العصر المتأخر اى اواخر الاسرات ، وقال اخرون لأن عصر تأخرت عن العصور السابقة ايام عظماء الفراعين امثال تحوتمس الثالث ، واثرت هذه المناقشة للاثريين والمؤرخين ، وسمى عصر العلوم لظهور عدة علماء افذاذ واختراعات كثيرة سأسرد بعضها فيما بعد ٠

من امثلة علماء هذا العصر هيرو السكندرى نحو سنة ١٥٠ ق ٠ م عاش فى الاسكندرية وهو مهندس ورياضى ومخترع فذ سبق « جيمس وات » فى استخدام قوة البخار ٠ فقد صنع غلاية محمولة على ثلاث ارجل ولها غطاء محكم ينفذ منه انبوبتان تتجهان الى أعلى ، وتنحنى الانبوبتان للداخل وتكونان محور الكرة ٠ وعلى محيط الكرة انبوبتان اطرافهما مثنية الواحدة عكس الاخرى ٠ عند تسخين الماء يتصاعد البخار مارا فى انبوبتى المحور وينفذ الى داخل الكرة ويخرج متدفقا للخارج مما يجعل الكرة تدور ٠٠ وكانت هذه اول آلة بخارية فى العالم وكذلك اول آلة تعمل بنظرية الدفع الصاروخى وقد صنع هيرو عدة آلات اخرى تعمل بالهواء المضغوط والبخار وكذلك لتحرك اجنحة نموذج طائر (انظر كتاب بناء المادة لمؤلفه ستيفن تولين ص ١١٥ ، ١١٦)

وفى عصر العلوم ايضا مخترع آخر اسمه ارخيتاس صنع شكلا لحمامة من الخشب وطار فى الجو بالهواء المضغوط وقد ذكر هذا العالم ناو بورجو فى كتابه الفنون التكنولوجية للقدماء ص ٣٣١ مترجما عن النصوص القديمة ٠

وصف نموذج الطائرة الفرعونية

لنموذج الطائرة المصرية القديمة (الفرعونية) قصة طريفة ٠ فمنذ

المصريون القدماء

عدة سنوات اقوم بعمل دراسات علمية عن ادوات وأشياء غير معروفة الاستعمال مما خلفه لنا قدماء المصريين في الآثار ·

وفي سنة ١٩٦٩ استرعى انتباهي هذا النموذج الغريب الصنع وهو موجود بالمتحف المصري بالطابق الثاني في غرفة رقم ٢٢ ويحمل رقم ٦٣٤٧ ومقيد بالسجلات الاثرية ضمن مجموعة نماذج الطيور· والذى شد انتباهي هو التشابه العجيب بينه وبين نماذج الطائرات الصغيرة التى اعتدت صنعها منذ صباى ···

وهو مصنوع من الخشب وارجح ان يكون خشب الجميز وليس عليه اى نقوش او زخارف ·

الجناح: مصنوع من قطعة واحدة من الخشب طوله بين اقصى طرفيه ١٨ سنتيمترا ، بالضبط واسمك جزء فيه هو الذى يعلو الجسم حوالي ثمانية ملليمترات ويرق كلما اتجهنا نحو طرفيه · وله زاوية زوجية او زاوية ميل كما يسميها مصممو الطائرات وهي غير متساوية تماما على الناحيتين ، واعتقد ان سبب هذا التواء خفيف بالخشب لتقادم العهد عليه وهذه الزاوية سالبة حيث يتجه طرف الجناح الى أسفل · وقد شكل مخترع هذا النموذج جناحه تشكيلا انسيابيا ومقطعه انسيابيا مثل اجنحة الطائرات الحديثة وناعما عدا بعض اجزاء فيها تكسير بسيط

الجسم : مصنوع من نفس خشب الجناح· مصنوع بعناية كبيرة، شكله عموما انسيابي ، جزؤه الامامى أى مقدمته تشبه رأس الطائر وهي هرمية الشكل عليها رسم عين واحدة من الناحية اليمنى · ويزداد الجسم في السمك اسفل الجناح ويكون مقطعه كمثريا ثم يتناقص سمكه بعد ذلك كلما اتجهنا نحو الذيل ويكون مقطعه بيضاويا ·

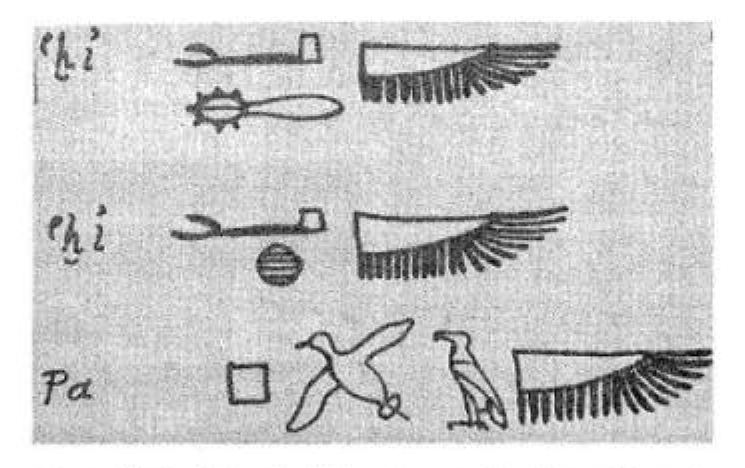
وعلى ظهر الجسم انخفاض مستطيل طوله ثلاثة سنتيمترات يبيت فيه الجناح بحيث يصبح سطحه على مستوى سطح الجسم · ذيل النموذج مستطيل ارتفاعه ٣ سنتيمرات وسمكه أربعة ملليمترات وهو في وضع قائم ويظهر أن هناك جزءا مكسورا من اسفل الذيل حيث كان الموازن الافقى ·

ولا يوجد على الجسم اى زخارف او رسم ريش ما عدا العين وخطين باللون الاحمر الباهت جدا على الصدر عند مستوى الجناح · وليس له أرجل او مكان لها ، وطوله من القمة حتى نهاية الذيل هو ١٤ سنتيمترا · ويزن هذا النموذج ١٤ر٣٩ جراما ·

نموذج طائرة ؟ أم ماذا ؟

لقد صنعت بنفسى نموذجا مشابها له من خشب البلسا الذى تصنع منه نماذج الطائرات الحديثة واضفت له الموازن الافقى الذى افترض انه كان موجودا وفقد ، ولم اندهش حينما وجدته يسبح بضعة أمتار في الهواء عند قذفه باليد ·

لقد طرح على بساط البحث العالى ونشرت عنه جريدة التايمز الانجليزية في ١٨ من مايو ١٩٧٢ وتبعتها عدة جرائد ومجلات علمية في اوروبا وامريكا واستراليا وفى مصر نشرت عنه جرائد الاهرام والاخبار



والجمهورية . وعند حضور رواد الفضاء مؤخرا الى مصر تطلعوا اليه فى دهشة وذهول وقرروا انه نموذج طائرة ، ولم يفكروا قبل ذلك أن قدماء المصريين سبقوهم فى هذا المضمار .

اعتقد كما قرر عدد من الاثريين انه يرجع الى العصر المتأخر ٣٠٠ ـ ١٠٠ ق . م واذا اردنا تحديد هذا التاريخ بالضبط وجب استقطاع حوالى جرامين من النموذج (طريقة الكربون ١٤ المشع) وهى خسارة كبيرة لهذا الاثر النادر .

ومع هذا النموذج وجدت قطعة قماش مذهبة مكتوب عليها اسم « يا ـ دى ـ ايمن » ومعناه « عطية امون » وهو من الاسماء الشائعة حينذاك لذلك سميتها طائرة يا دى ايمن .

ان احد الذين وضعوا اساس نظريات الطيران الحديثة رجل عاش فى مصر فى القرن التاسع عشر هو لويس مويار (فى حى الموسكى) . كان هذا الرجل محبا للطيور يجذبها بالطعام ويقيس اجنحتها طولا وعرضا وكذلك اجسامها وذيولها ويسجل اوزانها ، ولم يكن لديه من الالات الحديثة الا الميزان والمتر والكراسة التى يدون بها ملاحظاته .

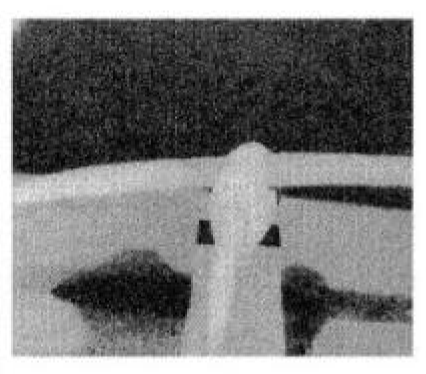
نتذكر مويار وننسى بادى ايمن او عطية امون المصرى مع ان ظروفه تشابه ظروف مويار من حيث الادوات التى لاتخرج عن مسطرة قياس وميزان وعين فاحصة وعقلية علمية سبقت عصره .

● اذا قارنا علميا بين عناصر هذا النموذج وعناصر مكونات الطائر وجدنا ما يؤيد القول بانه « نموذج طائرة » فذيله يسترعى الانتباه لان له شكلا هندسيا مستطيلا وفى وضع رأسى ولم يخلق بعد الطائر الذى له ذيل رأسى . والزعنفة الرأسية تكسب الطائرات اتزانا اتجاهيا . ولا بد انه كان هناك موازن افقى ملتصق بالحافة السفلى للذيل ودليل هذا وجود جزء مكسور فى هذا المكان .

● نسبة طول الجناح الى عرضه مشابهة لمثيلتها فى الطائرات الحديثة

● شكل الجناح ومقطعه انسيابى وهذا الشكل لم يصل اليه مهندسو

المصريون القدماء



نموذج فريد للطائرة المصرية القديمة

الطائرات الحديثة الا بعد تجارب كثيرة واختبارات للنماذج فى غرف الاختبار وبعد عمل رسومات بيانية ومسائل رياضية معقدة ٠

● الزاوية الزوجية السالبة تكسب النموذج اتزانا عرضيا اثناء الطيران ، قارن هذا بالطائرة الانتينوف الحديثة ٠

لقد قامت عدة جهات علمية بدراسة هذا النموذج ومنها ، هيئة استقصاء المجهول فى الولايات المتحدة ، وقالوا انها نموذج لطائرة شراعية يمكنها التحليق بسرعة خمسين ميلا فى الساعة ويتحمل جهد ٠

وقد وجدت اسانيد تاريخية تؤيد استخدام مثل هذا النموذج كصواريخ او قذائف حارقة لحصار القلاع وضربها من بعيد ٠ وكانت تطلق من فوق « منصة » ذات ثلاث ارجل مثبت بها قوس شديد ، يعمل على هذه الالة الحربية شخصان احدهما يشعل القذيفة قبل اطلاقها واستخدمت فى حصار انطاكية فى القرن الحادى عشر ، وفى موسوعة الفضاء الايطالية لعام ١٩٧٢ وتحت عنوان تاريخ الصواريخ ، تذكر الموسوعة ان المصريين والصينيين هم مخترعو الصواريخ قبل اى شعب آخر ٠

وقد عثرت على نقوش اخرى مصرية لرجال كسوا اجسامهم بالريش وثبتوا اجنحة الى اجسامهم ويضيق المقام بنشر كل المعلومات عن هذا الموضوع لكن خلاصة القول ان المصرى القديم لم يفته التفكير فى صنع آلة طائرة يسبح بها فى السماء واعتقد الى حد بعيد ان هناك طائرة شراعية مصرية قديمة تحت رمال سقارة تنتظر اليوم الذى تخرج فيه الى النور حيث تثبت اثباتا قاطعا ان تاريخ الطيران يرجع الى ٢٣٠٠ سنة وان عمر الطيران ليس مائة سنة ٠٠ ومن يدرى فربما شهدت صحراء سقارة بادى ايمن وهو يحلق بطائرته الشراعية بضعة امتار فى الهواء ٠



هدية العدد
صورة

كامل الشناوى

● نشأ كامل الشناوى فى بيئة دينية ، فأبوه شغل منصبا كبيرا فى القضاء الشرعى ، وعمه كان شيخا للازهر ، وقد دخل المدرسة الابتدائية ثم التحق بالازهر ، ولكنه تمرد على دراسته فيه ، وتلقى دروسا فى اللغة الفرنسية استعدادا لتكملة تعليمه فى فرنسا ثم شاءت الظروف ان يظل فى مصر ، وقد استطاع ان يعلم نفسه فى النهاية .

● كان فى رأيه ان دار الكتب هى مدرسته الابتدائية والعالية ، وظل يتردد عليها بانتظام سبع سنوات درس خلالها حياة الشعراء العرب الاقدمين جميعا من امرىء القيس الى شوقى ، وكل الكتاب العرب من ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب الى المويلحى ومصطفى لطفى المنفلوطى ولطفى السيد ، وقرأ مجموعات الصحف والمجلات القديمة كالبيان والهلال والمقتطف والاهرام والمؤيد ومصباح الشرق ، كما قرأ الياذة « هوميروس » .

● تعمق فى بحث الفلسفة الاسلامية ، والفلسفة اليونانية ، والمذاهب الفلسفية الحديثة الى جانب حبه للتصوير والرسم والنحت والتمثيل والموسيقى ودراسات علم النفس والتاريخ السياسى .

● كان رئيسا لتحرير آخر ساعة بعد ان ظل يعمل محررا بأخبار اليوم ثم رئيسا لتحرير الاخبار وعين فى عام ١٩٥٦ رئيسا لتحرير الجمهورية .

● عاش حياته وصاغها على النحو الذى كان يشتهيه .. والحياة عنده كانت امتع هواية وكان لايقيس عمره بالسنين والايام ، ولا يقيسه بالتجاعيد التى حفرها الزمن على جبهته ولكن يقيسه بما يقدمه للحياة من خلجات نفسه ، ونبض عقله وقلبه بصدق ، وايمان وحرارة .

● أعطى الحياة كل مواهبه ، وحاول ان ينتزع منها كل مباهجها ، وما اكثر ما هزمته حتى حطمته وكان يردد دائما .. « انا شىء لن يكتمل ابدا .. انا قصيدة ناقصة .. انا قصة ناقصة .. انا كلمة بلا نقط ولذا فقد كان شاعرا، وساخرا، ومتأملا ، يرسم ويصور ويخفى بكاءه بالضحكات ، ويقتحم مباهج الحياة كثيرا ، لان تعاسات الحياة اقتحمت حياته اكثر واكثر ..

● فى عمله الصحفى كانت له « خبطات » صحفية تهز الوسط السياسى ، وكانت احاديثه الصحفية السياسية هى علامات الموقف قبل الثورة . وكانت قصيدته « انت فى صمتك مرغم » قبل الثورة نشيدا ثوريا للاحرار .

● له مؤلفات عديدة منها : « ساعات » ، « حبيبتى رسائل حب » ، « لا تكذبى » ، « لقاء معهم » ، « اعترافات ابى نواس » ، « الذين احبوا مى » .

● هكذا كان كامل الشناوى منذ مولده حتى وافاه الاجل فى الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٦٥ ، يعيش ليومه المثقل تناقضات الحياة ، وتضارب الموازين ..

د. أحمد شلبي

المنار العملاق

بين الأمس

تمر بلادنا بموجة من التغيرات السياسية التى ترتبط بشئون الداخل والخارج ، وتوشك هذه الموجة ان تجتذب اكثر الافكار والاقلام ، فنحن قد عانينا من حكم الفرد فى الماضى ، وعندما انبثق ضوء الشورى والديمقراطية اتجه الكتاب والمفكرون لمواجهة بقايا المقاومة التى لا تزال متسترة خلف بعض اللافتات .

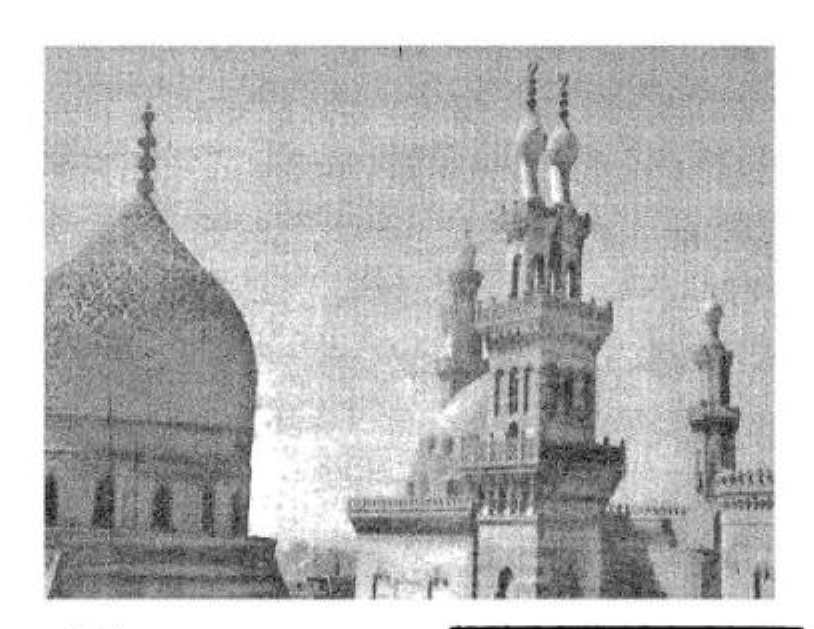
لكن هناك مخلفات للماضى تعيش فى دور العلم وينبغى الا يحيط بها النسيان ، بل يتحتم أن نثيرها لتنال حقها من الاصلاح .

وفى قمة دور العلم ، الازهر الشريف ، ثم تجىء الجامعات المصرية ، والتعليم بوجه عام .

والازهر هو ذلك المنار العملاق الذى ترفرف رايته منذ أكثر من الف عام ، حرس الفكر الاسلامى فى كل الظروف وأمام كل القوى ولا يزال يفعل ، وأرسل أشعته عبر البلاد وعبر البحار دون أن يعوقه عائق ، فكان طيلة عدة أجيال المكان الوحيد فى العالم الاسلامى الذى سطع فيه نور العلم يوم خبا ذلك النور فى كل مكان .

وأستطيع أن أقرر بادىء ذى بدء أنه لو لم يكن الازهر موجودا لتغير تاريخ المسلمين تغيرا كبيرا ، وحسبك أن تدرك أنه كان الملجأ الوحيد للعلم فى عصور الظلام الحالكة الطويلة التى مرت بالمسلمين . لقد امتد الظلام اليه بلا شك ولكنه والحق يقال ظلت فيه شعلة من النور تغالب هذا الظلام وتقاومه ، وقد لعب الازهر دورا كبيرا جدا فى حياة المسلمين فى جميع الاقطار وأن مشعل النور الذى يقود المسلمين فى اندونيسيا وجنوب شرقى آسيا ، مصدره الذين تعلموا فى أروقة الازهر او تفقهوا على شيوخ أو كتب وثيقة الصلة بهذه الاروقة وان انسياب الاسلام الى قلب افريقية كان اكثره على أيدى افريقيين أو عرب عاشوا فى رحاب الازهر ، وتلقوا العلم فيه ، وقل مثل ذلك فى جميع الاقطار الاسلامية دون استثناء .

أما فضل الازهر على مصر فقد شمل الناحية الثقافية والناحية السياسية ... لقد كان الازهر هو المدرسة الوحيدة بمصر حتى مطلع القرن



.. واليـــــوم

التاسع عشر ، فأى علم وأى ثقافة وأية معرفة كانت لا تنبع الا من الازهر ، ولما بدأت النهضة الثقـــافية في مصر وبدأ أرسال البعوث الى اوربا ، كان الازهر هو المعين الذى اختيرمنه الطـــلاب للمعاهد التى انشئت ، وللبعثـات التى ارسلت ، وبعـــد أن انتشرت المدارس بمصر ، وكثرت الجامعات ظل الازهر المكان الوحيد الذى يلجأ له الفقـــراء والمعوزون فيجدون العلم والعون المادى، وطالما خرج من هؤلاء عباقرة كانوا قادة للامة ومصدر توجيه ومنبع عرفان ٠

وفي حياة مصر السياسية لعب الازهر دورا عظيما ، فمنه انبثق الصوت الذى هتف بالاستقلال ، وتوعد المستعمرين ، وكان منبره منبـــــر مصر ، وساحته ملتقى القادة والزعماء ، وطالما زلزلت الاجتماعات فيه اقدام الطغـــاة وهزت كيانهم ، ولهذا كان كثير من المستعمرين يضطرون الى مهاجمته أو مهاجمـــة المقاومة فيه ٠

ومر الزمن ، واستقلت الاقطـــــار الاسلامية ، ومع الاستقلال والحرية بدأت هذه الاقطار تنشىء الجامعات الدينيـــة والمدنية ، وبعض الكليـــات الدينيـــة حذت حذو الازهر ، وبعضـــــها انطلق انطلاقة أوسع مدى ، وفي مصر أنشئت كليات وأقسام في الجامعات المصرية تدرس بعض علوم الازهر ، وخطت هذه وتلك خطوات واسعة نحو الكمال ، وأوشك الازهر أن يتخلف عن الركب ، وقد كان الازهر الرائد الاعظم والمعهد الســـباق فى هذا الميدان ٠

واذا كان عصر الظلام والاحتلال قـــد مس كل شيء بشروره وآثامه فلمـــاذا انتكس الازهر فى عصر الاستقلال ؟ ذلك هو الموضوع الذى أعنى اليوم بدراسته رجاء أن يعيد المسئولون النظر فيـــه لترفع عن أزهرنا اثقال ما سمي بالتطوير وهو في الحق اساءة وتدمير ٠

التطوير ما كان وما يجب أن يكون :

في الحق أن الدراسات الازهرية كانت في حاجة الى تجديد وتحسين ، فكل شيء في الحياة يحتاج الى تجديد وتطوير ، ويبلى اي شيء بسرعة اذا لم تتجه له العناية بالتجديد والتطوير ، ولعل هذه القاعدة تصدق على كل شيء على الملابس والفراش ، وعلى المنزل والاثاث ، وعلى الارض التي تزرع ، والنهر الذي يجدد حفره وتحرس جسوره ... ، ولكن صدق هذه القاعدة على العلم ابرز واوضح ، فالكشف العلمي في الطب والهندسة والجغرافيا يتجدد من يوم الى يوم ، والطبيب الذي لا يتابع الدراسات الحديثة يتخلف وينقضي بسرعة عجيبة ، والعلوم النظرية ومنها العلوم التي يمثلها الازهر كالدراسات الدينية والعربية متطورة بطبيعتها من يوم الى يوم كذلك ، وقد رأيت في جامعة كمبردج كلية اللاهوت وهي في تطورها تسرع الخطا او تقفز فلا تلاحقها في حركة التجديد اية كلية اخرى .

وتجديد الدراسات الازهرية يمكن ان يكون من عدة نواح ، بأن تضاف علوم جديدة للمنهاج كمقارنة الاديان ، والحضارة الإسلامية في مفهومها الجديد ، وكالفقه المقارن الذي يعرفنا مكانة التشريع الإسلامي بالنسبة للتشريعات الأخرى ، وكملاحظة الصورة الشعرية في الادب ، ودراسة قضية الالتزام في الادب والتاريخ ...

ويمكن أن يكون التجديد من ناحية اضافة فلسفة الفكر ، فلا يدرس الفقه الاسلامي وحده وانما تدرس أهدافه ، ويمكن أن يكون التطوير بحذف بعض الفروع التي لم يعد الفكر الحديث يتطلبها كالفروض المبالغ فيها التي أوردتها كتب الفقه في باب الطلاق أو الطهارة او حذف ما ازدحمت به كتب التفسير من اسرائيليات ، ويمكن أن يكون من ناحية الاسلوب بأن تعاد كتابة هذه الدراسات بأسلوب العصر وصفائه .

ولست هنا على كل حال احاول أن ارسم التجديد في الدراسات الازهرية ، ولكني اذكر امكان ذلك وضرورته ، فقد تعلمت الفقه الاسلامي بالازهر فلم احس انه يدافع عن الاسلام او يبرز جماله ، وتلقيت محاضرات عن الفقه الاسلامي بأوروبا فرأيتها بطبيعتها تدافع عن الاسلام لا عن قصد ولكن لان طبيعة الدراسة اقتضت ذلك . وحسبك ان تقرأ باب الرق في كتب الفقه وتقرأه في كتابي « الاسلام » الذي تأثر منهاجه بالدراسات الغربية لتدرك هذا الفرق بوضوح .

ما اهم دعائم التطوير ؟ !

في تقديري أن اهم دعائم التطوير هي التطعيم الخارجي ، فالجزر النائية التي لا يطرقها الوافدون والتي يعيش بها أهلها دون اختلاط بغيرهم يصبح أهلها اقزاما ضعاف العقول والاجسام بمرور الزمن ، وهذا نفسه ينطبق على اي مؤسسة أو مصنع أو معهد لا يمسه التطعيم ولا تدخله دماء جديدة أو فكر جديد من حين الى آخر .

والدماء الفكرية الجديدة معناها الاتصال بالتفكير العالمي والتأثير فيه والتأثر به ، فطبيعة الاجتماع بالآخرين تولد جديدا ، وقد يتحدد مصدر هذا الجديد بأن يكون من ابتكار فرد معين ، وقد لا يتحدد بأن يكون من ابتكار المجموعة ، بأن أسهم كل فرد باشارة أو خطوة بقصد أو بدون قصد فينتج عن ذلك جديد مفيد ..



المنار العملاق
بين الأمس واليوم

والأزهر الشريف قد أخذ بهذا الاتجاه فارسل مبعوثيه للتعرف على ثقافة الغرب والاستفادة من مناهجها ، ولكن للاسف هناك حقيقة مهمة ومخجلة هى أن السادة الذين زاملونا فى الخارج وحققوا أشواطا من النجاح لم يعودوا لكليات الازهر كى ينقلوا ما عرفوا وكى ينموا معارفهم ، بل التقطتهم المكاتب والاعمال الادارية ولم تأخذ المدرجات منهم نصيبا يذكر ، ولست اذكر هنا اسماء هؤلاء فهم من الشهرة بحيث لا نحتاج الى ذكرهم · ومن الزملاء من اشتغل بالتدريس ولكن للاسف غلبه القديم فراح يدور فى دائرته لانه لم يقو على الصراع بين القديم والحديث ·

ولجأ الازهر احيانا للدماء الجديدة من خارجه ، بأن انتدب لكليات اللغة العربية والشريعة واصول الدين أساتذة من الكليات المناظرة بالجامعات المصرية لكن عمر هذا الانتداب كان دائما قصيرا ، وكان الازهر ينهى الانتداب ، او كان الاساتذة يتوقفون عن الاستمرار فى العمل ويعتذرون عن عدم السير فيه لان الصراع كان يدور خفية او علنا بين القديم والحديث ، ولا يستطيع الاساتذة المنتدبون أن يتخلوا عن فكرهم فتكون النتيجة هى الانفصال ·

التطوير بقانون سنة ١٩٦٠

وفى سنة ١٩٦٠ اتجهت الانظار لتطوير الازهر، وصدر قانون بذلك وبناء على هذا القانون أصبح الازهر جامعة تشمل كل فروع الثقافات ، ومن ثم انشئت به كليات للطب والهندسة والتجارة بالاضافة الى كلياته الثلاثة الاصلية وهى كليات اللغة العربية واصول الدين والشريعة ، ويشمل القانون كذلك اعادة تنظيم منهاج المعاهد الازهرية ، ويجدر بنا أن نعيش مع هذا التطوير مدة كافية لنثبت رأينا فيه ، ونسارع فنقرر أن الكثيرين جدا يرون أن هذا القانون أضر بالدراسات الازهرية ابلغ الضرر ، وأن الحكمة وخوف الله يقتضيان بالاسراع فى اعادة النظر فيه ، ولنسر مع هذا القانون خطوة خطوة ·

أصبح القسم الابتدائي يسمى القسم الاعدادى وبقى القسم الثانوى يحمل اسمه ، وهذه التسمية وضعت معاهد الازهر أمام المقارنة بمدارس الدولة ، وسنعود بعد لحظة لنرى اثر هذه المقارنة ·

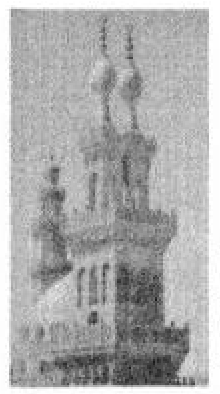
وقضى التطوير أن يشمل القسم الاعدادى منهاجين كاملين تقريبا احدهما منهاج الازهر العادى والاخر منهاج المدارس الاعدادية الحكومية، اما القسم الثانوى فقد أصبح به شعبتان احداهما ادبية والثانية علمية ، والشعبة الادبية بها علوم الازهر وعلوم القسم الادبى بالمدارس الثانوية الحكومية ، والشعبة العلمية بها المنهاج الازهرى ومنهاج القسم العلمى بالمدارس الثانوية ·

وقد نتج عن هذا الوضع أن برزت الحقائق التالية :

أولا – أصبح العبء ثقيلا جدا على الطلاب ، ولم يكن من الممكن أن يجيدوا الدراسات الازهرية وأن يجيدوا معها منهاج المدارس الحكومية ، فهذا وحده، وذاك وحده ، عبء ينوء به كثير من الطلاب فما بالك بحمل المسئوليتين ، وكانت النتيجة الواقعية أن الطلاب لم يجيدوا هذا ولا ذاك ، وراحوا ضحية هذا المنهاج السقيم ·

ثانيا : وضع الازهر نفسه فى وضع المنافس بالنسبة لوزارة التربية والتعليم فهو يدرس منهاجها ويلتزم بالتزاماتها العلمية ، مع أن الازهر ليست عنده الامكانيات لذلك · فليس عنده المدرسون اللازمون ولا المعامل ولا التفتيش الكافى

وكان طلاب الازهر يؤدون نفس الامتحان الذى يؤديه طلاب المدارس فى الشهادات العامة ، فاسئلة وزارة التربية والتعليم كانت هى التى يستعملها الازهر ، ولكن العجيب أن وزارة التربية لم تعترف بالشهادات التى يمنحها الازهر بناء على هذه الامتحانات ولم تعترف الجامعات المصرية بها ولم تقبل



الحاصلين عليها وهذا يعود فيما يقال الى فقدان الثقة في دقة سير الامتحانات

ثالثا : كان ازهرنا قسمين ابتدائي مدته اربع سنوات وثانوى مدته خمس سنوات ، فلما ظهر التغيير في التسمية وظهرت المقارنة والمنافسة بين الازهر ومدارس وزارة التربية ظهرت صيحات تنادي بتقليل سني الدراسة لتتفق مع سني الدراسة المناظرة بمدارس الوزارة ونتيجة لهذه الصيحات اصبح القسم الاعدادي ثلاث سنوات والقسم الثانوى اربع سنوات .

وخروجا من هذه المأزق ، وعودا الى الحق والصالح العام نقترح أن يعود للقسم الابتدائي والثانوى بالازهر طابعهما الديني ، وأن تكون الدراسة بهما دراسة ازهرية ، بها - كالمعهد بأزهرنا - علوم الاسلام وعلوم اللغة العربية وبعض المواد الثقافية واللغات ، ويلتحق الحاصلون على الثانوية الازهريةبالكليات الازهرية النظرية ، ويكونون نواة لباحثين في العقيدة والشريعة والاخلاق ، وباحثين في اللغة العربية وأدابها ، ومعلمين لهذه الدراسات وحماة لها .

●●●

ولنعد لقانون التطوير من ناحية اخرى ، فقد قضى هذا القانون أن تنشأ كليات عملية بجامعة الازهر ، وفي تقديرى انه ليس هناك اعتراض على الاكثار من التعليم الجامعي استجابة لمطالب الناس ، وليس هناك اعتراض على أن تعيد للازهر رعايته لمختلف العلوم ، فقد كان عبد اللطيف البغدادى يجلس بأروقته يعلم الطب ، ولكن هناك اعتراضات اخرى ذات بال تتصل بالكليات العملية بالازهر ، ونحن نجملها فيما يلي :-

اولا : نرجو أن يستكمل الازهر عدته لهذا اللون من الدراسات ، فليس من الممكن أن تحقق كلية للطب اى نجاح بدون المستشفى والمشرحة ، ولا كلية للعلوم أى تقدم بدون معامل ، ولا كلية للهندسة أى وجود بدون ورش ، ولن تستطيع كلية للزراعة أن تثبت نفسها بدون مزارع وتجارب ، وهكذا .... ، ونحن نسمع كثيرا ونقرأ كثيرا عن نقص في هيئات التدريس بهذه الكليات الازهرية وعن نقص في الامكانيات ، وهذا سيجعل خريج الكليات العملية بالازهر أقل من زميله المتخرج في الجامعات الاخرى ، وهو شيء لا يقبله الغيورون على الازهر .

ثانيا : في الكليات العملية يمضي الحاصلون على الثانوية العامة سنة تمهيدية للتفرغ للعلوم الاسلامية قبل أن يلتحق كل طالب بكليته ، واعتقادى أن هذا العام يمثل معول تدمير لهذه الكليات ، لانه يقضي عليها بالحرمان من الكفاءات ومن أوائل الطلاب الحاصلين على الثانوية العامة .

فالطالب الذى يستطيع أن يلتحق بطب القاهرة بمجموع ٨٠٪ مثلا لن يتقدم بهذا المجموع لطب الازهر لانه سيمضي عاما أكثر من أعوام الدراسة بالجامعات المصرية ، وقد يكون الطالب يسكن بجوار كليات الازهر ، وقد يكون له أو لاسرته ميول اسلامية ، ولكن زيادة عام في سني الدراسة تحول دون الطالب وكليات الازهر .

مرة أخرى نكرر أن هذا العام يحرم كليات الازهر من الطلاب الممتازين ، ويضع كليات الازهر من أول يوم في مستوى متخلف عن نظيراتها بالجامعات المصرية ، مما يجعل من المحتم أن الطبيب الازهرى أو المهندس الازهرى لا يستطيع

ان ينافس زميله فى الجامعات المصرية بسبب اختلاف المجموع فى الثانوية العامة التى تعد - الى حد كبير - مقياسا مهما لمواهب الطلاب .

وقد يقول مقترحو هذا العام انه ضرورى لتزويد الطالب بزاد اسلامى ، ونقول فى حزم ان التجارب اثبتت انه عام اقرب للضياع ، وان الطلاب لا ينتفعون فيه بشىء لا يمكن تعويضه ، وانهم يعتبرون هذا العام ضحية وثمنا لالتحاقهم بكلية طب أو هندسة ... لم يكن مجموعهم يؤهلهم للالتحاق بها ،

ونقرر بقوة أن العلوم الاسلامية يمكن أن ينال طلاب الكليات العملية قدرا كافيا منها مع دراساتهم ، وأن الطلاب المتازين اقدر على الانتفاع بالعلوم الاسلامية من طلاب الصف الثانى أو الثالث الذين يلتحقون بهذه الكليات بكفاءات محدودة ومواهب غير واسعة .

ثالثا : ماذا يدرس من العلوم الاسلامية لطلاب الكليات العملية ؟

فى الاجابة عن هذا نصرح بأن منهاج الدراسة لطلاب هذه الكليات يحتاج الى تعديل سريع ، فالدراسات الاسلامية ليست الغازا ، ولا يقصد بالطبيب الازهرى أن ينافس الائمة والوعاظ أو مدرسى المعاهد الدينية ، ولو قصدنا به ذلك لكان هذا خلطا بين التخصصات انما يقصد بالطبيب الازهرى أو المهندس الازهرى ، أن يكون طبيبا يجيد فنه ويخلص له ويطوره ، ويكون له مع هذا روح اسلامى يجعله اكثر حساسية وشفافية وسماحة ، وتربية الروح الاسلامى لا تحتاج الى المنهاج الدراسى الذى يراه الطلاب عبئا ولا يستفيدون به مدى حياتهم .

واننا نتساءل :

هل استطاع المنهاج الحالى جذب الطلاب الى الفكر الاسلامى او فشل فى ذلك ؟

هل ربى المنهاج الحالى روح الاسلام فى نفوس الطلاب ؟.

هل قدم المنهاج الحالى قدرات اسلامية حقيقية للطلاب ؟

هل ستعيش هذه الافكار فى نفوس الطلاب وهم أطباء ومهندسون .. أو أنها افكار من أجل الامتحان فحسب ؟

ليتنا نقدم هذه الاسئلة للطلاب أو الخريجين لنعرف رأيهم ؟ وعلى كل حال فان صلتى القوية بطلاب كليات الطب بجامعتى القاهرة وعين شمس تجعل من المؤكد أن أهم ما يحتاجه طلاب مثل هذه الكليات هو مادة مقارنة الاديان ومادة الحضارة الاسلامية .

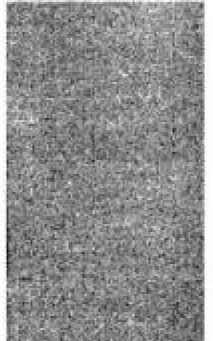
رابعا : هناك خطر شديد على الدراسات الاسلامية بالازهر لان كل الطلاب الاقوياء والاذكياء الموهوبين بالمعاهد الازهرية يتجهون للشعب العلمية وبالتالى الى الكليات العملية بالازهر ، ولا يلتحق بالقسم الادبى الا الطلاب الضعاف او العاديون ، وعلى هذا ستختفى المواهب من بين الذين يكون فى ايديهم زمام الفكر الاسلامى ، وهم الذين يلتحقون بكليات الشريعة واصول الدين واللغة العربية ، واذا كان جيلنا قد حقق بعض التفوق فى مجال الدراسات الاسلامية فذلك لاننا لم نجد طريقا آخر غير هذا الطريق ، ولو كانت امامنا فرصة للالتحاق بكلية الطب او الهندسة لالتحقنا بهما وأخلينا مكاننا كباحثين فى الفكر الاسلامى .

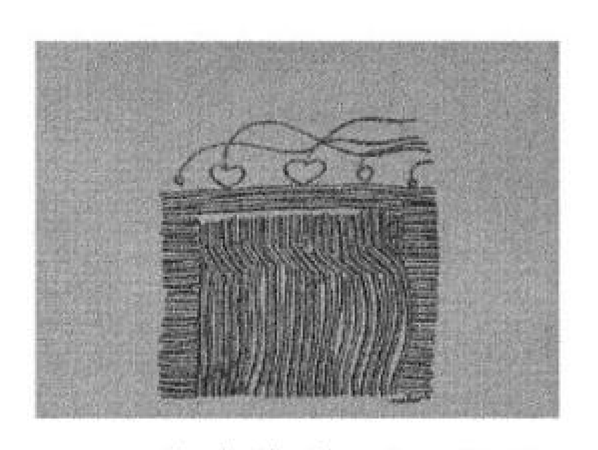
واقتراحى الذى اختم به نهاية هذه الدراسة هو الغاء المنهج المزدوج بمعاهد الازهر والغاء الشعبة العلمية من القسم الثانوى بالازهر ، وتزويد الكليات العملية بجامعة الازهر بطلاب من القسم العلمى بالثانوية العامة ، وتوجيه مزيد من العناية لكليات الازهر النظرية ، فهى اساس الازهر ، والغاء السنة التمهيدية والاكتفاء بادخال الدراسات الاسلامية خلال فرق الدراسة بكل كلية ويمكن عند الضرورة اعطاء منهاج اضافى خلال عطلة الصيف لهؤلاء الطلاب . وجعل مادتى مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية أساس الدراسات الاسلامية بهذه الكليات .

إدوار حنا سعد

مع الإعصار

جرى بالسواقى الهوج إعصارُ مغربِ
فدارت سياطاً فى مقابض غيهبِ
رهيبِ الصدى كالجنِّ دوى عزيفُها
طويلِ التمادى كالخصم المؤنّب
دعت قسوةُ الإعصار دربى فردّنى
إلى رحمةِ الجدران فى الدار مهربى
أمنتُ ولكن لاحقتنى لغرفتى
طيوفٌ وأصداءٌ تبينُ وتختبى
من البرد الهاوى غضوباً كأنّنا
تهاجَمُ بالحصباءِ من كل مذهب
وكوخٍ تهاوى جانباه ... ومزلقٍ
وسوقٍ بلا شارٍ وبيتٍ بلا أب
وزورق صيّاد تئنُّ صفاحه
حنيناً الى رزق الشباك المغيَّب
وعارضها فى الصدر إعصار قسوة
وحقند أحاطا بى وعاثا بملعبى
وأرقنى أنى ... وقد لان جانبى
لصحبى .. وإنى تغابيتُ للغبى





وزودتُ من نبع العذوبة موْردي
آكادُ بما ألقى أغص بمشربي
بُليتُ بمن إن ودَّني ... خلتُ أنه
تبسَّم عن نابٍ .. وحيَّا بمخلبَ
خلائقُ كالحيَّات لم يخلُ منهمُ
زمانٌ ... ولم يسلمْ حكيمٌ ولا نبي
بهم ردت الدنيا يهوذا وجددت
يزيدَ وألقت في الخيل بعقرب
مررتُ بمرآتي ... فكان لصورتي
عليها .. سلوٌ للفؤادِ المعذب
رأيتُ على وجهي أساريرَ هادىءٍ
ونظرة صبارٍ ... وبسمةَ مخصب
خلقتُ عيونا أن يرى الناس دمعتي
إذا دارَ في برج المكاره كوكبي
قنوعا بباقٍ من طماح تباعدت
هواديه عني موكبا بعد موكب
وإن باح شعري بالذي قد كتمته
يقولون مجنون المطامع ... أشعبي



الذبحة الصدرية هي مرض العصر ، وجناية المدنيـة والحضارة على البشرية : الإنفعالات ، المشكلات ، التوتر ، القلق، التدخين ... الخ .

وفي هذه الحالة يحدث قصور في عضلة القلب والتي تقوم بدور فسيولوجي هام وخطير في دوران الدم وتوزيع الحياة معه على أنسجة وخلايا الجسم .

وهذه العضلة القلبية كثيرة النشاط دائبة العمل متجددة الحيوية موفورة القوة لا تكل ولا تمل ، لا تسأم ولا تهرم، لا يتأثر انقباضها تأثرا بينا بالتفكير العام او التعصبي كما انهـا لا تصاب بالسرطان كذلك .

ويغذى عضلة القلب الشريان التاجي، وهو الذى يوزع على كيانها التغذية الدموية الخاصة بها . وبالرغم من انها تضخ الدم الى جميع اجزاء الجسم الا أنها لا تشذ عن كونها عضوا يحتاج الى شريان خاص يغذيه . وكما تعطى فلا بد أن تأخذ ، وحين يقل معدل غذائها الطبيعي او يتوقف تماما ، تبدأ أعراض المرض المسمى بالذبحة الصدرية في الظهور ...

الأسباب :

وهي أصلا ناجمة عن ضيق مجرى



الشريان التاجي ، ويكون ذلك اما من جراء ترسيب مادة «الكوليسترول» على جدار الشريان الداخلي ، والمسئول عن ذلك غالبا هو مرض السكر ، وقد يكون السبب المباشر هو انعكاس التوتر العصبي والقلق النفسي على العصب المغذي لذلك الشريان أو للقلب بصفة عامة ، أو ان تحدث جلطة مفاجئة ينتج عنها ضيق مجرى الشريان فينتقص معه معدل الامداد للعضلة القلبية ، ومن ثم تصاب بالضعف وينتابها الوهن والقصور نتيجة نقص كمية الاوكسجين التي يحملها اليها الدم الدافق باستمرار حين يتوقف فجأة .

وعندما يقل الامداد بالدم وبالتالي بالاكسجين اللازم لحياة القلب ، تتجمع وتتراكم وتتكدس نواتج الاحتراق والأيض الخلوي مثل حامض اللاكتيك في العضلة المريضة ، ومن هنا تبدأ نهايات الاعصاب بالتوتر والقلق والاضطراب . فيحدث الاحساس بالالم وهو المعروف بالم الذبحة الصدرية .

هذا فضلا عن أسباب اخرى لا تقل خطورة ولا اهمية عن ذلك مثل ارتفاع ضغط الدم ، وروماتيزم القلب المزمن الذي يصاب المريض في اثنائه بتضخم حجرات القلب وازدياد حجمه الى درجة كبيرة ، كما ان الزهري الذي قد يتسبب عنه التهاب او ضيق في صمام الاورطي قد يكون سببا مباشرا لهذا المرض .

اعراض الذبحة :

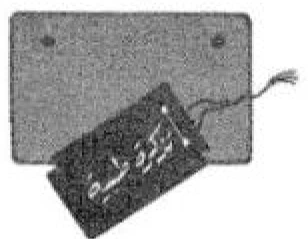
الاحساس بالالم عادة هو الشيء المميز لتشخيص هذا المرض ويحدث عادة خلف عظمة القص في خط الطول المنصف للجسم منتصف الصدر وقد يمتد الى الرقبة والكتف اليسرى فالذراع الايسر وفي بعض الاحيان يكون هذا الالم على هيئة حرقان او عسر هضم ، ولكن غالبا ما يكون قلقا واضطرابا اعلى البطن ومدته الزمنية هي ثلاث الى ست دقائق .

وعادة تحدث ازمة الذبحة الصدرية بعد بذل مجهود عضلي شاق .

التشخيص :

لا توجد امارات ظاهرة ولا علامات واضحة في بعض حالات الذبحة الصدرية ، وفيهايصعب تشخيص الحالة ومن ثم لا يجدالطبيب النقاط التي يبحث عنها لتقرير التشخيص لكن رسام القلب الكهربائي في أعقاب مجهود عضلي قد يظهر واضحا كل شيء عن القصور القلبي وعما اذا كانت ثمة امراض اخرى عضوية في القلب أم لا .

ولا مانع أن تجرى « قسطرة » للقلب تتحرك بتوجيه الأشعة ويدخلها الطبيب في الشريان التاجي من خلال شريان



الاورطى وبواسطتها يمكن حقن صبغة ملونة لتحديد مكان الانسداد فى الشريان وذلك عادة كتجربة قبيل اجراء الجراحة ·

ولا يجب اغفال تحديد نسبة « الكوليسترول » فى الدم ولا بد أن نجدها مرتفعة وبالذات عند مرضى السكر وكبار السن ·

الوقاية والعلاج

ما يجدر ان ننوه به وان نركز عليه ليكون جليا واضحا هو أن هذا المرض رغم ما يشكله من خطورة ورعب وخوف الا أنه سهل الوقاية منه ، يسير العلاج، قريب الشفاء ، الا فى اليسير من الحالات التي يهمل اصحابها انفسهم وتكون جنايتهم على انفسهم ·

والنصائح التي نعطيها لمرضى الذبحة الصدرية تتلخص بالتحرر من القلق والتفكير، وهذا هو لب الموضوع مع الامتناع عن التدخين رويدا رويدا لان التدخين يقلل من التيار الدافق للشريان التاجي بانقباضه مرة واحدة ·

هذا فضلا عن ممارسة الرياضة البدنية بانتظام وبالتدريج دون تعب تحت اشراف الطبيب المعالج ، وننبه الى انه يجب التزام المريض بالنصائح والتعليمات التي يتلقاها من طبيبه المعالج ، وان يرجع اليه فى اية لحظة يشعر فيها بانه غير طبيعي · كما نوصى بالاقلال من الدهون المشبعة وان كانت بحوث العلماء وتجارب الباحثين لم تظهر اية علاقة بين الدهون المشبعة فى الغذاء وتراكم مادة « الكوليسترول » بنسبة كبيرة فى الدم ·

العلاج بالعقاقير :

العلاج بالعقاقير يكون تحت اشراف الطبيب المعالج وهو المسئول عن تقدير الجرعات من كل عقار وتقرير مستوى الحالة ·

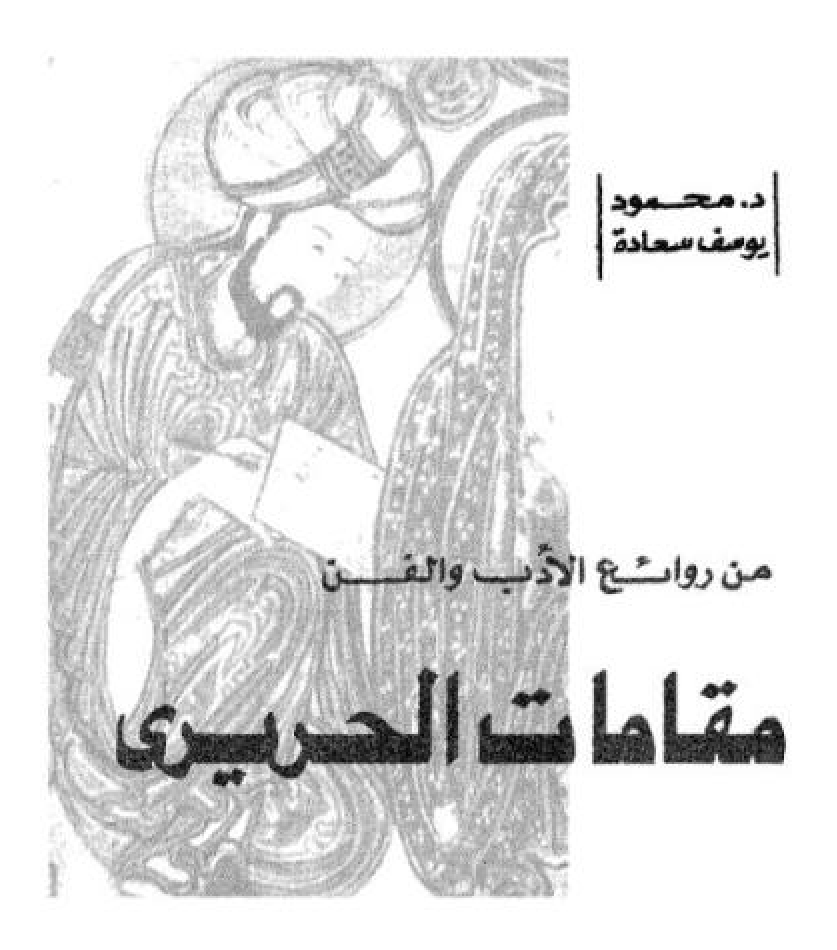
وفى حالات اشد خطورة تطرد الازمات وتتفاقم وتتوالى وتتدهور حالة المريض النفسية والجسمية معا ، فنجد انه لا بد من اجراء جراحة يقوم فيها جراح الصدر والقلب بقطع الاعصاب السمبتاوية التي تحمل اشارات القلق الكهربائية الى القلب ومنه الى المخ · ولهذه الجراحة نفع عظيم وخطر اعظم ··· نفعها انها تهدىء ضربات القلب فى التو وتكبح حدة التوتر والاضطراب والخفقان ويتمتع المريض بالراحة التامة فى أحسن حال واهنأ بال · لكن خطورة العملية تكمن فى أن انعدام الاحساس بالالم مهما ازداد التعب القلبي والقصور العضلي للقلب يجعل المريض يغفل حالته وينساها ·· وللعلم فان الاحساس بالالم هو مؤشر صادق ومقياس دقيق ومعيار حساس لدرجة الاصابة ومدى المرض ، وبدونه يشعر المريض بالشفاء الكاذب الذى يجعله يمارس حياته العادية ويختلف الى عمله دون احتراس بينما قلبه يتآكل شيئا فشيئا حتى يموت فؤاده فى صدره دون ان يشعر ، وفجأة لا يجد نفسه الا وهو ملقى على سرير ابيض وهو عاجز تماما عن تكملة مشوار البقاء ·

وهذا لا يمنع ان هناك جراحة اخرى ادق واجدى واعظم وهى فى الشريان التاجي نفسه بتوصيله بشريان اخر ، وهذه عملية اخرى لا داعى للافاضة فى تفاصيلها · وبالعقاقير والتعليمات والنصائح يستطيع مريض الذبحة الصدرية ان يحيا حياة سعيدة هانئة راضية مستقرة ···

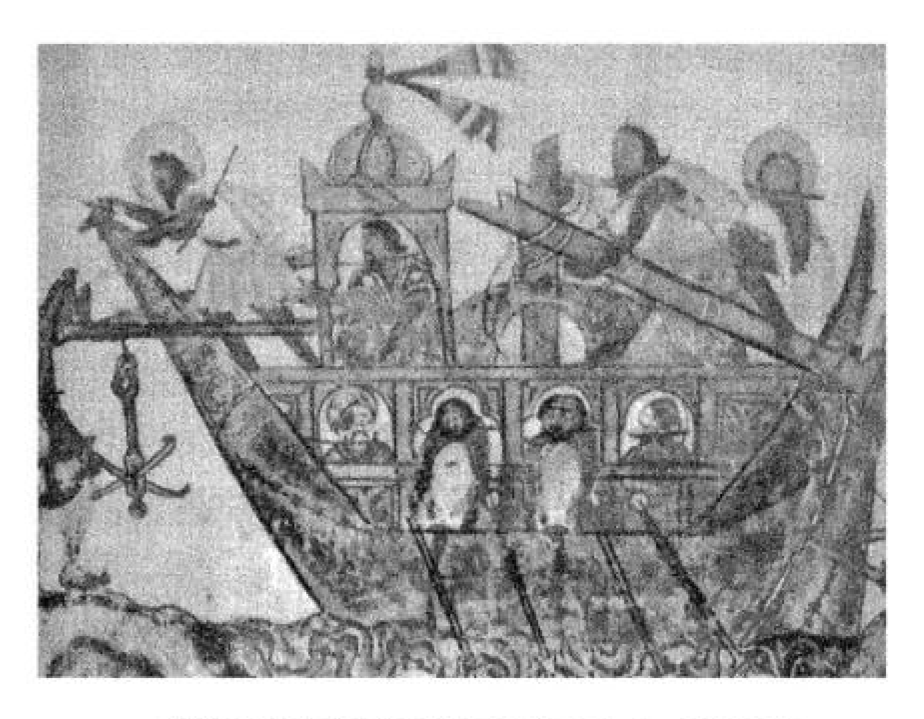
د. محمود
يوسف سعادة

من روائع الأدب والفن

مقامات الحريري



تعتبر المقامات التى كتبها الحريرى زهرة فى فى بستان الادب جعلت الكثير من الحكام يهتمون بها ويقتنون منها النسخ التى زاد من قيمتها اهتمام الفنانين بتذهيبها والعناية بكتابتها وتزويقها بالتصاوير التى تعتبر مراة للفنون لفترة من فترات الفن الاسلامى اختلف المؤرخون على تسميتها فتارة يلقبونها بالمدرسه السلجوقية ، وتارة بمدرسة بغداد ، واخرى المدرسة العراقية ، وان اجمع الغالبية على تسميتها بالمدرسة العربية للتصوير .



المقامة ٣٩ .. أبو زيد يطلب ركوب السفينة « المعهد الشرقى » ليننجراد

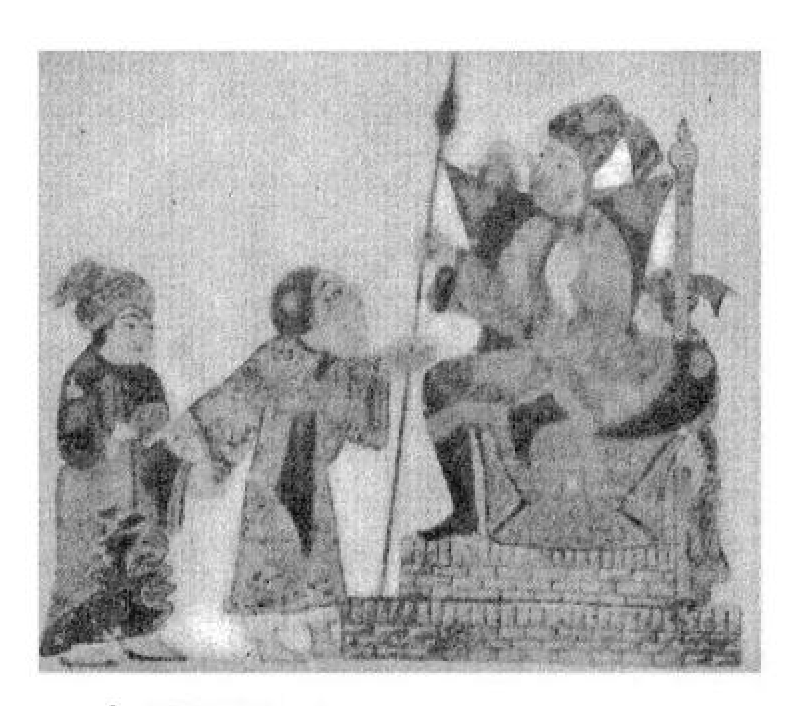
● تعتبر المقامات أحدى قمم الأدب العربى ، وكتبها أبو محمد القاسم ابن على بن عثمان الحريرى البصرى ، ويروى ابن خلكان بأن الحريرى كتب مقاماته لجلال الدين

عميد الدولة أبى الحسن على بن على صدقه وزير الخليفة العباسى المسترشد بالله ، وأن كان بعض المؤرخين يزعم أنه كتبها لشرف الدين أنو

شروان محمد بن خالد القاشانى الذى كان وزيرا لنفس الخليفة العباسى ، اذ كان الحريرى على اتصال بخلفاء بغداد ووزرائهم .

ولد الحريرى عام ٤٤٦ هـ فى أحدى ضواحى البصرة بالعراق وعاش فى البصرة وبغداد وتدل مقاماته على انه جاب كثيرا من الدول والبلدان . وتوفى عام ٥١٦ هـ بالبصرة وله مؤلفات عديدة فى اللغة وادابها والشعر . وأن كانت المقامات قد حظيت دون باقيها بأهمية بالغة . ويقال أن المؤلف قد نسخ بنفسه منها ٥٠٠ نسخة .

وتتكون مقامات الحريرى من خمسين مقامة . والمقامة هى لغة العظة . ونظرا للشهرة العريضة التى حظيت بها . فقد اهتم الكثيرون



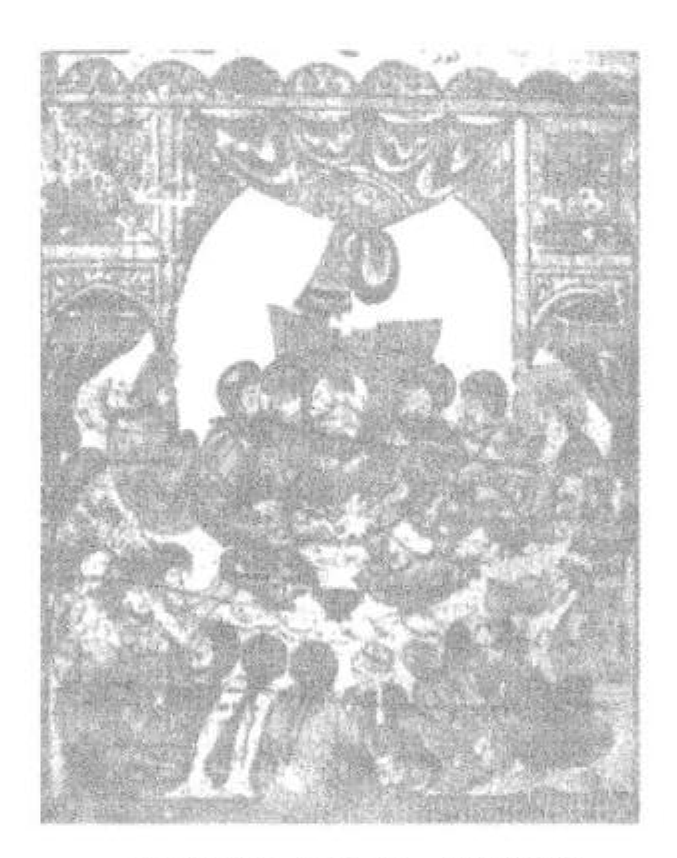
المقامة العاشرة .. ابو زيد امام حاكم الرحبة « المكتبة الوطنية » - باريس

من الادباء بشرحها والتعليق عليها وان كان هناك من اعترض عليها كابن الخشاب البغدادى ، غير ان ابن برى انتصر للحريرى ، ولعل ما كتبه العلامة الزمخشرى صاحب كتاب « الكشاف » من أروع ما يصور مكانة الحريرى ومقاماته :

اقسم بالله وآياته
ومشعر الحج وميقاته
ان الحريرى حرى ان
تكتب بالتبر مقاماته
معجزة تعجز كل الورى
ولو سروا لضوء مشكاته

وتبدأ المقامات بالدعاء والصلاة على خاتم النبيين كما جرت عادة الادباء فى ذلك الزمان ، ثم يوضح الحريرى الهدف من كتابته لهذه المقامات فيقول :

● « وبعد ، فانه قد جرى ببعض اندية الادب الذى ركدت فى هذا العصر ريحه ، وخبت مصابيحه ، ذكر المقامات التى ابتدعها بديع الزمان ، وعلامة همذان ، رحمه الله ، وعزا الى أبى الفتح الاسكندرى نشأتها ، والى عيسى بن هشام روايتها ، وكلاهما مجهول لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف ،



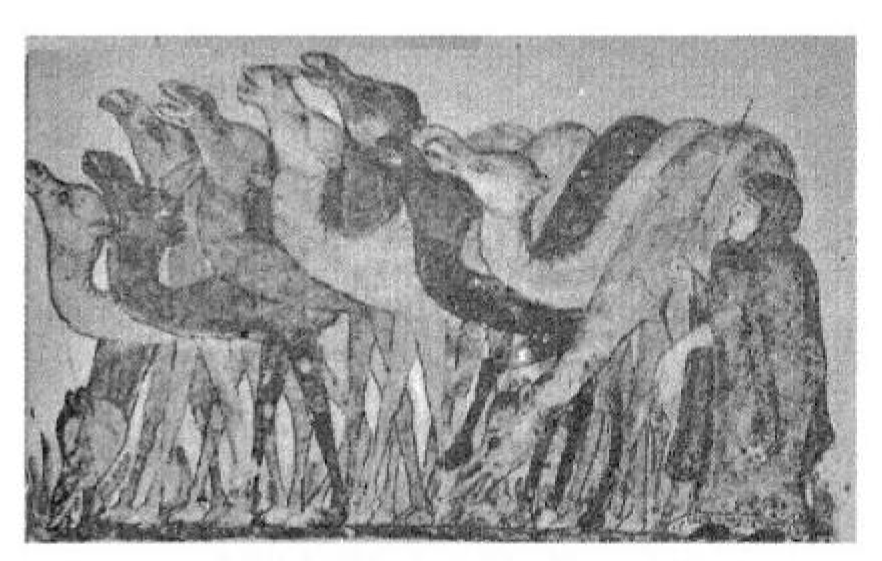
اللوحة الثلاثون .. حفل عقد قران – متحف لينتجراد

فاشارة من اشاراته حكم ، وطاعته غنم ، الى أن انشىء مقامات أتلو فيهـــا تلو البديع ، وان لم يدرك الظالع شأو الضليع ، فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ، ونظم بيتا أو بيتين ، واستقلت من هذا المقام الذى فيه يحار الفهم ، ويفرط الوهم ، ويسبر غور العقل ، وتتبين قيمة المرء فى الفضل ويضطر صاحبه الى أن يكون كحـــاطب ليل ، أو جالب رجل وخيل ، وقلما سـلم مكثار،أو أقيل له عثار،فلما لم يسعف بالاقالة ، ولا أعفى من المقالة ، لبيت دعوته تلبية المطيع ، وبذلت فى مطـــاوعته جهد المستطيع ، وانشـــات على أغانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خــامدة ، وروية ناضبة ، وهموم ناصبة ، خمسين مقامه حوى على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان



المقامة ٤٣ .. نقاش على أبواب القرية «المكتبة الوطنية» – باريس

وندرة وملح الأدب ونوادره ، إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب المحبرة ، والمواعظ المبكية ، والأضاحيك الملهية ، مما أمليت على لسان أبي زيد السروجي ، وأسندت روايته إلى الحارث بن همام البصري ، وما قصدت بالاحماض فيه ، إلا تنشيط قارئيه ، وتكثير سواد طالبيه ، ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين ، أسست عليهما المقامة الحلوانية ، وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية ، وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره ، ومقتضب



اللوحة ٣٢ .. قطيع الابل «رسم ابن الواسطي» مكتبة باريس

حلوه ومره ، هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله ، سباق غايات ، وصاحب آيات وأن المتصدي بعده لانشاء مقامة ، ولو أوتي بلاغة قدامه ، لا يغترف الا من فضالته، ولا يسري ذلك المسرى الا بدلالته ، وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته ، والمورد الذي توردته، كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه ، فالحق بالخاسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، على أني وان أغمض لي

الفطن المتغابي ، ونضح عني المحب المحابي ، لا أكاد أخلص من غمر جاهل ، أو ذي غمر متجاهل ،

يضع مني هذا الوضع ، ويندد بأنه من مناهي الشرع ، ومن نقد الاشياء بعين المعقول ، وأنعم النظر

في مباني الاصول ، نظم هذه المقامات ، في سلك الافادات ، وسلكها مسلك الموضوعات ... »

ويعتقد معظم الذين كتبوا عن الحريري أن أبا زيد السروجي هو شخص حقيقي ومن طلاب الحريري ويسمى المطهر بن سلام ، أما الحارث فيعتقد أنه الحريري نفسه وأنه تسمى بهذا الاسم أخذا من قوله عليه الصلاة والسلام كلكم حارث وكلكم همام .

ويجد القارىء أن كل مقامة مكرسة لكفاح بطلها أبي زيد من أجل العيش بروح مثابرة مكنة تجتاز العقبات دون أن تتكسر بالتردد ، وعلى المكافح اذا أراد أن يبلغ مراده أن يستغل عقله ودهاءه للتغلب على ما يقابله من مصاعب وليجتاز العقبات التي تقف في طريقه — ويقول ابن برى ان ابازيد السروجي كان موجودا وكان شحاذا بليغا ومكديا فصيحا ، ورد البصرة ووقف يوما في مسجد بني حرام يتكلم ويسأل الناس شيئا ، وكان بعض الولاة حاضرا والمسجد غاصا بالفضلاء فاعجبهم فصاحته وحسن

صياغة كلامه وملاحته ، وذكر لهم ابو زيد قصة اسر الروم ابنته كما وردت فى المقامة الثامنة والاربعين ويروى ابن برى أن الحريرى أجتمع عنده عشية ذلك اليوم جماعة من معارف من فضلاء البصرة وعلمائها فقص عليهم قصة مشاهدته لابى زيد بالمسجد ذلك اليوم ، فحكى كل واحد من جلساء الحريرى أن شاهد ايضا ذلك السائل فى المسجد وما سمعه منه فى معنى آخر وأنه كان يغير فى كل مسجد زيه وشكله ويظهر من فنون فضله احتياله فتعجبوا من جريانه فى ميدانه وافتنانه فى احسانه .

ويعطى الحريرى لكل مقامة عنوانا ، وغالبيتها باسماء البلاد التى زارها فذكرها ، وهذا ما جعلنا نؤكد بأن الحريرى وان كان قد ولد باحدى ضواحى البصرة ثم مات بها الا انه قد زار مدن فارس شرق العراق ورحل جنوبا بالجزيرة العربية حتى اليمن وغربا الى بلاد الشام ومصر .

المقامة ٣٩ .. الجزيرة الشرقية ـ بغداد .. العراق





المقامة السابعة .. فرسان الاستعراض – مجموعة شيفر

واسماء المقامات هي :

الصنعانية ، الحلوانية ، الدينارية، الدمياطية ، الكوفية ، المراغية (باذربيجان) ، البرقعيدية (شمال الموصل) ، المعرية (قرب بغداد) ، الاسكندرانية ، الرحبية (على الفرات بين دمشق وحلب) ، الساوية ، (بين الرها وهمذان) ، الدمشقية ، البغدادية ، المكية ، الفرضية ، القهقرية ، (سميت بذلك لانها تتضمن رسالة تقرأ من اخرها الى اولها كما تقرأ من اولها الى اخرها) ، السنجارية

(مدينة فى عراق العجم) ، النصيبية (نسبة الى نصيبين) ، الفارقية (نسبة الى ميافارقين) ، الرازية (نسبة الى الرى) ، الفراتية ، الشعرية ، القطيعية (نسبة الى قطيعة ربيع وهى محلة ببغداد) ، الكرجية (نسبة الى الكرج وهى بلدة بين همذان واذربيجان) ، الرقطاء ، الوبرية (نسبة الى اهل الوبر وهم البدو)، السمرقندية .

نسخ المقامات المخطوطة بمتاحف العالم

تعتبر مقامات الحريرى من المخطوطات الادبية التى تفتخر مكتبات المتاحف باقتنائها وتوجد منها نسختان محفوظتان بالمكتبة الوطنية بباريس ونسخة بالمتحف البريطانى واخرى محفوظة فى المتحف الاسيوى بلينتجراد والاخيرة محفوظة فى جامع السليمانية باستامبول .

مجموعة باريس وتضم واحدة منها اقدم نسخة مصورة معروفة للمقامات ودون فيها الناسخ تاريخ انجاز هذا المخطوط (٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م) وتتفرد صور هذا المخطوط بان الرسام لم يستخدم الهالة المعهودة التى تحيط برءوس الاشخاص الذين تميزوا برشاقة اجسامهم وقلة اللجوء لرسم النباتات .

والنسخة الثانية من مجموعة باريس من نسخ ورسم الفنان يحيى ابن محمود الواسطى المنسوب الى مدينة واسط بالعراق والتى انتهى منها فى شهر رمضان سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م) وتحتوى على ٩٩ صورة موزعة على ١٦٧ صفحة وهذه النسخة مهداة من « شيفر » لذلك تسمى نسخة شيفر ويضم هذا المخطوط جميع العناصر والصفات المميزة للمدرسة العراقية فى رسم الانسان والحيوان والنبات والعمائر والمناظر الطبيعية كما عالج الواسطى فى براعة الحياة الاجتماعية .

اما نسخة لندن فتحتوى على ٨١ منمنمة موزعة على ١٧٧ صفحة وقد نسخها عمر بن على بن المبارك الموصلى ومؤرخه بسنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م وان كان مكان انجاز هذا المخطوط غير محدد وتتميز ببساطة الاسلوب ومعالجة الاشخاص وقصر رقابهم والواقعية فى رسم الحيوانات والشريط الزخرفى الذى يرمز الى الارض والهالة التى تحيط برءوس الاشخاص .

وتفتقر نسخة لينتجراد الى اثبات اسم الناسخ او تاريخ الانجاز وحتى مكان الانجاز ، فقد اختلف المؤرخون فى تحديده ، وقد اصاب وجوه الاشخاص فى صور هذا المخطوط بعض التشويه يتمثل فى رسم خطوط تقطع رقاب الاشخاص لتسلب الحياة منها ويعتقد ان بعض المتطرفين هو الذى قام بهذا العمل الشاذ اعتقادا منه بكراهية التصوير فى الدين الاسلامى . وتضم نسخة تركيا ٥٦ تصويرة عانت ايضا من تشويه الوجوه والاجسام وهى مجهولة الاصل والزمن والرسام او الناسخ ، وتشبه هذه النسخة نسخة لينتجراد.

صور من المخطوطات وتفسيرها للمقامات

أفرد العالم اتينجهاوزن فى كتابه

فن التصوير عند العرب جزءا خاصا لمخطوطات المقامات يذكر فيه أن فن التصوير بلغ عند العرب ذروته في رسم المقامات وقد تم ذلك على الرغم من أن كتاب الحريري لا يقدم للمزوق سوى الشيء القليل ، والنقطة الرئيسية فيه هي البراعة اللفظية

لدى البطل أبي زيد السروجي الذي يعرف بارتجالاته الحاذقة وادعاءاته المستهترة كيف يحرك حشدا من الناس أو شخصية بارزة ، ويحصل نتيجة لذلك على هدايا كبيرة ، ولقد ظل الناس لفترة طويلة يعجبون بهذه التلميحات والاستعارات الحاذقة والتلاعب بالالفاظ والاحاجي وغيرها من اعمال البراعة التي تضفي على هذه المغامرات اهميتها الادبية .

والمزوق كفنان غفل في تصويراته عن الاغراءات اللغوية وكيفما كانت الحال فان الخمسين مقامة حدثت في اماكن عديدة لذلك حادثة تقع في مسجد أو في سوق او خان او في مقبرة او مخيم صحراوي او جزر خضراء في المياه الشرقية او سفينة وكانها على وشك الرحيل او موسيقيين في احد الاحتفالات الدينية اوراعية للابل .

المقامة ٣١ .. قافلة الحج ـ مجموعة المكتبة الوطنية ـ باريس





عاش الرافعي (مايو ١٩٣٧) في عصر مليء بالأحداث والثورات الوطنية والفكرية والروحية .

أدرك الثورة العرابية طفلا وليدا ، وتتلمذ على مفكريها وقادتها شابا فتيا ، وكافح مع أمته بفكره وأدبه في ثورة مصطفى كامل السياسية ، ثم في ثورة الشعب عام تسعة عشر وتسعمائة وألف ، حتى ليصح أن نقول عنه : إنه ابن الثورة وابن الشعب .

ففي أعقاب الثورة العرابية التي تآمر عليها الاستعمار والخديو ، لم تفقد مصر إيمانها بحقها ، ولا صلابتها

فلسفة
مصطفى صادق الرافعي





مصطفى صادق الرافعي

بين الحق والباطل ، وان نبيهم أظهر من السحابة فى سمائها » .

ويرى أن الاسلام فى نفسه عدو شديد للتعصب ، وان الدين الصحيح من الدين الصحيح كالاخ من اخيه

وطالما دعا الرافعى فى حماس قوى كل مسلم الى أن يتخذ الرسول الاعظم ، صلوات الله عليه ، قدوة ومثلا أعلى ، ويقول فى ذلك : « أيها المسلم ، لا تنقطع من نبيك العظيم ، وعش فيه ابدا ، وأجعله مثلك الاعلى ، وحين تذكره فى كل وقت فكن كانك بين يديه ، كن دائما كالمسلم الاول ، كن دائما ابن المعجزة » .

ويرى « ان المسجد فى حقيقته هو موضع الفكرة الاسلامية الواحدة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع » .

وقد ترك الامام محمد عبده اثره القوى فى تفكير الرافعى وفلسفته الاسلامية .. وكان هذا التاثير اقوى الاسباب فى منزلته الكبيرة بين ابناء عصره ، فقد اصبح مفكرا اسلاميا رفيع المقام فى زمنه ، تعيش اجيال من الشباب المسلم فى العالم الاسلامى على ادبه ، يعدونه اماما للفكر الادبى الاسلامى فى العصر الحديث .

وكان الرافعى بحق – وكما وصف به – كلمة اسلامية جامعة ، تتلخص فى الدعوة الصادقة الى اصول الاسلام وفضائله ، وما برح ادبه صفحة ناصعة من صفحات الاسلام ، وحجة باهرة من حجج الشرق والعروبة ، فى عصر شحيح بالاقلام المناضلة . وليس فى الادب الحديث مثيل لادبه الاسلامى ، الذى حمل فيه لواء الدفاع عن الاسلام ،

فى الدفاع عن هذا الحق ، وتطلع الرافعى فوجد الامام محمد عبده قد عاد من المنفى ، ليحمل بكلتا يديه الفكرة الاسلامية والثورة الوطنية معا ، والتف حوله يأخذ عنه ، ويتتلمذ عليه ، وعلى البارودى الذى عاد كذلك من منفاه ، بعد تسعة عشر عاما قضاها بعيدا عن وطنه .

اخذ الرافعى عن استاذه الامام كثيرا من فلسفته وافكاره فى التجديد والاصلاح وفى محيط الدعوة الاسلامية .

كان يرى انه لن يعم السلام فى العالم الا اذا عم الاسلام ، باخلاقه ، فشمل العالم ، وكان يكرر أن العودة الى الاسلام واخلاقه وقيمه من ضرورات الاخذ باسباب النهضة ، ويقول : « لم يكن الاسلام فى حقيقته الا ابداعا للصيغة العملية التى تنتظم الانسانية فيها » ، ويقول متعجبا من حاضر المسلمين : « كيف يستوطىء المسلمون العجز وفى أول دينهم تسخير الطبيعة وكيف يستمهدون الراحة وفى صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى ، وكيف يركنون الى الجهل وأول امرهم اخر غايات العلم » .

ويقول : « ان المسلمين هم العقل الجديد الذى سيضع فى العالم تمييزه



الإمام محمد عبده

وعن وطنه مصر ، فى عزيمة صادقة ، واخلاص مكين .

وكان الرافعى اعظم ما يكون قوة وانطلاقة حجة ، حين كان يكتب عن الاسلام ، شارحا أو مدافعا ، وقال فيه الامام محمد عبده : « أسأل الله أن يقيمك فى الاواخر مقام حسان فى الاوائل » .

وقد غلبت الصبغة الاسلامية على ادبه فى الروح والمضمون ، وفى الاسلوب والشكل كذلك . ومن تأثيرها فى ادبه هذه الفصول الرائعة التى تحدث فيها عن الحب العذرى ، وهى من أروع الفصول فى ادبنا الحديث ، ومن تأثيرها كذلك اقتباساته العديدة فى مختلف صوره البيانية من الاسلام ومن القرآن الحكيم ، والحديث النبوى الشريف .

وأخذ الرافعى كذلك من الاستاذ الامام الكثير من افكاره الثورية والسياسية .

أما ثورته فتتجلى واضحة فيما كتبه عن الاستعمار والفكر الغربى الاستعمارى ، وفى دعوته لبنى وطنه وللمسلمين عامة ليتحرروا من الذل والهوان والخضوع ، ومن التقليد الاعمى للغرب فيما يضر ولا يفيد .

وأما فكره السياسى فينبع كذلك من آراء أستاذه الامام ، آمن بمصر ، وهام بحبها وشعره ونثره يمثلانه وطنيا فى الطليعة من الوطنيين الاحرار فى عصره وما كتبه عن ثورة عام تسعة عشر وتسعمائة وألف يتميز بأسلوب الاديب والمفكر الحكيم ، كتب يصف الشعب وموقفه فى هذه الثورة فقال : « تعلم الشعب من دفن شهدائه كيف يستنبت الدم فينبت الحرية » .

ويضع الرافعى محنة فلسطين فى موضعها الصحيح فيقول : « ليست هذه محنة فلسطين ، ولكنها محنة الاسلام ، يريد المستعمرون الا يثبت شخصيته العزيزة الحرة » .

وسبق الرافعى فندد بالالقاب التى الغتها الثورة ، وقال عنها : « انها الفاظ فارغة من الامر والنهى ، والوسيلة والشفاعة » .

كما ثار على الامتيازات الاجنبية فى قوة وصلابة ، وعلى تناحر الاحزاب وتعددها .

ووقف من القصر موقفا فى مطلع شبابه فثار على شوقى ، وجعله وهو شاعر القصر من شعراء الطبقة الثانية

مصطفى صادق الرافعي

ونقد كذلك شاعر الملك ، عبد الله عفيفي في مدائحه الملكية ، وثار في وجه الابراشي ، مما كان له اثره الشديد في حياته .

وحمل الرافعي على الاقطاع في عصره حملات شعواء ، كتب عن طفلين الخوين مشردين يتلملان على عتبة بنك ، يقول : « يا عجبا ، بطنان جائعان في أطمار بالية ، يبيتان على الطوى والهم ثم لا يكون وسادهما الا عتبة البنك ترى من الذى لعن البنك بهذه اللعنة الحية » .

وكتب على لسان فقير ، يوجه الحديث الى ابن امير : « لن تكون أميرا لشهادة عشرة الاف دينار تضعها عند مومس ، ولكن لشهادة هذا المال عند عشرة الاف فقير » .

وكتب في الفاضة عن التابعى الجليل ، عالم المدينة ومحدثها ، سعيد ابن المسيب ، الذى ابى أن يزوج ابنته للوليد ، ولى عهد عبد الملك بن مروان على وزنها ذهبا ، وزوجها لتلميذه الفقير ابن ابى وداعة على ثلاثة دراهم .

ويعطى المثل لعدالة الاسلام الاجتماعية الرفيعة من حياة الرسول الاعظم ، صلوات الله عليه ، اذ دخل على ابنته فاطمة رضى الله عنها ، فرأى على بابها سترا ، ورأى في يديها سوارين من فضة ، فانصرف عنها ، ورجع دون أن يكلمها ، فأرسلت اليه تسأله السبب ، وفي عينيها الدموع ، فبعث اليها يقول صلوات الله عليه: « ان كان ذلك من اجل الستر والسوارين » ، فقامت الى الستر فمزقته ، وبعثت بالسوارين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبيعهما ويتصدق بثمنهما على فقراء المسلمين ، فبيعا بدرهمين ونصف . وهكذا لم يرض الرسول لابنته حلية بدرهمين ونصف ، وفي المسلمين فقراء لا يملكون مثلها ،وضرب بذلك المثل للمسلمين ليعلمهم أن زينة بدرهمين ونصف لا تكون زينة في رأى الحق اذا أمكن ان تكون صدقة بدرهمين ونصف .

●●●

ويؤلف الرافعي في احدى مقالاته مظاهرة من أبناء الشعب تهتف : ان اولادنا يريدون الذهاب الى المدارس ولكننا لا نستطيع ان ندفع لهم المصروفات

والمقاومة اليوم اكبر شعار لامتنا بما تنطوى عليه من بذل وتضحية ، وقد عبر الرافعي عن هذا الشعار ابلغ تعبير فقال : « يا شباب العرب ، ان كلمة « حق » لا تحيا في السياسة الا اذا وضع قائلها حياته فيها ، فاجعلوا رسالتكم اما ان يحيا الشرق عزيزا واما ان تموتوا » .

وشعارنا الاخر اليوم هو ان نصمود ارادتنا قد حولنا نصر اعدائنا الى هزيمة ، وهزيمتنا الى نصر ». وقد سبق الرافعي فعبر عن ذلك اوجز تعبير وادقه فقال : « ياشباب العرب ، من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة تكون المادة الاولى فيها: قدرنا ، لاننا اردنا » .

ذلك كله اثر للثورة الفكرية التى ربى فيها ، ونشأ عليها ، والتى غرسها في روحه استاذه الامام ، والتى هى اثر لتعاليم الثائر الاسلامى العظيم جمال الدين الافغانى .

وحول كل هذه الثورات الوطنية التي عاصرها الرافعي واشترك فيها ، كانت تدور افكاره في الادب والنقد والاصلاح

كان الناس يتخاصمون في مذاهب الفكر ، بين مشايعين لحضارة الشرق وثقافته أو لحضارة الغرب وعلومه ،

فوقف الرافعي مع حضارة الاسلام وتراثه ، مع الفكر العربي المتحرر المقتبس من كل ما في الحضارات الانسانية من جديد مفيد ، وهذا هو اتجاه الاستاذ الامام ودعوته ·

وظهر الرافعي في حقبة كان الادب فيها حائرا بين مذاهب المحافظين ومذاهب المجددين من رومانسيين ورمزيين وواقعيين وغيرهم ، ممن يتأثرون خطا الاداب الغربية ، في افراط حينا ، وفي اعتدال حينا اخر ، فآثر الرافعي أن يكون ادبه تيارا وحده ، يسير مع تيار المحافظين ، ولا يخاصم مذاهب المجددين ببعث الحياة في التراث القديم ويأخذ منه ، ويتمثله في اسلوبه ، يجدد من صوره ، وينشر ما طوى من بلاغاته ، على نمط لا نجد له نظيرا في آثار المعاصرين ·

ويختلف النقاد في عصره في منزلة الادباء ، وطبقات الشعراء ، وفي ادب المحافظين والمبتدعين اختلافا كثيرا ، والرافعي يشارك في كل ذلك ، ويكتب حوله ، ويدخل في معارك نقدية عنيفة ، ويخرج منها ظافرا في اغلب الاحيان ·

كان البارودي والكاظمي وحافظ والرافعي هم شعراء الطبقة الاولى في رأيه ، اما شوقي قبل منفاه ، فهو عنده من شعراء الطبقة الثانية ، وقال عن حافظ : انه ابن الامام ، وعلى يديه تخرج ، وهو احدى حسناته على العالم العربي ·

وبعد ···

فماذا نقول عن الرافعي ؟

هذا الكاتب الكبير الذي كان من اقدر كتاب العربية ، واشدهم ذكاء ، وعبقرية ؟

ماذا نقول عن ادبه الذي حمل ثورته الروحية والفكرية والسياسية ، وحمل اراءه في الادب والشعر ، ومعاركه في النقد ، ودراساته للادب القديم والحديث ولاعلامهما المشهورين ؟

ماذا نقول عن الرافعي الذي كانت الجماهير تتابع ادبه متابعة الظل لصاحبه ، وكان صدى عميقا لعصره ، وصورة رائعة لمجتمعه ولبيئته ·

ان في ذكر الامة الدائم له دليلا على منزلته من ضمير الوطن ووجدانه وروحه ·

●●●

ولقد حان الوقت لان نختار كل عاصمة كبرى من عواصم الوطن اديبها القومي ، وشاعرها الوطني على ان يختار من بينهم على مستوى الجمهورية الشاعر القومي ، والاديب القومي لوطننا ، ويحتفل بذكراهما كل عام ، في كل مكان من العالم ، كما تفعل كثير من الشعوب ، من مثل انجلترا وباكستان والهند وغيرها ·

والرافعي ، وهو الاديب القومي لطنطا المجيدة الثائرة ، لاشك انه سيكون احد المرشحين لنيل لقب الاديب القومي لوطنه مصر الخالدة ·

لقد كان بحق رجلا فذا ، وعظيما ومناضلا صلبا ، وكان مقدمة رائعة لجيل الاحرار الثوار الذين ابلوا بلاء حسنا في تقليم اظافر الاستعمار ·

ان ديونه التي طوق بها جيد امته والعالم العربي والاسلامي لاكبر من من قدرتنا على الاداء ·

فله منا الوفاء كل الوفاء ومن الله الرحمة وحسن الجزاء ·

اللارواية أو موجة الرواية الجديدة

د. صلاح عدس


صمويل بيكيت

انتشرت في حياتنا الادبية في السنوات الأخيرة ظاهرة الغموض والتعقيد والاخلال بالشكل الفني للرواية والقصة القصيرة مما جعل القراء ينفرون من تلك الاعمال القصصية ...

وقد جاءت تلك الظاهرة في ادبنا تقليدا لموجة « اللارواية » او « الرواية الجديدة » (١) التي ظهرت بوادرها الاولى في أعمال « ناتالي ساروت » ... وسنحاول هنا القاء الضوء على تلك الموجة وما احدثته من تجديد في شكل الرواية وما يقف وراءها من خلفيات اجتماعية وفلسفية باعتبارها نتاجا لمجتمع يمر بأزمة حضارية بعد حربين عالميتين ونتاجا للفلسفة الوجودية ... وقد تزعمت تلك الحركة كما قلنا « ناتالي ساروت» حين كتبت مجموعتها القصصية عام ١٩٣٨ وعنوانها « انفعالات » ولكن تلك الموجة تحددت ملامحها عام ١٩٥٢ على يد « الان روب جرييه » و « صمويل بيكيت » و « ميشيل بيتور » و «روبير بانجيه » و « كلود سيمون » و «كلود موررياك » و « مارجريت دورا » و « فيليب سولار » ...

فرواية « كلود سيمون » التي عنوانها « الغشاش » ظهرت عام ١٩٤٧ ثم اصدر « ميشيل بيتور » روايته « ممر ميلانو » عام ١٩٥٤ .. وقد ظهرت رواية « مارجريت دورا » وعنوانها « قنطرة في مواجهة الباسفيك » عام ١٩٥٠ . وكذلك ظهرت رواية « مولوى » التي كتبها « صمويل بيكيت » عام ١٩٥١ .

وقد ابتدع بيكيت « المسرواية » وهي مزج بين الرواية والمسرحية ، أي مزج بين السرد والحوار . كما ظهرت

---

(١) شرح كاتب هذه السطور الجذور الاجتماعية والفكرية لحركة اللارواية في كتاب « ملامح الفكر الاوروبي المعاصر » الذي يصدر ضمن سلسلة « كتب الهلال » هذا الشهر .



ارنست همنجواي

أيضا رواية « روبير بانجيه » وعنوانها « ماهو » عام ١٩٥٤ .

أي أن حركة «اللارواية» قد اتضحت ملامحها تماما في الخمسينات من هذا القرن ... وقد ظلت الرواية من قبل محتفظة بشكلها التقليدي فترة طويلة منذ الرواية الرومانسية عند « شاتوبريان » و « جان جاك روسو » ثم الرواية الاجتماعية والطبيعية عند « بلزاك » و « اميل زولا » ، والرواية الواقعية عند « جوستاف فلوبير » فكل هذه الروايات تخضع لقواعد الشكل التقليدي وان اختلف المضمون فيما بينها . ففي كل منها نجد حدثا يمتد في الزمان وله أزمة وذروة وحبكة ، وفي كل منها شخصيات لها ابعاد سيكلوجية واجتماعية ...

وقد يغرق كاتب من هؤلاء في تصوير البعد السيكلوجي لشخصياته مثل ديستويفسكي ، أو مثل مجيمس جويس» و « فرجينيا وولف » باتجاههما لتحليل ما يسمى باسم « تيار الوعي » وباطن اللاشعور ... او قد يغرق كاتب اخر في تصوير البعد الاجتماعي مثل « بلزاك » و « زولا » و « فلوبير » .

وان بداية الخروج على الشكل التقليدي للرواية تلمح بوادرها مثلا عند « جويس » لانه يتحدث في روايته « أوليس » وغيرها عن عالم داخلي غير العالم السطحي الظاهر ، مما استلزم استحداث أسلوب جديد ولغة جديدة للتعبير عن ذلك العالم الداخلي ... ومن هنا كانت بداية الغموض والتعقيد في الرواية العالمية ...

الا أنه يمكننا أن نقول ان القصة قبل موجة « الرواية الجديدة » ظلت محتفظة « بالحدوتة » أي الحدث الذي يمتد في الزمان من البداية الى الوسط الى النهاية ويحكمه منطق السبب والمسبب بحيث يؤدي كل جزء من الحدث الى الجزء الذي يليه وبحيث يبدو كل جزء منه نتيجة لما قبله وسببا لما بعده ...

فالرواية التقليدية يتكون الحدث فيها من سلسلة من الوقائع التي تتم في الزمان ... أي ان هناك فعلا وفاعلا ، والفاعل هو الشخصيات .

وخلاصة القول ان الزمان هو أساس الرواية التقليدية لذلك نجد موجة الرواية الجديدة تلغي عنصر الزمن ، وهي بذلك تلغي الفعل والفاعل ، وتلغي الحدث والقصة ، وتلغي الشعور واللاشعور ، بل هي الغاء للانسان وابقاء على « الشيء » فقط و « المكان » فقط ! ..

وهكذا حل المكان محل الزمان في الرواية الجديدة او اللارواية ...فليس فيها شخصية ولا حدث ولا قصة ولا حبكة ولا منطق ! ..

وقد كان كتاب « عصر الشك » الذي كتبته « ناتالي ساروت » وكتاب «طريق لرواية المستقبل » الذي كتبه « الان روب جرييه » بمثابة المنشور الرسمي لحركة « الرواية الجديدة » .

وقد كتب « الان روب جرييه » عدة روايات اهمها رواية « التيه » ورواية « الأساتيك » ، ورواية « بيت المواعيد الغرامية » ، ورواية « المتلصص » ، وهو يعتبر من أهم رواد حركة اللارواية بل هو أيضا رائد الرواية السينمائية



وذلك لانه اخرج بعض رواياته للسينما مثل رواية « الخالدة » ورواية « قطار أوروبا السريع » ... وهو يبرر غموض رواياته بأن أحداث الحياة نفسها غامضة ، ويبرر عدم وجود « البطل » او الشخصية في رواياته بأنه لم يعد لأحد في مجتمعه شخصية ، وانما اصبح لكل واحد الف وجه ...

أما « ناتالى ساروت » فأهم اعمالها رواية « صورة مجهول » ، ورواية « الكوكب السيار » ، ومجموعتها القصصية القصيرة التى عنوانها « انفعالات » أو يمكن ترجمة عنوانها أيضا باسم « نبضات » أو « ردود أفعال » لأن قصص تلك المجموعة هى فعلا نبضات للحياة فى المجتمع الغربى أو هى تصوير لانفعالات الكاتبة وردود أفعالها المباشرة تجاه عصرها ومجتمعها ...

فهذه المجموعة القصصية هى « منولوجات » تعكس اللامعنى واللاجدوى واللامعقول والعبث والفراغ والتيه والغثيان ... وليس فيها حدث ولا شخصية ولا زمان وانما كل قصة هى مجرد لوحة تصويرية للمكان ... وليس لتلك القصص عناوين كالعادة وانما لكل منها رقم مسلسل .

فمثلا القصة رقم « ١ » ترسم لوحة لمجموعة من الناس يتلكأون فى ظل اماموواجهات المحلات ، والقصة لاتتعدى بضعة سطور وسننقلها هنا ...

وأما القصة الاخيرة فتكشف وضع الانسان المعاصر فى عزلة وغربة ووحدة فلا اتصال مع الاخرين الا عن طريق التليفون ...

والشىء الذى يربط بين هذه القصص ليس هو الزمان وانما هو المكان ، فهى تصور الشارع أو المطعم أو الحجرة أو الحديقة او المقهى ...

وهكذا تقدم لنا « ناتالى ساروت » من خلال المكان صورة الحياة فى مجتمعها . ولنقرأ معا القصة الاولى من مجموعة انفعالات وعنوانها « رقم (١) » ...

رقم « ١ »

كانوا يبدون كانما ينبعون من كل مكان كأنهم يتفتحون فى ندى الهواء البارد ... وكانوا يسيلون فى بطء كأنهم ينضحون من الحوائط ، ومن الاشجار ذات السياج ، ومن الكراسى ، ومن الارصفة المتسخة ، ومن الحدائق التى تتوسط الميادين ...

كانوا يتمطون كالعناقيد الطويلة القاتمة اللون بين واجهات المنازل الخالية من الحياة... وكانوا يتجمعون بين مسافة وأخرى أمام واجهات المحلات اكواما متراكمة لا تتحرك تسبب اضطرابا على هيئة انسدادات خفيفة .

كان ينبعث منهم هدوء نفسى عجيب وقناعة من نوع يائس ... ينظرون باهتمام الى حزم الاقمشة فى معرض « البياضات » التى تبدو كجبال الجليد او الى احدى الدمى التى تبرق اسنانها وعيناها ثم تنطفىء فى فترات منتظمة . تبرق بالضوء ثم تنطفىء ... تبرق ثم تنطفىء ... تبرق من جديد ثم تنطفىء من جديد ... كانوا ينظرون مدة طويلة دون ان يتحركوا ويظلون مشدودين امام واجهات المحلات يؤجلون باستمرار موعد رحيلهم الى اللحظة التالية ... وقد أسلم اليهم الاطفال الصغار ايديهم فى هدوء . وقد اتعبهم طول التأمل وتشتت اذهانهم ينتظرون فى صبر قريبا منهم ...

كانت هذه هى القصة القصيرة او « القصة القصيدة » لانها مزاج من

طبيعة القصة وطبيعة القصيدة الشعرية، ولعلنا بذلك نكون قد أخذنا فكرة واضحة عن هذا الاتجاه ...

وهكذا نجد أن موجة الرواية الجديدة هي نتاج الفلسفة الوجودية وخاصة وجودية سارتر فاذا كان سارتر قد عبر عن الغثيان واللاجدوى واللامعقول في شكل معقول من خلال الرواية التقليدية او المسرحية التقليدية ، وكذلك فعل البير كامو ـ فان كتاب مسرح اللامعقول وكتاب اللارواية قد عبروا عن تلك الافكار الوجودية من خلال شكل لامعقول ولا منطقي تتحطم فيه قواعد الدراما المسرحية وقواعد الرواية وتنتفي فيه منطقية الحدث بل تتفكك فيه اللغة ...

فنجد كتاب الرواية الجديدة يستعملون اللغط والاشارات والصمت أكثر من الكلام ، وهم بذلك انما يعبرون عن حضارة تحتضر بعد حربين عالميتين حتى ان سارتر في كتابه « ما الادب » يسمي اوروبا باسم الرجل المريض !

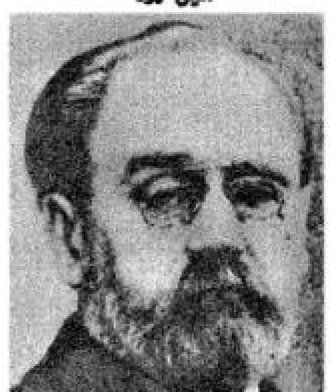
والسؤال الان هو هل هذا هو حال مجتمعنا وهل هذا هو الادب الذي يصور حياتنا ؟ .. صحيح اننا نعيش مع الاوروبيين في نفس العصر ، ولكننا نعيش في مكان آخر ، وفي ظروف أخرى ، وبقيم أخرى ، فاننا لم نعان من حرب عالمية أولى ولا حرب عالمية ثانية، ولم نعش الانقلاب الصناعي وتغيراته الاجتماعية ، وتضخم الرأسمالية ، والكساد الاقتصادي في الثلاثينيات ..

ولم نعان من انهيار القيم والانحلال الجنسي ، وازدياد نسبة الجرائم والعنف ، والامراض النفسية التي تجتاح العالم الغربي ... فلا يزال مجتمعنا بحالة افضل من ذلك ، ولا تزال الارض الزراعية تملأ وادي النيل ، والمصريون يؤمنون بالله وبالقيم الاخلاقية المرتبطة بالدين ، ولذلك فان اي انتاج فلسفي او ادبي مخالف لظروف مجتمعنا هذه يبدو غريبا منفرا ينفض عنه الناس في بلادنا ، ولذلك لم تجد موجة الرواية الجديدة جمهورا ...

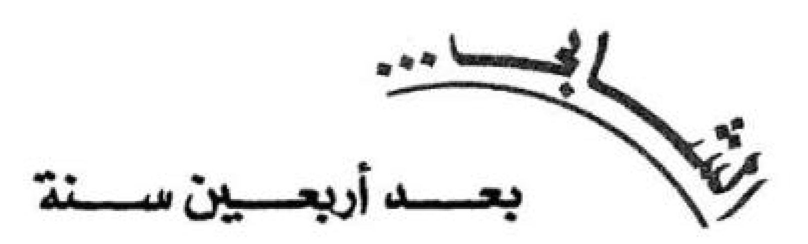
ثم هناك كلمة أخيرة نوجهها الى ادعياء المذاهب المستوردة الذين يكتبون امثال تلك التقاليعات ويروجون لها هم ونقادهم ، نحب أن نقول لهم انه اذا كانت موجة « الرواية الجديدة » مقبولة من « الان روب جرييه » أو « ناتالي ساروت » وغيرهما لان لها ما يبررها في ظروف مجتمعهم وعصرهم ، وذلك على الرغم من ان قراءة أعمال هؤلاء الكتاب بغموضها وتعقيدها لا تثير في الناس سوى « القرف » ـ فلا يزال « تشيكوف » هو اعظم كتاب القصة القصيرة ، ولا يزال « ديستويفسكي » و « هيمنجواي » و « زولا » و « بلزاك » و « فلوبير » هم أعظم كتاب الرواية !

ونقول لادعياء الماركسية ايضا انه اذا كان تقليد موجة الرواية الجديدة قد يبدو مقبولا من هواة التقاليع الجديدة ، فانه لا يبدو مقبولا من اصحاب الايديولوجيات والالتزام ، لانه يوقعهم في تناقض حاد مع انفسهم ومع شعاراتهم السابقة وكلشيهاتهم الفارغة .

اميل زولا



إبراهيم عبد الباقى



بعد أربعين سنة

بسطت لك اليمنى فخذها على الرحب
معدت لك اليسرى فلامس بها حبى
وجادت بك الذكرى فكنت لها شذى
ويوما لنا نحياه مجدا على النخب
وجادت بك الايام صوتا لأمة
وجادت بك الاقدار روحا من الرب
فمثلك لا يمحى على الدهر ذكره
لذلك انت الذكر فى البعد والقرب
وانك كنت الشعر فى قلب امة
وانك كنت العزم فى السلم والحرب

**

ابا القاسم الاسمى لروحك آية
يفجر منها المجد فى ثورة الشعب
لانك نبل الصدق والحب خالدا
وانت الوفا شعرا وروحا على القلب

**

ابا القاسم الأعلى لشعرك فتنة
نسيج من الخلد وفيض من الحب
قطاع من الدنيا تجلى مهابة
وبحر من الاكوان فى جوها الرحب
وشدو من الانغام يسمو رونقها
ترددها الأزمان فى لحنها العذب

وتشدو بها الاحقـاب يسرا وعسرة
ويعلو بها الانسان فى الموقف الصعب
ويأتى بهـا النصر المبين الذى يغدو
سحابا من الرحمان يقضى على الجدب
فتصفو لنا الدنيا ويصفو لنا القضا
ونحيا مع الامجاد فى فرحة الشعب

**

ابا القـــاسم الداعى لخير بـلاده
ابا القـــاسم الداعى لخير بنى العرب
لك الله من فذ تســامى مفاخرا
لك الله من نبع تدفق بالخصــــب
لك الله من نور تألق ســـــاطعا
فسرنا على اليمنى وسرنا على الدرب
وتبقى على الدنيا اشعـة رائــد
الى الخير كل الخير هديا الى القلب
وتبنى بك الامجاد يا خير شــاعر
وتسمو بها الانساب فى غمرة الكرب
فذكراك بعــــد الاربعين خريدة
تزين جيــد الدهر بالجوهر الحب
وتبقى على الايام ذكـــرى فريدة
يمجدها الانســـــان بالعقل واللب



● تونس ● ● ابراهيم عبد الباقى ●

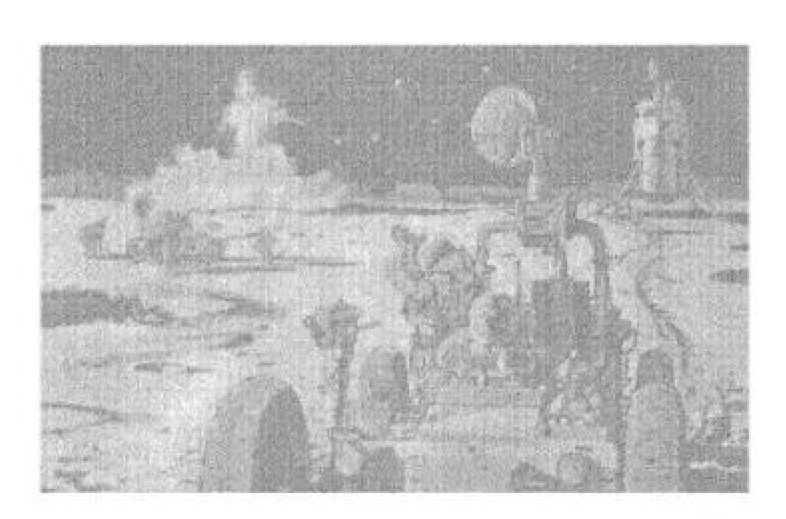


ميشيل تكلا

إنسان القمر ومجاهل الفراغ..

قام الانسان بعده رحلات ناجحة الى القمر خلال السنوات القليلة الماضية ، ومكث فريق من الرواد وقتا قصيرا فوق سطحه ، ثم عادوا الى الارض بعد أن تركوا وراءهم بعض الاجهزة الحساسة والنفايات وآثار اقدام بشرية ... وكلفت هذه الرحلات الدول التى قامت بها ونجحت فى الهبوط على القمر بالرجال أو بالمركبات الآلية الحركة ، أموالا طائلة وأرهقت ميزانياتها ...

ومع ذلك فان رحلات القمر القادمة سوف تخضع لنظام اكثر شمولا واتساعا .. فعلى سبيل المثال سوف ترسى محطات فضائية فى مدار الاقمار الصناعية ، ولكن بطريقة افضل . كما ان معامل الفضاء التى لا تزال . تدور فى الفضاء على ارتفاع مائة وسبعين ميلا هى احدى هذه المحاولات التى



مكنت الانسان وهو يدلف اليها ويعيش في داخلها أياما وشهورا ، أن يقوم باجراء تجارب علمية معقدة لدراسة الرياح الشمسية والبقع التي تظهر في قرص الشمس ورصد الكواكب والنجوم ، ودراسة المذنبات الهائمة في الفراغ ...

● استعمار القمر ●

ان عصر الوصول الى القمر في مركبة تقذف من الارض بدفع الصواريخ الجبارة قد ادبر وولى . فوجود محطة فضائية او اكثر في السماء يعني أن عصر استعمار القمر قد اقبل وبدأ فعلا ... ولماذا نذهب بعيدا ، فمنذ خمسة قرون تقريبا اكتشف كولمبس القارة الامريكية ، ففي رحلته الاولى لم يذهب الى امريكا ويعود منها ، بل ترك وراءه قلعة صغيرة يديرها افراد من رجاله على شاطىء جزيرة هسبانيولا .

ان جزر الهند الغربية والقارة الامريكية كانا بالضرورة حقلين جديدين خامين يمكن استعمارهما . ولكن ظهرت في الافق صعوبات كان بعضها اكبر من تلك التي ظهرت كالحواجز أمام استعمار القمر ... واذا كان عبور المحيط الاطلنطي قد تم في زوارق مصنوعة من نبات البردى في رحلة استغرقت من ستة الى سبعة أسابيع وتعرضت لهبوب العواصف البحرية المدمرة في أي ساعة من ساعات الليل او النهار ، فان المسافة من الارض الى القمر تقطعها تكنولوجية القرن العشرين في ثلاثة ايام فقط برغم مخاطر الكون الخارجي .

ان انسان هذا العصر محظوظ جدا فالذين قاموا برحلاتهم البحرية في القرن السادس عشر سافروا في وحدة مطلقة . ولم تكن هناك وسائل لاتصالاتهم ببلادهم بأي طريقة وهم يشقون طريقهم نحو المجهول .. لا يعرفون هل يعودون او لا يعودون ... ولكن رواد القمر كانوا على اتصال دائم بالارض ينقلون اليها الصور التليفزيونية أبان الرحلة المثيرة ...

لم يعرف الرحالة الاول الذين ذهبوا الى امريكا شيئا عن مساحة القارتين الامريكيتين ، أو ما هي الحالة التي سيجدونها هناك ... ولكننا كما يقول عالم الكيمياء المعروف ايزاك اسيموف،نعرف الكثير عن القمر . وان تكنولوجيتنا الحديثة تستطيع ان تواجه اخطار القمر عن التكنولوجية التي كانت موجودة في عهد كولمبس ...

ان الذين تغنوا بجمال القمر وقالوا انه جنة من جنات الله لم يعرفوا انه خال من الماء والهواء وان مدة دورانه طويلة ، وليله ونهاره يستغرق كل منهما أسبوعين من الزمان . فبدون وجود الماء لامتصاص الحرارة وبدون وجود الهواء ليلطف من لفحها ، فانها تتراكم على الجزء المضيء بنور الشمس لتكون درجات حرارة عالية في منتصف النهار القمري تصل الى درجة غليان الماء . اما درجات حرارة الليل فتهبط بدورها الى ١٥٠ درجة فارنهايت تحت الصفر قبل انبلاج الفجر ، اي اكثر صقيعا من ليالي الشتاء في القارة المتجمدة وبدون وجود ستار من الهواء فان سطح القمر الجامد يصبح عرضة لاشعاعات الشمس ، ولامطار النيازك الصغيرة التي لا تهدأ ابدا .

ولكن اذا وضعت المحطة الفضائية

إنسان القمر ومجاهل الفراغ..

تحت سطح القمر ، اختفت فى الحال بعض هذه المصاعب. فتغيير الحرارة اثناء دورانه يقتصر على قشرته الخارجية . وذلك لان قشرة القمر الصخرية عبارة عن موصل جيد للحرارة . فعلى عمق ياردات تظل الحرارة ثابتة ، كما ان السقف الصخرى نفسه يعمل عازلا ضد تغيير درجاتها لانه يحمى سكان القمر من اشعاعات الشمس الحارقة ومن امطار النيازك واخطارها .

● الماء والهواء ●

قد يتساءل الانسان : ماذا يكون عليه الحال فى غياب الماء والهواء الا يؤدى ذلك « سكان » القمر سواء اكانوا فوق قشرته أم تحتها ؟

يجيب العالم اسيموف بقوله : « ان ذلك يعتمد على تفسيرنا لكلمتى الماء والهواء . فالقمر ليس به جسم محسوس ملتصق بسطحه . ولا تتدفق المياه فيه على هيئة انهار أو بحيرات أو بحار . وليس معنى هذا ان الماء لا وجود له بالمرة فى القمر .. ان العناصر الثلاثة العادية فى الكون هى : الايدروجين ، والهليوم ، والاوكسجين . فذرات الايدروجين تتحد كل زوجين معا لتكون جزيئات الايدروجين ــ وبنفس الطريقة تكون ذرات الاوكسجين جزيئات الاوكسجين كما ان الايدروجين والاوكسجين يتحدان ليكونا جزيئات الماء . ولذلك فان المركب العادى ــ وهو عنصر ذو جزيئات تحتوى على اكثر من نوع واحد من الذرات ــ الموجود على اى كوكب يتكون من خليط المادة الاساسية للكون هو بكل تاكيد عبارة عن ماء .

وبعض العناصر والمركبات تتكون من ذرات او جزئيات يلتصق بعضها بالبعض بشدة عن طريق القوى الكهرومغناطيسية فتصبح جامدة . وبعض العناصر او المركبات تتكون من ذرات او جزئيات لا تلتصق ببعضها البعض بشدة ، وهذه هى الغازات او السوائل ، وتتقل فى الكوكب اساسا بسبب قوى الجاذبية .

والكواكب الصغيرة ذات مجالات الجاذبية الصغيرة لا تستطيع الاحتفاظ بما يقبض منها ، كما هو الحال فى الكواكب الكبيرة . وعلى ذلك فالقمر الذى تبلغ جاذبيته سدس جاذبية الكرة الارضية لم يستطع ان يحتفظ باى جو بالمرة . وعليه لم يحتفظ بقدر كاف من الماء ... ولنفرض ان بعض الماء الذى كان موجودا فى السحابة الاولية التى تكونت منها الكواكب ، قد تسرب الى ما تحت سطح القمر ، فمن المحتمل أن تكون هناك شرايين من الثلوج تحت سطحه .

● طاقة القمر ●

ان الطاقة الوحيدة الموجودة فى القمر هى الاشعاعات الشمسية . وهى المصدر الفعال لهيئات الطاقة المستخدمة فى الارض بطرق محدودة الا من العسير استخدام الاشعاعات الشمسية كمصدر مباشر للطاقة .. فضوء الشمس كثيرا ما تحجبه السحب أو الضباب أو الغبار عن

الوصول الى الارض . وحتى تحت الظروف المواتية فان معظم الاشعاعات الشمسية الساقطة على الارض يمتصها الجو فتضعف من قوة الطاقة وقدرتها لاستخدامها فى المناطق المزدحمة بالناس او تلك التى لا تشرق عليها الشمس باستمرار .

ولكن الحالة تختلف كثيرا على القمر . فاليوم القمرى طوله اسبوعان . وطوال هذا الوقت تسطع الشمس بعنف وكثافة لا تتخللها سحب قاتمة او ضباب كثيف . وعلى ذلك فمن الممكن اسقاط مجموعات من « البطاريات » لتخزين كميات كبيرة من الطاقة اثناء النهار الطويل ، لكى تستمر المستعمرة فى اداء عملها اثناء الليل الطويل .. وما دام يمكن الحصول على قدر كبير من الطاقة ، فمن السهل أن يطول عمر الاشياء .. فالماء والهواء اللذان جاء بهما الانسان من الارض الى القمر لن يستهلكا بشكل قاطع نهائى ، ولن يختفيا بعد الاستعمال . فالاوكسجين فى الهواء سيتحول الى ثانى اكسيد الكربون . ويتحول الماء بدوره الى عرق او « بول » او يتسخ من الاستعمال فى الاغراض الصناعية . ولكنه يحتاج الى طاقة ليعود الى حالته الاولى لاستخدامه مرة ثانية وهكذا .

اضف الى ذلك ان التحويل الثانى اكسيد الكربون الى اوكسجين بطرق كيميائية يترك لنا الكربون فى هيئة من الهيئات فى حين ان تقطير فضلات السائل يترك لنا مواد جامدة مختلفة . فما الذى يستطيع الانسان ان يفعله بمثل هذه المواد غير النافعة ؟

يقول العلماء ردا على هذا السؤال : اذا اعتبرنا ان الطعام جزء من دورة المستعمرة القمرية ، ولكى يصبح علماؤنا مستقلين عن الكرة الارضية ، فعلى هؤلاء « المستعمرين » ان يجلبوا معهم اشياء حية يمكنها ان تنمو وتصبح مصدرا مستمرا للغذاء . وهذه الاشياء الحية لن تكون حيوانات لانها تحتاج ايضا الى التغذية . وانها ستحتاج الى طعام اكثر مما تعطيه عندما تصبح هى نفسها طعاما . وهذا معناه ان مستعمرة القمر يجب ان تعيش على النباتات التى تستمر على مواد غير عضوية ، اى على نباتات مجهرية دقيقة .

وعلينا ان نتخيل الوجود الانسانى على القمر . ثم عملية حصول الانسان على الطعام والماء والهواء . فالخلايا الخضراء لنبات « الالقا » المنتشر فى المستعمرة سيعيد تحويل ثانى اكسيد الكربون الى اوكسجين بجانب وجود النتروجين والفسفور وفضلات الانسان من الاملاح ، ومن ثم تتكاثر الخلايا الخضراء ، وتصبح مصادر دائمة من الطعام .

اذن ، فهل يعنى هذا انه مع وجود كمية محدودة من الهواء والماء والطعام وطاقة غير محدودة ، فان مستعمر القمر ستظل تعمل الى الابد فى دورة وراء دورة وبذلك تدب الحياة على القمر ؟

يقول اسيموف : ان دورة الحياة الجديدة قد لا تكون مثالية او كاملة ولا بد من حدوث نقصان او فقدان او ضياع للمادة . ولكن هذا الفاقد يجب أن يعوض لاننا نتوقع ازدهارا ونموا مستمرين للمستعمرة ، اما فيما

يختص بالطاقة فليست هناك مشكلة وان الطعام لن يشكل خطرا هو الاخر . لانه اذا أعطى طاقة كافية فان ثانى اكسيد الكربون والماء والاملاح والخلايا ستتشر الى مالانهاية وبدون توقف . ويمكن امداد هذه العناصر بكميات كافيه من الطاقة اذا كانت الكربوناتوالنيترات والفوسفات والماء موجودة كلها فوق القمر . فالنيترات والفوسفات سيعملان كاسمدة او مخصبات . أما الكربونات فسوف تنتج ثانى اكسيد الكربون عند تسخينها . ويصبح الماء بجانبأهميته مصدرا « للديتريوم » الوقود الاساسى فى محطات قوى الانشطار .

وقد لا يكون للبخر او الماء اى اثر فى القمر لان الصخور التى عاديها رواد « ابوللو » الى الارض ليس بها اثار مياه على الاطلاق وعلى ذلك قد يكون القمر خاليا اساسيا من الماء . كما ان نسب الكربون والنتروجين والفسفور منخفضة فيه هى الاخرى

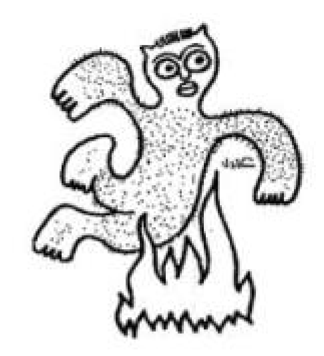
وعلى ذلك يجب ان تضحى الكرة الارضية بكمية من مائها فترسله الى القمر لتبعث الحياة فى ارجائه واذا كانت الارض تشكو من نقص الماء العذب ، فلا بأس ان ترسل كميات من ماء البحر المالح وقد اضافت اليه كميات من النيترات والفوسفات وازالت منه كلوريد الصوديوم . وهناك يجرى تقطيره لانتاج ماء عذب وبعض الجوامد الهامة .

ان المواد التى جلبها الانسان من القمر لم تقدم لعلماء الفلك ردودا ايجابية على أسئلتهم الحائرة عن أصل النظام الشمسى وتكوينه الاولى . وعلى الرغم من ان الانسان هبط على ستة مواقع مختلفة فوق القمر ، وجاء بست عينات من ترابه وصخوره الا انها لم تمد العلماء بأى دليل قاطع على طبيعة تكوين القمر .. لذلك لا بد ان يستعمره الانسان ويعيش على سطحه أو تحته ليعرف حقيقة أمره .

● مرصد قمرى ●

ان القمر ذاته محطة مثالية للرصد الفلكى . فهو عديم الهواء ، وسماؤه صافية الاديم لا يمر فيها سحاب او رطوبة او ضباب او غبار ، وبذلك يصبح مكانا ممتازا لرصد الكواكب والنجوم . فالصورة من التلسكوب تبدو واضحة . وباستخدام اصغر تلسكوب على القمر يمكن للانسان ان يرى سطح اى شيء بعيد مثل قمر من اقمار كوكب المشترى ، غاية فى الجلاء البصرى اكثر مما نراه من الارض ..

وفى الربع الاخير من القرن الماضى بدأ علماء الفلك يهتمون بالاشعاعات الشمسية عن اهتمامهم بالضوء ، لان معظمها يمتصه جو الكرة الارضية . ولكن الامر يختلف على القمر لان الاشعاعات والذرات سوف تفتح ابوابا للدراسة . وان وجود مرصد فلكى معقد على سطح القمر يستطيع فى سنة واحدة من المراقبة الدقيقة ان يكشف لنا الكثير من اسرار الكون



عما استطعنا ان نجمعه خلال التاريخ البشرى كله .

● مولود القمر ●

ان بيئة القمر يمكن تعديلها لتتشابه مع بيئة الارض، ولكن لا يمكن تعديل جاذبية القمر التى تبلغ سدس جاذبية الارض . وعليه يبحث العلماء عما اذا كان الجسم البشرى يستطيع ان يتكيف مع انخفاض الجاذبية القمرية فاذا استطاع الانسان ان يتكيف مع تغييرات الجاذبية فمن المحتمل ان يتحول من الجاذبية العالية الى الجاذبية المنخفضة وليس العكس . فرجل وزنه ١٨٠ رطلا يمكنه ان يتعود على وزنه الجديد الذى لايزيد على ثلاثين رطلا فوق القمر . فاذا تم له ذلك أصبح من العسير عليه أن يتعود على الوزن الذى كان عليه من قبل . وقد يكون هذا صحيحا بالنسبة للاطفال الذين يولدون على القمر . فأثر الجاذبية الضعيفة قد يغير من تكوين عظامهم فتجعلها رفيعة ، ومن عضلاتهم فتصيرها ضعيفة بحيث تتناسق مع مستلزمات الحياة على القمر . ولكن هذه الصفات الجديدة لن تكون قادرة على ان تتمشى مع وزن الانسان على الارض .

وعلى ذلك يمكن القول بأن سكان القمر ومستعمريه سوف ينفصلون عنا فى الشكل والسلوك . قد نواجه فى اخر الامر نوعين جديدين من الرجال والنساء . انسان الجاذبية العالية الارضى ، وانسان الجاذبية المنخفضة القمرى .. ووجود هذين النوعين قد يكون مفيدا ما دام احدهما يستطيع أن يعمل ما لا يستطيع الاخر عمله . فاستكشاف النظام الشمسى فيما وراء نظام الارض والقمر يشتمل على مجموعة معقدة من المشاكل لا يكفى لحلها الوصول الى القمر ، بل لا بد من استعماره وخلق حياة عليه ، ان الرحلة من الارض الى القمر تستغرق ثلاثة ايام . ولكن اى رحلة من نظام الارض والقمر الى جسم اخر كبير فى النظام الشمسى قد تستغرق عدة شهور أو عدة سنوات .

والفرق كبير بين الحياة على الارض والحياة على القمر فى مركبة من المركبات وان تكيف الانسان فى داخلها ربما يكون اكثر مما يستطيع ان يتحمله فمستعمر القمر قد لا يعيش على سطحه كما هو الحال فى الكرة الارضية ، بل سوف يعيش تحت سطحه وان المغارة او الكهف الذى سيدلف اليه قد يكون كبير الشبه بمركبة فضائية وقد يحدث صدمة عنيفة عليه .

لذلك ولكى يستطيع انسان الكرة الارضية أن يستكشف خبايا النظام الشمسى لا بد له من استعمار القمر استعمارا واقعيا وليس خياليا .. وان يعتمد على انسان القمر الذى سوف يواجه تحديات وتطورات ، وينجب اطفالا مختلفين عن اطفالنا يكتشفون له مجاهل الفراغ .

محمود البدوى

قصة

اختارت القطار الساعة الثامنة صباحا الذى لا يقف على المحطات التى فى الطريق ، ويتحرك الى « الاسكندرية » مباشرة ·

كما اختارت مقعدا مفردا فى القطار ، حتى لايجلس بجانبها رجل ولا امرأة ·

كانت تود ان تذهب الى مدينة الاسكندرية وتعود فى صباح اليوم التالى ، دون ان يشعر بغيابها عن القاهرة انسان ، كما اعتادت ان تفعل ذلك فى المرات السابقة ...

وفى صالة المحطة الخارجية ، وقفت فى زحمة الركاب ، تتطلع الى اللوحة المضيئة التى تعين رصيف القطار المسافر ·

وكانت ترتدى معطفا كحليا على ثوب من الصوف الغامق محكم النسج ، ومن احدث طراز · وتدير على راسها وعنقها وشاحا أزرق · تتقى به برد الصباح فى القاهرة ، ومن احتمال سقوط المطر فى الاسكندرية ·

ومن خارج الوشاح ، بدت خصلات من الشعر الاسود الناعم تتدلى على الجبين المتالق ·· واخذت العينان الواسعتان تتطلعان الى اللوحة فى بريق يتوهج لحظات ثم ينطفىء فى أسى تبعا للجو المحيط كله ...

وكانت الانفاس رغم البرد الشديد هادئة ، والوجه جميل التقاطيع ، أبيض مستديرا والشفة ممتلئة وشهية ·

ووضعت على العينين نظارة شمس انيقة ، رفعتها وطوتها وهى تفكر ... ثم عادت وردتها الى انفها ، بعد أن ادركت انها لا مكان لها فى حقيبة اليد الصغيرة ، ولم تكن تحمل اية حقيبة سواها ·

تعمدت أن تكون خفيفة فى رحلتها وفى تحركها ·

وعندما دخل القطار يتهادى الى الرصيف ·· وجلست على مقعدها المفرد ، شعرت ببعض الارتياح ، كان المقعد فى وسط العربة ، والمسافرون من رجال الاعمال الذين فاتهم قطار الساعة السابعة صباحا · قد جلسوا فى سكون يقرأون صحف الصباح ، أو يقلبون أوراقهم الخاصة ·

واحست بدفء العربة المكيفة ، فأزاحت الوشاح عن راسها وطوته ·· واخذت تنظر من النافذة عن يمينها ، ثم خشيت ان يبصرها من الرصيف انسان تعرفه وهى داخل العربة · فاسدلت ستار النافذة بحيث ترى هى من

يتحرك بالخـــارج ولا يراها .
ولما تحرك القطـــار تنفست الصعداء ، فان احدا ممن تعرفهم لم يلتق بها في الطريق، وستكون في الاسكندرية بعـد ساعتين وثلث الساعة . وستعود للقاهرة في اول قطار يتحرك في الصباح، في الساعة السادسة صباحا ستأخذ اول قطار . وستكون في بيتها في الساعة التاسعة والنصف ، تشرب الشاي على مائدتها كما اعتادت ان تشـرب ... وفي الساعة العاشرة ستفتح الباب للشغالة العائدة بعد اجازة يوم قضته عند اهلها .
وخرج القطـــار من مساكن « شبرا » الى مزارع البرسيم والخضرة على الجانبين ، وشعرت براحة اكثر . ولاحظت أنمعظم الرجال الجالسين معها في العربة في سن متقاربة ، ويرتدون البدل الصوفية ، ومعهم حقائب



خفيفة وضعوها على الرف ، ولم يكن بالعربة على طولها أكثر من أربع سيدات غيرها هي ...

وكانت غالبية الركاب تدخن ، فضايقها هذا بعض الشيء ، وضايقها أكثر أن الرجل الجالس الى اليسار ، في الصف الذى أمامها ، أخذ يدير رأسه الى الخلف وينظر اليها ، فتجاهلت نظراته ، وأرخت رأسها على مسند المقعد ، وأغمضت عينيها ، كأنها تستكمل حاجتها من النوم .

وعندما مر عامل « البوفيه » طلبت فنجانا من القهوة وشربته بتمهل . وأعطته ورقة بعشرة قروش فلم يرجع اليها الباقي . وخجلت أن تطالبه .

وجاوز القطار طنطا ، وكفر الزيات ، ودمنهور ، والمنظر على الجانبين لا يتغير . والمزارع هي هي ... العشب الأخضر ، والبيوت ، والمداخن ، والمساكن الشعبية في خارج المدن ، وقد اسود بياضها وتشقق ، وانتشر على شرفاتها الغسيل ..

وبعد أن تحرك القطار من محطة « سيدى جابر » شعرت « عفاف » بالخوف ... خافت ألا تجده .. خافت أن يكون مريضا ... خافت أن يكون قد سافر الى بلدته لسبب طارىء ... خافت من أشياء كثيرة تحدث في الحياة ، وتمنع من

الباب الآخر

اللقاء

كانت تفضل لو جاء الى القاهرة الواسعة كالمحيط ، ولكنه كان عنيدا ... ولهذا خضعت لرغباته وسافرت ، وسافرت ...

كانت تسافر اليه في الشهر مرة ، وأحيانا مرتين كلما واتتها الفرصة ، وسمحت الاحوال في أثناء غياب زوجها بالخارج ...

وفي محطة « مصر » ارتعشت وهي تسير وحدها على الرصيف .. أحست بأن العيون كلها تلاحقها ، وتحدق فيها ، وتعرف وجهتها ...

وركبت « تاكسي » سريعا ... وعلى باب العمارة نزلت وهي نصف شاردة .

وكانت العمارة على الكورنيش ، والجو باردا ، والشمس وراء السحاب ، ولم تجد البواب في المدخل . وركبت المصعد الى الدور الثامن ...

وفتحت باب الشقة بمفتاح في حقيبتها . ودخلت الشقة الصغيرة ... شقة العازب التي رتبتها له ، واختارت أثاثها ، وزينت جدرانها بالصور ... ولكنها كلما فارقتها وبعدت

عنها ، عادت الفوضى الى الشقة ... الا أنه في هذا اليوم الذي يعرف فيه أنها قادمة حاول قدر المستطاع تنظيفها ، وترتيب ما بها من أشياء ...

وفتحت « عفاف » النافذة ، ونظرت الى البحر ، وتطلعت الى السماء ... سحب رمادية كثيفة تحجب الشمس مرة أخرى ...

الجو بارد ، وغير مشمس ، ولكنه جميل . وعندما دخلت الشقة ، وأغلقت عليها الباب شعرت بالراحة ... شعرت بالأمان . الخوف الذى انتابها في الطريق ذهب عنها الآن ...

كان جو البيت كله يوحي بأن أنفاس « رأفت » حبيبها لا تزال تتردد فيه ...

وأخذت في حيوية ونشاط تنظف البيت ، وترتبه على مزاجها ... انها لم تفعل ذلك في بيتها في القاهرة ...

هنا تحس بأن كل خلجات جسمها تتحرك وتدفعها الى العمل في بهجة ... وهناك تشعر بالضجر والسأمة والملل والفراغ ... وكل هذه الأشياء قاتلة ومخربة للنفس .

وبعد أن نظفت الشقة كلها ، ونسقتها ، أشعلت السخان ، وأخذت حماما ...

وأحست بعده بالنشاط والبهجة ...

واستلقت على السرير، وأحست « برأفت » وهو يفتح الباب الخارجي ويدخل ... وظلت متناومة حتى شعرت بأنفاسه على وجهها ، وشفتيه على شفتيها ...

كانت تشعر بالحاجة الى هذا الحب . وكانت تسعى اليه بجسمها وروحها ... كانت تقتل السآمة التي تخرب روحها . كانت تقتل الفراغ ...

كانت تسافر اليه ، وهي تشعر بالفرحة ، لأنها أسعدته . وهو في حاجة اليها ...

وفي الليل استيقظت، وخرجت الى المطبخ لتعد طعام العشاء ... فلا معنا ما بقي من النهار وبعد الغروب تماما ، وأيقظها الجوع ...

اشعلت الموقد وفتحت نافذة المطبخ الوحيدة ، فرأت النافذة المقابلة مفتوحة ... وهناك شخص يتحرك مثلها في المطبخ ... كانت هذه النافذة مغلقة كلما جاءت الى الاسكندرية ، وكانت تجد الباب المقابل لباب « رأفت » دائما مغلقا ... وقال لها « رأفت » في المرات السابقة انها شقة أسرة اجرتها لتصيف فيها ولكن منذ سنتين لا يراها تأتي في صيف ولا شتاء ...

ولكن في هذه المرة وجدت « عفاف » النافذة المقابلة في المطبخ مضاءة ومفتوحة ... ورأت شابا يتحرك ثم يطل من النافذة ويحدق في وجهها ... انها تعرفه ويعرفها ... وظل ينظر اليها ، وظلت هي واقفة في مكانها مسمرة ، تنظر اليه في جمود ، رغم هبوب الريح ...

ظلت واقفة صامتة ، وهي تعرف معنى نظراته الساخرة التي تعريها من قميص نومها ...

كانت الريح تأتي من البحر عاصفة ، وتسمع هياج البحر ودوى الريح ... وكانت تستطيع بارادتها أن تغلق النافذة ولكنها تركتها مفتوحة . كانت تستطيع بارادتها أن تخرس نظراته، ولكنها وجدت ارادتها مشلولة .

لأول مرة في حياتها تشاهد عينين تنظران اليها بوقاحة وقوة ... وهي في بيت غير بيتها ، وفي فراش غير فراش الزوجية .

نظرت الى السماء وهي ترتد عن النافذة فوجدتها ساقطة النجوم حالكة ...

وأعدت المائدة وهي أشبه بالمنومة مغناطيسيا ... كانت تتحرك من غير احساس بكل ما حولها ...

ونهض « رأفت » عن المائدة . ورفعت ما عليها ...

وجلسا يتحدثان ، ولم يلاحظ شرودها ... وعادا الى الفراش . وكان جسمها في برودة الثلج وروحها شاردة ...

وتناومت حتى استغرق « رأفت » في النوم ... وظلت « عفاف » وحدها ساهرة تسمع البحر والريح .

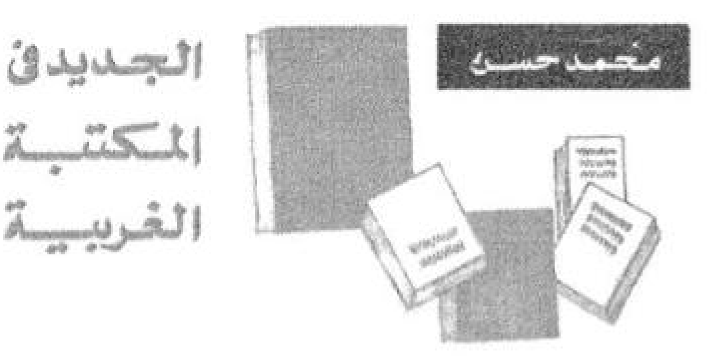
تمددت بجواره على السرير وهي تشعر بالخوف . فارقتها حرارة وجوده بجوارها ، وفارقتها أنفاسه . وشعرت بالخوف والرعب ...

أحست بأنها باردة ، جامدة ، متصلبة ... نهضت في حذر ... كانت الشقة غارقة في الظلام فأشعلت نور الحمام لكيلا توقظ « رأفت » واذا استيقظ يتصورها في الحمام ...

وتحركت بلين وخفة وهي عارية القدمين بقميص نومها . وفتحت الباب بحذر بعد أن وضعت في يدها المفتاح . وأغلقته وراءها بحذر شديد كذلك .

وقبل أن تضغط على جرس الباب الآخر كان الشاب قد فتح الباب ... كان يعرف أنها قادمة ولا بد أن تلبي النداء ... كان خيالها المريض يصور لها أنها ستخرسه وتعمي عينيه ... ولكنها كانت تسقط ، وتسقط ...

واحتواها بذراعيه في صمت . وأغلق الباب .



الكتاب : ارخبيل جولاج
الجزء الثالث
المؤلف : الكسندر سولز نشتين

هذا هو الجـــزء الثالث والاخير من كتـــاب المؤلف الروسي الثائر الكســـندر سولزنشتين ، وهو الكتاب الذي اثار ضجة شديدة في الشرق والغرب على السواء ، وفيه يقول الكاتب صراحة ان القوة وحدها هي التي سوف تجبـــر بلاده على «تركه او «تخفيفه» النظام الشيوعي ... القـــوة وحدها هي التي تخفف او تخضـــــع النظام السوفييتي ، فالنظام كله مبني على القوة ، ومن ثم فهو لا يعترف بغير «القوة» ، بل هو يذهب الى ابعد من هذا ، فيقول : « لم يوجد بعد على هذا الكوكب ، نظام اكثر قســـوة واكثر دموية، وفي نفس الوقت اكثر شيطانية وخداعا » من هذا النظام، ومصدر القسوة في رأيه هي السجون والمعتقـــلات السوفييتية ، لذلك فهو يوجه اليها نقدا مرا .

واذا كان لا يعرف الشوق الا من يكابده ، كما يقـــولون ، فـــان سولزنشتين، من واقع تجاربه في بلاده يسخر من آراء الانســـانيين الذين يجلسون في مكاتبهم المريحة المكيفة، ليخرجـــوا للنـاس بنظريات انيقة لا صلة لهـا بالواقع ، ولـــكن ، اذا كان احدهم « قد حكم عليه بالسجن ٢٥ عاما بلا جريمة ، وضاع اسمه ليصبح مجرد رقم ، واســـتنزفت حياته الاشـــغال الشاقة ، وخضع للتفتيش صباح مســـاء ــ لبدت له نظرياته مجرد اوهام عن ناس خنقتهم الحرية » !

وكان كتابا المؤلف الاول والثاني ، يغطيـــان الفترة من سنة ١٩١٨ الى ١٩٥٦ ، اما هذا الجزء فيصـــف فيه سولزنشتين ، باســـهاب ، حيـــاة الملايين « الذين سيقوا كالقطيع «الى السجون والمعتقلات الســـوفييتية ، لاسباب سياسية ، في الفترة ما بين ١٩٥٦ و ١٩٦٨ ... وهو يشبه هذه المعتقلات والسجون بالارخبيل، ويسميه « جولاج »، وهي الكلمة المكونة من الحروف الاولى بالروسية لنظـــام المعتقلات !

ويقـــول سولزنشتين ، انه عكس الاعتقاد الشـــائع ، فان هذا النظـــام القاسي لم يمر دون مقاومة ، فقـــد كانت هناك حوادث فرار ، وحوادث

تمرد ، ولكنها قليلة · ويصف المؤلف حادث تمرد ثمانية الاف سجين فى معسكر كينجوير بسيبيريا ، وكيف حصدت نيران الحراس ارواح ستمائة من المتمردين ، ولكن ليس المدهش هو قلة حوادث التمرد والثورة فى المعتقلات ، بل المدهش هو حدوث بعضها ، ومع ذلك فالمعتقلون يقاومون ايضا بالاضراب عن الطعام ، ولكن صحف الغرب لا تنتبه اليه فى مجتمع مغلق بالصمت وعدم المبالاة ، بل هم حتى يقاومون بالامل فى حدوث حرب عالمية ثالثة ، قد تؤدى الى موت سريع يخلصهم من آلامهم ، أو الى الحرية » !

وقد قضى المؤلف نفسه ثمانى سنوات فى السجن ، بالاضافة الى ثلاث سنوات اخرى فى المنفى بسيبيريا ، وكانت كتاباته عن الحياة فى السجون السوفيتية هى التى جلبت له جائزة نوبل سنة ١٩٧٢ ، ولكنها جلبت له ايضا النفى خارج بلاده سنة ١٩٧٤ ·

وفى الفصول الاخيرة من الكتاب يبين المؤلف انه لا موت ستالين سنة ١٩٥٣ ، ولا خطاب نيكيتا خروشوف ، سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى السابق ، الذى ندد فيه بنظام ستالين سنة ١٩٥٦ ، قد غيرت شيئا فى الاتحاد السوفيتى ، اذ ان « كلاب الحراسة لم تتغير ، بل ان كل شىء لم يتغير » ··· ولو ان المعتقلات قل عددها عن ايام ستالين ، الا ان نظام السجون لايزال حجر الاساس للنظام كله ·

ويختتم المؤلف كتابه بنداء مؤثر لليسار الغربى يقول فيه : « ايها المفكرون والمثقفون الغربيون ، الذين انعم الله عليهم بالحرية ··· ايها الرواد من الطلبة فى امريكا والمانيا وفرنسا ··· كتابى هذا قد لا يثير اهتمامكم ··· الا حين تمرون بالتجربة ، وتبدأون المسيرة الطويلة الى الارخبيل ، حينئذ فقط ستفهمون ··· فطالما النظام السوفيتى مبنى على العقيدة الشيوعية ، فان الارخبيل ظل ، ويظل ، وسوف يظل باقيا » !

العاطفية !

الكتاب : جورج اليوت ، معتقداتها وفنها

المؤلف : نيل روبرتس

جورج اليوت هو الاسم الادبى للروائية البريطانية مارى آن ايفانز ، التى اهتمت فى مؤلفاتها بتصوير شخصيات الطبقة المتوسطة ، فى اسلوب واقعى عميق · ولقد كانت « جورج من غرائب زمانها : سيدة ذات قدرات ثقافية خارقة ، نجحت فى اتخاذ طريقة للعيش ترضى حاجاتها الجسمانية والروحية والعقلية ، الامر الذى انطوى على عزلتها عن مجتمعها ، لانها كانت تعيش مع رجل متزوج ، هو الناقد الادبى ، وعالم التاريخ الطبيعى ، وعلم النفس ، جورج لويس ·· وكانت الفوائد التى عادت عليها من هذه العلاقة ، والعزلة التى فرضتها عليها الدوائر التقليدية ، حافزا ثقافيا ، و فرصة لمقابلة ، وقراءة ، وترجمة ، بعض كبار الكتاب فى عصرها ·

وقد ركز المؤلف على المؤثرات الكبيرة فى تفكير جورج اليوت ، على امل القاء اضواء جديدة على اعمالها ، ومن ثم فانه يتتبع اثر اربع من اكبر هذه المؤثرات ، وهى فلسفات اوجست كونت ، وفويرباخ ، ولامارك ، وداروين ، على اعمالها· والفصول الاولى تنور القارىء ، ولكن الكثير من آراء اليوت واتجاهاتها بين التيارات الثقافية فى

الجديد في المكتبة الغربية

زمانها ، يمكن معرفته بشكل اوضح، من رسائلها ومقالاتها . ومعروف انها منذ سنة ١٨٥٠ ، كانت تكتب بانتظام في صحيفة وستمنستر ريفيو ، قبل ان تصبح مساعدة لرئيس تحرير الصحيفة ، حيث اتصلت بجورج لويس ، واقامت معه ، واكتشف هو فيها الموهبة الروائية . وكان اول عمل لها مجموعة من القصص بعنوان « مناظر من حياة الكهنة » نشرت تباعا في مجلة بلاكوود سنة ١٨٥٦ ، ولقيت نجاحا شجعها على تاليف عدد من الروايات الطويلة ، بدأت سنة ١٨٥٩ برواية « ادم بيد » وانتهت في سنة ١٨٧٩ ، برواية « انطباعات ثيوفراستاس » ... هذا بالاضافة الى ديواني شعر .

ومع ذلك فانجهود المؤلف للبرهنة على أن اليوت تاثرت بالفلسفة الوضعية لاوجست كونت ذهبت هباء، وكان يكفي أن يبرهن على ذلك من واقع اعمالها ، حيث يبدو هذا التاثير واضحا في اسلوبها ، لا في محتويات كتبها ، ومن ثم فان ما اقتبسه اكثر اقناعا من مناقشاته ومحاولاته اقامة الدليل .

وباعتراف المؤلف نفسه ، فان جميع رواياتها ، ابتداء من « الطاحونة على الجدول » - وهي افضل رواياتها - الى « سيلاس مارنر » و « ميديل مارش » و« دانيل ديروندا»، مبنية علىنفس الاهتمامات ونوع المعالجة الادبية ، والحكم ، وهي توضح جميع افاق عمل الادبية ، وواضح فيها انها اطلعت على اراء ومؤلفات كونت وفورباخ ولامارك وداروين ، وهضمتها ... وحتى رفضتها احيانا !

ويحاول روبرتس أن يدخل عالم اليوت الخيالى ، حين يتناول كل رواية على حدة وبالتفصيل ، وهنا يوفق في مهمته ، بعكس محاولاته العقلية العقيمة ، ومن ثم فانه ينتقد - وبحق - رواية «دانييل ديروندا»، على اساس انها حافلة بالتعمد ، والاسراف في القاء المواعظ .

واكثر من مرة يقدم المؤلف قرائن دالة على أن اهتمام اليوت كان مركزا في اثارة العاطفة لا العقل ، وهذه حقيقة ، فقد كتبت مرة تقول : « ان كتاباتي عبارة عن مجموعة من تجارب الحياة » . واليوت حذرت كثيرا من انزلاق الفنان من الصورة الى الرسم ، وهو الامر الذى يصل اليه المؤلف في النهاية ... ففى تعليقه على رواية « ميديل مارش » يقول انها نجحت في تجسيد عدد كبير من ارائها في صورة حية من الحقيقة الانسانية .

شواذ ولكن !

الكتاب : الشغف النباتي
تقييم لحالة النباتى العقلية
المؤلف : جانيت بركاس

قد يبدو النباتي لاول وهلة شاذا ولكن الواقع انه ليس كذلك ، اللهم الا اذا كان انفراده بغذاء معين وسط قوم من اكلة اللحوم ، يعد شذوذا ، او أن تناوله النبات يقربه من عالم الحيوان ، كالبقر والارانب وغير ذلك ... فاجدادنا الاولون كانوا نباتيين ، وحتى طبقا لنظرية داروين في النشوء والارتقاء ، فان كل ما يشين القرد ، ليس انه نباتى ، بل انه مجرد قرد ... هذا اذا تغاضينا عن أن في اكل اللحوم

ضراوة ووحشية لا شك فيها !

والواقع ان غذاء النباتيين صحي تماما ، خاصة اذا تم تناول النبات دون طهو .

فاجدادنا الاول، حين اقتصر غذاؤهم على الخضر والفاكهة ، قبل ان يتعلموا اتلاف طعامهم بطهوه ، لم يعرفوا المرض ، وطالت اعمارهم ، وزادت قوتهم وعافيتهم ، لانهم كانوا يتناولون حوالى عشرة جرامات من فيتامين ج يوميا ، وهذا الفيتامين هو حمض الاسكوربيك ، الذى يكاد يختفي تماما من اللحوم وغيرها من الاطعمة حين تتعرض لنار الطهو ، ومن ثم لا يحصل طاعمها الا على ما يقرب من جرامين من الفيتامين ، وهو دون الحد الادنى المطلوب لوقاية اجسادنا من نزلات البرد ، وتصلب الشرايين ، والاصابة بامراض القلب ، وهو ما يوازى ثمانية الى عشرة جرامات يوميا !

فى هذا الضوء يصبح غير النباتيين هم الشذاذ ، اذ يفسدون خواص الطعام بقليه لدرجة ابادة العناصر الغذائية المفيدة للصحة ، ثم يحاولون - وبعضهم لا يحاول ابدا - تعويض النقص بتناول الكيماويات الصناعية ، يشترونها من السوق بافدح الاثمان ، مع الشك فى فاعليتها بسبب عمليات تصنيعها ... مع ان الامر لا يكلفنا اكثر من تناول ليمونة او برتقالة ثمنها مليمات !

والكتاب يقول الكثير عن النباتات والنباتيين ، ويذكر اسماء كبارهم من امثال فيثاغورس الافريقى ، وليوناردو دافنشى الايطالى، وبرنارد شو البريطانى ، وريتشارد واجنر الامريكى ، والمهاتما غاندى الهندى، والمؤلف هتلر الالمانى ... ويورد تفاصيل مثيرة عنهم : ليوناردو دافنشى مثلا ، مارس النباتية من فرط اشفاقه من قتل الحيوان وفرط حبه له ، وغاندى كان يتناول النبات دون طهو ، بالاضافة الى الفاكهة وكثير من البندق واللوز والجوز ، لدرجة ان جسده النحيل كان يلمع بفضل زيوتها ، وحتى صيامه لفترات طويلة لم يكن يؤثر فى صحته ، لانه كان يتناول كميات كبيرة من عصير البرتقال .

والغذاء النباتى لا يفيد الصحة فقط ، بل هو ايضا يفيد المزاج ، فالنباتي غالبا دمث الخلق ، قليل الثورة ، متفائل ، يتمتع بهدوء نفسى وصفاء ذهنى يحسد عليه !

والكتاب ليس كتابا علميا صرفا، ولا هو كتاب تاريخ بحت ، وانما هو دراسة مستفيضة فى التاريخ الطبيعى ، والادبى ، والغذائى ، والاقتصادى ، والدينى ، والفلسفى ، والجمالى ، والنسكى ، والصوفى ، للانسان ، يروى طرفا من اخباره ، تهم كل من اعمته شهوة اللحم ، فوقف الساعات فى طوابير طويلة امام الجمعيات الاستهلاكية للحصول على كيلو من اللحم او دجاجة ، ثم جأر بعد ذلك بالشكوى من غلاء الاسعار ... مع ان النبات متوفر فى الاسواق ، وليس فى حاجة الى طوابير للحصول عليه ، وهو لا يكلف ما يكلفه اللحم والدجاج ، وان خلا من تعقيد اللحم كطعام، مع احتوائه على جميع العناصر الغذائية، فضلا عن الفيتامينات الحيوية للجسم ... واهم من هذا كله ان هذه العناصر الوفيرة موجودة فى صورة سهلة الهضم ، تغنيك فى اقل القليل عن الطبيب ... هذا اذا تجاوزنا عن الام المرض ، كفانا الله جميعا شرها !



من روائع القصص العالمى

سباق التفاحات الذهبية

غضب الملك « سخونيوس » أشد الغضب ، عندما ولدت ابنته « اتالانتا » ... لأنه كان يأمل فى ابن ذكر . فأمر خدمه أن يحملوا الطفلة الى الغابات البعيدة ، ويتركوها هناك حتى تموت جوعا وبردا ، او تفترسها الضوارى .

بيد أن الضوارى التى ظنها ستفترس ابنته ، كانت أكثر حنانا منه . فقد عثرت عليها دبة ، واشفقت عليها ، فأخذتها لترضعها مع صغارها . وبقيت الطفلة ترضع لبن الدبة، وتبيت وسط صغار الدبية ، حتى جاء بعض الصيادين الى الغابة ، وقتلوا تلك الدبة الحنون، ونقلوا الطفلة الى بيتهم حيث اهتموا بأمرها ، وقاموا بتربيتها .

كبرت « اتالانتا » ، وترعرعت وسط الغابات والصيادين والغزلان والوحوش ، وتدربت على الجرى منذ نعومة اظافرها حتى فاقت الغزلان ، وتعلمت فنون الصيد وبرعت فيه ، وتمرنت على الرماية بالرمح والقوس والنبال وغيرها من آلات القتال حتى اصبحت تصيب ادق الاهداف من مسافات بعيدة فلا تخطئها قط ...

مرت الايام ، وتعاقبت الشهور والاعوام ، و « اتالانتا » تزداد كل يوم مرانا فى الاعمال التى تتطلبها حياة الغابات ، وصارت اسرع انسان فى العدو ، لايبزها فيه أشهر العدائين .

لم ينجب الملك « سخونيوس » أطفالا بعد « أتالانتا » ، فندم على تفريطه فى ابنته ، وود لو أنها على قيد الحياة فيراها ، وتضرع الى الآلهة الا تكون فلذة كبده قد ماتت ، وأن تسهل له سبيل العثور عليها .

ذات يوم من أيام الربيع عادت « أتالانتا » الى المدينة ، وسمع الملك عن قصتها الغريبة ، فأرسل يستدعيها ، واستقبلها فى قصره استقبالا رائعا ، لانه كان يعلم انها لا بد وأن تكون ابنته « أتالانتا » ، التى طالما اشتاقت نفسه الى رؤيتها .



كانت « اتالانتا » قد بلغت السن التى تؤهلها للزواج ، ولكنها صممت على ألا تتزوج الا الرجل الذى يستطيع أن يسبقها فى العدو · وكان كل رجل يسابق « اتالانتا » ويهزم ، يقتل ·

كانت « اتالانتا » فتاة فى ريعان الشباب على قدر وافر من الفتنة والجمال ، بل لعلها كانت أجمل فتيات عصرها ، فتطلع اليها خيرة الابطال ، وقتل منهم كثيرون لانهم سابقوها فلم يسبقوها ·

وفى أحد الايام ، قدم مدينة « سخونيوس » صياد شاب اسمه « ميلانيون » ، فرأى الناس يسيرون فى الشوارع متجهين الى مكان معين ، فتبعهم حتى بلغ مكانا فسيحا خارج المدينة قد ازدحم فيه الناس ووقفوا فى شكل دائرة كان فى وسطها شخصان يتأهبان للعدو، احدهما شاب يافع املد العود طويله ، جميل المنظر ، بهى الطلعة ·· اما الاخر فكان فتاة حسناء فاتنة ، رابطة الجاش هادئة الجنان · هى « اتالانتا » التى ستستبق مع الشاب الواقف امامها قلق البال مضطرب الاسارير ·

بدأ السباق فى حفل

سباق التفاحات الذهبية

عظيم وعلى مشهد من جمع غفير ، وكان المتسابقان في أول الامر متجاورين الواحد بجانب الاخر ، والشعب يصفق · بيد انه كان من السهل أن يرى المرء علامات التعب بادية على وجه الفتى · وكان المتفرجون يصيحون بعبارات حماسية كي يشجعوا الفتى ، ولكنه مع ذلك لم يستطع اللحاق « باتالانتا » ، التي كانت تزيد في سرعة جريها حتى سبقته بمسافة طويلة ·· عندئذ ادرك « ميلانيون » لماذا كان الناس يشجعون الشاب ·

انتهى السباق باحراز « اتالانتا » قصب السبق · فانسحبت في هدوء الى قصر ابيها ، بينما سيق الشاب الى مكان الاعدام حيث قطع رأسه ·

تفرقت الجموع المحتشدة في حزن وكمد ، وانصرف كل واحد منهم الى داره مهموما مغموما ولكن ماذا كانوا يستطيعون أن يفعلوا ؟ لقد تقدم الفتى الى السباق وهو عالم بذلك الشرط القاسي ·

ولكن « ميلانيون » لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير في جمال « اتالانتا » ، الباهر وفتنتها الاخاذة ، وقوامها الرشيق · وعرف أنه قد وقع في شراك حبها ، فصمم على أن يجرب حظه في ذلك السباق الكريه ·

توجه « ميلانيون » الى الملك « سخونيوس » يطلب منه يد « اتالانتا » ، ويبدي استعداده لمسابقتها وموافقته على شروط السباق ·

وكان الملك رجلا طيب القلب ، فقال « لميلانيون » : « هل تعلم يا ميلانيون انك ستفقد رأسك في هذا السباق ؟ ما من احد سابق اتالانتا الا وكان مصيره الردى · وقد اقسمت اتالانتا الا تتزوج الا من يسبقها في العدو · ولا اظن انه يوجد من يسبقها في الجري · فهل تريد أن تفقد حياتك ؟ »

فاجاب « ميلانيون » : « كلا ، أيها الملك الجليل! لا اريد أن افقد حياتي ، ولكني اعتقد انني استطيع التغلب عليها اذا ما سمحت لي بمسابقتها » ·

فقال الملك ، والحزن يكاد يقطع نياط قلبه : « لك ما تشاء · وسيكون السباق بعد شهر من الان » ·

قرر « ميلانيون » أن يقضي الشهر متنقلا من معبد الى آخر يدعو الآلهة أن تساعده في التغلب على « اتالانتا » فيضع بذلك حدا لسفك دماء الابرياء ، وينيلوه بغيته في الزواج من هذه الغادة الحسناء ·

ظل « ميلانيون » يطوف بالمعابد ، حتى بلغ معبد « افروديت » القائم على شاطىء « ارجوليس » وكان قد أحضر معه كثيرا من الهدايا القيمة لربة الحب · فأخذ يتوسل اليها أن تهبه قوة وتعينه على كسب السباق مع تلك الفاتنة التي استولت على لبه وجنانه وبقي ينتظر رد الربة ساعات طوالا حتى آذنت الشمس بالمغيب ، فخرجت سحابة كبيرة قرمزية اللون من الجنوب ، وكانت تتلألأ سناء وبهاء · لقد كانت هذه السحابة هي الربة « افروديت » في طريقها الى معبدها ·

كان سناء الربة يخطف الابصار ، فلم يستطع « ميلانيون » أن يحدق فيها أو ينظر اليها ، فأخفى عينيه اشفاقا عليهما من ذلك اللمعان الشديد · ولكنه سمع السحابة تخاطبه بقولها : « ان تضرعاتك الى الربة افروديت قد استجيبت ، وسوف تعاونك الربة

وتشد ازرك . اخرج من هذا ، تجد على درجات سلم المعبد ثلاث تفاحات من الذهب الخالص البراق . احملها معك فى السباق ، ثم اقذف بواحدة فى طريق « اتالانتا » ، وتأكد من انها ستلفت نظرها فتلتقطها ... وبعد ذلك ترمى اليها الاخريين واحدة بعد أخرى » .

ترك « ميلانيون » المعبد ، فوجد ، كما أخبره الصوت ، ثلاث تفاحات ذهبيات يتلألأن فى آخر شعاع للشمس وهى تنحدر خلف الافق ، فأخذها وانصرف ، وهو يشكر للربة تفضلها بسماع توسلاته ووعدها بمساعدته .

***

مرت الايام متثاقلة وئيدة ، واخيرا جاء اليوم الموعود . فاجتمعت الجموع منذ الصباح الباكر لتشاهد السباق الذى يقام بين ان وآخر وينتهى بقتل شاب فى ريعان الصبا . ولشد ما كانت دهشة المتفرجين اذ رأوا الشاب اليافع يقبل على السباق وقد امتلأ قلبه بالامل ، وتهلل وجهه بشرا دلالة على ايمانه بالنصر ... كيف يتصور هذا الغر ان يتفوق على « اتالانتا » الذائعة الصيت ؟

نظرت « اتالانتا » نفسها الى « ميلانيون » ، فرأت فيه شاباً وسيما يفيض فى وجهه ماء الشباب ، مفتول العضلات قوى الساعدين ، فاحست لأول مرة فى حياتها بانها لن تندم اذا سبقها هذا الشاب ... غير انه ما ان بدأ السباق حتى نسيت كل شىء ، عدا السرعة الفائقة التى منحتها اياها الربة « ديانا » .

***

لم تمض بضع دقائق حتى كانت « اتالانتا » تعدو امام « ميلانيون » ، فاذا بها ترى فجأة تفاحة من العسجد البراق ، تتدحرج فى طريقها جميلة خلابة ... لم تستطع الفتاة مقاومة اغراء تلك التفاحة العجيبة ، فتوقفت عن الجرى ، وانحنت تلتقطها وتتأملها لحظة ... فسبقها « ميلانيون » بمسافة ما . ولكنها أخذت تزيد فى سرعة جريها حتى لحقت به ثم اجتازته ، فتدحرجت فى طريقها تفاحة أخرى اكثر اغراء من الاولى .. وللمرة الثانية ، وقفت « اتالانتا » لتأخذ التفاحة من طريقها وتنظر الى روعتها ، وبذلك مر وقت استطاع فيه « ميلانيون » أن يسبقها ... ولكنها راحت تجرى بسرعة عظيمة حتى لحقت به وتفوقت عليه ...

وكانا عندئذ قريبين من نهاية السباق ، فقذف الفتى التفاحة الباقية امام معبودته الحسناء ، وكانت التفاحة اشد جمالا من سابقتيها ، فتوقفت « اتالانتا » عن العدو ، وانحنت تلتقطها ...

كانت جموع الشعب تنظر الى المتسابقين بقلق عظيم ، ولا ينتظر أحدهم ان يفوز « ميلانيون » .. غير أن « ميلانيون » انتهز فرصة توقفها لتأخذ التفاحة الذهبية ، وجرى باقصى سرعته ، ووصل الى نهاية السباق قبل ان تفيق « اتالانتا » من تأملاتها وتعاود الجرى !

صاح الناس وعلا هتافهم ، ودوى صوت التصفيق الحاد الى ان بلغ اقصى المدينة ، فهرع باقى سكانها لمشاهدة الفتى الذى تفوق على « اتالانتا » فى الجرى ، ووضع نهاية للمسابقات ...

سارت « اتالانتا » تتهادى فى مشيتها حتى وصلت الى مكان « ميلانيون » فوضع يدها فى يده ، فادرك انها قد سرت لهزيمتها فى آخر الامر ! ..



● نصر الدين عبد اللطيف ●

● عادل أحمد سليم ـ الاسكندرية :

ـ فيم ، يا ولد ابى ، تقتــــــله بى ، و « بعض الظن ... ! »
ـ انتى بحفاوة القلم الرحب ظاهر الميل تفرقة بين من « يكتبن » و من « يكتبون » ـ لى ؟!

اما ترى ان بابنا هنا متواضـــع ، قابع فى اخر الطريق ، بلا بهرج ولابريق ... فما فيه لاكثر سيدات العصر وانسـاته ما يثير ، ولا ما يغرى بأن وراء القبة شيئا !..

ولا تظن ان ذلك دفاعا ، وما ابرىء نفسى ، فان « ظاهــرة الميل » هذه ظاهرة صحية ... وعندى اذا شــئت دليل كتبه لى منذ اكثر من سبعمائة عام العالم الشاعر ابو الحكم مالك بن عبد الرحمن « ابن المرحل » ـ فقال :

لابـــــد من ميـــل الى جهــة فلا ...
تنكـــر على الرجـل الكريـــم مميـــلا !
ان الفؤاد وان توســــــط فى الحشـــا
ليميــل فى جهــة الشــــمال قليلا !

● أحمد محمد المغربى ـ البحيرة :

ـ لا يا سيدى ، ليس تحديا ، واشــكرك ، ان تســــال عن ذلك الفيلســــوف الكبير ، سقراط ، لاعرفك به ... كان سقراط

شخصية فريدة مؤثرة ، وكان ولايزال بعد اكثر من ثلاثة وعشرين قرنا ، من أحكم الفلاسفة وأبرع المناطقة · وكانت النهاية فى حياته عظيمة الشأن ··

ولكى اؤكد من تعارفكما ، وارفع الكلفة بينكما ، اقول لك ان سقراط كان عبقريا ، اصلع ، دميم الخلقه ، يمشى حافى القدمين ··· وانه فى الاربعين من عمره ، تزوج فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها ··· وانه مع ذلك كله فعل شيئا لم يستطع احد من قبله ان يفعله ، فقد غير اتجاه التفكير الانسانى جميعا فى عصره وفيما بعد عصره !

● جواد كرم سالم ـ الدوحه : ؟

ـ ··· هو بحر الرجز « مستفعلن مستفعلن مستفعلن » ، واسمه ، اسم الشهرة : حمار الشعر !

لماذا « حمار الشعر » ؟ لانه لسهولة نظمه ، وقع عليه اختيار الفقهاء العلماء الذين نظموا المتون العلمية كالنحو ، والفقه ، والمنطق ، والطب ··· فهو أسهل البحور فى النظم ، ولكنه يقصر عنها جميعا فى ايقاظ المشاعر واثارة العواطف ··· فهو يجود فى وصف الوقائع البسيطة ، وايراد الامثال والحكم ···

● جامعيه : س · ن · ـ القاهرة :

ـ مثل هذا السؤال يا صديقتى ـ ما هى « السيبرناطيقا » ؟
ـ يمكن ان يستغرق جوابه صفحاتنا فى هذا العدد ، وفى واحد واربعين عددا غيره ، ثم يكون تعليقك بعد ذلك كله : « عظيم عظيم ··· والان ··· ما هى السيبرناطيقا ؟! »

ما رأيك الآن فى ان تعزف معا لحنا واحدا ، اعنى أن نتعاون وصولا الى الاجابة بجهد مشترك ؟·· فعلى ان اقدم لك ، مركزة ، اهم نقاط الحقائق العلمية ··· وعليك ان تتناوليها بمثل ما تعمل بين يديك « ابر الكروشيه » نسجا وتنسيقا يكتمل ، فيقنع ويعجب !

« السيبرناطيقا هى احدث العلوم ، وعلم المستقبل لعصر الاتوماتيكية ·

: « والسيبرناطيقا » هى العلم الذى نشأ معتمدا على خمسة علوم ، هى : الرياضيات ، المنطق ، البيولوجيا ، التنظيم الاوتوماتيكى ، و ··· نظرية الاتصال التى تتعلق بكيفية نقل المعلومات أو الاشارات أو المعلومات فى المخ البشرى وفى العقل الالكترونى ، فالكيفية واحدة فى هذا وذاك !··

مع قراء الوطن

● أحدثت « السيبرناطيقا » ثورة في مجـالات الفكر ، والتكنولوجيـا ، والصناعة ، والحرب ٠٠ ويشمل نشاطها الان ثلاثة ميادين رئيسية ، هي : التحكم في الاجهزة الميكانيكية والعمليات الصناعية ، والتحكم في الانشطة البشرية مثل دراسة السيطرة على العمليات الحيوية داخل الجسم الحي ٠٠٠ وكذلك شئون اعمـال واقتصاديات المال والتأمين والنقل والتجارة ٠٠٠

● والتطبيق المباشر لمبادىء السيبرناطيقا ، هو الاسـاس في الصواريخ الجبارة فائقة الطائـرات والعقـول الالكترونية التي اصبحت « ترى مو » تسمع مو « تتكلم » ، وتشخص الامراض وتقوم بالترجمة !٠٠ كما انه الاساس ايضا ، في القطارات التي تسير بغير سائق ، والطائرات التي تقلع وتطير وتعود بدون قائد ٠٠٠

● واخيرا فان التطبيق المباشر لمبادىء « السيبرناطيقا » هـو الذي يستخدم الان في تحويل عمليات الانتاج الصناعي الى عمليات اوتوماتيكية لا يتدخل فيها انسان ، وبحيث يمكن الاسـتغناء عن خدمات يده العاملة ٠٠٠

● رفعت ا ٠ م ـ منيل الروضة :

ـ عندما يكون الرجل في مثل ما انت فيه ياسيدي : « عريسا جديدا ، ينتظر وعروسه الحادث السـعيد » ـ فانه عادة لا يكتب ليسأل بمثل ما فعلت ٠٠٠

٠٠٠ اذا كنت تختبر معلوماتي في اختيار اسـم عربي لطفلة جميلة تحلم بانجابها ـ فهذهك باقة من الاسماء : خرعوبه ـ صلفه فهده ـ سـندس ـ ترف ـ الحوان ـ روحه ـ شجي ـ علوه ـ نره ـ شذى ـ زاسهر ـ خلوب ـ متثلم ٠٠٠

٠٠٠ اما اذا كنت تسـخر ، يا سيدي ، فاذن لي ان ازيدك من « معلوماتي » بان هذه كلها اسماء اماء ، وقيان ، وجواري ٠٠ لم تكن تباع الواحـدة منهن باقل من ثلاثين الف درهم ـ سـعر السوق ايام زمان !

● عامر ياسر ـ عمان :

ـ لا أعرف كتابا بهذا الاسم ٠٠٠ ولا أظن أن هناك كتـابا بهذا الاسم أو بغيره يضمن لك بقراءته أن يجعلك هذه الايام مليونيرا ٠! وانصحك الا تعتمد على نصيحتي او حتى معلومـاتي في هذا الموضوع ، فكل صلتي باصحاب الملايين انني اقرأ الان طبعة جديدة من كتاب قديم عن حياة عالم مليونيرا ! ٠٠

كان العالم الانجليزى جون دى كافنتش رجلا غريب الاطوار يبغض النساء أشد البغض ، ويشتهر بين مواطنيه بلقب « المليونير الذى لا يحب الناس » ، رغم انه كان طيب القلب ، خير النزعات ...

لم يتزوج كافنتش طيلة حياته ، ولم يكن يطيق رؤية امرأة فى بيته حتى ولو كانت خادما تعمل فى الغرف الاخرى بعيدا عن الانظار ... وذات يوم كان يجلس الى الطعام مع جماعة من الفلاسفة الطبيعيين ، وفجأة رآهم يقومون الى النوافذ التى تطل على الطريق ويتطلعون من هناك باهتمام ... واستثار ذلك فضوله ، وحسب أنهم ينظرون الى ظاهرة باهرة فى السماء ، فقام اليهم ينظر الى ما ينظرون ، ثم لم يلبث ان امتعض وانتفض !.. لم يكن ما ينظرون اليه « ظاهرة سماوية » ، وانما « ظاهرة ارضية » ... فتاة جميله يغازلها فتى فى الطريق !

● جميل رافى – شبين الكوم :

– ... ممكن جدا ، ولا شروط الا ان تكون شجاع القلب ... مزارنا باب مفتوح ، تفضل !.. على موعد أو على غير ، وبتليفون أو بغير !.. سترافقك الابتسامات المرحبة حتى تصل فى الطابق الثانى الى ممر طويل كأنه أحد العنابر ، وفى آخر العنبر على الشمال توقف قليلا ، لتأخذ نفسا طويلا ، ثم اتكل على الله وتقدم !..

الاستاذ القصير ، الاصلع ، البدين « الاكرش » ، ذو الانف المعقوف ، والملامح كالهضاب – هو انا !.. أهلا بك لا تخف ! ما هذه ، والله العظيم ، تكشيرة !.. انى أضحك ، أضحك .

● جمال على السيد – كوبرى القبه :

– ايضيق لى المجال هنا ان اختار لك بالتفصيل ما تقرأ من الكتب ودواوين الشعر ، وكيف يمكن ان تفيد من القراءة ... لعلى استطيع قريبا ان اكتب لك ردا فى رسالة خاصه ...

اعتذار

تجاوزت رسائل الاعزاء فى بريد الفكر والشعر والشعراء ، أضعاف أضعاف ما لنا من المساحة المتاحة ، فمعذرة لكل المتناولين ربودهم والمنتظرات ... ومع الامل الجميل فى الافق الارحب ، موعد قريب للقاء فى اعدادنا القادمة ..

« ..... »

مع قراء الهلال

● من ··· ـ القاهرة :

ـ القصيدة الجديدة طويله ، فيها ملامح جميله ، ولها فرصة قريبة ···

ملاحظتك عن الصداقة فى جنون المساء والسهرة تحتاج لمناقشة · ـ انت على حق ـ الرسوم رقيقة ـ لا يستحق التليفزيون اعنى برامجه ، منك كل هذا الاهتمام ـ و ··· يبقى لك عندى اكثر من رد ، على ما بقى من الاسئلة وما يستجد !

● حسام عبد العاطى ـ دسوق :

ـ ما لى انا ، ياأخى ، ولهذه الرياضة المتعبة ، وبطل ابطالها الذى تحب ان « تصارحنى » ، مزهوا ، انك « مجنون ··· مجنون اعجابا به » ؟!

هل تحب أن اصارحك انا أيضا ، وبغير زهو ، انك « تجنن » نفسك اعجابا بما لا يستحق ؟!

المهم الان ان همومى ، ياحسام ، واهتماماتى تزحمنى الى حد لا مكان معه لمباراة « كلاى » القادمة ، متى ، ومع من ، وأين ، و ··· و ··· !

ولولا اننى قرأت ملخصا لكتاب جديد عن حياته ، بقلمه ··ومقتطفات من مؤتمر صحفى عقده أخيرا فى لندن ـ لاعتذرت لك عن الرد على رسالتك ··· وفى هذا المؤتمر كان أبرز ما صرح به « بطلك » انه اذكى الاذكياء ! وأن النساء « مساويات للرجال عقليا ولكن جسديا ، لا ··· ! » ، وأن كتابه عن حياته بقلمه « ممتاز ، وعظيم ! » و « ··· كان لابد أن اكتبه لأمجد نفسى بنفسى » !

وفى ذات المؤتمر ، قال « كلاى » أنه شاعر مجيد ! ·· وان جامعة اكسفورد عرضت عليه منصب وكرسى استاذ للشعر !·· ثم قرأ قصيدة زعم انه نظمها أخيرا فى لندن ، عنوانها « الحقيقة » وفيها يقول : « وجه الحقيقة مشرق ـ وعيناها لامعتان ـ وشفتاها دائما منفرجتان !ـ روح الحقيقة تشتعل ـ عقلها مشبوه ـ ماضيها مرمدى ـ وهى تبقى وتصمد الى النهاية » !··

··· كل ذلك بعض ما يكتب ويقول « بطلك » العظيم فى لعبة غير عظيمة ! محمد على كلاى !·· ولا يخطر لك أن ترهبنى بقبضته الصخرية ، فأنا والحمد لله ، لا أخشاه بل وأتحداه ، فى ··· الشعر طبعا !··

● حليم زكى سليم ـ مصر الجديدة :

ـ جئت فى وقتك ! ..
او لعل الاصح ان اقول ، جاء سؤالك فى وقته !

ففى زحام البريد وقضايا النقد والشعر مكسورا وبغير كسر ... يطالعنى ذاك السؤال ، فيمتحنى من صعوبته وسذاجته فرصة ابتسامة متنهدة ! ... :

« ● ماذا بين التكنولوجيا وعلم النفس ؟ ! » .

و ... لأن المجال يضيق ، والعلم لا يخطف ، ومن العلم علم النفس . ومن العلم ما قتل ! ـ فما من سبيل لجواب ، الا أن يكون شيئاً من مثل ما قرأت أخيراً عن الـ « بيوستار الكترونيك » ! ..

انها « البيوستار الكترونيك » ساعة جديدة ، تستعمل الموجات البيولوجية لتحديد الحالات النفسية لحاملها ـ بالاضافة الى تحديد الوقت طبعا ! ...

قبل أن تأخذ هذه الساعة ، ينبغي أن يسجلوا عليها تاريخ ميلادك ... وعندما تحملها فستجد بها أربعة أجزاء دائرية ، تتلون حسب المزاج والحالة النفسية ... حين يكون اللون أبيض ، فمعنى ذلك أن نفسيتك مرهقة ! ... وحين يكون اللون أخضر فالمعنى أن حالتك الفكرية جيدة ! ... واذا رأيت اللون في الدائرة هو الاحمر ، فثق أن حالتك الصحية طيبة ! .. أما اللون الازرق فدليل على الارتياح والسلامة ـ سلامتك النفسية !

و ... لن أبخل عليك بعنوان الحصول على الـ «بيوستار الكترونيك» اذا كنت مصرا على أن تشتريها لتقدمها هدية لنفسك ـ باسمى !

● سمية عبد القادر ـ دمنهور :

ـ سألته لك يا سيدتى ، فعجب وابتسم بحزن للسؤال ، ثم قال : لعلى بالطبيعة والتأثر مثلما يروى عن نفسه الصحابي العالم ، رضى الله عنه ، ابن عباس :

كنت اذا اصابتنى مصيبة ، وانا شاب ، لا ابكى . وكان يؤذينى ذلك .. حتى سمعت اعرابيا ينشد :

لعل انحدار الدمـــــع يعقب راحة
من الوجد ، او يشفى شجى البلابل !

فسألته عن الشعر ، فقال : لذى الرمة ...
فكنت اذا اصبت : بكيت : فاسترحت ! ..



غيرى يغيره الفعـــال الجافى
ويحول عن شتم الكرام الوافى

لا ارتضى ودا اذا هو لم يدم
عند الجفاء وقلة الانصـــاف

ان الغنى هو الغنى بنفســه
ولو انه عارى المناكب حافى

ما كل ما فوق البسيطة كافيا
واذا قنعت فـكل شىء كاف

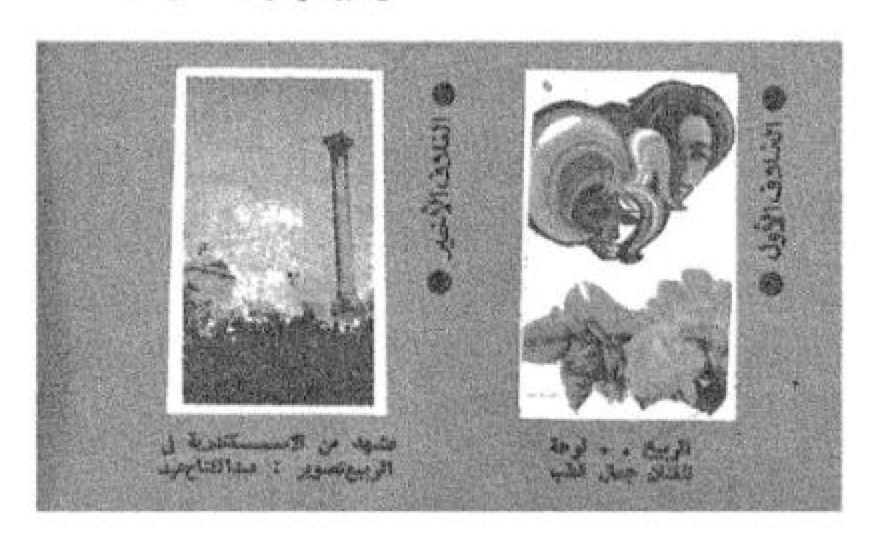
ما كثرة الخيل الجياد بزائدى
شرفا ولا عدد السوام الضافى

لا اقتنى لصروف دهرى عدة
حتى كأن صروفه احـلافى

خيلى وان قلت كثير نفعهـــا
بين الصوارم والقنــا الرعاف

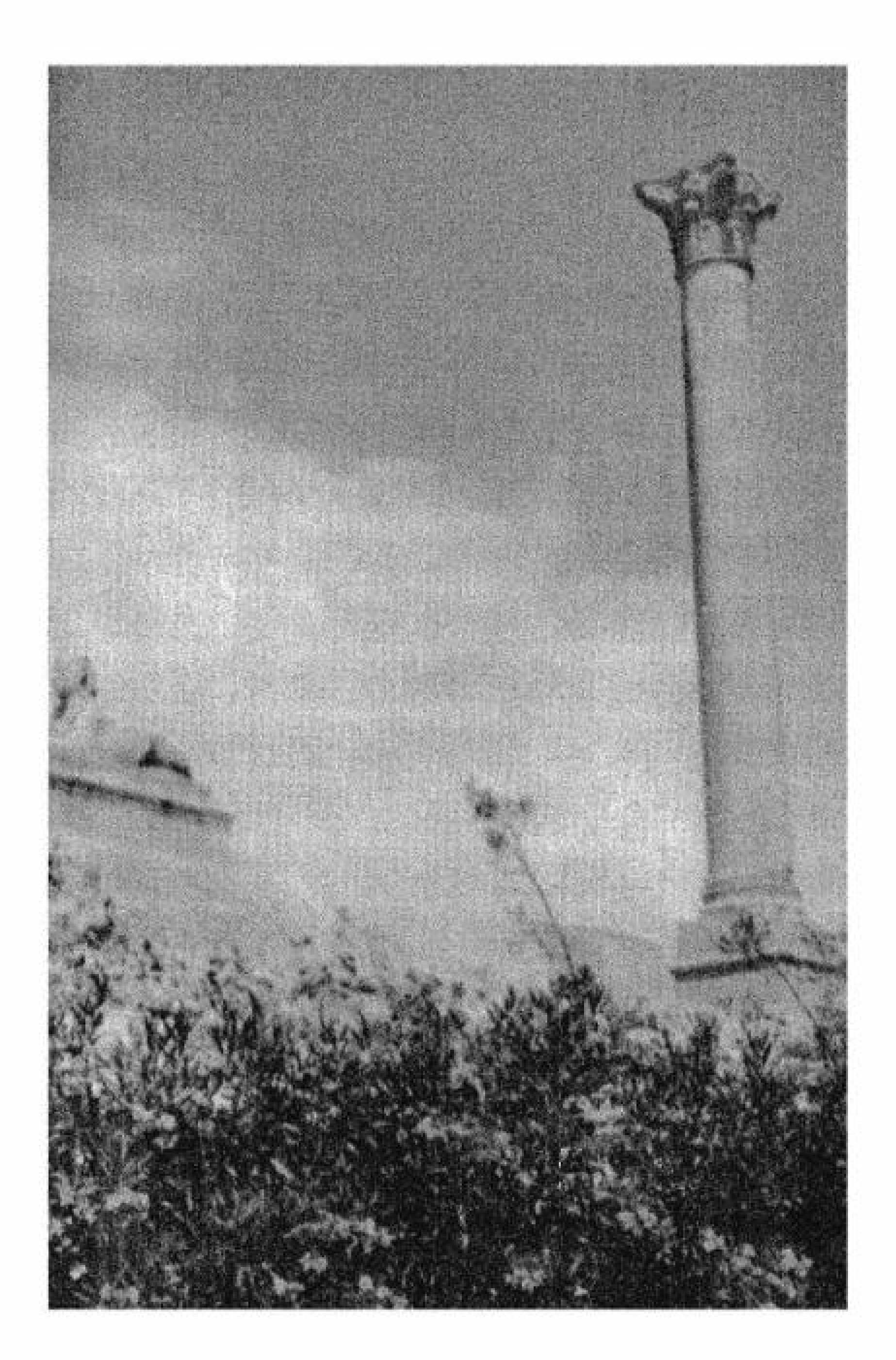
شيم عرفت بهن مذ انا يافع
ولقد عرفت بمثلها اسـلافى

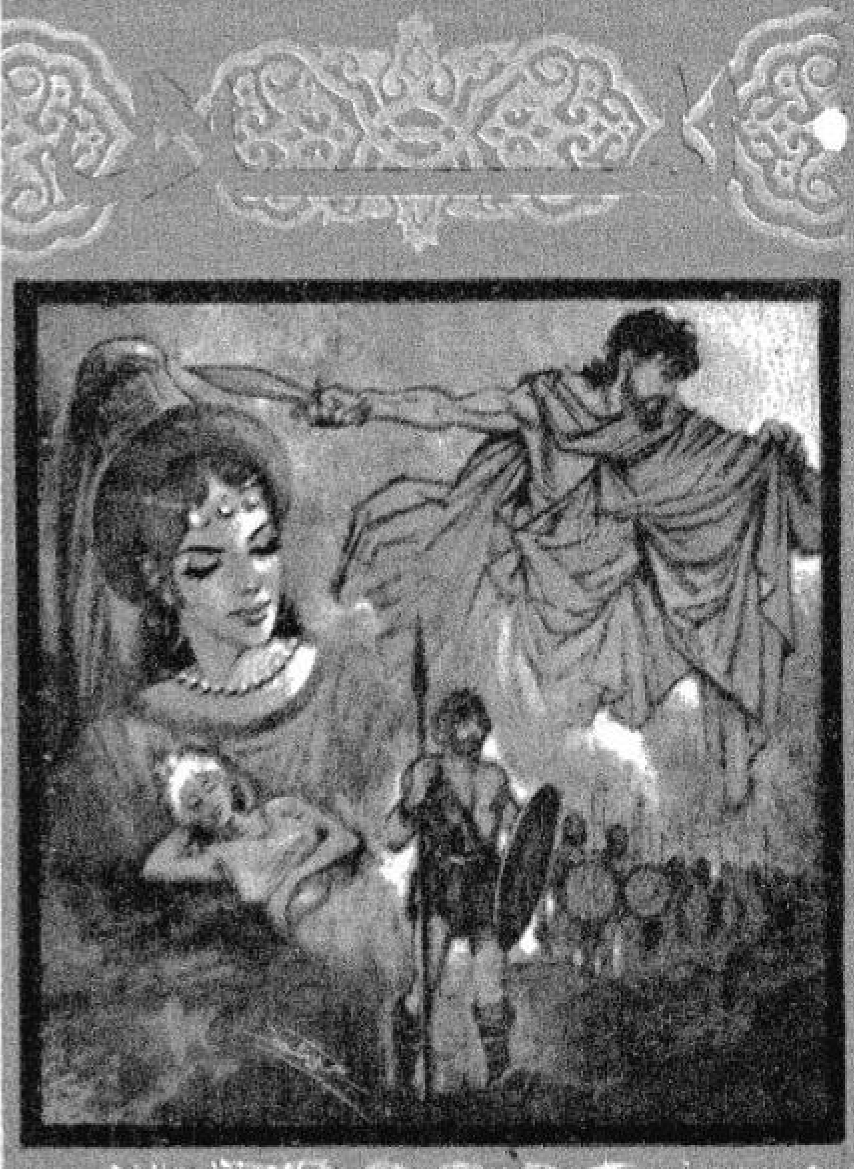
● ابو فراس الحمدانى ●



الربيع .. لوحة
للفنان جمال قطب

مشهد من الاسكندرية فى
الربيع تصوير : عبد التواب عبد





عدد خاص
أدب الملاحم

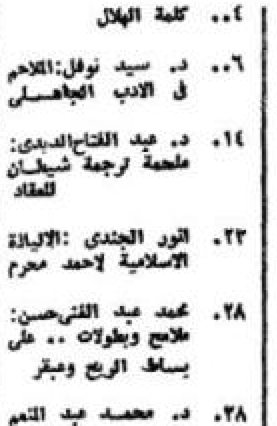
الهلال والزهور
والهدية = ١٥ قرشا

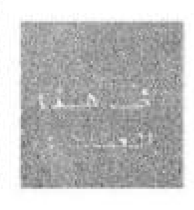
الهلال

جماد أول ١٣٩٦
مايـو ١٩٧٦

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال - أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ العدد الخامس - السنة الرابعة والثمانون - أول مايو ١٩٧٦ - ٢ من جماد أول ١٣٩٦

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .
الادارة : دار الهلال - ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
التليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » ..







سيد نوفل — عباس العقاد — د. سيد كريم





كلمة الهلال

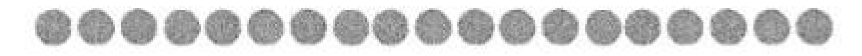
● يحدثنا ابن حزم فى كتابه « طوق الحمامة » عن رجل من اهل الاندلس ، حلت به ضائقة مالية لم يجد منها مخرجا الا ان يبيع جارية عنده كان يكن لها حبا كبيرا ٠

فلما انصرفت مع مشتريها ، جزع الاندلسى عليها ايما جزع ، انتابه الهم والارق حتى كاد يقضى ٠ فذهب الى الامير ، وروى له ما كان من امره ،وسأله ان يعينه على استرداد الجارية ٠ فارسل الامير يستدعى من اشتراها ، وفرض عليه الثمن الذى دفعه فى شراء الجارية ، على ان يعيدها الى بائعها لانه مشغوف بها ولا يطيق على بعدها صبرا ، فابى الرجل، واصر على الاحتفاظ بها لانه شغف بها هو الآخر ، فزاده فى ثمنها ، فازداد اصرارا على موقفه

وعندئذ نظر الامير الى الاندلسى ، وقال له :

— ها نحن اولاء قد عرضنا على صاحبك ثمنها وزدناه فيها فلم يرض عنها بديلا ٠ فلا حيلة لنا معه بعد ذلك

وكانوا يجلسون فى علية ، اى فى غرفة مرتفعة عن



سطح الارض · فنهض الاندلسي من مكانه ، واتجه الى الشرفة ، والقى بنفسه منها فسقط على الارض ، ولكن لم يصبه كثير من الضر

واسرع الحراس اليه ، وحملوه الى الامير الذي ازداد رثاء لحاله ، فالتفت الى الرجل الآخر وقال له ·

ـ هانت ذا رايت صاحبك وما صنع بنفسه من فرط حبه للجارية فقم واصنع بنفسك مثله ، حتى تثبت شغفك بها انت الآخر

فامتنع الرجل ··

وعندئذ امر الامير برد الجارية الى صاحبها الاول وادى للثاني ثمنها ، قائلا له :

ـ ارايت كيف ان صاحبك اقدم على ما احجمت عنه ، فالبت انه اكثر بها شغفا واحق بها منك ؟!

انقل هذه الحكاية التي رواها ابن حزم ، لاقول ان علينا ان ناخذ الجارية رمزا للهدف : وان من تعلق منا بهدف ، فعليه ان يتفانى في سبيله حتى الفناء ··

صالح جودت



ايام العرب الجاهليين

وقد استعمل الجاحظ كلمة الملاحم دلالة على الشعر المتضمن احداثا ووقائع ثم نقلها بعض مؤرخي الادب العربي ، وخاصة في بلاد المغرب للدلالة على ما يشبه الشعر القصصي الأجنبي ، وفي الملاحم العربية التي سارت في آداب العصور الوسطى .. وذهب البعض الى أن عرب الجاهلية نظموا الكثير من شعر الملاحم المتكاملة في تصوير البطولات العربية ، ثم ضاع اكثر الشعر ولم يبق الا اقله في دلالته الجزئية التي لاتؤلف كلا متكاملا .. بل زعم البعض أن سفر أيوب في التوراة هو في أصله ملحمة عربية متكاملة ، نقلت الى العبرية ثم ضاع أصلها العربي فيما ضاع من شعر الملاحم العربي القديم .. لكن التحقيق التاريخي ينفي مثل هذه المزاعم .

مهما يكن من شيء فان الادب العربي القديم عرف الشعر القصصي ، أو شعر الملاحم بمعناه العام الذي يروى أحاديث البطولة والقتال والفداء ، ولكنهم لم يؤلفوا منه كلا متكامل العناصر متناسق الاجزاء على مثال الالياذة أو الشاهنامة او غيرهما من ملاحم الادب الكبرى الاجنبية ..

لكنهم لا ريب قد عرفوا أدب الحروب

الملحمة ، كما يعرفها مؤرخو الآداب الغربية ، قصة شعرية مستفيضة تمتاز بروعة البيان ،وتروى مآثر النضال والشرف والجلال ، وتدور احداثها حول بطلها المحارب المغوار الذى يعد عظمة قومه ومثلهم العالية .. وقد تنسب الى شاعر واحد كنسبة الالياذة والاوديسا بالاناشيد كل منها الاربعة والعشرين الى هوميروس اعظم شعراء اليونان . ومثلهما الانيادة لفرجيل الشاعر الرومانى ، « والشاهنامة » لكل من الفردوسى الشاعر الفارسى والفردوسى الطويل الشاعر التركى ، وخلاص بيت المقدس لتاسو ، وملكة الجان لسبنسر ، والفردوس المفقود لميلتون ، و « سيد الاسبانية » . ومنها ما يؤلفه شعراء مجهولون ، ينظمون فى عصور مختلفة معتمدين فى نظمهم على اساطير شعبية سائرة ، تحكى بطولة احد الخالدين وتضفى الوان الخيال على معاركه وانتصاراته . ومثلها ملحمة « بيولف » اقدم الملاحم الانجليزية .. وقد الفت فى القرن الثامن الميلادى ، وتعود احداثها الى القرن السادس ، وتعتمد على التاريخ والقصص والاساطير الاسكندنافية ، وتحكى انتصار المحارب البطل بيولف على الساحر القبيح جريندل ، وتؤكد كيف يعلو الخير الشر دائما .. ولا يكاد يخلو ادب كبير لامة متقدمة فكرا وثقافة من الملاحم يمثلها الابناء عن الآباء لمختلف العصور ، ويتأثرون دائما بمناحجها الفكرية ، واقوالها المأثورة واسوانها الحسنة الباقية .

ويخلدوا صفات البطولة تخليدا شعريا رائعا ..

والشواهد على ذلك كثيرة فى موسوعات الادب العربى .. ومن ذلك الدرة الثانية من درات « العقد الفريد » لابن عبدربه .. فهذه الدرة يطول حديثها فى نحو مائة واربعين صفحة ، وتتناول ايام العرب ووقائعهم او حروبهم فى الجاهلية كما يسميها المؤلف .

ويقدم لحديثه تقدمة ذات دلالة بينة فى الربط بين الاخلاق والبطولة ، وأن الفارس المغوار الجاهلى قد يفوق اخلاقا المؤمن الاسلامى ..

ويقول :

« ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أيام العرب ووقائعهم فانها مآثر الجاهلية ، ومكارم الاخلاق السنية . قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كنتم تتحدثون به اذا خلوتم فى مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ، ونتحدث بأخبار جاهليتنا .. وقال بعضهم : وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا فى الجاهلية ، الاترى أن عنترة الفوارس جاهلى لادين له ، والحسن ابن هانىء اسلامى له دين ذ فمنع عنترة

كرمه مالم يمنع الحسن بن هـانىء بينه . فقال عنترة فى ذلك :

واغض طرفى ان بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي ماواهـا

وقال الحسن بن هـانىء مع اسلامه :

كان الشباب مطية الجهـل
ومحسن الضحكات والهـزل
والباعثي والناس قد رقدوا
حتى اتيت حليلة البعـل »

وفى هذه الدرة الباهرة يتحدث ابن عبد ربه عن اربعة وثمانين يوما او معركة من معارك الشعر عن بعض ابطالها اورواتها .. وهى تتناول حروب قيس فى الجاهلية مع كنانة وتميم ، وحروب بكر مع تميم ، وحرب البسوس بين بكر وتغلب ابنى وائل ، ووقائع حرب الفجار .. ولست اشك فى أن هذه الايام لو وردت الينا كاملة ، ولم تتأثر بالنزعة الدينية ، وبالامية الجاهلية ، وبتأخر عصر التدوين وما اليها من العوامل - لو لم تتأثر بذلك كله لكانت لنا ملاحم جاهلية خالدة على الزمان ..

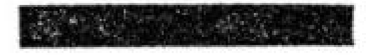
ولا تزال أحاديث دريد بن الصمة واشعاره فى يوم وادى اللوى بين غطفان وهوازن سائرة بيننا .. ومنها قوله :

فقلت لهم : ظنوا بالفى مدجج
سراتهم فى الفارسى المسرد
امرتهم امرى بمنقطع اللـوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد
وما انا الا من غزية ان غـوت
غويت وان ترشد غزية ارشـد
فان تعقب الايام والدهر تعلموا
بني غالب انا غضاب لمعبـد

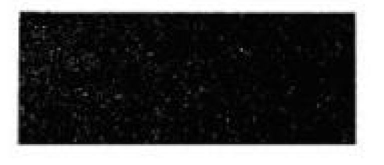
ومنها قوله فى احد فوارس المعركة المغاوير :

« ما ان رايت ولا سمعت بمثله
حامى الظعينة فارسا لم يقتـل
اردى فوارس لم يكونوا نهزة
ثم استمر كأنه لم يفعـل (١)
متهللا تبدو اسرة وجهـه
مثل الحسام جلته كف الصيقل
يزجي ظعينته ويسحب رمحـه
متوجها يمناه نحو المنـزل
وترى الفوارس من مهابة رمحـه
مثل البغاث خشين وقع الاجدل (٢)
يا ليت شعرى من ابوه وامـه
يا صاح من يك مثله لا يجهـل

وفى واقعة مخطط حيث هزم بنو يربوع بنى بكر بن وائل ، يقول مالك ابن نويرة :







---

(١) النهزة : الشيء الـذى هو لك معرض كالغنيمة

(٢) بغاث الطير (بالفتح والضم) : الائمها وشرارها ، وما لا يصيد منها، واحدتها بغاثة ، الذكر والانثى فى ذلك سواء . والاجدل : الصقر .



« الا اكن لاقيت يوم مخطط
فقد خبر الركبان ما اتود
بافناء حى من قبائل مالك
وعمرو بن يربوع اقاموا فاخلدوا
فقال الرئيس الحوفزان تبينوا
بني الحصن قد شارفتم ثم حربوا(١)
فما فتئوا حتى راونا كاننا
مع الصبح آذى من البحر مزبد (٢)
بملمومة شهباء يبرق خالها
ترى الشمس فيها حين دارت توقد(٣)
فما برحوا حتى علتهم كتائب
اذا طعنت فرسانها لا تعرد (٤)
فاقررت عيني يوم ظلوا كانهم
ببطن الغبيط خشب اثل مسند
صريع عليه الطير يحجل فوقه
وآخر مكبول اليدين مقيد
وكان لهم فى اهلهم ونسائهم
مبيت ولم يدروا بما يحدث الغد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى
شريك ويسطام عن الشر مقعد

ملحمة عنترة ابن شداد

على ان هناك ملاحم متكاملة او تكاد فى الشعر الجاهلى ، تصورها سيرة بعض شعراء البطولة والاقدام ، وفى مقدمتهم ملحمة عنترة بن شداد، او سيرة عنترة كما نسج على منوالها شعراء العصور الوسطى من العرب الذين بهرتهم بطولة عنترة وفضائله .

وحياة عنترة ، هى حياة الارقاء الابطال ، الذين علت هممهم وكبلتهم قيود المجتمع الثقال فاستطاعوا تحطيمها واكراه مجتمعهم على الاعتراف بقدرهم . وهؤلاء الارقاء انفسهم هم الذين اعزوا الاسلام من بعد ، وبرز بين صحابة الرسول عدد منهم ، تأكيدا لدعوة الحرية الاسلامية ومتانة اصولها .

فعنترة بن شداد ، او عنترة بن عمرو بن شداد ، او عنترة بن شداد ابن عمرو - قد ولد عبدا اسود من جارية حبشية يقال لها زبيبة سباها ابوه فى احدى غاراته .. وهو ، كما قال ابن الكلبى احد اغربة العرب الثلاثة الارقاء النابهين : عنترة بن زبيبة ، وخفاف بن ندبة ، والسليك ابن السلكة .

وقد ولد بنجد فى الربع الاول من القرن السادس الميلادى لشريف من اشراف قبيلة عبس المضرية ، وكان لا بد للعبد الوليد ان يخضع لتقاليد الجاهلية الحاكمة باستعباد اولاد الاماء الا اذا اظهروا نجابة او بطولة ، وحينئذ يحررهم آباؤهم وينسبونهم اليهم ..

وهكذا نشأ عنترة نشأة العبيد يرعى الابل والخيل .. لكن للعبقرية احكامها الممتازة ... فاكتسب راعى

---

(١) حربوا : اغضبوا .
(٢) الآذى : الموج الشديد .
(٣) بملمومة ، اى كتيبة مجتمعة مضموم بعضها الى بعض . وشهباء ، لما فيها من بياض السلاح ، والحديد فى حال السواد .
(٤) لا تعرد : لا تفر .



الخيول النجدية العبقرى صفات الشجاعة والفروسية وبلاغة النجديين وفصاحتهم ..

وحين اشتد ساعده وراق بيانه ، أخذ الناس يقدرونه وان ظلت قيود الرق تعطل مسيرته وتزيد لذلك الامه .. فلبث فى حزن مقيم وسعى متصل لانتزاع حريته من أبيه ، ولاكراهه على نسبته اليه حتى يشق طريقه ويتبوأ مكانته .

وفى هذه الفترة كان العبد الفارس يعتز بقوته وبأسه ، ولا توهن عزيمته قيود الرق وأثقاله .. وقد عبر عن ذلك فى مثل قوله :

ان كنت فى عدد العبيد فهمتى
فوق الثريا والسماك الاعزل
وبذا بلى ومهندى نلت العلى
لا بالقرابة والعديد الاجزل

وقد واتت الشاب الأبى الفرصة حين أغارت جماعة من طيىء على عبس : قبيلة عنترة ، وغلبتها واستاقت من ابلها . وأسرت من بناتها وابنائها .. حينئذ اتجهت الابصار الى الفارس الناشىء ، وطلب منه شداد أبوه ، الذى يأبى نسبته اليه ، الكر على طيىء ، واستخلاص غنائمها من عبس ، واستعادة الاسرى .. ولكن الفتى يأبى الاستجابة حتى يمنحه أبوه الحرية وينسبه اليه .. ويستجيب الوالد لرغبته .. وينتصر عنترة ، ويصبح الحر ابن شداد بطل عبس ، وسيفها المسلول وحامل لوائها المظفر ، وشاعر الفروسية لعصره .

ومنذ تحرير الفارس اكتملت له أسباب القوة والنصر ، فأخذ يقود الكتائب فى غزوات متصلة على طيىء وغطفان وحنيفة من أعداء عبس .. وسجل أروع صفحات البطولة فى حرب داحس والغبراء التى امتدت عشرات السنين .. وقضى معظم أيامها على صهوة جواده، وفى لباس المحارب ، يقاتل وينشد أشعار الحماسة والبطولة والحكمة ، وتسير فى العرب احاديث انتصاراته ، وروائع أشعاره ...

ولكن عبقرية الحرب والشعر تزيد حساده والمبغضين له ، شأن الناس فى كل زمان ومكان ، فلا يكفون عن محاولات النيل منه ، وهجائه بسابق الرق وبأمه الجارية الحبشية .... فيظل ذلك مصدر الم له ، وأن دفعه بقوة وبأس ، يتمثلان فى شعره الكثير وفى مثل قوله :

ان المنية لو تمثل مثلت
مثلى اذا نزلوا بضنك المنزل
انى امرؤ من خير عبس منصبا (١)
شطرى ، واحمى سائرى بالمنصل (٢)
واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت
الفيت خيرا من معم مخول
والخيل تعلم والفوارس اننى
فرقت جمعهم بضربة فيصل
اذ لا أبادر فى المضيق فوارس
أولا أوكل بالرعيل الاول
ان يلحقوا أكرر وان يستلحموا
أشدد وان يلفوا بضنك أنزل

(١) المنصب : الاصل .
(٢) المنصل بضم الميم وكسر الصاد : السيف .

حين النزول يكون غاية مثلنـــا
ويفر كل مضلـــل مســـتوهل
والخيل ساهمة الوجوه كأنمـــا
تسقى فوارســـها نقيع الحنظـــل
ولقد أبيت على الطوى وأظلـــه
حتى أنال به كريم المـــآكل

فعنترة ، كما يصور نفسه ، هـو الذى تفتك بالناس ، ولا يفتك أحـد بها . وموضوع النسب لا يصح أن يثيره الحاسدون .. فهو من عبس شطره لأبيه ، أما شـطره لأمه فيغنى عنه سيفه البتار الذى لا يختلف فيـه المختلفون .. والحرب تشهد له ، حين يتردد المترددون ويخشى هولها الخائفون . أنه أفضل من الذين اجتمع لهم شـطرا النسـب من الأب والأم أو المعمين المخولين .. وهو الى جانب شجاعته وحسمه فى القتال ، يكتمل له الاباء ونبل الخلق ، حتى يفضل الجوع على الأكل غير الكريم .. فأى عظمة لمخلوق أرفع من هذه العظمة ؟

لكن الام عنترة العميقة ، لم يكـن مصدرها الاول الشانئون الحاسدون ، وانما كان مصدرها الاول حبه عبلة ابنة عمه ، وهيامه بها هياما فاق كل هيام .. فعبلة وأبوها ينفـــران من الحبيب البطل لنقص نسبه من ناحيـــة الأم ، وسواده وشق شفته .. ويظل عنترة طوال حياته يسترضى عبـلة وأباها ، ويقدم لهما ولقبيلته كلهـــا النصر بعد النصر ، ويؤكد لهم جميعـــا أن شجاعته وفصاحته وكرم أخلاقه تغنى عن المظاهر التى لا تنال من الجواهر شيئا .. وبعد عيش طـــويل عان ، يظفـــر بعبلة بعـــد أن يغنى البطولة والادب بأعظم الايام وأبهى الآثار ..

[redacted]

[redacted]

وبعد تسعين عاما ، يموت فى عام ٦٠٠ م . قبل بعث الرســـول بعشرة أعـوام ، أو فى عام ٦١٥ م بعد البعث بخمسة أعوام ، على اختلاف الروايات وان لم تبلغه دعوة الاسلام على كل حال .. ويموت أبو الفوارس عنترة ، حين ضعف وتقدمت به السن ، قتيـلا بسهم من فاتك عـــربى أو فى ريح عاصفة تهب عليه وتطمره فى الرمال على اختلاف فى الروايات أيضا .

ولقد كان عنترة ، ببطولته وحبـــه المثالى وأخلاقه الســـامية ، مصـــدر الهام ونفع للأمة العربية فى الجاهلية والاسلام ، وعامل قوة فى نضـــالها ضد قوى الاستعمار والعـــدوان لمختلف العصور ... ولهذا لم يكن عجيـــا أن يقوده اليه الابصار فى الحـــرب الصليبية ، وأن تصبح قصص بطولته مثار فتنة وحماسة للمناضلين ضـــد الاستعمار الذى رفع الصليب زورا وبهتانا .

وهكذا كتبت ، فى تلك الفتـــرة الفضيلة المظفرة من تاريخ العـــرب وما تلاها ، سيرة عنترة ، أو عنتر كما تسميه العامة .. وهى تضـــم عشرة آلاف بيت من الشعر الســـهل المرسل ..

وتقع الطبعات التي ظهرت منها في القرنين التاسع عشر والعشرين في اثنين وثلاثين جزءا .. ويتناول كل جزء منها قصة من أقاصيص السيرة لا تنتهي بانتهائه وانما يمتد طرف منها الى الجزء التالي ..

وسيرة عنترة ممتدة الزمان متشعبة المكان .. فأحداثها تسبق مولد عنترة ثم تقص اثر البطل في مراحل النشأة والبطولة والشيخوخة ، وتتناول غزواته وانتصاراته .. وتتجاوز جزيرة العرب ، حتى تشمل العالم القديم المعروف من مصر والحبشة وفارس والهند والجنوب الاوروبي .. وقد اكتملت في مصر في القرن الرابع عشر ، على اختلاف في منشئها ومؤلفيها ..

وقد دخلت هذه الملحمة أوروبا في القرن الثامن عشر . وفي القرن التاسع عشر ادخلها مؤرخو الادب الاوروبيون في ميدان الادب العالمي المقارن ، وأطلقوا عليها اسم « الياذة العرب » .... وكان الشاعر الفرنسي الشهير لامارتين تستولي عليه نشوة الاعجاب والحماسة لعنترة .. ووضع الفيلسوف الفرنسي الكبير « تين » ، مؤرخ الآداب العالمية وخاصة الادب الانجليزي ـ وضع « تين » عنترة في صف ابطال الملاحم العالمية الكبرى ، مثل سيجفريد ، ورولاند ورستم ، واوديسيوس ، واخيل ..

وفي هذه الملحمة أو السيرة ، يتجلى عنترة مثلا أعلى للفارس الكامل والشاعر الفذ ، والحبيب المتفاني ، كما يتجلى بطلا مظفرا ، وظهيرا للعاجز ، ونصيرا للمظلوم ، وطموحا يضحي بكل شيء في سبيل المجد الخالد .

وهكذا أعز عنترة البطولة والادب والحب في حياته ، كما أعزها وخلدها بعد مماته ..

ملحمة المهلهل

وسير الشعراء الفرسان يمكن أن تسمى ملاحم بما اكتمل لشعرهم فيها من معاني البطولة والفداء والأخلاق .. ومن ذلك سير المهلهل ، وعبد يغوث والحصين بن الحمام ، وعامر بن الطفيل وغيرهم ..

ويكفي أن أورد في ايجاز سيرة المهلهل . وهي أبو ليلى عدى بن ربيعة التغلبي، خال امرىء القيس بن حجر أمير الشعراء الجاهليين ، وجد عمر بن كلثوم لأمه . وقد نشأ في ديار تغلب بشرقي نجد الشمالي نحو العراق . ولقب مهلهلا لأنه ، كما يقول ابن قتيبة أول من هلهل نسج الشعر وجعله رقيقا بعد غلظة . وقد عاش أول حياته ، عيش الخمر والنساء وسائر ألوان اللهو . وكان له أخ بطل يدعى « كليبا » ، لقي مصرعه .. وحينئذ تبدلت حياة المهلهل تبديلا ، فأقام يطالب بدمه في حروب قاد فيها



الملاحم في الأدب الجاهلي

قبيلته أربعين عاما حسوما ، وسميت حرب البسوس ، وبرزت فيهـا خمس معارك شهيرة .. وقد جعل المهلهـل شعره ديوانا لهذه الحروب ، وسجلا رائعا لها .. وأطنب في وصف سجايا أخيه كليب ، ومعالم السيادة والشرف المتجلية في حياته .

ومن قوله يعاهد أخاه على الثأر له بعد مقتله :

خذ العهد الاكيد علي ، عمـرى
بتركي كل ما حوت الديـار
وهجري الغـانيات ، وشرب كاس
ولبس جبة لا تستعـــار
ولست بخالع درعي وسـيفي
الى أن يخلع الليل النهـار
والا أن تبيد سراة بكـــر
فلا يبقى لها ابدا اثـــار

وكثيرا ما عدد فضائل كليب بمثل قوله :

كليب لا خير في الدنيا ، ومن فيها ،
ان انت خليتها في من يخليها !
كليب ، اى فتى عـــز ومـكرمة
تحت الصفاة التى يعلوك سافيها !
نعى النعاة كليبا لي ، فقلت لهم :
مالت بنا الارض او زالت رواسيها !
ليت السماء على من تحتها وقعت ،
وحالت الارض فانجابت بمن فيها !
الحزم والعزم كانا من طبائعه ،
ما كل آلائه ، يا قوم ، احصيهـا
القائد الخيل تردى في اعنتهـــا
زهوا ، اذا الخيل بحت في تعاديها ،
قد كان يصحبها شعواء مشـعلة
تحت العجاجة ، معقودا نواصيها ،

ومن قوله في وصف احــدى المعارك :

ولكنا طعنا القوم طعنـــــا
على الاثباج منهم والنحــور .
تكب القوم للاذقان صــرعى
وناخذ بالترائب والصـــدور
فدى لبنى شقيقة حين جــاؤوا
كاسد الغاب تجلب بالزئيـــر

كان رماحهم اشطان بئـــر
بعيد بين جاليها ، بجـــرور
غداة كاننا ، وبنى ابينـــا ،
بجنب عنيـــزة ، رحيا مدير .
كان الجدى ، جدى بنـات نعش
يكب على اليدين ، بمستــتير .
وتحبو الشعريان الى ســهيل
يلوح كقمة الجبل الكبيـــر .
فلولا الريح ، اسمع من بحجـر
صليل البيض تقرع بالذكــور
وكانوا قومنا فبغوا علينــــا ،
فقد لاقاهم لفح الســـعير
تظل الخيل عاكفة عليهـــم ،
كان الخيل ترحض في غــدير !

وبعد ، فهذه اشـــارات وجيزة الى الملاحم في الادب الجاهلي .. وهناك ملاحم اخرى لا تقل روعة ودلالة على هذا الفن العربي .. ومن بينها ملحمة أو سيرة سيف بن ذى يزن البطـــل العربي القديم الذى قاد النضـــال العربي قبل الاسلام ضد الغــــزاة الاحباش لجزيرة العرب ، حتى انتصر عليهم وحرر الجزيرة منهم .. قـد على بها الادب الشعبي العربي في القـــرنين الرابع‌عشر والخامس عشر الميلاديين ..

وهي والكثير من امثالهـــا تدل في وضوح على أن الادب العربي القديم قد سبق الآداب الاجنبية للغـــــات الباقية في مختلف فنـــون الادب ، وتفوق فيها اعظم تفوق ..

د. عبد الفتاح الديدى

ملحمة ترجمة شيطان للعقاد

ملحمة « ترجمة شيطان » هى الملحمة التى استحق العقاد من أجلها امارة الشعر العربى سنة ١٩٣٤ ونوه بها الدكتور طه حسين فى خطاب امارة العقاد للشعر الذى القاه بالاوبرا بهذه المناسبة

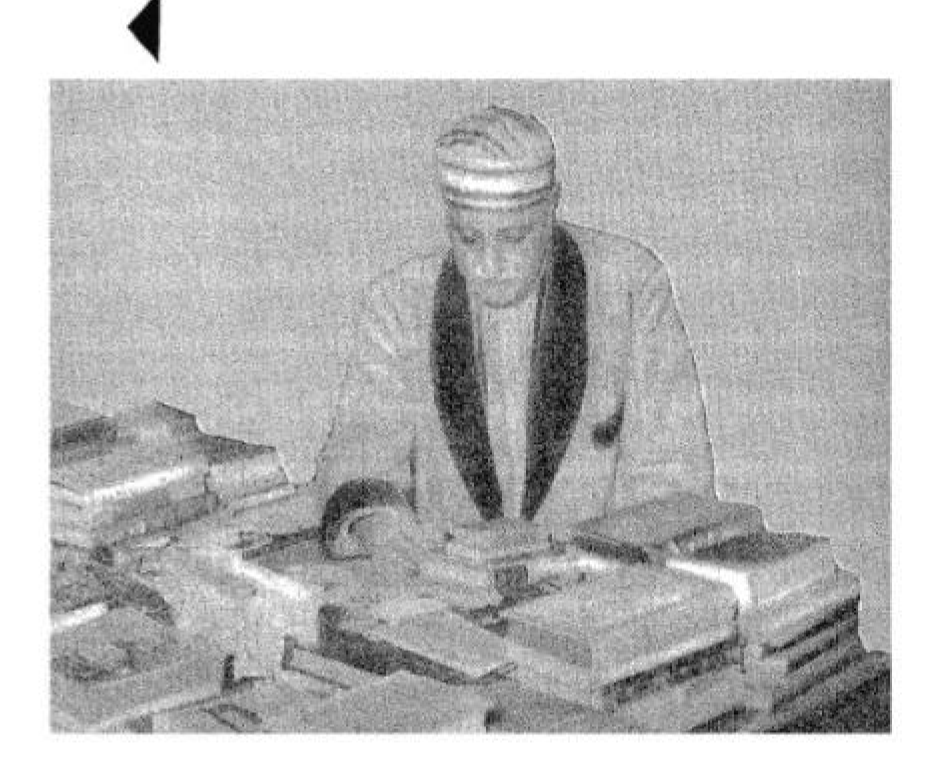
وروى العقاد فى مقال بأحد أعداد المقتطف سنة ١٩٢٤ انه كاد يمزق هذه الملحمة ويسقطها من ديوانه سنة ١٩٢١ ، لولا اصرار بعض اصدقائه على ابقائها واستمرار نشرها فى الديوان بالجزء الثالث .وهكذا بقيت هذه الملحمة وصارت حدثا خطيرا من احداث الشعر العربى فى التطور والنماء ..

الملحمة صورة من صور الصراع . وأعمق صورة من صور الصراع في الوجود هي صورة الصراع بين الخير والشر . وقد اخذت قصة الصراع بين الخير والشر صورا شتى منذ مطلع الحياة المدنية . ولم تخل مدنية من المدنيات من الاساطير والروايات الشعبية التي تسجل قصة هذا الصراع على نحو من الانحاء التي تناسبها وتتمشى مع فلسفتها في الحياة من اجل تفسير وجود هذا الصراع فوق الارض وشيوع مشكلته لدى الناس .

لماذا يوجد الشر على الارض ، ولماذا يأسر هذا الشر العديد من النـــاس فيحرقون له البخور ويعيشون في كنفه ويخدمون اهدافه ؟

وفسر الاقدمون فعل الشر والسلوك الشرير بانه انتماء الى الشيطان . ولم يكن بين الاعمال الفاضلة وغير الفاضلة من فارق سوى ان هذه الاعمال الفاضلة تدخل في طاعة الله وان تلك الاعمال غير الفاضلة تدخل في طاعة الشيطان .

واسم الشيطان باداة التعريف هو اشهر شخصيات الشيطان كما وردت في الحضارات الغابرة لانه ورد على هذا النحو في كتب الديانات الثلاث ودخل في تعبيرات اللغات الاوربية المتداولة بلفظه المنقول عن اللغات الســامية . والرأى الغالب ان كلمة الشيطان هذه عبرية بمعنى الضد او العدو . وترجع غلبة هـذا الرأى الى ظن شائع باسبقية اليهـــودية على غيرها من الديانات كالمسيحية





ترجمة شيطان

والاسلام . فلفظة شيطان مستعارة في ظنهم من اللغة العبرية وهي لغة اليهود المنتمين الى ديانة موسى عليه السلام ...

ولكن العقاد مؤلف كتاب « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » يرفض هذا الرأى ويرى انه يصدق في حالة واحدة فقط ، وهي ان يكون اليهود أصلاء في الكلام عن الشيطان والا يكون قد سبقهم احد المشارقة اليه . وهو ما لم يثبت ولم يتأكد ، وقد يكون الثابت على خلاف ذلك ونقيضه لان اليهود قد وصفوا الشيطان بعد هجرتهم الى بابل ، ولم تكن طريق بابل موصدة دون الامم السامية غير اليهود .

والارجح عند العقاد كما يقرر هو نفسه ذلك في كتابه عن ابليس (ص ٤٢) ان كلمة شيطان أصيلة في اللغة العربية قديمة فيها ، ولا يبعد في رأيه أن تكون اقدم من نظائرها في اللغة البابلية ذاتها لان اللغة العربية قد اشتملت على كل جذر يمكن ان يتفرع منه لفظ الشيطان على أى احتمال وعلى كل تقدير .

وقد كان العرب يسمون الثعبان الكبير بالشيطان ، ويقال في بعض التفسيرات ان هذا المعنى هو المقصود من « طلعها كأنه رءوس الشياطين » وذكر الشراح اليهود المتأخرون ان الشيطان تمثل لآدم في صورة الحية حين أغراه بأكل الثمرة المحرمة . ولم تنقطع - كما يقول العقاد في نفس المرجع (ص ٤٣) - العلاقة بين الحية والشيطان . ويؤخذ من سفر ايوب عليه السلام - وهو عربي باتفاق المؤرخين - ان الشيطان كان معروفا بين العرب من ذلك العهد الذى كان سابقا لعهد خروج بني اسرائيل من مصر . ويؤخذ من تاريخ الادب العربي في الجاهلية ان العرب قد عرفوا الشيطان في ادواره الفنية والادبية مع السحرة والشعراء ، فليس هو مجرد اسم معرب نقلوه من لغة أخرى .

ويستمر استاذنا العقاد في شرح دور الاسلام بعد ذلك في وصف الشيطان فيؤكد أهم نقطة وهي أن الاسلام رفض ثنائية الوجود بين قوتين احداهما هي قوة الخير أى الله والاخرى هي قوة الشر أى الشيطان . بل لا توجد في الاسلام اية اشارة الى هذا التعارض لانه كما يقول العقاد (ص ١٢٧ نفس المرجع) - اى الاسلام - قد بسط على الوجود كله وحدة لا مثنوية فيها على وجه من الوجوه ومنح الارادة الانسانية حقها وتبعتها وجعلها طائلة لنفسها اذا سمحت للشيطان ان يظلمها . فانما هو خداع وضعف . وانما هما طريقان بينان لا يخدع عنهما سوى المخدوع او المسحور ، الا ان يؤثر الضلالة على الهدى ويصر على ضلالته بين دواعي التوبة والندم ... ولم يذكر القرآن الكريم قط شيئا عن سقوط الخليقة من رتبة الى رتبة دونها (ص ١٢٥ نفس المرجع) ولم يذكر شيئا عن سقوط الخطيئة الدائمة او سقوط الخطيئة التي يدان فيها الانسان بغير عمله . اذ العقيدتان - كلتاهما غريبتان عن روح الدين الإسلامي كل الغرابة . ولا يعرف الإسلام ارادة معاندة في الكون لارادة الله يكون من اثرها ان تنازعه الارواح وتشاركه في المشيئة وتضع في الكون اصلا من اصول الشر وتسقط الخلائق التي ارتفعت سوية بمشيئة الخالق .

وهكذا حدد الاسلام صورة الشيطان وصار له دور معلوم - كما يقول العقاد (ص ١١٠ نفس المرجع) - أمام الله فلا يتوقف العلم بأوصافه على السماع

بل يجوز للمفكر أن ينسب اليـــه كل ما يقتضيه ذلك الدور من الالوان والملامح والخصائص والتبعات · ولهذا كان على العقاد أن يختار شيطانه فى قصائده على نمط اسلامى فلا يخرج على الحدود التى وضعها الاسلام لتصور الشيطان ·

ويعبر العقاد بنفسه عن تجربته فى تناول موضوع الشيطان فى أعمـــاله الشعرية فيقول (نفس المرجع ص ٢٠٢) : « ونحن فى هذا الباب خاصة لا نبحث بحث المؤرخين أو النقاد الاوربيين ، وانما نراجع ما أحسسناه واخترناه ، ونفهم بواعث النظم والتأليف فى هذه الاغراض مما عالجناه وانبعثنا اليه بوحى الاطلاع وعدوى الخواطر التى يوحيها ···

أول ما خطر لنا أن نقارن بين التشبيهات والمعانى المجسمة فى اللغـــات الاوربية واللغة العربية ، وكتبنا فى هذه المقارنة عن الكائنات الخفية وعن عجائب المخلوقات وعن الاساطير ، مما يطلع عليه القارىء فى كتاب الفصول ومجمـــع الاحياء ، وأحسسنا الحاجة الى تصوير بعض العواطف بصورتها الشـــعرية التمثيلية ، فأخذنا فى وقت واحد فى نظم قصيدة عن سباق الشياطين وتأليف كتاب نسميه « مذكرات ابليس » ونخصص كل فصل منه لغواية من الغوايات كالعشق الاثيم والسرقة والبغى والطمع وسائر هذه الاثام التى تذكر كلما ذكر الشيطان · فأما سباق الشياطين فقد تمت القصيدة التى نظمناها فى موضوعه · وأما مذكرات ابليس فلم يتم منها غير فصل واحد ··· ثم بقيت النية مترددة حول هذا المطلب حتى تحولنا عنه بعد الحرب العالمية الاولى الى موضوع القصيدة التى سميناها « ترجمة شيطان » ونشرت فى الجزء الثالث من الديوان » ·

وهذا هو الموقف الذى نشعر به من بداية الملحمة · فالعقـــاد يصور الشيطان وفقا لمفهوم لا يرفعه الى درجة القوة المناوئة وانما يجعله صورة من صور الغواية وعداوة الحق · ولكن هذا لا يمنع بعض الظـــلال الاسطورية التى تجعل من الشيطان قرينا للظلام ·

صـــاغه الرحمـــن ذو الفضـــل العمـــيم
غســـق الظلمـــاء فى قـــاع ســـقر
ورمى الارض بـــه رمى الرجيـــــــم
عبـــرة ·· فاســـمع اعاجيب العبـــر

●●●

خلقـــة شـــاء لهـــا الله الكنـــود
وأبى منهـــا وفـــاء الشـــاكر
قـــدر الســـوء لهـــا قبـــل الوجـــود
وتعـــالى من عليـــم قـــــادر

●●●

قـــال : كـــونى محنـــة للابريـــــاء
واخســـئى ايتهـــا النفس العقيـــم
ايهـــا الشـــيطان اضـــل من تشـــاء
ســـوف تاويـــك وتاويه الجحيـــــم

●●●

فهـــوى الشـــيطان صـــفر الراحتين
خـــاوى الـــزاد ويائس الســـفر

اين يمضي ؟ اين الافق الارض اين ؟
فرحاب الكون ملأى بالاكـــــــر

ولكن هذا الشيطان شيطان ناشىء على حد تعبير العقاد · فرؤيته للوقائع مختلفة عن رؤية الشيطان المدرب · ولهذا فهو يعجب من سقوط الناس فى سهولة ويسر فى حبائله ··· ويشعر بالزهو والكبرياء ····

سخر الشيطان من قسمته
ومن الارض وما فوق السماء
ومضى يهجس فى محنته
الهذا تستذل الكبرياء ؟

●●●

ورمى اول فخ فاصابا
ودعاه الحق واستلقى فنام
واناب الحق عنه فاستجابا
فاذا الحق لجاج وخصام

●●●

نام لما صنع الحق واغفى
ولو اختار لاغفى ابدا
غير ان الشر لا يالف غمضا
ربحت صفقته او فسدا

ولكن هذا الشيطان لا يلبث أن يكتشف أن الناس أضعف وأذل من أن يحتاجوا الى غواية أو اذلال · ويشعر بأن الغواية للخير أصعب بكثير من هذه المهمة التي خلق لها · ويستمر فى عمله ولكنه يرى ضعف البشر ويكره عمله فيتوب عن صناعة الاغواء لهوان الناس عليه وتشابه الصالحين والطالحين منهم عنده ··

وتمادى بعد فى حرفته
كلما انبت زرعا ينعا
فرأى الشوكة فى نولته
وجنى الوفرة مما زرعا

●●●

انف الشيطان من فتنته
امما يانف من اهلاكها
ورأى الفاجر من زمرته
كعفيف الذيل من نساكها

●●●

ما له يفسد خلقا عدموا
آية الرشد ، وفيهم رشدوا
وعلام السلب مما غنموا



ترجمة شيطان

وهم لــــو فتشــوا لم يحســدوا

***

كلهــم طالب قــوت ـ والثـــرى
ذل قــوم او تعــالوا ـ مخصــب
والحصــارى الامـــر في هـــذا الورى
راســب يطفـــو وطاف يرســب

***

مــذ راى الشــيطان عقبى شــره
كفـــر المســكين بالشر الوخيــم
واراهـــا بدعــــة من كفـــره
دونهـــا الكفران بالخيـــر العميــم

واذا بالشيطان يتجه الى الله ويتوب ويطلب الغفران فقبل الله منـــه هذه التوبة وادخله الجنة وحفه فيها بالحـــور العين والملائكة المقـــربين :

يا الـــه الكـــون يا خيــــر الـــه
اين من قـــدرك اصـــنام القـــدم
من كـــرب الكـــون لا بل من ســـواه
عـــادل في الخــلق بـــر بالامـــم

***

انت يا رب لطيـــف في القضـــاء
فاصـــفح اللهم من يجحـــد لطفـــك
قســـما باســـمك يا رب الســـماء
ما ارى في النـــاس من يدرك وصـــفك

***

يكفـــر الشـــيطان بالشر العقـــام
فتعـــد الكفـــر منـــه نـــدما
وتتجيـــــه الى دار الســـــلام
وقديمـــا قلت لا يخفى الحـــمى

***

فضـــله اللهـــم من غـــير حســـاب
وكـــذا اللهــــم الاه العـــليم
فاعجبـــوا من نعمـــة الله العجـــاب
وانظـــروا كيف تلقـــاها الرجيــــم

***

نزل الشـــيطان من جنتـــــــه
منـــزلا يرضى به الفـــن الجميـــل
ومشى فاختـــــــار في مشـــــيته
عشـــبة عنـــد مصـــب السلسبيل

***

كمـــلت زينتهـــا من كـــــل فـــن
وكســـاها الزهـــو ولـــدان وحـــور
وعلى احواضهـــا الطيـــــر تغنى
يا كـــريم ·· يا حـــليم ·· يا غفـــور

وتمضى الملحمة على هذا النحو السلس الجميـــل فى مائة وعشرة مقاطع ،



ترجمة شيطان

وتصف كيف عاش هذا الشيطان غير المحترف في الجنة ، غير انه لم يلبث ان سئم عيشة النعيم ، وتطلع الى مقام الآلهة لانه لا يستطيع أن يرى الكمال الالهي ولا يطمع فيه ولا يستطيع أن يطمع فيه دون أن يحصل عليه ويصبر مع ذلك على الحرمان منه .....

وقبيل الصبح او نحو الاصيل
عند باب القدس او باب الحرم !
ركب الشيطان فوق السلسبيل
مركبا يزجيه سلسال النغم

***

وفشت حوليه أرواح السلام
كل زهر باعث منه شذاه
ساريات مثلما تسرى المدام
او كما رفت على الخد الشفاه

***

ساءهم في الخلد الا يحسدوا
ومن الحساد من تطلبه
راعهم في الخلد الا يسعدوا
منكر السعد كمن يسلبه

***

فاذا الجنة امن وسكون
كسكون الليل في ضوء القمر
خشعت حتى الشوادي في الغصون
وصفت حتى وريقات الشجر

***

ساعة ثم انجلى موقفها
عن جلال الله فردا في علاه
غابت الأملاك لا تعرفها
وبدا الشيطان معروفا تراه

***

وبدا الشيطان معروفا ترى
كبرياء الكفر في وقفته
عالى الجبهة يأبى القهرى
تسوح النار من نظرته

***

ساعة أخرى وقد حم القضاء
والقضى العفو وحق الغضب
ساعة للنحس حلت والبلاء
ومتى حلت فأين المهرب

فجهر الشيطان بالعصيان في الجنة ومسخه الله حجرا فهو ما يبرح يفتن العقول بجمال التماثيل وآيات الفنون :

قـــال كن عبـــدي فلمـــا ان ابي
قال كن صـــخرا كمـــا انـــت فكان
لهب طـــار فلولا ان خبـــــا
لتفشي الســكون نـــار ودخـــان

وفي كتابي عن « النقد والجمال عند العقاد » عقدت فصـــلا عن الدور الذي يلعبه الزمان في شعر العقاد وقلت في تفسير هذا الموقف ان السر الحقيقي لهبوط الشيطان من عالم الجنان هو كراهية التجدد خارج الزمن والملل من البقاء حيث لا زمان . ويوم عرف الانسان الشيطان كان فاتحة خير كما يقول العقـــاد . لقد كانت معرفة الشيطان فاتحة التمييز بين الخير والشر . ولهـــذا لا يلبث الشيطان أن يكون بمثابة الخطوة الاولى في تاريخ الاخلاق الحية وتلك هي معرفة الخير في الصميم .

فالخير هو القدرة على الحسن مع وجود كل وسائل القدرة على القبيح وهـــو الاختيار المطلوب بعد التمييز بين القدرتين . ولهذا عرفنا كمـــا يقول العقاد من تاريخ الشيطان أنه سقط لانه أنف من تفضـــيل آدم عليـــه وعلى الجـــــان والملائكة اجمعين . وانما فضل آدم عليه لانه عرضة للخير والشر ، ولانه مطالب بالخيرات وهو ممتحن بالشرور ... فضل على الملائكة الذين لا يصنعون الشر لانهم بمنجاة من غوايته ... وفضل على الجان الذين لا يختارون بين نقيضين . ومن تلك الاونة عرفت وظيفة الشيطان في هذا العالم وعرفت معها فضيلة الانسان . وانما فضيلة الانسان أن يصنع خيرا والشر عنده غواية وله في نفســـه فتنة كما يقول العقاد :

ولقـــــد قـــال النـــاس شـــهدوا
مصرع الشـــيطان هـــل طبـــع يزول
نازه تخبـــو فـــلا تتقـــــد
وهو في الصـــخرة يستهوي العقـــول

***

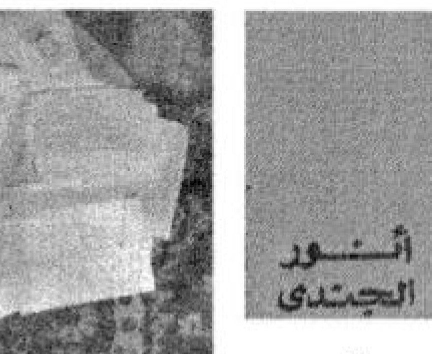
فـــاذا ابصرت من صـــــخرته
دميـــة ســـاحرة او صـــنما
فابتعـــــد منـــه ومن رقيتـــــه
واتـــق الله وحـــــوقل ندمـــــا

واستضحك ابليس يوم انتهى المطاف بتلميذه الى هذه الخاتمة فقال :

ما أرى هـــذا الفتى من بعدنـــا
ومتى اســـتغوى الشـــياطين الشرك ؟
أتـــرى شـــيطانه من قومنـــا
الغـــوت الاملاك فهـــو ابن مـــلك !
فتـــلاحى القـــوم ثم اســـتضحكوا
ودعـــا مازحهـــم شر دعـــاء
قـــال : فلتســـلكه فيمن سلكوا
ايهـــا المولى ســـبيل الشـــهداء

وهكذا تقضت سيرته بين الشياطين ومضى كالطيف أو رجع الصدى . ولكنه في النهاية باء بالسخط فلا شيعته رضيت عنه ولا أرضى العدا .

تلك ترجمة ذلك الشيطان الذي تخيله العقاد وخلق له هذه الملحمة الشعرية الرائعة وكأنما باتت مسكنا له وصارت هي الاخرى كتمثال شعري بلغ الدقة في الاداء وحقق معنى الصراع وبقي فخرا للادب والفن .



الالياذة الإسلامية لأحمد محرم

٥٠٠٠ بيت فى ٤٦ قصيدة

قال مستخفيا بغار حراء ... يعبد الله عائذا مستجيرا
يسمر القوم فى الضلال ويمسى ... للذى اطلع النجوم سميرا
راكعا ساجدا يسبح مولاه ... ويزجى التهليل والتكبيرا
تهتف الكائنات يأخذها الصوت ... تحيى مكانه المهجورا
نال منها محبله لم ينلها ... صوت داود حين يتلو الزبورا
نبرات قدسية تتوالى ... نغما رائعا وتمضى زفيرا
رب طال الخفاء والدين جهر ... رب فاجعل مدى الخفاء قصيرا

اذا كان أحمد محرم قد توج حياته الادبية بنظم (الالياذة الاسلامية) فقد كانت حياة هذا الشاعر كلها خالصة للمثل الاعلى الذى جاء به الدين الحق ، خلقا ونبلا وسماحة واستعلاء على المطامع والصغائر والاهواء • وكانما كان يمسك القلم فى يده فيقدر مسئولية القلم وحساب الله وجزاءه فيصرفه ذلك كله عن أن يخضعه لما أخضع له الشعراء القلامهم جريا وراء المطامع وتبهية الملوك والأمراء واصحاب السلطان •

وهكذا عاش (احمد محرم) في ظل الحياة الفكرية المصرية منذ بدا يكتب ويتكلم منذ ما قبل اوائل عام ١٩٠٠ الى اخر عمره)١٩٤٩(قادرا على ان يشق الطريق الى الجاه والمال كما فعل زملاؤه وابناء جيله ، ولكن حفاظه على الكرامة وايمانه بالوطنية وصدق عاطفته ونقاء سريرته كل ذلك حمله على العيش فى ظل الفقر والعفاف مترفعا عن زخرف الدنيا متعاليا عن الوصولية مع السمو عن الدنايا •

وقد عرف بشعره الوطني الصادق الذى اندفع اليه بايمانه الخالص ، وليس بطلب طالب ولا بغرض أو هوى ، قد أخلص نفسه للحق فلم تكن له اطماع ٠

ولد عام ١٨٧١ ، لم يذهب الى الازهر وانما تعلم في بيته ونال شهادة الامتياز بين الشعراء عام ١٩١٠ ، أتصل بجيل مصطفى كامل وألهم حماسته ووطنيته ، ودعى لتولى وظيفة التحرير في الصحف فأبى أن يضع قلمه تحت مشيئة أى نفوذ أو حزب أو هيئة أو عظيم مهما كان مذهبه السياسى ومستواه الادبى ٠ وقد شهد عدد من الشعراء والنقاد بأنشعره يتميز عن شعر حافظ ابراهيم بالرنين العذب ، وعن شعر غيره بالاتجاه الوطني النقي الخالص ، والبعد عن الملق والعزوف عن أهواء المجتمع ، وقد حال اصراره علىهذا الموقف بينه وبين القعاد المركز المرموق حيث كانت مراكز الشهرة مرتبطة بالولاء الحزبى والسير في ركب الزعمـــاء والأمراء ٠

كذلك فقد تأثر بمذهبه الشعرى : أحمد رامىوعلى محمد طه وعزيزأباظة

أصدر ديوانه الاول عام ١٩٠٨ وأهداه الى النيل بعبارة حاسمة ٠٠ قال : « انصرفت بشعرى عن تلك المواقف ـ مواقف النفاق ـ وبرئت الى نفسى أن آخذ بهذه الاسباب على ما أعلم من وعورة مسلكى وضيق مضطربى وما كنت في ذلك الا جاريا على سنتي في سياسة نفسى وتصريف ما آتى وأدع من أمور الحياة ، فما استظهرت بغير أخ حفى أو صديق صفى ، ولا آثرت أن أهدى ديواني الى غير النيل » ٠

وهو يصور موقفه من جيله وأهل عصره فيقول :

فعلت ولى نفس الأديب المصـــفى ... وضعت ولى يدى الـــكنز الثمين
فلست ابى ونفس ان مثـــلى ... لفال من التوابع لا يهـــون
كريم تنفـــع الاخـــلاق عنـــه ... ويسنـــع ركنه الادب الحصـــين
لربى ما عملت وعقـــد قومى ... ديوني حين تلتمس الـــديون
اشـــد على الفنون يدى وانى ... لفى زمن جهـــالته فنـــون !
وجـــودى ما عرفتك غير معنى ... تغلغـــل في الخفـــاء فما يبين
غريق في الظـــلام ولا مناص ... ولا جســـر يلاذ به امـــين
اقيم عليـــه ســـور من عباب ... تفـــل على جوانبـــه السفين
اظل ويقرب التيـــار وجهى ... فاين انا : احر ام ســـجين ؟!

وقد كتب عن نفسه يقول : انه دعى لتولى وظيفة التحرير في كثير من الصحف المصرية فأبى أن يضع قلمه تحت مشيئة أى صحفى ، مهما كان مذهبه السياسى ومستواه الأدبى ، وأنه عاش حرا طليقا لا سلطان لأحد على قلمه ويعيش من مؤلفاته ولم يملك الا بيته المتواضع في دمنهور ، وقد عمل في آخر حياته مشرفا على مكتبة بلدية دمنهور ٠

وقد رد الى أهله واعترف لأهل الفضل بالفضل فقد شهدت دمنهـور عام ١٩٦٢ أى بعد وفاة أحمد محرم ببضعة عشر عاما مهرجانا حافلا احتشد فيه أعـــلام الادب في ذلك المكان الذى عاش فيه الرجل الكريم ليقولوا كلمة صادقة عن مجاهد

عزف عن المطامع والأهواء وقد كشف عبد المعطى المسيرى فى حديث شائق له عن اباء الرجل الذى جرت المحاولات لاحتوائه من الخديو عباس حلمى والسلطان حسين والملك فؤاد وقيل له ان نظم بضع أبيات فى مدح الملك فؤاد يمكن ان تكون جواز مرور لعمل يوكل اليه فى المجمع اللغوى فرفض قائلا : لا وبالثلاث ! .. وعرض عليه الملك عبدالله ملك شرق الاردن زيارة الاردن ضيفا فى نظير عطاء كبير فرفض • وأشار الى أن محاولات جرت عن طريق الدكتور محمد حسين هيكل لطبع الالياذة وتكريم الشاعر لولا أن محرم كشف عن شعره فى طغيــان الملوك وأصحاب النفوذ •

وكان أحمد محرم قد دعا فى أوائل القرن الى ترقية الشعر والسمو به عن عوامل الرداءة والسقوط : فقال : لا مرية فى أن أكثر الشعر العصرى قد بلغ من الرداءة والانحطاط مبلغا يوجب الأسف والبرح ويقضى بالحزن الشديد ، وكأين من قصيدة أعجب بها قائلها وطرب لها راويها ومنشدها لو انك انشدتها عنــد حدث أحد شعراء العرب الاول لسمعت لفظا من الرميمة صلصلــة ولرأيت بطرة زلزلة ، والقسم لو وقفت على رمس الحطيئة تنشده بعض ما ترى من الشــعر العصرى لاشمأز ونفر • ولعمرى انه لمن أكبر المعائب أن يبقى الشعر العصرى هكذا رديئا ساقطا عن امكان جودته وســهولة ترقيته ولا يحتــاج ذلك الى غير البحث والنقد والتقريع والتشجيع • فان من الحق كل الحق ان يؤخذ على المخطىء خطؤه فلا نلاقى تعســـفه فى مسلك الشكر بالمدح والثناء والتقريظ والاعجاب لانه قال شعرا •

(مجلة انيس الجليس ــ ٣١ من يناير ١٩٠٠)

حياته •• مقدمة للالياذة

وقد كانت حياة أحمد محرم كلها مقدمة للالياذة الاسلامية بل هى مدخل واسع اليها ، فقد كان حفيا طوال حياته بالمشاعر الاسلامية والمناسبات الدينية ، التى تتعلق بالهجرة ومولد الرسول وكان مهتما بالدعوة الى الرابطة الاسلاميـــة والوحدة الجامعة ، وديوانه حافل بقصائد متعددة ينافس اللون الوطنى ويتغلب عليه • وكان من مؤهلاته لهذا العمل الكبير أيضا قوة الديباجة واشراق العبارة ، وجزالة اللفظ وتدفق نظمه ، فى حرارة عاطفة وصدق ايمان • لذلك فانه ما كاد يستمع الى هذا الاقتراح من السيد محب الدين الخطيب صاحب الفتح حتى وجد نفسه فيه ، واستجاب له فى قوة كانما كان متطلعا الى عمل أدبى كبير يفــرغ فيه طاقته العريضة ومشاعره الثرة ومن هنا فقد نظم خمسة آلاف بيت من الشعر الرائع صور فيها مراحل التاريخ الاسلامى ومواقفه المختلفة •

قال السيد محب الدين الخطيب فى خطابه الى أحمد محرم :

« كنت هممت غير مرة ان اكتب اليكم اقترح عليكم مشروعا كنا نحاول اقنــاع « شوقى » به رحمه الله به ولكن خشيت ان يصرفكم ذلك عن معانى الجهـــاد الاخرى وهذا المشروع هو ارسال نظركم الكريم بين حين وآخر الى مفــاخر التاريخ الاسلامى الخلقية والعمرانية والسياسية والاصلاحية والحربية ، وتنظم

كل مفخرة منها في قطعة خالدة تنقش في افئدة الشباب فاذا ذخر ابنا بكثير من هذه القطع على اختلاف اوزانها وقوافيها امكن بعد ذلك ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع وتأليف الياذة اسلامية من مجموعها • أليس من العار أن يكون للفرس ديوان مفاخر (الشاهنامة) وأن يكون لليونان ديوان مفاخر (كالالياذة) والاسلام الذي لم تفتح الانسانية عينها على أعلى منه مرتبة وأعظم منه محامد يجتهد مؤرخوه في تشويه صفحاته والحط من قدر رجاله • لان الذين دونوا تاريخ الاسلام كانوا أحد رجلين : رجل جاء بعد سقوط دولة فتقرب الى رجال الدولة الجديدة بتسويء محاسن القديمة ، ورجل اتخذ من الشموس الاربعة : ابي بكر وعمر وعثمان وعلي مثلا أعلى ، فكل قمر من اقمار العرب مذموم عنده موصوف بالضآلة والنقص لانه لا يراه الا على نور تلك الشموس التي هي فوق الانسانية ولا تقاس مواهب البشر بمواهبهم • اني اخاف أن يقوض المسلمون صرح فضائلهم وأن يهدموا قلاعا هي دواعي الفخر ، بينما ابناؤنا يتعلمون من الاوربيين وصنائعهم تمجيد رجال لو كشف الغطاء عن تاريخهم الحقيقي لشممنا نتنه ، من من شبابنا يعرف مسلمة بن عبد الملك كانه معاصر له ، ويعرف قتيبة بن مسلم كانه مجاهد في جيشه •

ان الذي قصر فيه المؤرخون لا يستطيع أن يدركه الا الشعراء • وأكثر شعرائنا مشغولة بجسد المرأة ومصروفة عقولهم عن الخير ، وهم يسرقون من دواوين شعراء الانجليز فليس عندهم وقت لمراجعة دواوين العرب والاسلام • وقراءة ما بين سطوره •

اكثرت عليكم وقد يكون أن اختصه الله بهذا الفضل فالهمني أن اشغل هذه الصفحات وهذه الدقائق بالافاضة اليه » ••

هذا موجز ما جاء في ذلك الخطاب الذي وجه احمد محرم لهذا العمل الضخم الذي اتمه الرجل في أربع مجلدات تناولت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي اتمه الرجل في اربعة مجلداتتنا ولت حياة الرسول صلى الله عليهوسلم وأشهر غزواته وعرضت لجوانب من بطولات أصحابه وتضحياتهم والوفود التي سعت اليه وغير ذلك • وقد بقي الديوان مخطوطا حتى نشره الدكتور محمد


احمد رامي


علي محمود طه

ابراهيم الجيوشي عام ١٩٦١ بعد أن تقدم برسالته عنه الى معهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية وقد أطلق عليه أحمد محرم « ديوان مجد الاسلام أو الالياذة الاسلامية » .

وقد أمضى أحمد محرم حوالى خمسة عشر عاما من حياته عاكفا على هذا العمل .

روعة الاستهلال

وقد استهل أحمد محرم الياذته بهذه الابيات :

املا الأرض يا محمــــــد نورا ... واغمر النـــــاس حكمة والدهورا
حجبتـــك الغيوب ســـرا تجلى ... يكشف الحجب كلهـــا والستورا
عب سـيل الفســاد في كل واد ... فتدفق عليه حتى يغـــورا
جئت ترمي عبـــابه بعبـــاب ... راح يطـــوى ســـيوله والبحورا
ينقذ العـــالم الغريق ويحمي ... امم الارض أن تذوق البثــورا
زاخرا يشـــمل البسيطة مدا ... ويعم الســـبع الطباق هـــديرا
أنكـــر النـــاس ربهم وتولوا ... يحسبون الحيـــاة افكا وزورا

نشرها فى الفتح (ربيع الثاني ١٣٥٤) الموافق ١٩٣٥ ميلادية

وكتب السيد محب الدين الخطيب يقول ان أحمد محرم لبى دعوة الاسلام الى تدوين امجاده بما وهبه الله من بلاغة تذوقها باساليب القرآن وجلاها بمعجز البيان .

الالياذة الاسلامية والالياذة اليونانية

لا ريب أن فكرة الالياذة قد ظهرت فى العصر الحديث تحت تأثير ما سرحته الآداب العالمية الغربية من حديث عن الملاحم وخاصة الالياذة اليونانية التى ترجمها سليمان البستاني الى اللغة العربية والتى ظهرت عام ١٩٠٣ وطبعت ١٩٠٤ فى مطبعة الهلال تحت عنوان :

(الياذة هوميروس : معربة نظما وعليها شرح تاريخى أدبى)

والمعروف أن المسلمين ابان عصر الترجمة في القرن الثالث الهجرى قد عزفوا عن ترجمة الشعر اليوناني وعن ترجمة الالياذة وغيرها ـ كما عزفوا عن ترجمة القوانين الرومانية ، وذلك ايمانا منهم بأن الشعر فن يتصل بنفســية الأمة ومشاعرها وهو نابع من خصائصها ، ومن هنا فلا حاجة للعرب الى ترجمة شعر غيرهم لأنه لا يمثل ذاتيتهم ولا مطامحهم ، فضلا عما يكشف من جوانب تختلف اختلافا واضحا عن الآداب الاسلامية والأخلاق التى بثها الدين فى العــرب والشرقيين على وجه العموم .

ومن الحق أن يقال ان العمل الذى قام به أحمد محرم جدير بالتنويه والاهتمام ولكن مع الأسف لم يعرف أهل جيله قدره ، فظل مطويا حتى بعث بعد موته ببضع عشرة سنة واكتشف مدى ما في هذا العمل من أصالة وقوة .

وقد تناول أحمد محرم (حياة الرسول ومغازيه) في ١٤٦ قصيدة جمعها فى


عزيز اباظة

ديوانه (٤ اجزاء) ولو طال به العمر لأرغل فى سيرة الخلفاء الراشدين وفتوح الاسلام ·

وقد قسم هذه القصائد الى مجموعات على النحو التالى :

اولا : ابطال وشخصيات : وتناول فيها الرسول صلى الله عليه وسـلم فى القصيدة الثانية والعشرين من الجزء الاول والتى استهلها بقوله :

هذا امام الدين فى اعـــلامه   والدين معتصم ببأس امامه

كما تناول كثيرا من الابطال من بينهم حمزة ، سراقة بن مالك ، مصعب بن عمير ، ابو ذر ، ضمام بن ثعلبة ، عدى بن حاتم ، عبادة بن بشر ، نعيم بن مسعود ، سعد بن معاذ ، سعد بن عبادة ، ابو بصير واصحابه ، كل منهم بقصيدة كاملة ·

ثانيا : الوفود : وقد تناول الوفود التى جاءت مسلمة مبايعة للرسول وفدا وفدا كل وفد بقصيدة كاملة ·

ثالثا : زوجات النبى : وقد تناول كلا منهن رضوان الله عليهن بقصـــائد مستقلة ، عائشة ، صفية ، ميمونة ·· الخ كما تناول السيدة ام كلثوم ابنة النبى رضى الله عنها ·

رابعا : تناول الغزوات ، كل غزوة بقصيدة كاملة وافرد قصيدة مطولة لفتح مكة وسماه : الفتح الاعظم ·

خامسا : تناول السرايا بقصائد متعددة ·

سادسا : تناول مواقف متعددة هامة كلا منها بقصيدة خاصة : كتب النبى الى الملوك ، رجوع المهاجرين من الحبشة ، الشاة المسموما ، اسلام خالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، وعمرو بن العاص ·

ما حديث (لأم معبد) تستسقيه   لظماى النفـــوس عــذبا نميرا
سائل الشـــاة كيف درت وكانت   كزة الضرع لا ترجى الـــدرورا
بركات الســمح المؤمل يقرى   امم الارض زائرا او مـــزورا
مظهر الحق للنبـــوة سبحانك   ربا فرد الجـــلال قـــديرا
يا حياة النفوس جئت قبـــاء   جبلة الروح تبعث المقبـــورا
ارفع المسجد المبارك واصـــنع   للبـــرايا صنيعك المبـــرورا



ملامح وبطولات

على بساط الريح ... وعبقر

في سنة ١٩٣٠ ظهرت في عالم الشعر العربي قصيدة مطولة للشاعر المهجري فوزي المعلوف لفتت اليها الانظار في العالم كله لانها كانت شيئا جديدا في الشعر العربي طال انتظار الناس له بعد ان ظل شعراؤنا زمانا طويلا يجرون على النهج القديم في الشعر لا يخرجون عنه ، ولا يتعدونه الى غيره ...

هذه المطولة الشعرية بعنوان « على بساط الريح » اخذ النقاد يستقبلونها بما لم تستقبل به قصيدة عربية من قبل . حتى قال فيها الشاعر الاسباني الكبير (فرنتشيسكو فيلا سباسا) الذي كان دائم التغني بامجاد العرب : « ان كل انشودة من اناشيدها الاربع عشرة لها في لفظها ومعناها قيمة كبيرة ، وتعمها جميعا وحدة شعرية عجيبة . يتفق فيها سمو الخيال ، ورقة الشعور ، وطهارة القلب ، فتتلاحم تلاحما مكتفيا في نفحة من نفحات الجمال الخالد . وتوازن القوى المبدعة هذا بارز في الشكل الظاهر ايضا ، حيث الكلمات والاوزان والقوافي تكون له الموضوع الباطن تكوينا حيا كاملا ...)

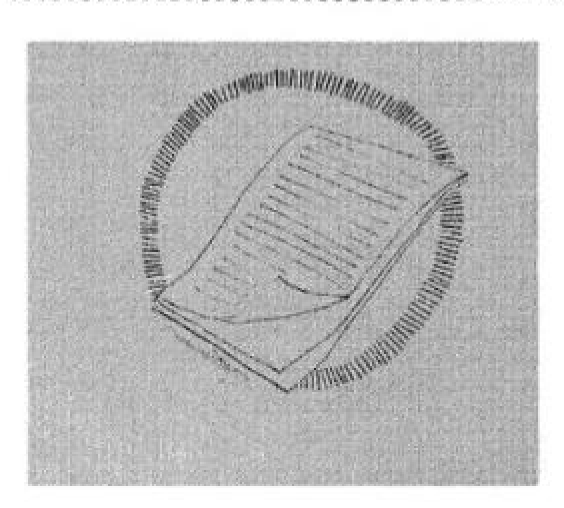
ولم يكتف « فيلا سباسا » بتلك الاسطر السابقة في تقييم مطولة (على بساط الريح) وتقديرها ، بل لخص فيها رأيه مرة اخرى بقوله : (وهكذا تفتتح القصيدة باندماج الشاعرية بعنصرها الطبيعي . فيالها انشودة أبين ما فيها خصب التصور ، وتوثب النزعات الطاهرة ، فوق ما ينبض في اوزانها ، ويتوهج في معانيها وصورها من حبالة ونور يمدها بهما روح الشرق النير ...)

أما ما نقله صديقنا الباحث الاديب عيسى الناعوري في كتابه (ادب المهجر) من وصف لمجموعة قصائد عميقة المغزى ، مرتبطة بفكرة واحدة ، وشعور واحد فهو ليس خاصا بمطولة

ـ أو ملحمة ـ على بساط الريح ، ولكنه خاص بديوان (شعلة العذاب) وهو أحد الدواوين الاربعة التي تركها فوزي المعلوف ، وهي : (تأوهات الروح) و (من قلب السماء) و(أغاني الاندلس) و (شعلة العذاب) وليس لهذه الدواوين شأن بملحمة (على بساط الريح) ...

ويسوقنا ذكر لفظة (المطولة) و (الملحمة) الى الحديث عن (على بساط الريح) ومكانها من شعر الملاحم . وقد تحدث عنها بعض النقاد على أنها (ملحمة). على اننا نعرف ان (الملحمة) هي المطولة الشعرية التي تصف لنا أعمالا من البطولة الخارقة او النادرة تتجلى في سيرة شخص ، او اشخاص . أو في تاريخ امة ، كالالياذة والاوديسة في الادب القديم . والقصائد البطولية ليس لها وجود في الشعر العربي القديم ، أما في الشعر الحديث ، فهناك محاولات أولية لقصص البطولة في شعر ، الا انها ليست قمة انتهى اليها شعر الملاحم في الادب العربي ، ولكنها بدايات على أول الطريق ... ومن امثلتها . (الالياذة الاسلامية) لاحمد محرم ، والقصيدة العمرية ، لحافظ ابراهيم ، والعلوية للشاعر البدوي استاذنا المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب ، والقصيدة البكرية للشاعر عبد الحليم المصري ، والخالدية ومحمد للشاعر عمر أبي ريشة، وملحمة العرب للشاعر اللبناني حليم دموس ، وملحمة (عيد الغدير) للشاعر اللبناني بولس سلامة التي تقع في اكثر من ٣٥٠٠ بيت من البحر الخفيف ، وتدور حول بطولات أهل البيت العلوي واستشهادهم في سبيل المبدأ او العقيدة . وهي تجري على الحقيقة لا على الخيال كما نجده في ملاحم الغربيين قدماء ومحدثين ..

ومن هذا المنطلق في تصور العرب المحدثين للملحمة، عدل بعض الباحثين عن تسمية (على بساط الريح) بالملحمة ، وأسموها « المطولة الشعرية ». كما اسماها باحث اخر ـ هو الاستاذ انيس المقدسي ـ «بالرحلة الخيالية » ، وهو تمييز لها من الرحلات الحقيقية الجغرافية التي قام بها كاشفون ورحالة عرب ، من امثال



على بساط الريح ... وعبقر

ابن بطوطة ، وابن حوقل ، وابن جبير وغيرهم .

وهذه الرحلات التي تتجز بالخيال ليست مستحدثة في الأدب العربي فهي قديمة معروفة في النثر لا في الشعر ، ومنها قصة المعراج ، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، وقد ظهر منها في الشعر الحديث بضعة من الكتب منها : (ثورة في الجحيم) لجميل صدقي الزهاوي ، و (الحلم المريع) و (الكوميديا) للشاعر محمد الفراتي ، و (شاطيء الأعراف) للشاعر محمد الهمشري ، و (ترجمة شيطان) لعباس محمود العقاد

وقد ارتفع الشاعر فوزي المعلوف بروحه في عالم الأفلاك والسموات ، وحلق بروحه في الفضاء الرحيب بين الأرواح العلوية الخالدة بعيدا عما في الارض من شرور وأحقاد . والارض في نظر الشاعر المعلق هي منبت الاطماع والشهوات ، والحزازات ، والصغائر ، والدنايا التي ولدها في الانسان عوامل من الجهل ، والعلم والطمع ، والغرور ، والذكاء ، والبلادة ... والانسان في الارض ليس حرا ، ولاسيدا ، بل هو عبد مقيد ، أسير لاغلال كثيرة تربطه وتصفده بسلاسلها القوية ، فهو عبد للحياة والموت ، عبد للتمدن والمال ، عبد لحبه الذي يكوي اضلعه بنار سعيره ... عبد لكل شيء في الحياة ، الا « الروح » التي طارت في الجو فوق مسار النجوم ، وسطار النسور ، تقصد عالم الخلود لتعيش فيه حية مع الارواح الخالدة المتحررة من الأصفاد :

انا عبد الحياة والموت أمضي
مكرها من مهودها لقبوره
عبد ما ضمت الشرائع من جو
ر يخط القوى كل سطوره
بيراع دم الضعيف له حبر
ونوح المظلوم صوت صريره
انا عبد القضاء تملأ نفسي
رهبة من بشيره ونذيره
عبد عصر من التمدن تلهو
ضلة عن لبابه بقشوره
عبد مالي ....احظى به بعد جهد
فاذا بي أنوء من ثقل نيره
عبداسمي.. لويت روحي وجسمي
ضمعا في خلوده ونشوره
عبد حبي .. انزلته في فؤادي
فكوى اضلعي بنار سعيره
انا في قبضة العبودية العميا
ء اعمى مسير بغروره
ان جسمي عبد لعقلي ، وعقلي
عبد قلبي ، والقلب عبد شعوره.

وهكذا نرى الانسان غارقا في العبودية الى أخمص قدميه ... وكل شيء في الارض – بل في الكون – أعمى ، وينقاد لأعمى آخر مثله . وما ظنك بقوم يغلفهم العمى ويلفهم من كل سبيل ، فهم لا يخلصون من عبودية عمياء الا الى عبودية أخرى عمياء مثلها ، كأنهم في حلقة مفرغة لا أول لها ولا آخر : –

وشعوري عبد لحسي ، وحسي
هو عبد الجمال يحيا بنوره
كل ما بي في الكون أعمى ومنقا
د على رغمه لأعمى نظيره
غير روحي..فالشعر فك جناحيها
فطارت في الجو فوق نسوره
تنتحي عالم الخلود ، لتحيا
حرة بين روضه ، وغديره

والشاعر الانسان فى ملحمة (على بساط الريح) وهو ابن للارض باللحم والعظم ... بالمادة التى تلصقه بالطين والتراب وما اشبههما من ثقيل العناصر · وقد جاء الى الارض مرغما لا راضيا ولا مختارا · ولا تزال (روحه) تحن الى العالم العلوى ، فهو من الارض ولكنه ليس منها ، لانه لا يزال غريبا بين ابناء امه :

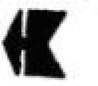
ملك طائــــر بغير جناحين
بامر الخيــال يقضى ، وياسمه
يا جنــاح الخيال القوى جناح
انت يلوى ظهر الريـاح لصنعه
ليت شعرى ·· ما الشاعر ابن
لهذى الارض · الا بلحمه وعظمه
فلاذا اختـار هجرها برضاه
اما جاءهـا مقودا برغمه ؟
هو منها ، وليس منها ، فماذا
ل غريبا ما بين ابناء امه ...

وفى النشيد الثانى من ملحمة بساط الريح يحدثنا فوزى المعلوف عن روح الشاعر مخاطبا اياها بقوله :

انت يا روحهم من النــور نورا
ه اضاءت فى الكــون فى عالميه
تصل الارض والسمـاء بنهر
غمر الحســن والهوى شفتيه
لست من عالم التراب وان كنت
تقمصــت بالتراب عليـــه
انت من عالـــم بعيد عن الار
ض يفيض الجـــلال عن جانبيه

والحق أن الاناشيد الثلاثة الاولى لم تكن الا تمهيدا لرحلة الشاعر الى السماء وصعوده الى الاجواء العالية الخالدة ، اما فى النشيد الرابع وعنوانــه : (حلم نحقيقة) فقد بدأ الشاعر يصف رحلته على متن طائرة، وقد جنح فيها الى الخيال كذلك، ولكنه وصف الطائرة الحديثة وصفا جميلا دقيقا بارعا · والحق أن وصف فوزى المعلوف للطيارة لم يكن وليد خيال محلق ، ولكنه امتطى بالفعل فى سنة ١٩٢٦ متن طائــرة كانت محلقة فوق شواطىء « ريو دى جانيرو » عاصمة البرازيل يومئــذ · وقد امدته هذه الرحلة بالخيال ليصعد به الى اعلى الاعالى ، وتفتحت له كما يقول اخوه الشاعر شفيق المعلوف (تصـورات جديدة ، وتخيل له ما تقوله الطيور ، وتهمس به النجــوم ، فنوع قوافى القصيدة ، واندفع يعالج الموضـوع الجديد الطارىء ، الذى جاء واسطة عقد الملحمة وجوهرة تاجها· ··) ·
وفى صفة الطائرة يقول فوزى :

صعد الطـرف فى الاثير تجدنى
قاطعـا فى الاثير ميلا ، فميلا
خببــا تارة ، وطـورا وئيـدا
صعدا مــرة ، واخرى نزولا
فوق طيـارة على صهوات الر
يح راحت تروض المستحيلا
هى طير من الجمـاد كان الـ
ـجن فى صدرهـا تحث خيولا
صحصحت تضرب الريـاح بتطيـ
ـبها ، فشقت الى السماء سبيلا
ثم مدت الى النجـوم جناحين
وجرت على السحاب ذيولا
غرقت فى الاصيل حينا وعامت
بعد حين تعلـــو قليلا قليلا
ترتــدى من دخانها بردة الليـ
ـل وتلقى عن منكبيها الاصيلا
وعليها من القرار نجـــوم
عقدت حول راسـها اكليـلا
حلقى ! حلقى ! والقى على الافلا
ك رعبا ، وروعة ، وذهــولا
واشـهدى فى الطيور كرا ، وفرا
واسمعى فى النجوم قالا ، وقيلا



وهذا الرعب ، والروعة ، والفضول الذى القته الطائرة علىالطيور والنجوم لم يتركه شاعر الطيارة فوزى المعلوف يمر دون وصف لمشهده ، فجعل منه موضوع النشيد الخامس الذى تتساءل فيه النسور عن هذا الطائر بصورة الشيطان ، وتوجسن خيفة منه وحسبنه ادميا جاء من عالم الارض يستعمر الاثير كله ، حيث ضاقت الارض برحبها عن مطامعه ·· ولكن الشاعر يطمئن النسور المتحلقة حوله لافتراسه، ويبلغها انه جاء السماء منشدا للراحة والهدوء ، لا غازيا ولا مستعمرا :

لا تخافى يا طير ما انا الا
شاعر تطرب الطيور لشعره
زاره اليوم متعبا ينشد الرا
حة فى هدأة السكون وسحره
فر عن ارضه فراره عنها
من اذى اهله وتنكيل دهره

وما أصدق وأرق شاعر الطيارة وهو يصف فى النشيد السادس نفسه، وقد غمرته الاحلام بالشفق الوردى ، وعللته الامانى الخادعة ، وقد احالة الهم الى شيخ ناحل على الرغم من شبابه ، وجعلت من وجهه مكانا لظل عابس لا يعرف التبسم الا حين يستعيد حلما جميلا · وهو فى هذا الوصف الرقيق المؤثر يصف (الشاعر) فى شقائه وعذابه وشرود فكره وهيامه بالملا الأعلى :

هو فى ميعة الشباب ولو حدقت
فيه ابصرت شيخا هزيلا

●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○



يقوام كان قاصمة الظهـ
ـر اناخت عليه حملا ثقيلا
وبجبين القت عليه شجون النفـ
ـس ظلا من العبوس ظليلا
فهو لا يعرف التبسم الا
عند ما يستعيد حلما جميلا

اما نجوم السماء التى ذعرت لمرأى الشاعر المحلق فقد تساءلت عن هذا القادم واغراضه : ـ

اهو نجم مذنب ام دخيل
فى النجوم ، وما يريد

فتجيب نجمة اختها قائلة : وقاك البعد يا اختاه شر انطلاق جناح هذا الانسان :

هو تحت السديم اعجز عن ان
يبلغ النجم فوق متن رياحه
هو مخلوق عالم اسمه الار
ض يغطى الشقاء كل بطاحه
عالم ما شعاره غير ان الـ
حق للقوة التى فى سلاحه
لاتخافى منه ··· وخليه يعلو
فقريبا يهوى صريع كفاحه

وكان هذه النجمة الحكيمة عارفة بمصير الانسان ، وحتمية نهايته التى تجعله يهوى صريع كفاحه ، وقتيل مطامعه ··· ولكن الشاعر الرقيق يؤكد للنجمة انه شاعر ينصت الدجى لنواحه ، وانه يديم البكاء والشكوى بين الاقاحى ، وانه يجعل من نور النجوم السيال بلسما لجراحه ·

ويظل الشاعر فى النشيد الثامن يشكو الى النجوم الامه ، وحطامه ، وكآمه التى حولتها الايام الى حنظل مرير ··· وكانه يشكو الام الانسان والام البشرية المعذبة التى هو انقى نماذجها ، واطهر امثلتها · فاذا



بلغنا النشيد التاسع رأينا الأرواح أو الأشباح تطوقه ، وقد سرى بينهن همس اذ تتمسن من خفوق جناحيه في السديم ريح انس وقالت روح لأخرى في النشيد العاشر : أيتها الأرواح ! احذرن هذا الانسان ، واطردوه من رحاب السماء ، فهو في الارض حفنة من تراب ، لان اباه طين وماء ! وأبدت الروح رأيها في الانسان قائلة لاترابها :

ليته عاد للثرى مثلما جا
ء نقيا بنفسه واهابه
جاء والحسن والرواء رفيقا
ه وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الاثم والدا
ء الى القبر في ربيع شبابه
هو يحيا للشر فالشر يحبا
ابدا حيث حل شؤم ركابه ...

وفي ملحمة (على بساط الريح) يبدو الانسان في أخبث مظاهره ، وأبشع مظاهره . وهذا « التحقير » للانسان يبدو في كل نشيد من اناشيد هذه الرحلة الخيالية . فاذا ما رأينا شرور الانسان فيما سبق التحدث عنه من اناشيد الملحمة ، فلا يفتأ الانسان حتى نصل الى النشيد الحادي عشر مثلا للأذى المتولد عن العقل ، ورمزا للشر الذي هو حصيدة اللسان ، وتجسيدا للويل الذي هو ثمرة الذكاء في الانسان . فكأن هذه الالات التي كان يرجى منها الخير للانسان قد كانت سبب الشرور فيه :ـ

انا عن وصف شره عاجز والله
ـه مهما الفضت في تبيانه
مادعوه الانسان من انسه لكن
دعوه الانسان من نسيانه
نسي الخير حين اوغل في الشر
فداس الضمير في عصيانه
ملأت قلبه الأفاعي فلا يسمع
غير الفحيح في خفقانه
أعطي النطق والحجة ميزة تف
ـرقة في الوجود عن حيوانه
فاذا بالاذى وليد حجاه
واذا بالشرور بنت لسانه
ليته لم يكن ذكيا ، فكل الو
يل في الكون من نهى انسانه

وتكشف لنا (على بساط الريح) عن نزعة التشاؤم عند الشاعر فوزي المعلوف ، فهو ينظر الى الانسان والكون نظرة سوداء ، وبهذا ينضم الى ركب المتشائمين في الادب العربي الحديث ، من امثال الزهاوي ، وابي القاسم الشابي ، ورولى الدين يكن ، وأحمد الصافي النجفي ، وصالح الشرنوبي وغيرهم ، ولا ندرى علة لتشاؤم فوزي المعلوف على الرغم مما كان فيه من ثراء وجدة ... ولكن لا شأن للثراء بهذه النزعة التي يخلقها الفكر المحلق الدائم التفكير في



الام غيره ، لا الام نفسه • وبهذا كان التشاؤم عند شاعر الطيارة احساسا غيريا بالالم عند الاخرين •

•••

ولقد لقيت (على بساط الريح) تقديرا خاصا عند العرب وغير العرب فاستقبلها الدارسون بالنقد والتحليل والتعليق والتعقيب • ولسنا هنا بمعرض من تناولوها من امثال يعقوب العودات المعروف بالبدوى الملثم ، وعيسى الناعورى ، وانيس المقدسى ، وفيلا سباسا وغيرهم • ولكنا نشير اشارة سريعة الى من قاموا بترجمتها من العربية . فلقد ترجمها « فرنسيسكو فيلا سباسا » كبير شعراء الاسبان اليوم وصديق فوزى الى الاسبانية . وترجمها « فتور لى سوبرينو » كبير شعراء البرتغال الى البرتغالية ، وترجمها الانجليزى « جورج كفت » الى الانجليزية ، وترجمها المستشرق « كمبفماير » الى الالمانية ، وترجمها المستشرق الروسى كراتشكوفسكى الى الروسية ، وتولى الاستاذ اميل مرقده الدمشقى الاصل ونزيل بخارست ترجمتها الى الرومانية • اما الفرنسية فقد اتسعت لترجمتها على يد جماعة منهم الاستاذ أسعد محفل ، والدكتور فائز عون ، والسيدة ايفلين بستروس اللبنانية الاصل ، والاستاذ فوزى سعيد

ولقد طبعت ملحمة (على بساط الريح) اكثر من مرة ، ولكن اتق طبعاتها تلك التى صدرت عن دارى صادر وبيروت سنة ١٩٥٨ فى اخراج جميل ، وثوب انيق ، وتقاسم الرسامان المصوران : « ايلى ايجنا توفتش » الروسى ، « وسميت » البرازيلى رسوم القصائد ورموز العناوين بروح فنية عالية تتلاءم وروعة القصيدة ، فكانت تلك الطبعة ملتقى رفيعا بين فن الشعر وفن الرسم والتصوير • وقد زين ذلك كله تلك المقدمة الرائعة التى كتبها « فيلا سباسا »، وكأنه قصد منها ان تكون نشيدا خامس عشر فى امجاد العرب ، بعد الاناشيد الاربعة عشرة للملحمة ••

•••

ولم تكتف اسرة المعلوف ـ بل لم يكتف ابناء العلامة الراحل عيسى اسكندر المعلوف ـ بهذه الرائعةيهدونها الى الشعر العربى المعاصر لتبقى خالدة على مر العصور ••• فجاء الشاعر شفيق المعلوف ـ شقيق فوزى ـ اطال الله عمره ، فصنع ملحمة اسماها « عبقر »، اصابها من النجاح والتقدير ما اصاب (على بساط الريح)• وقد طبعت (عبقر) اربع طبعات ـ لا طبعتين كما جاء وهما فى بعض المصادر المعاصرة عن (ادب المهجر) وهذه الطبعة الرابعة التى تفضل صديقى الشاعر شفيق باهدائها الى من البرازيل منذ بضعة اعوام ـ جاءت فى ٣٤٣ صفحة من القطع الكبير ، منها مقدمة تحليلية تاريخية عن الاساطير عند العرب جاءت فى ١٣٥ صفحة •

ولقد اخبرنى اخى شفيق ـ حين لقيته فى سان باولو سنة ١٩٧٥ ـ انه تعب فى تتبع مراجعها ومصادرها التى بلغت اثنين وعشرين مرجعا فى العربية وستة مراجع فى الفرنسية والاسبانية

والبرتغالية . أما نص الملحمة ذاتها فقد استغرق من صفحة ١٤٠ الى صفحة ٣٢١ ، وبقية الكتاب في فهرس للاعلام وفهرس عام للموضوعات .

وتقع ملحمة « عبقر » في اثنى عشر نشيدا ، يبدأ أولها بنشيد (في طريق عبقر) – وعبقر هو موضع أو واد مجهول تزعم العرب انه أرض الجن ، وينتسب اليه كل فائق جليل ، فيقال : شيء عبقري ، ورجل عبقري – ويقول أبيات النشيد الاول :

صاح : هي اليقظة نبت على
جفني فاستلألأت الوطفا
وعالجت بالنور بابيهما
حتى استطابت فيهما ملجأ
تقول : يا شاعر خل الكرى
ان الضحى يكاد أو مأ
فحولك اللذات موفورة
لانك في التهابها مبطئا
من يهزأ الدهر به ، فليكن
بدهره القاشم مستهزئا
يا يقظة تنفض عن مقلتي
أغفاءة طارت ، وحلما نأى
ان الضحى صعد القاسه
على مراجي فغدا مطفأ
ومن تكن حالته حالتي
لم يستعض بالاسوأ الاسوأ
ما الفرق في نومي وفي يقظتي
وكل ما في يقظتي رؤى ... ؟

وفي القصيدة الثانية من النشيد الاول يظهر للشاعر شيطان شعره سافرا تظله غمامة ، وكأنه لما ظهر خفية تلفه ساحر من الثرى . ومنظر الشيطان مروع مفزع ... ففي فمه جذوة من سقر يطير منها الشرر ، ووجهه جمجمة تبدو منها الانياب والمحجر الفاغر ، وكان هذا المحجر كوة يطل منها ما مضى من الزمان . وقد جاء الشيطان يعرض على شاعرنا خدماته :

في فمه من سقر جذوة
منها يطير الشرر الثائر
ووجهه جمجمة راعني
انيابها والمحجر الفاغر
كأنما محجرها كوة
يطل منها الزمن الغابر
الليل نحوي قائلا انني
طوع لما يقضي به الامر
اتيت والليل طوى ليله
نعم صباحا أيها الشاعر !

ويدعو الشيطان شاعرنا لجولة في رحاب « عبقر » أرض الجنة والشياطين ... فيركب شاعرنا ظهره ويمضيان الى « البلد المرصود » ، فيعجبه ذلك الوضع :

حتى تهاوى بي الى موضع
ما راقني من قبله موضع
غمائم زرق على متنها
منازل جدرانها تسطع
للنور في ابراجها ضجة
بها يضيق الافق الاوسع
فقال : هذي عبقر ما ترى
وضجة الجن الذي تسمع
عزت على الانس فمن حولها
ابالس الابراج تستطلع
جهاتها الاربع مرصودة
تحرسها الزعازع الاربع
ما الفت الانس من زعزع
الا تلاقى صدره زعزع

ويبدع الشاعر في وصف الازام عبقر وعفاريته ومواكب جنه . وقد بلغ من ضالة أجسام الاقزام أن الواحد منهم لايمس الثرى برجله الصفرى الدلاة . ويسوق الشيطان شاعرنا الى وسط عبقر حيث « العرافة » العجوز الشمطاء التي طواها الكبر ، وهي :

تلف ثعبانا على وسطها
يكمن في نابيه كيد القدر

مجامر الصـــندل من حولها
تألب الجن عليهـــــا زمر
ينبعث الدخان من شـــعرها
ويلتقى في مقلتيهـــا الشرر
كأنما الله ـ لدى بعثهــا ـ
زودها بكل ما في سقـــر

ويبدو أن مرأى الشــاعر الانسى امام « العرافة » ومن حولهــا الجن ، قد افزع أهل هذا الوادى ، فانتفضت العرافة ، واجفل الجن من حولهــا ، وصوتت بصوت كانت الارض يقشعر اديمها من تحت الشاعر :

فانتفضت والجن من حولهـــا
اجفلن ، وارفضضن بين الشجر
ودمدمت ســخطا ، وقد هالها
أن يقلق الارواح مرأى البشـر
فيا لصـــوت خلت لما دوى
أن اديم الارض تحتى اقشعر ..

ولقد أثارت رؤية الانســان الوافد على أرض عبقــر غضب « العرافة » وسخطها لهذا الذى اجترأ على اقتحام أرضها ، ودخـــول مملكتها ، فقالت تخاطبه :

ويحك يا انســـــان
الق عصا ســـــحرك
ذعرت فينا الجـــــان
فعذن بالشـــــيطان
مــــــن شرك ...
وددت يا غـــــادر لو انني
أطلقت ثعبــــانى لا ينثني
عنـــك ابريبك .. ولكنني
اخشى على الثعبــــان
من غـــــدرك
في نابه السم كـــان
وصار في صــــدرك

وهكذا نرى أن (الانسان) عند شفيق معلوف في « عبقر » هو بعينه الانسان عند شقيقه فوزى في ملحمته (على بساط الريح) .. هو الانسان الغادر الماكر المملوء صدره بسموم الأحقـاد، وكأن الشاعرين الشـقيقين نظرا الى الانسان بعين واحدة وليس العسل .. عند شفيق معلوف ـ بالافعوان ، بل هو الانسان الذى رفضت الابالســـة والشياطين ان تستقبله في أرضها ...

وتمثل « العرافة » بالنيـــابة عن الشياطين اليأس من صــلاح الجنس البشرى مهما حاول الانسان أن يصقل عقله ، ويهذب فكره بالعلم والمعرفة :

لأنت ويحــك مهمـــا
ببلت من الســـوالك
أعمى بليـــت بأعمى
فلم تزل في مســـالك
مهما صـــقلت حجاك
يظل مجـــــبولك
فليس خلف ضــحاك
الا دجى ليلـــــك

وفى النشيد الثالث يطلب الشــاعر الى شيطانه ـ أو شيطان شعره ـ أن يخـــرجه من هذه الارض المملــوءة بالغيلان ، فان له وراء الافق وطنــ يعلى أهله بالضـــيوف ، والنفس فى وطنها لها حرمة تضيع فى غير الوطن :

شــيطان شعرى ! قم بنا نرتحل
من هذه الارض وغيـــــلانها
فان خلف الافق لى موطنــــا
ابنـــاؤه تعنى بـــضيفانها
للنفس في اوطانهــــا حرمة
ضــائعة فى غير اوطانهـــا

ويهدىء الشيطان من جزع الشاعر وينبهه الى صوت انشودة تصفق الريح لالحانها ، وهو صوت اميرة للجن مستها روح ليست من عبقر لم تنفع فيها الرقى والتعاويذ ولا حكمة الكهان . وهذه الأميرة مبتلاة من عالم الاجساد بشهوة عارمة تود دائما اشباعها .. فهى لا تزال ابدا فى ظمأ الشهوة الطالبة للارتواء .. وهى لا تزال ابدا تتلهف الى جسد بشرى .. فان الخلود الذى تعيش فيه لا يغنيها شيئا عن لذة الارتواء الجنسى

ويظل الشاعر يتنقل فى اودية عبقر بين ابالسة الحروب والنقائص والشهوة والمال ، والكذب ، واسماؤهم هى : تبر ، وداسم ، واعور ، وزلنبور ، ومسوط ، وبين شياطين الشعر الاخرى من امثال الهوجل ، والهوبر ، وبين (هراء) الشيطان الموكل بقبيح الاحلام ، وبين الكاهنتين المعروفين فى الاساطير العربية وهما (شق) و (سطيح)

وفى (عبقر) التقى شاعرنا فى النشيد الثامن (بالبقايا) اللاتى احدثن ورة فى الجحيم ، فزج الله بهن فى عبقر ليبلو بهن العبقريينا !! وقد سمعهن شاعرنا ينشدن نشيد الثورة على الحرمان من متع الجسد وشهوة الجسم ، لانهن متعطشات الى كل مايلقه الحب من متاع جسدى ...

واذا كان شفيق معلوف قد صور لنا حقارة الانسان وشره ، فانه صور لنا مع هذا عرام الشهوة التى لا تنطفىء ، وضعف « الخطايا » امام ما زودهن الله به من ضعف العقل ، والحاح الشهوة الجائعة ، وتطلع البشر الى حلاوات القبول ...

واذا كان فوزى المعلوف قد ركب الطائرة ليحلق فيما وراء الاعالى بخياله البعيد ، فان اخاه شفيق المعلوف قد ركب شيطانا - بدلا من الطائرة - هو شيطان شعره الذى طاف به فى اودية عبقر ، بين الابالسة والشياطين .

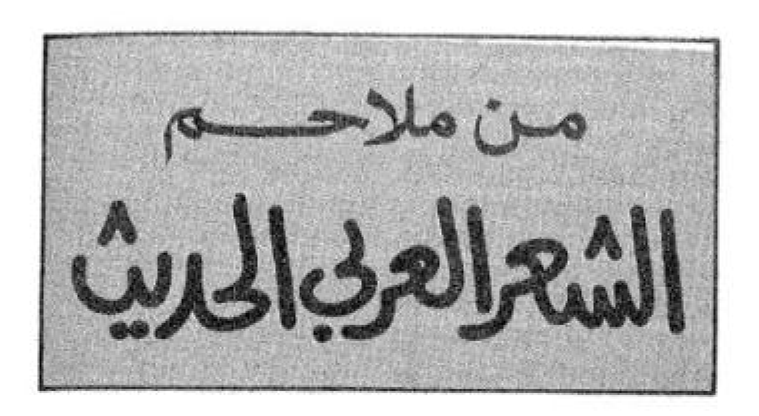
واذا كان «الانسان» مجتمعا للشرور فى نظر فوزى شاعر الطيارة ، فان الشاعر شفيق المعلوف فى (عبقر) لا يحسن الظن بالانسان ... لقد جعل شفيق المعلوف الانسان يخيف الجن ويروعهن ، حتى اضطرهن الى الاختباء منه بين الشجر اتقاء لشره ...

ولقد لقيت « عبقر) كما لقيت «على بساط الريح » تقديرا من الناقدين فى الغرب والشرق على السواء ... وحظيت من المترجمين بنقلها الى غير العربية . فقد ترجمها الى البرتغالية شعرا صديقنا المرحوم موسى كريم صاحب مجلة « الشرق » بسان باولو بالبرازيل ، كما ترجمت مرة اخرى بقلم الشاعر البرازيلى « جونس ايزغور غوتا » واعطاها النقادون الاجانب ما هى اهل له من التقدير ، فقال عنها « اجرينيو جريكو » الناقد البرازيلى : (لا يجوز لنا ان نعد سحر هذه الشياطين زخارف ابتدعت لتسلية عشاق الصور المجازية الأخاذة ، فهى تدل بمجموعها على نبل فى الغاية ، وتعمق فى درس ما وراء الطبيعة ، وتتكشف عن فنان مرهف الحس ...)

واذا كان الناقد اللبنانى المعروف « مارون عبود » قد اسرف - فى كتابه (على المحك) - فى نقد ملحمة عبقر ووصفه لها بانها (قصيدة عادية مبنى ومعنى وتصورا) ، فانه مع ذلك اعترف بانها قصيدة (تزينها فلتات تدلنا على الشاعر المرتجى خيره ..)

والحق ان خيرا كثيرا جاءنا من شفيق معلوف صاحب عبقر حين قدم لنا بعد ذلك باقة من الشعر الرائع فى دواوين : (لكل زهرة عبير) و (نداء المجاذيف) ... وغيرهما ...

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●



لم تقف مصر المتوثبة المناضلة على طول عصور التاريخ في طموحها عند غاية ، ولم تسكن في نضالها على مرور الايام الى نهاية ، وبعد فشل الثورة العرابية كمم الاحتلال البريطاني افواه الشعب الذى كان يزار بنشيد الحرية ، وقيد الأسد الهصور الذى عجزت الايام دائما عن ان تنال منه ، واوقف مواكب الاحرار عن متابعة مسيرتها في النضال من اجل التقدم والبناء والنهضة ·

ولم يجد المصريون ملاذا لهم الا فى الحيــــاة مع الماضى الذى اوقف القصر والاحتلال امتداده ، وفى ان يستعيدوا جلال الذكريات الخالدة فى تاريخ العرب والاسلام ، بعد ان استحالت حياتهم من بناء واعمال الى ذكريات وامال ، لانهم فقدوا الحرية ، وفقدوا بفقدانها كل شىء ·

وقد عاش الشعراء يدونون فى شعرهم كل صــفحات المجد الكبير الذى كان لامتهم الاسلامية العربية ، ليوقظوا النفوس النائمة من رقادها ، وليحــرروا الارواح اليائسة من قنوطها ، ويبعثوا فيها روح الامل فى المستقبل ·

وبدأ حافظ ابراهيم (١٨٧٠ ــ ١٩٣٢) ، فنظم ملحمته العمرية عن الفــاروق عمر بن الخطاب ، وانشدها من فوق مدرج وزارة المعارف المصرية بدرب الجماميز فى مساء يوم الجمعة الثامن من فبراير ١٩١٨ ·

ثم تلاه الشاعر عبد الحليم المصرى (١٨٨٧ ــ ١٩٢٢) ، فانشد ملحمته البكرية عن الصديق ابى بكر وصفحات حياته وجلائل اعماله ، وذلك من فوق مدرج الجامعة المصرية القديمة فى ٢٤ من مايو ١٩١٨ ·

وبعد عام ونصف اعقبهما الشاعر الشيخ محمد عبد المطلب (١٨٧٠ ــ ١٩٣١) ، فالقى قصيدته العلوية فى حياة وتاريخ وبطولات الامام الخليفة الرابع على بن ابى طالب فى السابع من نوفمبر ١٩١٩ ، وذلك فى حفل برياسة شيخ الشــعراء اسماعيل صبرى فى الجامعة المصرية ، واعتزازا بروح العروبة المتأصلة فى نفسه







القى علويته وهو راكب على ظهر جمل كما كان يفعل اسلافه من الشعراء حين يلقون شعرهم في سوق عكاظ ...

أما شوقي فقد كان ابان تلك الايام في منفاه في الاندلس ، وان كان نظم هناك وهو منفي ملحمته الخالدة التى ظهرت بعد ذلك في ديوان بعنوان « دول العرب وعظماء الاسلام » . كما كان قد نظم من قبل بكثير قصيدته أو ملحمته الهمزية المطولة في تاريخ مصر وحضارتها على مرور القرون والاجيال ...

وجاء الشاعر أحمد محرم (١٨٧١ ـ ١٩٤٩) بعد ذلك بطويل ، فنظم ملحمته المشهورة « الالياذة الاسلامية » ، التى سجل فيها أحداث السيرة النبوية العاطرة تسجيلا رائعا مؤثرا ...

هذه الملاحم البطولية في تاريخ الشعر العربي الحديث التي نظمها كبار الشعراء كان لها تأثيرها ودويها الشديد ، فرددها الشعب المصرى والعربي والاسلامي في كل مكان ، واستظهرها الكبار والصغار والشيب والشباب ، وانبعث في كل محفل ، والقيت في كل ندى ، وترنم بها البدو والحضر ، ولفتت الناس الى أن مجدنا القديم الخالد لا بد أن نعمل على استعادته ، لأن صفحات التاريخ متصلة ، والحاضر لا يمكن أن ينقطع عن الماضي ، مهما صنع الاحتلال والعرش وأعوانهما في مصر . وكان للشعراء ما أرادوا ، فبعد العمرية والبكرية والعلوية بأيام معدودة قامت ثورة ١٩١٩ ، وتحرك التاريخ ، وقامت انتفاضة الوطن ، وطار التراب الذى كان يخفي لهب النار المتقد .

والمعروف أن الملاحم تستمد عناصرها من البطولة وتاريخ الابطال ، والاشادة بشجاعتهم وأعمالهم الخارقة ، وبسالتهم وقوتهم الفائقة ، وكثيرا ما تتخذ الملاحم مادتها من الاساطير والحوادث الخارقة للعادة ، وعجائب الافعال ، ومن البطولات النادرة وتاريخ الابطال الذين يحفل بهم تاريخ الأمم والشعوب في كل عصر ، وبخاصة في الحروب والثورات وأيام النضال للتحرر من العبودية والاستعمار

من ملاحم الشعر العربي الحديث

والغزو الاجنبي . والالياذة والاوديسا لهوميروس ، والانيادة لفرجيل حافلة بهذه العناصر الاساسية في بناء الملحمة ، التي تتلاقى مع القوى الخفية العميقة المدفونة في أعماق اللاشعور ، وتحركها للعمل والبناء من أجل فكرة روحية أو بطولية أو تحررية .

واذا كانت هذه الملاحم العربية الحديثة من امثال العمرية والبكرية والعلوية والالياذة الاسلامية تفقد بعض خصائص الشعر الملحمي ، لأنها لا تعتمد على الأساطير ، ولا تنحو نحو الخيال والمبالغة ، حيث لم يقيد الشعراء فيها انفسهم بكل خصائص الادب الملحمي ، فانها على اية حال صورة من الصور القريبة الى الملحمة في عرف ابناء الغرب . وهي صورة مستمدة من ذوق الشاعر العربي وروحه والهامه واصالته ، وقريبة من الفه وعقله . ومتصلة بمواهب التجويد ومذاهب التجديد في الشعر الذى سمع الكثير من الدعوات الفنية اليه .. ومنها قصائد مطولة في الشعر العربي القديم ، كارجوزة ابن المعتز (٢٤٧ ــ ٢٩٦ هـ) . في ابن عمه الخليفة العباسي المعتضد الذى تولى الخلافة الاسلامية عشر سنوات (٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ) وكارجوزة ابن عبد ربه الاندلسي صاحب العقد الفريد (ــ٣٢٩ هـ) في الخليفة الاموى الناصر الذى حكم الاندلس خمسين عاما (٣٠٠ ــ ٣٥٠ هـ) ...

ولنبدأ بالعمرية ، قصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم (١٨٧٠ ــ ١٩٣٢)، المشهور بديباجته الجميلة ، وموسيقاه الحلوة وصناعته الشعرية البديعة ، الشبيهة بصناعة البحترى ، مع المحافظة على عمود الشعر العربي ، وصياغته الموروثة ، حتى لقد قال فيه امير الشعراء احمد شوقي (١٨٦٨ ــ ١٩٣٢) وهو يرثيه :

ما زلت تهتف بالقديم وفضله   حتى حميت أمانة القدماء
جددت أسلوب الوليد ولفظه   وأتيت للدنيا بسحر الطائي

وكان حافظ في طليعة شعراء العصر ، وقد تمثل مذهب البارودى في الشعر وصياغته ، وكان يمثل مصر الشعب ، وشوقي يمثل مصر الدولة .

بدأ حافظ عمريته بمقدمة قصيرة ، انتقل منها الى الحديث عن مقتل عمر ، وعاد الى الحديث عن بيعته لأبي بكر ، وموقفه من علي اثناء البيعة ، ويصور مواقف للفاروق مع جبلة بن الايهم ، وأبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، ومع ابنه عبد الله بن عمر ، ومع نصر بن حجاج ، وعمرو بن العاص ، ومع رسول كسرى ، ويقص قصة من نهجه في الشورى ، وأمثلة من زهده وورعه وهيبته ورحمته ورجوعه الى الحق ، وقطعه لشجرة الرضوان . وكما ابتدأها بمقدمة يختمها بخاتمة قصيرة ، كان من الاولى بها أن تكون في المقدمة . وتبلغ ابيات العمرية خمسة وسبعين ومائة بيت ، وهي مما يحتوى عليها الجزء الاول من ديوان حافظ ، ومطلعها :

حسب القوافي وحسبي حين القيها   أني الى ساحة الفاروق اهديها

ويقول في خاتمتها مما يصور هدفه من الملحمة :

هذى مناقبه في عهد دولته   للشاهدين وللأعقاب احكيها

في كل واحدة منهـن نابلة ... من الطبائع تغذو نفس واعيها
لعل في أمة الاسـلام نابتة ... تجلو لحاضرها مرآة ماضيها
حتى ترى بعض ما شادت أوائلها ... من الصروح وما عاناه بانيها
وحسبها أن ترى ما كان من عمـر ... حتى ينبه منهـا عين غافيها

وحافظ هنا يبين أن قصيدته حكايات من أخلاق وأعمال وحياة علم من أعلام الاسلام ، وأن كل حكاية منها تمثل موقفا رائعا من مواقف الشرف والنبل وسمو الطبائع، وأنه يتمنى أن يكون شباب أمة الاسلام أكبر صلة بالماضي وبتاريخنا المجيد فيه ، لينبه ذلك منها ما كان غافيا من الشـعور والاحساس وشرف المسئولية .

وحافظ يمثل عمر في اشتراكيته العادلة تمثيلا صادقا فيقول في موقفه مع ابنه عبد الله بن عمر ، حين رأى نوقه سمينة ممتلئة ، فردها الى بيت المال .. يقول حافظ :

وما وقى ابنه (عبد الله) أينقـه ... لما اطلعت عليهـا في مراعيها
رأيتهـا في حماه وهي سـارحة ... مثل القصور قد اهتزت أعاليها
فقلت : ما كان عبـد الله يشبعها ... لو لم يكن ولدي أو كان يرويها
قد اسـتعان بجاهي في تجـارته ... وبات باسم (أبي حفص) ينميها
ردوا النياق لبيت المـال ان له ... حق الزيادة فيها قبل شاريها
وهـذه خطة لله واضـعها ... ردت حقوقا فأغنت مستميحيها
ما الاشتراكية المنشود جانبهـا ... بين الورى غير مبنى من مبانيها
فان نكن نحن أهليهـا ومنبتها ... فانهم عرفوها قبل أهليهـا

يريد أن الغرب في عصرنا يعمل بها دوننا مع أننا أهلوها ومصدرها .

ويرى الخليفة عمر لواليه على مصر عمرو بن العاص ثروة فاشية فيشـاطره ثروته ، فيقول في ذلك حافظ :

شاطرت داهية السـواس ثروته ... ولم تخفـه بمصر وهو واليها
وأنت تعرف (عمرا) في حواضرها ... ولست تجهل (عمرا) في بواديها
لمنتبت الارض كابن العاص داهية ... يرمي الخطوب برأي ليس يخطيها
ولم يرع حيلة فيمـا أمرت به ... وقام عمرو الى الاجمال يزجيها
ولم تقل عاملا منهـا وقد كثرت ... أمواله وفشا في الأرض فاشيها

وما أروع تصوير حافظ لموقف عمر من زوجته (أو زوجه على الأصح) حين أبى عليها أن تأكل الحلوى ، لأنها من الكماليات ، فسكتت الزوج ثم عادت تطلب الى الخليفة أن يشترى لها حلوى بدراهم وفرتها من قوتها ، فأبى عمر ، ورد المال المدخر الى بيت مال المسلمين ، لأن بيت المال أولى به ، وقال حافظ في ذلك على لسان عمر :

ما زاد عن قوتنا فالمسـلمون به ... أولى فقومي لبيت المـال رديه

ويتحدث حافظ عن ديمقراطية عمر وتواضعه وهو خليفة المسلمين فيقـول مصورا ما أصاب رسول كسرى من ذهول ، وهو يقف بين يدي عمر ، ويشاهد بساطته في حياته ، يقول :

وراع صاحب (كسرى) أن رأى عمرا ... بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لهـا ... سورا من الجند والأحراس يحميها
رآه مسـتغرقا في نومـه فرأى ... فيه الجلالة في أسمى معانيهـا
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ... ببردة كاد طول العهـد يبليها
فهان في عينيـه ما كان يكبره ... من الأكاسر والدنيـا بأيديها
وقال قولة حـق أصبحت مثـلا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها

امنت يا الحت العـــدل بينهمـــو   فنمت نوم قرير العين هانيهـــا

ومواقف عمر فى الشورى والرحمة والورع والرجوع الى الحق ، والتشدد فى الدين ، كل ذلك مما يصوره حافظ فى روعة وسحر وجمال ، مما مزج فيه بين الفن والتاريخ ، والحكاية ، والموقف ، والشخصية والسيرة ، ومما لم يقف فيه عند وقائع التاريخ وحده ، ولا عند مشاهد الصورة فحسب ، وانما تغلغل فى اعماق نفس البطل وهو يروى سيرته تغلغل الفنان الاديب ، والمحلل النفس والمؤرخ العميق النظرة الى الاشياء ..

ان حافظا فى كل ذلك كان اقرب الى الشاعر الشعبى الذى يروى (امجـــاد) البطل وقصته . وموسيقى حافظ وأسلوبه غنيان بالبلاغة وقوة التأثير ، ومشـــاعره فى الحكاية والرواية واضحة .. وتحتفل العمرية بالبساطة اشد احتفال ، ولا تتعمق المواقف وفلسفة التاريخ الا بقدر ، ولكن حافظا سجل فيها صـــفحة خالدة من صفحات تاريخ أمته وبطولاتها ومجدها التليد .

ويعلل حافظ لعزل عمر لقائده البطل خالد بن الوليد ، فيقول على لسان عمر :

قال : خلت افتتان المسلمين به   وفتنـــة النفس اعيت من يداويها

ومع ذلك كله فهناك الفاظ فى ملحمة حافظ لم يكن يحسن بالشاعر استعمالها ، مثل قوله (استراك) اى استراك ، اى طلب رأيك ، فى قول حافظ :

كم استراك رســـول الله مغتبطا   بحكمة لك عند الراى يلفيهـــا

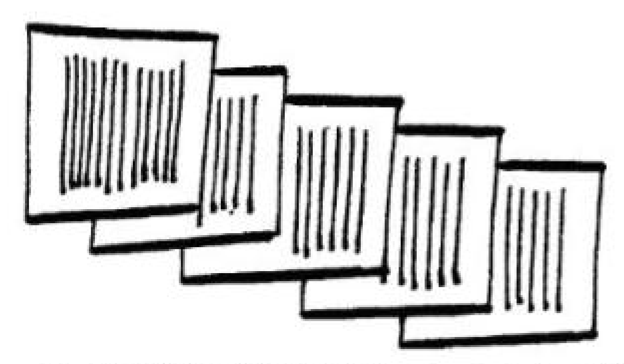
ومثل قوله : (ترحم ، واعاظما) فى البيت الذى يريد به عمر وعليا :

فاذكرهما ، وترحم كلمـــا ذكروا   اعاظما الهوا فى الكون تاليها

وبعد . فهذه هى العمرية صفحات خالدات من تاريخنا وتراث امتنا ، وبطولات رجالنا ، وعظمة حكام المسلمين وخلفائهم . ولقد صور حافظ فيها الحاكم الاسلامى فى شخص عمر الفاروق نموذجا حيا رفيعا كما اراده الاسلام ، وكما صاغه القرآن، محبا للعدل والرحمة والمساواة بين الناس ، عدوا للهوى والاثرة والكبرياء ، مؤثرا على النفس متمسكا بكل القيم الرفيعة التى جاء بها الاسلام ..

وننتقل الى الملحمة الاخرى ، علوية الشاعر محمد عبد المطلب (١٨٧٠ ــ ١٩٣١) التى نظمها وسجل فيها حياة وخلافة الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، وهى قصيدة حافلة بالبلاغة ، وروعة التصوير وقوة التعبير والتأثير . وقد انشدها الشاعر وهو فوق ظهر جمل تشبها بالشعراء فى سوق عكاظ ، وبما كانوا يصنعون فيه . وتبلغ ابيات هذه الملحمة اثنين وتسعين ومائتى بيت .

وكان الشاعر الشيخ محمد بن عبد المطلب من سدنة اللغة والتراث والأدب القديم ، فهو محافظ اشد المحافظة على القديم ، متعصب له ، يدافع عنه ، ويحافظ عليه ، ويدعو اليه ، ويؤثره على كل ما عداه . وهو اذا نظم الشعر يتتبع اثار الجاهليين ومن نحا من الشعراء نحوهم ، فيتكلف مثل صنعتهم ، ويشبه كمـــا يشبهون ، ويتخيل كما يتخيلون ، وربما تكلف بسبب ذلك من الالفاظ الغريبـــة ما كانوا يتكلفون ليخرج شعره فحلا ، ولفظه جـــزلا ، ومعانيه بدوية ليس للبيئ



المضى عليها من سبيل • وقد خلف لنا تراثا يضاف الى تراث شوقي وحافظ • وكان من أسبق الشعراء الى الشعر المسرحي ، ففي عام ١٩٠٩ نظم عدة مسرحيات شعرية ، كالمهلهل ، وامرىء القيس • وليلى العفيفة التي لم يتمها ، وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية • وكان خليل اليازجي ثم بعض شعراء سوريا ولبنان قد نظموا بعض نماذج من الشعر المسرحي في صورة بدائية • ونظم شوقي وهو في فرنسا قطعا من مسرحيته « علي بك الكبير » وطواها الى ان أعاد كتابتها في أواخر ايامه بعد نجاح محاولاته في مسرحيته كليوباترا التي فاجأ الجمهور بها عام ١٩٢٩ وفيما تلاها من مسرحيات شعرية •

والشيخ محمد عبد المطلب عربي من جهينة التي استقرت في اقليم سوهاج وقد تلقى دراسته في الازهر الشريف في مدرسة دار العلوم التي تخرج فيها عام ١٨٩٦ بعد اربع سنوات دراسية واشتغل بالتدريس في المدارس الاميرية ، ثم في مدرسة القضاء الشرعي ، ثم في مدرسة دار العلوم ، وقد خاض معركة النقد والنقاد بمناسبة ظهور كتاب (الشعر الجاهلي) عام ١٩٢٦ ونشر مقالاته في المقطم والاهرام ، وتشعب به النقاش بين القديم والجديد •

تبدأ الملحمة العلوية بالبيت :

ارى ابن الارض اصغرها مقاما — فهل جعل النجوم بها مراما

وهي من الوافر ، بينما كانت العمرية من البسيط •• ويسترسل الشاعر فيها فيقول :

زهاه رونق الخضراء لما — تلألأت في مجرتها وشاما
فشد على كواكبها مغيرا — وحلق في جوانبها وحاما
على بنت الهواء كأن طيفا — يشق الجو يقطعه لماما
اذا ما هزمت في الجو خلنا — جبال النجم تنهد انهداما

الى ان يقول :

فهب لي ذات اجنحة لعلي — بها القى على السحب الاماما

وقد بدأها الشاعر بوصف الطائرة ، ويقول العقاد ان هذا انما هو تقليد للشاعر القديم حين كان يصف الجمل ، والجمل عند الشاعر القديم جزء من حياته ، اما الطائرة فهي ليست كذلك عند شاعرنا المعاصر ، وان كانت موضوعا جديدا تحدث فيه عبد المطلب ليرضي نزعة التجديد وأصحاب المذهب الحديث في الشعر •• وأقول : ان التجديد في الغرض جميلٌ ومطلوب ، اذا صاحبه عمق التجربة ، وليس بلازم ان يكون الموضوع جزءاً من حياة الشاعر الا بمقدار ما يكون للتجربة الشعرية عمقها في نفس الشاعر وشاعريته •

وقد تخلص الشاعر من وصف الطائرة الى مدح الامام تخلصا سائغا كما رأينا ، ثم عاد الى الحديث عن الامام فى صباه ، وعن اسلامه ، ثم عن استخلافه ليلة الهجرة ، ثم عن حياته فى المدينة ، وزواجه من فاطمة الزهراء بنت الرسول ، ومواقفه فى بدر وأحد ، وبطولته يوم الخندق ، وقتله لعمرو بن ود فى هذا اليوم ، وشجاعته يوم خيبر وقتله لمرحب اليهودى ، وعن زعامته فى المواطن ، ومواقفه أيام السلام ، ويصور شخصيته ونفسه ووجهه وجوده وتبتله ، وموقفه من قتل عثمان ومن اختلاف المسلمين حول الخلافة ، تصويرا جميلا قويا مؤثرا ·

وتبلغ أبيات الملحمة ٢٩٢ بيتا ، وهذه هى الملحمة العلوية الكبرى ، وله علوية أخرى صغيرة تقع فى سبعة وأربعين بيتا وهى من بحر الرمل ، وأوثر أن أسميها « العلوية الصغرى » ، وقد بدأها كذلك بوصف الطائرة ، ثم تحدث فيها عن حنينه لنجد والجزيرة العربية ، ومدح الامام مدحا رائعا ، ومطلع هذه العلوية :

أصغر الارض وما فيها مقاما … فاعتلى يضرب بالسحب الخياما
حسد الطير على الجو فسر … عان ما حلق فى الجو وحاما
يزجر الريح فتجرى تحته … أينما ولى بها تلوى الزماما
سابحا فوق ابنة النار على … مسرح النجم جنوبا وشآما
يا خليلى احملانى فوقها … علنى القى على السحب الاماما

والبيت الاخير يشير الى أنه لم يركب الطائرة ، وأنه كان يتمنى ركوبها · ويبدو أن الشاعر نظم العلوية الصغرى أولا ثم نظم الكبرى ـ التى نحن بصددها ثانيا ··

وفى تصوير حياة الامام فى صباه واسلامه يقول الشاعر فى العلوية :

تبصر هل ترى الا عليا … اذا ذكر الهدى ، ذاك الغلاما
غلام يبتغى الاسلام دينا … ولما يعد أن بلغ الفطاما
اذ الروح الامين يقم فانذر … الى طه ليندرهم فقاما
وأمتهم الى الاسلام أن … غدت بالسبق أوفرهم سهاما
وصلى حيدر فتاى قريشا … الى الحسنى فسموه الاماما
كأنى بالثلاثة فى المصلى … جميعا عند ربهمو ، قياما

ولا نستطيع الاسترسال فى ذكر صور من هذه الملحمة فى هذا المقام ، وهى ـ على أية حال ـ تجمع بين التاريخ والفن ، ويبدع الشاعر فيها فى الفكرة والغرض ، ويرسم صورة محببة للزمان والمكان والشخصية ، ولم يستوح الشاعر فيها الاساطير كما فعل هوميروس فى الالياذة ، بل أغناه واقع التاريخ المضيء عن تلفيق الخيال ، فاستلهمه ، مسجلا للحياة والتاريخ تسجيلا وفيا أمينا ·· وفى الملحمة يلقب الشاعر (عليا) بأنه أخو الرسول ، ويذكر أنه أول مسلم صلى وصام وذلك مما يمكن أن يوضع موضع النقد ·

أما الملحمة البكرية للشاعر عبد الحليم المصرى فقد صور فيها الشاعر حياة وتاريخ الخليفة الاول أبى بكر الصديق تصويرا رائعا ···

وقد عمد الشاعر فيها الى المواقف الوضاءة الرائعة فى حياة الصديق ، فسجلها فى الملحمة بأسلوب شعرى قوى وغنى بالبلاغة ، وفى مطلعها يقول الشاعر :

أعضنى أبا بكر عليهم قوافيـــا   وامطر لسانى حـكمة ومعانيا
وقل لرسول الله لم أعد مدحــه   وان لم اكن فيه بشـعرى باديا
مقام رسول الله فوق قصـائدى   وهل قدر النبراس يجدى الدراريا
وانك فى الاسـلام من حسـناته   فمـدحك كنى عنه دون بيانيا

وهو هنا يقول ان مدحه لأبى بكر مدح لرسول الله وللاسلام ·· ثم يصـــور غايته من كتابة الملحمة فيقول :

واضرب امثـــالا لقومى تجيئهم   بصورة شيخ المسلمين كماهيا
عسى انيعيدوا ما اضاعوا منالهدى   وان يتلافوا منـه ما كان باقيا
وحتى يروا ان الخـــلافة لم تكن   مظاهر فى راياتهـــا ومراقيا
وانك لم ترق الخـــلافة بالقنى   ولاالسن،لكنبالنهى كنت راقيا
رجوت (ابا حفص) والرته بهـــا   فصادفت منه مؤثرا لك راجيـا
أولئك قوم لا يحـابون سـيدا   ولا عرفوا فىجانب الحق عاليا
قضوا لك بالحسنى ولو لم تكن بها   أحق لقام السيف للحق قاضيا

وهو نمط رفيع من البلاغة وقوة التصوير ·· ويأخذ الشاعر فى تصوير مواقف الصديق من بلال ، ومن الهجرة ، وحرب تبوك ، ووفاة الرسول ، ومن الخلافة ، ومن جيش أسامة ، ومن بطولته فى حروب الردة وشجاعته ، ويتحدث عن وفادة ملكحمير ذى الكلاع عليه وبين يدى الملك الف عبد من عبيده والخليفة فى أسماله وجلاله ، يقول الشاعر :

أفى خلق الأسـمال أى خليفــة   بها رائحا فى نصرة الله غاديا
لقد وهم الركب اليمـــانى مخبر   فشاهده عن منظر الملك نائيا
غداة تجلى ذو الكلاع بتـــاجه   واشرق فى ابرادة متراثيـــا
مشى الف عبـــد متقلين أمامه   اذا هزهم بالجود هز القوافيا
فلما رأى من نسج تيم مجاسـدا   يكاد يرى فيها الخليفـة عاريا
تولته عن امر الخــلافة دهشة   فالقى الحلى والخز وارتد حافيا
وقال اكذا دين المساواة فلتكن   خلافتــه حرية وتآخيـــــا

وصور الشاعر فى ملحمته مواقف الخليفة فى حروب الردة وفى معارك فارس والروم تصويرا مؤثرا بليغا ، كما صور موته كذلك فقيرا لم يرتضع من الخلافة أفاويق نعمة أو ثراء ··

ومات ولم يتـــرك تليدا لوارث   ولا قام منهم من يقول تراثيـا
ليالى كان النـــاس لا المال مالهم   فما هو الا مال من جاء عافيـا
ولا فرق فيهم بين مولى وعبـده   اذا جاءه عبد لمولاه شاكيـــا

وفى آخر الملحمة يقول الشاعر :

ذكرت أبا بكر لقـــومى وليتنى   بلغت به ما كنت فى القول راجيـا
لعل سراة الدهـــر تبلغ فجـره   فانى أرى الاصباح يتلو الدواجيا

وبعد فهذه بعض الملاحم الشعرية الكبيرة فى شعرنا الحديث ، وبحسبى أن أسجل هنا أن هذه الملاحم أدت رسالة كبيرة فى البعث الأدبى والوطنى والدينى ، وقد حفلت بها الصحف والمجلات ، ونشرت فى كتيبات صغيرة ، وفى دواوين الشعراء أنفسهم ، وشرحها أبناؤنا الأجلاء شروحا عدة ، وقد أعقبت العمرية والبكرية والعلوية ثورة الشعب عام ١٩١٩ ، وظهر التيار الاسلامى فى الشعر ، مما كان خافيا من قبل لأن الاستعمار كان يناصبه العداء ، وتحية للشعراء بعث النهضة أصحاب هذه الملاحم الجليلة فى تاريخ الشعر والشعب والأمة ·

ملمحة ••

د. مختار الوكيل



الهمشرى

شاطئ الأعراف
للشاعر محمد ع. الهمشرى

كثيرا ما كنت اتوق الى الكتابة عن الهمشرى الشاعر العاطفى الرمزى الذى عرفته فى بلكورة الشباب طالبا بمدرسة المنصورة الثانوية ... فلقد التحقت بتلك المدرسة عام ١٩٣١ لأجد بين صفوف تلاميذها طالبين المعيين متميزين بما ينظمان من الشعر المتألق الانيق الرفيع ، وهما الشاعران صالح جودت ، رد الله له كامل الصحة ، والبسه ثوب العافية وحفظه ذخرا لدولة الشعر والادب - والشاعر محمد عبد المعطى الهمشرى ...

عرفت الهمشرى كما قدمت فى تلك الاونة ، وكان يقول الشعر فى كل شىء : قاله فى معرض الفكاهة عندما سقط فأر فى اناء العدس بمطبخ المدرسة ، واشتهرت تلك الابيات فى حينها وتناقلتها الافواه ورددتها الالسن ، ولعل ابياتا مماثلة فى نفس الموضوع نقلت عن الشاعر صالح جودت وذاعت واشتهرت كذلك ...

وقال الهمشرى ابياتا اخرى فى ابنة مدرس اللغة الفرنسية (المسيو بياجى) ، وقد جاءت ابياته تلك عندما اخرج الاستاذ الفنان «رجب» مسرحية للمدرسة قام فيها المرحوم الاستاذ السفير أحمد فتحى رضوان بدور الانسة ، وقد تولى الاستاذ « رجب » عمل الماكياج بحيث أصبح الاستاذ رضوان على صورة قريبة من صورة الانسة (بياجى) فما كان من الهمشرى الا ان حيا صانع الماكياج ، البارع بقوله :

اهلا بمبدع صنعــة الماكياج   اخرجت كل فتى كبنت بياجى !

وهذا البيت وأمثاله عرف وذاع عن الهمشرى فى مناسبات عديدة كما عرفت وذاعت ابيات مماثلة عن الشاعر الكبير صالح جودت ، وكنا نحن نرددها سعداء بأن يكون بيننا امثال هذين الشاعرين الموهوبين !



صالح جودت

ومرت الايام ، والتقيت بالهمشرى وصالح جودت فى رحاب (ابوللو) عندما انشأها الشاعر العبقرى الدكتور ابو شادى عام ١٩٣٢ بالقاهرة · وكنا نجتمع بدار المجلة فى حارة (عمر شاه) بحى السيدة زينب ، حيث كان الدكتور ابوشادى يتولى فتح الابواب لشتى الاحاديث الادبية والفنية ، وهو يصحح « بروفات » المجلة وعيناه لا تفارقان صفحاتها ، وحيث كان الشاعر حسن الصيرفى غاد رائح بالبروفات ، يتهمك فى اعداد صفحات المجلة ، وهو يطلق النكات والقفشات الرفيعة التى يهش لها الجميع ، وحيث كان الشاعر ابراهيم ناجى يلقى بعض شعره العاطفى بطريقته الموسيقية ذات الطابع الشخصى الآسر ...

وكان الهمشرى يشارك اخوانه احاديثهم الادبية الطلية فى مختلف آفاق الادب والفن ولكن بمقدار ، فقد كنت الاحظ ان فكره يسرح بعيدا عن الجو الذى يحيط به · كنت أراه حاضرا بجسمه وكيانه غائبا بروحه وخياله ، وقد غشت وجهه الجميل سحابة رقيقة من التفكير والتأمل تحاول ابتسامته (الجيوكندية) ان تلقى عليها ستارا خداعا وكان الهمشرى جميل الصورة كما قدمت ، أنيق الملبس ، اذا غشى مجلسا لا يستطيع المرء أن يتحاشى النظر اليه ، فقامته الممدودة المشرقة ، وبنائه الرياضى واكتافه العريضة ، وزيه الانيق وملامحه الدقيقة ، كانت كلها مما لا تستطيع العين الانسانية ان تقتحمه او تتجاوزه ·

ولقد صدق أخى الشاعر الكبير صالح جودت عندما قال يصفه فى مقدمة ديوان الهمشرى الذى تولى مشكورا جمعه وتحقيقه : (كان يفيض قوة وشبابا وحيوية ، فهو عملاق ، عريض المنكبين ، تكاد حمرة الشباب تقفز من خديه ، لا يشكو شيئا فى جسده ، ويحب أن يتأنق فى ملبسه ويتخذ رباطات عنق ذات الوان زاهية كالوان مناديل صدره ويزين عروة سترته دائما بوردة كبيرة حمراء) ...



ملحمة
شاطئ الأعراف

وهذه صورة صادقة في وصف الهمشري • ومع ذلك فقد كانت له سبحات وشطحات ، فتارة كان يوقد الشموع في بيته ويؤثرها على نور الكهرباء ، وكان يطلق البخور عندما ينظم الشعر ، ويستمع الى الموسيقى الكلاسيكية ، وكان أميل ما يكون الى العزلة !

ولقد عجبت كيف اتجه هذا الشاب المتدفق حيوية ورونقا وبهاء الى الشعر الحزين الاسود هذا الاتجاه العارم ، بعدما شاع عنه وذاع من نظم الشعر العاطفي الرومانسي العذب الحنون ، وساءني أن أعلم أن مأساة عاطفية نزلت بساحته ، وزلزلت قلبه ، وما لبثت أن غيرت مجرى حياته وقلبته رأسا على عقب • لقد أحب الهمشري ••• أحب حبا عظيما ! لقد وقع هذا الفارس المتألق في حومة الغرام فريسة هينة لفتاة أحلامه التي لم ترحمه ولم تشفق عليه ، فكانت عاقبة ذلك الحب الخيبة واليأس والحرمان • ومات الحب وهو بعد في ريعانه ثم كان ذلك الاتجاه الحزين الاليم الذي ران على شعر الهمشري ، وكانت تلك الابتسامة (الجيوكندية) ، التي تناضل لكي تبدو على شفتيه أثناء حديثه مع رفاقه ومحبيه • ولكن عبثا حاولت الابتسامة اخفاء حزنه الصادق أو مداراة اخفاقه في ذلك الغرام الفريد الذي التقى به في مطلع الشباب !

وهكذا كانت ملحمته الرائعة (شاطيء الأعراف) التي بدأ نظمها وهو بعد في ميعة العمر وطراوة اليفاعة ، (بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة) وهو بعد يطلب العلم بمدرسة المنصورة الثانوية ولقد نشرت بعض مقاطعها الاولى في مجلة (السياسة الاسبوعية) فأحدثت دويا في الوسط الأدبي حينذاك ، فلما جاء الى القاهرة في أعقاب نشره بعض مقاطع الملحمة في (السياسة الاسبوعية) ازدادت نيران مأساته الغرامية اشتعالا وفي ذلك يقول : (وكان ما خفت أن يكون ، فقد هاجت سماء المدينة الأزلية (القاهرة) وروحها الناعسة الحالمة على أعتاب القدم والأبد ، أقول هاج كل ذلك الحزن الى أبعد قرارة في نفسي ، ولا سيما حينما وقفت على مقربة من الجزيرة أرقب (النيل) من ناحية بدا لي فيها ذلك الأزلي ، كأنه شاعر يغني في جانب الموت أغاني تلاشت معانيها في حواشي الألحان) !

وهكذا تراءت له مياه النيل ، وكأنها تغني أغنيات الموت ، ذلك الشبح الرهيب الذي أخذ يطارده في عنف منذ ذلك العهد الغض الرطيب ، ثم أخذ يقتفي آثاره في (ميت البحر) ـ بلدة أخواله ـ فقد مكث في تلك القرية خمسة أيام عقب زيارته للقاهرة ، ولندعه يقص علينا ماكان من أمره في تلك الأيام الخمسة :

(كنت أختلف في أمسياتها مع قريب لي الى مكان هاديء يشرف على النيل في مشهد رائع ، طالعته على مبعدة أشجار باسقة من الصفصاف واللبخ والجميز وهامش الغاب ، فكانت تكسبه روعة في الليل شاقية ، وكأنها بعض عباد البراهمة ثبتت نفوسهم في ذهول العبادة ! •• وهم ينصتون بألف أذن

الى مزامير الآلهة ! ... ثم كانت بعد ذلك قصيدة (شاطيء الاعراف) ، فالنيل لم يكن غير نهر الحياة والموت في هذه الظلمة المروعة التي كانت تألف نفس اليها ، وهي رهبة الأبدية في هذه الأعراف ايضا !)

وهذه الصورة الوصفية الرائعة تنبيء عن صدق في الشعور والاحساس يكاد يكون منقطع النظير ، وقد لا يشعر به غير الشعراء والفنانين ذوى الحس المرهف والخيال المتوثب الصافي المنطلق البعيد ! ولقد صدق الشاعر عندما قال في ختام ملحمته تلك : (لقد انتهت قصيدة شاطيء الاعراف ، ولكن هذه الروح العلوية التي غمرت سماء حياتي بنور جمالها الباهت الحزين ، وهي تصاحبني في شاطيء الاعراف ما تنفك تصاحبني بعد شاطيء الاعراف !)

ولقد احسن شاعرنا الهمشرى صنعا باهدائه قصيدته (الى هذه الروح التي أرهفت أذنى لسماع أصداء مواكب الآباد ، والتي تتغنى بها كل مشاعرى كما يتغنى الجدول بكل أمواجه) ! أجل ، لقد احسن الشاعر صنعا باهداء قصيدته هذه لتلك الروح الموحية الآسرة ، التي غيرت مجرى حياة شاعرنا الفذ ، وكانت دليله ومرشده وهاديه الى نهايته المأسوية في ريعان شبابه على (شـــاطيء الأعراف) !

وماذا نقول عن (شاطيء الأعراف) ؟

يقول الشاعر نفسه في تذييله لملحمته تحت عنـــوان (شرح وتعليق) : (الأعراف ، كما فسرها المفسرون مكان بين الجنة والنار !) ولقد اطلق الشاعر هذا الاصطلاح في ملحمته (على شاطيء خيالي يقع وراء عالم الحياة ويشرف على عالم الموت . وبعد أن مات الشاعر حملته الهة الشعر على زورقهـــا السحرى ف (بحر الوقت) ورست به على هذا الشاطيء : (شـــاطيء الاعراف) !

والشاعر يصف لنا كل ما رآه طوال رحلته من عجائب الموت التي تحلم بها كل نفس شاعرية تسلم زمامها الى الخيال المطلق . وعندما يصـــل الشاعر الى شاطيء الأعراف يصف لنا هذا الشاطيء ، ثم يروعه بحر هائج مصطخب يشرف عليه شاطيء الأعراف ، فيصفه لنا :

(هذا البحر هو (بحر الوقت) ، وثمة (قصر خرب) يعترض (بحـــر الوقت) هو (قبر الليالي) !

ثم يشاهد الشاعر موكبا ضخما (من زوارق سحرية يتقدمها فلك عليه خيال ملاك يعزف على قيثارته . هذا هو ملاك الحياة يقود عناصر الوجود من الخير والشر ... الخ في زوارقها ، ومر ذلك الموكب في (بحر الوقت) واختفى في غياهب هذا القصر الذى هو (قبر الليالي) ، ثم أرخى على العالم ستار العدم والصمت !)

هذه خلاصة لفكرة ملحمة شاطيء الاعراف ، كما قدمها وعلق عليها الشاعر الهمشرى نفسه ، ومنها يتجلى لنا أن الشاعر قد استحوذت عليه فكرة الموت واستأثرت به استئثارا عجيبا منذ يفاعته الاولى ، فصاغها هذه الصـــياغة الشعرية الفنية الرائعة ، في هذه الملحمة الفذة التي احسب أن الشعر العربي مدين للهمشرى الشاعر بها !



ملحمة
شاطئ الأعراف

فالكرة الملحمة كما نرى أصيلة ، والحياة والموت ضدان متقابلان ، ولكنهما متكاملان ! ولقد نبهتنا الديانات السماوية على اختلافها الى حقيقة الموت الأزلية ، وعرض لها القرآن الكريم عرضا مبسطا ومسهبا في كثير من اياته الوضاء ، مصورا الموت بأنه الوجه المقابل للحياة ، كالليل والنهار ، كما عرض للحياة في البرزخ ، ولقد كتب أبو العلاء المعرى (رسالة الغفران) وصور فيها مشاهد متخيلة من الجنة والنار ، كما صور الشاعر الايطالي الجهير دانتي اليجيري (١٢٦٥ - ١٣٢١) م في (الكوميديا الالهية) مشاهد من الآخرة كما تخيلها ٠ وهذان الشاعران الكبيران قد نبه ذكرهما في عالم الفكر والادب ، فالمعرى الشاعر الكاتب الفيلسوف قد نكبه الدهر فكف بصره ، وجاء نتاجه الادبي متسما بهذه الروح المتهكمة الحزينة ، التي شاعت في شعره ونثره قاطبة ، وكذلك كان (دانتي) الشاعر الدبلوماسي والسياسي العبقرى متجها الى وصف مشاهد الآخرة نتيجة لتباريحه النفسية التي خلقتها تجاربه الرهيبة في حياته الخافقة العريضة !

على أن الهمشري كان في قصيدته أو ملحمته لا يخلو من تلك الروح الرومانتيكية الغنائية العذبة ، فهو مثلا يقول في وصفه (جنة الشعراء) في ملحمته الفذة :

تستطيب الجلوس في ظل ايك
رفرف الطير فوقه اسرابا
يتغنى بين الثمار بلحن
هل سمعت القيان غنت طرابا ؟
من وحيدين يسجعان سرورا
والمجيبين يشدوان التصابا
وجرى الماء في الغدير رحيقا
وجرت فوقه الزهور حبابا
جنة صاغها الاله من السحر
ففيها صبابة السعداء !
نورها من وشائع من هواء
فهي فيه من رقة الشعراء
من خيال الاشعار قد صاغها الله
ففيها روائع الشعراء !

ولقد اشتغل كثير من الشعراء بهذه المعاني والاتجاهات الشعرية في العصر الحديث ٠ وقد طالعت للشاعر على محمود طه في قصيدته (ميلاد شاعر) أبياتا كثيرة تتضمن صورا مماثلة لما ورد في أبيات الهمشري التي أوردتها آنفا ، وهو مما يدخل في باب توارد الخواطر ،يقول على محمود طه :

ادخلوا الآن أيها المحسنونا
جنة كنتمو بها توعدونا

الى ان يقول :

والقروا الصفو فوقها والسكونا
غير لحن يرف فيهـــا حنـــونا
تتغنى به الطيـــور وكـــونا
وتغنوا بهـــا كما تشتهـــونا
وصفوها جداولا وعيـــــونا
وورودا ثنية وغصـــــونا
. . . .
واجعـــلوا جنتي قصيدة شاعر !

وشبيه بهذا ما قاله الشاعر المهجرى فوزى المعلوف فى قصيدته او ملحمتـــه (على بساط الريح) التى اشتهرت كثيرا لما كتب عنها الدكتور طه حسين فى (حديث الاربعاء) فى الثلاثينات ، يصفه بقوله :
(عاش هذا الشاب بين الامل والذكرى والحنين • وتغنى فى قصيدته هذه يأسا مهلكا وحزنا محرقا لا مصدر لهما الا الامل والذكرى والحنين) ولقد تشابه فوزى المعلوف مع الهمشرى فى مأساته فقد مات كذلك فى شرخ الشباب ، وفيما يلى مطلع تلك القصيدة او الملحمة (على بساط الريح) :

فى عباب الفضـــاء فوق غيـــومه
فوق نسره
ونجمتـــه
حيث بث الهوى بثغـــر نسـيمه
كل عطـــره
ورقتـــه

موطن الشاعر المحلق ـ منذ البدء ـ لكن بروحه لا بجسمه
انزلته فيه عروس قوافيه ، بعيدا عن الوجود وظلمـــه
ملك قبة السمـــاء له قصر ، وقلب الاثير مسرح حكمـــه
ضارب فى الفضاء ، موكبه النور ، واتباعه عرائس حلمـــه


د.احمد زكى ابو شادى





ملحمة
شاطئ الأعراف

حكمه ضارب في الفضاء ، موكبه النور ، واتباعه عرائس حلمه .

وهكذا نرى أن الهمشرى يتغنى للموت غناء عذبا رقيقا فى (شاطىء الاعراف) الذى تراءى له فى خيالاته (المتوحشة) على ضفاف النيل ، بين ادواح الصفصاف وأحراش الغاب على شاطىء (توسا البحر) ، وعلى محمود طه يصف (جنةالشعراء) وصفا رائقا متدفقا متسلسل الرقة فى قصيدته (ميلاد شاعر) فهذه الجنة هى التى وعد بها الشعراء المبدعون ، وفوزى المعلوف يرى فى ملحمته العذبة (على بساط الريح) أن موطنه الحقيقى هو فى عبابالفضاء حيث يحلق بروحه لا بجسمه ... عروس قوافيه قد أرسلته طليقا فى أعماق الفضاء ، بعيدا عن الوجود وظلمه... فهنالك مملكته ... فى قبة السماء قصره ! وفى قلب الأثير مسرحه !

أثمة توارد فى الخواطر بين هؤلاء الشعراء الثلاثة ؟ أم أن هـذه الأرواح الرقيقة الشاردة الهائمة قد ألهمت سبحاتها ، وألهمت وصف أقدارها ذلك الوصف الرائع المأسوى الرقيق ، الذى تغشاه فترة رقيقة من الحزن العذب ، وتكتنفه سحابة وظفاء من الأسى الغامض اللذيذ !

وهل ثمة صلة روحية بينهم جميعاً وبين أبى العلاء ودانتى ... أم أنها كلها أرواح هائمة فى الأثير تبحث فى قلقها العبقرى عن غايتها ، وقد تلهم الأسرار ، فتشق لها الحجب والأستار !

ولعل شاعرنا الهمشرى كان قد ألهم فى ختام ملحمته (شاطىء الاعراف) ، خاتمة حياته وتلك بعض سمات الشاعر الملهم ، فما أصدقه حين يقول وهو يتحدث عن نفسه :

كان أنشـادك المبـارك فجرا
مستهلا وضوء نور الحيـاة ...
ليت شعرى ، فأين أنوى وأينت
قد أقرت ألحان ذى الاغنيـات ؟
لهفى ما أراك تبعث لحنـــا
فاخبر الشعر ما دهى قيثـارك !
سوءة لليد التى عطلتهـــا
وعفت فى غنـائها أوتارك !!

أجل ! سوءة لليد التى عطلت هذه القيثارة الحبيبة ، قيثارة الشاعر الهمشرى وأخرستها الى الابد ! ولكن ماذا نقول ؟ انه الموت الجبار ، وهو حق ، قد أطفأ شمعة هذه الحياة الشاعرية العذبة وهى بعد فى رونق الصبا وطلاوته وبهائه اثر عملية أجريت لشاعرنا لاستئصال الزائدة الدودية ، فانتهت تلك الحيـاة الشاعرية الرائعة فى الرابع عشر من ديسمبر ١٩٣٨ ، وهكذا طويت صـفحة الشاعر الدنيوية ، أو كما قال هو فى ملحمته يصف النهاية ويصور غرور الحياة بأنه طيف خيال :

ومضى الـركب فى الردى وتلاشى
أثر الركب فى ضريح الليـالى
فكأن الحيـاة كانت منـاما
وغرور الحيـاة طيف خيـال

من إلياذة الجزائر..

مفدي زكريا

ملحمة يصل عددها الى الف بيت من الشعر الوطني الذى يؤرخ للجزائر منذ اقدم عصورها حتى اليوم ، ويركز على الدور الوطني الكبير الذى لعبه شعب الجزائر في مقاومته للاحتلال الاجنبي ، وفي الوقت نفسه تركز الملحمة على عهود الجزائر الحضارية الزاهرة المتعاقبة ، وحاضر البلاد ومستقبلها لاستعادة جميع ثرواتها ومقومات شخصيتها ، وبناء مجد الجزائر من جديد ..

وقد كتب مفدى زكريا شاعر الكفاح الثورى السياسي هذه الملحمة من نتاج شعره الوطني الزاخر والذى كتب بعضا منه في سجن بربروس ، ولتكون نشيد المناضلين ولتعرف الأجيال على كفاح الشعب في بناء حاضر ومستقبل الجزائر

يقول الشاعر في مطلع ملحمة الجزائر :

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات
ويا بسمة الرب في ارضه ويا وجهه الضاحك القسمات

ويا لوحة في سجل الخلو د تموج بها الصور الحالمات
ويا قصة بث فيها الوجود معانى السمو بروع الحياة

وياصفحة خط فيها البقا بنار ونور جهاد الأباة

وفي عروبة الجزائر تقول الملحمة :

وهبنا العروبة جنسا ودينا وانا بما قد وهبنا رضينا
اذا كان هذا يوحد صفا ويجمع شملا رفعنا جبينا

وتمضى الملحمة في تذكر امجاد الجزائر وانتصارها في نضالها الطويل :

بلادى، بلادى الأمان الأمان اغنى علاك ، بأى لسان ؟
جلالك ، تقصر عنه اللغى ويعجزنى فيك سحر البيان
اليك صلاتى ، وازكى سلامي بلادى ، بلادى الامان الامان

وفي كل فترة ، وفي كل اضافة الى تاريخ الجزائر طوال عهودها الماضية يختم بفقرة شعرية يقول فيها :

شغلنا الورى ، وملأنا الدنا
بشعر نرتله كالصلاه
تسابيحه من حنايا الجزائر

وملحمة الجزائر أو الياذة الجزائر القاها الشاعر في الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى في الفترة من ٢٤ يوليو الى ١٥ من اغسطس عام ١٩٧٢

حول الملاحم العربية

- ١ -

من المسلمات الخاطئة الكثيرة التي تمتليء بها مفاهيمنا الادبية ، تلك المسلمة التي تقول ان العرب لم يعرفوا الملاحم ، وان تراث العربية قد خلا منها خلوا كاملا ، وان هذا قد ادى الى ان يخلو ادبنا العربي من الفن الدرامي وعلى قمته المسرح ..

ونحن منذ البدء نرفض هذه «المسلمة» رفضا تاما ، فليس معقولا أن تعرف معظم الامم والشعوب ملاحم تاريخية خالدة تسجل تواريخ ملوكها وابطالها وفرسانها ولا يكون عند العرب ملاحم تحقق نفس الغرض وتناظر الياذة هوميروس ، وشاهنامة الفردوسي ، او انيادة فرجيل ، أو مجمعات المهابهارتا الهندية ...

فما هي تلك الملاحم التي اعجزت الفن العربي فعرفتها البشرية كلها دونه في زعم أصحاب المسلمات الادبية الثابتة ؟

... الملاحم قصائد قصصية طويلة تتوافر لها عناصر الحبكة وتعالج سير بطل من الابطال ، او مجموعة من الافذاذ الذين صنعوا باعمالهم البطولية تاريخ حقبة من حقب التاريخ الهامة في حياة شعب من الشعوب ...



ارسطو : احترام الخيال

فاروق خورشيد

واذا كان هذا هو الاطار الموضوعي للملاحم فهناك دائما دور خطير وهام تقوم به الملاحم حين تربط هذا الواقع الموضوعي عن طريق الرمز الذى يمثله ابطالها بأساطير الشعوب القديمة التى كانت تحاول تفسير وجود الانسان على الارض ، ومعنى الظواهر التي يتعرض لها الانسان في حياته فوقها ، وما تخيلته هذه الأساطير من صراعات بين الآلهة المتعددة لتبرير معارك الانسان التي لا تنتهي من أجل البقاء والخير ، فمنذ استقر في ذهن الانسان أن العالم حوله تحكمه قوى خفية وهو يجسد هذه القوى ليعبدها ، مقدما الحب لآلهة الخير والخصب والجمال ، ومسترضيا بالقرابين والضحايا آلهة القحط والشر والغرائز ... وجسدت اساطيره ما بين هذه الآلهة من معارك ضارية ودائمة تنتقل مساحاتها بين الارض والسماء وتتحكم نتائجها في مصير الخير على الارض،ومصير حياة الانسان والحيوان والنبات جميعا ...

وقد تمكن دارسو الانثولوجي والميثولوجي أن يردوا الكثير من الملاحم الى هذه الاصول الاسطورية التى تمثل حركة العقل البشرى وخياله منذ بدأ يحاول فهم سر الكون ، ومنذ بدأ يحاول تفسير لغز وجوده ، ولغز ما يلقى من عنت وتعاسة وشقاء فوق الارض .

ومن هنا لم تكن الملحمة مجرد قصيدة طويلة ، ومن هنا ايضا لم تكن مجرد قصة تسرد حكاية ملك او بطل او فارس ومن هنا ايضا لم تكن مجرد تسجيل قصصى شعرى لفترة من حياة امة او شعب، وانما كانت الملحمة كل هذا جميعه بالاضافة الى هدفها الانسانى الخالد في تمجيد قيم البطولة ومعانى الشرف فى الانسان ، وتثبيت انتصاره الدائم على قوى الشر والعدوان ...

ولكن دارسي الادب العربى انساقوا وراء مؤرخيه القدماء، كما انساقوا وراء أحكام المستشرقين فى القول بأن الادب العربى على تاريخه الطويل لم يعرف الملاحم ، ولم يقدم فى هذا الفن ما يضارع مثل هذه العطاءات العالمية التى قدمتها الشعوب العريقة القديمة التى كتبت تاريخ حضارة الانسان ، وسجلت رصيد صراعاته البطولية المجيدة من أجل ارساء قيم الانسان ، واقراره كمخلوق خلقه الله ليكون سيدا على العالم ، بمثل ما فعلت ملاحم الشعوب العريقة القديمة الاخرى ..

ولابد لنا أن نحلل سر هذا الموقف من المؤرخين والعلماء القدماء ثم من المستشرقين أولا قبل أن ندخل الى مناقشة هذه المسلمة نفسها ...

اما العلماء القدماء فقد غلبت عليهم النظرة الدينية من ناحية والنظرة العلمية المجردة من ناحية أخرى ، فتجاهلوا تجاهل كل ما جاء في الموروث العربى



رينان : محاولة لاتهام العقل

حول الملاحم العربية

القديم أو الموروث الاسلامي المعاصر لهم من حكايات وقصص وبالتالي من أعمال مجمعة أو قصائد مطولة تتناول هذا التاريخ القديم بالعرض القصصي أو الشعري . وهذا الموقف قد أدى الى تجاهل كتب تاريخ الادب لهذا اللون من الاعمال الفنية ، كما أنه أدى الى تجنب ادباء العصر وكل عصر القيام باعادة صياغة هذه المأثورات القديمة صياغة شعرية أو قصصية جديدة تحمل عطاءهم الفني ، وتستفيد من قدراتهم الشعرية أو الادبية ، فبقيت هذه الموروثات الفنية تتناقل بعيدا عن مجال الشعراء والادباء المعترف لهم بالفحولة الشعرية أو القدرة القصصية حتى الآن ..

ولكن هذا لم يمنع الشعب العربي من التشبث بهذه المناهل الروحية التى لا يستطيع شعب من الشعوب أن يستغنى عنها فظل ابناء الشعب أو الادباء الشعبيون بتعبير أدق يتداولون هذه القصص من موروثهم بالاضافة والتجميع والتقليد والعناية حتى كونوا منها ملاحم عظيمة فخمة ، ان افتقدت جرس الشعر الفحل وافتقدت قدرات الشعراء الفحول ، الا انها ظلت موجودة ومتوازنة على الرغم من تواضعها السردى والشعرى على حد سواء ...

***

أورد السيوطي في الجزء الثاني من الاتقان قول الامام أحمد بن حنبل « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير ، والملاحم ، والمغازى » . ويعنى قول الامام أنه كان يعرف الملاحم ، وانها كانت موجودة بالفعل ومتداولة على ألسنة الناس ، وانها شيء مقرر معروف عند العرب سواء بسواء مثل التفاسير والمغازى .. ومعنى قوله ايضا انها مرفوضة من العلماء من أمثال ابن حنبل لنفس الاسباب التى رفضوا من أجلها التفسير والمغازى . ذلك أنه لا أصل لها ...

واذا أردنا أن نفهم هذا التعبير فهما دقيقا فعلينا أن نعرف ما امتلأت به كتب التفسير من البقايا الاسطورية السامية المتعلقة بالاحداث والامم التى أشار اليها القرآن الكريم ، وكذلك علينا أن نعرف ما امتلأت به المغازى والايام من ذكر عادات الجاهلية ونعرات العصبية .

ويقول السيوطي في الجزء الثاني من الاتقان في حديثه عن العلوم المستنبطة من القرآن : « وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والامم الخالية ، ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الاشياء ، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص » فالقرآن كان سببا لكي يلجأ المسلمون الى من بقيت في ذاكرتهم أو في مدوناتهم أخبار هذه الامم والشعوب التي جاء ذكرها بالقرآن الكريم ، وهؤلاء لم يكونوا يحفظون التاريخ كتاريخ ، وانما كان حفظهم له على مثل ما تحفظ به الشعوب أخبار ملوكها وفرسانها من الاتجاه الى الاسلوب الملحمي والاسطوري مما هو من معطيات الشعب الفنية ...

ويؤكدهذا ما يقوله «كارل بروكلمان» في الجزء الثالث من موسوعته « تاريخ الادب العربي » اذ يقول في الباب الخامس « .. فعرب الشمال هؤلاء وان لم يعرفوا تقويم التاريخ بمعناه الرفيع ، فقد احتفظوا بذكريات الماضي وأحداثه ، كما احتفظ الاسرائيليون القدماء ، ووفروا لهذه الذكريات والاحداث مادة الحياة والبقاء عدة



اجيال على الاقل . بيد أن خيال الرواة والقصاص من قدماء العرب لم يكن يتقيد بقوانين التاريخ الصحيح ، بل كان يتحدث عن مآثر الاسلاف وآثارهم بمثل الحرية والاختيار الذى يتناول به العامة اساطيرهم . فلم يكن متقيدا الا بقوانين الفن الشعبي ، بغض النظر عن التزام الدقة والامانة التاريخيتين » . فالمسالة اذن أن العلماء لم يجدوا فى الملاحم والتفسير والمغازى الدقة العلمية المرتجاة والتى تجعلهم يعترفون بها ويدخلونها فى التاليف الصحيحة المعتمدة، والمسالة أيضا أن العلماء المسلمين خشوا مما احتشد فى هذه الملاحم والتفاسير والمغازى من حكايات تحمل بقايا وثنية وقيما رفضها الاسلاميكدين، ويخشى علماء الدين من مغبة ترسبها فى الأذهان العامة وقلوبهم .. والواقع أنهم اعتبروا هذه الاعمال الشعبية أعمالا مبتذلة يتجاهلون حتى ذكر أسماء مؤلفيها ويقول بروكلمان فى الباب السادس من كتابه تحت عنوان « أدب السمر وكتب الثقافة العامة » ص ١٤٢ من الترجمة العربية : « وأقبل الناس فى القرن الرابع للهجرة على قراءة قصص مبتذلة ، وقد سمى الصولى سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٢٤ م ، بعض هذه القصص فى كتاب الاوراق (٢ : ٦) دون أن يسمى مؤلفيها ، قال : ان الناس فى زمانه تداولت كتب الخرافات كعجائب البحار وحديث السندباد ، والسنور والفار » ...

فالمسالة لم تعد دينية فقط وانما أصبحت خلقية أيضا ، اذ انتشرت فى هذه القصص ـ فى رأى علماء البصرة حكايات يمكن أن تكون مدمرة لخلقيات العامة ومثلها .. وهذا الموقف الاخلاقى نفسه هو ـ فى رأينا ـ ما منع كبار الكتاب من الاقبال على هذه الآثار احياء وكتابة وصياغة بحيث تصبح ملك الادب الرسمي ، كما هى ملك للأدب الشعبي المتداول الذى يهرب بما عنده من عطاءات فنية من رقابة أصحاب الدين وأصحاب التربية والعقل وأصحاب الخلق والنفوذ المتصل بالسلطة المدنية التى لا تريد لابناء الشعب مثل هذا العطاء الروحى الذى يمكن أن ينبه الى مواطن الضعف فى قوة السلطة الحاكمة التى تستمد وجودها من ادعاء الارتباط الديني والخلافة الاسلامية والارومة العربية ..

●●●

وملاحم الشعوب ليست غرس حس الشعب وحسب ، وانما هى ككل شيء يبقى ويخلد ، لا بد له من العبقرى الذى يصوغه بكل ملكاته وامكانياته ليقدمهن خلاله فن عصره ، بل وفن قومه كله، عبر عصره وامتدادا الى كل عصر ـ وان كان الاديب الرسمي قد تخلى عن هذه الرسالة خضوعا للمفهوم العام ، فقد قام بها الاديب الشعبي وأثمر عمله هذه الملاحم الشعبية التى بقيت لنا رغم كل الظروف . وهذا الموقف نجده فى ملاحم شعوب كثيرة اخرى ، فكما أن الزير سالم وعنترة وسيف وذات الهمة والظاهر

بيبرس وعلى الزيبق وحمزة البهلوان مجهول مؤلفها فان المهابهارتا وايزيس واوزوريس وجلجامس وديوجينس وغيرها كثير جدا في موروثات الشعوب مجهول مؤلفها ايضا ·

والامر لا يخلو من بعض المحاولات التي قام بها الكتاب والشعراء في هذا الميدان · فقد اعاد ابن المقفع صياغة كليلة ودمنة وادخلها بهذا في باب الادب الرسمي المعترف به ويحكي ابن النديم في الفهرست انابان بن عبد الحميد اللاحقي ينظم كليلة ودمنة وكتاب مزدك وكتاب السندباد وكتاب بلوهر وبوداسف وسيرة ارتشير وسيرة انوشروان ·

ـ ٢ ـ

اما موقف المستشرقين فهو اهمال الملاحم العربية اهمالا تاما ومحاولة اما جعلها نسخا منقولة دون اضافة من نتاج شعوب اخرى ، واما اعتبارها من سقط القول الذي لا يعتد به ، واما الاهتمام بها من حيث كونها مادة فولكلورية وحسب ·· وهذا الموقف غريب لانهم في الحقيقة ـ اعني علماء الغرب ـ اعترفوا بملاحم اليونان واعتبروها قمة ادبية وافردوا لها الدراسات المستفيضة من حيث هي نتاج متميز ادى الى ظهور الدراما عندهم·· وبنفس القدر من الاهتمام تناولوا ملاحم اوروبا كلها بحيث غدت هذه الملاحم المصدر الام للكثير من الاعمال الادبية في كل عصر من العصور الادبية ابتداء من مسرحيات شكسبير التي اعتمدت على بقايا ملحمية لشعوب اوروبا المختلفة وحتي عصرنا هذا الذي غدا فيه ابطال الملاحم القديمة رموزا تعكس تمزق ابطال العصر ، وتعين الشاعر او الكاتب على تعميق وجود بطله الانساني ·

ونحن لا نعجب كثيرا لهذا الموقف الذي التزم به معظم المستشرقين اذ ان كل همهم كان النظر الى العطاء العلمي او الفلسفي للموروث العربي ، وهم قد حددوا لانفسهم موقفا محددا من الثقافة الاسلامية · ومنذ قال « رينان » ان العقل العربي يهتم بالجزئيات ولا يهتم بالكليات ، وعلى هذا فهو عقل غير قادر على الخلق والابداع ، واقوال المستشرقين تغرق في هذا الاتجاه ، وتحاول تبريره واثباته اثباتا علميا ، ويقول فون جروتيباوم في حديثه عن الخيال العربي« لم يتخل الفكر الاسلامي على وجه العموم ، عن سيكولوجية ارسطوطاليس ابدا ، وهذه السيكولوجية لا تمنح الخيال ، نسبيا ، منزلة رفيعة بل تضعه مع القوة الحيوانية على صعيد واحد · كذلك فان النظرة الكلامية ايدت هذا التهوين من شان تلك القوة الانسانية الخالقة » ·

فالمسالة مسالة موقف من العقل الاسلامي كله ، وهو موقف محير ، لان العرب ان كانوا قد اعتنقوا اراء ارسطوطاليس في المنطق ، فلماذا لم يعتنقوا اراءه في الفن · وارسطو يتحدث عن التراجيديا ، ولكنه وان خصها بمعظم حديثه الا انه يمزج بينها وبين الملحمة ، وهو في



كتابه الشعر يتحـــدث فى الفصل ٣٤ عن الشبه بين الملحمة والتراجيديا فى النوع فكل منهما ـ الملحمة والتراجيديا ـ بسيطة أو معقدة أو خلقيـــة أو انفعالية ، كما أن الملحمة والتراجيديا يتشابهان فى أهم عناصرهما وهى العقدة والخلق والفكر والعبارة . ثم يذكر ما بينهما من فروق ومن أهمها أن مجـال الخوارق أوسع فى الملحمة منـــه فى التراجيديا .

وإذا كان العـــرب قد عرفـــوا ارسطوطاليس فلا شك اذن انهم عرفوا أن الملحمة فن هام من فنون القـــول ، وعرفوا ايضا أن ما فى تراثهم من ملاحم يقوم على نفس الاسس والمقومات التى تقوم عليها الملاحم الاغريقية .. وعرفوا بالتالى أن ارسطو يحترم الخيـــال ويلقن له وينزله فى الفن منـــزلة رئيسية وهامة .

والأمر ليس امر انكار ارسطو وانما يتجه المستشرقون الى اتهام الاســلام بقتل ملكة الخلق عند المسلمين ، وانه هو وتعاليمه يشكلان العوامل الرئيسية التى أوقفت العقل العربى الاســلامى ومنعته من الابداع والخلق ويقـــول جروتيباوم « ثم أن الدين وقف ســدا دون الايمان بقدرة الانسان على الخلق، ومما ايده فى ذلك عجز الناس عن أن يميزوا على وجه اليقيـــن بين الخلق الفنى والعقلى والخلق من العدم . »

وهذا موقف غريب فان استعمال كلمة الخلق ههنا يخرج عن معنـــاه تماما ، فالخلق الذى يعنى ايجـــاد الماديات المحسوسة مرفوض لا اسلاميا وحســب وانما عقليا ايضا ، اما الإبداع الفنى فلم يلق شيء فى سبيله ، ولعل الاسلام هو الدين الوحيد الذى لم يلجأ الى اثبات مبادئه بادعاء قدرة الخلق لرسوله ، فعيسى بعث الحياة فى الموتى ، وموسى رمى عصاه فاذا هى حية تسعى، اما محمد فقد رفض هذا المنطق فى اقنـــاع المسلمين . وانما هو لجأ الى عاملين هامين فى اثبات حجة رسالته ، العقل والخيال ..

أما العقل فهو فى استنفار الانســان الى النظر حوله والمناقشة والجـــدل ليعرف بحكم هذا كله معنى وحدانيـــة الله ، وقصة ابراهيم وتجربته لعبـــادة القوى المختلفة فى السماء ثم رفضه لها واحدة واحدة تعنى ايمان الاسلام بأن العقل وسيلة هامة تؤدى باستعمالهـــا الى الوصول الى معنى الله ووحدانيته فى الوجود .. والقرآن ملىء بالآيات التى تدعو الناس الى النظر فيما حولهم والى التفكر ، والى استعمال العقل فى البحث عن المعنى دون خوف أو وجل ..

أما الخيال فهو فى فتح مغـــاليق القلوب لتدرك ما لا يدرك بالعقل وحده ، وليستكمل الخيال الصحى صـــور المطيات غير الحسية التى على أساسها ينبنى التصديق بما لا يقـــع فى دائرة المحسوس أو المنطقى ولكنه موجـــود تدركه نفس المسلم عن طريق تفجيـــر الطاقة الروحية التى لا بد أن تستند الى رؤية ابداعية يغذيها الخيال ، فاليوم الآخر ، والبعث بعد الموت ، والحساب والجنة والنار ، لا بد لادراكها كلها من طاقة خيـــالية مبدعة خلاقة تجســد فى النفس هذه المعانى غير المحسوسة ولا المنطقة حتى يكتمل اسلام المسلم .

والمستشرقون يعتمدون على أحـــكام العلماء العرب القدماء الذين يمثلـــون



واجهة واحدة من واجهات الثقافة الاسلامية المتعددة ، واذا كان تصور هؤلاء العلماء للفن قد ارتبط بالتوظيف النفعي له ، فاننا ندرك أن هذه النظرة فرضت لونا معينا من العطاء القولي على كتب النقد والبلاغة ، ولكن هذا اللون ليس هو كل الابداع العربي الاسلامي ، واذا كان المستشرقون يستندون على هذه الاحكام في اتهام العقل العربي فهو استناد مغرض لأنه يلجأ الى ما يثبت الرأى المسبق ، ولا يدخل الى ساحة البحث مجردا من فكرة سابقة يريد أن يثبتها بكل طريق .

والعجيب أن واحدا كجروتيباوم يحاول جاهدا أن يثبت أن الحضارة العربية ليست من الاصالة في شيء وانما هي طفرة للحضارة الهلينستية ما أن ظهرت حتى اختفت ، وهذه المقولة تتناقض كل حديثه عن الخيال العربي والعقلية الاسلامية على التسليم بصحتها وهو أمر مشكوك فيه تماما . وحين يحس بهذا التناقض في احكامه يحاول من جديد أن يجد المبرر (العلمى) لرأيه فيقول : « غير ان الناقد العربي معذور اذا قيس الى رصيفه الكلاسيكي لأنه كان اذا التفت الى موروث قديم اتجه بنظره الى الجاهلية ، وهي ذات موروث فقير اذا قارناه بما كان لدى الداعين الى الاداب القديمة من موروث غنى خصب ، والموروث الفقير لا يهيء لمن يتوجهون اليه الا الهاما ضئيلا ، وهذا التسليم الافتراضي بضحالة الموروث الجاهلي تسليم مغرض ومقدمة منطقية مكذوبة توضع هنا كأنها مسلمة علمية ليصح أن تبنى عليها نتيجة أكثر خطأ واغراضا .

فالاستاذ جروتيباوم يعرف أن الجاهلية – وهى اسم دينى محض – كانت تزخر بكل الموروث السامي القديم بما في ذلك كل موروث الاسرائيليين ، وان الجاهلية أيضا ارتبط اهلها بكل ثقافات العالم عن طريق الرحلة والتجارة فحملوا معهم كل البقايا الثقافية التي عرفها العالم قبل البعثة المحمدية . والعرب في الجاهلية كانوا يعرفون اخبار الامم حولهم وهم بحكم مركزهم المتوسط كانوا مصبا لهذه الاخبار وهذه الثقافات ، والملاحم العربية التي جاءتنا عن هذه الفترة تحوى كل الاشارات الاسطورية والفكرية التي تدل على ارتباط كامل بالموروث العالمي بعامة والسامي بخاصة المعروف قبل الاسلام . ويقول الهمذاني في كتابه (الوشي المرقوم) : « لم يصل الى أحد خبر من اخبار العرب والعجم الا من العرب ، وذلك ان من سكن مكة احاط بعلم العرب العاربة واخبار اهل الكتاب وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون اخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاور الاعاجم علم اخبارهم وايام حمير وسيرها في البلاد . وكذلك من سكن الشام خبر باخبار الروم وبنى اسرائيل واليونان ، ومن وقع بالبحرين وعمان فمنه اتت اخبار السند وفارس ، ومن سكن اليمن علم اخبار الامم جميعا لانه كان في ظل

حول الملاحم العربية

الملوك السيارة ».

فمقولة جرونيباوم خاطئة نقلا وعقلا أيضا ، وإلا فمن أين جاء هذا الفيض الزاخر من الاساطير والحكايات التي ملأت كتب التفاسير ، ثم من أين امتدت هذه الاخبار لتفرض وجودها على المتلقي العربي في كتب الاخبار والتراجم والسير ؟ .. ومن أين جاء هذا الاختلاط في كتب التاريخ العربي بين ما هو حقيقة وما هو أسطورة من موروثات كل الشعوب التي ورث العرب ثقافاتهم وعلومهم وأساطيرهم أيضا ؟

والواقع ان ما بذله المستشرقون من جهود مضنية كان يحاول دائما ان يجعل من الدين الاسلامي عائقا دون عطاء حضاري حقيقي وبهذا ينتفي دور الأمة الاسلامية كلها في الاضافة الى الزاد الانساني الكبير ، ويبدأ تاريخ الانسان عندهم من اليونان لينتهي الى أوروبا ، وهي نظرة كما ترى — مهما ارتدت مسوح العلم — عنصرية تعصبية واضحة ..

فاذا ما سقطت دولة المستشرقين ومحاولاتهم في حصر العقل العربي سقط معها قول الاستاذ ليتمان الذي يزعم أن العرب لا يمتلكون ملحمة وطنية لأن اللون الذاتي الذي هو الاساس في الشعر الملحمي غير موجود لغلبة الطابع الغنائي على أشعارهم . وسقط كذلك قول جرنيباوم عن كاتب السيرة من أنه « قصر همه على معالجة الشعور الديني والمتعة الحسية الشهوانية ، الى حد ما ، دون أي شيء آخر ، أما التجربة الذاتية فلم توضع موضع الحقيقة الموضوعية في قصة أو مسرحية ، ولا دست بشكل غير مباشر في تشخيص فضيلة أو فكرة ، ولا البست للشخصيات التاريخية والاسطورية ، لكي تكون من خلال هذه جميعا ممثلة معبرة عن النزعات الذاتية » .

ولسنا نجد تبريرا لمثل هذا القول الا بأنه لم يقرأ الملاحم العربية ولم يحاول أن يدرس هذه الملاحم دراسة حقيقية لمعرفة الى أي حد لعبت هذه الملاحم والسير الشعبية دورها في التعبير عن هموم الانسان العادي وتجاربه المعاصرة مغلفة في القالب الملحمي الاسطوري التاريخي القديم . بل لعله لم يحاول أن يدرك أن موقف العلماء المسلمين المرتبط بمركز الخلافة كان من أهم العوامل التي جعلتهم ينكرون مكان السير والملاحم العربية لما تحمل من معاني الرفض والمقاومة من انسان العصر لعسف أصحاب السلطان وشاهدنا في هذا سيرة علي الزيبق وما تحمل من معاني الثورة السياسية والاجتماعية معا .

— ٣ —

يقول جوستاف لوبون جرونيباوم في كتابه « حضارة الاسلام » ص ٥١ :

« .. لا ريب أن حرب الثغور التي لم يكن ينطفيء لها مع الروم أوار قد تركت آثارها فيما سطر العرب ، ولم يقتصر الأمر على أن يشيد الشعراء بمعارك لعب فيها سادتهم دورا مشرفا ، بل ان أحداثا وشخصيات تتصل بهذا الكفاح الذي لم ينته قط الى نتيجة حاسمة ، قد ادخلت في القصص الشعبي كما تشهد بذلك رواية الملك عمر النعمان التي أضيفت فيما بعد الى كتاب ألف ليلة وليلة ، بيد أن هذه الشواهد على الاهتمام المعاصر تبدو غير ذات بال اذا قورنت بصورة تلك الاحداث عينها كما انعكست في الملحمة الشعبية عند البيزنطيين . فالادب العربي لا يعوزه

فحسب مؤلف من طراز وجدارة تلك الملحمة اليونانية التي تتركز حول ديجينس أكريتاس بطل حرب الثغور ، بل ان جو مناطق الثغور الخاص وطريقة الحياة فيها في صورتها التي لا شك انها تطورت اليها ، لم يجد لسانا يعبر عنهما في كل من الشعر والنثر العربيين » .

وهذه السقطة تحدد كل ما أردنا قوله من قبل . فقصة عمر النعمان الملحقة بألف ليلة وليلة ليست الا جزءا من ملحمة شعبية ضخمة سجلت حروب الثغور تسجيلا نثريا وشعريا رائعا ، بل لعلها من اطول الملاحم وأروعها ، وأحفلها بكل القواعد والاسس التي قامت عليها الملاحم في كل مكان ، تلك هي « سيرة الاميرة ذات الهمة وابنها الامير عبد الوهاب والسيد البطال » .

فتجاهل العمل واصدار الاحكام الخاطئة بسقطه ظهور العمل الكامل الذي يجعل كل الحجج المبنية على الخطأ تنهار ، وهذه السيرة رغم أنها تتحدث عن مرحلة تاريخية محددة في حروب العرب والروم ، وفي منطقة محددة هي منطقة الثغور وبالذات في « ملطية » الا انها تحقق عرض هموم الانسان العربي في زمن السيرة أي زمن احداثها ، وفي زمن مؤلف السيرة أي في زمن كتابتها .

وتلخص الدكتورة نبيلة ابراهيم هذا الهدف في قولها ص ١٠٤ من دراستها المقارنة لسيرة ذات الهمة بسيرة ديجينس البيزنطية فتقول : « .. نستطيع أن نقول ان سيرة ذات الهمة بهدفها هذا ، قد ربطت ماضي تاريخ الشعب العربي بحاضره ، حينما ابرزت مشكلته الاساسية التي عانى منها ولا يزال يعاني منها حتى اليوم . فما زال الشعب العربي يعاني من حكام لا يستطيعون - خوفا على مصالحهم - الجهر بعناصر الفساد واعلان الحرب عليها . ولا تزال الدولة البيزنطية المهددة لكيان الدولة الاسلامية تظهر بصورة أو باخرى ، ثم ما زال عقبة يظهر بين الحين والاخر ليقوم بدور النفاق الذي يقدم اكبر عون للدولة المعادية وان كان يعمل - وهو لا يدري - على هلاكه المحتوم » .

والى جوار هذا البعد الاجتماعي والسياسي الذي ابرزته الدكتورة نبيلة ابراهيم ابرز كتاب اضواء على السير الشعبية جانبا اخر مهما في السيرة وهو دور المرأة ووضعها في المجتمع العربي ، والدفاع عن مشاركتها الكاملة في صنع مجتمعها اما محاربة (أمازونية) واما عالمة فاضلة ، واما حاكمة عادلة ، واما عابدة خاشعة متبتلة .

ومع هذه الابعاد الاجتماعية التي تمثل هموم المسلم ومشاكله الذاتية يبرز بعد الكفاح البطولي ضد العدو وهو في سيرة ذات الهمة الروم ، وهو في سيرة الظاهر بيبرس الصليبيون وهو في سيرة سيف بن ذي يزن الأحباش ، وهو في سيرة علي الزيبق الفساد والعسف المملوكي ، وهو في سيرة عنترة ابن شداد دولتا الروم والفرس ، وهو



فى سيرة حمزة البهلوان دولة الفرس ..

ومع الاهتمام بالاطار التاريخى فى صورته الملحمية فى هذه السير فهى ترتبط ارتباطا كليا بموروث الثقـــافة الانسانية القديمة فاذا أبطالهـــا رموز لأبطال الاساطير القديمة التى تمثل أول مظهر من مظاهر تعبير الانسان عن بحثه عن مكانه ومعنى ما يلقى فى هـــذا الوجود .

والدراسة القيمة التى قدمها الدكتور لويس عوض لملحمة الزير سالم تحت عنوان « أسطورة أوريست والمـــلاحم العربية » لا تعقد صلة الزير بين الملحمة العربية والاغريقيـــة وحسب وانما هى ترجعهما معا الى صورة من صـــور أســـطورة ايزيس وأوزوريس المصرية ، وهو يرجع أحداث هذه السيرة ـ سيرة الزير ـ الى عصور موغلة فى القدم فى تاريخ العرب ، استدعتها أحـــداث المعارك بين العرب والصـــليبيين ، ثم استمرت تعكس ـ فى تراكم ملحمى ـ أحداث الشـــعب الاســـلامى أيام العثمانيين ..

ودراسة التراكم الملحمى فى الملاحم العربية الاخرى سيحدد لنا عـــدة « موتيفات » عالمية التداول فى ملاحم الشعوب وأســـاطيرها ، فالابن المنتقم لأبيه سنجده فى سيف بن ذى يزن كما نجده فى على الزيبق .. كمـــا أن « موتيفة » الأم المستهترة أو قاتلة الأب التى نجد رمزها فى اليكترا الاغريقية نجدها فى « قمرية » أم سيف وفى وجه من وجوه « جليـــلة » امرأة كليب ، وهكذا ...

ـ ٤ ـ

الملاحم العربية اذن موجودة بمثـــل ما وجدت الملاحم عند كل الشـــعوب ، وموقف العلماء العرب ورجال النقـــد الادبى المرتبطين بالسلطة الزمانيـــة ، وكذلك موقف المستشرقين المتحيـــز لا يستطيع أن ينفى وجودها ، وتأخر الاعتراف بها ، وتأخر دراستها شعبيا وأدبيا لا يعنى أنها لم تكتب لتســـجل دورا هاما للكاتب العربى فى المشاركة فى التعبير العالمى عن الانسان وأحلامه وهمومه وتطلعه الدائم الى المثل العليا من خلال كفاحه الملحمى أمام التحديات الخارجية ممثلة فى « الاعداء » أعداء الوطن والدين .. والتحديات الداخلية ممثلة فى الفساد الاجتماعى والظـــلم الاجتماعى وامراض المجتمع بكل ألوانها وضروبها .

ووجود هذه الملاحم ينهى اســـطورة عجز العقل العربى عن الخلق ، كمـــا ينهى اسطورة قصور الخيال الاســـلامى عن الابداع ، وما يحاول به الكثيرون من المستشرقين اتهـــام طابع الدين الإسلامى وفلسفته بأنهما المســـئولان عن جمود العرب والمســـلمين ، وقصر دور الحضارة الاسلامية على مجـــرد النقل للحضـــارة الهلينستية السـيدة العبقرية . بل اننا نستطيع أن نقـــول ان الاسلام هو الذى خلق هذه الملاحم بحكم ما أورثه العقل العربى والخيـــال العربى معا من قدرة وتفتح ، وبحـــكم ما حدده للانسان المسلم من رســـالة لا تنتهى فى الجهاد فى ســـبيل الله . ومعنى الجهاد هو اول معـــالم الوجود الملحمى الخارجى فى المعارك المستمرة مع اعداء الدين ، والداخلى فى العطاء الملحمى الذى يبرز بطولة المـــكافحين والمناضلين بأروع ما يستطيع القلم أن يصوره ويرسمه .

حول الملاحم العربية

الإلياذة

أقدم ملحمة عرفها

أمين سلامة

الملحمة ، في تعريف سريع مجمل ، هي قصيدة قصصية طويلة جيدة السبك ، تتوافر فيها الحبكة ، وتتسم وقائعها واحداثها بالشرف والجلال ، ويعالج فيها الموضوع على نحو يتناسب مع أعمال البطولة في اسلوب رائع ،

وسيرة البطل في العادة هي الموضوع الذي يربط كل أجزاء القصيدة ... وتتنوع الملاحم عادة ، فمنها ما يخترعه أو يؤلفه شاعر واحد ، مثل

« الاينيذة » لفرجيل ، و « الفردوس المفقود » لملتون .. ومنها ما يؤلفه شعراء مجهولون عديدون يعملون

في عصور مختلفة معتمدين على أساطير شعبية مرتبطة بالابطال ، مثل « بيوولف وأغنية رولان » .

وتضم الملحمتان المشهورتان الالياذة والاوديسة هذين النوعين ، وتقلدهما اينيذة فرجيل . وتجسم بعض الملاحم المثل العليا لامة من الامم أو شعب من الشعوب ، مثل « الكاليفالا الفنلندية » . ومن الملاحم المشهورة

« خلاص بيت المقدس » لتاسو ، و « ملكة الجان » لسبنسر ، و « سيد الاسبانية » ، و « الشاهنامة » الفارسية للفردوسي ، و « المهابارانا » الهندية ...

وكان المعتقد عند الباحثين ان الادب العربي يخلو من الملحمة ، ولكن الدراسات الحديثة اثبتت وجود الملاحم في الادب العربي ، فالى جانب القصائد الطوال (المعلقات) التي تحكي ايام العرب باللغة الفصحى ، يوجد ضربان من الملاحم العربية يغلب

الشعر على الاول منها ، مثل « سيرة بني هلال » ، ويغلب النثر على ثانيهما ، مثل « سيرة الظاهر بيبرس »

ونلتمسهما في اللهجات البدوية والعامية . ومن الملاحم العربية

المشهورة « سيرة عنترة » و « سيرة سيف بن ذى يزن » .

اعود الآن الى العصر الهومرى الذى هو موضوع مقالى والذى ازدهرت فيه الملحمة ازدهارا لم يعرف له مثيل من قبل ولا من بعد ، وانى لعلى يقين من أن ملحمتيه «الالياذة» و « الاوديسة » لتعتبران - بدون شك - المثل الاعلى لشعر الملاحم ، لامتيازهما بالابداع والفخامة وسمو الاسلوب وروعة الموضوع الذى يعالجانه . فالاوديسة مثلا قصة شعرية بل ملحمة قصصية راسخة متينة البنيان ، مكينة الاركان ، تصور لنا امورا لها العجب العجاب ، وترسم لنا احداثا يشيب لهولها الولدان ، وتحمل الينا اجواء باهرة الروعة مفعمة بالعجائب والغرائب ..

التاريخ


هوميروس

***

والرائد الاول لعصر الملاحم ، هو شاعر البشرية الاول هوميروس ، الشاعر الفريد فى عبقريته ، والغامض فى مولده ، اذ تواجهنا صعوبة فى تحديد التاريخ والعصر اللذين عاش فيهما فليست هناك فى الواقع اية تواريخ محددة لمولده او لمماته ، ومع ذلك فهناك حقيقة هامة ، هى أن تاريخ هوميروس يمكن ربطه بتاريخ شاعر آخر يدعى « هسيودوس » يقول البعض انه عاش قبل هوميروس ، كما يقول فريق آخر مثل « هيرودوت » المؤرخ اليونانى الشهير انه وهوميروس عاشا فى عصر واحد اى انهما متعاصران . فأيهم يحق لنا أن نصدق ؟ .

***

لعب هوميروس دورا عظيما فى تسجيل احداث زمانه والترنم بشجاعة رجاله وابطاله والاشادة بجسارة المحاربين الذين تفانوا فى الدفاع عن شرفهم وسمعة وطنهم .

وكان هوميروس يعتبر معلما ولكنه - بخلاف هسيودوس - معلم غير مباشر ، اذ كان دائما رائدا فى فنه وتصويره حتى لنصدق ان قلنا انه علم الشعراء الاخرين كيف يتقنون « فن الاكاذيب كما يجب » ، فضلا عن انه راح يعلم بنى جنسه الشئون الحربية .

ورغم اعتبار كل من هوميروس وهسيودوس معلمى العصور القديمة ، ورغم استعمالهما لهجة واحدة واسلوبا واحدا ، الا أن هوميروس غير هسيودوس ، ومعلومات الاول غير معلومات الثانى . فالفرق بينهما شاسع بلا شك ، اذ لا يخاطب



هوميروس غير الاشراف وطبقة الارستقراطيين . ولا يكترث بطبقات العوام ولا يلتفت اليها ، بينما لم يهتم هسيودوس لغير طبقة العوام ، فالاخير بلا شك لسان حال هذه الطبقة .

ومما لا يرقى اليه الشك أن اشعار هوميروس كانت الأساس المكين الذى نهضت عليه الاداب والتعاليم الاغريقية ...

وكما حاول الكثيرون الطعن فى هوميروس كمؤلف للحمتى الاليادة والاوديسة طعنوا فيه أيضا كمؤلف لاى منظومات شعرية أخرى .

فقد بدت هذه الأعمال الادبية فى نظرهم فوق مقدور رجل واحد وعقل واحد .. ولكن مما لا شك فيه ان « هوميروس بن مايون » ، الشاعر الضرير ، هو ذلك العملاق الذى كتب بملحمتيه صفحات الخلود بحروف من نار ونور ؛

●●●

والان ماذا عن الاليادة ؟ من المتفق عليه ان الاليادة كانت ولا تزال – وستظل ابد الدهر – صرحا ضخما منصروح الأدب الانسانى ، ومرجعا فريدا من مراجع المعرفة ، وديوانا خالدا من دواوين الحماسة والبطولة ، كان له على التربية والأدب والثقافة – الاغريقية والعالمية – ابلغ الاثار واعظمها على مر الاجيال ! .

و « الاليادة » مدينة بخلودها الى قوة موضوعها ، وحرارة ابياتها ، وسلامة اسلوبها ، البسيط ، الوقور ، الرائع ! .. واخيرا الى تصويرها الناطق الحى لنفسيات الاغريق رجالا ونساء – فى ذلك العصر الحافل بصور بطولتهم النادرة فى الحرب .. وفى الحب !

وتتألف « الاليادة » من خمسة عشر الفا وخمسمائة من ابيات الشعر ... وهى تصور حوادث واحد وخمسين يوما من أيام السنة العاشرة والاخيرة من حصار الاغريق لطروادة ... ومن ثم فانك لكى تراها وتستمتع بها على الوجه الاكمل لابد أن تعرف أولا قصة حرب طروادة، والغرام العارم الذى كان السبب المباشر لاشتعالها .. والابطال الذين اكتووا بنارها – سواء من البشر ، او الالهة ! .

ذلك أن أبطال الاليادة خليط من البشر والالهة .. فمن ابطالها البشريين : باريس ، وهكتور ، ابنا ملك طروادة ، وعدوهما مينيلاوس ملك اسبرطة ، وشقيقه اجاممنون قائد جيشه .. أما أبطال الملحمة من الالهة فمنهم : « زوس » كبير الالهة. ويطلق عليه الرومان « جوبيتر » – وابنته « اثينا » الهة الفكر ، ويطلق عليها الرومان « مينيرفا » . ثم أخيل – أو اشيل – ابرز أبطال جيش اجاممنون ، وهيلين ، زوجة ملك اسبرطة الفاتنة ، التى نشبت بسببها الحرب مع طروادة ! ..

دعنى الان اقص عليك طرفا من اساطير هؤلاء الابطال ، ومغامراتهم فى الحب والحرب ، قبل ان اقدمهم



بوسايدون اله البحر

فى قصتهم الكبرى « الالياذة » كى يتهيأ لك الجو المناسب لفهم هذه الملحمة .

كانت لإله البحر « بوسايدون » حورية تدعى « ثيتيس » وقعت عليها عين زوس كبير الالهة ، فاعجبته .. لكنه علم من « الاقدار » ان الحورية سوف تلد ابنا يصير اعظم من ابيه .. فابى ان يكون هو ذلك الاب ! .. ومن ثم قرر الا يضيفها الى قائمة عشيقاته العديدات ، بل يزوجها الى ملك بلد مجاور . ولكى يضفى على الزواج رونقا وبهاء ، رأى ان يحضر بنفسه حفلة العرس ، مصطحبا بزوجته « هيرا » الهة الزواج ، وغيرهما من الهة جبل الاوليمب .

وكان اله البحر – والد العروس – قد تعمد أن يغفل دعوة الهة «الشقاق» الكريهة الى عرس ابنته . لكن اللعينة ذهبت الى ذلك الحفل متطفلة . وهناك القت وسط المدعوين الصاخبين « تفاحة » كتبت عليها هذا الاهداء الماكر : الى « اجمل » الحاضرات ! فتنازعت عليها ثلاث منهن : « هيرا » الهة الزواج ، وابنتها « اثينا » الهة الفكر ، ثم « افروديتى » الهة الحب – كل تزعم انها احق بها من سواها ! وتشيع لكل ربة من الثلاث فريق من انصارها والمعجبين بها ، حتى كاد العرس يتحول الى ميدان قتال ! .. لولا أن استقر رأى الحاضرين على أن يحتكموا فى النزاع الى راع وسيم الطلعة يدعى « باريس » ، يرعى قطيع ماشيته على سفح جبل « ايدا » القريب .

ورغم ان الراعى الشاب « باريس » كان يكسب عيشه من هذه الحرفة المتواضعة ، فانه كان سليل ملكين من اعظم ملوك ذلك الزمان ، هما « بريام » ملك طروادة ، و « هيكوبا » ملكتها ! وكان عراف قد تنبأ له فى طفولته بانه سوف يجلب الخراب والكوارث على وطنه ، فآثر والداه أن يضحيا به فى سبيل طروادة ، فتركاه على سفح تل ليموت .. لكن الاقدار هيأت له راعيا فقيرا عثر عليه فانقذه ، وتبناه !

وشب باريس فاتن الطلعة رائع الجمال ، الى حد اوقع الحوريات والراعيات فى هواه .. اما هو فوقع فى هوى حورية تدعى « اوينون » . وعاش الاثنان فى سفوح جبل ايدا حياة مترعة بالسعادة .

وذات يوم ، جاءته الربات الثلاث المتنازعات على التفاحة : افروديتى ، وهيرا ، واثينا – فالقين بالتفاحة الذهبية بين يديه ، وسألنه أن يحكم بينهن بالعدل ، فيمنحها لمن يراها أحقهن بها !

ثم شرعت كل واحدة تحاول أن ترشوه – بغير استحياء – كى ينحاز الى صفها – فوعدته « هيرا » بالسلطان والثراء .. ومنته « اثينا » بالشهرة والمجد الحربى .. أما افروديتى فقد عرضت عليه أن تزوجه من أجمل نساء الارض !

وراقت له الامنية الاخيرة اكثر من سابقتيها ، فمنح « تفاحة الجمال » الذهبية لالهة الحب . !

ولم تمض ايام حتى هجر « باريس » زوجته وماشيته ، وابحر



فى ركاب افروديتى الى شـــواطىء اليونان ! .

فى تلك الايام كان لملك « اسبرطة » زوجة تدعى « ليدا » راقت فى عينى كبير الالهة « زوس » ، فانجبت منـــه طفلا وطفلة من الالهة ، وبعـــد ان انجبت من زوجها طفـلا وطفلة من البشر .. فلما كبر الاربعـــة زوجت الابنة « البشرية » من اجاممنون ملك « مسينا » فجلبت عليه الكوارث ـ كما سنرى .. أما الطفلة « الالهية » ـ وكانت تدعى « هيلين » ـ فقد خطبها شقيقه « مينيلاوس » فظفر بها وصار وريثا لعرش اسبرطة فى آن واحد !

وكان ملك اسبرطة الشيخ قد ادرك بفطنته ، ان زوج هيلين ـ التى كانت تعتبر اجمل نساء الارض قاطبة ! ، لا بد أن يتعرض بسبب جمالها لكثير من الاخطار والاحقاد ، فاقترح على جميع خاطبي ود هيلين ـ قبـــل أن يزوجها من أحدهم ـ ان يقسم كل منهم قسما لاحنث فيه على أن يرضـــخ لحكمه فلا يحاول التعرض لها فيما لو صارت من نصيب سواه ، بل وأن يخف لمساعدة الزوج الذى يظفر بها على استردادها ، فيما لو خطفهـــا عاشق حسود ! .

وسنرى أن ذلك القســم كان السبب فى نشوب حرب طروادة . !

وتم زواج هيلين من « مينيلاوس » الذى صار الآن ملكا لاسبرطة ، وعاش الزوجان أعواما سـعيدين .. وذات يوم نزل ضيفا عليهمـا فى قصرهما أمير شاب من أمراء طروادة ، ولـم يكن الامير سوى الراعى الوسيـــم « باريس » الذى منح افروديتى تفاحة « الجمال » الذهبية فوعدته بأن تمنحه بدورها أجمل نساء الارض ، وتنفيذا لوعدها نصحته بأن يعود الى قصر أبيه ملك طروادة فيعرفه بنفسه ويحصل منه على السفن اللازمة كي يقـــوم برحلة بحرية الى بلاد اليونان حيث تقيم هيلين « اجمل نساء الارض » !

... فقد كان من سوء المصادفة ان الفاتنة التى وعدته بها افروديتى كانت زوجة لسواه لكن عقبة « تافهة » كهذه ما كانت لتعوق الهة عن الوفاء بوعد قطعته على نفسها ! ... وهكذا ، بتأثير تحريض ربة الحب والجمال ، انتهز الشاب « باريس » فرصة غياب مضيفه مينيلاوس عن القصر . فاختطف زوجته « هيلين » وفر بهـــا الى طروادة ! .

وكانت خيانة وضـــيعة من جانب الضيف ، فان مضيفه كان قد استقبله بكل مظاهر الترحيب اللائق بالامير الشاب ، وأكرم وفادته كأعظم مـــا يكون الاكرام ! فلما عاد من غيبته وعرف نبأ فرار زوجته مع ضيفهما ، بادر فأرسل رسله على عجل الى جميع طالبى يد «هيلين» السابقين ، مذكرا اياهم بقسمهم القديم على نجدته فى مثل هذا الظرف بالذات !

وهرع الجميع من فورهم اليه ، ودعا رؤساء العشائر لابداء رأيهـــم فى الموقف الحربى الذى قد يتطـور اليه النزاع ، فوقع اختيار المجتمعين على « أجاممنون » ـ زوج شقيقـة هيلين ، وشقيق زوجها ـ كى يكون قائدا لهم فى عراكهم المقبـــل ... وبفضل دهاء أحد الحاضرين ، وهـو « أوليسيوس » ملك احد الاقـــاليم

المجاورة – ضم الى صفوفهم البطل الصنديد « أخيل » ابن الحورية « ثيتيس » ·· وهو الذى كانت الاقدار تنبأت له بأنه سوف يصير أعظم من أبيه !

وهكذا التأم شمل جيش الاغريق ، بقيادة « اجاممنون » واخذ أهبته للابحار الى شاطىء آسيا الصغرى – حيث تقع طروادة – لمهاجمتها وكسر شوكتها ·· ولكن فى اللحظة الاخيرة هبت رياح مضادة عاقت تحرك السفن التى تحمل الجيش المهاجم ·· واستمر هبوب تلك الرياح أياما طويلة ، بحيث لجأ القوم آخر الامر الى استشارة عراف فى صدد ما ينبغى فعله لارضاء الالهة التى تصب عليهم جام غضبها على هذا النحو ! فافتى العراف بأنه لاسبيل الى ارضاء الالهة غير التضحية بابنة « اجاممنون » الكبرى على مذبح الفداء لوطنها! ولم يكن بد من الرضوخ لحكم الاقدار، فارسل الاب التعس الى زوجته يطلب حضورها ويصحبتها ابنتهما الكبرى ، دون أن يصارحها بالسبب !

وحضرت الاثنتان ·· وكانت الابنة مخطوبة للبطل الشاب « أخيل » فلما علم بفتوى العراف حاول عبثا انقاذ خطيبته من مصيرها المفجع ، ولكن القوم هاجوا عليه ، وفى مقدمتهم اخلص انصاره ، واتهموه بخيانة وطنه ! وكادت تنشب فى صفوفهم فتنة عمياء ·· لولا أن حسمت الفتاة الموقف ، هاتفة بامها – والتعبير هنا للشاعر اليونانى « يوريبيديس » فى مسرحيته الخالدة التى استوحاها من الاسطورة : « اماه لقد أمعنت الفكر فى الامر – اصغى الى : انى ساختار الموت ، وساختاره راضية ، فلقد محوت الخوف من قلبى محوا ·· ان الالهة تطلب حياتى ، فهل املك لطلبها رفضا ؟ اذن فلتكن حياتى فداء لوطنى ولتنطلقوا لغزو طروادة ! »

ثم تمضى العذراء الى حتفها !

ويتغير اتجاه الريح ، فتنطلق « الالف سفينة » التى تحمل جيش الاغريق نحو غايتها ، تمخر عباب بحر قاتم ، اكسبت الظلماء ماءه لون النبيذ !

وبذلك تبدأ حرب طروادة المشهورة !

● تبدأ الالياذة حول فكرة معينة وثيقة الاتصال بغضب أخيل ، ذلك أنه كان قد رفض أجا ممنون أن يعطى ابنته خروسايس الى كاهن أبولو · غير أنه فى مقابل ذلك يطالب أجا ممنون بأن يعطى بريسايس احدى أسيرات أخيل · الا أن أخيل يعتبر هذا الطلب مسبة وعارا له فيغضب ويرفض الاشتراك فى القتال ثم يذهب الى خيمته ويقبع فيها يؤيده فى ذلك الرب زوس الذى كان يشجعه على هذا المسلك ·

● ثم يأتى زوس الى اجاممنون فى نومه ويخبره بأن هناك أحداثا جساما ستقع · ومن ثم يعقد اجاممنون العزم على القتال ويجمع الملوك والرؤساء للتشاور فى هذا الامر ، وبعد هذا المجلس الصغير يعقد المجلس الكبير الذى هو مجلس الشعب المكون من جميع المحاربين البالغين سنا معينة لا تقل عن العشرين · يتظاهر اجاممنون بادىء ذى بدء برغبته فى الرحيل ويؤيده الجميع فى هذه الرغبة ويبدون استعدادهم لذلك ويعدون العدة للرحيل وبينما هم على هذا العزم اذ يجيئهم أوديسيوس فيفند من عزائمهم ويشجعهم ويقدم لهم النصائح ويحثهم على القتال فيغير من رأيهم ويحملهم على مواصلة القتال ·

● يستفز باريس الآخيين ويحملهم على القتال ، ولكنه يفر أمام مينيلاوس ملك اسبرطة فيؤنبه هكتور ويوجه اليه



الالياذة

اللوم على هروبه فيتفقان على أن تكون هيلينا من نصيب المنتصر • وتتقدم هيلينا على حصون طروادة ، وتشرع هلينا في عد أسماء الملوك والزعماء والرؤساء اليونانيين لبريام والد باريس وهكتور ، ويبدأ القتال • ولكن ربة الجمال افروديتي تأتي وتخطف باريس من بين براثن الموت مؤنبة امرأته هيلينا على ذلك ، غير انها من فرط حبها له تنسى هذا التوبيخ وترضى عنه ، وتعود الى الوفاق معه • أما اجاممنون فيطالب بتنفيذ المعاهدة •

● وتحصل الربة « هيرا » على موافقة زوجها زوس برجوع حالة الحرب بين اليونان وطروادة وتقترح الربة أثينا على بنداروس أن يصوب سهما نحو ديوميديس ملك اسبرطة فيصيبه السهم ويجرحه ولكنه لا يموت من آثار الجراح • أما أجا ممنون فيحض جنوده على القتال الذى يعود الى ما كان عليه

● تتناول أعمال البطولة التى قام بها ديوميديس بن توديوس • وبالرغم من جراحه التى أصيب بها فانه يواصل القتال فى حماس عظيم بفضل مساعدة أثينا ، ويتمكن من قتل بنداروس ويجرح اينوس فتأتى افروديتى وتنقذ ابنها اينوس ، بيد أنها تجرح هى الاخرى فتصعد الى جبل اوليمبوس وعندئذ يظهر أبولو وينقذ اينوس ويشفيه من جراحه• أما ديوميديس فان أثينا تحثه على القتال حتى يتمكن من جرح اريس •

● يأخذ أهل طروادة فى التقهقر والتراجع ويترك هكتور ميدان القتال بعد أن ينصحه بذلك هيلينوس ، ثم يذهب هكتور لينصح امه هيكوبى ويتوسل اليها أن تذهب الى الربة أثينا للحصول على مساعدتها ثم يحرض هكتور باريس ويدفعه الى ميدان القتال ليحارب هناك ثم يودع هكتور زوجته اندروماخى الوداع الاخير •

● يستفز هكتور أشجع شجعان اليونان ويدعى أجاكس فتنشأ بينهما معركة لا تنتهى الى النتيجة ولكن على أثرها يعقد الطرفان هدنة لدفن الموتى ثم يأخذ اليونان فى تحصين معسكرهم فيحصنونه بسور وخندق ثم يأتى الليل مصطحبا معه حوادث جساما •

● ينهزم الأخيرون ، ذلك أن زوس أكبر آلهة اليونان يحرض الآلهة جميعا على عدم التدخل بين الطرفين المتعاركين ويدعوهم الى التزام الحياد فى هذا القتال • أو هو يعود الى مكانه فوق جبل ايدا ويصعد اليه ليرى من فوقه الجيشين المتحاربين • وكان القتال بينهما سجالا فى باديء الامر ثم انتهى بنتيجة ايجابية وهى انتصار جيش طروادة ، فاضطر اليونان بعد هزيمتهم الى التراجع نحو تحصيناتهم كما حاول أجا ممنون أن يشد من أزر جنوده وتقوية روحهم المعنوية • بيد أن هكتور ظل منتصرا ومن ثم حاولت الربة هيرا والربة أثينا التدخل فى القتال فمنعهما زوس ولما اقبل الليل فصل بين المتحاربين وعسكر الطرواديون فى السهل •

● يجمع اجاممنون الزعماء ويعقد مجلسا ليأخذ رأيهم ثم يقترح عليهم الرحيل ومغادرة أرض طروادة • ولكن يعارضه فى هذا الرأى كل من ديوميديس واوديسيوس ثم يقترح نسطور أن تبذل الجهود لعقد الصلح مع أخيل• فيقبل اجاممنون هذا الاقتراح ويعلن استعداده الى رد بريسايس التى كان قد أخذها من أخيل على أن يعطيه بعض التعويضات لارضائه • ويقرر المجلس ارسال سفراء الى أخيل ، وقد أحسن مقابلتهم ولكنه رفض الاشتراك فى القتال فى جانب الاغارقة •

● يعقد زعماء اليونان مجلسا

جديدا ويقترح البطلان ديوميديس وأوديسيوس في هذا المجلس أن يأخذا على عاتقهما مهمة الذهاب الى معسكر جيش الطرواديين للتجسس على ما يقوم به ذلك الجيش من استعدادات حربية. ولكن هذين البطلين يقابلان رجلا من طروادة اسمه دولون أرسله هكتور للتجسس على جيش اليونان ونقل أخباره الى الطرواديين ·

فيخاف هذا الجاسوس على حياته عند مقابلته للبطلين اليونانيين ومن ثم يكشف عن أسرار جيش طروادة أملا في النجاة بحياته من الخطر المحدق به ومع ذلك يقتله ديوميديس ثم يعود البطلان الى معسكر اليونان ·

● تدور المعركة من جديد بين الجيشين · وفي هذه المعركة يظهر أجاممنون كثيرا من الشجاعة حتى يضطر أهل طروادة الى التراجع الى تحصيناتهم · ولكن أجاممنون يجرح ويصبح غير قادر على مواصلة القتال لذلك ينتصر أهل طروادة من جديد ويجرح أوديسيوس وديوميديس · وأخيرا يرسل الملك نسطور بتروكلوس أعز أصدقاء أخيل الى هذا الأخير ليوقفه على الهزائم التى نزلت باليونانيين أملا من وراء ذلك أن تأخذه الشفقة باليونانيين فيعطف ويعود اليهم ليناصرهم ويساعدهم في هذا القتال العنيف ·

● يقترب الجيش الطروادي من تحصينات الجيش اليوناني ويستعد لعبور الخندق ولكنه يفشل في أول الامر ثم يتمكن أخيرا من فتح ثغرة في الأسوار بالرغم من دفاع اليونانيين المستميت وخصوصا دفاع البطلين أجاكس وأوديسيوس · وكان يقود الطرواديين ساربيدون وجلاوكوس ثم تمكن البطل العظيم هكتور من اختراق معسكر اليونانيين ويتبعه الطرواديون حتى يصلوا الى داخل معسكر الاغارقة نفسه ·

● تقوم معركة بجانب الاسطول وهنا ينصرف الرب زوس انصرافا مؤقتا عن الحرب ، ولذلك ينتهز الرب بوسايدون هذه الفرصة ويهبط من أعلى قمم جبال أوليمبوس لمساعدة اليونانيين في محنتهم هذه · وبعدئذ تدور معركة بحرية كان فيها الجناح الايمن للأسطول اليوناني تحت قيادة ايدومينيوس والقلب بقيادة أجاكس · وتدور رحى موقعة بحرية عنيفة تسيل فيها دماء الطرفين · وأخيرا يتقهقر الجيش الطروادي قليلا · ولكن هكتور يجمع الرؤساء والزعماء ويستشيرهم في هذا الموقف العصيب ويقرر بعد أخذ رأيهم مواصلة القتال ثم يتحدى أجاكس هكتور وتبدأ المعركة من جديد أشد هولا مما كانت عليه ·

● تدور الحوادث الرئيسية بعد ذلك حول الحب الذى بين كبير الآلهة وهيرا · وكما يوافق اليونانيون على رأى ديوميديس القاضي بمتابعة القتال· ولكن هيرا تأخذ في تجميل نفسها لانها تريد ان تفتن كبير الآلهة فتستعير من أفروديتي ربة الجمال الزنار الذى تربط به خصرها وتستدعي اله النوم من جزيرة ليمنوس وتقترح عليه تنويمكبير

أثينا ربة الحكمة



الالياذة

الالهة فينام زوس ويغفل عن الحــــرب فينتهز بوسايدون هذه الفرصة ويساعد اليونانيين مساعدة جدية حتى ينقلب الموقف في صالحهم ويتمكن اجاكس من جــرح هكتـــــور • اما الطروادبون فيتقهقرون ويدفعهم اليونانيون بعيدا عن الاسطول بقيادة البطل اجاكس •

● عندما يستيقظ زوس من نومــه يحتد على هيرا ويرسل ايريس وابولو لمساعدة جيش طروادة • عنــدئذ يترك الاله بوسايدون ميدان القتال فيخــلو الجو أمام أبولو ويتمكن من شـــفاء هكتور وبث روح الثقة بين الطروادبين وادخال الرعب والفـــــزع في قلوب اليـــونان وتشجيع جيش طروادة حتى يتمكن من الوصول الى داخل المعسكر اليوناني • ثم يذهب بتروكلوس لمقابلة اخيل كي يرجوه أن يساعد اخوانه في الجنس واللغـــــة والدين ثم يدافـــع اليونانيون عن معسكرهم دفاع المستميت وفي هذه الاثناء يستعد هكتور لايقـــاد النيران في سفينة بروتيسيلاوس •

● يعطي أخيل بتروكلوس حلتــــه الحربية لادخال الرعب في قلب جيش طروادة بشرط الا يستخدمها في المعركة بل يكتفي بالظهور بهـــــا لبث الرعب والخوف • ولكن بتروكلوس ينسى وعده ويقود هجوما عنيفا على الطروادبين وينجح في قتل ساربيدون • ولكن ابولو ينتزع منه السلاح الذي كان قد أعطاه اياه أخيل ، فيتمكن هكتور من الاجهاز عليه •

● ييأس أخيل عنـــدما يعلم بخبر موت بتروكلوس ولكن أمه ثيتيس تعزيه في مصابه وتعده أن تحضر له أسلحة جديدة تعوضه بها عن الاسلحة التي سبق أن أعطاها لبتروكلوس كما تعده بأنهـا ستساعده على خصمه العنيد هكتور على أن يتم ذلك بعد يوم ثم تذهب الى جبل أوليمبوس وترجو هيفايستوس الحـداد أن يصنع لها هذه الاسلحة • ثم يخرج أخيل من خيمته وهو يصيح عاليا ومنظره غاية في الرعب حتى خاف أهل طروادة على انفسهم فولوا الادبار • ثم يقضي اليونانيون تلك الليلة في معســكرهم باكين نائحين حول جثة بتروكلوس • وأخيرا تصل ثيتيس من جبل أوليمبوس ومعها الاسلحة التي وعدت بها ابنهـــا أخيل •

● تقوم محاولة صلح أخيل مـــــع اليونانيين • فيعقدون مجلس الشعب وهو عبارة عن جميع رجال الجيش في ذلك الوقت ثم يقف أمامه أخيل ويعلن على أسماع جميع أعضاء هذا المجلس نياته الطيبة وحسن استعداده لخدمة اخوانه الآخيين ثم يخلفــــــه في دور الخطـــــابة أجاممنون الزعيم الاكبر ويعترف الاخير علانيــــــــة بالاخطاء والذنوب التي سبق أن ارتكبها في بادىء هذه الحملة ثم يتقدم نحو أخيل ويربت على كتفيه ويعرض عليه هدايا ثمينـة جداً ولكن أخيل يرفضها رفضاً باتاً في اباء وشمم وعندئذ يتقدم اليه أوديسيوس ويلح عليه بشدة في أن يقبلها فيضطر أخيل الى أن يقبلهـا ثم نرى بريسايس تعود الى سفينة أخيل باكية ويشاركها في هذا البكاء صديقها أخيل وكلاهمـا يبكي على هذا المصاب الفادح بفقدهما العزيز بتروكلوس ثم تعلن الى أخيــــل نبوءة بأنه سيموت قريبا غير أنه لا يهتم بهذه النبوءة لانه كان قد صـمم على الانتقام لصديقه بتروكلوس ويريد اشباع نهم هذه الرغبة •

● يسمح زوس للالهة بالاشتراك في هذه الحرب فتنقسم الالهة قسمين فريق مع اليونانيين وفريق مع الطرواديين • كان مع الآخيين هيرا وأثينا وهيرميس ، وكان مع الطرواديين اريس وأرتيميس وابولو وافروديتي •



زوس يرمى صواعقه

يتقدم ابولو بالنصيحة الى اهل طروادة ويشجع اينوس على مبارزة اخيل كما انه ينصح هكتور بعدم مبارزة اخيل او مقاتلته . فيركن هكتور الى نوع ما من الهدوء ولكن اخيل يقتل اصغر اخوته واسمه بولودوروس اصغر ابناء بريام ملك طروادة . فيتحمس هكتور من جديد ويريد أن يثأر لأخيه وبينما هو يستعد يسرع اليه ابولو املا فى انقاذه من الخطر الذى يكاد يتعرض له هكتور ثم يمعن اخيل فى قتل عدد كبير جدا من جيش طروادة .

● تتجلى بعد ذلك هزيمة الطرواديين وتأخذ الربة أثينا فى تشجيع البطل أخيل غير أن الخطر يحدق به . فتتقدم هيرا وترسل هيفايستوس لانقاذه من براثن الموت . ثم تأخذ الالهة فى محاربة بعضها البعض الاخر ، وبعد ذلك تعود جميعها الى جبل اوليمبوس وتترك ابولو وحده فيتمكن الاخير بمكره من مساعدة أهل طروادة وانقاذهم من الخطر الذى اشرفوا عليه .

● يعود أخيل ويقترب من أسوار مدينة طروادة ويتقابل مع البطل هكتور الذى يحتل فى دخيلة نفسه حب منافسة البطل أخيل . ثم يقترب أخيل من هكتور ويظل يقترب رويدا رويدا الا أن منظر أخيل كان غاية فى الهول والرعب فيخاف هكتور على نفسه عندما يرى غريمه ويهرب مسرعا . ولكن أخيل يعدو وراءه ويستمر الاثنان فى هذا العدو حول أسوار المدينة ثلاث مرات وأخيرا يزن الاله زوس مصير البطل هكتور فى كفة من كفتى الميزان ومصير أخيل فى الكفة الاخرى ويوازن بين الكفتين . وأخيرا يصمم زوس على التخلى عن هكتور ويلقى به الى الربة أثينا . لذلك يفلح أخيل بعد تخلى زوس عن هكتور من قتل هذا الاخير ونزع الملابس التى كان يرتديها . ويتمادى فى جر الجثة حتى يصل بها الى الاسطول . أما أهل طروادة وخصوصا أسرة هكتور وهم أبوه بريام وأمه هيكوبا وزوجته أندروماخى فانهم يبكون عليه بكاء مرا .

● يخيم اليأس على أخيل من فرط حزنه على فقد صديقه العزيز بتروكلوس الذى كان يحبه حبا جما . لذلك كان يريد أن يشبع غريزة الانتقام المتولدة فيه فلا يكتفى بقتل هكتور بل يريد أن يمثل بجثته تمثيلا شنيعا لذلك نراه يجر جثة هكتور ويطوف بها مرارا حول مقبرة بتروكلوس . ولكن كبير الالهة زوس يتدخل من جديد فى صالح أهل طروادة ويأمر أخيل باعادة جثة هكتور الى أهله وأبناء عشيرته وارجاعها الى أبيه بريام ثم يبعث الرسل الى بريام ليبلغه الخبر ويطلب الرسل منه أن يذهب لشراء ما بقى من جثة ابنه . فيذهب بريام متنكرا الى أخيل دون أن يعلم أهله وعشيرته شيئا عن هذا المسعى اذ يذهب بريام بارشاد هيرميس فيتقابل مع أخيل الذى يوافق أخيرا على أن يتسلم الاب جثة ابنه هكتور ويعود بها الى طروادة .

أنا ربيعك

كرمى لأهدابكِ السمراءِ ما كتَبـــا
يراعيَ السَّمحُ ، يا للعاشـــقِ الهُدُبا !
غمست ريشته الهيفـــاءَ في حُـــرَقي ،
فما تبرّم من شـــوقٍ ، ولا غَضِـــبا !
أنا ربيعُـــكِ ! لم يدفأ لنـــا حُـــلم
لو لم تذيعي على أعطـــافِه اللَّهَبـــا
أما عقدنا على نيســـانَ عُمرَ هوىً ،
لا رقَّ نيسانُ لولاهُ ، ولا صَـــعُبا
وكان أشرقَ في نُعمـــاكِ ما غَـــرُبا ،
أغابَ ما آب ، أم ضـــاقَ الذي رَحُبـــا
أم بِتِّ بعديَ ، يَنســـابُ الخريف على
رصيفِ عمركِ ، منسيُّ الهـــوى ، تَعِبا ! ؟

***

يَراعيَ السَّمحُ لم يُرخِص مَدَامِعَـــه
لمّا أرَقَّ هوىً ، في عمره ، احتجَبَـــا
ضـــحكتِ فانســـابَ من أهدابهِ ألقٌ
لم يَبْرَحِ الأفقَ حتى أشـــعلَ السحُبا
ويوم أن شحبَتْ ، في البال ، خـــاطــرةٌ

فوزى عطوى

بانَ الذى كانَ ، وارتاح الذى تَعِبا !

***

يَراعتى السَمْحُ ، هذا آنُ صبوتِه ،
لولا التباريحُ ما كانَ اليراعُ صَبَا
ما نفحةٌ منكِ إلا دفءُ أغنيةٍ
تأدَّب الحبّ ، إذ رقرقتِها طَرَبا
نثرتِ بعضَ شموخ الحبّ في نغمي ،
فرحتُ أنثرُ ، في ألحانيَ ، الشهبا !
لعبتُ بالشعر ، سلسلتُ الغناءَ رُقىً ،
هتفتُ بالحبّ : « زُقْ القلبَ » ، فانسكبا
فكيف أمضغُ أحلامي وأخيلتى ،
وكيف أصبحُ ، في دنياكِ ، مغتربا ؟ !
ماهمّ ، ضعْت شذا ، أم ضِعتِ عن سُبُلى
إن عُدتِ عُدتُ ، فلسنا في الهوى غُرُبا !
آليتُ أعفيكِ من شجوى ومن عتبى ،
وكنتُ أخلصُ من أشجى ومَن عتبا
لأجلِ ما كانَ من حبٍّ ومن مُتَعٍ ،
من كانَ عذّبَ أشواقى ، فقد عذُبا !!

الملاحم في الأدب الانجليزى

قليل من يعرف ان الأدب الانجليزى القديم – على قلته – يحتوى على ملحمة كاملة تكاد ترتفع الى مستوى الالياذة والاوديسة ... فكل مالدينا من الشعر الانجليزى القديم الذى كتب قبل العصور الوسطى باللغة الانجليزية القديمة المسماة « انجلو ساكسون » هو ٣٠٫٠٠٠ بيت . فالأبيات تحتوى على ملحمة كاملة في مخطوط واحد يبدو عليه اثار تعرضه لحريق فى يوم ما ولكنه انقذ ليتعرف العالم على حضارة الانجليز الساكسون من خلال ملحمة البطل « بيولف » .

ولقد كانت الجزيرة البريطانية فى القرون الثلاثة الاول التالية لخروج الرومان فى القرن الخامس لاتنتمى تماما الى العالم المتحضر ، وان كانت هناك ممالك صغيرة متفرقة كالواحات في وسط الصحراء : ممالك صغيرة دانت بالمسيحية فاتصلت بالعالم المتحضر . كما كان هناك عديد من الاديرة التى كانت خلايا حية للعلم والدراسة . وكانت الممالك صغيرة تتكون من الملك ومن حوله مجموعة من النبلاء يكونون مجتمعا له تقاليده وعاداته ومثله العليا وقيم يدافع عنها . والملحمة الموجودة تعطى صورة لهذا المجتمع .

وهناك من الدارسين من يعتقد أن الملحمة تكونت على مر السنين من تراث الادب الشعبى ، وانها بدأت تنشد شفاهة فى القرن السادس الميلادى ثم دونت فى القرن الثامن حين ادخل عليها بعض من القصص والمفاهيم المسيحية . ولكن الرأى الغالب انها ملحمة ادبية من خلق شاعر واحد يرتكز على كثير من التراث الشعبى للقبائل الجرمانية المنتشرة فى شمال أوربا والبلاد الاسكندنافية ، كما يستعين ببعض قصص من تاريخ هذه الشعوب ولكنها

عمل خلاق يحقق ما تحققه ملاحم العالم من انها تعبر عن عادات وتاريخ شعب باكمله ..

وتنقسم الملحمة الى قسمين الاول يحكى قصة انتصار البطل « بيولف » على الوحش الآدمى « جرندل » .، والثانية تحكى انتصاره على التنين الذى كان يهدد مملكته .

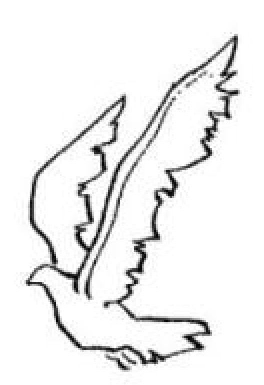
تبدأ الملحمة بعرض تفصيلى لجنازة « سكيلد » المؤسس الاسطورى لملوك الدانمرك . وبعد الانتهاء من مراسيم الجنازة يبنى الملك الانجليزى هروثجارت قاعة كبيرة اطلق عليها اسم هيروت ، يقيم فيها الولائم ويعقد الاجتماعات مع اتباعه . وكان البهو هو مركز الاشعاع الحضارى فى المملكة . ولكن وحشا نصف آدمى يدعى « جرندل » اغضبته أصوات المرح والحياة المنبعثة من البهو ، فيهجم على القاعة ليلا ويقتل ثلاثين من رجال الملك . ويعيد الوحش الكرة مرة بعد مرة ، والملك ومحاربوه عاجزون عن ردعه ، حتى خيم السكون على القاعة وانفض النبلاء من حول مليكهم ، واصبحت القاعة رمزا للهزيمة والاسى ... واستمر الحال على ذلك فترة حتى وصلت انباء هذا الوحش الى « بيولف » وهو ابن اخ ملك الجيت

د. هدى حبيشة

وهى سلالة مقيمة فى جنوب السويد ، ويقرر البطل أن يساعد «هروثجارت» فيبحر مع اربعة عشر من رجاله الى هيروت . وهناك يقيم لهم هروثجارت وليمة ضخمة يصف تفاصيلها الشاعر الملحمى باسهاب ، ثم بعد انتهاء الحفل يقبعون فى انتظار الوحش .

وعندما يأتى المساء يهجم الوحش ويدفع الباب عنوة ويقتل ويأكل احد اتباع بيولف ، ثم يستدير ليهجم على البطل ولكن هذا يمسك به . وبعد معركة عنيفة يصف الشاعر تفاصيلها باسهاب ويمدح قوة البطل الجسمانية ـ يستطيع بيولف ان ينزع احد ذراعى الوحش نزعا ، ويهرب الوحش جريحا ليموت فى عرينه ..

وتقام الاحتفالات لتكريم بيولف ورجاله . وهنا يمدح الشاعر واحدة



من الأحداث العرضية التي هي من اسس تكوين الملاحم ليجعل شاعر الحفل ينشد قصة من تاريخ الشعب الفنلندي . وهي تقص بطريقة تدل على ان جمهور المستمعين في القاعة وجمهور الشاعر الملحمي اصلا ملمون بهذا التاريخ ، حيث ان قارئي الملحمة من الدارسين لم يستطيعوا تتبع الأحداث الا بالرجوع الى مخطط آخر كتبت فيه تلك الحوادث بالتفصيل . وان هذا لدليل على ان الملحمة كتبت لمجتمع متكامل ذي تراث واحد .

الملاحم في الأدب الإنجليزي

وبعد انتهاء الحفل ينام الابطال فتهجم على القاعة أم جرندل لتنتقم لموت ابنها فتخطف واحدا من أعز أصدقاء البطل ... وتذكرنا هذه الواقعة بموت صديق أخيل في الالياذة .. وعندما يكتشف بيولف هذه الحقيقة في الصباح يخرج وراء هذا الخطر الجديد ويتتبعها الى قاع البحيرة حيث تعيش . ومرة أخرى يصف الشاعر صراع البطل تحت الماء حتى يتمكن من القضاء عليها في وكرها ثم يجد جثة جرندل في قاع البحيرة فيفصل الرأس عن الجسد بضربة سيف ويعود بها منتصرا الى هروثجارت .

ومرة ثالثة تقام الاحتفالات ويلقي هروثجارت خطابا طويلا من تلك الخطب التي تعج بها الملاحم ولكن خطبة هروثجارت تمتليء بالنصائح والعظات عن الحياة ودور الانسان فيها يظهر من خلالها القيم المسيحية الى جانب القيم البطولية . ثم يغدق الهدايا على بيولف وأتباعه . هدايا تدل على عالم بلغ درجة عالية من المهارة في معالجة الذهب والفضة .

وعندما يرجع بيولف الى بلده وملكه تقام الاحتفالات ثانية ويقص خلالها مغامراته بتفاصيلها ثم يقدم ما نال من هدايا الى الملك الذي يبادله الهدايا بهدايا أخرى ، كل ذلك مصحوبا بخطب وطقوس تدل على درجة من الحضارة والرقي الاجتماعي

والى هنا تنتهي المغامرة الاولى لبيولف وهي كما نرى عبارة عن تمجيد البطل الفردي الذي عليه بمفردة حماية مجتمع بأسره والمجتمع يبجله ويكرمه . والعلاقة بين الاثنين علاقة تربطها الصداقة والشهامة والكرم المادي والمعنوي

●●●

أما المغامرة الثانية التي تدور حوادثها في الجزء الثاني من الملحمة، فحوادثها تقع بعد مرور أكثر من خمسين عاما على حوادث المغامرة الاولى . يكون بيولف قد أصبح ملكا على « الجيت » بعد موت الملك وابنه في حروب بين السويد والفرنسيين . ويحكم بيولف مملكته في سكينة وهدوء لمدة خمسين عاما .. وفجأة يظهر تنين خطير يدمر الحياة من حوله تدميرا ! لقد كان التنين ساكنا يحرس كنزا ثم جاء أحدهم وحاول الوصول الى الكنز فثارت ثورته وأخذ يبث نيرانه متجولا في انحاء مملكة بيولف .

ويقــرر البطل العجوز الخروج لملاقاة التنين بمصاحبة احد عشر نبيلا من اتباعه · وكما هو الحــال فى كل الملاحم يخطب خطــابا طويلا يذكر بشبابه وبأحداث تاريخية عن العداء القديم بين السـويد والجيت : ثم تبدأ مبارزته للتنين ، ولكن ســيفه ينكسر · وامام هذه المصـيبة يهرب اتباعه فيما عدا واحد يدعى ويجلاف ويتمكن الاثنــــان معا – فى معركة طويلة موصوفة بتفاصـيل كثيرة – من القضــاء على التنين بالرغم من لهبه ولكن بيولف يكون قد أصـيب بجراح مميتة ويلفظ آخر انفاسه بين ذراعى صديقه ·

ويخطب الصديق خطبة ثائرة لاعنا الأعوان الهــاربين – ففى الملحمة خطب بقــدر ما هنــاك من معارك · ويبعث برســول يتنبىء القوم بموت مليكهم · ·

وفى خطاب ملحمى آخر يتنبــأ الرسول بالمصائب التى ستحل بالقــوم بعدموت بيولف وهذا الخطاب الخاص بالمستقبل هو جزء من تفاصــيل الملاحم فالملحمة تلم بتاريخ الشـعب إلماما كاملا · ويقص كيف أن الحروب ســتندلع بينهم وبين الســويد والفرنســيين · وأنهم بعد موت بيولف سيأخذون بكل مالهم من ثأر تاركين الجيت شـعبا يحس مرارة الهزيمة ·

ويزور القوم المكان الذى مات فيه مليكهم ويسـتولون على الكنز الذى أصــبح مباحا بعد موت التنين ثم يلقون بجثة التنين فى البحـــــر ويقيمــون كومة عالية من الحطب يحرقون عليها جثة الملك البطـــل ، ثم يقيمــون تلا على الأنقاض الحـريق يضعونه فوق الكنز ويبدأون مراســم الجنــازة ويطوف اثنا عشر محــارب من محــاربى بيولف بكل مكان فى المملكة ينوحــــون الملك الراحل ويمتدحون خصاله ويبكون موته ·

ولا شك أن هناك نوعا من البدائية فى الشــخصيات الخـرافية التى تهدد المجتمع فهى تذكرنا بالغــول والعنقــاء ، الى جانب انها تبدو مفككة فى انقســامها التــام الى مغامرتين لا علاقة للأولى بالثانية · ولكن أحــــد المتخصصين فى اللغة الانجلو ســاكسونية اســتطاع فى تحليله للملحمة أن ينبه الى أن ما قد يبدو بدائية هو فى الواقع عمل واع · فمثلا اشار الى أن بناء الملحمة لا يقوم على السرد البسيط بل على اسس المقابلة والمقارنة · فالملحمة تبدأ بجنازة وتنتهى بأخرى ، والقصـــــة الاولى تقدم البطل فى شبابه والثانية فى كهولته ·· والشــخصيات الخرافية تحمل دلالات رمزية · فالوحش الأول كمــا تقول الملحمة من ســلالة قابيل وصراع البطل فى هذه الحــالة هو صراع الخير ضد الشر ·· واذا كان البطل يتحطم فى النهاية فما ذلك الا لأن الخير لا يســتمر منتصرا الى النهاية بمفرده · ثم أن الانسان قــد يستطيع أن ينتصر على الشر المجسم خارجه – الوحش والتنين – ولكن نهاية الملحمة تبين أن الانســان لن يستطيع أن يتغلّب على الشر النــابع من داخله · فان القصص التاريخية المتناثرة داخل الخط القصصى والتنبؤات الاخيرة تثبت أن ما يحطم الانسان هو الانســان نفسه وليس هناك بطل لينقذه من عدائه لاخيه الانسان ·

والغريب فى الأمر انه بالرغم من ان الملحمة كتبت فى انجلترا ومؤلفها انجليزى ســاكسونى واللغة التى

يكتب بها هي « الانجلو ساكسون » اللغة الانجليزية القديمة ، الا انها مبنية على تاريخ الجرمان . وهي لا تذكر الانسان الانجليزي فهناك محاربون دانمرك وجيت وسويد بل وفلنتيون ، وحتى الشخصيات الاقل بروزا فهي اما من قصص واما من أساطير الشعوب الجرمانية ومع ذلك

فان القارىء يشعر بان الملحمة تحكي عن الانسان كما عرفه الشعب الانجليزي والمجتمع الذي يوصف هو ولا شك مجتمعه والقيم التي كان

الملاحم في الأدب الإنجليزي

يشيد بها هي قيمه ـ قيم المجتمع المعروف بالمجتمع البطولي .

وبيولف ملحمة « أصيلة » بمعنى انها كتبت لتمجد البطل في عصر كان محتاجا للبطل للدفاع عن كيانه وبمعنى أن الملحمة كانت هي

التعبير الطبيعي لشعوب لا تعرف الا الملحمة للتعبير عن مخاوفها وآمالها وقيمها ومعتقداتها . وكان المفروض أن تنتهي الملاحم بانتهاء

عصر البطولة الفردية ، العصر الذي يمجد البطل ذا القوة الخارقة الذي

يحمل مجتمعه على كتفيه ولكن بعد اختفاء الملاحم لعدة قرون عادت لتتسع هاما في العالم الغربي

فلقد اكتشف الغرب في عصر النهضة حضارة وفلسفة وادب الاغريق عند سقوط الامبراطورية الرومانية الشرقية على ايدي الاتراك .. اذ فر الى اوربا من فر من الدارسين الروم والاغريق حاملين معهم المخطوطات القيمة . وبدأت اوربا تدرس وتقيم هذه الحضارة وهذا الادب . ووصل اعجابها بالادب ـ وهو ما يخصنا في هذا الحديث ـ الى حد جعل منه المثل الاعلى الذي يجب أن يحتذى واستحوذت الملاحم على اكبر قسط من الاعجاب والتقدير وفاقت في تقدير الناس على جميع اصناف الادب الاخرى حتى التراجيديا . وأصبح امل كل من يطلب المجد والخلود ان يكتب ملحمة على نمط الملاحم الاغريقية . وكانت هناك محاولات عدة من كتاب عديدين لم تكتمل فيما عدا واحدة تلك ملحمة « جون ميلتون » الكاتب الانجليزي الذي أصيب بالعمى في منتصف العمر ومع ذلك استطاع ان يكتب الملحمة الادبية الانجليزية الوحيدة ـ « الفردوس المفقود » ...

ويفاخر الادب الانجليزي بهذه الملحمة اى فخر . فان الشاعر من اقوى الشعراء الانجليز له اسلوب مميز استطاع أن يحمله لهجة البطولة الضرورية للملاحم . ومع ذلك فالملحمة تحمل بعض القصور ، وبالرغم من الاعجاب الشديد بالكاتب فنجد دائما من يعثر عن هذا الضعف او ذاك .

والواقع أن الموضوع الذي اختاره ميلتون لملحمته موضوع شائك شديد الصعوبة .. فموضوعه هو « زلة الانسان الاولى » وما حدث له مع « تلك الثمرة الممنوعة » التي أدت به الى الخروج من الجنة بائسا معذبا لا امل له في العودة حتى أتى

من حمل عنه وزره وأعاد له أمله في الجنة ثانية الا وهو المسيح ٠

فملحمة الفردوس المفقود عبارة عن قصة الخطيئة والخلاص كما تقدم في التوراة والانجيل ٠ وبالرغم من أن الموضوع موضوع شائك الا

أن هناك من الأسباب ما جعل اختيار ملتون له مسألة تكاد تكون حتمية ٠ فالشاعر رجل شديد التمسك بالدين ألقى بكل ثقله مع حركة التطهريين التي قامت بحرب أهلية في انجلترا نتج عنها اعدام الملك واعلان حكومة عسكرية دينية ٠ ولقد انتمى ميلتون لهذه الحركة حتى أنه عزف عن كتابة الشعر فترة طويلة من الزمن ليتفرغ للدعاية لافكارها وفلسفتها الدينية ٠

ثم أن مقاييس عصره النقدية التي كانت شائعة حتى قبل قيام الثورة بخمسين عاما كانت تعتبر الكتابة في



المواضيع الدينية هو اسمى انواع الكتابة الأدبية ٠ ولقد سبقت فرنسا انجلترا وكتب شاعر من شعراء الدرجة الثانية يدعى « دى بارتاس » ملحمة الاسابيع حول قصص الانجيل

وحازت الترجمة الانجليزية لهذه الملحمة اعجاب وتقدير الخاصة كما نالت شعبية كبيرة بين العامة ، هذا بالرغم من أن المترجم سيلفستر

مثله مثل المؤلف الاصلي من شعراء الدرجة الثانية ٠ كان العصر باكمله يرى أن اسمى انواع الخلق هو كتابة الملحمة واسمى المواضيع هو المواضيع الدينية وبالتالي فليس ارقى من الملحمة الدينية ٠ لذلك كان اختيار ميلتون لموضوع ديني كما قلت يكاد يكون ضرورة حتمية ٠

ولكن ميلتون لم يحذ حذو « دى بارتاس » في أن يقص قصص الانبياء وقصة الخليقة كما وردت في التوراة والانجيل ، بل انه أطلق لخياله العنان وتصور أن صراع الخير والشر في الانسان هو صراع الملائكة التي قبلت السجود لآدم وعلى رأسهم يقودهم الرب ، ضد الملائكة التي رفضت هذا السجود وعلى رأسها الشيطان ٠ ورأى أنه ما دام يكتب ملحمة فلا بد أن يصور هذه المعارك على أنها معارك حقيقية تستعمل فيها الأسلحة والسيوف ٠٠ الخ ! ٠٠

ثم انه لكي يجعل الشيطان عدوا للرب اضطر أن يقدمه في صورة ملاك قوى العزيمة والشكيمة ، فالكتاب الأول يبدأ بوصف الشيطان

واتباعه وقد ألقى بهم في جهنم ٠ وهم لا يكادون يفيقون من هول الصدمة الا الشيطان الأكبر فانه يضيق وتأخذه العزة ويأبى أن يقبل

الهزيمة فيبدأ فى اثارتهم محرضا اياهم الا يقبلوا الهزيمة وفعلا ينجح فى اقناعهم فى خطاب من ابلغ الخطب السياسية فى الادب ، بل وايضا فى الحياة وصورة الشيطان كما رسمت اقنعت كثيرا من الرومانسيين بان ميلتون كان بقلبه فى صف الشيطان لا فى صف ربه ·

ولعل ما اكد هذا المفهوم هو ضعف الباب الثالث الذى فيه يقص ميلتون ما يحدث فى السماء · فلقد حاول ان يصف السماء وصفا مجسدا ولم يستعمل الرمز كما يجب ، فاذا يصوره الرب ، وفى ملحمته كملك من ملوك الأرض ، ثم انه حين يتكلم ويشرح ما سيحل بآدم وموقفه من هذه الخطيئة مسبقا يتكلم بمنطق ميلتون الانسانى · والمنطق الانسانى هناك من يستطيع الرد عليه · وعندما نصل الى البابين الحادى عشر والثانى عشر يخصصهما ميلتون لمستقبل البشرية من يوم الخروج من الجنة والسلالات المختلفة ثم تاريخ الانبياء ، ثم تدخل المسيح حتى نصل الى الجنة الموعودة · وهذا السرد الطويل فى النهاية خارج عن الصراع الذى دارت حوله الملحمة ، ويشعر القارىء انه تلخيص ليس الا لما ورد فى التوراة والانجيل ·

ليس معنى هذا ان الملحمة ضعيفة — فالى جانب المشاكل التى فرضها الموضوع ذاته هناك لحظات من أمتع ما كتب شعرا ، فلقد قدمت الجنة للقارىء من خلال عين الشيطان الحاسدة (الباب الرابع) فهو ينظر ويصف ويشعر بالاسى · ثم يرى آدم وحواء قبل الخطيئة فى براءة وعظمة وطهارة··· فلعل ميلتون هو الكاتب الوحيد الذى استطاع بخياله أن يعطى صورة كاملة للانسان قبل الاثم الاول وهى صوره تجعل القارىء يشعر بما فقده عند الخطيئة الاولى · وهذه الصورة يبرزها مرة أخرى فى الباب الخامس عندما يزور الملاك روفائيل ادم فى جنته فينشد جمال البراءه وروعة الانسان الذى خلقه الاله كاملا ·

والواقع ان اقوى الابيات هى تلك التى يركز فيها على الانسان اما فى براءته أو فى لحظة غوايته وحتى بعد الخطيئة · فان موقف الغواية موقف درامى من أسس المواضيع الأدبية وميلتون يعطيه كل حقه ·

نرى خلافا بريئا بين ادم وحواء أوحى به اليها الشيطان وقد نام الى جانبها ويفترق الاثنان للحظة لكنها اللحظة الحاسمة ففيها تقف حواء تحت الشجرة المشئومة وتسمع غواية



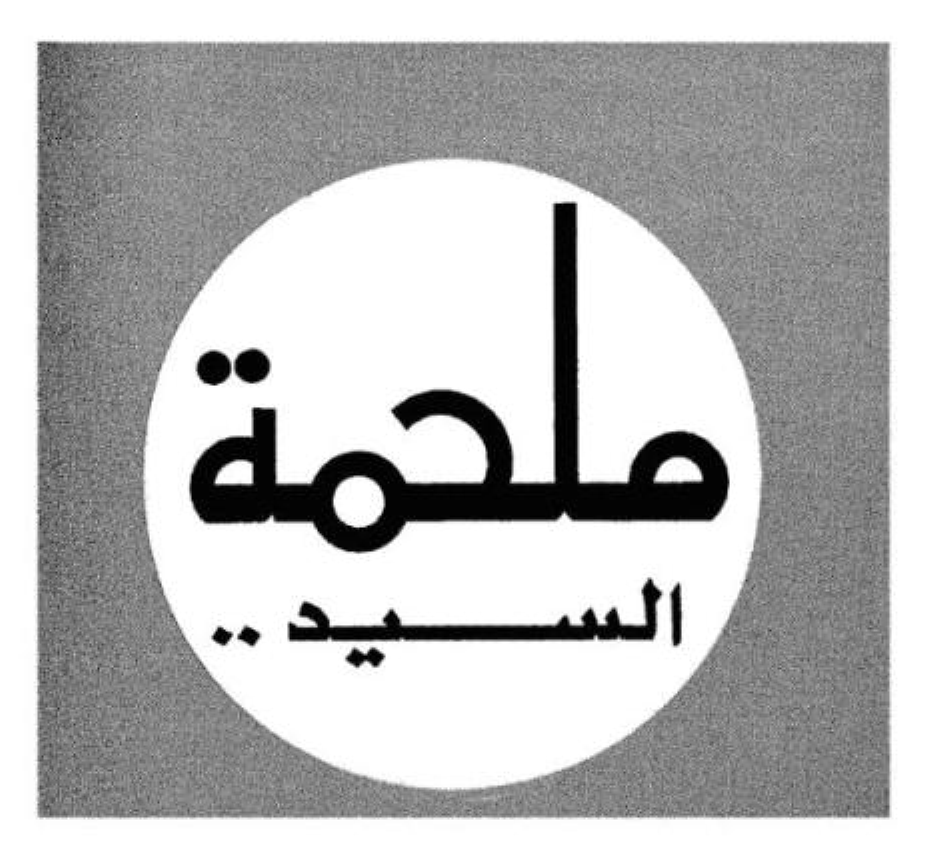
الشيطان . وميلتون يرسم حــواء على انها ســاذجة لا تعرف الغش ولا الخداع . لم تر شــخصا يكذب او تعرف معنى الكذب . من اين لها ان تعلم وهى التى لم تقــرب شــجرة المعرفة بعد ... فأثمت حواء . امــا ادم فان ميلتون صوره على انه اخطأ التصرف . فان حــواء لم تغوه بل اختار هو ان يتبعها حيــث ذهبت لانه كان يجهل ان بمقدوره ان ينقذها لو حافظ على براءته وتوسط لها . المهم لديه هو ان يبقيا معا ، ولــمـا لم ير امكان بقائهما بلا خطيئة اذن فليتبعهــا فى خطيئتها . ولعل هذه هى اقوى اللحظــات فى الفردوس المفقود ولو قبلنا الكتــاب الاول والثــانى من الوجهة الدينية لوجــدنا الى جانب روعة الابواب التى نرى فيــهــا الانســـان جمالا كثيرا فى ثورة الشيطان على ما قسم له الله .

ولكن قليل من يقرأ الفــردوس المفقود ككل فالى جانب ما ذكرنا من صعوبات فى تقبل الافكار هنــاك مناقشات فى تفاصيل المفاهيم الدينية بل ان هناك دراســات تثبت ان ميلتون لو حوسب على بعض هــذه الاراء لاعتبر ملحــدا ثم ان هناك احاسيس انسانية يمسها الشاعر كانت رغما عنه تتعــارض مع المفهوم الدينى . فمثلا لقد حكم على الانسان كنوع من العقاب ان يأكل من عمل يديه ولكن وصف ميلتون للعمــل اليــدوى فى الملحمة وصــف فيه كثيــر من الاحترام بل احساس بان العمل هو تحقيــق الذات والمفروض ان ربيع الجنة الدائم قد حل محــله تتابع الفصول ، والكاتب حين يصف هذا يصفه بعين الشــاعر التى تحب التغيير وترى فى كل فصل جمالا .

ان الموضوع كان موضوعا شاقا ، وكما يقول دافيد ديتش :

« ان ميلتون لم ينجــح فى تبرير ارادة الله للانســان ولكنه نجح فى عرض مشكلة المأساة الانسانية ... فيسلط الضوء على التناقض الرهيب فى طموح الانسان (فالطموح شىء نبيل ولكنه شىء حقير لانه نابع من كبريائه) والحب الانســانى (شىء خسيس لانه انانى ولان العــاطفة تطغى على العقــل ولكنه شىء جميل لان فيه التضحية بالذات وايثار الغيــر على النفس » .

فالصورة النهائية اذا مااستخلصت من كل التفاصيل الدينية تركز على تناقض الانســان القادر على اسمى الاعمال وعلى اخس الاعمال ، الذى يأمل فى الســمو ولكن قدمه فى الوحل . والصورة التى يختم بها الملحمة صورة الانســان يعمل فى الارض وقد بعد بعــدا تاما عن السماء وعن الجنة ولكنه يعمل فى سلام شاعرا بانه يؤدى عمــلا يجد فيه الرضا والقناعة .



كان القرن الحادى عشر خطا فاصلا بين مرحلتين في تاريخ الاندلس ، ففي مطلعه تناثر عقد الخلافة ، وتوزع شمل الدولة ، فقام في كل مدينة أمير ، واستقلت كل مقاطعة بحكومة ، وتحولت الدولة الى مجموعة من الامارات الصغيرة والضعيفة ، لا يتجاوز سلطان اى منها خارج حدودها ، ولا تستطيع اية واحدة أن تحمي نفسها ، فاندفعوا جميعا يطلبون الحماية عند اعدائهم في الشمال .

وشهد آخره سقوط اول معقل اسلامي ، ذى اهمية قصوى في يد النصارى ، لقد استولى الفونسو السادس ملك قشتالة على طليطلة عام ١٠٨٥ م ، فكان لسقوطها رنة أسى بين سكان الاندلس جميعا ، وكانت ايذانا بأن المعركة قد تحولت لصالح أعداء المسلمين ، ما لم يجمعوا أمرهم ، ويوحدوا كلمتهم ، ويرتفعوا فوق شهواتهم ومتعهم . ولكن الملوك الصغار كانوا أهون من أن يجتمعوا حول امر عظيم ، فعبر المرابطون مضيق جبل طارق ، ليدفعوا عادية النصارى عن حدود الاندلس الاسلامي ، ثم استقروا فيه ، ولم يبرحوه الا بعد أن سقطت دولتهم نفسها في المغرب ، بعد أن أصابها ما أصاب غيرهم من قبل ، من غفلة الحاكم ، وتحكم النساء ، وغلبة



دكتور
الطاهر أحمد مكي

البخلاء ، وفساد الحاشية .

وشهد هذا العصر شخصية غريبة ، لفارس نصف عربي ونصف اسباني ، نصف مسلم ونصف مسيحي ، عاش ملء سمع هذا العصر اسمه لذريق دياث دى بيبار ، وعرف في المصادر العربية باسم القنبيطور ، وفي المصادر الاسبانية باسم « السيد » El Cid ، وظل لزمن طويل شخصية نصف أسطورية ، وموضع شك المؤرخين ، حتى إذا اكتشف كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام الشنتريني ، أصبح الرجل موضع يقين لا سبيل الى انكاره ، فقد أورد عنه المؤرخ الاندلسي الجليل معلومات تاريخية دقيقة وقيمة ، ومن يومها تغير مسار التاريخ فيما يتصل بالحديث عنه .

كالعادة لا نعرف شيئا كثيرا عن طفولته ، ويرجح أنه ولد قريبا من عام ١٠٤٥ م ، في قرية صغيرة قريبا من برغش ، لأسرة قشتالية قديمة ، وقد توفي أبوه ولما يزل الابن غلاما يافعا ، فأسمه شانجة الابن الاكبر للملك فرناندو ، ملك مقاطعة ليون ، الى حاشيته ، وأشرف على تربيته وتثقيفه ، ثم قلده السيف ، وخلع عليه شارة الفروسية ، وجعله في حماه ، وصحبه في أول حملة حربية قام بها .

وعندما مات الملك فرناندو توزع الملك بين ابنائه الاربعة . ثم دخلهم الطمع فتقاتلوا ، واضطربت الاحوال بالسيد ، فعرض خدماته على بني هود امراء سرقسطة فقبلوه ، فظل بينهم قرابة سبعة عشر عاما ، يقاتل أعداءهم ، ويصحبهم في حروبهم ، وخلال هذه الاعوام خبر معظم الامراء ، في الجانبين الاسلامي والمسيحي ، وعجم عودهم ، واطلع على خباياهم ، وعرفهم على حقيقتهم ، فاستصغرهم جميعا ، وبدأ يستقل بنفسه ، ويعمل لحسابه ، يبيع العدو والصديق على السواء ، وفكر في أن تكون بلنسية له ، أو أن يكون فيها صاحب النفوذ الاعلى على الاقل .

حاصر « السيد » مدينة بلنسية ، وفي البدء حاول اقتحامها عنوة ، وأوشك أن يدفع حياته ثمنا لهذه المغامرة ، فكف عنها ، وقرر أن يستخدم في الاستيلاء عليها سلاح الجوع . لقد ضرب الحصار حولها عشرين شهرا كاملة ، فتدهورت الحالة الاقتصادية في المدينة ، وتهاوت أسعار البيوت والأثاث ، لأن كل الناس يريدون بيع ما يملكون منها ، وليس ثمة راغب في الشراء ، وارتفعت أسعار الاغذية بشكل جنوني ،



وفتك الجوع بالسكان ، وأكل الناس الفئران والكلاب والجيف ، وعظم البلاء ، وتضاعف الغلاء ، وأصبح الناس سواء ، الفقراء والأغنياء ، وكان من المناظر المألوفة أن ترى جمعا من الناس يفتش عن بقايا منقود من العنب بين المجاري ، ومزابل القمامة ، وعشرات من الرجال والنساء والأطفال يتربصون اللحظة التي يفتح فيها أي باب من أبواب المدينة لكي يندفعوا هاربين ، فينتهي بهم الحال الى أن يقتلوا فورا ، أو يباعوا رقيقا ، برغيف من الخبز ، أو زق من النبيذ ، والذين يصلون في صحة جيدة ، من الطبقات الموسرة ، يباعون لتجار الرقيق الذين توافدوا في أعداد هائلة من وراء البحر .

وقد عمل « السيد » على زيادة الأفواه غير الضرورية في المدينة ، فأمر سكان بلنسية الذين خارجها أن يعودوا اليها ، وهدد من يخرج منها بالحرق حيا ، ووضع تهديده موضع التنفيذ ، فأحرق علانية ، على أكوام من الحطب متأججة ، ثمانية عشر رجلا في يوم واحد ، ومع ذلك كان هناك من يفضل أن يموت محترقا في ساعة واحدة على أن يموت جوعا على امتداد أيام ، وبعضهم نجح في أن ينقذ حياته ، لأن جنود « السيد » كانوا يخفونهم ويبيعونهم رقيقا في غفلة من قائدهم ، والحق أن مثل هذا العمل كان ترفا خصت به الفتيات والأطفال . وأحيانا اذا عرفوا أنهن ينتمين الى أسر غنية صعدوا بهن الى مآذن المساجد التي خارج أسوار المدينة ، يتظاهرون برميهن أحياء ، أو رجمهن بالحجارة ، فيفتديهن أهلوهن بالجواهر والأموال ، شريطة أن يسمح لهن بالبقاء خارج المدينة .

وحققت المجاعة أغراضها ، وسقطت المدينة في يد « السيد » ، استسلمت بلا قيد ولا شرط ، وعندما فتحت الأبواب تدفق جنود « السيد » داخل المدينة ، فاحتلوا المتاريس والقلاع ، وجاء باعة الخبز والفول من خارج المدينة ، فتدافع عليهم الناس في شراهة بالغة ، وذهب الأغنياء الى ما حول المدينة يشترون حاجياتهم بأنفسهم ، بينما انتشر الذين لا يملكون شيئا في الحقول المجاورة يجمعون الحشائش ويقتاتونها . ولم تهبط نسبة الموتى كثيرا ، فبالأمس كانوا يموتون جوعا ، وهم اليوم يموتون تخمة .

لقد دخل « السيد » مدينة بلنسية في مايو من عام ١٠٩٥ م ، وظل سيدا مطاعا فيها على امتداد أربع سنوات كاملة ، فقد توفي حزينا ، اثر لقاء هزم فيه مع جيش المرابطين ، وكانت وفاته في العاشر من شهر يولية عام ١٠٩٩ م .

***

كان « السيد » دون ما شك أقوى فرسان القرن الحادي عشر ، اجتمع تحت لوائه كل متمرد على أميره ، أو منفي من ملكه ، أو غاضب على المجتمع ، أو شغوف بالقتال ، أو باحث عن لقمة العيش ، من المسلمين والمسيحيين على امتداد الأندلس كله ، وهم جميعا ، و « السيد » على رأسهم ، في خدمة من يدفع مقابلا ، يستوي في ذلك أن يكون الطلب من أمير مسلم أو أمير مسيحي ، وهم يقاتلون دفاعا عن الاسلام بنفس الحماسة التي يقاتلون بها دفاعا عن المسيحية ، فالشيء الوحيد الذي يهمهم المرتبات التي يقبضونها ، والنهب الذي يقومون به ، وانتهى به الأمر قائدا مستقلا يقاتل لحسابه ، ويقف ضد كل من في الأندلس ، ويتحرك بوحي من مصالحه وحدها .

وكان « السيد » رجل حرب ، يحلم دائما بالمعارك والقتال ، نبيلا جاء الى الحياة فقيرا فهو نهم الى الثروة والمال ، قائدا متمردا ، بلا قلب ولا قانون ، يدنس الكنائس ، ويهدم المعابد ، يحرق سجناءه أحياء ، أو يمزقهم بالسواطير ، قاسيا لا يرحم ، كانت حياته مزيجا من التعقل والشجاعة ، ومن الخداع والجرأة ، صاحب حيلة

ملحمة السيد

لا يقف بها عند الحرب والقتال ، وانما يستخدمها في جمع المال ايضا . يخون اذا اقتضت مصلحته ، ويخلف وعده اذا كان ذلك في صالحه ، ويتراجع عن كلمته اذا كان العدول عنها مزيدا من المال . وكانت الجماهير المطحونة بالفاسدة من الحكام ، والطغاة من القادة ، والمنحرفين من رجال الدين ، تعجب به ، وترى في تحركه ثارا لقتالها ، ولا بأس بعد ذلك أن يكون قاسيا ما دام يثار لها ممن لا تستطيع منهم قصاصا .

ونلتقي في حياة « السيد » ببعض التأثيرات العربية واضحة ، فقد كان يفرش أرض قصره بالسجاد والحصير ، وهي عادة عربية انتقلت الى أوربا عن طريق الاندلس ، وكانت عادة الاوربيين أن يعلقوها على الجدران فحسب ، وتعود أثناء حكمه لمدينة بلنسية أن يلتقي بأعيان المدينة جالسا على منصة ، يستمع الى الشعراء ينشدونه ، في اللغة العربية الفصحى ، أو في عامية أهل الاندلس ، او في اللغة الرومانثية ، ولا أظنه كان يعرف من اللاتينية غير القليل ، فقد أصبحت على أيامه ، ومن قبلها ، لغة ميتة لا يفهمها غير رجال الدين ، وجلهم لا يجيدون منها الا ما يتصل بالصلوات والمواعظ ، يلقونها على جمهور يهز رأسه خاشعا ، ويتابع صلواتهم موافقا ، دون أن يعي مما يلقى عليه شيئا . وكان يعجب بقصص العرب ، ويجلس الى القصاص مستمعا ، واخذ من بينها بسيرة المهلب بن أبي صفرة ، « يطرب لسماعها ويطرب » ، على حد تعبير ابن بسام ، في كتابه « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » ، وهو امر طبيعي ، فقد كان في حياة المهلب ، ومنهجه في الحرب ، وتخطيطه للقتال ، ما يتفق وأفكار « السيد » .

***

لم تكد تمضي سنوات على وفاة « السيد » حتى تحول الى اسطورة في مخيلة العامة ، وفي أغاني الشعراء ، وحوله بدأت تدور أول ، وأجمل ، ملحمة اسبانية وصلتنا من العصر الوسيط . وقد كتبت الملحمة في اللغة القشتالية ، لان الاسبانية لم تكن تكونت ولا عرفت بعد . والملحمة في النص الذي وصلنا ليست من عمل شاعر بعينه ، واذا كان من العسير تحديد عدد الشعراء الذين تناولوها اضافة وتعديلا ، فمن السهل ادراك أن وراءها أكثر من شاعر ، بل ومن المؤكد أن تحويرات واصلاحات وتعديلات أصابتها عبر روايتها شفويا ، ولا يستطيع الباحث الآن أن يمسك بها مهما بالغ في الدرس والتحليل .

تتكون الملحمة من ٣٧٥٣ بيتا من الشعر جاءت في ثلاثة اناشيد ، وكل نشيد يضم عددا من القصائد ويدور حول حدث محدد .

فالنشيد الاول يقص علينا الاحداث التي ادت الى نفي « السيد » وتتصل به ، وكيف أن الملك الفونسو السادس أرسل لذريق دياث دى بيبار ، الملقب بالسيد ، لكي يقبض الجزية من ملك أشبيلية المسلم ، وكان يدفع الجزية لملك قشتالة ، وفي الطريق اليه وجد الحرب قائمة بين ملك اشبيلية وملك غرناطة ، فانضم الى الاول منهما ،

واظهر بطـــولة خارقة ، ولما عاد الى قشتالة ، وجد حاشية الملك الفونســو قد دست له عند الملك ، فاتهمـــه بانه اخفى جانبا من الجزية والغنائم لنفسه فنفاه عن قشتالة ·

ويدور النشيد الثانى حـــول زواج بنتى « السيد » من أميرين ، باقتراح من الملك الفونسو ، الذى عفا عن «السيد» ، والغى قرار النفى الخاص ·

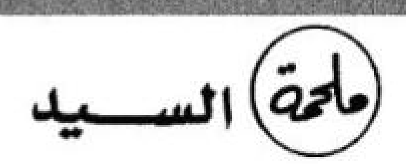
أما النشيد الثالث فتدور أحـــداثه حول الخلاف الذى وقع بين « السيد » وصهريه ، لقد اظهر الاميران ، زوجا بنتيه ، جبنا فاضحا فى معركة جـــرت بين « السيد » وبين أمير المرابطين ، فأصبحا هدفا لسخرية قاســـية ممن حولهما ، ولم يستطيعا على الاهانات صبرا ، فقررا أن ينتقما من « السيد » فى شخص بنتيه ، فاستأذناه فى العودة الى مدينتهما ، وفى الطريق اساءا الى زوجتيهما ، وعاملاهما بقسوة بالغة ، وتركاهما فى الطريق بين الموت والحياة ، وعندما علم « السيد » بما حدث توجه الى أرض قشتالة محتجا ، وطلب من الملك أن يحاكمهما ، وأن يسمـــح له بمبارزتهما ، واثناء المحاكمة ، يتقـــدم من مجلس البلاط رسولان يطلبان بنتى « السيـــــد » زوجتين لأميرى نبرة وارجون ، حيث تصبحان ملـــكتين · ويبارز « السيد » صهريه الســـابقين وينتصر عليهما ، وكان هــــذا الزواج الثانى أعظم شرفا من الاول ، لأن ملوك اسبانيا اصبحوا من سلالة «السيد» (١)

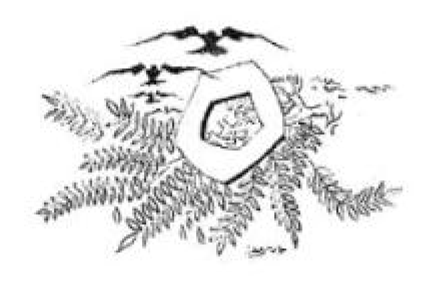
ولكن صورة « السيد » فى الملحمة غيرها فى التاريخ ، يتفقـــان فى انه مخادع ماكر ، ويقاتل من اجل لقمـــة الخبز ، ويؤمن بالعرافة ، وفيما عدا ذلك تقدم لنا الملحمة شخصا صـــنعته خيالات الشعراء · فهو مسيحى طيب عند كل موقف صعب ، ويتوجه بالدعاء الحار للخالق عقب كل نصر ، يعفـــو وينسب فضله للحماية الالهية ، يألم لنفيه من وطنه فيظهر له جبريل فى الاحلام يواسيه ويبشره بمستقبل سعيد · وهو بين جنوده ، ومع أعدائه ، مثـــــال الطيبة والكرم فاذا استولى على قلعة وأراد أن يتركها جاءه المسلمون باكين يرجونه أن يبقى ، أو يرافقـــونه حيث يذهب ، وعندما خلف وراءه مســـقط رأسه منفيا ، تاركا داره وأسرته ، بكى ألما · وهو أب رقيق حنون ، يسأل دائما عن زوجه وبنتيه ، وحول زواجهما تدور أحداث الملحمة الرئيسية ·

وصلنا نص الملحمة فى مخطوطـــة وحيدة ، كانت فى القرن السادس عشر موجودة فى محفوظات المجلس البلدى لقرية بيبـــار ، وهى التى ولد فيهـــا « السيد » ، وتنسب اليها ، وفى عـــام ١٥٩٦ نسخت منها اخرى توجـــد الآن محفوظة فى مكتبة مدريد الوطنيـــة ، ويرجح أن النسخة الأم التى نقل عنهـــا

---

(١) ترجمنا نص الملحمـــة كاملا الى اللغة العربية فى كتابنا : ملحمة «السيد» أول ملحمة أندلسية كتبت فى اللغـــة القشتالية ، دار المعارف بالقـــاهرة ١٩٧٠ م ·





كتبت في القرن الرابع عشر ، اما تأليف الملحمة ذاتها فيعود بها النقاد الى النصف الاول من القرن الثاني عشر الميلادى ·

●●●

كانت الملحمة شائعة في الاندلس ، وليس من الضرورى أن يكون الشيوع دوأما في النص الوحيد الذى وصلنا ، وانما في صور أخرى دخلها كثير من التعـــديل والنقص ، وربما الزيادة أيضا · ومن خـــلال الصقل المستمر امتدت حياة الملحمة عبر القرون ، وفى كل قرن ، وبين كل جماعة ، تلتقط أذواق السامعين وتتوائم معها ، حتى اذا وصلنا الى القرن الخـــامس عشر تفرعت عنها أغان شعبية رومانتيـــة ، تتضمن بعض أبيات الملحمة ، ولكنهـــا تكسوها ثوبا جديدا من شعر طريف ، وبعض هـــذه الاشعار ما زال يتردد صداه حتى اليوم فى اسبانيا والبرتغال ، وشمال المغرب عند من استقروا هناك واتخذوا الاسبانية لسانا ·

ولم تتنبه اسبانيا الى أهمية الملحمة وقيمتها الأدبية مبكرا · وعندما طبعت للمرة الاولى عام ١٧٧٩ لم يعرها أحد كبير التفات ، لأن الحياة الإسبانيـــة يومها كانت فى جوانبها المختلفـــة ، سياسية وثقافية واجتماعية وادبيـــة ، ذات طابع فرنسى خالص ، او كما يقول أحد كتاب ذلك العصر : « كان النـــاس يومها يأكلون ويشربون ويتحدثون على نحو فرنسى » ·

وبينما كانت الملحمة تحظى بتقدير متواضع للغاية فى اسبانيا نفســـها ، جاءت الرومانتيكية الوليدة فى الخارج ، وكانت تتعاطف مع العصور الوسطى ، فالقت عليها المزيد من الضوء ، وشدت اليها انتباه المثقفين ، فقال عنهـــا الشاعر الاسكتلندى روبرت ســـوتى (١٧٧٤ ـ ١٨٤٣ م) انها « اجمـــل قصيدة كتبت فى اللغة الاسبانيـــة » ، ونعى على الاسبانيين « انهم لا يعرفون قيمتها الممتازة ، وتضم تاريخ «السيد» شعرا ، وما داموا لا يمزقون حجب الذوق الزائف الذى يحول بينهم وبين معرفتها ، فلن يستطيعوا أن يبـــدعوا شيئا عظيما ، يدخـــل فى دائرة الفن الرفيع · ويمكن القول انه بين كـــل الملاحم التى ألفت بعد الالياذة . فان ملحمة « السيد » أشـــدها هومرية فى روحها ، ولو أن اللغة فى شبه الجزيرة فى ذلك العصر ، كانت ريفية وفى طور التكوين » ·

ودرس المؤرخ الامريكى جورج تكنور (١٧٩١ ـ ١٨٧١) الملحمة ، وكان تعليقه عليها : « يمكن التأكيد بأنه خـــلال القرون العشرة الماضية ، منذ انهيـــار الحضارة الاغريقية والرومانيـــة حتى ظهور الكوميديا الالهية لدانتى ، فان أى بلد لم يبدع قصيدة من الشعر أشد أصالة فى شكلها ، وتتضح واقعيـــة وقوة وحيوية ، مثل ملحمة السيد » ·

وجاءت بداية التفات النقد الأسبانى الحديث الى الملحمة فى شخص العالم اللغـــوى ميلا اى فنتانلس (١٨١٨ ـ ١٨٨٤م) فعرف أوربا ، وللمرة الاولى ، بمكان الملحمة الحقيقى بين مجمـــوع

الأدب القشتالي الملحمي ، وكان من قبل مجهولا ، على حين تولى تلميــــذه منديث أي بلايو تعريف الاوســــاط الادبية الاسبانية بها ، فبدأ الادباء المحدثون يقرأونها ويستلهمونهــــا ، وأوجز رأيه فيها : « الاكثر فتنـــة في الملحمة أنها تبدو شعرا يعاش ، وليست كلاما ينشد ، وهي نتاج قوة غامضـــة تمتزج بالطبيعة نفسها ، وسر هايفتقده الرجال المثقفون » .

أما العرب ، في القديم أو الحديث ، ولهم من « السيد » تصفه حياة وتأثيرا ، ومصادرهم أول من ألقى على تاريخه ضوءا بعيدا عن الاسطورة ، فلم يقف أحد منهم عند الملحمة دارســــا أو مشيرا ، وفيها الكثير مما يحتاج الى دراسة عميقة ومستأنية ، وسنشير الى طرف منه بعد قليل .

ولا تحمل الملحمة اية فكرة وطنيــــة او قومية ، رغم ان المؤرخين الاسبـان المعاصرين ، او عددا كبيرا منهم على الاقل ، يحاول أن يجعل من « السيد » نفسه بطلا قوميا ، فالشاعر يتحدث عن بطل شعبي يحظى باعجاب الجميـــع ، أيا كانت المقاطعة التي ينشد فيهـــا ، وأيا كان الجمهور الذي يستمع اليه ، ولو انه كان دائمــــا يرعى أذواق المستمعين ، فيوائم بين ما يقـــول وما يريدون ، ولا أظن ان ذلك مما يعاب فيها ، فتلك أفكار كانت خارج اهتمامات العصر .

***

هناك ثلاث نظريات حول نشأة الملاحم القشتالية بصفة عامة ، بعضهم يردها الى التأثير الفرنسي ، والفريق الثاني يردها الى أصل جرماني قديم ، وأحدث الدراسات وأكثرها موضوعية يردها الى أصل عربي . ويهمنا من بينها هـــذه الاخيرة (١) ، وداعيتها العالم الاسباني الجليل خوليـان ريبيرا ، وتنهض على



أن الاندلس عرف بعد الفتح الاسلامي بقليل لونيـــــن من الادب الشعبي ، عربيا كتب في العامية ، واسبانيا كتب في الرومانثية ، متأثرين فيما بينهما ومؤثرين ، في الشكل والمضمون . واذا كنا نعرف اكيدا أن الزجل ابتـــدع في الاندلس ، وصيغ في عربية عامية ، أو مزيج منها ومن الرومانثية ، قريبا من نهاية القرن التاسع الميلادي ، أو أوائل العاشر ، فما من سبب يجعلنا نعتقد أن الزجل وقف عند حد الشعر الغنائي ، ولم يتجاوزه الى الشعر الملحمي ، لان الشعوب عندما تغني في بدء حياتهـــا تتغنى بكل شيء ، ويأتي التمييز بين ما هو غنائي ذاتي وما هـــو ملحمي موضوعي ، في مراحل متقـــدمة من تطورها الفني .

والحق اننا في القرن التاسع ، القرن الذي شهد مولد الزجل ، نجد اشارات لقصيدتين ذواتي طـــابع تاريخي ، وخصائص قومية أو ملحمية ، احداهما للغزال ، يحيى بن الحـــكم (٧٧٠ ــ ٨٦٤ م) ، والثانية لتميم بن علقمـــة (٨٠١ ــ ٨٩٦ م) ، ولسوء الحظ فان كلتا القصيدتين ضاعتا ، رغم شيوعهما

---

(١) درسنا القضية تفصيلا في كتابنا : ملحمة السيد ، أول ملحمة أندلســـية كتبت في اللغة القشتالية ، ص ٢٣٢ وما بعدها .

في العصر الذي قيلتا فيه ، وجاءتنا في وصفهما اشارات قصيرة ·

كانت هذه القصائد قصصية ومطولة ، وذات مضمون تاريخي أو حربي وتتخللها حكايات شعبية ، وروايات شفوية مسيحية ، فقد كان الغزال ، طبقا للاشارات التاريخية ، ينحدر من أصول مسيحية أندلسية ، وتميم ولو انه عربي النسب كان متزوجا من مسيحية ذات أصل نبيل ، ابنة كونت أندلسي ، أى أنه فى بيته ، مع سكنه ، كان يتحدث اللغة الرومانثية ، ويعرف **شيئا** من أقاصيص أهلها وحكاياتهم، فليست هناك زوجة تسمع دائما ، انها مع زوجها تتكلم أكثر مما تسمع · ولم يكن الغزال أو تميم وحدهما ، وانما هناك قصائد أخرى لشعراء عديدين ، تقص بطولات المنصور بن أبى عامر ، ومحاربين اخرين ممن عرفهم الاندلس ، فى الشعر العربي ، أو فى الزجل العامى ضاعوا فى غمار التاريخ كما ضاعت آثارهم ، وكما ضاع كل تاريخ لمبدع الزجل لنفسه ، وأرى أن أشد هذه القصائد تجديدا ، وأقربها الى العامية، هو الذى ضاع ، أما القصائد التى جاءت على النص التقليدى فقد وصلنا منها القليل (١) ·

فاذا تجاوزنا التأثير العربي فى نشأة الملاحم القشتالية بعامة ، الى ملامح هذا التأثير فى ملحمة السيد على نحو خاص ، اقدم ملحمة قشتالية وصلنا نصها كاملا ومدونا ، كان علينا أن نضع فى الاعتبار عدة حقائق : أن النص الذى بين أيدينا ليس هو النص الاصلى الذى كتب قريبا من النصف الاول للقرن الثانى عشر ، وان اضافات دخلت عليه ، ومقاطع حذفت منه ، ومواقف صورت لتواجه احداثا سياسية معينة متغيرة وطارئة ، ابتسرت بزوال دواعيها ·

وفى ضوء هذا الواقع أرى أن جانبا كبيرا مما يتصل بالاسلام والمسلمين دخله التعديل ، وأصابه البتر ، لقد انشد الشاعر الملحمة لاول مرة وسلطان المسلمين فى الاندلس رغم كل الهزائم ، متين ، وحضارتهم مزدهرة ، وثقافتهم جذابة ، وأتصور أن حظهم من أحداثها كان أوفى مما هو عليه وأن تقدير الشاعر لهم كان أوضح ، وأن التعبيرات العربية ألفاظا وجملا كانت أكثر شيوعا ، وليس مغالاة أن أقول ان نسخة منها بعامية أهل الاندلس كانت تسمع بين المستعربين فى الجانب الاسلامى ، وبين المدجنين ، أعنى **المسلمين الذين يقيمون فى الجانب المسيحى ، ويكفى أن نعرف ان أول شاعر انشد الملحمة كان مستعربا ، اى مسيحيا يعيش فى الجانب الإسلامي ، ويتخذ من العربية لغة ، أو العامية منها على اقل تقدير ، يعايش المسلمين ، وحياته اليومية مطبوعة بتقاليدهم ، وأنه قالها فى مدينة وسط الاندلس ، وبالاسم نفسه ، حتى يومنا هذا ، ومن الاشارات ما يحدد أنه كان ينشدها فى الساحة الكبرى ، وكانت الجالية الاسلامية فى المدينة كبيرة والمستعربون قلة ، لانها ـ كما يهدى اليه اسمها ـ انشاها مسلم بدءا، ولم تكن موجودة قبل وصول المسلمين ·**

والتأثير العربى فى الملحمة يأخذ أشكالا متعددة ، فالملحمة كل ، فيما أرى ، تستهدى سيرة بنى هلال ، لان كلتاهما رواية شعبية ، غير ذات طابع أسطورى ، وانتقلت شفاها عبر سنين طويلة ، وتتناول أحداثا وبشرا ، لهم أو لجلهم واقع تاريخى ، لا ترتفع بهم الى مصاف الآلهة ، ولا تضفى عليهم من الصفات ما ينافى طبيعتهم البشرية ، والبطل فى الملحمتين ثائر على السلطة منفى يقاتل لحسابه ، ولا تتناولان من قضايا العاطفة والحب الا حب الرجل لزوجته ، وعطفه عليها ، ونجد اليهود

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٦



في الملحمتين على صورة متقاربة ، يشتغلون بالتجارة والصيرفة والربا والرهونات ، ويحرصون على المال حرصا شديدا ، وهم من أجل الربح ينافقون ويصانعون ، ويستعينون دائما على قضاء حوائجهم بالكتمان ، وتكاد صور الحرب تكون واحدة ، في سيرة بنى هلال وفي ملحمة « السيد » .

ونلتقي بالتأثير اللغوى العربي واضحا في ملحمة « السيد » ، فثمة الفاظ عربية كثيرة ، تذكر بلفظها ، وترسم في حروف لاتينية ، دقيقة احيانا ومحرفة أحيانا اخرى ، واكثر تداولا اداة النداء يا Ya ، وقد استقرت في الإسبانية الى يومنا هذا ، ولو انها في الإسبانية الحديثة انفصلت عن معنى النداء ، واصبحت تعبيرا عن التنبيه بعامة . وتستخدم الملحمة لفظ حتى Fasta ، مرادا به انتهاء الغاية في العربية ، ويلحظ أن حرف F في اسبانية العصر الوسيط كان يمثل ما يساوى صوت H في اللغة الحديثة ، ويبقى اللفظ مستخدما في الإسبانية المعاصرة ، وكما هو في العربية ، ولو انه في النصوص الحديثة يرسم طبقا للاملاء الحديث Hasta ، وهومن اكثر الالفاظ دورانا على الألسنة ، فيقال : حتى الصباح ، حتى غدا ، حتى قريب ، حتى اراك ...

وثمة عدد كبير من الاسماءوالافعال والصفات المأخوذة من العربية ، تتناثر عبر كل ابيات الملحمة ، ويطول بي الحديث لو تابعتها كلها .

والكثير من التقاليد العربية ترك صداه على نحو واضح في أحداث الملحمة القشتالية . فالسيد يقسم غنائمه طبقا للشريعة الإسلامية ، والحرب تبدأ بالمبارزة بين اثنين ، وجنود « السيد » يهللون في الحرب داعين الله والقديسين وتقبل الدية في حالة القتل الخطأ ، ولا مناص من الثأر في حالة القتل العمد ، والتنازل عنه مستحيل . ونجد التصافح باليمين عقب اى اتفاق تأكيدا على الوفاء به ، ويكثر في الملحمة تقبيل اليمين من الصغير للكبير ، ومن الاقل للأعظم ، ومن الزوجة لزوجهاومن البنت لابيها . ويتردد اكرام الضيف والمبالغة فيه على الطريقةالعربية ، والحرير الذى يسرج به السيد خيله أو يرتديه مصرى مستورد من الاسكندرية (١)

شاع « السيد » التاريخي في ضباب الاسطورة ، واصبح قديسا في اذهان العامة ، وبدأ الجنود عند الحرب يتبركون بقطع يحملونهامن تابوته ، تحميهم من الهزيمة وتجلب لهم النصر، وتقدم فيليب الثاني (١٥٢٧ ـ ١٥٩٨) أعظم ملوك اسبانيا ، واشدهم تعصبا ، يطلب من البابا في الفاتيكان أن يضيف السيد الى قائمة القديسين ، ورفض البابا ، لقد اراق صاحب هذا السيف دماء غزيرة ، ولم يكن منظر القديسين يقع منه موقع الرضا ، ولم يكن صوفيا ولا زاهدا ، بل « وكان مسلما بقدر ما هو مسيحي ، ولا يزال حتى اليوم ، داخل قبره مسيحيايحمل ملابس عربية »

---

(١) درست مظاهر التأثير العربي في الملحمة تفصيلا في كتابنا : « ملحمة السيد » ص ٢٣٢ وما بعدها .



هدية العدد

صورة ...
شكيب أرسلان

● اسمه الكامل شكيب بن محمود بن حسن بن يونس ، ويؤكد المؤرخون انه من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة

● ولد بالشويفات فى ٢٥ من ديسمبر ١٨٦٩ ، والتحق فى العاشرة من عمره بمدرسة الحكمة فى بيروت حيث درس اللغة العربية على الشيخ عبد الله البستانى ، والفرنسية على المعلم شاكرعون وكذا تعلم التركية .

● وفى عام ١٩٠٨ عين فى وظيفة « قائمقام » لقضاء الشوف ، واستقال منها لاختلافه مع العثمانيين فى سياستهم ضد الشعب العربى وفى عام ١٩١١ قامت الحرب الطرابلسية فاشترك فيها مع المجاهدين العرب وفى عام ١٩١٢ سافر الى الاستانة اذ عين مفتشا لبعثات الهلال الاحمر المصرى

● وشكيب ارسلان واحد من اعلام العروبة والاسلام ، عاش طوال حياته للثقافة العربية ، والقومية العربية ، والوحدة العربية .

● وهو الذى قال عن الوحدة : « ان الامة العربية سائرة الى الوحدة ، مهما عارض فى ذلك اللئام من اعدائها ، والمتفلسفون من ابنائها ، وراية هذه الوحدة اتية لا ريب فيها »

● عالم فى الأدب والسياسة ، مؤرخ محقق ، وكاتب متمكن من اسرار اللغة .

● قام بسياحات كثيرة فى البلاد الأوربية والعربية ، كما زار امريكا عام ١٩٢٨ ، واصدر وهو فى جنيف مجلة باللغة الفرنسية شرح فيها القضايا العربية .

● قال عنه خليل مطران : « امام المترسلين » ، حضرى المعنى ، بدوى اللفظ يحب الجزالة حتى يستسهل الوعورة .

● ولشكيب ارسلان – أمير البيان – مؤلفات منها ديوان باسم « الباكورة » وكتاب باسم « تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط » .

● ظل اديبنا الكبير يناضل ويدافع عن قضايا العرب فى المحافل الدولية ، وقد كانت وصيته قبل وفاته فى التاسع من ديسمبر عام ١٩٤٦ : لا تنسوا فلسطين ! ..



مرحلة من العمر..

رحلة هذا الشهر ، هى مرحلة جديدة من العمر الذى ذهب اكثره وبقى اقله .

هى رحلة داخل دار الهلال ، من عالم الادارة والكلمة الى عالم الكلمة وحدها ، بعد أن أصبحت كاتبا متفرغا بهذه الدار ، التى قضيت فى ظلها ربع قرن .

وهكذا أتنفس بعد عناء ، وأستغرق نفسى فى زحام الكتب ... الكتب الجديدة التى لم يتسع الوقت فى الماضى لقراءتها ، وكتب التراث التى لا بد من العودة اليها فى قراءة جديدة يتكشف بها المزيد من سحرها وأصالتها .

ولدار الهلال فى حياتى قصة طريفة ..

زمان ... ونحن صغار .. لم تكن دار الهلال تقوم فى هذا البناء الشامخ بشارع المبتديان ، الذى تقوم فيه الآن .

كانت فى دار متواضعة بشارع الامير قدادار بحى باب اللوق أما مكانها الحالى ، فكان حديقة كبيرة تحتضن قصرا من قصور السادة فى ذلك العصر ، اسمها « جنينة رشوان » .

ويبدو أن هذا الحى المجاور للسيدة زينب رضى الله عنها كان عامرا بالبساتين التى تنم عنها أسماؤها القائمة حتى الآن ، رغم اختفاء « الجناين » وتحولها الى احياء متزاحمة البيوت كثيفة السكان الى أبعد الحدود .

كانت هناك « جنينة نميش » وصحتها « ناميش » و « جنينة لاظ » أى « لاظ اوغلى » صاحب التمثال القائم أمام وزارة المالية ، و « جنينة رشيد » ... ثم « جنينة رشوان » وهى آخر الحدائق التى بقيت بعد زوال أخواتها ، الى أن اشتراها بنو زيدان ، أصحاب دار

الهلال ، وتركوا شارع الامير قدادار ، واقاموا هذا البناء الشامخ بشارع المبتديان ، الذى عشت فيه ربع قرن من الزمان

كان بيتنا في ذلك العهد البعيد ، بناء من تلك الابنية القديمة التي كانت تمتد على طول شارع المبتديان

وكان مواجها لجنينة رضوان تماما ٠

وكانت جنينة رضوان حافلة بالثمار الشهية ، ولهذا كنا ، اذ نحن صغار ، نجوس خلالها نلعب الكرة ونركب الاراجيح ونقتطف الثمار ٠

وكبر الزمن ، وكبرنا معه ، وقامت دار الهلال مكان الجنينة ٠

وذات يوم ٠٠٠ في مطالع سنة ١٩٥٢ ، وجدت نفسى اخطو الى عتبات دار الهلال كواحد من أبناء اسرتها ، وتحين مني التفاتة الى الوراء ، فأرى مكان بيتنا القديم ، الذى تهدم وقامت على انقاضــه عمارة حمراء عالية ، فتذكرت كيف كنت في عهد الصبا اقتطف من ثمار جنينة رضوان ، وهاأنذا اقتطف من ثمار البناء الشامخ الذى حل محل جنينة رضوان ٠

مر على ذلك اليوم ربع قرن ، حملت على عاتقى فيه احمالا من الاعباء الادارية ، حتى جاء اليوم الامين الذى رفع عن عاتقى هذه الاحمال ، لاقضى بقية العمر ، كما اشتهيت طول العمــــر ، خادما للكلمـــة ٠

حيـــــنما نرى اللــه..

هى رسالة شخصية ٠٠٠ ولكن فيها ما يحملنى على أن انقل بعض سطورها الجميلة للقراء ٠

الرسالة من الصديق الاديب القاص ، الاستاذ أبو المعــاطى أبو النجا ، الذى طالما كانت له اشراقات حلوة على صفحات الهلال والزهور ، حتى حملته سفينة العيش الى الكويت ٠

يقول في رسالته :

« في كل مرة كتبت لك فيها ، كنت اشعر دائما بما اشعر به الان من عجز الانسان أمام موقف هو اكبر من كل الكلمات ٠ وحتى بالنسبة لمن كانت الكلمة هى كل حياتهم ، تبــــدو الكلمات ذليلة وقاصرة وخالية من المعنى أمام هذا السؤال : لماذا تقسو الحيـــاة كل هذه القسوة على اولئك الذين احبوها بعمق وعبروا عنها بجمال ورقة ؟

« ولا اظنني وجدت جوابا مقنعا ، ولا اظن أن احدا غيرى أمكنه أن يجد الجواب الشافى لهذا السؤال القديم قدم الحياة ٠

« في تجربة المرض ، اقسى ما يشعر به الانسان أنه يحتضن عدوه ، وأن الحرب تدور في داخله ، ويشعر حتى المحاربون الكبار انهم عاجزون عن مواصلة القتال وعن تلقى النجدة الا من الله ، ومن الاطباء الذين لا تخلو عدالتهم من القسوة ٠

« وفي كل المعارك ، حتى معركة المرض ، تأتى لحظات يلقى الانسان فيها بسلاحه وهمومه ، ويرى شمس الرجاء ، ويرى الله

بعينيه ، وقد يدرك من حكمته مالا يدركه الاخرون ، واذا كان للمرض من مأثرة ، فانه في الوقت الذى يبدو انه يبعدنا قليلا عما تعودناه من الاعمال والاصدقاء والاحباء ، فانه يتركنا وجهاً لوجه امام الله لنتحدث اليه دون كلفة ، وفي لحظات من الوحدة المقدسة .

« انني لا افهم ابدا سر الالم ، ولكن هل هناك من فهم مغــزى السعادة ؟

« يقولون ان الذي يقف على الذروة منهما قد يرى ما لا يراه الاخرون . واظنك من القلائل الذين شاء قدرهم ان يقفوا على القمة من السعادة والالم ، وادعو الله أن يعيد اليك صحتك لتحدثنا عما رأيته هنا وهناك ، وأن يعيد اليك ابتسامتك لتصفح عن كل الالام التي عبرت حياتك » .

الشعـــــر فى القـــرآن ..

يسألني قارىء : ما مكان القرآن بين الشعر والنثر ؟ وأقول له ان عميد الادب طه حسين رحمة الله عليه ، كان يقول دائمـــا ان ثراء الادب العربي يتألف من ثلاثة : القرآن والشعر والنثر .

عـلى أن ايات الله البينات لم تخل من اى تجرى على بعض أوزان الشعر عن غير عمد . وفي هذا يقول أستاذنا الراحل عباس محمــود العقاد في كتابه « اللغة الشاعرة » :



د. طه حسين

« وأبلغ من كل ما تقدم في الابانة عن معدن اللغة العربية وعن هذه الخاصية الفنية فيها ، ان اوزانها تتفق في كل ترتيل فصيح ولو لم يكن شعرا مقصودا ، كما اتفقت في الايات الكثيرة في القرآن الكريم .

« وينبغي ان يؤمن المسلم وغير المسلم بان القرآن الكريم لم يكن شعرا وما هو بقول شاعر كما جاء فيه وكما جاء في كلام الرسول الذى اوحي اليه . »

فمما يوافق وزن البحر الطويل فيه : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

ومما يوافق وزن البحر المديد « ان قارون كان من قوم موسى »
ومما يوافق وزن البحر البسيط « فاصبحوا لا يرى الامساكنهم»
ومما يوافق وزن البحر الكامل « صلوا عليه وسلموا تسليما »
ومما يوافق وزن البحر الخفيف « وتوكل على العزيز الرحيم »
ومما يوافق بحر الرمل « انهم رجس ومأواهم جهنم »
ومما اتفق فيه وزن بيت كامل :

لن تنـــالوا البر حتى   تنفقـــوا مما تحبون

و :

ومن تزكى فانمــــا   يتزكى لنفســــــه

و :

وجفـــان كالجواب   وقدور راسيات

و :

ويخزهم وينصركم عليهم   ويشف صدور قوم مؤمنين

و :

وقرآنا فرقناه   لتقراه على الناس

عصفور المازنى .... وعصفور العقــاد



المازني ..

وعلى ذكر استاذنا العقاد ، ظهر اخيـرا ضمن سلسلة « اقرأ » كتيب انيق عنــوانه « الجمال والحــرية والشخصية الانسانية في ادب العقاد » بقلم الدكتورة نعمــات احمد فؤاد .

من اللقطات الذكيـة في هذا الكتيب ، لقطة عن الحرية ، تطرح فيها الدكتورة نعمات صورتين عن العصفور ، الاولى نثرا للمازنى ، والثانية شعرا للعقاد .

تقول المؤلفة ان المازنى وصف العصفور نثرا ، وصفا كانمـــا هو بدع ريشة مصورة ملونة ، ووصف العقاد العصفور شعـــرا فكان خط الحرية هو بيت القصيد

عصفور المازنى يذهب الى حيث يشاء ويحلق في الجو ويسبح في الفضاء ويبصر وهو ناشر جناحيه كل ما بين الارض والسماء .. عصفور ينحدر على شعاع من نور الشمس أو خيط من ضوء القمر ... عصفور يرفع منقاره وهو طائر ويتلقى في فمه الرقيق قطـرة من المطر ... عصفور يحط على أعلى فنن في أسمق شجرة ، أو يهوى على الارض ويخطر بين أغصان البرسيم فتحجبه ، ويضـــع

رحلة الشهر

يبضه الصغير فى حيث يروقه أن يؤلف عشه ، ويمد منقاره الى الماء حيث يجده، ويمص قطرة ويتلفت٠٠ عصفور لايغير ثيابه ولا يبدل ألوان ريشه ولا يكون فى رأى العين مع ذلك الا جميلا ٠٠٠ انه روح الكون ولا شك فى العصافير والسحب سابحة تجوب الآفاق ، وفى الازاهر والاشجار التى لا تكون الا عطرة ولا تبدو الا حالية مونقة ولا يعتورها قلق ولا يساورها اضطراب ٠

وعصفور العقاد بين الايك والايك ٠٠٠ بين السحب والروض ٠٠٠ بين الماء والشجر ٠٠٠ طائر مرفرف بين الشباب والشيخوخة لا يسكن له جناح « مرفرفا قط ما استقر »

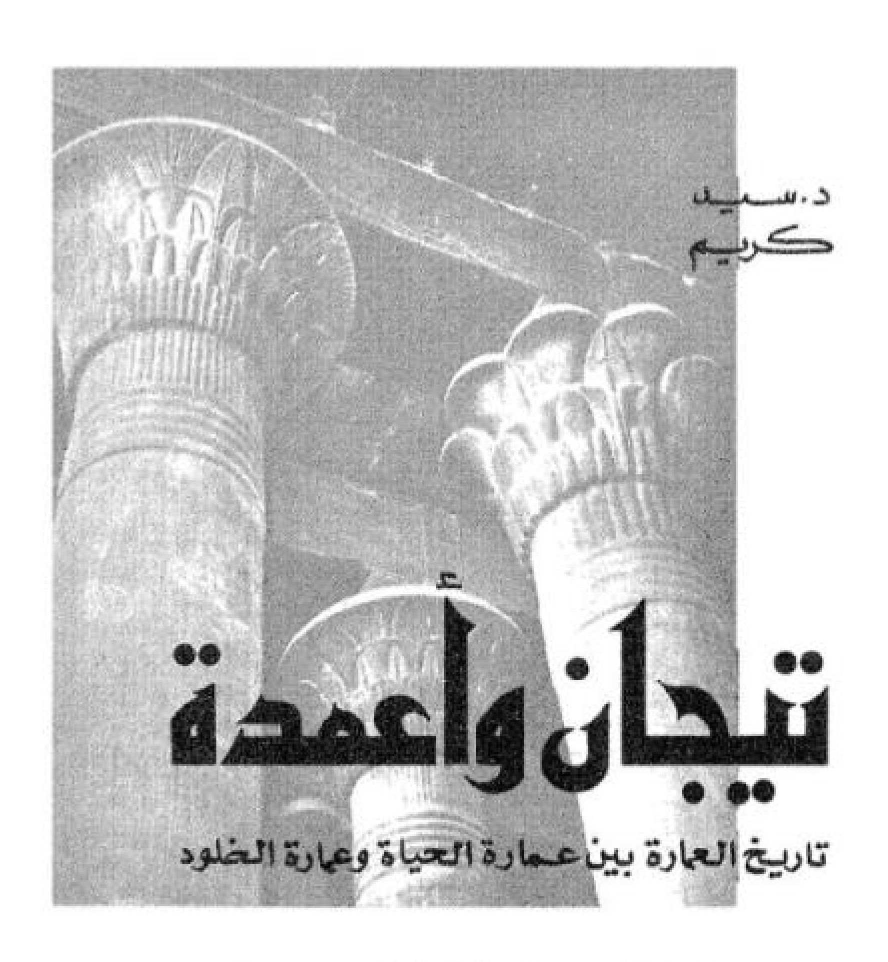
طار وليدا وطار شيخا
بين البساتين والغضر

وهو سعيد سعيد لا يعنيه بل لا يخطر على باله الجنود والحشود والعروش والتيجان وما ينجم عنها ويعلق بها من مداهنة ومداراة وخوف وحذر ، وكل ما يكبل الانسان من قيود تغتال حريته ووجوده:



حط على الغصن والعمر
اقل من لمحة البصر
مغردا قط ما توانى
مرفرفا قط ما استقر
كخفة الطفل فى صباه
لكنها خفة العمر
وروده نغبة لاخرى
من خوف الطائر الصغير
يقارب السحب ثم يهوى
يبشر الارض بالمطر
أصدق من سار فى سرار
بين الحيا العذب والشجر
ويستحث الرياح ضربا
بخافقيه فتبتدر
أخبر بالنضج مقلتاه
ممن شقى الحب او بطر
سله عن الجد والزهر
سله عن الملك والسرر
لم ياته عنهمو بلاغ
ولا دليل ولا خبر
هذا هو العيش فاغبطوه
عليه يا ايها البشر

• ص • ج •



● هناك فرق شاسع بين كتابة التاريخ كفن ، وكتابته كعلم ... كتبه المؤرخون القدامى عبر التاريخ على انه فن . فن كتابة التاريخ. اما اليوم فى عصر العلوم والتكنولوجية . العصر اللى يشترك فيه العقل الالكترونى مع العقل البشرى فى البحث والتنقيب والتحليل فقد وضع التاريخ تحت مجهر العقل الالكترونى .

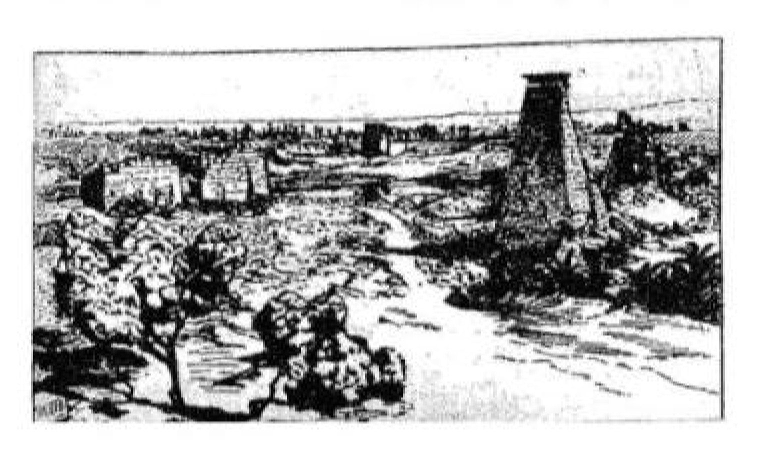
نظر العالم الى التاريخ كنظرية علمية . الامانة فى تسجيلها معناها جمعها وتحليلها وتفسيرها وربط حلقاتها ببعضها البعض ، حتى الاساطير امكن تحليلها وتحويلها الى حقائق علمية ثابتة . وما عجز المؤرخون عن تفسيره كفن ، وصفوه بالسحر ـ قام العقل الالكترونى

بتحليله كعلم .. وفسره كواقع علمي . وهكذا اصطدم التاريخ في كثير من بحوثه بما اطلق عليه اسم «الغاز الحضارة» تلك الالغاز التي شوه الاجتهاد في تفسيرها جوهر الحضارة وانجازاتها الحضارية الفعلية
وتاريخ العمارة الفرعونية ، كغيره من عناصر تاريخ الحضارة ، فالطريقة التي كتب بها ورغم تمجيد المؤرخين له ووصفهم العمارة المصرية بانها ام الفنون المعمارية ـ فقد جانبهم الصواب عندما نظروا اليها من زاوية ضيقة ومحدودة اغفلت الكثير من قيمها الفعلية وما حققته من انجازات كانت وليدة البحث العلمي الذي تميزت به الحضارة المصرية عن بقية الحضارات الاخرى .

لقد وصف تاريخ العمارة دور العمارة الفرعونية في رسم اول خط للسماء رسمته يد الانسان ـ بانه بدأ بالخطوط الهندسية الافقية ومسطحاتها المستوية التي عبر عنها بالمصاطب ، وارتفعت المصاطب عن سطح الارض في طبقات متراصة فوق بعضها البعض لتصنع الاهرامات المدرجة التي تمثل سلم الصعود الى السماء ،

وانتقلت منها الى الاهرامات الهندسية الاشكال والرياضية التكوين باضلاعها المنحنية والمستقيمة واسطحها الزخرفية الملساء ، ثم ارتفع الهرم بقاعدته عن سطح الارض لتظهر معابد الشمس ثم تعلو فوق قائم يشق طريقه نحو السماء لتظهر المسلات الرشيقة بقممها الهرمية تناطح السحاب وتكون اكثر قربا من من السماء وتقربا الى الآلهة .

ثم انتقلت من الجدران الصماء والحوائط العالية الى الدعامات والقوائم والاعمدة التي تحمل الاعتاب والكمرات والاسقف لتضع اسس الهياكل الانشائية بتعدد نظريات تكوينها التي تغيرت ابعادها ونسبها تبعا لتغير مواد البناء





مدينة الموتى .. أهى تعبر عن طراز عمارة القاهرة الحديثة ، وتكتب تاريخ عمارتها؟

ونظريات انشائها فحددت طراز العمارة الفرعونية ومراحل تطور معالمها عبر التاريخ .

● ان تلك العمارة التى ارتفعت على شواطىء نهر النيل وتجمعت فى معرض طوله الف كيلومتر يمتد من شلالات اسوان الجرانيتية الى شواطىء البحر الابيض المتوسط الرملية وسبعة الآف عام تمتد من عهد ما قبل الاسرات الى نهاية العصور الفرعونية ـ نجح بآثاره الخالدة التى قاومت الزمن فى تسجيل حضارة مصر القديمة ولكنه لم ينجح فى تسجيل تاريخ عمارتها الحقيقى الذى خلد حضارتها .

● كلما ذكر اسم العمارة الفرعونية قفزت الى الأذهان تلك الاهرامات الخالدة والمعابد وبوابات الشمس والهياكل الجنائزية والتماثيل الضخمة وما يكتنف مبانيها من اسرار واعجاز فى وسائل بنائها وطرق انشائها ، فتلك السلسلة المتراصة من الاثار المعمارية

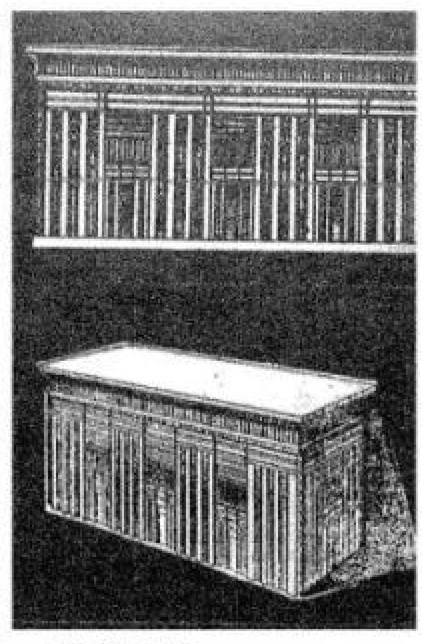
الخالدة كانت المرجع الدائم لكل من قاموا بكتابة تاريخ العمارة المصرية وما نسبوه اليه من أمجاد عندما وصفوها بأنها رسمت بداية خط السماء لتطور العمارة فى العالم والتى بدأت بالمقابر التى تحت الارض لترتفع فوقها فتظهر المصاطب وتستمر فى العلو حتى تصل الى المعابد والاهرامات ٠

فتلك العمارة التى تكلم عنها التاريخ المعمارى ، ووصفها بتاريخ العمارة لا تمثل فى الواقع الا جانبا واحدا من جوانب العمارة ٠ الجانب الذى لايعبر عن حقيقة العمارة ونشأتها وتطورها التى تمثل عناصر الحياة التى بنت الحضارة نفسها ٠ فللعمارة وجهان كوجهى العملة الواحدة يكمل كل منهما الاخر ٠

أحدهما أو أولهما عمارة الحياة ٠٠ العمارة التى تخدم حياة المجتمع وتعبر عن كيانه وتطوره وتسجل واقع مدنيته وتتمثل فى عمارة حياة المجتمع ومبانى مختلف نشاطات حياته التى تبدأ بمساكن المجتمع الى مبانيه العامة الى المدن نفسها التى تخطط لتجميع تلك المبانى وعلاقة المدن وتخطيطها بتخطيط حياة المجتمع ونظم معيشته وكيان تلك النظم اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وعقائديا ٠

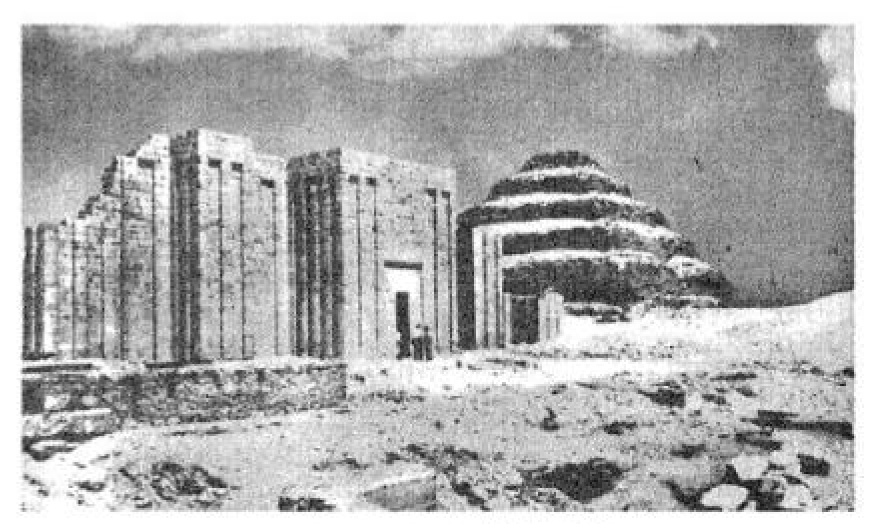
بينما الجانب الاخر أو الوجه الاخر للعمارة هو ما يطلق عليه عمارة الخلود ٠٠ أو عمارة الموت ، والتى تخدم العقائد والمعتقدات والتى تتمثل فى المقابر والمصاطب والاهرامات والمعابد، والتى أطلق عليها قدماء المصريين أنفسهم اسم عمارة العالم الآخر ٠

● فاذا عرفنا أن المصاطب التى كانت بداية فن العمارة وعلم الانشاء فى نظر كتاب تاريخ العمارة المصرية ، كانت مقابر الملوك والحكام وأن ساكنيها كانوا فى حياتهم يعيشون فى قصور



تابوت الملك خفرع

واجهة قصر الملك برايبش ـ الاسرة الثالثة ـ وجد منقوشا على أحد احجار مقبرته فى أبيدوس

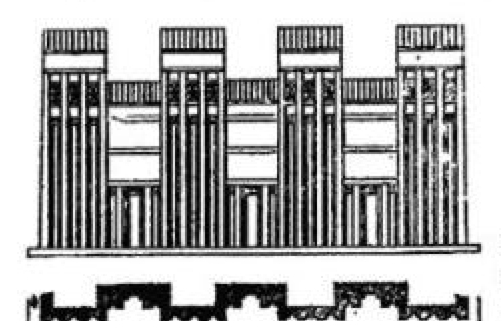


هرم سقارة المدرج طراز عمارة الخلود ،
ومباني عمارة الهرم .. طراز عمارة الحياة

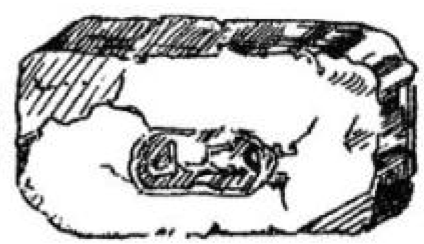
شامخة ومبان عاليــة فى مدن كاملة لمجتمع متكامل بأنظمة حكمه واقتصاديات مجتمعاته ومختلف مقــومات نواحى ثقافته والتى ترجع نشــأة مدينتها الى ألوف السنين التى تســبق بنــاء المقابر ومصــاطبها ـ لأدركنا مدى الخطــأ الذى وقعنا فيه عند كتابة تاريخ العمــارة . تاريخ نشأتها وتطورها وارتباطهمــا بالطابع والطراز .

فكتابة تاريخ العمارة من ذلك الجانب فقط كمحاولة كتابة تاريخ العمــارة المصرية الحديثة وطابعهــا او تاريخ عمارة قاهرة اليوم بدراسة عمــارة المدافن والقرافات المحيطة بها او مباني مدينة الموتى والتى لا تعطي صــورة حقيقية او واقعية عن حياة مجتمــع المدينة وعناصر تكوين مدنيتهــا من فنون وعلوم وثقافة تنعكس جميعها على العمارة وطرازها الحقيقى .

● كما تميزت حضارة مصر القديمة فى جميع نواحى عناصر تكوينهــا بارتكازهــا على البحث العلمى فكانت



واجهــة قصر الملك بوادجى من ملوك الاسرة الاولى وجد منقوشــا على ستيلا التتويج ..

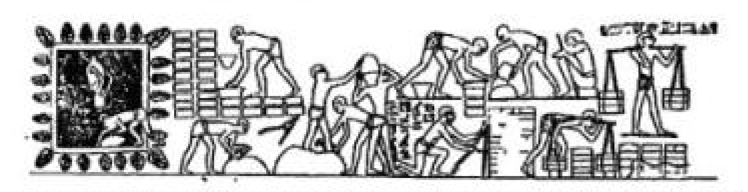


قالب الطوب المحدد الابعاد .. وحدة فن البناء وعلم الانشاء فى العالم المعمارى ابتكره قدماء المصريين من ٧٠٠٠ سنة ..

تلك المعجزات فى علوم الطب والصيدلة والفلك والتنجيم والرياضيات والهندسة والتى امتدت لتشمل مختلف علوم الحياة وفنونها وآدابها ، كذلك فن العمارة المصرية القديمة لم يكن وليد الاجتهاد والابتكار الفنى بل خلاصة تكنولوجيا علم البناء الذى وضع أسس كثير من نظريات العمارة وعلوم الانشاء فى مختلف الحضارات القديمة وامتدادها الى عمارة العصر الحديث العالمية نفسها .

لقد فسرت تلك النظريات المعمارية الانشائية التى أمكن التوصل الى معرفة واستكشاف مراجعها من عمارة الحياة - فسرت الكثير من الالغاز والاسرار التى توقف عندها التاريخ الوصفى لعمارة الخلود ووصل الكثير من حلقاتها المفقودة التى تربط علاقة تطورها بوسائل بنائها وطرق انشائها ، فكانت من الاسباب التى تركتها نهبا للافتراضات والاستنتاجات والتخمينات التى لجأ اليها كتاب تاريخ العمارة ، فتضاربت اقوالهم التى لا ترتكز على أساس تاريخى أو علمى سليم كما هو الحال فى وصف كتاب تاريخ العمارة لطرق بناء الاهرامات ووسائل اقامة المسلات والتماثيل الضخمة واقامتها ، أو نظريات بناء المعابد ورفع الكمرات والاسقف الحجرية والصخرية الضخمة التى تزن عشرات الاطنان الى تلك الارتفاعات الشاهقة التى يصل بعضها الى ارتفاع ناطحات السحاب الحديثة .

فليست عمارة الموتى ولا تاريخ العمارة الذى سجلته هو الذى سيكتب التاريخ الحقيقى لتلك العمارة ، بل تاريخ علوم انشائها التى ارتبطت بتكنولوجيا الحياة وعلومها ، وهو الذى يمكن الكشف عن جذوره واسراره بين آثار عمارة الحياة .. فهى التى ستكتب التاريخ الحقيقى للعمارة .



صناعة الطوب — مقبرة رخمى - رع

● لقد كشفت بحوث الآثار التى بدأت فى عهد قريب فى التنقيب عن عمارة الحياة التى امتدت جذورها الى عصر ما قبل الأسرات أن المصريين القـدماء كان لهم الفضـل فى وضـع مثلث تكنولوجيا علم البناء للعالم أجمع ذلك المثلث الذى تتكون أضلاعه من :

١ ـ وحدة البنـاء : وهو قالب الطوب • ابتكره المهندس المصرى القديم من ٨ آلاف سنة • أعطاه اسمه (توبى) وحدد شكله ونسب أبعاده التى احتفظ بها العالم الى اليوم •

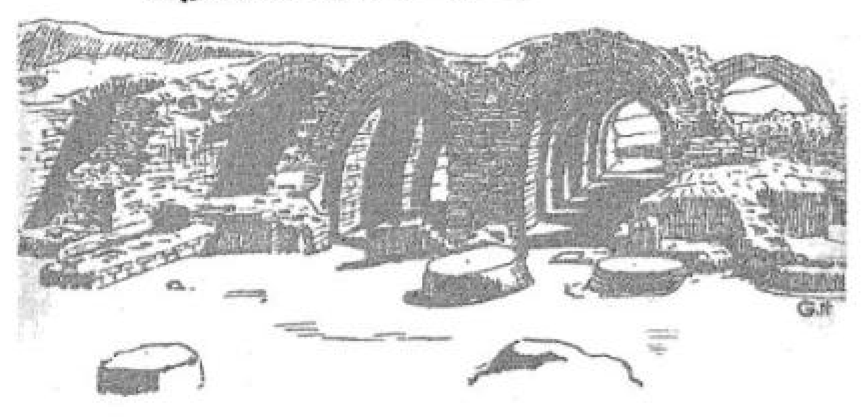
٢ ـ وحدة القياس : ابتـداء من البوصة الهرمية الى الذراع المعمارى وغيره من وحدات القياس وتقسيمتها العشرية والمئوية واستعمالها فى حساب الأبعاد والمسطحات والفراغ مع ما ارتبط بكل منها من نظريات حسابية ورياضية وهندسية بجانب اختراع الارقام التى حدد بها وحـدات القياس وعـلوم الرياضيات والهندسة التى وضـعت نظريات فن العمارة وعلوم الانشاء •

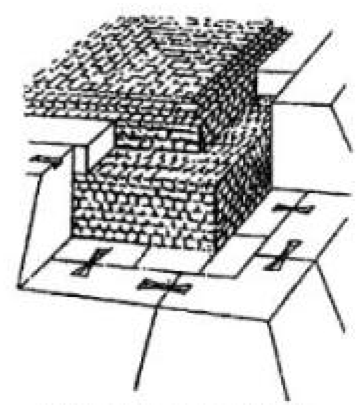
بالاضافة الى ابتكار وحدات قياس الزمن ابتداء من السنة الى الثانيـة



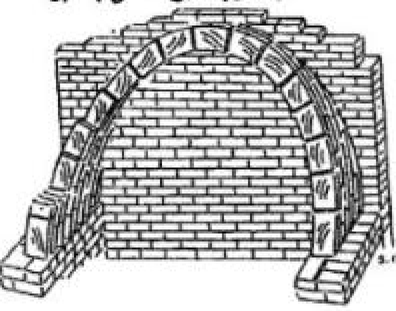
احد المخازن بمعبد الرمسيوم .. عقود من الطوب النى ، وتظهر عقود الطـوب فى الوضـع الطولى . . . . .

عقود مصرية قديمة بالطوب النى .. « طيبة »

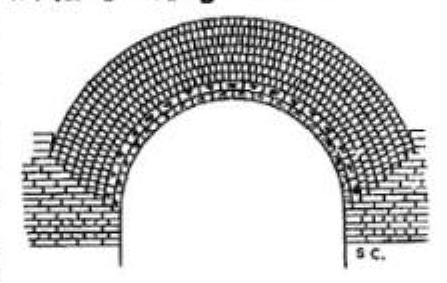




طريقة كسوة هرم دهشور المبنى بالطوب النيء المغطى بالحجر ..



طريقة بناء العقود من الطوب النيء بقوالب خاصة قائمة على سيفهاء الرسيوم بطيبة



طريقة بناء العقود من حلقتين ـ السفلى طبقتين من الطوب رصا طوليا على سيفه والعليا سبع طبقات رصا عرضيا ..

وتقسيماتها التى نقلها عنه العالم أجمع ولم يحاول تغييرها الى اليوم ·

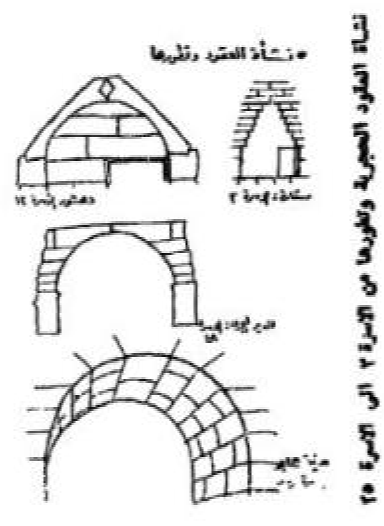
٣ ـ وحدة التشكيل : ابتداء من الخط المستقيم الى مختلف الزوايا والدوائر والمنحنيات وتشكيلاتها الهندسية وما ارتبط بها من علوم حساب المثلثات والهندسة الوصفية والعلوم التشكيلية ·

● لقد أقام قدماء المصريين مبانى الخلود أو مبانى الموت بالحجر والجرانيت لتبقى أبد الدهر تتحدى الزمن بينما بنوا مبانى الحياة بالطوب النيء وكسوها بالجص والأخشاب والمواد الزخرفية حتى تعبر عن الحياة وتساير تطورها فيكون للمبانى التى يعيش فيها الانسان عمر محدد كالانسان نفسه حتى يمكنها أن تتطور وتجدد نفسها لتساير حياة مجتمعه وتطور أجياله وحتى تعيش العمارة حياة المجتمع ولا تكون وقفا على خدمة جيل معين تتحول بعدها الى متاحف تسكنها وتعيش فيها الأجيال المتتالية ·

ان تلك الفلسفة المعمارية التى سجلها التاريخ المعمارى لعمارة الحياة عند الفراعنة عبرت أصدق تعبير عن واقعية الطراز المعمارى الخالد بتطوره وواقعية نظرته للحياة ·

● أين توجد مراجع عمارة الحياة؟

لقد حرص المصرى القديم ـ الذى آمن بالخلود الذى خلد به حضارته ـ حرص على الاحتفاظ بذكريات حياته الدنيوية ومعيشته فى اطار مجتمعه فزين حوائط مقابره بالنقوش والرسوم والصور والنماذج المجسمة التى تمثل ذكريات حياته الدنيوية فصور حياته الاجتماعية اليومية وما ارتبط بها من عادات وتقاليد · صور قاعات الاستقبال فى مسكنه وما كان يقام بها من حفلات استقبال وترفيه وأعياد كما صور ما كان يمارسه من أعمال فسجل الحرف



نشأة العقود الحجرية وتطورها من الأسرة الـ ٣ إلى الأسرة ٢٥

والصناعات التقليدية فى مختلف فنون وصناعات حياته •

وبالمثل كان المهندس المصرى القديم حريصا على تخليد تصميماته الهندسية وروائع فنه المعمارى فسجلها بدوره واحتفظ بين خزائن عمارة الخلود ومقابر أصحابها اما على شكل مخططات وتصميمات رسمها على صفحات أوراق البردى ولويحات الاستراكا والواح الاردواز • نقش عليها مساكن وقصور اصحاب القبور • كما نحت بعض نماذجها على حوائط مقبرة أصحابها وجدران النواويس • وفى بعض الامثلة التى كشفت عنها حفريات العصر العتيق وعهد الأسرات الاولى فى منطقة سقارة صنع المهندس المصرى تابوت الملك او صاحب المقبرة على شكل القصر او المسكن الذى كان يسكن فيه فى حياته فاذا بالتابوت الحجرى الذى تحفظ به المومياء ما هو الا نموذج مصغر (ماكيت) للقصر الذى كان يعيش فيه احتفظ به كتذكار لحياته الدنيوية وخلد به المعمارى عمله الفنى الذى قام به فى حياته • ويقدم للتاريخ صورة حقيقية وحية عن تاريخ العمارة المصرية •

لقد كشفت حفريات الدولة القديمة وعهد ما قبل الأسرات عن الكثير من نماذج القصور والدور العامة والمساكن وروائع الطراز الفرعونى القديم الذى تجاهلته مراجع تاريخ العمارة لتستعرض المصاطب والاهرامات والمعابد على انها تعبر عن طراز العمارة الفرعونية فى مختلف عصورها •

من بين الامثلة الحية لنماذج القصور أو عمارة الحياة التى احتفظ بها مصغرة فى مقابر العصر العتيق تابوت الملك بوانجى •
ملوك الأسرة الاولى • والتابوت

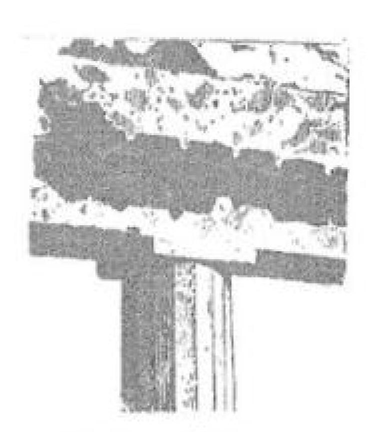
عبارة عن ماكيت مجسم للقصر الملكى بواجهاته وبواباته وزخارفه وطابعه المعمارى المميز بخطوطه الرأسية المستقيمة واعمدة الواجهات الملتصقة

ووصل ارتفاع الواجهات الى ما يقرب من الثلاثين مترا • وهو نفس الطراز المعمارى الذى ظهرت خطوطه الاولى قبل بداية الأسرة الاولى واستمر ليصبح

الطابع المميز لعمارة منف منذ نشأتها حتى نهاية الأسرة الثالثة كما ظهر واضحا فى حفريات عمارة الحياة ومبانيها العامة التى كانت تضمها أسوار هرم زوسر المدرج •

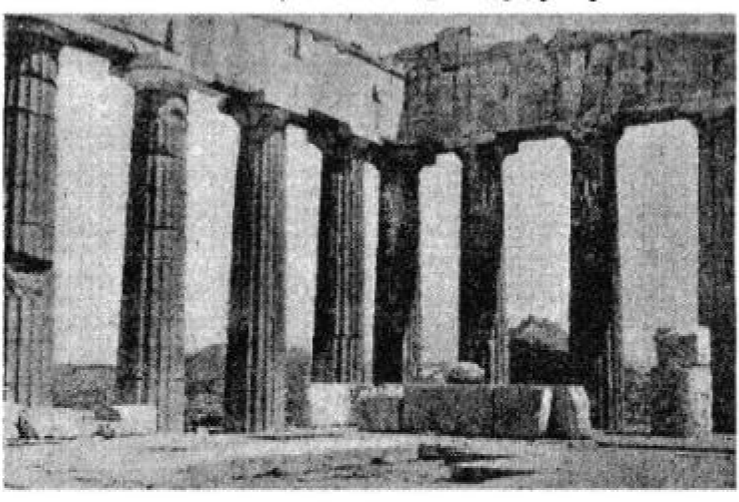
كما وجدت عدة نماذج للقصور وتصميمات واجهاتها فى مقابر ابيدوس من بينها نموذج لواجهات قصر الملك برايش – أحد ملوك الاسرة الثانية والملك بوانجى من ملوك الاسرة الثانية •

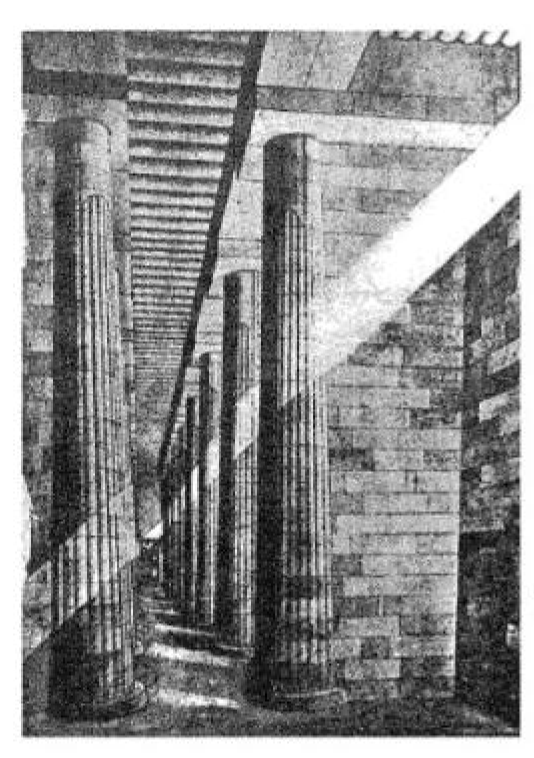
وانتقلت تقاليد تخليد عمارة الحياة فى نماذج التوابيت الى عصر الاهرامات فى الأسرة الرابعة حيث اكتشف علماء الاثار أن تابوت الملك خفرع ما هو الا



عمود المصرى ١٢٥٠ ق.م

معبد البارثنون – اثينا ٤٢٥ ق . م





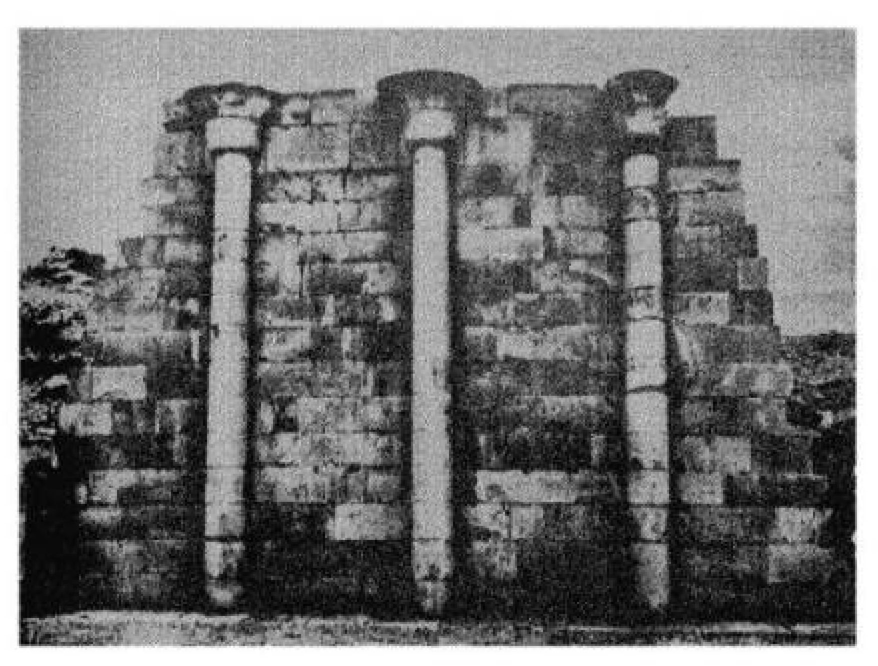
بهو الاعمدة بمعبد سقارة - الاسرة الثالثة ٢٩٨٠ ق ٠ م

نموذج مصغر للقصر الذى كان يسكنه فى حياته ٠

لقد كشفت حفريات مدن قدماء المصريين وآثار عمارة الحياة بها عن دور البحث العلمى فى وضع نظريات العمارة عند قدماء المصريين لمختلف مواد البناء الطبيعية المصنعة التى توصلوا الى اكتشافها او ابتكارها ٠ وقد اثبتت الدراسات الحديثة فضل مهندسى مصر القدماء فى ارساء أسس نظريات البناء والانشاء لمختلف مواد البناء التى انتقلت من مصر عبر التاريخ الى مختلف الحضارات الاخرى وما زالت تحتل مكانها فى العمارة العالمية الحديثة ٠ ويمكن تلخيص تلك المواد ونظريات انشائها والتى تعتبر نشأة فن البناء فى العالم فيما يلى :

● صناعة الطوب وتطور فن العمارة والانشاء :

قالب الطوب أو وحدة البناء أول ابتكار حضارى فى تصنيع فن البناء ترجع صناعة الطوب الى ما قبل عصر



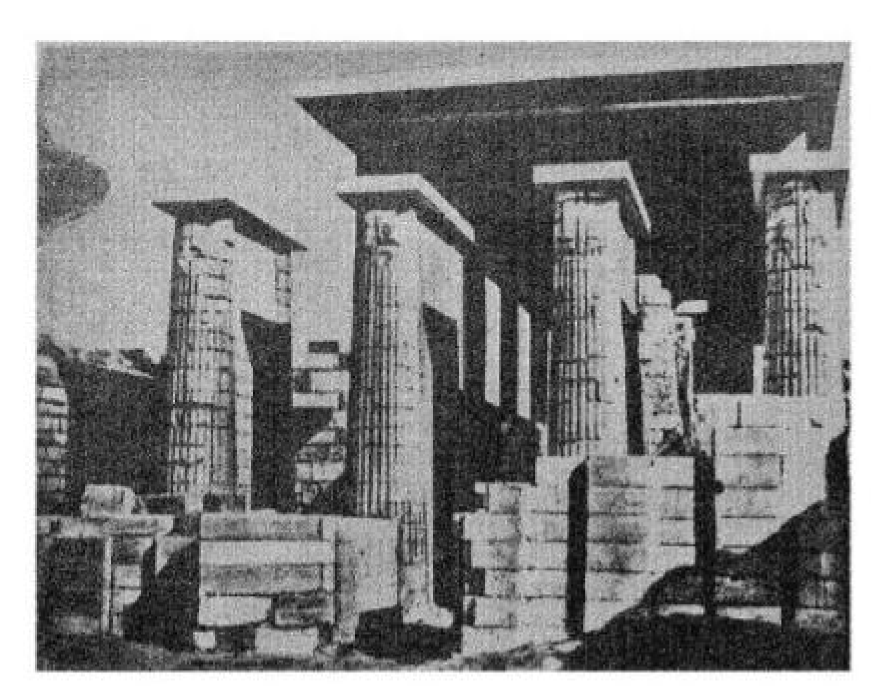
أعمدة الحائط الشمالى لمدينة منف « الب حز » ٣٠٠٠ ق.م مقدم مثل لتيجان اللوتس

الأسرات وتعود أقدم آثارها الى مايقرب من ثمانية الاف عام ۰ لم تكن صناعة الطوب فى عهد قدماء المصريين مختلفة عما هى عليه الآن' بل ما زالت كما كانت سواء من ناحية التكوين أو التصنيع أو طريقة البناء ۰ صنعوا قالب الطوب من طمى النيل ، الذى يقدمه له النهر كل عام على شاطئيه هدية لأبنائه وأبنيه ، ..

وكانوا يخلطون الطين بالتبن أو قش البوص وتخمر العجينة فى أحواض خاصة تشكل بعدها قوالب الطوب فى قرم خشبية ثم يرص لتجف فى الشمس وهى نفس الطريقة المستعملة الى اليوم ۰

كانت أبعاد قالب الطوب فى الدولة القديمة لا تختلف عن أبعادها فى العصر الحديث (٢٨ × ١٤ × ٧) سم ثم اختلفت مقاساتها من عصر الى آخر مع احتفاظ القالب بنسب أبعاده حتى أمكن معماريا تحديد تاريخ العصر الذى أقيم فيه المبنى من مقاسات الطوب التى كانت شائعة فى ذلك العهد ۰

كما ابتكر المصريون ختم قوالب الطوب باسم المصنع أو المنطقة التى يصنع بها ، وقد ابتكر المصريون نظرية بناء الحوائط الطويلة المرتفعة بمداميك مقوسة لمقاومة الهبوط والشروخ والتمدد وفى بعض الامثلة التى ظهرت فى الدولة الوسطى استعمل نوع خاص من الطوب مقوس الشكل تبنى به المداميك المموجة الشكل ۰ كما قاموا بتسليح الحوائط السميكة بوضع دعامات خشبية داخل الحوائط بين المداميك لربطها ، وقاموا بتسليح بعضها بالعروق الخشبية والفرع الاشجار والبوص ۰ كما استعملوا



اقدم مثل للاعمدة المفرزة طوليـا « بروتودوريك » سقارة الاسرة الثالثة ـ ٢٨٠٠ ق.م

جذوع النخيل الكاملة او بعد شـقها لتقوية الحوائط السميكة وخاصة فى حوائط الحصون والقلاع والاستحكامات الدفاعية وكانت قوالب الطوب النيء المستعمل فى بناء تلك المبـانى تخلط بالرمل والطفل وكسر الاحجار كمـا كانت ابعاد الطوب اكبر من أبعـاد الطوب المستعمل فى المبانى العـادية (٣٦ × ١٨ × ٩) ٠

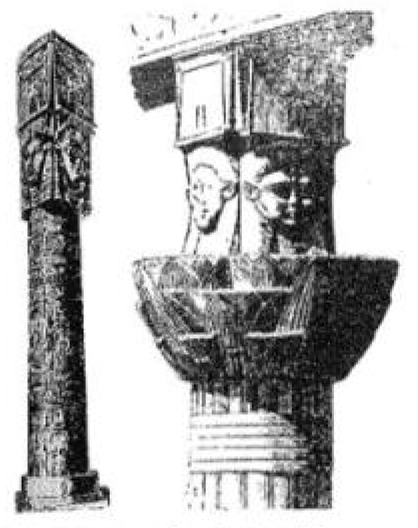
وقد تطور فن البناء بالطوب النيء ليصنع منه الفراعنة العقود بانواعها والاقبية والقباب ٠

كانت العقود تبنى برص مداميـك الطوب رأسيا وفى بعضـهـا تم رص المداميك افقيا كما استعملوا كلا الطـريقتين معـا بحيث ترص المداميك الافقية اسفل العقد تعلوها عدة طبقات من المداميك الرأسية ٠

وفى بعض أمثلة العقود بمعبـد الرومامسيوم فى طيبة صنعوا من الطوب النيء قوالب خاصة منحنية ومقوسة يكون تجميعها شكل العقود مباشرة ٠ واستعمل فى بناء حوائط الطوبسونة مكونة من الطين والطفل وكانت الحوائط تطلى بالطين المعجـون بالتبن بنفس الطريقة المستعملة حاليا فى الارياف (الدهاكة) ثم تدهن بالجير الابيض ، كما كانت المساكن بالمدن تطلى حوائطها بالجص الابيض وتزين بالنقـوش الزخرفية المتعددة الالوان ٠ واستعمل الحجر فى بناء أساسات مبانى الطوب النيء فى أوائل الدولة الوسطى فى المناطق الرطبة وخاصة فى مدن الدلتا ، وقد وصل ارتفاع المبانى بالطـوب النيء فى الدولة القـديمة الى ارتفاع ثلاثة ادوار



تاج عمود سعف النخيل



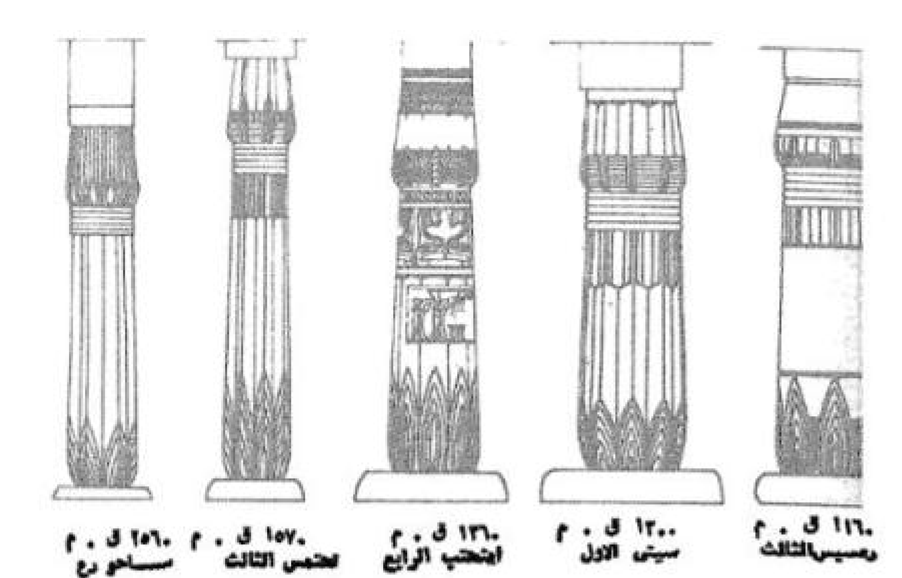


تاج حتحوري مركب عمود التاج الحتحوري

وكان الدور الارضى فى القصور المرتفعة يبنى باكمله بالحجر أما حوائط الادوار العليا فكانت تبنى بالطوب النيء وتطلى بالجص الذى تطلى به الحوائط الحجرية وقد عرف قدماء المصريين صناعة الطوب المحروق فى اواخر الدولة القديمة ويرجح بعض المؤرخين أن المصريين القدماء اكتشفوا صناعة الطوب الاحمر بالصدفة نظرا لان اقدم نماذجه واستعمالاته ظهرت فى أماكن صناعة الأوانى الفخارية التى تحول طوب حوائط افرانها بفعل الحريق الى الطوب الاحمر المعروف حاليا ثم انتشر استعماله فى الدولة الوسطى والدولة الحديثة • وكان الطوب فى الدولة الحديثة يحرق فى قمائن لا تختلف فى طريقة اعدادها وأشكالها عما هو مستعمل حاليا •

● الحجر فى تاريخ العمارة :

ويرجع استعمال قدماء المصريين للحجر الى الاسرة الاولى ، كما ورد فى مراجع تاريخ العمارة الذى ترجع اقدم امثلته الى عصر الملك اوديمو سادس ملوك الاسرة الاولى الذى اكتشفت مصطبته فى ابيدوس التى كسيت ارضياتها ببلاطات مصقولة من الجرانيت كما ذكر أن الملك خاسخموى آخر ملوك الاسرة الثانية كان اول من استعمل الحجر الجيرى فى كسوة الحوائط بدلا من الخشب والبياض الذى كان مستعملا فى معظم المصاطب ، ثم ظهرت كسوة الحوائط بالقيشانى فى عهد الملك زوسر فى الاسرة الثالثة ثم ظهر الحجر والجرانيت فى صناعة بوابة معبد



تطور اعمدة زهرة اللوتس

هيراكلونبوليس وانتقلت منها الى صناعة البوابات المحورية والمنزلقة التى كانت تستعمل لسد فتحات الطرقات الداخلية بالاهرامات ، أما استعمال الاحجار فى بلاطات الاسقف والاعتاب فقد وجدت بعض امثلتها فى عمارة الاسرة الاولى ٠

وكانت الاحجار التى استخدمت فى بناء مدينة منف وأسوارها المعروفة تستخرج من محاجر طرة والمعصرة ٠

لقد نسب كتاب تاريخ العمارة استعمال الحجر فى العمارة الفرعونية الى امحوتب مهندس الملك زوسر (الاسرة الثالثة ٢٨٠٠ ق ٠ م) عندما بنى هرم سقارة المدرج والمجموعة المعمارية المحيطة به وتبلغ مساحتها (٥٥٠ × ٢٨٠ مترا) وانتقلت منها العمارة بالحجر الى اهرامات الاسرة الرابعة ومعابدها

٠٠ لقد اشتملت الاهرامات ومعابدها على العديد من امثلة استعمالات الحجر فى العقود والأسقف المقوسة وتعتبر مرجعا لصناعة العقود الحجرية وتطورها فى علم الانشاء ٠

لا شك فى أن تلك الامثلة جميعها التى وصفها الباحثون بأنها اول محاولات للبناء بالحجر واستعمالاته سواء من ناحية فن البناء او طرق الانشاء أو أعمال التكسية والاعمال الزخرفية وقد وجدت جميعها فى المقابر او المصاطب كانت جميعها مستمدة من عمارة الحياة ولا تمثل الا جزءا بسيطا من فن العمارة واستعمالات الحجر بها التى كانت تبنى بها القصور والمبانى العامة ٠٠ والمدن بأكملها ، لذا فهى لا تعطى صورة حقيقية عن تاريخ

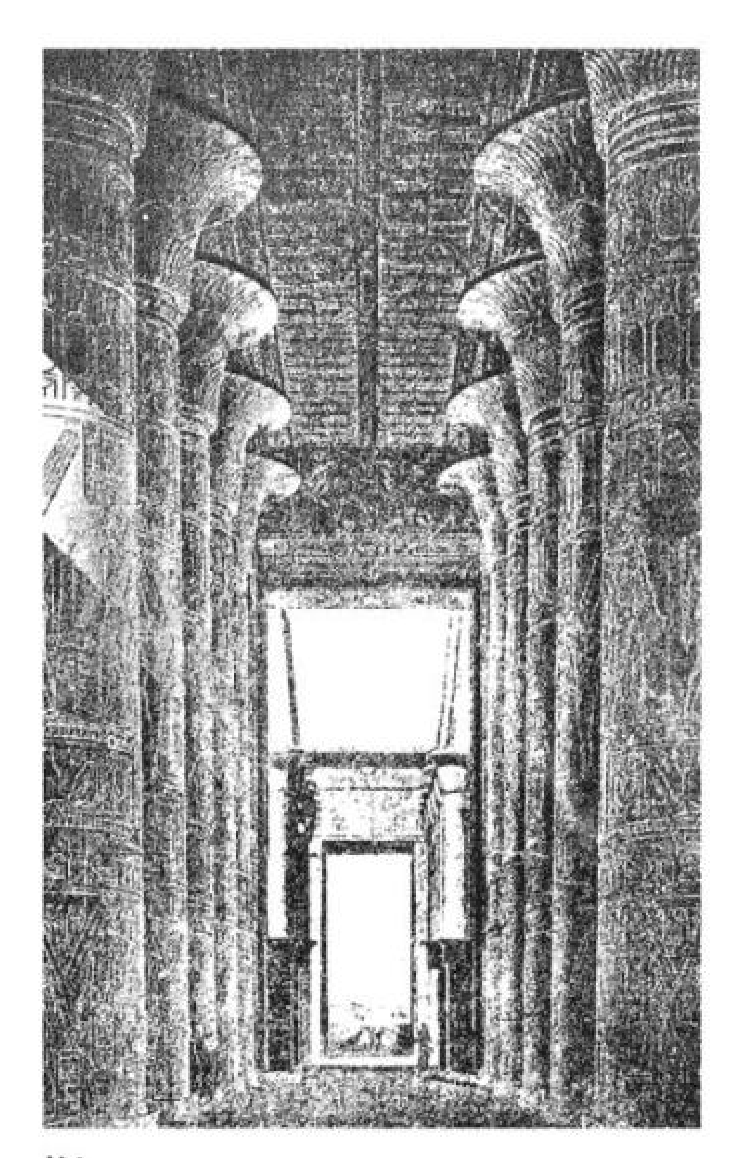
بهو الاعمدة فى الكرنك

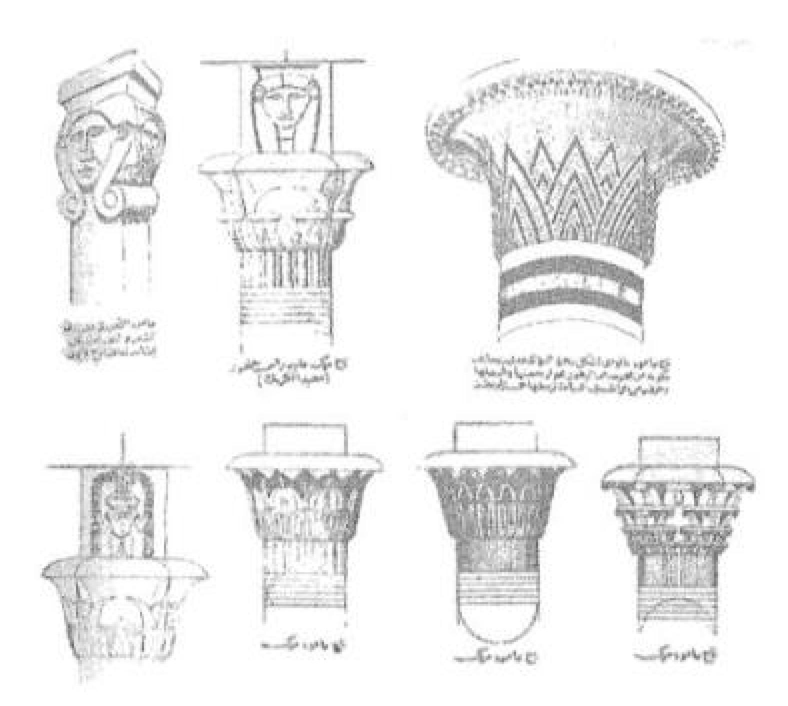
تتجمع جميع نظريات الهيكل الانشائى فى بهو الاعمدة بالكرنك الاعمدة والكمرات الرئيسية والفرعية ، والبلاطات والاضاءة العلوية للبهو والقاعات

العمارة بالحجر لا من الناحية الفنية ولا النظرية أو التاريخ الزمنى لنشأتها ومراحل تطورها ٠

● **التيجان والاعمدة فى فن العمارة :**

العمود هو وحدة التعريف فى وضع أسس الطرز المعمارية التى يطلق عليها فى فن العمارة اسم القواعد المعمارية الخمسة Orders وهى التوسكانى (العمود الاسطوانى البسيط) والدورى أو الدوريكى (المشطوف والمضلع) والايونى (الذى يتميز بتاجه ذى التحنيات الملتوية) ثم الكورنثى والمركب والتى تتميز بتيجانها النباتية ٠





لقد نسب الباحثون فى فن العمارة وتاريخها مصدر تلك الأعمدة وتيجانها الى العمارتين الاغريقية والرومانية ودورهما فى تطور مختلف الطرز الاوروبية . واذا رجعنا الى تاريخ ظهور الاعمدة فى العمارة بصفة عامة نجد ان أول ظهورها فى العمارة الاغريقية القديمة بدأ فى القرن العاشر قبل الميلاد بالعمود الدوريكى الطابع المميز للعمارة الاغريقية القديمة • وكان ذلك العمود بالذات موضع جدال بين الكتاب والمؤرخين عند اكتشاف مقابر بنى حسن التى ترجع الى الدولة الوسطى (١٩٧٠ ق· م) واكتشف شامبليون أن أعمدة مقابر بنى حسن صورة طبق الاصل من أعمدة الدوريك الاغريقية وتسبقها بتسعة قرون • وأطلق شامبليون على أعمدة بنى حسن اسم (البروتودوريك) أو أصل العمود الدورى هو الاسم الذى اصطلح عليه كتاب تاريخ العمارة فى العصر الحديث •

وقد حاول بعض الكتاب التشكيك فى تلك العلاقة بمحاولتهم ارجاع اصل العمود الدورى الاغريقى الى وجود رسوم لعمود مشابه له فى نقوش احدى الحفريات المقدونية القديمة التي ترجع الى تاريخ مقارب لتاريخ اعمدة بنى حسن ··· واخيرا لقد هدم تلك النظريات جميعها اكتشاف العمود الدوريكي متكاملا بمختلف اوضاعه المعمارية والانشائية واكثر تطورا من اعمدة بنى حسن واعمدة الاغريق وذلك فى حفريات العصر العتيق والدولة القديمة فى سقارة ومعابدها الجنائزية ومنشآت الهرم المدرج والتى ترجع الى عام ٢٩٠٠ ق · م مما يدل على انها نشأت من عدة قرون سابقة لذلك العصر بالذات •

بالرجوع الى مصدر الاعمدة ونشأتها وتطورها واستعمالاتها فى العمارة

الفرعونية على ضوء تلك البحوث ، يتكشف لنا أن الاعمدة لم تكن تطورا وتسلسلا طبيعيا من مبانى الحوائط الحاملة بمختلف المواد الى الدعامات ومنها الهياكل الانشائية التى حلت فيها الاعمدة والكمرات والبلاطات الأسقف محل الحوائط اى الانتقال من المصاطب الى الاستحكامات الى الاهرامات الى معابد الشمس وأخيرا المعابد وهياكلها المعمارية بمختلف أعمدتها ·

لقد كشفت دراسة العمارة الفرعونية أو عمارة الحياة وتطور عناصر انشائها أن الأعمدة وهياكل الانشاء المرتبطة بها قد ظهرت من اقدم العصور الفرعونية والى عصور ما قبل التاريخ وانها كانت من الطابع المميز لمبانى مدينة أون (عين شمس) أقدم عاصمة فى تاريخ الحضارة المصرية والتى يرجع انشاؤها الى ما لا يقل عن خمسة الاف سنة عن عصر الأسرات أو العصر العتيق ·

لقد اثبتت الدراسات أن اشكال الاعمدة فى العمارة الفرعونية مرتبط بنشأتها من اقدم العصور وانها نشأت فى عهود متقاربة ارتبطت فيها اسس الاعمدة وتيجانها بظروف المنطقة وطابعها وخاماتها الطبيعية ·

فالعمود الدورى المضلع المقرز يرمز الى صناعة الاعمدة من حزم البوص التى تربط ببعضها البعض بخيال الكتان وتحمل مخدة أو بلاطة تركز عليها كتل الكمرات وأعمدة النخيل بدأت باستعمال جذوع النخيل كأعمدة للمبانى بعد كسوتها وطلائها بالطين أو الجص ورسموا للعمود تاجا يمثل زعف النخلة رمزا لخلودها ثم أعمدة اللوتس والبردى والتى تمثل قوائمها حزم سيقان البردى واللوتس والبوص وبنفس طريقة أعمدة النخيل توج كل عمود بتاج يرمز الى زهور نباتات اللوتس والبردى ومختلف زهور النباتات التى كانت تصنع منها الاعمدة، لذلك كان ظهور أعمدة النخيل فى أقدم أمثلتها فى مناطق الصعيد التى اشتهرت بزراعة النخيل وأشجار الدوم أو مناطق الدلتا فى عواصم مصر القديمة التى سبقت عصر الأسرات كما أن أعمدة اللوتس التى ظهرت اقدم أمثلتها فى الصعيد ووصلت الى منف عندما كانت زهرة اللوتس شعار الوجه القبلى

اعمدة معبد انس الوجود « عرائس النيل العائمة » ـ الاعمدة المركبة من معبد البطالسة

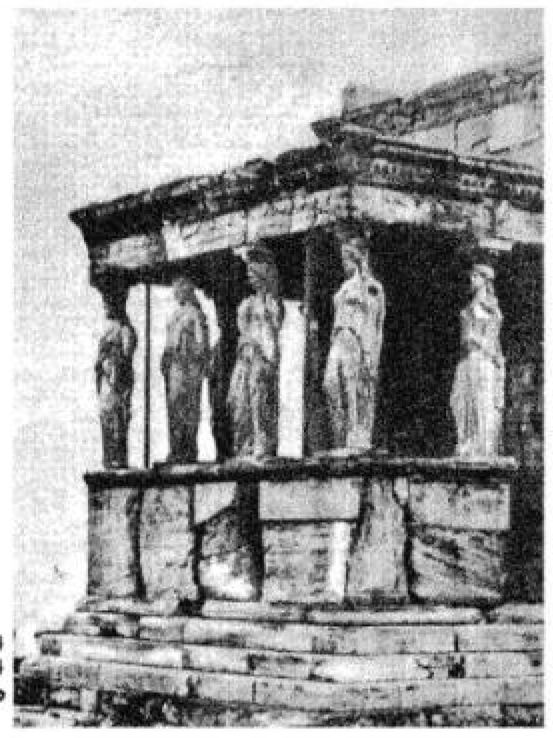


وبالمثل ظهرت اعمدة البردى فى الوجه البحرى والتى اصبحت زهرة نبات البردى شعارا له ٠

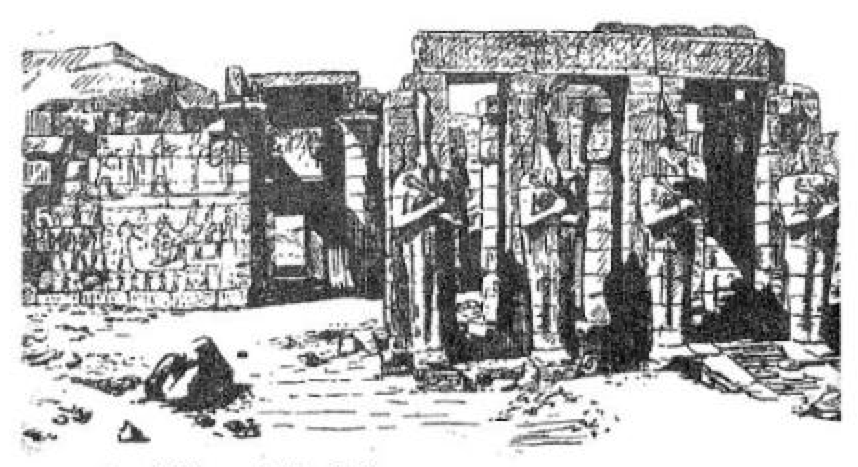
كانت تلك الاشكال التكوينية لنشأة الاعمدة وتتويجها هى التى وضعت قواعد الاعمدة الفرعونية وطرزها المعمارية باكملها عند صناعة الاعمدة من الحجر والجرانيت حيث احتفظت الاعمدة باشكالها وفنون زخرفتها وطابع تيجانها مما استمدته من أصول نشأتها تغيرت فيه نسبها وأبعادها من مواد بنائها ٠

لقد أثبتت حفريات العصر العتيق وسقارة ومدن أون القديمة (عين شمس) وتانيس ومنف وسقارة خطأ جميع النظريات التى حاول المؤرخون وكتاب تاريخ العمارة فى نسبة كل نوع من الاعمدة الى عصر تاريخى أو تاريخ زمنى معين ، كما هو الحال فى العمود الدوريكى ووجود امثلته متكاملة من الأسرة الاولى ٠

كذلك عمود النخيل الذى نسب الى الدولة الوسطى عندما كان الطراز أو الطابع المميز لمعابد ومبانى مدينة تانيس كما كان فى نفس الوقت مميزا لمبانى رمسيس الثانى فى الدولة الحديثة وجدت بعض مراجعه القديمة فى أهناسيا قبل الاسرة الاولى ٠ كما أن أعمدة البردى واللوتس والاعمدة



اعمدة الكرياتيد ٠ ٠
قاعة الارخيتون –
٥٠٤ ق ٠ م



اعمدةمعبدالرماسيوم ١٢٩٠ ق . م

المركبة التى نسبها المؤرخون الى عصر البطالسة وجدت بين حفريات الدولة القديمة والدولة المتوسطة ، وقد لعبت تيجان تلك الاعمدة دورا هاما فى اكثر من مرحلة من المراحل السياسية عندما كانت زهرة اللوتس رمزا للوجه القبلى وزهرة البردى كرمز للوجه البحرى ، فظهرت التيجان المركبة التى تجمع بين الزهرتين فى تكوينات زخرفية لتعبر عن وحدة البلاد وقدمت بعض التيجان كقرابين للاله لتتوج أعمدة المعابد كرمز للخلود لحفظ المبنى وحفظ الوحدة .

● ان ما توصلت اليه بحوث تاريخ الفن المعمارى عن أصل العمود الدوريكى الذى ثبت انه منقول من العمارة الفرعونية والاتفاق على تسمية العمود المصرى **Proto Doric** أو أصل العمود الدوريكى ينطبق على بقية الاعمدة أو القواعد المعمارية التى تنسبها تاريخ العمارة والفنون الى الاغريق والرومان والتى أمكن اكتشاف أصل كل منها أو النماذج المطابقة لها بين أعمدة العمارة الفرعونية وتيجانها المعبرة والتى سبقت كل منها مثيلاتها الاغريقية والرومانية بالوف السنين.

فالعمود الايونى ثانى القواعد المعمارية بمنحنيات تاجه الملتوية ظهر أيضا فى مصر فى عدة اشكال منها زهرة اللوتس بأوراقها الملتوية التى ظهرت لتتوج أعمدة الكرنك المربعة أو قرون الكباش الملفوفة التى ترمز للاله أمون والتى توضع على جانبى التاج لحمايته كما نسبتها احدى مراجع تاريخ الفنون القديمة الى لفتى ورق البردى التى ترمز الى أسرار المعرفة المقدسة وكانت توضع على جانبى التاج فى اعمدة غرف خزائن المعبد ، لحماية المقدسات التى تحمل تيجان الاعمدة أسقفها .

وقد نشر العلامة الدكتور اسكندر بدوى بحثا قيما (مجلة العمارة ١٩٤١) أطلق فيه على العمود الفرعونى اسم **Protionic** أى أصل العمود الايونى قدم فيه عدة أمثلة من عصر تحتمس الثالث ١٥٠٠ ق . م والمنحنيات الملتوية المرسومة على قاعدة تمثال اله

النيل كما قارن بين كثيــر من رموز وتيجان الاسرة الخامسة ٢٧٠٠ ق ٠ م وأثبت علاقة التــاج الايونى الاغريقى بكل منها ٠

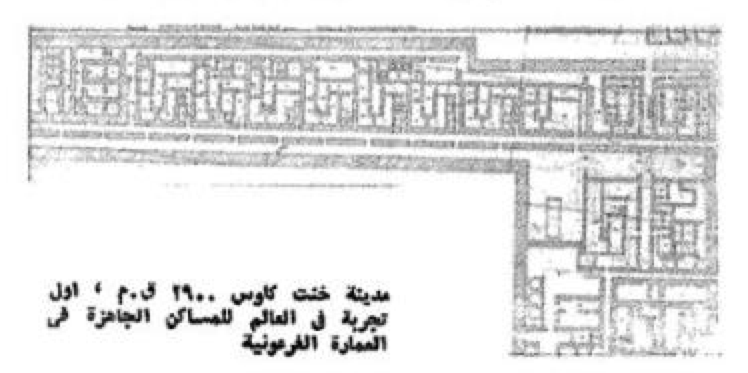
اما العمود الكورنثى وتاجه النباتى الزخرفى فما هو الا صورة من الاعمدة النباتية الفرعونية التى عم استعمالها فى عصر البطالمة وانتقلت عن طريقهم الى روما وكانت ايضا امتدادا لاعمدة اللوتس والبردى القديمة والتى استبدلت زهور البردى واللوتس وأوراقها بأوراق الزهور والنباتات الاغريقية والرومانية المعروفة ٠

أما العمود المركب أو رابع قواعد المعمارية فلا يختلف عن العمــود الفرعونى المركب الذى جمع بين نباتى اللوتس والبردى « زهرتى الوحدة » وادخلت بين ثنايا التيجان أنواع أخرى من الزهور والنباتات المصرية المعروفة ٠

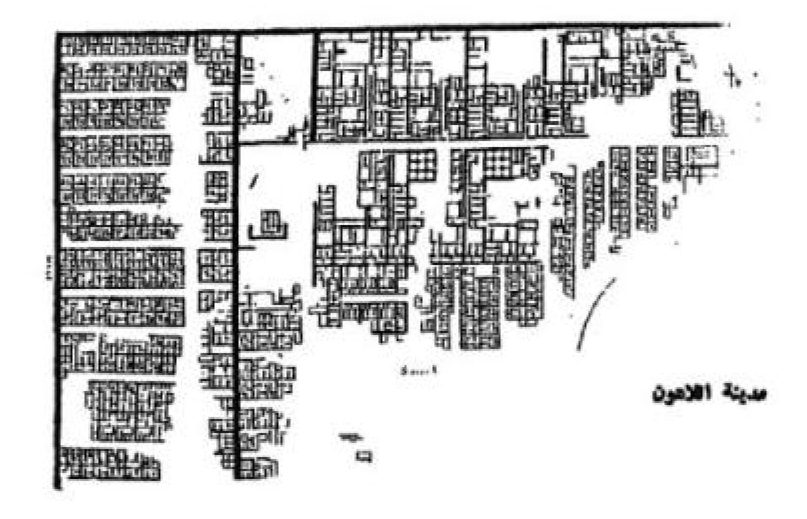
لم تكن النباتات وحدها تستعمل فى تصميم تيجان الاعمدة الفرعونيــة بل ظهرت رءوس المعبودات لتتويج الاعمدة كتيجان المعبودة حتحور بمعبد دندرة وتيجان المعبود بس كما ظهرت عــدة امثلة لتيجان او اعمــدة الملوك التى استعملت فيها تماثيل الملوك لتحل محل الاعمدة لحمل اسقف المعابد وقد انتقلت تلك التيجان لتظهر ضمن قواعد العمارة فى اعمدة الكرياتيد الاغريقية ٠

● العمــارة المصرية والبحث العلمى :

ان كانت تكنولوجيا العمارة الفرعونية قد وضعت أساس نظرية الانشاء المجهز بابتكار « قالب الطوب » ، اول وحــدة جاهزة ومصنعة فى علم البناء — فلا يجب أن ننسى أن بحوثهم العلميــة مهدت لهم السبق فى وضع اســس نظريات المبانى الســابقة التجهيز والمساكن الجاهزة ، وذلك من بداية الدولة القديمة وقبل عصر الاهرامات فقد ظهرت المســاكن الجاهزة التى تصنــع حوائطها من وحــدات خشبية متماثلة تثبت فى بعضــها البعض بأربطة من الجلد تثبت على قواعد حجرية بها مجرى تركز فيهــا الحوائط وتربطها من أعلى كتلة خشبية على شكل مجرى تحمل العروق الخشبية التى تكون الأسقف المزدوجة لمنع الحرارة تكسوها الالواح الخشبية من اســفل والحصائر من أعلى التى تغطى بطبقــة من الطفل كما صنعت لها وحدات ثابتة النماذج للابواب والشبابيك التى يمكن تثبيتها وفكها بســهولة ٠ وكانت تلك



مدينة خنت كاوس ٢٩٠٠ ق٠م ، اول تجربة فى العالم للمساكن الجاهزة فى العمارة الفرعونية



مدينة اللاهون

الانواع من المساكن الجاهزة يستعملها القواد فى ميادين الحرب بدلا من الخيام او فى رحلات الصيد ، كما وجدت نماذج منها يستعملها المهندسون ليقيموا فيها أثناء اقامة المنشآت أو تخطيط المدن وبناء المعابد ٠

كما طبق المصريون القدماء نظرية المساكن الجاهزة والسابقة التجهيز فى بناء مدن بأكملها ، ومن اقدم أمثلتها التى ظهرت متطورة علميا مدينة « خنت كاوس » احدى المدن التى بنيت فى الاسرة الرابعة ٢٥٦٥ ق ٠ م التى بنيت لتاوى عمال بناة الاهرامات ومعابدها الجنائزية ، كانت فكرة اقامتها بنظرية المساكن الجاهزة العمل على سرعة اقامتها وتجهيزها ثم سهولة فكها بعد الانتهاء من القيام بغرضها ثم أعدائها للعمال والفنيين الذين قاموا ببناء الاهرامات لينقلوا مساكنهم الى قراهم ومدنهم التى اتوا منها ليعملوا فى خدمة الاله ٠

قام المهندسون بتحقيق نظرية المساكن السابقة التجهيز بوضع تصميمات المساكن ذات النماذج والتصميمات والمساقط والابعاد الموحدة لجميع غرف المساكن وجزئياتها ٠ كما اعدت نماذج موحدة لجميع ابواب المساكن الخارجية والداخلية والشبابيك ٠ كذلك الوحدات الجاهزة لأعتاب الفتحات وكمرات الاسقف وبلاطات الارضيات ومجارى المياه وغيرها من مختلف التفاصيل ٠

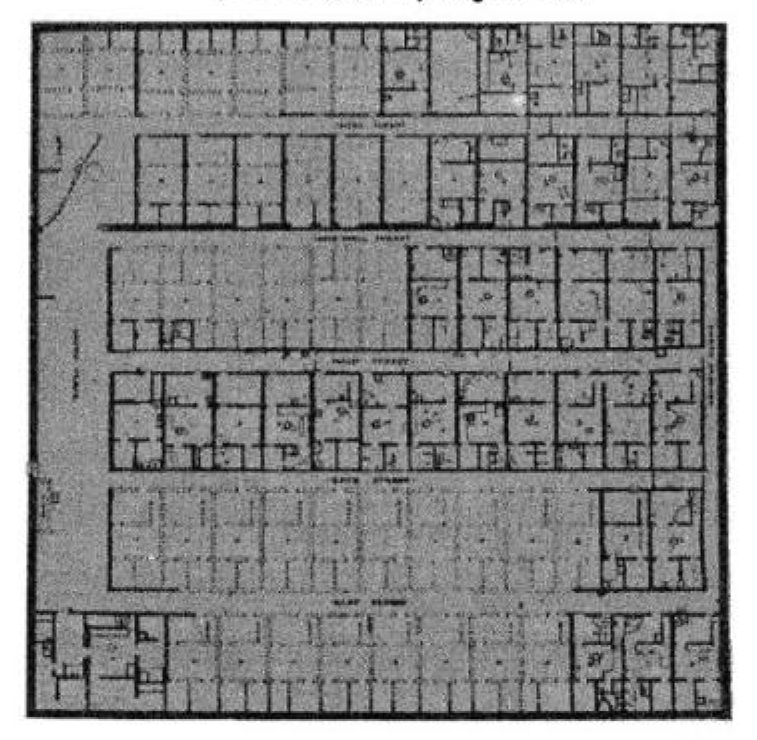
هناك مثل اخر اكثر تقدما وتطورا فى علم المساكن الجاهزة والمبانى السابقة التجهيز وهو الحى الشرقى بمدينة اخناتون فى تل العمارنة التى اقامها اخناتون عام ١٣٦٠ ق ٠ م وقد اشتمل التجهيز الموحد معظم أحياء المدينة حتى الاحياء الراقية منها فظهرت بجانب النماذج الموحدة السابقة لجميع أجزاء المبنى ووحدات انشائه ظهرت نماذج موحدة لدرجات السلالم والافران والمخازن بجانب الاعمال الزخرفية نفسها فتوحدت نماذج الاعمدة

والكرانيش الزخرفية ، بل انتقلت الى وضع نماذج موحدة للحمامات وأحواض السباحة التي لم يخل منها مسكن من المساكن ونافورات الحدائق واللوحات الزخرفية التي تزين الحوائط وأجزاء عديدة من قطع الاثاث مما أعطى للمدينة طابعا وشخصية مميزة ·

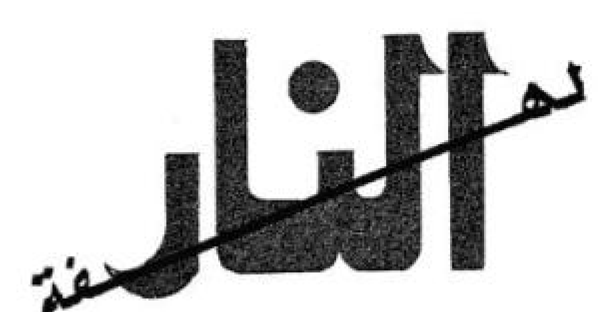
فالعمارة الفرعونية بفضل ارتكازها على البحث العلمي أسوة بغيرها من مقومات الحضارة كالطب والهندسة والفلك كان لها قصب السبق في تصنيع العمارة تصنيعا علميا فكان لها قصب السبق في ميدان المساكن الجاهزة والانشاء السابق التجهيز وانتاج الجملة في صناعة وحدات المباني والتي أصبحت الطابع المميز للعمارة العالمية الحديثة أو عمارة عصر التكنولوجيا ·

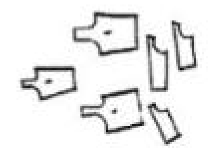
فدراسة العمارة المصرية من واقع عمارة الحياة ودور البحث العلمي في بنائها وتطورها هو الذي سيكتب تاريخ العمارة الفرعونية الحقيقي ويثبت انها مهد الحضارات المعمارية وعلومها وفنونها التي وضعت أسس وقواعد العمارة ونظرياتها في العالم أجمع ·

مدينة اخت أتون « تل العمارنة » مثل من امثلة المساكن السابقة التجهيز ١٣٥٠ ق.م



إبراهيم عيسى





على مَرْمَى نداءِ الشوق أدعُوها وأسترضِي
ففى عطشى ينابيع إلى صحرائِها تفضى
وحينَ أتَتْ وباح الحب عن أيّامه الرمضِ
تعانق شوقنا حتى تركتُ بصدرِها نبضى
فياوحشيّةَ الشفتين .. يا حُبّى ، ويا بغضى !
دَعِينى من سَماءٍ تزدهِى بالخفق والومضِ
وروحانيّةٍ تسمُو فنحْن هنا على الأرض
يجُوع الطينُ فى دمِنا ولا نقوَى على الرفضِ
شبابُ العمرِ أيام تجىءُ .. وفى غدٍ تمضى
فتصبُّ لهفةَ النارِ ليُطفِىءَ بعضُها بعضى !



دفاع عن



يكفي أن يذكر اسم مجنون ليلى حتى يتهدج وجدان كل عربي عرف الحب على شط النيل أو الرافدين أو على الجبل أو الصحراء في أى موطن من المحيط الى الخليج ، مثلما يخفق قلب الرجل او المرأة في الغرب حينما يطرق السمع اسم روميو وجولييت ٠

فالمجنون أو روميو هو انت ، وانا ، والاخرون ، عندما تقع فجاة في شرك الحب الجميل ثم ينتهي بنا الامر الى أن نجن أو نموت حبا ! ٠٠ وهو الانسان عندما يذوب كيانه حتى يتحول الى مزيج من المتعة والعذاب متصهرين ٠٠٠ عندما يصبح المحب والمحبوب روحا واحدا ويغدو العالم كله أحياء وأشياء بلا معنى الا الحب! ٠٠٠ حين يصير الواقع والوهم ، واليقظة والحلم ، والامس والغد واليوم – خلقا واحدا ٠٠

قيس وليلاه ، أو روميو «جولييت» هما الانسان الاعظم في عالم أخر غير عالمنا ٠٠٠ جاءا ويتكرر مجيئهما عبر الاجيال ، وفي كل مكان قبل أن يتحقق حلم البشرية في عالم بلازيف ، بلا تفرقة بين الجنسين أو الاجناس ، بلااستغلال وتعذيب ، بلا دماء ، عالم الفردوس الارضى ، عالم الطفولة في براءتها ونضارتها ، والشباب في نقائه وقوته ، عالم بلا ماض ولا حاضر ولا آت ، بلا زمن ، بلا قيود ولا حدود ، عالم الحرية التي يصبح فيها الانسان طيرا يغنى سرمديا ويبقى مع ذلك بشريا ٠٠٠

والذي يقدر له أن يعرف الحب



الحقيقى فى سن المراهقة أو فى مطلع الصبا ، سوف يدرك أن هذه الكلمات ليست مجرد الفاظ وتعبيرات مجازية ولكنها تعبير صادق عن أحوال النفس فى هذه المرحلة · والنفس الانسانية آفاق بغير حد واعماق بغير قاع ، لانها معجزة الله واعجوبته فى خلقه · وكلمات الشاعر المحب هى التى تصور كل هذه الحقائق · فكم درج على مسرح الحب والحياة من قيس ، فلم يتركوا لنا شيئا وربما لم يكونوا اقل وجدا منه فضاعوا وضاعت لياليهم ··· ولكن قيسا ولد ليبقى لانه وهب القيثارة الذهبية فكان النموذج والمثل الاعلى لهم · ولولا قيثارة شيكسبير لما كان قيس وليلاه الاوربيان ، بل انه لولا انشيكسبير كان قادرا على الحب المثالى وممارسا له أيضا فى صباه ، لما كان روميو وجولييت · فالفنان شاعرا كان او موسيقيا أو رساما او غيره من أرباب الفن هو وحده الذى يمثل الانسان المطلق اذ تجيش فى قلبه كل عواطف البشر وهمومهم ويستطيع تخليدها بالتعبير عنها فيعمق الاحساس بها فى نفس القارىء او المتلقى · ومن هنا يصدق قول المازنى « ان الشعر الحقيقى يزيد الانسان عراقة فى انسانيته » ·

●●●

والتجربة العاطفية لقيس وليلى تمثل نوعا خاصا من الحب اطلق عليه العرب قديما الحب العذرى ، نسبة الى بنى عذرة وهى قبيلة عربية تفرد ابناؤها بهذا اللون · وهو حب مثالى مطلق ، بمعنى انه نقيض الحب الواقعى الناشىء عن تعلق الجسد والروح او الجنس والعاطفة والخضوع للعوامل المحيطة للانسان · وهو ينشأ فى كل زمان ومكان طالما توافرت فى شأنه التربية الاجتماعية والنفسية التى ينبت فيها · ومن ثم لايمكن الحكم عليه بأنه انقرض بالنظر الى طبيعة المجتمع الانسانى فى عالم اليوم وغلبة العقل على الخيال بعد أن نضجت البشرية · ذلك لانه مهما كانت تلك الظاهرة الحضرية فان من طبيعة مرحلة المراهقة والشباب الباكر الجنوح الى الميتافيزيقا او الفكر المثالى الذى لا يعتمد على المدركات الحسية ، والعجز عن التفكير المنطقى وعن ادراك القوانين الموضوعية التى تحكم علاقات النفس بما حولها ومن حولها ، ومن هنا يغرق المراهق او الشاب فى لجج الحب التى لا قرار لها وينشىء لذاته عالما مستقلا عن الرؤى والاحلام ، وينتهى حبه الذى استقطب حياته بكافة جوانبها الى مأساة نتيجة عزلته وعدم قدرته على مواجهة الواقع والتكيف به ، ومايؤدى اليه ذلك من احباط وقهر وأسدال الستار على حبيب ذاهب اللب او منتحر ، او على حبيبين تمردا على الواقع ولم يستسلما ثم غلبهما الواقع فوضعا بأيديهما نهاية لحياتهما وأرادا ان يلقيا مصرعهما متعانقين ·

ولا يجمل بنا أن ندين مثل هذه العاطفة المثالية التى تشبه الاساطير ونحكم على اصحابها بالشذوذ او القصور بما انتهت اليه من مصير فاجع،

الحب العذرى

بل ان النظرة الانسانية الشاملة تقتضينا أن نتأمل فى ظاهرة الحب العذرى أو المثالى من خلال القيم والفضائل التى تتبلور فيه ، قيم النقاء والقداسة والصدق والاخاء • ولئن كان هذا الوفاء موجها الى الطرف الثانى فى الحب فانه ينتهى بأن يشمل الناس جميعا بحكم ما يكسب الحب صاحبه من دماثة الشعور ونبل الاحساس والايثار والانتصار للخير من الشر ، وما الى ذلك من خلال الفروسية العربية فى تقديس المرأة •

فالأحرى بنا أن نتبصر طبائع هؤلاء العشاق ونتعمق فى فهم دخائل نفوسهم ورقة مشاعرهم وسمو تضحياتهم ، وأن نأخذ بيدهم الى شاطىء النجاة ، كى نحول حبهم الفردى الى طاقة جماعية ونجعل منه قوة بناء للفرد والمجتمع لا معول هدم ••• وليس ثمة شك فى أن الحب العذرى يمكن أن يتطور من خلال تهيئة المناخ الاجتماعى لينتهى الى عش سعيد يضم أسرة بغير عقد أو ظواهر مرضية نفسية • ويمكن تهيئة هذا المناخ من طريق تفتيت التقاليد البالية التى تقف عائقا أصم يؤدى الى وأد مثل هذا الحب وقتل صاحبيه معنويا •

فلندافع عن الحب العذرى ، ولنصد عنه حملات الهزء والسخرية ••• فهى دعاوى افتراء على أجمل وأنبل ما فى الانسان ••• ونحن اذ نوفر له عوامل الحماية ونحيطه بالحب انما نحترم انسانيتنا ونحمى زهرة الطهر وننقذ معانى الحرية والجمال ، فليس بالعقل وحده يعيش الانسان وتصفو حياته ، وانما بالحب أيضا بل بالحب أولا •

***

ونظرة متأملة الى رصيدنا من الشعر العربى القديم فى الحب العذرى تؤكد لنا صدق ما ذهبنا اليه ، بما تمثله من صفحات ولوحات خالدة تجسد الاحساس العميق المرهف والجمال الاثيرى الشفيف حين يصل الانسان الى اسمى وأنبل القيم والمناقب • ان المستويات العالية من هذا الشعر مرآة تعكس من الآيات الفنية ما يثرى وجدان القارىء ويجلو عن عينيه القذى، وينزع عن صدره شوائب المرارة التى يطبعها على الضلوع عالمنا المجنون •

ومن هذه الصور ما أبدعه شعراء العرب العذريون فى تصوير لوعة الفراق • وما أكثر ما قرأ كاتب هذه السطور فى عهد التحصيل من أشعار فى هذا الغرض شكلت وجدانه وعمقت تجاربه فى الفن والحياة • وكان أجمل وأقوى هذه الأشعار جميعا ما قاله مجنون ليلى وأعنى به قيس بن الملوح الذى استوحاه شوقى مسرحيته الخالدة

لقد خلف لنا قيس العرب الأقدمين شعرا قليلا ، ولكن أثره – فى رأيى – أقوى مما ترك غيره من دواوين فى الحب المثالى لما اتسم به من عبير فنى فاغم وستمضى الأعوام عاما بعد عام جارفة فى طريقها الكثير مما قرأت وأن بقى أثره ، ولكنها أبدا لن تقوى على محو النصوص الشعرية لهذا العاشق المعذب العظيم من صفحة ذاكرتى •

ولئن كان عميد الادب العربى الدكتور طه حسين قد ارتاب فى وجود شاعر عاش يوما وأحب وكتب شعرا بهذا الاسم ، ورأى أن أشعاره منتحلة مثل شخصيته ، فان قراءة المجموعة الشعرية الصغيرة التى تركها قيس تدل على انتسابها الى شاعر واحد بحكم وحدة الاسلوب الفنى ، وعلى أنه صاحب تجربة حقيقية لا مصطنعة بحكم توهج النفس الشعرى ولا يفيدنا كثيرا بعد ذلك أن كان اسمه قيسا واسم محبوبته ليلى ، أو كان له أو لملهمته اسم آخر •

فلنتأمل معا قول قيس الملوح فى تصوير لوعة الفراق :

وخبرتماني أن تيماء منزل
لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت
فما للنوى ترمى بليلى المراميا

اى نبع من الشجن العميق يفجره فى النفس هذان البيتان ، وأى سحر خفى يكمن فيهما ؟ لنقتصد فى الشرح فان النثر يفسد الشعر أحيانا · ان قيسا هنا — على عادة شعراء البادية القدامى يخاطب رفيقيه فى رحلة الحياة سواء أكانا حقيقيين أم مجازيين استجلابا للتعاطف لما هو معروف لدى المجتمعات القبلية من شيوع الروح الجمعي المسيطر · فالفرد ينبع من صميم بيئته ويصب فيها ، فهى مدخله ومخرجه ، محياه ومماته · وهذه الروح التى تعبر عنها فى المصطلح الحديث بنزعة الانتماء هى التى تحكم مسار المرء وسلوكه وترسم حاضره ومستقبله ولا يستطيع عنها حولا ، والا نعته الرأى العام بالعصبية فحقت عليه لعنته · وذلك هو سبب العذاب المسلط على العشاق العذريين الذين يختارون بانفسهم حبهم ويستجيبون لنداء القلب دون نداء الجماعة المحكوم بالتقاليد العريقة عراقة الاجداد ، والتى استمدت رسوخها وصلابتها من الجبال المحيطة بالبيئة ·

يخاطب قيس خليليه بصوت ضارع يشوبه العذل والعتب الرقيق لأن ماجرى ليس من صنعهما بل هو جناية القدر · فلقد انباه — ليسريا عنه ويبعثا فى نفسه الأمل ، ويناشداه التحمل والتجمل — أن ليلى قادمة الى ارض تيماء — لا محالة — مع قدوم الصيف وستنزل بها ، ومن ثم يستطيع أن يطفىء نيران القلب بلقائها ، وما أبدع تعبير الشاعر عن مجىء الصيف بالقاء مرساته ، فالزمن هنا كائن حى على سفر فى عرض البحر ، ووجهته تيماء ، وسوف يبلغ شاطئها بعد أن ينقضى الشتاء والربيع وتهل تباشير الصيف · فصبرا قليلا أيها العاشق المعانى فان غدا لناظره قريب ·

وتهب الرياح الحارة بعد شتاء وربيع طويلين مبشرة بحلول الصيف فيضطرب قلب قيس فى صدره شوقا ولهفة ، ويستاف نسيم عذراته ليلى بعطر جوانب نفسه ويحيل شواظ اللهيب والعواصف الرملية أنفاسا ناعمة ، بل يحيل الرمضاء والحصباء جداول رقراقة ، ويعد العاشق أيام الشتاء وليالي الربيع فى انتظار موسم اللقاء · ثم يأتى الصيف أخيرا ولا تأتى ليلاه ·· ويتذرع الشاعر العانى ببقية من أمل · فما زالت للصيف بقية ·· ولكن شهوره تنصرم وينفرط عقدها النظيم ، ويخفت الرجاء ويستبد الوجد ، ويبدأ الحزن لعبته النكراء ·· ويستحيل الصيف فى أخرياته الى جمرات من اللظى تلفح الوجوه وتضرم سعير الجوى والحرمان ، ولا تحمل الرياح ليلى الى تيماء ، فينقطع حبل الأمل وتبلغ معابثة الدهر غايتها ، فما أشقى العشاق به بل ما أشقاهم بالحب حين يطوح الفراق بآمالهم الكبار وينفد أحلامهم الوردية !

أرأيت الى المحب الشاعر كيف يبدع فى تصوير لوعته حتى يعدينا بها ، فيخفق قلبه بين جوانحنا وتتحول جميعا الى عشاق ؟ ذلك هو الشعر الحق ·· كنز لا يقدر على الكشف عنه فى أغواره السحيقة الا البشر الخالدون ·· أولئك هم الشعراء العذريون يؤمهم قيس بن الملوح · فلنتأمل ما وراء الألفاظ ، ولنتمثل القيم الانسانية والجمالية فى شعر الحب العذرى ، ولتعلم أبناءنا — وهم فى مفترق الطريق — تلك القيم من خلال تذوق الفن الأصيل والاحساس به حتى يزدادوا عراقة فى انسانيتهم كما قال كاتبنا العظيم ابراهيم عبد القادر المازنى ·

الجديد فى المكتبة الغربية

محمد حسن



الكتاب : رسـالة الى أمى
المؤلف : جورج سيمنون

منــذ ست سنوات ، توفيت ام الكاتب الفرنسى المشهور جــورج سيمنون ، وهى فى الحادية والتسعين بمدينة لييج ، وفى نفس المستشفى الذى كان يشترك فيه جورج بقداس السادسة صباحا وهو طفل . ولقد ظل الاديب الكبير اسبوعا كاملا وهو جالس بجــوار سريرها ، يرقبها تموت : كانت منهوكة القــوى ولكنها هادئة ، تنظر اليه وهى تبتسم فى مرارة وكانما هى تقول « لماذا تاخرت على ياجورج ؟ » .. وظل بريق عينيها يتجدد كل صباح ، وكانما هى تقــول « انظر اننى ما زلت حية » !

ولقــد حاول الاديب الكبير ان يلم شتات ذكرياته عن الحيــاة التى لم يشاطرها اياها ابدا ، مدركا مدى قلة ما يعرف عن امه التى فارقها وهو فى التاسعة عشرة ، عنــدما توفى ابوه ، واضطر هو ان يغــادر البيت ليبنى مستقبله فى باريس .. « لم نتبــادل الحب خلال حياتنا كما تعرفين ، وان كان كل منا يتظاهر بذلك . والــيوم ، اعتقد أن الصورة التى كونها كل منــا للآخر كانت مشوهة .. ترى هل ادراك الانسان بانه يموت هو الذى يجعــله اكثر شفافية عن ذى قبــل ؟ .. اننى لست على يقين من ذلك ، ولكنى على يقين من أنك صنفت منكانوا يزورونك : ابناء العم والخـــال ، والجيـــران وغيرهم ، بدقة كبيرة ، وفى اللحظــة التى وصلت فيها ، صنفتنى انا ايضا ، وان لم تكن الصورة التى كونتها لى هى نفس الصورة التى كنت ابحث عنها فى عينيك وملامحك الهادئة .. كنت قــد بدأت ارى صورتك الحقيقية » !

وكانت هذه الصورة ضمن الرســالة التى كتبها لها سيمنون بعد ثلاث سنوات من وفاتها : بلا اجفال من قوة الملاحظة .. صــــورة مزعجة من فرط ادراك الخلفيات . صــورة متغيرة فى المزاج والشعور ، لأن سيمنون وصل الى سن متاخرة (٧٣ سنة هذا العام) .. وهو تغيير يلفت النظر ، من الصورة الخرافية التى رسمها لامه فى رواية « الاصــل العريق » التى تعد ترجمة شــخصية لايام شبابه فى مدينة لييج ، والتى ظهرت سنة ١٩٤٨ . اليز ، بطلة هذه الرواية كانت نكاءة ، مفرطة فى الســيطرة ، مقترة على نفسها وعلى الاسرة ...

فاصبحت فى هذه الرسالة هى هنرييت سيمنون ، الابنة غير المحظوظة (رقم ١٢) لام هولندية وأب المانى ســكير معدم ، مات وهى بعد فى سن الخامسة . وغطى الفقر حياتها : من الطفولة الى

الصبا والشباب وأول زواج لهـا من أبى سيمنون .. لقد أصـبحت البطلة التسـلطة القاسية ، بعد ربع قرن ، إنسانة باسمة ، لطيفة المعشر ، هادئة ، تعانى ولكنها لا تشكو أبدا !

وفى هذا الكتاب يوحى سيمنون بأن فقر أمه ، وفخرها بهذا الفقر ، وعطفها على الفقراء من أمثالها ، هو المسئول عن شخصيتها العنيدة من جهة ، ورقتها البادية ورغبتها العارمة فى الحياة من جهة أخرى ... « لدى صورة رؤية لك ترجع الى ذلك الوقت : كنت جميلة ، فى وجهك الصبوح استدارة الشباب ولكنى

كنت أرى فى عينيك ارادة حـديدية ، ورغبة لا حد لها فى العالم أجمع ، ولم أفهم أبدا سر عدم ثقتك بى » ...

ثم يوحى بعد ذلك برغبـة أمه فى استمرار وجود « مجرم داخل الأسرة » .. وقد وضح ذلك من واقع ظهـور أخوتها ، الأكبـر والأغنى والأبخل ، وأبنائهم وبناتهم وأزواجهم وأزواجهن، واحدا بعد واحد ، فى المقبرة بعـد ذلك .. ويكتب عن اثنتين من أخواتهـا لقيتا مصيرا مفجعا: واحدة فى مستشفى الأمراض العقلية ، والثانيـة من فرط السكر . ثم يصف حالة التـوتر التى تميزها ، والتى ورثها عنها وأورثهـا لابنه ، وهى الحالة التى أصابته بداء القلق أثناء النوم ، « وهو أمر غير عادى فى سنى الكبيرة هذه » .

ويذكر سيمنون زواج أمه الثـانى ، وهى فى سن الأربعين ، من موظف على المعاش بعد عمله فى السكة الحديد ، والكراهية العميقة التى نشبت بين الاثنين فيما بعد .. وهو ما سـبق أن رواه بالتفصيل فى قصته « القطـة » ، التى ظهرت سنة ١٩٦٧ .

ويستطرد سيمنون فى رسـالته الى أمه : « وعندى شعور خفى بأنك كنت طوال حياتك تريدين أن تظـلى مع الفقراء ، وقد يدهشـك أننى الآن ، أصبحت أيضا أكثر اقتـرابا منهم ، لأننى أشعر أن عالمهم هو عالمى .. وهو عالم الحقيقة بأجلى معانيها » !

ولقد أعلن جورج سيمنون أخيرا أنه لن يكتب الرواية بعد الآن ، وهو الآن منهمك فى ترجمة شـخصية ضخمة ، سوف تنشر تباعا فى الصـحف ... ويبدو أنه يمر بتجربة تشبه تجـارب أبطال رواياته ، فهو يبتعد شيئا فشيئا عن الحقيقة وواقع الحياة : تخلى عن مباهج الثروة والممتلكات والقصور ، ليعيش فى شقة صغيرة بمدينة لوزان . وربما كانت « رسالة الى أمى » هى بداية التأمل فى ماضى الحياة ومحاولة اعادة تفسيرها . والرسالة يمـكن مقارنتها بكتاب سيمون دى بوفوار عن الأم أمها : كلاهما موضوعى، وان كانت رسالة سيمنون تبدو أحيـانا خالية من العاطفة ، ويبدو أن موهبـة سيمنون كروائى عظيم ، لم تفارقه .. حتى فى العمل الموضوعى !

لا خيانة !

الكتاب : التيه الانجلو عربى

المؤلف : ايلى قدورى

هذه محاولة صهيونية جديدة لطمس الحق ، ومع ذلك يجدر بكل عربى أن يقرأها ، ليدرك تكتيك العدو ، وطريقتـه

في لوى الحقائق وخداع الشعوب . ولقد اختير الرجل المناسب للعمل المناسب : رجل في مسوح الاساتذة ، تخصص في تبرير اخطاء السياسة البريطانية ، في عدة كتب سودها لتبرئة ذمة الانجليز من هذه الاخطاء ... رغم ثبوتها بالوثائق التي لا يرقى اليها الشك !

ولا يجد الاستاذ قدوري بيئة اصلح لمغالطاته ، من الرسائل المتبادلة بين سير هنري ماكماهون ، المعتمد البريطاني في مصر ، والشريف حسين شريف مكة ما بين عامي ١٩١٥ ، ١٩١٦ والمعروف تاريخيا – ووثائقيا – ان ماكماهون كتب الى الشريف حسين واعدا اياه باستقلال الشرق العربي ، و مملكة عربية مستقلة تمتد من شبه الجزيرة العربية الى الشمال ، ما عدا المناطق غربي دمشق ، وهي حمص وحماة وحلب » ، وهي المناطق التي كان الفرنسيون يدعون أن لهم مصالح فيها اذا انضم الشريف حسين بقواته الى القوات البريطانية في حربها ضد الاتراك . بعد ذلك مباشرة نكث البريطانيون بالوعد ، وعقد سير مارك سايكس ومسيو جورج بيكو ، معاهدة سايكس بيكو المشهورة ، التي اعطت فرنسا شريحة من الامبراطورية العثمانية – أو المملكة العربية الموعودة – وهي ما يعرف الان بسورية ولبنان .. بعد ذلك أيضا ، اقتطعت شريحة أخرى من المملكة العربية حينما صدر وعد بلفور سنة ١٩١٧ بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ولقد عد العرب ذلك – بحق – خيانة من البريطانيين .. وأكد ذلك ساسة ومؤرخون بريطانيون لهم احترامهم مثل لورد كيرزون ، وأرنولد توينبي .

لقد فشل الاستاذ قدوري في ايجاد اى دليل حاسم على ان ماكماهون لم يعد العرب بفلسطين ، ولكنه بذل جهدا محموما للف والدوران حول الحقائق ، ليقول ان الوعد مجرد « خرافة نشات من مهارة العرب في فن المساومة ، ومشاعر البريطانيين الموالية للعرب ! متهزين عجز وغموض ماكماهون ، وسكرتيره الشرقي سير رونالد ستورس ومعاونيهما .. فضلا عن التفسير الخاطيء منجانبرجال وزارةالخارجية البريطانية ، الذين خلقوا هذه «العقدة» عمدا بالمبالغة في حقوق العرب » ! .. ثم يعود قدوري فيناقض نفسه ، فيتخلى عن فكرة الغموض ، ليقول ان « رسائل مكماهون كانت » واضحة « في عدم الوعد باكثر مما حدث بعد ذلك مع الفرنسيين واليهود » ، ثم يخرج على الملا البريطاني بصك تبرئة الذمة حين يقول انالبريطانيين لا ينبغي أن يشعروا بالذنب لانهم خانوا العرب بعد الحرب العالمية الاولى !

غير ان أكبر نقط الضعف في كتاب قدوري ، هي الخطة داخل الخطة .. اىمحاولة الايهام بانشعور البريطانيين بالذنب تجاه العرب ، هو المسئول عن انهاء النفوذ البريطاني فيالشرقالاوسط فمن المشكوك فيه ان تكون هذه العقدة من القوة بحيث تؤثر في مجرىالسياسة البريطانية ، وان كان ثمة عقدة ذنب ، فهذه لا ترجع الى نكث مكماهونبوعوده بل الى مسئولية بريطانيا عن الاحداث التى جرت في فلسطين من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٤٨ ، حينما انسحبوا من فلسطين تاركين السلاح في يد اليهود ، فتعرض العرب لتصفياتهم الدموية المعروفة .

وواضح بعد ذلك أن دافع المؤلف الى كل هذا الجهد هو كراهية العرب ، تلك الكراهية التى تفرغ الكتاب من مضمونه وقيمته ، لأنه يفتقر الى الصدق والموضوعية ، خاصة عندما يدعى أن العرب حصلوا من البريطانيين على ما يستحقون ، وأن الثورة العربية لم تكن سوى « فرقعة فارغة » ، مع أن القائد البريطانى حينئذ ، اللورد ويفيل قال ان قيمتها – أى قيمة الثورة العربية – للقائد البريطانى كانت عظيمة » !

جدار الوهم

الكتاب : سباندو – المذكرات السرية

المؤلف : ألبرت سبير

كثيرون لا تجربة لهم بحياة السجون ، ولا يعرفون عنها الا ما ترويه الصحف ، كل ما يعرفه الانسان العادى هو أن السجن قيد رهيب للحرية ، فيه يجتر السجين الملل والندم والحسرة فى أيام بلا تاريخ .. عذاب السجن بالنسبة للقارىء مجرد لفظ بلا مضمون ، أو فكرة عابرة فى قراءة هنا أو هناك ، لذلك يدهشنا كثيرا أن تسفر التجربة السلبية عن شىء بناء ، فالبعض لا يحتمل الشاق فقط ، بل ويستغل فراغ السجن فى عمل مفيد !

البرت سبير من هذا البعض الاخير ، وسبير هو مهندس هتلر الاكبر ووزيره لشئون التسليح ، الذى حكمت عليه محكمة جرائم الحرب التى عقدت بمدينة نورمبرج بعد الحرب العالمية الثانية ، بالسجن عشرين عاما . بعد عشرة أيام من نقل سبير – ورفاقه – من سجن نورمبرج الى سجن سبانداو ، على الاطراف الغربية لمدينة برلين ، عرض عليه السجان تونى فلير ، تهريب رسائله الى أسرته فى مدينة هيدلبرج . هذا السجان هولندى شاب فضل البقاء فى برلين بعد أن حرره الحلفاء – مع غيره – من السخرة فى مصانع هتلر السلاح سنة ١٩٤٥ . ولم يكن فلير قد التقى بسبير من قبل ، ولكنه حفظ جميله لانه بنى مستشفى خاصا لعلاج عمال السخرة ، عولج هو فيه . بعد أن تعززت الثقة بين السجين وسجانه ، بدأت رسائل السجين تتحول من مجرد رسائل شخصية ، الى مسودات كتاب مدون على ورق التواليت ، يروى يوميات سجين سياسى فى السجن .

كان سبير فى الحادية والاربعين حين حكم عليه بالسجن فى اكتوبر سنة ١٩٤٦ ، ضمن عدد كبير من زعماء النازى . بعد الحكم ، وفى زنزانة رطبة مظلمة فى سجن نورمبرج ، بدأ سبير يفكر فى مصيره : كان عليه أن يقضى ٧٣٠٥ أيام فى هذا السجن الرهيب ، يغادره وهو فى الحادية والستين ، فى حالة ذهنية وجسمانية مختلفة ولا شك .. هنا أدرك أن تخطيطا معقولا لحياته داخل السجن لا بد منه : اذا أردت أن أظل حيا ولا أصاب بالجنون » .

ولكن التخطيط الحقيقى لحياة السجين لم يبدأ الا بعد نقله وستة من زملائه بطريق الجو الى سجن سبانداو ببرلين « صباح يوم مشرق من ايام يوليو سنة ١٩٤٧ » .. هنا أتيحت له ، لأول مرة بعد ظلام ثمانية أشهر فى السجن ، أن يلقى نظرة على معالم الحياة فى بلاده ، فرأى منظرا مثيرا : « قطار يتحرك ، وباخرة تتهادى على نهر الألب ، ومدخنة عالية يتصاعد منها الدخان » !

وفى سجن سباندو بدأ يضع خطة لابقاء طاقاته الذهنية والجسمانية فى أحسن حالة ممكنة خلال العشرين سنة المقبلة ، وكان التخطيط للطاقات الجسمانية بسيطا : للسجن حديقة يمكن فلاحتها ، وكانت هناك الاعمال اليومية مثل تنظيف الزنازين والممرات ، وأحيانا طلاؤها . وكانت هناك الرياضة اليومية الاجبارية ، وهى المشى فى فناء السجن .. وهكذا أصبحت زراعة الخضر والزهور والاشجار نشاطا ممتعا ، وملل المشى ساعات طويلة فى فناء السجن كان يزول بعد الكيلومترات التى مشاها ،

وتخيلها رحلة ممتعة في دنيا الحرية بعدد هذه الكيلومترات .. في ٧ من أبريل سنة ١٩٥٧ ، كتب يقول : « انا الان في قلب ادغال الهند،وطبقاللخطة سوف اصل بيتاريس بعد خمسة اشهر » !

ولكن الصحة العقلية كانت أهم ما يقلق سبير ، ولحسن الحظ اعفته ادارة السجن من « المجاعة العقلية » بسماحها للمساجين باستعارة الكتب من مكتبة السجن التي كانت تحوى أكثر من ٤٠ الف مجلد . ورغم الاضاءة الضئيلة ، خصص سبير من ثلاث الى اربع ساعات كليوم للقراءة ، فقرأ بنهم وعلى نطاق واسع ، ولكن يبدو أن رغبة سبير في الكتابة هي التي اسهمت في نهاية الامر في احتفاظه بصحته العقلية، وفي أول يوم التقريفيه بتوني كلير ، كتب يقول : « الآن تسيطر على رغبة ملحة في الاستفادة من وقتي في كتابة شيء ذي أهمية : ترجمة حياة هتلر مثلا ، أو وصف السنوات التي قضيتها وزيرا للتسليح ، أو يوميات الايام الاخيرة للحرب . هذا يعني تحويل زنزانةالسجن الى صومعة فكر .. وخلال رياضتي اليومية في فناء السجن ، كنت اكبت رغبة عارمة في البوح بما كنت أنوى عمله » .

وقد تبلور هذا الجهد في مذكراته التي طبعت في انجلترا سنة ١٩٧٠ ، بعنوان « داخل الرايخ الثالث » ، التي تعد أول مرجع موثوق به عن فترة النازى في المانيا ، ثم هذا الكتاب الثمين ، الذى يبدو من افكاره فيه ، انه رجل موهوب ، حساس ومعقول ، ولو انه ، كما يعترف هو ، كان مغررا به بشكل لا يتصوره عقل !

وواضح من المذكرات أن المؤلف كان قد انعزل تماما عن الزمان والمكان والناس ، فلم يهتم بنظام التحكم الرباعي في برلين بأكثر من انه كان مدعاة للمضايقة ، ولو أن « الدول المختلفة ، بمزاجها ولغتها ومبادئها ادخلت نوعا من التغيير وظلالا من الالوان على ملل وجودنا » ، أما باقي المساجين الستة ـ وكلهم كان مريضا بشكل أو بآخر ـ فكانوا « أطيافا من الماضي غير التائب ، أطيافا برية دائمة الشكوى » .. كانوا يمتعضون من اعترافات سبير بمسئوليتهم الجماعية عن جرائم هتلر ... « كنا أساتذة في فن ابتكار التعبير اللطيف عن شيء بغيض » . وفي سنة ١٩٥٢ يقول : « الذى لا يزال يؤرقني الى اليوم هو كيف انغمست في مثل هذا الظلم الجماعي » ، ويروى بعض الطرائف عن زملائه ، خاصة تحديات هيس غير المتزنة وحركاته .

وكان من المستحيل أن يظل سبير على اتصال دائم بزوجته وابنائه الستة ، ولكنهم كانوا دائما في ذاكرته ، وحين يزورونه « كان من المستحيل أن يكون الجمود الذى اواجههم به في قاعة الزيارة معبرا عن طبيعتي ، كان هناك دائما ما يشبه الجدار بيني وبين الاخرين ، لقد حاولت جهدى أن أخفى هذا الجدار الذى جعلني غريبا بين بطانة هتلر من زملائي المساجين !

الذى لا شك فيه أن البرت سبير ، بمؤلفه ، قد قدم وثيقة انسانية من الطراز الاول !

ليته مثلي ..

روحية القليني

عشتَ يا قلبي له ترعى هواه ... وترى الدنيا ابتساما في بهاه
تسهر الليلَ حنينا وضنى ... وتنادي الفجرَ لا يبدي سناه
وظنوني في الدجى تعصف بي ... أهواهُ لكَ باقٍ ما سلاه
أم تنادي ناسيا في غيه ... نشوة الماضي وأحلامَ صباه
عاشَ في نبعِك نبضا باسما ... فتبدى شدوه فوق الشفاه
نطقت من بعد صمت جائر ... ثم قالت بعد طول الصمت آه
هل ترى مثلك يرعى عهده ... أم ترى ياقلب عن قدرك تاه
يا كريمَ النبضِ مزهو السنا ... هل ترى مثل، آبيه في هواه
أم تراه عابثا لا ينثني ... عن هوى الأطفال في زهو الفواه
ربما قد عربد الزهو به ... لم يضني ضل في التيه صداه
وأنا شط أمان باعث ... ضوءه الوهاج كي يهدي خطاه
وأنا نهر من النور صفا ... قلب من أهواه ضمت ضفتاه
وظلالي وارفات حوله ... يحتمي في دفئها مما شجاه
هو طفلي وأنا دللته ... أترى ينساق طفلي في جفاه
واثق مني فقلبي مهده ... فتمادى مادرى ماذا جناه
أترى يحطم قلبا ضمه ... يا لقلبي منه يالي من أساه
يا ذكي النبض قد حيرتني ... هل ترى تلعب بالنار يداه
ليته مثلي أبيٌ في الهوى ... وحده في القلب لم أشرك سواه
هو حلم القلب في فجر الهوى ... وهو في دنياي لي كل الحياه
ليت ظني كان حلما زائفا ... فاذا الصبح بدا غابَ دجاه

ميشيل تكلا

غسيل المخ



ايفان بافلوف



الدوس هكسلي

ان الانفعالات هي اهم الاهداف التي يتجه نحوها من يريد أن يغير تفكير انسان آخــر من القادة او غيرهم . وفي صراع الانسان مع العقل فان « غسيل المخ » من الاسلحة القيمة البتارة القاطعة .

ذكر « وليم سارجنت » في كتـابه « معركة العقل » أن افضل طريقــة لتفادي امتلاك النفس وخضوعها لارادة الغير ، أن نتفادى الوقوع في العاطفة .

والخوف المطلق والاثارة البالغــة تجعل الناس ينظرون الى الاشـيـاء بنظرة مخالفة للعادة . كما أن الارهاق العضلي والانهاك يساعدان على سرعة تحويل الانسان من حالة الى أخرى .

وتلعب الاحاسيس المرعبة دورا كبيــرا عند سماعها دقات الطبول او عنـــد خوضها رقصا عنيفا أو عندما يتعرض صاحبها الى تعذيب جسماني عنيف ، أو عند الخوف الشديد من النيران أو القوى الغامضة .

ويقول الدوس هكسلي في كتـابه « زبانية لندن » كل ما تستطيع أن نتكهن به اذا تعرض الانسان لسيطرة دقات الطبول وقعقعتها ، فان فلاسفتنا سوف يصخبون ويولولون مع المتوحشين في آخر الامر » .

وفي كتاب روبرت كونكوست بعنوان « الرعب العظيم » يقـــول « لم يكن الاعتراف هو الأغرب ، بل النغم وقبول وجهة نظر المدعين بأن ما اعترفوا به كانت جرائم لا تغتفر » .

وطبقا لرأي فرويد فان النـــاس

هندهم احساس أساسي للاعتراف وهو يعزو هذا الاحساس الى العقل الباطن ويحث الانسان عن طريقة ليستعيد بها حب الناس . ويشعر الانسان براحة عندما يعترف بجرم اقترفه . والذين يقدمون انفسهم الى رجال البوليس أحيانا على انهم ارتكبوا جرائم لم يرتكبوها أصلا ، كثيرون في البلدان الاوربية ومعروفون لدوائر البوليس ايضا ، ولهذا السبب فان كثيرا من التفاصيل الصغيرة لجريمة من الجرائم تحفظ سرا خوفا من الاعترافات المضللة أو الكاذبة .

وفي كتاب « المحاكمة » تأليف كافكا يقول ان السجين جوزيف لم يعرف التهمة التي وجهت اليه ولكن قيل له ان اصدقاءه وعائلته قد هجرته وتبرأت منه . أما الذين يعزلون عزلا تاما فانهم يتركون في حالة يرثى لها وفي حالة دائمة من الشكوك والتبدل بين الخوف والامل .. وقد بدا بعضهم في غرف المحاكمة وقد هزلت اجسامهم بسبب القلق الدائم وعدم النوم ليالي متتالية . وبعد وقت ان آجلا أو عاجلا سوف يصاب الواحد منهم بيأس شديد ويصبح من السهل اعترافه بأي شيء .

هكذا كتب الكسندر وايزبرج في كتابه « المتهم » وقال انه هو نفسه تعرض لمثل هذه الحالة عندما طبقت عليه بعض الوسائل لكي يشعر بانه مذنب ويجب الاعتراف بجرائمه ، وعندما قبض عليه رفض المحقق ان يذكر له اسباب اعتقاله . ولكنه طلب اليه ان يعود الى منزله ، ويراجع تاريخ حياته .

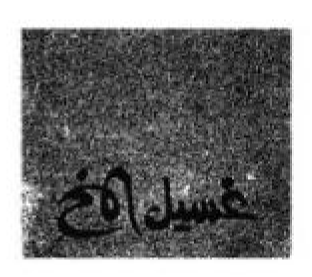
وعاد وايزبرج الى منزله واستعرض تاريخ حياته يوما بعد يوم وعاما بعد عام ولكنه لم يجد شيئا يدينه ، واخيرا تذكر حادثة وقعت له في عام ١٩٣٢ عندما اشترك مع جماعة من النازي الارهابيين في محاولة لقتل ستالين وفوروشلوف .

أصلُ عملية غسيلُ المخ

أجرى القدماء من البشر عملية غسيل المخ في مناسبات متعددة ، واستخدموها كعلاج للنفس المريضة ولا يزال يستخدمها البدائيون للتطهير النفسي .

ويذكر روبرت جريفس ان الاغريق استخدموا الرقص الديني للشفاء من الامراض العصبية . وكانت طريقتهم أن يرقص المريض على انغام الزمار ودقات الطبول حتى ينهار تماما ويسقط على الارض من الاعياء والاجهاد . ولاحظ الفيلسوف أرسطو فيما بعد « انه قبل أن يكشف المريض عن عواطفه المريضة كان لا بد اولا أن تثار هذه العواطف صناعيا » .

وترى مارجريت ميد أن اثارة العواطف وشحنها لكثير من افراد المجتمعات الصناعية كوسيلة لتحريكهم من حالة عقلية الى أخرى كانت متحتم القضاء وطمس صور الماضي واحلال محلها صور الحاضر بلمعاته وبريقه « وتضيف بأن هذا التحويل كان يشبه الى حد كبير التحويل من المعتقدات الدينية أو السياسية ، وتأثير المخدرات والصدمات الكهربائية على النفس البشرية . وتقول في كتابها « حياة جديدة للقدماء » : وفي جميع هذه الحالات كان النظام القديم لاستجابة الفرد للمؤثرات يهتز بعنف ويتحول الى نظام جديد يسهل قيادته » .



وفى العصور الوسطى وبعد أن تفشى الموت الاسود ظهرت رقصات هيسترية

فى أوروبا رآها بعض المؤرخين وقالوا عنها انها هروب اجمالى من الخـــوف

والانهيار اللذين سببهما الوباء القاتل. وكانت حركات الانسان فى هـــــذه

الرقصات حادة يصحبها صراخ وعويل. وقرر العقلاء من القوم ان أفضل طريقة

لايقاف هذه الموجة العارمة من الجنون الانسانى أن يسمح للراقص أن يستمر

فى رقصه حتى يصل فى نهاية الامر الى حالة انهيار مطلق . ولذلك أجر هؤلاء

العقلاء فرقا موسيقية لاثارة الراقصين والانتهاء منهم بسرعة واطلاق فرق من

المصارعين لضربهم حتى يفقــــــدوا توازنهم اذا لم تؤثر فيهم الموســـيقى

التأثير المطلوب . وبعد أن يفيقـوا من اغمائهم يعودون بهدوء الى منازلهم.

وفى حالة اثارة العواطف على هذا النحو فان التحويل يتم فى الحال . وفى

كثير من الحالات كانت قشة تقصـــم مقاومة الانسان وتخضعه للتحــــويل

المباشر . فعندما يجهد العقـــل فوق طاقته يحدث له انهيار وفشل ويعيـــــد

دورته . ويؤكد سارجنت «عندما يصاب الرجل أو الكلب بالهيســـتريا من أثر

الاجهاد المتزايد الذى لا يستطيع العقل أن يحتمله فان درعا ذاتيا يحـــدث على

الاثر لحماية الانسان وقـد يؤثر ذلك على نماذج تصرفاته العادية» .

التحليل النفسانى لغسيل المخ

يقول محللو النفس ان خبرة الانسان فى صباه والطريقة التى يكيف بهـــا عواطفه لها أكبر الاثر فى مواجهتـــــه

لأحداث الحياة مستقبلا واســــتجابة الانسان للارهاق ترجع أصلا الى مرض

العصاب أو ما أصيب به من اعتـــلال عصبى وظيفى فى صباه . والطريقة

التى يعالج بها الصبى مشاكله لها اكبر الاثر على مجريات حياته عندما يدخل

طور الرجولة . وقد وجد روبرتليفتون فى دراسته المكثفة عن الذين أجرى لهم

الصينيون عمليات غسيل مخ ، وجـــد علاقة قوية بين تحكم بعضهم فى العاطفة

أثناء صباهم وبين سرعة تأثرهم بغسيل المخ أو مقاومتهم له .

وكثير من علماء النفس وتلاميـــــذ المدرسة السلوكية لا يتفقون مع علمـاء محللى النفس . وبالرغم من انهـــم

لا ينكرون عليهم نظرياتهم ، الا انهم يحتفظون بوجهات نظرهم عن المخ على

انه نظام الى يستجيب الى منبهـــات مختلفة بطرق معينة .

ويعتقد ب . سكينر انه يمكن تغيير هذا العالم الى عالم أفضل من خـــلال

ما أسماه «بالتكييف المؤثر» وذلك بايجاد طرق افضل للتفكير والسلوك .

ويمكن تحقيق ذلك عن طريق «برامج مسلحة بالعلم والنظريات العلميــــــة

المؤثرة » · وتقسيم النـــاس الى مجموعات ·

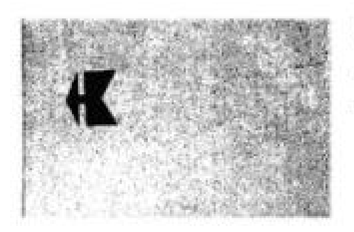
ومن الرواد الاوائل الذين انكبوا على دراسة « غســيل المخ » عالم النفس الروسى « ايفان بافلوف » الذى حصل على جائزة نوبل فى عام ١٩٠٤ لبحثه القيم عن « الانعكاسات المشروطة » · وقد أهملت نظرياته فى الغرب ، وأمضى بافلوف وقتا طويلا يحــدث انهيارات عصبية فى كلاب التجارب ويحولهـا الى كلاب مختلفة تماما عما كانت عليه أصلا · ووجد انه من الســهل اصابة اى كلب بانهيار عصبى وذلك باحداث اضطراب فى جهازه العصبى عن طريق اشارات مختلفة معقــدة ، ودرجة الاضطراب والاجهــاد التى يتحملها اى كلب تعتمد على مزاجــه الموروث وظروف البيئة التى نشأ فيها ولكن فى النهاية ينهار جهازه العصبى عن آخره ·

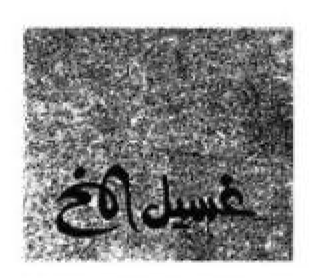
ووجد بافلوف انه بمهاجمته للجهـاز العصبى للكلب فان ســلوكه يبدأ فى التغير على الاثر · ونشــأت عن ذلك ثلاث حالات : حالة « التعادل » حيـث لا يستطيع المخ ان يميز بين المنبهــات الضعيفة والقوية ، وحالة « التناقض » حيث يستجيب المخ للمنبهات الضعيفة عن القوية ، وحالة « التناقض المطلق » حيث يتحول الســلوك المألوف من الايجابية الى السلبية والعكس بالعكس، وبطريق الصدفة حدث فيضــان فى ليننجراد ملأ معمل بافلوف بالماء حيث كان يوجد عدد من كلاب التجارب فى أقفاصها وطمست الفوضى والارتبــاك ما اكتسبته الكلاب من صفات جيدة· واستغرق العالم عدة شهور فى تدريب الكلاب مرة أخرى وكان ظهور أى ماء تحت باب المعمل ينســيها ما تعلمته ·

وتوصل بافلوف الى نظرية جـديدة فحواها انه عندما يحــدث امتطاط للجهاز العصبى لاى حيوان فانه يعمل على حماية نفسه من العــوامل المؤثرة المخيلة عليه ·

ويعتبر بافلوف فيلسوف وســائل غسل المخ السياسى بالرغم من انه كان شديد الانتقاد للنظــام السوفيتى ولكن السوفييت تقبلوا نقده بروح طيبة ·

وابان الحرب العالمية الثانية وجـه الغربيون انظارهم الى نظــرية بافلوف وبالرغم من أن النقــاد ظلوا يقرعون الطبول بأن الانسان ليس كلبــا حتى تطبق عليه نظريات بافلوف ، واعطت الحرب الفرصة للاطبــاء ليراقبوا تصرفات الرجال العاديين تحت ظروف غير عادية · ونشر دكتور روى سوانك وعدد من زملائه بحوثهم التى أجريت على خمسة آلاف ضحية فى أحـــد المعسكرات النرويجية · ووجـــدوا ان معظم الجنود الذين دخلوا المستشفيات بسبب الانهيار العصبى واصــابات الحرب كشفوا عن أعراض مثــل تلك التى ظهرت على حيــوانات بافلوف · وأصيب الجنود بانحــرافات شديدة فى المزاج من شدة التفاعلات التى كانت تجرى فى ميادين القتال، ونوبات اغماء وفقدان الذاكرة ، وعدم قــدرتهم على التمييز بين الاعداء وبين انفسهم ·





وكان معظم الجنود الذين دخلوا المستشفيات مثل كلاب بافلوف استجابوا للانهيار العصبى وللعلاج بالعقاقير أو الايحاء . وفى عام ١٩٢٠ اقترح وليم براون أن التطهير النفسى كان وسيلة فعالة فى شفاء المصابين باضطرابات عصبية عن علاجهم بالايحاء تحت التنويم المغناطيسى .

الخطف وغسيل المخ

ان الجندى او السياسى السجين على علم دائما بامكان وقوعه فى الأسر حتى الذى يعلم موعد تنفيذ حكم الاعدام فيه يستعد عقليا لهذا المصير أما الذى يخطف فانه يترك فى حالة ثابتة من الشك ، والخوف من أن المسئولين قد يرتكبون شيئا يفسد امكان نجاته . وقد قالت باتريشيا هيرست الى أبيها فى شريط تسجيل بعد أن خطفت بخمسة أيام « الامر متروك لك حقا لتتأكد من أن المخابرات الفيدرالية لن تفسد حياتى بتدخلها واقتراف شىء غبى » .

وفى حالة المختطف فان حياته تعتمد على نجاح مشروع مختطفيه ، ويواجه المختطف عادة حالة من « التهتك النفسانى » العنيف . لقد رفض والد باتريشيا هيرست أن يدفع أربعة ملايين دولار أخرى الى مختطفيها بحجة أنه ليس لديه هذا المال ، فردت عليه باتريشيا بغضب وانفعال قائلة « اننى أعرف أن لدينا المال .. وكيف يكون شعورك اذا قضى عليك بالاعدام كما هو الحال بالنسبة لى ؟ لقد بدأت أفكر فى أن أحدا أصبح لا يهتم بمصيرى » .

وتحت هذا الانتهاك والتهتك تتقارب العلاقة بين المخطوف ومختطفيه وقد يتحول شعوره فى آخر الامر عندما يصبح مختطفه هو مخلصه وأمله الوحيد فى النجاة على أساس أنه يحاول أن يخلصه من الورطة التى تردى فيها اذا استجاب المسئولون لشروطه وصدعوا لأوامره ودفعوا الفدية أو حققوا طلباته .

وتصف أنا فرويد فى كتابها « الذاتية ووسائل الدفاع » هذه الحالة النفسية أو القانون النفسانى الجديد بقولها « الاستكانة الكاملة والخضوع التام لشخص أقوى من الضحية » وتعزز هذا الرأى نيبرا كولنز التى احتجزها مختطفوها لمدة ٦٨ ساعة فى « بدروم » احدى المحاكم بواشنطن . لقد قالت بعد الافراج عنها أن مختطفيها عاملوها معاملة حسنة ويجب أن تفرج عنهم الحكومة ولا تمسهم بسوء » . وعلى ذلك فقد كانت هناك « علاقة » بين المخطوف ومختطفه هى التى تعزز نظريات علماء النفس - وفى عام ١٩٦٩ اختطف السفير الامريكى للبرازيل وذكر فيما بعد أنه أثناء فترة الاعتقال تحدث طويلا مع مختطفيه وفى نهاية الامر بدا يقتنع بوجهة نظرهم ويتعاطف معهم ، وتأسيس العلاقة

لقد ارتدت الى حالة الطفولة وأصبحت فى حالة لا توصف من الخوف والاستسلام ، وكنت افعل اى شيء يأمرنى به مختطفى » وهناك قصص كثيرة تداولت اخيرا عن وقوع مضيفات الطائرات فى غرام المسلحين الذين قاموا بخطف هذه الطائرات · ويعلل علماء النفس ذلك بقولهم :« ان الحب يمكن ان تثيره عواطف قوية وجلية ، ولا يهم ان تكون هذه العواطف مناسبة أو غير مناسبة » ·

غسيل المخ مرحلة من مراحل الخوف

يقول جوست ميرلو المحلل النفسانى: كل انسان له طاقة احتمال معينة ولكن لا يعرف مداها على وجه التحديد ·· ولا يستطيع انسان أن يتكهن لنفسه الى اى مدى يمكنه ان يقاوم اى ضغط من الضغوط ـ والمرحلة التى يتم فيها غسيل المخ او الاعتداء تكون مرحلة من الخوف المطلق والقلق والاثارة ·

وفى كثير من الاحوال يلام الناس على ما حدث لهم ·· فالآباء الذين يهرب منهم ابناؤهم يكونون قد اهملوا فى تربيتهم ، والمرأة التى تترك زوجها يقع فى براثن امرأة اخرى تكون هى السبب الذى هجرها بموجبه · لقد اختطفت باتريشيا هيرست لان اباها واسع الثراء ولذلك اصبحت هى ضحية الخطورة بعد أن غسل مخها غسيلا مؤثرا ، واصبحت نموذجا حيا يدرسه علماء النفس فى وقتنا الراهن ·



رأس امرأة اجريت لها عملية غسيل مخ

الانسانية مع المختطف تستطيع ان تصنع الفارق بين الحياة والموت ··

يقول فرويد: «عند ما يواجه انسان ضغوطا عظيمة لا يستطيع عقله تحملها فانه يتصرف بطريقة بدائية تعرف « بالارتداد » أو بطريقة صبيانية » ·

وقد اثبت ذلك جون بيتى جيتى حفيد البليونير جيتى فى حديث تليفزيونى اذ قال ان حالتى العقلية اثناء شهور الاعتقال الخمسة كانت كانسان يسبح فى الفضاء بين الحقيقة والخيال ،وكنت اشعر براحة نفسية وأنا اقلد ما يفعله الاطفال ، ألعب بالحجارة أو اصابعى



● نصر الدين عبد اللطيف ●

● عماد سيف الصالحانى – الرياض :

– أحبها ، ولا أحب أن يفوتنى فى الصباح موعدها : اليوجا !

فى البداية ، وعندما جمع الحب بيننا – اليوجا وأنا ! – كنت أقرأ مجموعة أعمال الكاتب الجهير أوسكار وايلد ، ولعلى اعجبت أو تأثرت يوما بمأثورة قالها لصديق عاشق مهموم وهو يشد أذنه ناصحا : « لا . لا يا فتى العصر ! لقد خلقت المرأة لنحبها ، لا لنفهمها ! » .

ويومئذ اختلط الامر على ، حتى حسبتها – اليوجا – امرأة ... فمضيت أحبها ولا أحاول أن أفهمها ... وكانت النتيجة ، ولا تزال حتى اليوم ، أننى بالحب وحده وبغير فهم ، لم أفد من حبيبتى اليوجا شيئا ... فلم اكتسب ما كنت أطمح اليه من الهدوء وشدة التأنى والاتزان ، بل لعلى أصبحت العن مما كنت : خفة ، وجموحا ، وانعدام صبر !

● أحمد عادل عبد المنعم – الاسكندرية :

– لطالما استوقفنى مثلك المفسر لكلمة « الامية » ، وخاصة حين تجىء وصفا للرسول العظيم محمد ، فيقال « النبى الأمى » ... كنت أحس أن كلمة « أمى » وصفا للنبى ، بمعنى انه لا يقرأ ولا يكتب ، معنى لا اقبله ، ولكن لم يكن فى علمى ما يدحضه ...

الى أن صادفت فى مطالعاتى لاستاذنا الدكتور طه حسين ، الرأى الاصوب .. لكلمة « الامية » فى الاصل، كان العبريين يطلقونها على كل من ليس يهوديا أو من الناس خارج اليهودية ... أما استعمال كلمة

أمي بمعنى لا يقرأ ولا يكتب فهذا استعمال جديد ··· فمثلا النبي الأمي يعني النبي الذي هو من أصل عربي ، والذي هو من أمة أخرى ، فكلمة « الأمي » بالمعنى القديم هي هذا ·

وعلى ذلك « لا أدري لماذا استعملنا كلمة الأمية بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة ، فقد ذكروا أن الذين يحسنون القراءة والكتابة ماداموا ليسوا عربيين فهم « أميون » سواء قرأوا وكتبوا أو لم يقرأوا ويكتبوا ، « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » ···

● ماهر محمود حتى ــ الحلمية الجديدة :

ــ ليس بالطموح وحده يبلغ الناشيء في الشعر شأو الخالدين !

لا تسرف على نفسك ، وأنت في البداية ، بمشروع « ملحمة » شعرية كبرى ، قبل أن تتجاوز مرحلة المقطعات والقصيد تجويدا وتجديدا ! ·· ألم تسمع بما وقع لشاب مثلك ذهب يوما الى موسيقي موزار العظيم ، وسأله : « أريد أن أكتب سيمفونية ··· فكيف أكتب سيمفونية ؟ » فقال له موزار : « دع السيمفونية حتى تكبر ! وحاول الآن تلحين أغنية ··· » فعاد الشاب يقول : « ولكنك كتبت سيمفونية وانت في العاشرة ··· » فقال موزار : « نعم ··· ولكني لم أسأل أحدا كيف أكتبها ! » ·

● هشام كامل ــ الاسكندرية :

ــ أين هي الواقعية الجديدة ، في قصتك وفي القصيدة ، عن المهور الغالية ، وأزمة الشقق الخالية ؟

ان القصة والقصيدة ، تقريريتان بناء وأداء ، ضعيفتان ·

و « الواقعية الجديدة » التي تزهو بها قديمة جدا وموجودة قبل أن توجد أنت بما يتجاوز ألفا وثلثمائة عام ، عندما اشترى معاوية دارا في المدينة بستين الف دينار ، من صاحبها الذي كان قد اشتراها قبل سنوات بزق خمر ! ··· ومع ذلك تظلم الرجل وشهد له ناس وهو يقول : غبنني معاوية !

كذلك كانت الشكوى من غلاء مهور النساء الكريمات ، حتى روى الرواة أن عمر بن عبيد الله ، قد أمهر عائشة بنت طلحة مليون درهم! ·· وبلغ مهر سكينة وقتذاك الف الف درهم ، حتى نقم على ذلك أحد الشعراء فبعث الى عبد الله بن الزبير يقول :

مع
قراء
الهلال



أبلغ أمير المؤمنين مقالة — من ناصح لك لا يريد خداعا
مهر الفتاة بألف ألف كامل — وتبيت أجناد الشباب جياعا
لو لأبي حفص أقول مقالتي — وأبث ما أروى لكم، لا ارتاعا!

و ... بالمناسبة ، فلقد كانت هذه الأبيات سببا مباشرا في عزل لزوج السعيد عن ولاية البصرة ! ...

● فوزي غانم ـ حدائق القبة :

ـ لم أكن أظن أن هذه الدعاية الخاصة سوف تثير كل هذا الجدل!

أنا ، يا أخي ، وألف معذرة للحديث عن شخصي ـ لستفي الحقيقة والواقع قصيرا ولا بدينا ولا أصلع ولا أكرش ولا معقوف الأنف ولا جافي الملامح ... ولكني زعمت ذلك في ردي على قارىء كتب يسأل في العدد الماضي أن يزورني ، وكانت رسالته مزيجا من الذكاء والبساطة فأغراني ذلك بأن أداعبه فأقدم له نفسي بهذه الصورة القلمية المخيفة ! .

وثار من حولي الجدل كلمات ومكالمات ...

غضب لي ومني الأهل والأصدقاء ، لأنني .. لست كذلك !

وفرح من لا ترضيهم هنا أجوبتي ، لأنني .. كذلك !

ورسمت لي ريشة رقيقة صورة مع الربيع أبدو فيها ألعن من كل ذلك !

و ... لن أستسلم لإغراء ما بقي من أحاديث ما حدث . فما في أمري ما يستحق كل ذلك ... أليس كذلك ؟!

● شوقي عبد الراضي العياط ، جيزة :

ـ لا فضل لي ، ولا ذنب أيضا ، في الموضوع ! .. القراء هم الذين يحددون بأسئلتهم « الجو » النفسي الذي تحسه في بعض الحلقات لهذا الباب ، وما قد ينعكس عليها من روح السخرية أو المرح أو الحزن والشجن !

عندما تكون الأسئلة شيقة فإن الأجوبة تسلك طريقها في ذات المسار ، والعكس صحيح ، وهكذا ! ... ـ وأنا ، صدقني ، لا أهمل

سؤالا ، اى سؤال ، لاى قارء ، ٠٠ ولكنى اعجز فى احيان كثيرة عن أن اقدم فى هذا الحيز الضيق ما يرضى كل شاعر او قصاص يكتب لى ويطلب منى الرأى المفصل ، والنقد الموسع ! ٠٠٠

لو كان الأمر بيدى لخصصت ملحقا او جزءا مستقلا من الصفحات نسميه « مجلة القراء » تكون ملتقى لاهتماماتنا واشواقنا ، حوارا ، وفكرا ، واكتشافا ، وعند اللزوم ٠٠٠ خناقا ! ٠

● أحمد الاباصيرى ـ فارسكور الثانوية :

ـ التحيات والسلام والاعجاب لك وللاعزاء اساتذة وزملاء ٠٠٠
ـ « القامة » هى الأصل لغة هى : المجلس ، السيادة ، الجماعة من الناس ، الخطبة أو الرواية أو العظة التى تلقى فى مجتمع الناس ٠٠٠

ـ « التساهل بالنسبة لى ، اتهام ظالم فى غير موضعه ، فهناك تركيبة روتينية معقدة تحكم هذا الامر ، ولست كما تظننى المسئول الاوحد أو حتى المسئول الاوسط ! ٠٠٠

● بهاء سميح ـ المعادى :

ـ لا فى « الزهور » ولا فى « الهلال » تنشر كتابات بالعامية ، ولا تظن ان هذا المعنى الذى أعجبك شىء لا نظير له فى الفصحى ، فان له فى القديم والحديث نظائر تسبق وتتفوق ٠٠٠ وكثير من أجمل ما تقرأ وتسمع من نظم العامية مقتبس بطريقة أو بأخرى من التراث ٠٠٠ ولعل ما بعثت به الى بالعامية أصله هذه الابيات من التراث للشاعر عبد الصمد بن المعذل :

صرفت هواك فانصرفا	ولم تدع الذى سلفا
وبنت فلم امت كلفـا	عليك ، ولم تمت اسفا !
كلانا واجد فى النـاس	عنه ملـه : خلفـا !



● مختار محمود عوض ـ الكترونات بنها : رسالتك رقيقة ! ٠٠ وقصيدتك رقيقة وحزينة ! ٠٠ فهل يرضيك أن أهديك باقة اعجاب ، وحفنة امنيات رائعة ؟!

● ابراهيم راغب الدسوقى ـ عبد الحميد السيد عقلمه ـ طلعت ابراهيم الجمال ـ أحمد الشبراوى خليل ـ سليمان المحلب ـ أحمد سالمان : جنزور ، منوفية : شكرا لاهتماماتكم بدراسة عروض وأوزان الشعر ، محاولاتكم مبشرة ، ومرحبا بكم أصدقاء فى أسرة « الزهور » ٠٠

● لطفي فؤاد ، صفط منوف : يتعذر تنفيذ اقتراح « مسابقة كل شهر » في الوقت الحاضر ، أبياتك في مدح الرسول الكريم ، خواطر طيبة وليست شعرا ● ابراهيم المحمدي خلف الله ـ قطور ، غربيه : خطوطك وألوانك وخواطرك منطلقة ورقيقة ، ولولا عدم توافر الوزن لا أحتل انتاجك الغزير مكانه في النشر ... ● حسني عبد المنعم ـ كلية الهندسة : يرجى منك ولك الخير في الشعر ، شرط أن تهتم باللغة ، وتعرف الاوزان ... ● ماجد أبو شادي ـ طب طنطا : المحاولة الجديدة ، أحسن قليلا ... استمر ... ● عزت المطيري ـ زراعة أسيوط : أعجبني رسمك والقصيدة الرقيقة « متيركا » ، ولم تعجبني في رسالتك تلك الكلمة القاسية الرديئة « طناش » ، ومادمت ترى حقا أن عندنا للنشر المكان المناسب، فانتظر حتى يحين قريبا الوقت المناسب ! ● عبد السلام محمد طنطاوي ـ بلقاس : في مثل هذه المدة القصيرة ، من ٧٦/١/١٦ حتى الان ، لا يستطيع الانسان الذي يحب الشعر فجأة أن يصبح شاعرا ... ● عبد الآخر حماد ـ اقتصاد ، القاهرة : القصة بسيطة وساذجة ، ولكنها تعكس استعدادا يبشر بموهبة ...

●خالد سيد جمال الدين ، قصر النيل : من اين جاءتك هذه الفرية الكاذبة ؟ ... ان الزهور تنشر القصص الجيدة بدون قيد ولا شرط ، لكل من يكتب لها القصص الجيدة ، بدون قيد ولا شرط ! ... ● الهادي عبد الحي ـ دقهلية : مؤكد هناك مجاملة واسعة من مدرس اللغة في شهادته لهذه القصيدة ! .. اطلب منه أن يعيد النظر في الشهادة ، وسلم لي عليه ... ● احمد مرتضى عبده ـ آداب الاسكندرية : انت تملك الاستعداد والموهبة الواعدة ، فاستمر ولا تيأس ... ● جرجس وهبة ـ الاسكندرية : « الساعة » قصة طيبة ، ولها فرصة قريبة ● يوسف عبد الحميد ـ كفر الشيخ : انا معك في الرأى ، والدكتور طه حسين والأستاذ العقاد لم ينكرا على شوقي أنه شاعر عظيم ● عادل محمد الحوفي ـ شبرا الخيمة : « عذاب السنين » فيها صدق وعاطفة وكلمات جميلة غير موزونة ● طلال صوفان ـ حمص سوريا : الخيال رائق ، والثلاث الحوارية جيدة في قصيدتك التي لا يعيبها الا أخطاء اللغة والوزن : « لا تخافي ساقتك » ! .. ● بسام عبد الفتاح ـ معهد المخطوطات : « بين القلب والعقل » مجرد بداية ، والبدايات عادة لا تأتي مبرأة من الاخطاء والعثرات ! ● ربيع رفاعي ـ الحدائق : اطمئنك ، ولا أضيق بصراحتك ، فلعله قريب موعد هذه الكلمة أكتبها واقولها لك ولها ولهم : وداعا ! ●

● فرج عبد الواحد ـ القناطر الخيرية :

ـ لا أنكر ، ولعلى في الحقيقة لا أعرف ، بيتا من الشعر العربي

غير وجه التاريخ فى « حينه » ، كما تقول ، أو بعد حينه ! ... وبيت شوقى العظيم ، الذى تشير اليه : « وما نيل المطالب بالتمنى ـ ولكن تؤخذ الدنيا غلابا ! » ، لم يغير وجه تاريخ حتى الان وفى حدود علمى، ولو انه كان ولا يزال من أمضى بواعث شحذ الهمم وحفز العزائم ...

ولست أدرى ، هل تعرف ذلك البيت اللامع الذى حطم تقليـــدا جماهيريا عتيدا ، وحول معنى أكيدا من الغضب والعار ، الى معنى أكيد من العزة والفخار ؟! ..

أتقوله لك ؟ ..

انه بيت الشاعر العربى القديم والرجيم : الحطيئة ! ...

وله قصة ... فقد اشتهر جعفر بن قريع بن زيد بن مناه ـ وعرف بين الاقوام بلقب « جعفر أنف الناقة » ! .. والسبب ان اباه نحـــر يوما ناقة تقسم بين نسائه ، فبعثت جعفرا أمه ليأتى بنصيبها ، ولم يكن قد بقى من الناقة الا رأسها وعنقها ، فقال له أبوه : خذه ! .. فأدخل جعفر يده فى أنفها وجعل يجره ... فعرف بذلك ولقب منذ ذلك اليوم « جعفر أنف الناقة » ! .

وكان بنو جعفر يغضبون من هذا اللقب ، ويستشعرون له الضيق والحرج .. حتى مدحهم الحطيئة فقال :

قوم هم الأنف ، والأذناب غيرهم
ومن يسوى بأنف النـــاقة الذنبا ؟!

ومنذ اللحظة تحول المعنى القديم الى عكس معناه ... وصـــار اللقب مدحا وعزة ومفخرة !

● س · الجامعة ـ ضواحى القاهرة :

ـ قصيدة الاستاذ فتحى مثل نهاية قصته ، و ... خيرها فى غيرها ! ـ أهنئك ، وأكاد أحسدك من كل قلبي، بهذه الصيغة الرائعة ـ رأيها فى الشعر ، وجهة نظر ! أوافقها فى الاعتراض على المراسلة بشرط ان تقول لى صراحة لماذا تعترض ؟! ـ ممكن مع البنفسج الحـــزين ، البجـــلاديولا لرقتها ، والتيوليب لقصة رائعة قرأتها ونسيتها ، والكـــريزانتيم لواحد وأربعين سببا ، وكل ربيـــع وأنت ...... ●



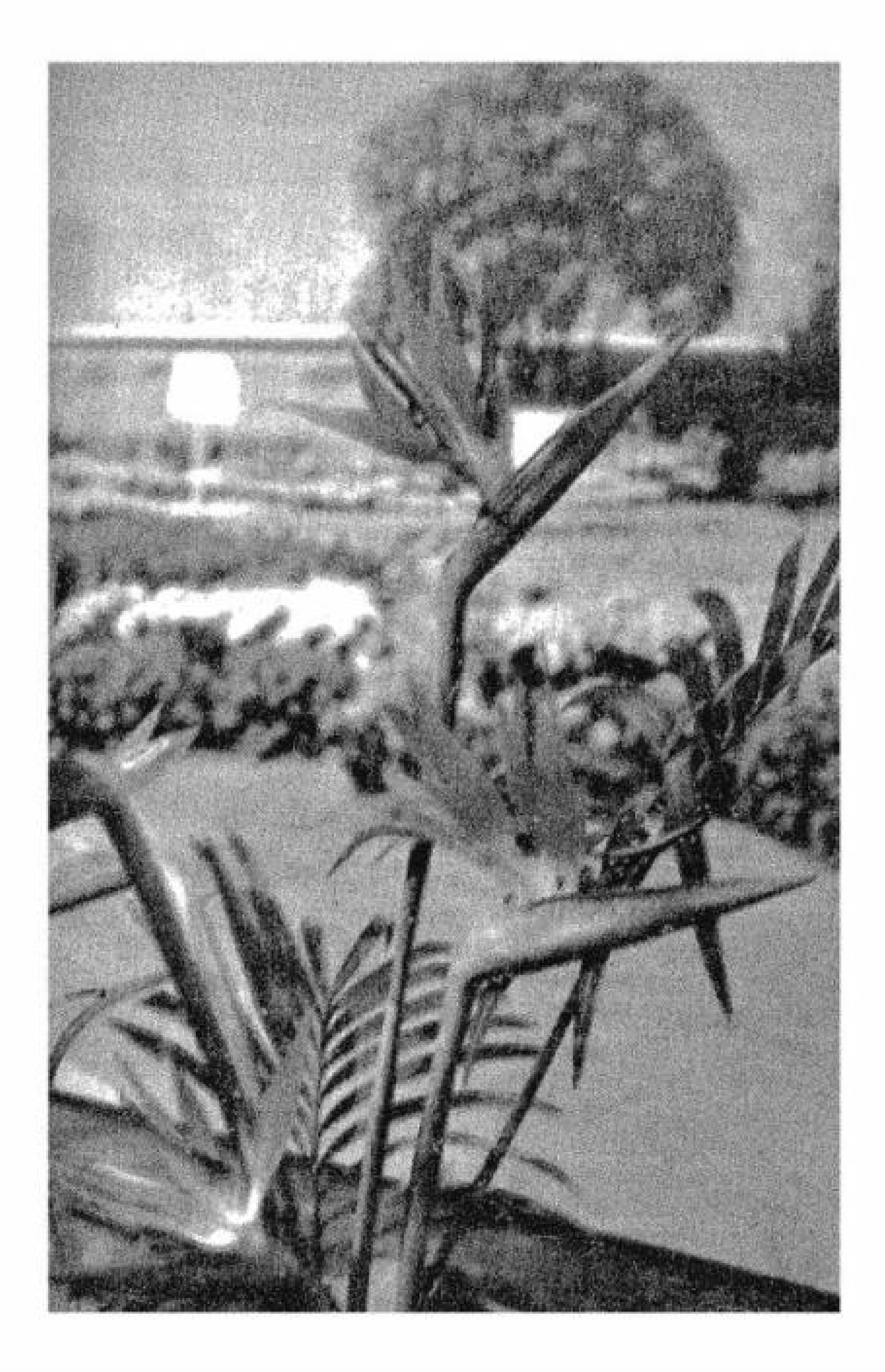
الفت بنظراتها على مرآتها
ومفاتن الاغراء فى نظراتها
فرات محيا نيرا كالبدر فى
كبد السماء ملألئا بجمالها
فتبسمت لجمالها بفم جلا
غرر اللآلىء من حلى حياتها
وتلفتت بالجيد مثل غزالة
سحرت قلوب الناس في لفتاتها
وتاودت بقوامهما مياسة
ميادة تختال فىخطراتها
سبت النهى ببهائها وروائها
وافارت الاقمار فى هالاتها
يصبو الخلى الى لذيذ عناقها
ويهيم بالمعسول من قبلاتها
ويميل من سكر بعذب مراشف
تسقى عتيق الراح فى كاساتها
هى راحة للروح يحيي صفوها
وتزف بهجتها وانس حياتها
انى لاسعد ان حظيت بعطفها
وظفرت بالمأمول من مرضاتها

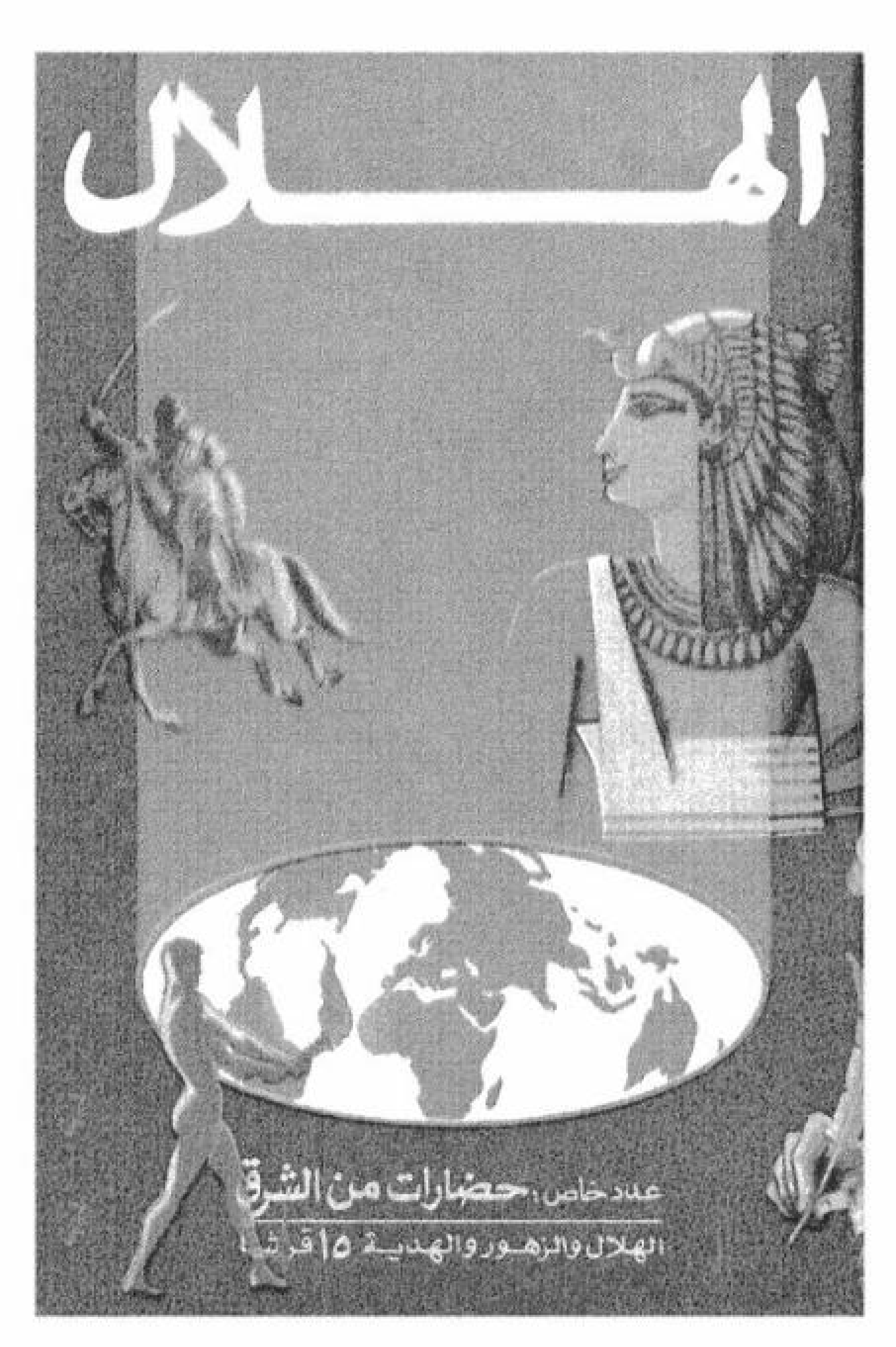
● رشاد على اديب ●
● جبله : سورية ●



الملاحم .. لوحة للفنان جمال قطب

[illegible] معرض الزهور
تصوير : سعيد عبدالحميد





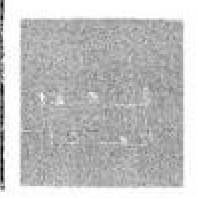
الهلال
عدد خاص: حضارات من الشرق
الهلال والزهور والهدية ١٥ قرشا

الهلال

جمادثاني ١٣٩٦
يونية ١٩١٦

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال - اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ العدد السادس - السنة الرابعة والثمانون - اول يونيـة ١٩٧٦ من جمادى الثاني١٣٩٦

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥ مليما
قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ » عددا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢ جك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة بالبريد العادي - وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .
الادارة : دار الهلال - ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » ..

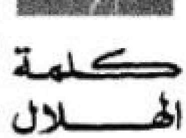






المنعم أبو بكر — جرجي زيدان — عبد الغني حسن





بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة والموت بيد الله ، والمؤمن الحق من رضي بهما معا .

اكتب هذه الكلمة وانا راحل عن مصر الحبيبة الى ارض انتظر فيها قدرى ، فاما الاولى واما الثانية فى هذه الساعة ، اذكر خطبة الموت للامام على رضى الله عنه ... قال :

« عباد الله ، الموت الموت ، ليس منه فوت ، ان اقمتم اخذكم ، وان فررتم منه ادركم ..

« الموت معقود بنواصيكم ، فالنجا النجا ، والوجا الوجا «اى العجلة العجلة » فان وراءكم طالبا حثيثا هو القبر .

« الا وان القبر روضة من رياض الجنة ، او حفرة من حفر النار . الا وانه يتكلم فى كل يوم ثلاث كلمات فيقول :

انا بيت الظلمة ، انا بيت الوحشة ، انا بيت الديدان . الا وان وراء هذا اليوم يوما اشد منه .. يوما يشيب فيه الصغير،ويسكر فيه الكبير ، وتذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

« الا وان وراء ذلك اليوم يوما اشد منه ، فيه نار تستعر ، حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليها حديد ، وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة »

فبكى المسلمون بكاء شديدا . ثم قال على رضى الله عنه :

« الا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين . أدخلنا الله واياكم دارالنعيم واجارنا واياكم من العذاب الاليم »

نسألك اللهم ان تجعلنا من أهل الثانية بما اخلصنا من قول ، وما احسنا من عمل ، انك انت السميع المجيب .

صالح جودت

د. سيد كريم

الحضارة الفرعونية

مهد حضارات الشرق وأم حضارة الغرب



الحضارة الفرعونية .. اقدم حضارة انسانية على وجه الارض ولدت مع مولد الزمان - كما وصفها المؤرخ المصرى القديم مانيتون - نزلت فى ارض الاله المقدس «جب بتاح» ومنه اتخذت اسمها التى ما زالت تحتفظ به الى الآن .

لقد حيرت حضارة مصر علماء الآثار والباحثين والمؤرخين من قديم الزمن بما اكتنفها من غموض واحاط بها من الغاز . كلما حاولوا كشف النقاب عن جانب من جوانبها تمخض البحث عن جوانب اخرى زادتها غموضاً .

متى بدات؟ واين نشات؟ وما هو عمرها الزمنى الحقيقى ؟ كيف شقت طريقها بخطوات ثابتة تركت آثارها عميقة قاومت بها عناصر الانحلال فلم تتمكن من محوها الايام

امتدت جذور نشاتها الى اكثر من اثنى عشر الف عام وهو التاريخ الذى حددته قوائم مانيتون لعهود ما قبل الاسرات

ان اول لغز واجه الباحثين فى علم الحضارات وتاريخها ان

•

الحضـــارة الفرعونية اختلفت عن جميع الحضارات البشرية فى انها لم تخضع لسـنة النشوء والارتقـاء بل ظهـرت متكاملة ومتطورة فى جميع عناصر مقوماتها وكلما تغلغل الباحثون فى الاعماق السحيقة للوصـــول الى جذور المعرفة ، تكشـفت لهم مفاجأة بدايتها من القمة وتوازت جميع عناصر مقومات تكوينها من علوم الفلك والطب والكيمياء والهندسة والزراعة والفنون والاداب ..وفى مقدمتها العقيدة التى شملت اسرار الوجود والايمان بالالـــه الخالق ووضعت تشاريع حياة المجتمع فمهدت طريق الحضارة المتعدد الابعاد وحددت معالمه ..ذلك الطريق الذى سارت فيه مقتفية آثار اقدام مصر شـعوب اخرى وشعوب الشرق القديم ثم اليونان مقتفية اثر المصرى وجميع تلك الحضارات رات النور بعد ان رفعت مصر شعلة الحضارة بآلاف السنين .

ومن اليونان اخـــذت اوروبا الكثير من معالم الحضـــارة التى يعيشها العالم الان .

فماذا اعطت مصر ..؟ وماذا اخذت ؟ وماذا قال عنها الباحثون فى تاريخ الحضارات ؟

● قال برستد « ان عطاء مصر للحضارة والانسانية دائم ومتجدد وينهض دليلا على عبقرية اصيلة ووجدان مرهف لشــعب وادى النيل وهى عبقرية لم تنقطع قط ولن تنقطع قط وستظل تؤدى دورها طالما بقى نسيج حياة ذلك الانسان العظيم »

وقال امرى « ان عظمة مصر تتجلى فى تاريخ حضارتها ومدنيتها التى استمرت خمسة آلاف سنة عاشتها امة عظيمة موحدة ثابتة منظمة كانت دائما تخطو نحـــو الارتقاء والتقدم »

● وقال كوتريل « للمصريين شخصيتهم من اقدم الازمنة هم لا يحتاجون ان يفنوا فى غيرهـم ولكن من الجائز ان يفنى غيرهـم فيهم . ان شـخصية المصريين ازلية انتصرت على الزمان . فهى اقوى من ان تفنى فى اى شخصية اخرى »

● وقال سونيرون « الانسان المصرى لم يعرف العقم فى حياته . عرف العطاء منذ ان رفع شـعلة الحضارة * فالمصرى صـــنع الحضارة لا فى مصر وحدها بل فى العالم اجمع .

ان اى حضارة فتحت نافذتها على وادى النيل لم يفد منها بقدر ما اضاف اليها .

كان المصرى اول من صـــنع الحضارة . ومن يصنع الحضارة لايكف عن العطاء .»

● ان مصر الفرعونية فجرت أول ثورة ثقافية جمعت بين العقيدة والمعرفة او بين الدين والعلوم منذ فجر التاريخ وتشابكت جذورهما فلم ينفصل أحدهما عن الآخر . لذا فقد اطلقوا على العلوم اسم المعرفة المقدسة . نسبوا كل شيء الى الخالق عندما كانوا أول من آمن بوجوده فارتبطت المعرفة وعلومها بالسماء فنبتت جذورها في المعابد وأصبحت ضمن مقدساتها . لم تخضع لهذا التجارب والخضوع لسنة النشوء والتطور بل خرجت الى النور متكاملة يعززها البحث العلمي فنسبوها الى المعبود « تحوت » .

يفسر « سارنيرون » في كتابه عن أسرار المعرفة المقدسة أن تحوت ما هو الا رمز يعبر عن الكهنة الذين اطلق عليهم اسم انصاف الآلهة المبجلين الذين نزلوا أرض مصر في عهد ما قبل الاسرات واسسوا معهد أون « عين شمس » بمعاهده ومرصده والذى أطلق عليه قدماء مؤرخي الاغريق « قلعة المعرفة المقدسة » .

من تلك القلعة خرجت جميع عناصر الحضارة المصرية بمقوماتها ومنجزاتها في مختلف علوم الحياة وفنونها وادابها وأسرار العقيدة وتشاريعها ونظمها .

فماذا قدم « تحوت » لمصر من وقود لشعلة حضارتها ؟ وماذا قدمت مصر للعالم عندما رفعت شعلة تلك الحضارة ليصل ضوؤها الى مختلف امم العالم القديم ويستمر العطاء الى عصرنا الحديث .

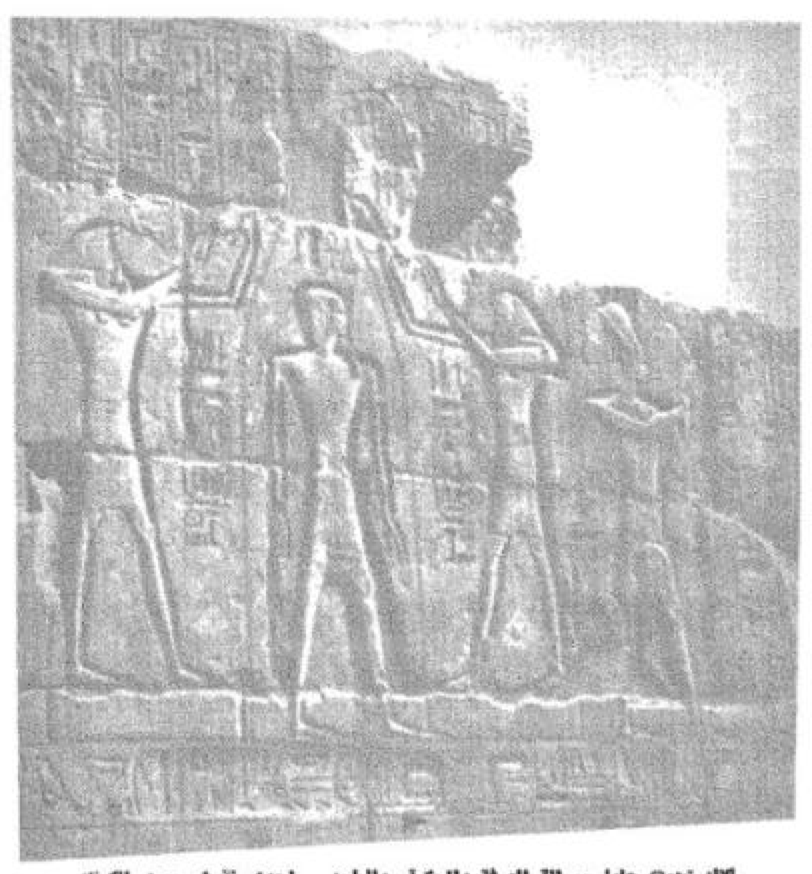
● في مجال الثقافة : انزل تحوت الحرف والكلمة والنطق وأسماء الاشياء جميعها وعلم الانسان الكتابة والقراءة ليقرأ تعاليم الاله وينعم بالحكمة والمعرفة (كتاب الموتى) .

فكانت الكتابة الهيروغليفية (النقش المقدس) التى دونوا بها كتابهم المقدس ثم مختلف الخطوط الهيراطيقية والديموطيقية التى دونوا بها آدابهم وفنونهم ومختلف علوم الحياة .

وبنزول الكتابة ابتكر المصرى القديم « الورق » ذلك الابتكار الحضارى الفذ قوام الحضارات جميعها وما زالت تنعم به الانسانية الى الآن . صنعوه من البردى (بابى اور) وهو الاسم الذى احتفظ به العالم الحديث وأطلقه على الورق في جميع اللغات .

ومع اختراع الورق اخترع المصرى القديم القلم الذى صنعه من غاب النيل والحبر من نبات النيلة والفرشاة من الريش لرسم الخطوط الزخرفية والحبر الاحمر والالوان وانتقلت كل منها لتترك بصمات مصر على جميع الحضارات وامتدادها الى العصر الحديث فكان المصرى القديم أول من كتب وقرأ وسجل ودون .. أول من كتب التاريخ ، كتبه على الورق وألواح الارتواز والفخار والاحجار الصلبة لايمانه بحق الاجيال القادمة في حمل رسالة الثقافة .

وأعظم تجربة في نشر الثقافة ومحو الامية في عهد الفراعنة رسالة الاعجاز التى سجلها التاريخ لاخناتون عندما نادى بأن « أول أركان الايمان بالله هو العلم والجهل كفر » وهى الرسالة التى تمكن بواسطتها من محو الامية ولاول مرة في تاريخ البشرية من الشعب باكمله خلال دورة الاله دورة كاملة في ملكوته السماوى أى خلال عام واحد والتى حدد فيها العقوبات التى أمر



الإله تحوت حامل رسالة المعرفة والحكمة والعلوم ـ احدى نقوش معبد الكرنك .

بها الإله لن يقصر فى تعليم أولاده والتى وصلت الى حد مصادرة أملاك الاب وقيام الدولة بصرفها على التعليم . لقد وضعت الحضارة الفرعونية أسس مختلف أنظمة التعليم المعروفة فى العالم الحديث ومرت بجميع تجاربها ابتداء من المدارس الريفية والقروية الملحقة بمعبد القرية الى مدارس مختلف مراحل التعليم ـ الى مدارس العمال وابنائهم الملحقة بمستعمراتهم السكنية المؤقتة التى تبنى بجوار الاهرامات والمعابد عند انشائها واقامتها ثم المدارس الصناعية التى اتبعوا فيها نظام توريث المهن ويفرض على التلميذ أن يتعلم القراءة والكتابة والحرفة التى يمارسها والده (نظام توريث المهن) وعرفت البنت طريقها

الى المدرسة ابتداء من الاسرات الاولى وكان برنامج تعليم البنات يشمل بجانب القراءة والكتابة تدبير المنزل ورعاية الطفل واحدى المهن المقدسة وهى الرقص أو الموسيقى أو الغناء التى وصفوها بأنها تمد البيت بمعنى الحياة الاجتماعية ·

ووصل التعليم الى مرحلة التعليم العالى ابتداء من بيوت الحياة الملحقة بالمدارس الى الجامعات الكبيرة المستقلة بمختلف تخصصاتها والتى اذا قورنت بما وصل اليه التعليم فى العصر الحديث من نواحى تشعب التخصص لتأكد لنا وصف « اميل لودفيج » عن حضارة وادى النيل بقوله ·· لا جديد تحت الشمس ·

اشتهرت مصر بجامعاتها العلمية من اقدم عصور حضارتها واقدم جامعة قامت فوق أرض مصر جامعة أون الذى سبق ذكرها ووصفها القدماء باسم « قلعة المعرفة المقدسة » كما وصفتها احدى البرديات القديمة بأنها سرة الكون · وقد أخذ اسم عين شمس من (أون – رع) أى عين اله الشمس التى يطل بها على الارض كما يقصد بكلمة أون أيضا الى المرصد نسبة الى مرصدها المشهور الذى خرجت منه معجزات نظريات علم الفلك القديم للعالم أجمع ·

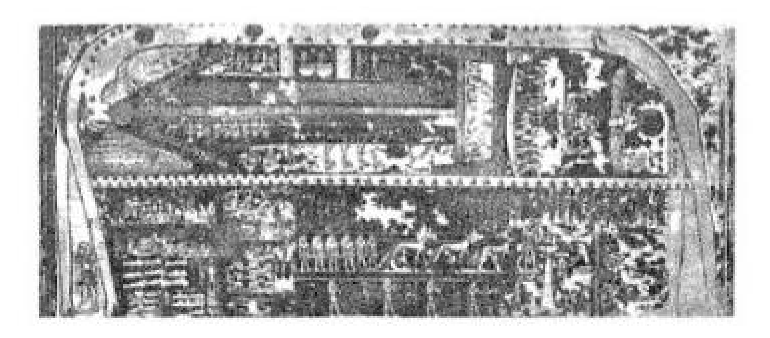
لقد اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ جامعة أون فنسبها سترابون الى عصر حضارة النقادة الثانية عندما تمت الوحدة الاولى عام ٤٢٤٠ ق·م واتخذ ملوكها مدينة أون أول عاصمة لهم بينما كانت مدينة أون فى تلك العصر مدينة متكاملة تمتد من المطرية وعين شمس شمالا الى « مصر عتيقة » وتمتد جنوبا حتى (جبل – أون) جنوب أون أى حلوان الحالية ·

وينسب مانيتون تاريخ بناء المعبد والجامعة ومرصدها المشهور والتى بنيت قبل المدينة نفسها الى ما يطلق عليه عصر انصاف الالهة أى عام ٩٥٠٠ ق·م وفقا لقوائم مانيتون لاسرات ما قبل التاريخ · وهو ما شجع بعض العلماء والباحثين فى العصر الحديث الى محاولة نسبتها الى حضارة قارة الاطلنتيد لاتفاق تاريخ غرق القارة الذى أمكنهم اثباته حديثا مع تاريخ نشأة الحضارة التى ظهرت متطورة ومتكاملة فى مدينة أون ·

وقد ازدهرت جامعة أون القديمة بمختلف علوم اللاهوت والفلك والطب والهندسة والرياضيات والزراعة والفنون والآداب فى وقت واحد وفيها نشأ أول مذهب دينى لتفسير نشأة الوجود والتوحيد ومنها تخرج امحتب واخناتون وانتسب اليها اكثر الانبياء والفلاسفة والعلماء الذين وضعوا أسس الحضارة والفلسفات والتشاريع وأنظمة المجتمع للعالم أجمع ·

ومنها خرج التقويم الشمسى المربع الذى قسم السنة الى ٣٦٥ يوما وربع والتقويم الكهنوتى المقدس الذى قسمها الى ٣٦٥يوما و ٥ ساعات و ٤٩ دقيقة و ٤٥ ثانية وهو التقويم الذى حيرت دقته وصحته علماء الفلك فى العصر الحديث بوسائلهم الالكترونية واعترفوا به عالميا ·· كما تنسب اليها معجزات العلوم الرياضية والهندسية وعلوم ما وراء الطبيعة التى بنوا بها الاهرام والتى وقفت تتحدى العصر الالكترونى الحديث الذى ما زال يقف حائرا وعاجزا عن تفسير الغازها او حل رموز أسرارها ·

ويصف « ماريترون » جامعة أون بأن البحث العلمى بها كان يدور فى جو كهنوتى غامض وكان العلماء والطلبة فى المعهد المقدس يقضون حياتهم كلها فى خدمة العلم كعقيدة



القبة السماوية تظللها المعبودة نوت ربة السماء مقبرة رمسيس الرابع - وادى الملوك

مقدسة ، وداخل المعبد يحرم عليهم الاتصال بأحد من خارج المعبد الذى كان يعتبر كمدينة كبيرة كاملة كما كان يحرم عليهم افشاء أسرار المعرفة التى تعلموها والعلوم التى يمارسونها .

وينقسم علماء معبد أون الى قسمين ، قسم يعتبر من الكهنة المبجلين ورثة انصاف الالهة وهم الذين يلقنون العلم ويتخصصون فيه بالوراثة أبا عن جد ويذكر عمر العالم منهم بعمر نسبه فتشير شهادة ميلاده الى أن عمره خمسمائة عام أو ألفى عام وهكذا ويعتبر هؤلاء الكهنة العلماء امناء على أسرار مقدسات المعرفة بالمعبد ، والبعض الآخر وهم العلماء المنتسبون أو الامناء على أسرار المعرفة ويحملون لقب الكهنة الامناء ويتخصصون عادة بالعلوم التطبيقية أى الواسطة بين أسرار المعرفة وما يكون منها فى خدمة الشعب والمجتمع .

وقد استمر معهد أون يؤدى رسالته العلمية والحضارية تلك الفترة التى استمرت ما يقرب من ثمانية آلاف عام حتى بداية الغزو الفارسى عندما دخل قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق.م فحرق معبد أون وهدم معاهده ومرصده وحرق وثائقه وأمر بتحطيم بوابات الشمس وجميع مسلات المدينة (مدينة المائة مسلة) ولم ينج من المسلات سوى مسلة واحدة ما زالت قائمة مكانها وهى مسلة سنوسرت الاول بالمطرية .

ومن معبد أون خرجت بعثات الكهنة ابتداء من الاسرة الاولى لنشر عقيدة توحيد الاله رع رب الارباب فى انحاء الوادى واقامة المعابد وبيوت الحياة أو المعاهد العلمية التابعة لها لنشر المعرفة .

● ومن أشهر الجامعات المصرية التى قامت برسالة الثقافة وبحوثها العلمية وكان لها دور فعال فى بناء الحضارة الفرعونية ونشر رسالتها فى العالم بجانب جامعة أون الام .

١ ـ جامعة سايس (صاو) صالحجر .

٢ ـ هرقليوبوليس ماجنا (ننونسوت) اهناسيا .

٣ ـ هرموبوليس (خمنو) الاشمونيين .

٤ ـ أبيدوس (ابدو) العرابه المدفونة .

٥ ـ طيبة (واست) الاقصر .

٦ ـ منفيس (منيب حـــــرج) منف ٠

وآخر جامعة فى تاريخ الفـــراعنة جامعة الاسكندرية ومكتبتها المشهورة والتى بنيت عـــــام ٢٩٦ ق ٠ م فى عهد بطليموس ولعبت دورا كبيراً فى نقل الحضارة المصرية وعلومهـــا الى الاغريق والرومان فكانت وسيلة للاتصال المباشر بين مصر وأوروبـــا خصوصا وان التعليم بها والدراسات كانت باللغتين المصرية واليونانية ٠

● وفى مجال الفلك كان المصريون القدماء اول من عرف النجـــوم وخصائصها ورصدوا الكواكب فى برج السماء ورسموا الخرائط وعينـــوا مواقع النجوم فى قبة السماء ٠ وميزوا النجـــوم القطبيــة ـ التى لا تفنى ـ والكواكب السيارة ـ التى لا تستريح٠ كانوا اول من اطلق عليهـــا اسماءها وصور رموزها التى عرفت بهـا على مدى التاريخ ـ كما رسموا القبــة الســـماوية وبروجهـــا الاثنى عشر واعطوها اسماءها وصورها الـــتى تعرف بها الآن ولم يحاول شـــعب من الشعوب القديمة والحديثة تغييرها وقد ثبت بمراجعة القبة الســماوية التى وجدت بمعبد دندره ووضـــع كواكبها وبروجها بالنسبة لبعضها ان تاريخها يرجع الى عـام ٨٥٠٠ ق٠م وهو ما ذكره المؤرخون بالخطـــأ انها تعود الى عهد البطالمه الذين اعـادوا بناء معبد دندرة القديم ٠

ومن الفلك وضع المصريون القدماء اسس التنجيم كعلم له اصـــــوله وقواعده ونظرياته التى يســـير العالم الحديث بمقتضاها الى اليوم ٠ ويعترف جميع علماء الفلك فى مختلف العصور بفضل مصر على تعـــريف العالم باسرار القبة السماوية ٠

وبواسطة علم الفلك وضـــع المصريون القدماء اول تقـــويم للبشرية وهو التقويم الشمسى الـــذى حل محل التقويم القمرى فى مختلف انحاء العالم قسموا فيه الســـنة التى اطلقوا عليها اسم الســـنة الزراعية الى ٣٦٥ يوما وربـــع ذلك التقويم الذى خرج مـــن هليوبوليس ليعمل به رسميا ابتداء من عهـــد الملك تحوتى ابن الملك نعرمر (مينـــا) موحد القطرين ومؤسس الاسرة الاولى وهو التقويم الذى ارخ به مانيتـــون التاريخ الزمنى للاسرات وقــــوائم ملوكها ٠ قسم قدماء المصريين الـــزمن ووضعوا له مقاييسه الحالية التى اصطلح العالم عليها فقسموا اليـــوم الى ٢٤ ساعة منها ١٢ لســـاعات النهار ومثلها لساعات الليل وقسموا الساعة (اونت) الى ٦٠ دقيقة (ات) والدقيقة الى ٦٠ ثانية (صـــات) واخترعوا المزولة لقيـــاس الزمن وساعات النهار والقامةالفلكية لحساب ساعات الليل برصد تحركات النجوم وزوايا اوضاعها كما اخترعوا الساعة المائية (كلبسيدرا) التى تحـــدد ساعات اليوم ودقائقه باكمـــله ٠

وقـــد نقـــل اوديكسيوس التقويم الشمسى الى بلاد الاغريق عام ٤٠٠ ق ٠ م على ان السنة ٣٦٥ يوما ٠ نقلها من احتفال المصريين بعيد رأس السنة واضافة الخمسة ايام النسية) التى تمثل الهـــة الكون وهى ايام العيد والتى كانوا يضمون لها يوما سادسا كل اربع سنوات اطلقوا عليه يوم ابزير ٠ وانتقل التقـــويم المصرى مرة اخـــرى الى روما عندما اهدته كليـــوباترة الى يوليوس قيصر عام ٣٦ ق ٠ م ليصبح التقويم العالمى الذى يعمل به العالم اجمع الى اليوم بعد ما اتفق على تحـــديد تاريخه الزمنى بميلاد المسيح ٠

وهكذا انزل تحوت الرقم بعـــد الحـــرف ليدون الفراعنة حساب الزمن



هيرودوت : اشاد بفضل الحضارة المصرية على الاغريق . . .

ويتطور منه الى حساب الابعاد والاطوال فكانوا اول من اخترع وحدات القياس التى ذكرت بعض المراجع القديمة ان الالة وضعها بين ايديهم فاخترعوا الحساب العشرى الممثل فى اصابع اليد العشرة ووحدات القياس التى اتخذوها من ابعاد الاصبع والكف والذراع والتى وجدوا ان النسبة بينها وبين بعضها تتمثل فى نسبة ابعاد الجسم ومنها اخترعوا البوصة الهرمية التى انتقلت الى عالم الغرب مع التقسيم العشرى والمئوى ووحدات القياس . بتحديد تلك الارقام والابعاد والاوزان كوحدات او نواة للتكوين وارتباطها بعلم الفلك وأسراره قدمت الحضارة المصرية جميع أسس نظريات الرياضة والهندسة والطبيعيات بل وعلوم ما وراء الطبيعة التى انتقلت الى عالم الغرب .

● وفى مجال الطب كان الطب كما أجمع الباحثون مفخرة المصريين الكبرى التى صنع تحوت بدايتها .

تؤكد البرديات القديمة المعروفة كبرديات ايبرس وادوين سميث وهيرست وكاهون وغيرها من الموسوعات الطبية الفرعونية القديمة ان الكثير من وسائل العلاج المصرى القديم قد انتقل مع الحضارة الى اليونان ومنها الى الرومان ومن الرومان الى عصرنا الحديث ولا نزال نحن سكان الارض نتجرع فى ثقة كثيرا من الادوية التى خلطها وقام بتركيبها المصريون القدماء من النباتات الطبية ومستخلصاتها التى كانوا اول من اكتشف وحدد خصائص كل منها . وكشفت الدراسات التكنولوجية الحديثة ما قام به الجراح المصرى القديم من معجزات فى عمليات جراحة المخ ابتداء من كسر الجمجمة واصابة النخاع الشوكى الى استعمال الابر المجوفة فى شفط اورام المخ تلك العمليات كشفت عنها بعض الموميات حديثا والتى ثبت من التحام العظام نجاح العمليات وطول المدة التى عاشها المرضى بعد الشفاء .

لقد اعترف مؤرخو الاغريق بفضل مصر عليهم فى الطب وسجلوا هذا فى كتبهم ومخطوطاتهم فأشاد أقدمهم هوميروس في الاوديسة بما وصل اجد اطباء مصر من الشهرة الرائعة فى العالم القديم التى لم يصل اليها احد فى ذلك العهد فى العالم القديم .

ووصف هيرودوت الطب فى مصر وما وصل اليه من اعلى درجات التقدم والتخصص فى مختلف فروع الطب بقوله ، وعندهم لكل مرض طبيب ولكل عضو من اعضاء الجسم اخصائى ، وهو أرقى ما وصل اليه الطب الحديث من تجارب .

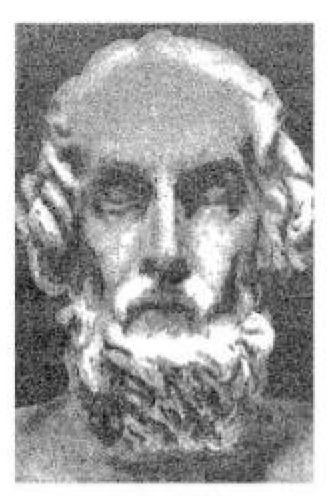
ولقد بدأ الطب ومختلف نواحى تخصصاته من اقدم عصور ما قبل الاسرات فى جامعة هليوبوليس ويذكر

المؤرخون ما وصل اليه الطب من اعجاز خلال الدولة القديمة وما زال العالم يذكر اسم امحوتب وزير الملك زوسر وطبيبه الخاص الذى رفعه المصريون الى مرتبة الآلهة واطلق عليه اليونانيون اسم اسكليبوس واتخذوه الها للطب فى بلادهم واقام امحوتب معهدا خاصا للطب فى منف جمع فيه مختلف التخصصات التى اشتهر بها ومن بينها الطب الروحانى والطب النفسانى والعلاج بالموسيقى واثر الالوان فى شفاء مختلف الامراض .

وابتداء من الدولة القديمة نفسها كشفت البرديات القديمة عن اسماء كثير من الاطباء المتخصصين كان منهم طبيب العيون والرأس والمعدة والاسنان وامراض النساء واطباء الاطفال حتى التجميل وما ارتبط به من جراحة ذكرت البرديات القديمة اسماء اكثر من طبيب من اطباء الدولة الحديثة من بينهم الطبيب الخاص للملكة حتشبسوت الذى كان يصنع لها العقاقير السحرية ومركبات التجميل .

وكان المصريون القدماء اول من فصل مهنة الصيدلة (فارماكى) - علم العقاقير - عن الطب . كما كانوا اول من اوجد مهنة التمريض (اوت) اى علم الاربطة وهناك اكثر من مثل لاشتغال المرأة بالطب وورد اسم احدى الطبيبات فى الاسرة التاسعة عشرة ولقبها « مربية وطبيبة اطفال القصر » كما وصلت احدى الطبيبات فى الدولة القديمة وتدعى تشست الى درجة « المشرفة على الاطباء » .

تدور البحوث الطبية الحديثة فى محاولة تفسير كلمة « السحر » عند الفراعنة سواء فى الطب او مختلف العلوم بأنه « سحر التكنولوجيا » .



هوميروس : اشاد فى الاوديسة بعظمة مصر وشهرة اطبائها وما وصلوا اليه من علم ..

لقد امكن تفسير كثير من الغاز السحر علميا واعترف بها العالم الحديث وعلماؤه على انها نظريات علمية متطورة . بل وتفوق ادراك البشر . من بينها على سبيل المثال التنويم المغناطيسى ودوره فى الطب الروحانى والنفسانى الذى مارسه قدماء المصريين .

وعلم البندول ودوره فى سحر التشخيص والعلاج وارتباطه بذبذبات الجسد واشعاعاته والالوان واشعاعات كل منها - ثم الابرة الصينية التى اطلق عليها كهنة الفراعنة اسم « ابرة حورس السحرية » وكانت تصنع من العاج وتكتب عليها او تزود بمجموعة من التعاويذ والطلاسم لاعطائها قوة السحر - على سبيل التمويه - هناك اكثر من نموذج لتلك الابرة السحرية فى مختلف متاحف العالم والمتحف المصرى تعرض على انها انواع من ابر الزينة المستعملة فى التجميل او ضمن التمائم التى يستعملها الكهنة



تحوت : اله الحكمة والمعرفة والعلوم والفنون .. علم البشر النطق والكتابة

في ممارسة السحر • وقد ورد في احدى البرديات القديمة في وصف القوة السحرية لاحد كهنة معبد بتاح بان شكة من ابرته السحرية بعد ان يحيطها بتعاويذه يمكن بواسطتها لجراء اية عملية جراحية او بتر اى عضو من اعضاء الجسم بغير ان يحس المريض باى الم •

لقد قام علماء العصر الحديث بتاسيس معاهد علمية خاصة تخصص كل منها بدراسة نوع واحد من نواحي السحر الفرعوني على انه علم قائم بذاته فظهر معهد شارموران في باريس للتخصص في علم البندول واكثر من معهد لدراسة علاقة الارواح الفرعونية بالطب الروحاني او علاقة الطب النفساني بنظريات الفراعنة في علاقة الروح بالنفس والجسد •

● ان ما قدمته مصر للعالم في مختلف علوم التشريح وقوانين المجتمع وحقوق المراة كذلك في علوم الرى والزراعة ومختلف الحرف والصناعات وفنون الحياة • كذلكالرياضة والعابها القديم منها والحديث وقد خرجت كلها من مصر • لا تقل اى منها اهمية عما قدمته الحضارة المصرية من أسس وعراقة في علوم الطب والفلك والعماره التي سبق شرحها •

● وفي مجال العمارة وتخطيط المدن كان المصرى القديم ومن ازمان سحيقة أول من اخترع قالب الطوب أو وحدة البناء في فن العمارة وعلم الانشاء • قدموا لعالم المعمار جميع النظريات الانشائية المرتبطة بقالب الطوب من بناء الحوائط والعقود والقباب والاقبية وانتقلوا الى الهياكل الانشائية من أعمدة ـ وهياكل انشائية والتي خرجت جميعها من مصر لتحتل مكانها في عمارة العالم القديم وتساعد على نشاة الطرز المعمارية وتصاحب فن العمارة حتى العصر الحديث •

مع العمارة والتعمير وضع المصريون القدماء اسس تخطيط المدن ونظمها في العالم التي ظهرت اقدم امثلتها متطورة ومتقدمة علميا ويشهد على ذلك ما وصل الينا من تخطيط مدن خنت كاوس (مدينة الاهرامات) وكاهون وتل العمارنة والتي تتصدر جميعها مراجع تاريخ العمارة ونشاتها في العالم •

● من الاخطاء الشائعة في عصرنا هذا ما يروى عن الحضارة الاغريقية من انها أم الحضارات الغربية وانها لم تكن في

حاجة الى غيرها من المدنيات التى سبقتها وأنها على ذلك لم تخضع فى أصولها وفى أزمان تطورها فيما بعد لاى تأثير وفد عليها من خارج تربتها

ان القول السائد الذى يردده السواد الاعظم من رجال العلم أن بلاد الاغريق هى تربة الشعب الذى استقى منه كل العالم عجائب كل ما انتجه فى ميادين العلوم والفنون والآداب والفلسفة وأنها تعد نسيج وحدها .

ان هذه الفكرة ـ كما وصفها عالم الآثار الراحل الدكتور سليم حسن فى موسوعة مصر القديمة ـ خاطئة من أساسها . فبلاد الاغريق كغيرها من كثير من البلاد الاخرى كانت من حيث أصول الفلسفة بوجه خاص والبحث العلمى بصفة عامة مدينة لمصر بدرجة عظيمة يظهر ذلك واضحا من تاريخ نشأة الحضارة الاغريقية ومراحل تطورها وارتباطها الزمنى بمصر فالحضارة الاغريقية لم تر النور الا فى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد عندما كانت الحضارة المصرية تمر خلال احدى عصور امبراطوريتها الذهبية والتى وصلت فيه فتوحاتها الى أطراف أسيا وشواطىء جنوب أوروبا والبحر الاسود وجزر البحر الابيض المتاخمة لبلاد الاغريق .

لقد دلت البحوث العلمية الحديثة وكشوفها الاثرية على أن الشعب الاغريقى قد أخذ كل مبادىء علومه ومعارفه التى امتاز بها على سائر العالم عن مصر .

ويحدد كثير من المؤرخين بدء الحضارة الاغريقية بالفعل بين عامى ٧٥٠ ، ٦٥٠ ق . م حيث ازدهرت الفنون والآداب وارتقاء الصناعات واصطباغها بصبغة جديدة مبتكرة بعد تعلمهم من الكريتيين ـ والحضارة الكريتية كما هو معروف



هرمس ، مثلث العظمات «الحوت الاغريق» اطلقوا على مركز عبادته فى مصر هرموبوليس ، ونقلوا عبادته من مصر الى الاغريق ، اتخذوا منه الها للمعرفة والعلوم والفنون .

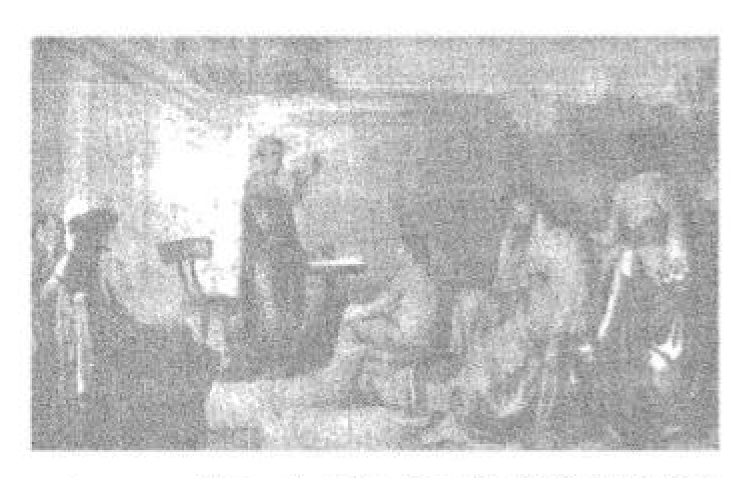
يرجع تاريخها الى عام ٢٠٠٠ ق ٠م ٠٠ أخذت جميع أصولها وفنونها وتشريعاتها من مصر حيث ارتبطت بمصر ارتباطا وثيقا وبلغت أوج ازدهارها من ١٦٠٠ الى ١٥٠٠ ق ٠ م اى فى عهد الاسرة الثامنة عشرة المصرية ٠ وفى عهد تحتمس الاول والملكة حتشبسوت بالذات وفى ذلك العصر اقام مهندس مصر القصر الملكى بكنوسس الذى وصفه المؤرخون القدماء بأنه تأثر بالطابع المصرى فى فنون زخارفه وتغطية جدرانه بالصور التى تمثل الحياة ، وأسقفه التى كانت تمثل القبة السماوية أسوة بما كان متبعا فى مصر بجانب مختلف الفنون التشكيلية التى حددت طابع الفنون فى الحضارة الكريتية ٠ وفى القرن الخامس عشر قبل الميلاد خضع الكريتيون للسيادة



فيثاغورث ٥٨٠ - ٥٠٠ق٠م ،قضى فى مصر ٢٢ سنة متنقلا بين معابدها ومعابدها ، تنقل من الفراعنة علاقة الفلك بالرياضيات والطبيعيات



فيثاغورث وسط علماء الفراعنة فى معبد نابس « الاغريق والفراعنة » ...



فيثاغورث يشرح نظريات علم الروح وتناسخ الارواح فى معهده الذى جمع جميلات اثينا فعلم الرجال الرياضيات والعلوم وعلم النساء فلسفة ما وراء الوجود ..

المصرية وقد عثروا حديثا على صحن من الذهب محلى بالنقوش اهداه تحوتمس الثالث الى قائد من قواده عينه حاكما على جزر الارخبيل وقد اخذ الكريتيون اشياء كثيرة من الحضارة المصرية التى تمثلت فى الحرف وصناعة الاثاث وانيتهم تشبه الانية المصرية وكتابتهم ماخوذة عن الرموز الهيروغليفية واصبحت لهم علاقات كبيرة بمصر • وقد وجد الباحثون انية كريتية فى القبور المصرية كما وجدوا انية من خمور مصر فى مقبريات كريت كما عثر بالقرب من شواطىء الجزيرة على مجموعة من الاسلحة والدروع الفرعونية التى كانت تستعملها القوات البحرية المصرية •

● فان كانت علاقة حضارة كريت بالاغريق لم يمكن اثباتها فعلا فانه من الثابت ان حضارة كريت نفسها كانت نهايتها على يد الاغريق انفسهم حيث وصف الزرخون قصة النهاية الفاضحة لحضارة الكريت فى القرن التاسع قبل الميلاد عندما اغارت عليها اقوام برابرة اهل الشمال الذين وصفهم التاريخ انهم كانوا من سكان جزر البلقان وهم اصل الاغريق فدمروا مدينة كنوسس وحرقوا قصرها العظيم ولم تقم للجزيرة وحضارتها قائمة بعد ذلك • فالاغريق هم الذين محوا حضارة كريت •• ولم يستمدوا عناصر حضارتهم منها •

● لقد سجل مؤرخو الاغريق الذين زاروا مصر قبل الثورة الايونية انطباعاتهم ونتائج رحلاتهم الى ارض وادى النيل وما تركته الثقافة المصرية عند الاغريق من اثر ووصفوا تاريخ ايغال مصر فى القدم بالنسبة لبلادهم وتفوق المصريين عليهم فى المعرفة والعلوم •



سقراط ٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م تعلم في مصر ان الكون يديره اله واحد، وخلود النفس في العالم الآخر ..

ولم يحاول احد منهم ان يخفى فضل مصر على حضارات البحر الابيض بصفة عامة وحضارة بلادهم بصفة خاصة . ويصفوها كما ذكر « سافوريلون » فى كتابه المعرفة المقدسة The Sacred Wisdom ان مصر هي مهد الحكمة ومنبع المعرفة كما وصفها بأنها القلعة الحقيقية للعلوم المقدسة وجامعة العقيدة التي حملت شعلة الفلسفات والتشاريع فكانت مصنعا لانبل التقاليد الانسانية . كما اجمع المؤرخون على ان كبار فلاسفة اليونان وعلماءهم ممن حملوا شعلة حضارة الاغريق العالمية وقادوا ثورتها الثقافية عبروا البحر ليتلقوا الحكمة والمعرفة على ايدى كهنة الفراعنة من اهل المعرفة المقدسة ويكتسبوا منهم الكثير من اسرار العلوم وهم الذين عادوا الى بلادهم ليطلقوا عليهم اسم الخالدين . وذكر المؤرخ ديودورس الصقلى بأن علماء الاغريق وفلاسفتهم كانوا يعتبرون رحلتهم عبر البحر الابيض المتوسط من الرحلات التقليدية لكشف اسرار الحكمة والمعرفة المقدسة التى يحتفظ باسرارها كهنة الفراعنة فى مكتبات جامعتهم - بيوت الحياة - وخزائن معابدهم - أسرار الوجود . من هم هؤلاء الخالدون ؟ الذين حملوا شعلة المعرفة الى بلادهم وقادوا الثورة الثقافية التى امتدت لتبنى حضارة الغرب ؟

١ - أورفيوس Orpheos

ذكر ديودورس الصقلى ان اورفيوس كان اقدم من زار مصر من علماء الاغريق وحضر الحفلات الديونيسية وطاف انحاء البلاد وزار معابدها وتعرف على كثير من اهل المعرفة من الكهنة المبجلين واشاد بغزارة علومهم ومعرفتهم بأسرار الوجود (ديودورس ١/٢٣) .

٢ - هوميروس ٧٥٠ ق . م Homer

كان ديودورس فى كتابه الاول ٦٩/١ اول من وصف الرحلة التى قام بها شاعر الاغريق العظيم هوميروس فى انحاء البلاد . وقد عرف الناس كثيرا عن الاغريق الاول من شعر هوميروس الذى وصف قصة حصار طروادة التى يتناقلها الرواة ويحفظها الناس لشدة اعجابهم بها والتى تعرف باسم

الالياذة ثم الاوديسة وتلك القصص كما تذكر المؤرخ ديودورس تأثر فيها هوميروس بالاساطير المصرية وخاصة اساطير الخلق ومعارك الآلهة وجعل معظم ابطالها من ابطال آلهة الفراعنة ابتداء من زيوس ابى الآلهة (آمون) وافروديت (ايزيس) وابولو وغيرهم من آلهة الفنون والموسيقى والنور والخير والشر ·

٣ - سولون ٦٤٠ - ٥٥٨ق·م
Solon

اقدم من زار مصر من مؤرخى الاغريق - الحكيم والفيلسوف والسياسى · اكبر حكماء اثينا السبعة وأول من كون لها مجلسا تشريعيا والجد الرابع للفيلسوف افلاطون · قام بزيارة مصر وبقى بها ثلاث سنوات ونصف وتمكن بواسطة صداقته الوطيدة للملك احمس الثانى (الاسرة ٢٦) واعتناقه للعقيدة الفرعونية من دخول معبد زايس حيث درس التشريع وتعاليم العقيدة والفلسفة · التى وصفها فى مذكراته بانها كان لها الفضل فى دوره السياسى الذى اقام به أول مجلس تشريعى فى اليونان وأول تشريع دستورى للحكم فى اوروبا · ومن أشهر ما ورد فى مذكراته التى جمعها حفيده افلاطون ما قاله له كاهن معبد زايس الذى انتسب اليه « ايها الاغريق انكم اطفال لمصر فى العلوم والمعرفة وستظلون اطفالا الى الابد · فليس فى بلادكم رجل مسن فى المعرفة له ماض سحيق فى القدم » ·

كما كان سولون أول من نقل قصة الاطلنتس او القارة المفقودة الى الاغريق ومنها الى العالم الحديث ومن اهم ما ورد فى وثائق سولون ومما احدث ضجة مازال يدوى صداها الى اليوم ما نقله عن حديث له مع كبير كهنة معبد زايس عندما قام

سقراط بين تلاميذه وهو يلقى تعاليمه الاخيرة قبل ان يشرب السم . . .



بسؤاله عن جذور المعرفة وأصالة عمرها عند أهل المعرفة من الكهنة المبجلين · فذكر له أن تلك المعرفة المقدسة التى توارثوها أبا عن جد ترجع الى ٩٥٠٠ سنة وأن أجدادهم الاول أتوا بها من القارة التى أغرقها الطوفان العظيم ولم ينج منها الا من أمرهم الاله بمغادرتها من أتباعه المؤمنين والانتقال الى أرض الله الطاهرة وهى أرض مصر لينشروا رسالة الاله فى الارض · وهكذا نزلوا فى أرض مصر حيث أقاموا معبد أون (عين شمس) ومنه انتشرت العقيدة فى أرض مصر المقدسة لتنتقل شعلتها لتنير ظلمات البشرية بأجمعها ·

ان وثائق سولون ومؤلفاته الخاصة بمصر الفرعونية التى اهتم بجمعها سقراط ومن بعدهما حفيده أفلاطون كانت من أهم العوامل التى شجعت كثيرا من الكتاب والعلماء الاغريق على زيارة مصر ومحاولة الانتساب الى جامعاتها ومعاهدها والتقرب من كهنتها لتلقى الثقافة والمعرفة ·

٤ ـ هيكاتيه ٥٨٠ ـ ٥١٩ ق · م
Hekataos

يعد هيكاتيه المليتى ثانى من زار مصر من مؤرخى الاغريق بعد سولون · زار مصر وقضى بها ثلاث سنوات متنقلا بين مختلف معابدها وكتب تاريخها قبل هيرودوت بمائة عام · سجل هيكاتيه انطباعاته بفلسفته التى تلقتها من كهنة معبد أون وتتلخص فى « أن العقيدة هى شعلة العلوم · فهى هبة السماء الى الارض والمعرفة فى جميع نواحيها الا معرفة أسرار الوجود · فهى لا تستمد الا من العقيدة والايمان بوجود الخالق · ووصف هيكاتيه كهنة أهل المعرفة المقدسة الذين يحرمون كشف أسرارها على الاجانب وأن مايتعلمه من يلتحق بمعابدهم من غير الكهنة لايعد سوى قطرات من بحر المعرفة الحقيقية التى تعتبر لانهائية وبلا حدود ·

وكان هيكاتيه أول من لفت نظر علماء الاغريق الى حضارة مصر الثقافية وما حوته من أسرار العلوم والمعرفة وانه لا سبيل الى تعلمها الا عن طريق اعتناق العقيدة التى تؤمن بها كهنة المعبد والتقرب الى الملوك او الحكام وكسب ثقتهم وهو ما قام فعلا باتباعه عدد كبير من فلاسفة الاغريق وعلمائهم الذين تعلمسوا فى مصر وامكنهم الالتحاق بجامعاتها ومراكز البحث العلمى اوالمعرفه المقدسة فى معابدها ·

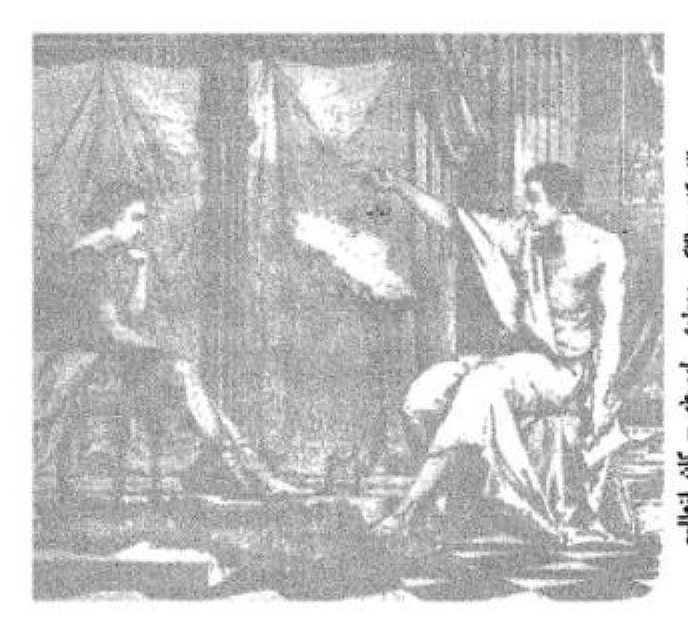
وقد تعلم هيكاتيه بجانب كتابة التاريخ وادب الرحلات العلوم الجغرافية فكان أول من رسم خريطة لمصر وموقعها بالنسبة لليونان واوروبا وحدودها الممتده الى المحيطات ·

٥ ـ هيلانيكوس Hellanicos

المؤرخ الاغريقى الذى كانت زيارته لمصر فى وقت متقارب مع هيكاتيه وعاش فى مصر سنتين وجه اهتمامه فيهما الى علاقة الاغريق بمصر وما يمكن أن يتعلمه الاغريقيون من مصر وكان أول من وصف زيارة الحكيم سولون لمصر ودورها فى تكوين شخصيته كسياسى وحكيم ومشرع

٦ ـ تاليس ٦٢٥ ـ ٥٤٥ ق · م
Thales

أبو الفلاسفة ، مؤسس مدرسة ميليتوس أول مدرسة للفلسفه فى اليونان · اختلف المؤرخون فى أصله ونشأته وذكر البعض انه ولد فى الشرق· عاش فى مصر خمس سنوات وحمل الى بلاده افكار المصريين فى



الإسكندر الأكبر ومعلمه أرسطو – كان لتعاليم أرسطو الفضل في حب الإسكندر لزيارة مصر [illegible] العقيدة والمعرفة ، واعتناقه عقيدة آمون

الرياضة والحساب والهندسة ووصفت فلسفته أن كل الاشياء مصنوعة من الماء الذى يدخل فى تركيب كل الكائنات وهى النظرية التى أخذها مباشرة من جامعة اون (هيليوبوليس) التى تقول وان اله الخلق رع ، خرج من الماء الازلى نون ، كما شرحت فلسفته علاقتها بالهندسة وعلوم الطبيعة ونقل الى اليونان الكثير من أساطير الفراعنة التى تربط الفلك بعلم اللاهوت

٧ – فيثاغورس ٥٨٠ – ٥٠٠ ق.م
Pythagoras

ذكر المؤرخ بورفيريوس رحلات فيثاغورس وتنقله بين معابد مصر الفرعونية ومقابلته للملك امازيس الذى ساعده فى الاتصال بكهنة معبد هيليوبوليس وكل من معبدى منفيس وديوسبوليس فى طيبه واشترط الى اعتناق ديانة المصريين لكسب ثقة الكهنة العلماء ودراسة اسرار علوم الرياضيات الفرعونية وقد ذكر جامبليتوس فى وصفه لحياة فيثاغورس أنه قضى فى مصر ٢٢ سنة متواصلة فى الدراسة والبحث وأن أبواب أسرار علوم الهندسة والرياضيات والفلك قد فتحت كلها أمامه فكان له الفضل فى نقل أسرار الرياضة والهندسة من مصر الفرعونية الى بلاد الاغريق والعالم أجمع كما كان أول من نقل عن المصريين أن الأرض كرويه وتدور حول نفسها . واهتم فيثاغورس بجانب دراساته فى الرياضيات والفلك بدراسة علوم الروح وتناسخ الارواح التى اشتهر بها الفراعنة وأقام لها دراسات خاصة فى أثينا جمعت أشهر الجميلات وكانت أول مدرسة للفلسفة النسائية وقد اختلف مؤرخو حياة فيثاغورس الذين وصفوه بقولهم « العالم الاسطورى » فذكر البعض أنه ولد فى سوريا وليست له علاقة

بالاغريق رغم أنه كان يذكر دائما انه من جزيرة ساموس وذلك لأسباب سياسية

٨ ـ ايثوبيدس Oenopidus

من العلمـــــاء الذين عاصروا فيثاغورس وقضى بمصر أربع سنوات وهو من علماء الفلك الاغريق والذى اثبت أن دورة الشمس منحرفة ٠
ونقلها عن كهنة عين شـــمس (ديودورس ٩٨/١) وتختلف بذلك عن بقية النجوم والكواكب ـ كما نقل عنهم أيضـــا كروية الارض وعلاقة دورتها بالكواكب السيارة

٩ ـ اناكسمندر ٥٥٠ ـ ٤٨٠ق٠م Anaximander

تلميذ تاليس واصبح من علماء مدرسة ميلت٠ ولذا فقد لقب بانكسمندر المليتى٠ قـام برحلة الى أرض مصر استغرقت أربع ســنوات بين زايس ومنف ونقل معه الى بلاد الاغريق الســاعة الشمسية ـ المزولة) كما وضـع نظرية الدورة اللانهائية التى لا تفنى وتأخذ منهـا كل المخلوقات ماديتها وخواصها كما اكتشف نظرية تغير خواص المواد بالضغط والتفريغ والتى كان لها اثر كبير فى كثير من نظريات الطبيعة والكيمياء والميكانيكا



مكتبة الاسكندرية ، وحولها برديات المعرفة ، بنيت عام ٢٩٦ ق.م واحترقت عام ٤٧ ق.م



ديوجين ومصباحه الذى يبحث به عن الحقيقة التى تعلمها من كهنة معبد ناتيس ـ معرفة الحقيقة عن طريق الحوار والمجادلة ..

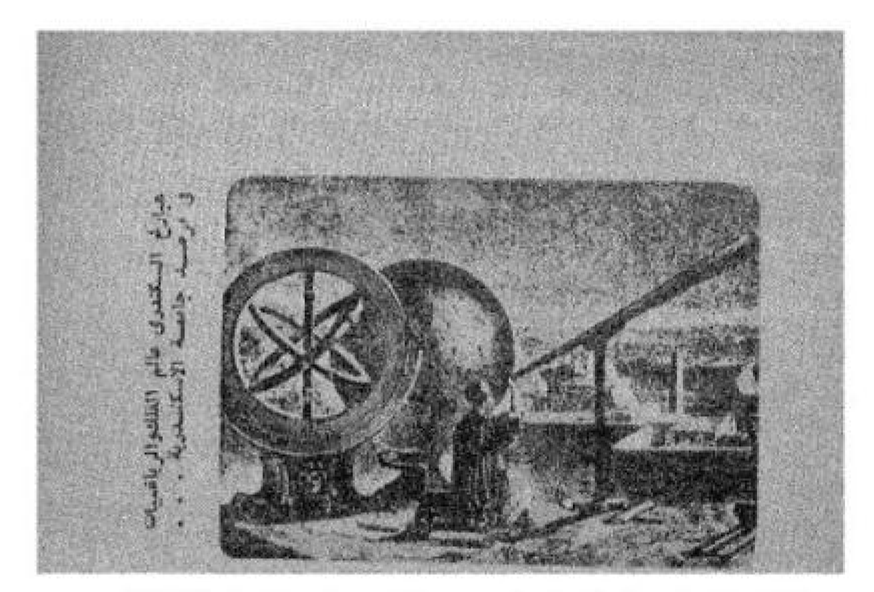
١٠ ـ اناكساجوراس ٥٠٠ ـ ٤٢٨ ق ٠ م Anaxagoras

وصف المؤرخ جاميلينوس زيارة اناكساجوراس لمصر التى استغرقت ثلاث سنوات اهتم خلالها بدراسة مشروعات النيل وأنظمة الزراعة والرى فى مصر وعاد الى بلاد الاغريق لينقل اليهم النظم العلمية فى طرق الرى والصرف وتخطيط الاراضى وحفر القنوات واقامة الجسور الزراعية وتنظيم دورات الزراعة وآلاتها ومعداتها • وهى النظريات الاولى التى انتقلت من بلاد الاغريق الى مختلف الشعوب الاوربية

١١ ـ سقراط ٤٧٠ ـ ٣٩٩ ق ٠م Sokrates

كان لزيارته لمصر وحواره مع كهنة معبد زايس اكبر الاثر فى تكوين شخصيته الفذة وفلسفته المميزة • كانت طريقة سقراط فى التعليم الحوار والتى تعلمها فى مصر وكان دائما يحث على أن يسعى الى معرفة كنه نفسه قبل أى شىء ويهزأ بمن يقبل الاشياء على علاتها دون أن يحكم العقل وقد آمن بنظرية الفراعنة فى خلود النفس وفى أن الكون يسيره اله واحد • وقد سما سقراط بتعاليمه الخلقية التى لا تختلف عن تعاليم « ماعت » الفرعونية (الحق والعدالة) ولافرق بينها وبين ما حضت عليها الاديان العظمى وكانت تلك الفلسفة وتعاليمها تتعارض مع فلسفات العقائد الاغريقية السائدة •

واتهم سقراط فى آخر أيامه بتضليل الشباب وحكم عليه بشرب كأس من السم ومات بين تلاميذه • ويدلل افلاطون على تأثر سقراط بعقيدة



الفراعنة وايمانه بنظرياتهم في خلــود الروح وانتقالها الى العالم الاخر عبر محكمة الاخرة وهو يصف سقراط عندما رفض استرحام القضاة الذين طالبـوا باعدامه في حواره وهو يقول : لنقلب النظر في الأمر ·· وسنرى أن ثمة بارقة قوية من الأمل تبشر بأن الموت خير فهو احدى اثنتين : اما أن يكون الموت عدما وغيبـوبة كما يروى عن الناس واما أن يكون انتقالا للنفس عن هذا العالم الى عالم آخر ·

فلو فرضتم فيه انعدام الشـعور وانه كرقدة النائم الذى لا تزعجه فيه حتى الاحلام ··· ففي الموت نفـع وراحة لانزاع فيها · أما اذا كان الموت ارتحالا الى مكان آخر حيث يستقر الموتى جميعا كما سمعت فأى خـير يكون أعظم من هذا أيها الأصـدقاء والقضاة·وإذا كان حقا أنه اذا بـلغ الراحل العـالم الآخر والتقى هناك بقضاة بمعنى الكلمة الصحيح يمثلون الحق والعدالة فما أحب الى النفس ذلك الارتحال ··لو كان هذا حقا فاتركونى أمت مرة ·· ومرة

كان من أقرب تلاميذه اليه افلاطون الذى حثه سقراط وشجعه على زيارة مصر والالتحـــاق بمعابدها العلمية التى كان لها الفضـل فى تعليمـــــه وتعليم جده سولون اكبر حكماء اثينا السبعة كما سلمه مخطوطات سولون التى نقلهـــــا عن الفراعنة ليكمل دراستها ·

١٢ ـ افلاطون ٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق·م
Plato

ترك بلاد الاغريق بعد موت معلمه ســـقراط فعبر البحر الابيض الى مصر وتمكن عن طريق الملك نختانبو من الالتحاق بمعبد أون (هيليوبوليس) وقضى فى مصر ١٣ سنة متنقلا بـين معـــابدها بعد أن اعتنق الديانة المصرية على يد كهنة معبـد أون · ذكر ديودورس ما قاله كاهن معبـد هرنوبوليس لافلاطون فى حوار معه عن رأيه فى الاغـريق بقوله « ان المعرفة كالماء تهبط عندكم من اعلى الى أسفل كمياه الامطار على فترات لا ارتباط بينها تظهر على الســـطح وسرعان ما تجف وليس لها استمرار



اوقليد .. عاد من مصر ليعلم اهل اثينا الرياضيات ويشرحها في الطرقات والاسواق

اما عندنا فتخرج من اسفل الى اعلى من الآبار والينابيع ونهر النيل الدائم الجريان .. مستمرة ومتصلة لها قدمها ولها اصالتها ولها جذورها ، المعرفة عندكم تلقن اما عندنا فهى متوارثة وعمر العالم عندنا يقدر بأجيال وراثية للمعرفة » . وقام افلاطون اثناء اقامته بمعبد اون ببحث النظرية التى انتقلت اليه عن جده الكبير « سولون » والخاصة بأسطورة الاطلنتس (القارة المفقودة) وعلاقاتها بأصول الحضارة والعقيدة والمعرفة عند الفراعنة . وسجل بحوثه فى كتاب التيمايوس عند عودته الى اثينا . وبعد عودته أخذ فى تعليم الفلسفة بطريقة الحوار التى اشتهر بها كهنة الفراعنة . ومن اشهر كتبه الخالدة كتاب الجمهورية

١٣ ـ اويكسودس ٤٣٠ ـ ٣٤٥ ق . م
Euxodus

ارتبط اسمه باسم افلاطون اثناء



ارشميدس . . لوحة من الفخار ـ المتحف المصرى .

اقامتهما معا فى مصر ودرس مع افلاطون علوم الفلك والرياضيات بصفة عامة واعتنق الديانة المصرية مع افلاطون ليتمكن من الالتحاق بمعاهد المعابد وقضى فى مصر اثنتى عشرة سنة وكان أول من نقل التقويم الشمسى الفرعونى الى بلاد الاغريق وحدد فيه السنة بـ ٣٦٥ يوما ولم يضف اليهاريع اليوم الذى كان قدماء المصريين يحتفلون به مرة كل أربع سنوات باضافة يوم الى أيام الآلهة الخمسة كما حاول نقل تقسيم الزمن الى ساعات ودقائق وثوان كما كان معمولا به فى مصر ولكنها لم تنجح حتى نقلها الرومان مرة أخرى ٠

١٤ ـ ديوجين ـ ٤١٢ ـ ٣٢٧ق٠م

Diogenes

لم يعرف شىء عن علاقة ديوجين بمصر الا بما ورد فى اقوال المؤرخ جاميلتوس عن الرحلة الغامضة التى غادر فيها بلاد الاغريق عبر البحر الابيض ، ليبحث عن الحقيقة ، التى وجدها فى أرض مصر ٠٠ وجدها فى علاقة الانسان بنفسه وعلاقة نفسه بعالم السماء مصدر الحقيقة وعلاقة عالم السماء بعالم الارض التى تضيع فيها الحقيقة ! وعاد حاملا مصباحه ليبحث عن الحقيقة فى ظلمات المجتمع الاغريقى ٠٠ وخلال بحثه أصبح واحدا من أكبر فلاسفة بلاده ٠

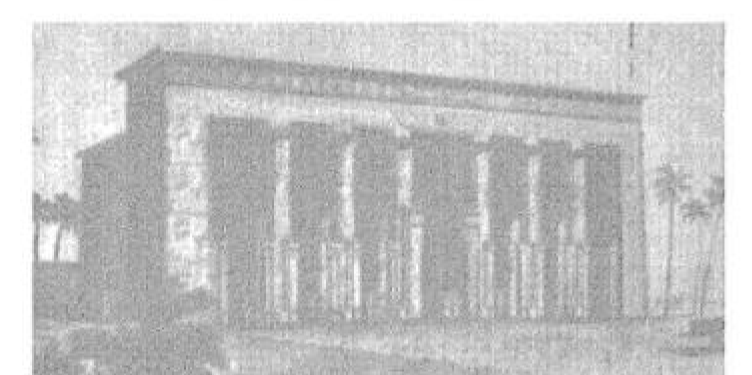
١٥ ـ ارسطو ٣٨٤ ـ ٤٢٢ ق ٠ م

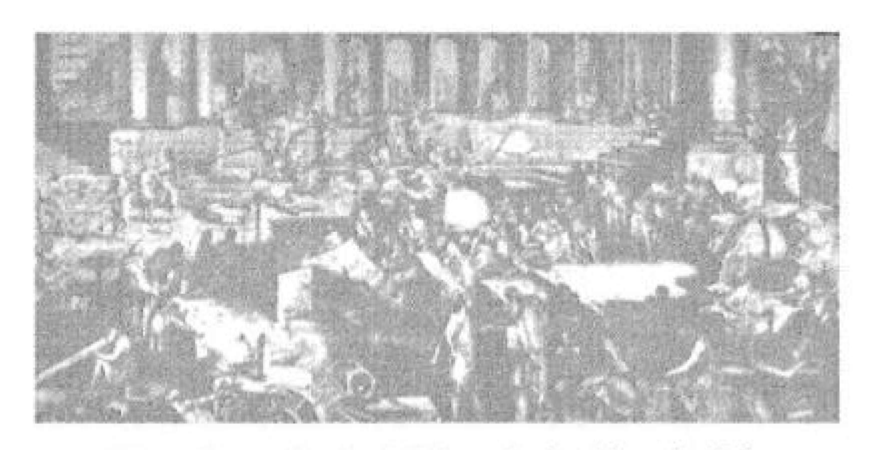
Aristoteles.

أكبر فلاسفة الحضارة القديمة ٠ كان لآرائه تأثير كبير فى فلسفة الشرق والغرب ويعرف باسم المعلم الاول وقد بحث فى كل فروع الفلسفة من اخلاق وسياسة وعلوم طبيعية وادبية وهكذا ٠

وقام بعدة رحلات الى أرض مصر وزار معابدها وتتلمذ على يدى كهنتها وتأثر بالعقيدة المصرية واعتنقها ونادى بعبادة زيوس آمون (آمون رع) واتباع تعاليمه ٠ ولما

جامعة سايس .. احدى جامعات مصر التسعة





جامعة روما .. حلت محل جامعة الاسكندرية ، ونقلت حضارة مصر والاغريق الى العالم الاوربى

كان الملك فيليب المقدونى قد عهد الى الفيلسوف أرسطو تعليم الاسكندر وتربيته فقد تأثر الاسكندر بما كان يسمعه عن مصر أرض الآلهة من معلمه لذا فقد وضع فى برنامج فتوحاته المشهورة زيارة مصر وتقديم الولاء الى والده الروحى الاله آمون فى معبده المشهور بسيوه .. وهى

١٦ ــ اويكليد ٣٣٥ ــ ٢٧٥ق٠م

Euklid

عاش فى مصر فى عهد بطليموس الاول ودرس علم الفلك والرياضيات فى جامعة الاسكندرية التى قضى بها ما يقرب من السبع سنوات وأكد معاصروه أن النظريات التى نادى بها عند عودته الى اثينا وضمنها فى كتابه Elements والتى تعتبر الى الآن أساس علم الحساب قد نقل معظمها عما وضعه الفراعنة ولكنه قام بتنقيحها وتطويرها ووضعها فى القالب الجديد وقد استمر العمل فى أوروبا بنظرياته حتى نهاية القرن التاسع عشر ٠

وكغيره من علماء الاغريق الذين تخرجوا فى جامعات مصر فقد تخصص بجانب الرياضيات والحساب فى الفلسفة والفلك ٠

● هؤلاء هم الخالدون .. وهذا هو دور كل منهم فى بناء حضارة الغرب التى اعترف بها العلماء والكتاب فى العصر الحديث .. ومما يلفت النظر عند دراسة تاريخ حياة كل منهم أن معظمهم ذهب الى مصر ليدرس ناحية معينة من نواحى المعرفة سواء فى الفلك أو الرياضيات أو الطب أو العقيدة وعاد الى بلاده بعلمه الغزير الذى خلد به نفسه وبلاده بتخصص آخر مخالف تماما لما حضر لدراسته بعد اتصاله بمعاهد مصر ومعابدها واقتناعه بسطحية ما جاء به من معرفة من بلاده ٠

بجانب هذه المجموعة من الذين كان لمصر الفضل فى خلود أعمالهم ، أنجبت جامعة الاسكندرية مجموعة ضخمة من العلماء الذين كان لهم دور فعال فى الحضارة الاغريقية واستمرارها فى حضارات العصر الحديث فمن بينهم عالم الفلك المشهور هيبارخ وعالم الرياضة والطبيعيات ارشميدس وغيرهم مما لا يدخل تحت حصر ٠

فجامعة الاسكندرية المشهورة التى انشئت فى عهد بطليموس فيلادلفوس

عام ٢٩٦ ق.م لتكون همزة الوصل بين مكتبات المعابد الفرعونية وخزائن اسرارها وعلمائها وانفتاح علوم المصريين على العالم الخارجي.

كانت مكتبة الجامعة تحوى اكثر من نصف مليون لفافة وبردية وموسوعة فى مختلف العلوم والفنون والآداب والعقيدة وقد تخرج فيها عدد كبير من علماء الاغريق والرومان ممن حملوا شعلة المعرفة الى بلادهم. كما اسهمت جامعة الاسكندرية فى قيام كل من جامعات الاغريق والرومان وتزويدها بالمخطوطات والمؤلفات والعلماء.

وقد احترقت مكتبة الاسكندرية عام ٤٧ ق.م فى الحرب بين يوليوس قيصر وبومبيوس فى حريق الاسطول **فى ميناء الاسكندرية الذى كانت المكتبة تطل عليه. ومن بين المخطوطات التى كانت تحتفظ بها مكتبة الاسكندرية والتى يعتبر المؤرخون اختفاءها اكبر خسارة فى اسرار علوم المعرفة وتاريخ الحضارة موسوعة تحوتى (التى يطلق عليها الاغريق موسوعة هرمس) وكانت سجلاً ضخما يتكون من ٤٢ جزءا تحوى اسرار جميع العلوم والمعرفة فى مختلف نواحى الحياة وعلوم ما وراء الطبيعة واسرار الوجود. باختفائها اختفت اسرار مقومات الحضارة المصرية واسرار ما وصلت اليه من قمة فى المعرفة.**

كان كل جزء من اجزائها الاثنين والاربعين موسوعة كاملة سواء فى الطب او الصيدلة او الهندسة او علوم ما وراء الطبيعة او الفلك والطبيعيات بجانب جميع فنون الحياة من موسيقى ورقص وعادات وتقاليد وتحتفظ متاحف العالم ومعاهد آثاره بعدد لا يزيد على اصابع اليد من برديات اجزاء تلك الموسوعة التى حيرت علماء



مصر كما صورها الاغريق القدماء فى صورة ايزيس رمز العقيدة وهى تتكىء على سلة سنابل القمح « ارض الخيرات الزراعية » وتحمل الكرة .. الارض وقبة السماء التى ترمز الى المعرفة بالفلك والرياضيات واسرار الوجود ، بجانبها الاله تحوت « الطائر ايبس » حامل رسالة الحكمة والمعرفة المقدسة.

للعصر الحديث بما وصلت اليه من مستوى علمي خلاق

والخسارة الثانية كانت موسوعة اخرى لا تقل اهمية عن موسوعة « تحوتي » وهي وثائق تاريخ مصر — من الخليقة الى نهاية عهد الاسرات التي وضعها الكاهن والمؤرخ المصرى مانيتون . وقد كشف ما امكن جمعه من بقاياها عن طريق افريكانوس ويوسيفوس ومقارنتها بما سجله بقية مؤرخي تاريخ مصر من الاغريق والاجانب فداحة الاخطاء التي ترددوا فيها سواء من ناحية تحديد التاريخ الزمني او السياسي او تتابع الاسرات .

● متي وكيف انتقلت الحضارة المصرية خارج حدود مصر ؟

١ — التجارة : بدأت اول مراحل خروج الحضارة المصرية من مصر الى البلاد الاجنبية بوصول السفن المصرية والقوافل التجارية التي وصلت الى بلاد النوبة والسودان عبر النيل وشواطيء شرق افريقيا والصومال حيث استورد المصريون ابتداء من عصور ما قبل الاسرات، الكثير من النباتات والاخشاب الاستوائية لصناعات البناء والاثاث واخشاب الارز من شواطيء شرق البحر الابيض لصناعة السفن واخشاب العطور من فلسطين وافريقيا بصفة خاصة خلال حكم الدولة الوسطى وقد ترك المصريون في البلاد التي وصلوا اليها الكثير من ملامح حضاراتهم

٢ — الغزو : كانت مصر مطمع الغزاة من جميع انحاء العالم وكان الغزو بالنسبة لمصر يعني تسرب حضارة الغزاة وتأثرت بحضارة مصر وليس العكس . نقلوا الكثير من نواحي العلوم والمعرفة بدلا من أن ينقلوا اليها معالم حضارتهم

٣ — الفتوحات : كان للفتوحات المصرية اكبر الاثر في نشر حضارة الفراعنة الى مختلف انحاء العالم حيث امتدت حدود مصر في عهد الدولتين الوسطى والحديثة — مصر الامبراطورية — فوصلت الى نهر الفرات شرقا الذي وصفه تحتمس الثالث بالنيل المقلوب اى الذى تجرى مياهه من الشمال الى الجنوب كما وصلت جنود مصر شمالا الى روسيا على شواطيء البحر الاسود وعبرت البحر الابيض لتصل الى شواطيء فينيقيا وجزر كريت ورودس ، جنوب شواطيء اوربا .

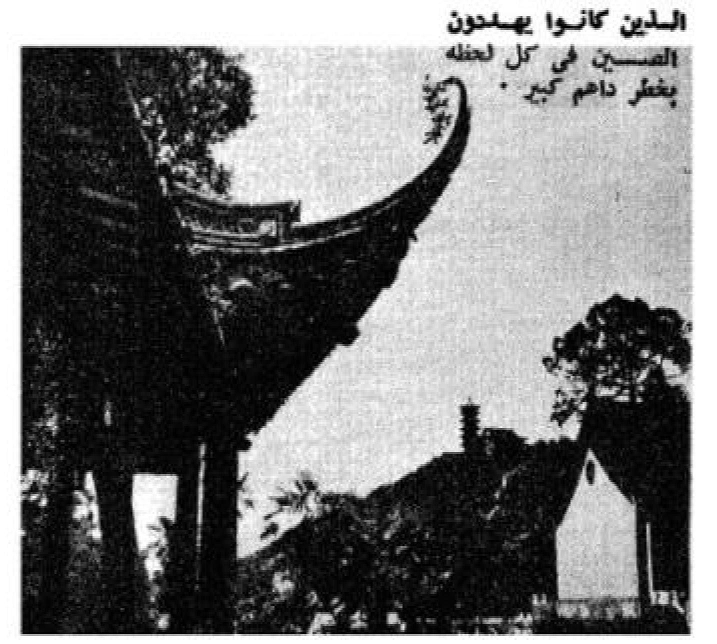
٤ — البعثات العلمية : التى أرسلها تحتمس الثالث ١٤٩٠ ق . م لتعبر اساطيله البحرية المحيط شرقا وتصل الى امريكا حيث ظهرت في ذلك التاريخ حضارة المايا بجميع علومها وفنونها وعقائدها وتقاليدها المصرية وتصل بعض سفن البعثة الاخرى التى اتجهت غربا لتعبر المحيط الهندى وتصل الى شواطيء استراليا وتترك لشعوبها بعض العادات والتقاليد والفنون المصرية القديمة .

وفى عام ٥٩٠ ق . م أرسل نخاو الثانى بعثات مماثلة طافت حول الشواطيء الافريقية لتصل بدورها الى المحيط الاطلسى وتعبر المحيط مرة أخرى وتصل الى المكسيك وتنشر الحضارة المصرية بجميع ملامحها بين شعب الازتيك او حضارة الازتيك القديمة .

محمد عبد الغني حسن

الحضارة الصينية

في القرن الثالث قبل الميلاد ، وفي عهد امبراطور الصين : «شين هوانج تي » الذي حكم البلاد بضعة وثلاثين عاما من سنة ٢٤٦ ق . م الى سنة ٢٠٩ ق . م — شعر هذا الحاكم المطلق بان بلاده في حاجة الى حائط قوي متين يحميها من غارات المتبربرين ، فاقام سور الصين العظيم ليجعل البلاد في مأمن من غزوات برابرة الشمال الذين كانوا يهددون الصين في كل لحظة بخطر داهم كبير .



ولم يشأ ذلك العاهل أن يجعل البلاد في عزلة عن العالم الذى يحيط به ، ولكنه أراد أن يتحصن بالأمان ، ويأمن بالانطواء والانعزال . ولهذا ، اذا كان هذا

الحائط الطويل المحكم التشييد قد حماه بعض الحماية من أطماع الطامعين ، فانه لم يمنع أفكار الصين أن تتسرب الى خارج الصين ، ولم

يمنع طلاب الامتداد والانفتاح من أبناء الأمم الاخرى ، حتى البعيدة بمكانها وبأفكارها ، أن ينفذوا الى

قطعة من الفن الصينى القديم



أقطار الصين من أى مدخل سهل عليهم التسلل منه ، والانسياب فيه ...

وعلى الرغم من هذه العزلة التى فرضتها الصين على نفسها منذ الوف السنين ، وعلى الرغم من تلك الاستحكامات التى توهم فيها بعض الاباطرة انها تمنع غزوا ، أو تصد تسللا بالافكار أو الاقدام ، وعلى الرغم من تلك (الذاتية) التى وجدت فيها الصين حماية لها من شرور الغير ، فان ذلك لم يجعلها من الدنيا بمعزل ، فقد تطلعت الى ما وراء أسوار الصين كلها - لا ما وراء السد الجدارى العظيم وحسب - عيون الباحثين والفاحصين والمتطلعين والطامحين ، وترامت تلك العيون الى كشف ماوراء تلك الاسوار ، والى طرح بذور جديدة فى تلك الأرض الشاسعة لترى مبلغ ما عندها من استعداد لتقبل تلك البذور ..

وكانت (البوذية) التى ولدت فى الهند بمولد صاحبها بوذا فى الهند حوالى سنة ٥٦٤ ق . م قد انتشرت فى شبه القارة الهندية ، ووجدت لها أتباعا متمسكين ، ثم أخذت تنشد لها مجالا آخر فوجدت المحيط الهندى من جنوبها ، ووسط آسيا من شمال ، فاتجهت نحو الصين ، فنقلت اليها فكرة الروح الباقية الخالدة ؛ ولكن الصين

صبغت هذه الفكرة البوذية الهندية بفلسفتها القومية الخاصة ، وبحكمتها العملية فى الحياة ، وطورتها الى ما يلائم مذهبهما فى عبادة الآباء والأجداد ، وتقديس الاسلاف . ولم يجد الصينى البوذى بعد ذلك حرجا



الحضارة الصينية

ان يجمع فى برديته بين اكل الحيوان الذى كان محرما فى بوذية الهند ، وبين التمتع بالمرأة الذى كان ينظر اليه فى بوذية الهند على انه رجس من عمل الشيطان ...

وهكذا دخلت البوذية بلاد الصين بتمثلتها ولونتها بلون حكمتها العملية فى الحياة ، واصبحنا لا نجد غرابة حين نرى (بوذا) الصين غير (بوذا) الهند ...

وكذلك دخلت المسيحية بلاد الصين فى اربعة عهود تتقارب مسافات الزمن فيما بينها وتتباعد بدءا من القرن السادس الميلادى حين دخلت مع النساطرة ، وانتهاء بالقرن التاسع عشر الميلادى حين دخلت مع البروتستانت اتباع الكنيسة الانجيلية وكان التوفيق بين الديانة المسنة وبين المسيح عليه السلام مطلبا عسير المرام لكل من رامه او حاوله . وبلغ من تحوير مسيحيى الصين للعقيدة المسيحية واضطرابهم فى امرها ان ظهر فيها داعية مسيحى جديد فى العقد الاول من القرن الماضى : التاسع عشر ، ووجد له انصارا يدينون بمذهبه الغريب الذى ادعى فيه انه الشقيق الاصغر للسيد المسيح ، وانه جاء ليبشر بعقيدة وسط بين عقائد اهل الصين ، وعقيدة الانجيليين ! وتحمس انصار هذا المبشر الداعى الجديد لمذهبه ، وبلغ من القوة حدا انه كاد يسقط ابن السماء من عرشه السماوى ، واستولى على «نانكين» وما حواليها ، ونادى بنفسه ملكا « سماويا » على ارض الصين كلها ، لا على قطاع واحد منها فحسب . ولكنه خسر نفسه وخسر عرشه وخسر حكام الصين ، وخسر اتباع المسيح ، واتباع بوذا وكونفوشيوس على حد سواء ، لان خطته فى « التوفيق » وفى تطوير المسيحية الصحيحة الموروثة قد اسخطت كل فريق ...

وظهر الاسلام بتعاليمه وبحضارته الجديدة ، فكانت الصين — على الرغم من سورها وجدارها الحاجز العظيم — مهوى افئدة العرب والمسلمين . وارادت حضارة الاسلام الا تقف عند حدود الجزيرة العربية ، ولكنها ترامت الى ماوراءها من اقطار تحمل حضارات عتيقة ، كحضارة الفرس ، وحضارة الروم ، وحضارة الصين ، ومد المسلمون والعرب زحفهم الى اسيا بقيادة القائد المظفر « قتيبة بن مسلم الباهلى» الذى ولاه الخليفة الاموى : الوليد بن عبد الملك قيادة الجيش المتجه شرقا الى الصين ، فافتتح كابل سنة ٧١٣ م ، وهاجم تركستان الصينية وفتح عاصمتها كشغر ..

ووصل رسل الخليفة الوليد الى عاصمة الصين ، فرضى امبراطور الصين — الملقب بابن السماء — ان يعفى هؤلاء الرسل من قواعد البروتوكول الصينى ومراسمه ... ذلك البروتوكول الذى يقضى على كل

داخل الى ساحة العرش الامبراطوري ان يسجد ثلاث مرات قبل المثول بحضرة الامبراطور • فلما هم رسل الاسلام والعروبة بالعودة من حيث اتوا ، وانتهاء الزيارة الملكية عند هذا المنتهى الذي لم يبلغ احدا من الطرفين غايته ، أذن لهم الامبراطور باعفائهم من شروط السجود ، وسمح لهم بكسر قواعد البروتوكول ، احتراما لدينهم من ناحية ، وكسبا لودة قومهم من ناحية ثانية ، ورغبته في الانفتاح على افكار دينية جديدة ، وحضارة اسلامية وافدة ••

وقد اكسب هذا الحدث الغريب في تاريخ العلاقات الخارجية الصينية بلاد العرب والمسلمين سمعة عالية ظلت مرهوبة الى الجيل التالي ••

ولم يخش الصينيون سيف الاسلام الذي كان يتهم بانه يستل بغيا ، بل عرفوا انه سيف للسلام والمحبة والاخوة ، لا يستل الا دفاعا عن مظلوم ، او انتصارا لصاحب حق مهضوم •• وهكذا كانت نظرة الصين الى الاسلام وانصار دعوته من العرب والمسلمين • فان العاهل الصيني « شي تيه » قد مني في خلال حكمه بثورة قامت عليه من احد الثوار اسمه « لوشان » ، فارسل العاهل الى الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور يستعديه على ذلك الثائر ، ويطلب منه ان ينهض لاخماد ثورته، واطفاء فتنته •• وقام الجيش العربي بانجاز المهمة ، واحراز النصر على الثائر على امبراطوره ، فكان جزاء ذلك الموقف العربي الشهم ان يسمح امبراطور الصين لرجال ذلك الجيش العربي المنجد بالمقام في ارض الصين • ومن ذرية ذلك الجيش انبثق جلة المسلمين الصينيين •

وجاءت ذراري الصين المسلمة من ذلك الجيش العربي ، وانصهرت من ذلك اللقاء والانصهار افكار اسلامية صينية لم تبعد عن أصلها الاسلامي القديم ، ولكنها اقتبست من عادات الصينيين ومراسماتهم غير قليل • فرأينا مسلمي الصين يتبنون تعاليم الشريعة الجديدة التي اعتنقوها ، فيحرمون ما حرمه الاسلام ، ويحلون ما احله ، ولكنهم — مع ذلك — اكتسبوا من عادات الصين الموروثة وتقاليدها المحفوظة ما لا يتعارض مع الاسلام ، ففعلوا كما يفعل اهل الصين من تقديس الآباء ، وتعظيم الاسلاف ، لان هذه العادة الصينية الشائعة حتى يومنا هذا لم تكن غريبة كل الغرابة عن طباع العرب — وخاصة اهل البدو — الذين كانت تتألف منهم جيوش المسلمين في ذلك الحين •

وهكذا وجدنا حضارة الصين القديمة ، وحكمتها الموروثة ، وفلسفتها الدينية الممزوجة من فلسفات كنفوشيوس ، وبوذا ، ولاوتز لم تجعلها السدود والاسوار — حتى ولو كانت سور الصين العظيم — بمعزل عن افكار بقيةالعالم المحيطوغير المحيط القريب وغير القريب • وهكذا وجدنا الصين الواسعة الشاسعة ، المتحصنة بلغة من أصعب اللغات واكثرها تعقيدا للمتعلم ، والمسدودة نوافذها على العالم من البحر أو البر بجدران



الحضارة الصينية

لقد اشتهرت « الصين » منذ القدم بعزلتها التي يجسمها سور الصين العظيم ، كما تجسمها الطبيعة التي حكمت عليها وعلى حضارتها، بالبعد الشاسع . وعلى حين كان يتوهم الصينيون ان بلادهم هي البلاد الوسطى أو « مركز العالم » ، كان الاجانب — حتى جيرانهم القريبون منهم وعلى تخومهم — يتخيلونها بلادا نائية ، بعيدة ، معزولة وراء جدار ، وانها البلاد التي هي نهاية العالم الاخير .. وكان بعض جيرانهم في غرب القارة الاسيوية يعتقدون — في بعض تخيلهم — ان من تفارق روحه العالم ، فانها تذهب في فراقها الابدى الى مطلع الشمس من بلاد الصين ! وشاءت الاقدار أن هذه البلاد البعيدة المترامية وراء الجبال والاودية والمحيطات اضحت موضعا للنزاع عند طلاب التوسع من المستعمرين .. بل اصبحت منهبة لطلاب المكاسب البشرية من المتلهفين .

وسدود وأسوار ، تتفتح شيئا فشيئا، وبخاصة بعد أن كشف الرحالة الملاح البحرى فاسكو دى جاما طريق رأس الرجاء الصالح في جنوبي افريقيا في اواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن الذي يليه . فأخذت السفن البرتغالية تفد من اقصى الغرب في أوربا الى اقصى الشرق في آسيا ، وتتاجر مع الصين. ووجدنا جالية من البرتغاليين تستوطن « ماكاو » سنة ١٥٥٧ م ومنذ ذلك الحين بدات اقدام الاوربيين تتصدر نحو الصين ، وبدأ الغربيون — وخاصة البريطانيين — يجدون في أرض الصين أرضا واسعة ، وسوقا نافقة رائجة لتجارتهم ..

وتنبه الصينيون — بحكم عزلتهم القديمة الموروثة — الى أن هذا الانفتاح عليها بلا قيد ولا ربط من سيول الاجانب قد يكون في مضرة البلاد اكثر مما يكون في مصلحتها ، ففرضوا قيودا على التجارة الخارجية منعا لهذا التسلل الاجنبي الذي ينذر بخطر عظيم . وزادت مطامع البريطانيين في الانفتاح والتسلل . وبلغ توقهم الى الغاء القيود التي فرضتها الصين على التجارة الخارجية حدا مؤرقا ، فاتخذوا من حظر الصين استيراد الأفيون سنة ١٨٣٩ تعلة للحرب التي انتصروا فيها ، والتي تعرف بحرب الافيون . وقد كانت بريطانيا تخزن قدرا كبيرا وكميات هائلة من الافيون في « كانتون » ، فدمرها الصينيون تخلصا منها ، بل تخلصا مما وراءها من اسباب للتسلل . وانتهت حرب الأفيون بمعاهدة نانكين سنة ١٨٤٢ ، وهي المعاهدة التي فتحت بمقتضاها موانيء : شنغهاى ، وكانتون ، وأموى ، وفوتشاو ، ونتجبو في وجه التجارة البريطانية . وبمقتضاها أيضا نزلت الصين عن هونج كونج لبريطانيا ..

ولما أذن الله للصين الحديثة أن تتخلص من نير أسرة (مانشو) التي حكمت البلاد من سنة ١٦٤٤ الى سنة ١٩١٢ ، باعلان الجمهورية ـ بعد عهود الامبراطورية ـ سنة ١٩١٢ على يد الزعيم صن ياتسن،

قدر لها أن تقع مع المستعمرين فى صراع طويل مرير ، كما وقعت فى صراع داخلى مرير بين ألوان الطامعين من الحكام وأصحاب المطامع والضالعين مع المستعمرين ، الى أن انتهى الصراع كله باعلان جمهورية الصين الشعبية فى سبتمبر سنة ١٩٤٩ واختيار الزعيم المخلص : « ماوتسى تونج » رئيسا لها .

واذا كانت حضارة الصين القديمة هى تلك اللون من الحضارة الزراعية التى تقوم على أحواض الانهار العظيمة ، فان نصيب الصين من النهرين الكبيرين : هوانج هو ، فى الشمال ، ويانج تسى كيانج فى الوسط قد جعل رقعة الحضارة فيها أكثر اتساعا ، وأوسع انبساطا .

واذا كانت حضارة الآشوريين والبابليين قد قامت حول حوض الرافدين : دجلة والفرات، وحضارة مصر القديمة قد قامت فى حوض نهر النيل ، وحضارة الهند قد قامت حول ضفاف الكنج ، وبراهما بترا ، والسند ، فان حضارة الصين القديمة وجدت فى نهريها الكبيرين وفى بقية الانهار الاخرى دعامة للقيام والظهور على مدار الآف من السنين . وهذه الحضارة الزراعيه فى الصين قد جعلت أكثر أهلها من

مهرة الزراع وحراث الارض المخلصين . والمهارة فى الزراعة ليست ضرورية فى البلاد التى تشقها الانهار مهما كانت كبيرة أو طويلة فنحن نعرف بلادا تتمتع بالانهار ولكنها لا تتمتع بالفلاح الماهر ، والزارع الدءوب الخبير ، مما يجعل بعض البلاد النهرية اليوم تلجأ الى تهجير مهرة الفلاحين اليها من بلاد أخرى للاستعانة بهم على الفلاحة المثمرة المنتجة . والمثل بين يدينا الآن قريب حين رأينا العراق المشهور بنهريه العظيمين : دجلة والفرات ، يلجأ الى خبرات معروفة من ابناء وادى النيل . ولكن الفلاح



لقطة لسور الصين العظيم

الصينى مشهور منذ القدم الى يومنا هذا بقدرته على أن يحصل من الارض على أكثر ما تعطيه .

ولقد اشتهر الزارع الصينى منذ أجيال وأجيال بالتخصص فىزراعات أخذت مكان الاشتهار بين أقطار المعمورة . فالشاى ، وهو ذلك الشراب المنعش اللذيذ ينتج من الصين، وتقوم على زراعته واعداده ليد المستهلك صناعة وطنية هامة . ولقد كانت بلاد الصين مصدرا

وحيدا للشاى الجيد ، كما كانت منبته الاول الوحيد ، وان كانت الهند واليابان دخلت الميدان ، كما دخلته الان بلاد البرازيل بامريكا الجنوبية حيث تتولى زراعته ما بين مدينتى كوريتبا وسان باولو جماعات من امهر الفلاحين اليابانيين النازحين الى البرازيل ... وقد شاهدنا باعيننا مزارع الشاى الشاسعة قرب سان باولو فى رحلتنا اليها سنة ١٩٧٥ .

ومن عجب ان الصين حين تبهرنا دائما فى حضارتها القديمة بحكمتها وفلسفتها وادابها الاجتماعية ، وبتراثها فى الخير والشر ، وبروحها المتدينة المحافظة ، فانها تبهرنا كذلك بمشاركتها العظيمة فى مجالات مادية واضحة المعالم فى الفنون ، والطباعة ، وصناعة الورق، وصناعة الكتاب ، والحرير ، والنسيج ، والزخرفة ، والنقش ، والتصوير .

ولما اتجه المسلمون فى فتوحاتهم الى الشرق من اسيا وقعت عيونهم على تحف من صنع الصين كانت ميدانا للحديث عنها فى كتب التاريخ والادب ، وفى كتب التمدن الاسلامى، وفى الكتب الخاصة بالتحف والهدايا ، مثل كتاب (التحف والهدايا) الذى الفه الشقيقان ابو بكر وأبو عثمان الخالديان من شعراء العرب وأدبائهم فى القرن الرابع الهجرى ، ومثل كتاب (الذخائر والتحف) للقاضى المصرى الرشيد الاسوانى من رجال القرن الخامس الهجرى .

الحضارة الصينية



والحق ان التحف الصينية كانت دائما محل الحديث عنها والاشادة بها فى كتابات المؤرخين من العرب والمسلمين ، ولما فتح العرب فرغانة ـ وهى بلاد تقع على مقربة من حدود الصين ـ وجدوا فيها تحفا صينية ، كما اسروا فيها صناعا من اهل الصين الذين كانوا يسكنون ذلك الاقليم .

ويشير المؤرخ الطبرى الى فتح مدينة كش من اعمال سمرقند فيقول فى احداث سنة ١٢٤ هـ : (وفى هذه السنة غزا ابو داود خالد بن ابراهيم اهل كش ، فقتل الاخريد ملكها ... واخذ ابو داود من الاخريد واصحابه حين قتلهم من الاوانى الصينية المنقوشة المذهبة التى لم ير مثلها ، ومن السروج الصينية ، ومتاع الصين كله من الديباج وغيره ، ومن طرف الصين شيئا كثيرا ...)

وقد اشتهرت صادرات الصين الى بلاد الاسلام وثغورها شهرة عظيمة منذ ازمان قديمة ، فصار ثغر « سيراف » على الخليج العربى مركزا لتوزيع التحف والطرف والبضائع الصينية فى شبه الجزيرة العربية ، وبلاد ايران . وأصبحت حظائر بعض المدن العربية الاسلامية تحتوى فى اكبر قسم منها على

ضروب من الفخار والخزف الصيني ، كما حدث ذلك في مدينة سامرا التي عثر فيها على خزف يرجع عهده الى أسرة « تنج » التي حكمت الصين من سنة ٦١٩ م الى سنة ٩٠٦ م

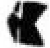
واستطاعت تحف الصين وخزفها وبلورها الصافي النقي، وتصاويرها ان تجد سبيلها الى كل ارض عربية او اسلامية · ويحدثنا المقريزي ـ وهو من رجال القرن التاسع الهجري ـ وهو في معرض الحديث عن تكفيت المعادن بالذهب والفضة :

(ان العروس من بنات الامراء او الوزراء او اعيان الكتاب او اماثل التجار كانت تحمل الى زوجها جهازا منه مقدار من الخزف الصيني ، ومقدار من انية او ادوات من الورق اسمها : كداهي ، وهي الآن من ورق مدهون تحمل من الصين ، ادركنا منها في الدور شيئا كثيرا ، وقد عدم هذا الصنف من مصر الا شيئا يسيرا ···) ·

كما يحدثنا صاحب كتاب (المستطرف) وهو الابشيهي من رجال القرن التاسع الهجري ان يعقوب بن الليث الصفار اهدى الى الخليفة المعتمد على الله هدية في بعض السنين ، بينها عشرون مستوقا على عشر يقال فيها طرائف الصين وغرائبها··

ولم يكتف اهل الفنون من الصين بصناعة الطرائف في بلادهم ، بل نزح امهر الصناع والفنانين والمصورين منهم الى بلاد اخرى من دولة التتار وغيرها ليقوموا بفنونهم خارج بلادهم كما قاموا بها داخلها كما نزح بعض الفنانين والصناع الى بلاد الصين ليتعلموا الفنون والصناعات والرسوم والنقوش على يد اصحابها في البلاد نفسها · وكان مما فعله الشاه عباس الصفوي ملك ايران في ذلك السبيل انه استقدم الى بلاده ايران من بلاد الصين عددا لا بأس به من الخزافين الصينيين مع اسرهم ، لينشروا في ايران صناعة الخزف تمهيدا لاصداره الى اوروبا ، وبهذا تحصل ايران على الارباح الطائلة التي كانت تتدفق على الشرق الاقصى · وهكذا وجدنا مدينة مثل اصفهان الايرانية تصبح مركزا هاما لصناعة الخزف الصيني ·

ولا بأس ان نشير هنا ـ ونحن في معرض الحديث عن الحضارة الصينية ـ الى مبلغ الاعجاب الذي حظيت به التحف والطرف الصينية عند كثير من الادباء والشعراء والمؤرخين المسلمين · فقد كتب الثعالبي المتوفى في الثلث الاول من



القرن الخامس الهجري في كتابه (لطائف المعارف) نبذة عن مهارة أهل الصين في الفنون ، وقد نقلها عنه صاحب « نهاية الأرب » ، فقال : (واما الصين وما اختص به ، فان العرب تقول لكل طرفة من الاواني : صينية ، كائنة ما كانت لاختصاص الصين بالطرائف · وأهل الصين خصوا بصناعة الطرف والملح



الحضارة الصينية

وخرط التماثيل ، والابداع فى عمل النقوش والتصاوير ، حتى انمصورهم يصور الانسان ، فلا يغادر شيئا الا الروح ، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك الشامت وضحك الخجل . وبين المبتسم والمستغرب ، وفى تطوير المسيحية الصحيحة صورة فى صورة ..)

ولو اخذنا نعد الوان التقدير من مؤلفى العرب ومؤرخيهم للفن الصينى لما فرغنا من حديث شهى طويل لا ينتهى . فقد كان لفنون الصين مذاق خاص ، وتقدير مرتفع عند العرب والمسلمين ، وحسبنا أن نشير الى ما ذكره المؤرخ ابو الفداء المشهور من رجال القرن التاسع حيث قال : (ان اهل الصين احذق الناس فى الصناعات ، وانهم احذق خلق الله تعالى بنقش وتصوير ، بحيث يعمل الرجل الصينى بيده ما يعجز عنه اهل الارض).

وما من زائر عربى مسلم لبلاد الصين ، او ملم بها ، او راحل اليها ، او واقف على حضارتها الا اشاد بمهارة اهلها فى الصناعات والفنون والتصوير والنقش والزخرفة والالطاف ، فهذا مؤرخنا ورحالتنا ابن بطوطة ـ من رجال القرن الثامن ـ يشير الى مهارتهم فى ذلك قائلا:

(واهل الصين اعظم الامم احكاما للصناعات ، واشدهم اتقانا فيها . وذلك مشهور من حالهم ، قد وصفه الناس فى تصانيفهم فاطنبوا فيه . واما التصوير فلا يجاريهم احد فى احكامه من الروم ، ولا من سواهم ، فان لهم فيه اقتدارا عظيما) واخذ يسرد بعد ذلك حكاية غريبة من ذلك جرت له حين دخل بلادهم جوابا زائرا .

واذا لم يكن الصينيون فى فنونهم وصورهم وتحفهم روادا كاشفين ، بل كانوا اصحاب فن متميز مطبوع بطابعهم الخاص ، وملون بالوانهم القومية المحلية ، فان لهم فى مجالات حضارية اخرى مكان الكاشف الرائد ، والمخترع السابق الذى لم يسبق . فالحرير ـ كما هو معلوم ـ من مكتشفاتهم ، وقد استعملوه منذ كشفوه للكساء بضعة الاف من السنين قبل الميلاد ، ولايزال الى اليوم صناعة من أهم الصناعات الوطنية فى الصين . وكانت الصين الىعهد غير بعيد منا تنفرد بتصدير الحرير الى انحاء العالم كله ، الى أن زاحمتها فى هذا المجال بلاد اليابان : جارتها المنافسة ، وايطاليا وفرنسا من بلاد أوربا . وقد مكن لهذه الدول المنافسة اعتمادها على وسائل العلم فى الزراعة والصناعة على حين ظلت الصين معتمدة على وسائلها التقليدية ، مما دعا دعاة الاصلاح فيها الى ادخال كل حديث فى هذا المجال .

واذا كان الحرير وصناعته من مبتكرات الحضارة الصينية القديمة ومكتشفاتها التى أسدتها الى المدنية

العالمية ، فان الطباعة كانت كذلك مما سبق اهل الصين الى اختراعه، قبل ان يعرفهما العالم على يد جوتنبرج بقرون • واذا كان جوتنبرج الالمانى المتوفى سنة ١٤٦٨ اول من فكر فى صنع الحروف المتفرقة • فان ذلك لا يتعارض مع سبق الصين الى استعمال الطبع بطريقة الحروف ، كما لا يتعارض مع سبق (كوريا) الى استعمال الحروف المنفصلة قبل اوربا • ولم يقف تقدم الصين الحضارى عند السبق الى كشف صناعة الحرير، وصناعة الطباعة بالحروف، فقد كانوا اول امة عرفت الورق ، وكان صاحب الفضل فى اختراعه ، تساى لون ، الذى كان يعمل فى قصر الامبراطور « هوتى » من اباطرة الصين فى عصر اسرة هان ، سنة ١٠٥ ميلادية • والواقع

بوذا الصين



ان النقش والتصوير كانا فنين من الفنون الصينية اللازمة لصناعة الورق واكتشافه •

واذا كانت الحضارة العالمية مدينة للصين القديمة باختراع الورق ، فانها فى الوقت نفسه مدينة للعرب والمسلمين بنقل هذه الصناعة الى غيرهم من الصينيين • وقد تعلم العرب صناعة الورق على يد جماعة من مهرة الصناع الصينيين اسرهم المسلمون عندما فتحوا سمرقند فى نهاية القرن الاول الهجرى • وقد ذكرت بعض المصادر ان صانعا صينيا اسره زياد بن صالح، والى مدينة سمرقند فى اوائل العصر العباسى سنة ١٣٤ ، وعرف انه متخصص فى صناعة الورق ، فتعلم العرب على يديه هذه الصناعة • ولقد ظهرت صناعة الورق فى الصين — على ما تذكره المصادر — فى سنة ١٠٥ ميلادية ، اى قبل ظهور الاسلام بخمسة قرون • وكانت سمرقند الاسلامية صاحبة الفضل فى نقل العرب له الى شمال افريقية ، فاسبانيا ، ومنها الى بقية بلاد اوربا • ثم جاء نقل صناعته الى العالم الجديد سنة ١٦٩٠ ، اى بعد كشف امريكا باكثر من قرن من الزمان •

واذا كان الفراعنة قد اسدوا الى الحضارة اختراعهم لورق البردى واستعمالهم الكتابة عليه فى كل غرض تتخذ فيه الكتابة ، فان الصين هى اول بلد اخترع صناعة الورق من الكتان والقنب • ولا يمنع سبق الصين

في اختراع الورق من ظهور فضل العرب عليهم بعد ذلك في هذا الميدان، وتفوقهم فيه . ولا تزال انواع من الورق الممتاز تحمل اسماء عربية اسلامية ، مثل الورق السليماني نسبة الى سليمان بن راشد عامل خراج خراسان في عهد الرشيد ، والورق الجعفري نسبة الى جعفر بن البرمكي ، والورق الطلحي نسبة الى طلحة بن طاهر ثاني بني طاهر الامراء ، والورق النوحي نسبة الى الامير نوح بن سامان من امراء الدولة السامانية الاسلامية ببخارى .

الحضارة الصينية

ولقد ظل للورق الصيني الفاخر مكان سمعته في العالم العربي الاسلامي . فقد بقي العرب بعد تصنيعهم لانواع الكاغد يستوردون من الصين افخر انواع الورق ، واحتفظوا به لكتابة المخطوطات النادرة ، والمصاحف الثمينة . ويذكر ابن سعد الكاتب في (صلة تاريخ الطبري) ان اتباع الحلاج في القرن الرابع الهجري كان لديهم مخطوطات من الورق الصيني الجميل ، كتب بعضها بمداد من الذهب ، وصنعت اغلفتها من الجلود اللطيفة ، وحفظت في نسيج من الحرير ..

ومادمنا في معرض الحديث عن الورق ونصيب الصين القديمة وحضارتها من صناعته ، فان صناعة « الكتاب » ، كانت فنا مزدهرا في الصين في القرن العاشر قبل الميلاد . ولم يكن الكتاب يومئذ مصنوعا من الورق الذي لم يكن قد اكتشف بعد . وانما كان الكتاب يصنع من الخشب .. فتحفر الالواح الخشبية بآلة مدببة ، ثم استغنى عن الحفر بالكتابة بالحبر بوساطة قلم من القنا الرفيع هو اشبه بالاقلام « البوص » التي كانت عندنا الى عهد غير بعيد . ومن المؤسف ان تلك الكتب الخشبية الصينية لم يبق منها شيء لان الامبراطور الصيني (تسن شهوا نجتي) اصدر اوامره في سنة ٢١٣ ق . م بابادة هذه الكتب عقابا لمؤلفيها الذين اجترءوا على نقد نظام الحكم في عهده . وما سلم من هذه الكتب الخشبية المحرقة لم يسلم من تلفها من كونها كانت مخبوءة تحت الارض وهكذا ثبت ان في كل امة جماعة من التتار اعداء النور ، وعشاق الظلام ، كهؤلاء الذين احرقوا مكتبة الاسكندرية ، وكهؤلاء التتار الذين احرقوا بغداد واغرقوا كتبها العظيمة في نهر دجلة حيث ابتلعتها مياه الفيضان ..

وحين نترك مجال الحضارة المادية في الصين الى مجال الحضارة الفكرية ، وثقافة الروح فاننا نجد الادب الصيني يدور حول مبادىء


كونفوشيوس

الخلق وتهذيب النفس ، وعصمة السلوك الانسانى من الزيغ والخطأ • واهتم الانبياء القدامى بجمع حكمة الاسلاف وتدوينها لتكون قدوة لكل جيل مقبل • والصينيون فى هـذا أصحاب حفاظ شديد على القديم • ويحيط أهل الصين أدبهم القديم بألوان من التقديس ، شأنهم فى تقديس الآباء ، ولا يجيزون لانسان أن يخرج على أصول هذا الادب الموروث • ويعد الصينيون من التزندق أن يخرج كاتب حديث على القواعد التى وضعها كاتب قديم ، ومن هنا نفهم السر فى بقاء اللغة الصينية على قديم حالتها لم ينلها شيء من التغيير أو التجديد •

وتكاد حكمة الصين تكون كحكمة الهنود لولا أن حكمة الصين عملية لا خيالية ، واقعية لا افتراضية • وتتمثل حكمة الصين فى آراء الحكيم كونفوشيوس الذى ترجمه بعض الناس نبيا أو صاحب مذهب دينى ، أو رجلا من الكهان ، وما هو فى الحق الا مصلح عملى وجه همه الاكبر نحو مشكلات الحياة • وهو شبيه بسقراط الذى جاء فى اليونان بعد قرن من الزمان من عهد حكيم الصين • ولكن سقراط كان نظريا ينظر الى مشكلات الاخلاق من جانبها النظرى ، على حين كان كونفوشيوس يبغى تحقيق سعادة الافراد بطريقة عملية • ومن هنا نستطيع أن نقرر ونحن مطمئنون أن الكونفوشية لم تكن دينا ، بقدر ما هى قواعد للسلوك •

ونلاحظ فى الادب الصينى وجود طائفة من الحكايات والقصص تساق مساقا يؤدى بقارئها الى استخراج العبرة منها • ولعل حكايات فولتير الشرقية مستمدة فى الاصل من أصول صينية ، لا أصول فارسية أو هندية كما كان المفهوم • أما الامثال الصينية فهى ثمرة تجارب قومية بيئية كبقية الامثال فى أمم العالم كله قديمه ومحدثه •• ولكننا نلاحظ فى أمثال الصين التى جمع العالم (سلوين جرنى شامبيون) قدرا كبيرا منها فى كتابة (أمثال الشعوب) المطبوع فى لندن منذ سنوات ــ أنها تمتاز ببناء ثنائى خاص يميزها من غيرها من امثال الامم فى القديم والحديث ، كما تمتاز بأمثال المقابلة والموازاة بين المعانى والافكار • ولولا أن سياق بعض الامثال الصينية هنا قد يخرجنا عما نحن فيه من مقام التعميم الى مقام التخصيص ، لسقنا بعض نماذج من هذه الامثال الحكيمة المتزنة ، الرصينة ، التى جمعت حكمة الصينيين وتجاريبهم على مدار الدهور ••

● د. عبد المنعم أبو بكر ●

حضـــارة مــابيـن النهرين

اتفق المؤرخون على ان بلاد مابين النهرين (العراق القديم) كانت مهد حضارات قديمة وان انسانهـا الاول ، متفـــرقا فى مجموعات بشرية انتشرت بين الشمال والجنوب ، قد استطاع ان يحيا حياة قامت على أسس حضارية متقدمة منذ اول عصور فجر التاريخ ، وان هذه الاسس اخذت تتطور تطورا رتيبا فى سلسلة متعددة الحلقات ، تعارفنا على تسميتها « حضارات العصر الحجرى الحديث » ، اما العصر التاريخى فهو ينقسم الى عصور ثلاثة يطلق عليها الاسماء الآتية :

١ ـ عصر السومريين

٢ ـ عصر البابليين

٣ ـ عصر الآشوريين

السومريون

فى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد كانت دلتا نهـرى الدجلة والفرات مسرحا حضاريا لشعب السومريين الذين كونوا عـــددا من « دويلات المدن » تمكنت ان تخلد لنفسها اثرا واضـــحا فى التاريخ ، والى هذا الشعب تنسب الكثير من المظاهر الحضارية المتقدمة التى اخذت تظهر وتزدهر منذ ذلك الحين .



منظر يمثل الملك آشور بانيبال فى معركة بلا أيدى مع اسد وقد غرس خنجره فى صدره ..

ومن المعروف ان البيئة تلعب دورا رئيسيا فى التأثير على الانسان الذى يعيش بين أحضانها وتطبع حضـارته بطابع خاص يتفق ومقتضيات الحياة فيها . وبلاد العراق تتميز بسـهولها الممتدة امتدادا واسعاً وبوجود عدة سلاسل من الجبال الشاهقة تمتد من الشمال الى الجنوب حول وديان هذه

البلاد . ونظرا لانها محاطة بشعوب مختلفة في الشمال والجنوب قامت بهجرات واسعة . ولان البلاد تعيش على ظاهرتين طبيعيتين : اولاهما تتمثل في نهرين عظيمين . وثانيتهما الامطار التي تتساقط في معظم ارجاء المنطقة في اكثر من موسم واحد من مواسم السنة .

كل هذه العوامل جعلت بلاد ما بين النهرين لا تعرف الاتحاد والتماسك السياسي طوال فترات متعاقبة من تاريخها الاول . وجعلتها ايضا تمتاز بنظام يقوم على انشاء « دويلات المدن » . فكل دويلة منها تتكون من مدينة واحدة تتركز فيها كل عناصر الحكم والدين ومظاهر الحضارة الاخرى . وتحيط بهذه المدينة الاراضي المزروعة .

وكانت كل مدينة تسعى جاهدة لان تحمي سكانها اولا . وان تقيم بينهم وبين جيرانهم من سكان المدن الاخرى حدا منيعا هدفه الابقاء على عوامل الاستقرار بين جنبات الاسوار التي تحيط بالمدينة . ولكن كثيرا ما كان يطمع حاكم مدينة بعينها في اراضي مدينة اخرى مجاورة فيهاجمها ويقتحم اسوارها ويضم المدينتين الى بعضهما البعض ويستطيع في النهاية ان يوسع من حدوده ويكون مملكة واسعة ولكن لا تلبث الامور من بعده ان تعود الى سابق عهدها وتنفصل المدن وتستقل كل منها داخل اسوارها .

ونحن في حديثنا عن السومريين لا نستطيع مطلقا ان نتحدث عن شعب متماسك الاطراف يكون امة متحدة استطاعت ان تبرز في التاريخ بحضارة متسقة تنتظمها في اطار معين كما كان الحال مثلا في مصر القديمة . ولكن كما سبق القول سنتحدث عن مراكز حضارية تتمثل فيما سميناه « دويلات المدن » . وكان لكل مدينة اسرة ملكية تحكمها . كما كانت الحروب تندلع بينها . كل منها تسعى لتسود جارتها وتتولى حكمها وتقضي على الاسرة الحاكمة فيها .

كانت في مقدمة تلك المدن السومرية « لكش » و « اوروك » و « اور » و « كيش » و « لارسا » و « اريدو » . ولكل مدينة منها سلالتها الملكية . ومحاولاتها في السيطرة على جاراتها . كما ان لكل منها نشاطها في المضمار الحضاري . الا انها كلها مجتمعة تمت الى جنس واحد . ويتبع اهلها اسلوبا واحدا في حياتهم ومعتقداتهم

حاول المؤرخون – ولا يزالون يحاولون – التعرف على جنس السومريين ويتساءلون : هل هم من اهل البلاد الاصلية . ام وفدوا عليها من الخارج ؟ يريد البعض ان ينسبهم الى الجنس السامي الذي كان ينتشر في اكثر بقاع بلاد ما بين النهرين وسوريا اتين من موطنهم الاصلي في شبه جزيرة العرب . الا ان البحوث التي اجراها علماء الانسان دلتهم على ان هناك فروقا واضحة بين جماجم الساميين وتلك الخاصة باهل سومر .

ومن الغريب حقا ان السومريين سجلوا في كتاباتهم بعضا من القصص وقالوا فيها انهم ينتمون الى قوم هاجروا من بلادهم ووصلوا الى وطنهم الجديد عن طريق البحر .

حضارة ما بين النهرين

وحدث هذا فى رأيهم فى وقت مبكر كان الناس فيه يسيرون على ايديهم واقدامهم مثلهم فى ذلك مثل الحيوانات ٠ ومن هذا يود البعض الآخر أن يبحثوا أن الوطن الأصلى لهم فى وسط آسيا والى اقليم شمالى غرب الهند بالذات حيث ظهرت حضارتان تتشابهان فى بعض عناصرهما مع حضارة السومريين وهما حضارة « هاريا » و « مهنجو - دارو » ٠

ويعتمد المؤرخون فى كتابة تاريخ السومريين على مصدرين : اولهما هو العمل العلمى الذى قام به رجال الآثار من تنقيبات واسعة النطاق فى اطلال المدن مثل « أور » و « كيش » و « أوروك » وغيرها من المدن التى لعبت دورها الهم السياسى والحضارى اثناء تلك الفترة - وثانيهما يتكون من بعض النصوص التى كتبها البابليون من أهل العلم والمعرفة حوالى عام ٢٠٠٠ ق ٠ م ٠ يثبتون فيها تاريخ امتهم منذ أول الخليقة ، ولعل جداول الملوك هى أهم هذه النصوص اذ قدموا فيها قوائم كاملة بالأسماء مرتبة حسب الأسرات والمدن التى حكموها ، ومن بين ما قالوه فى بعض هذه الوثائق : ان شعب السومير سكن مناطقه منذ أول الخليقه ولم يكن الناس قد عرفوا بعد اقامة الحكومات وذلك لأن بدايتهم حدثت هكذا ٠ ولقد نزل نظام الحكم من السماء ، وقام ثمانية الهة بالحكم فى ثمانى مدن مختلفة وحكم كل منهم عددا من السنين يزيد على الألف ثم انتهى حكمهم بحدوث الطوفان الذى عم العالم كله واهلك الحرث والنسل ٠

وهذه هى المرة الاولى التى تحدثت وثائق قديمة شعبية عن الطوفان بجانب الكتب السماوية ، وكان فى هذا دافع قوى لبعض العلماء ان يحاولوا استقصاء الامر بطريقة علمية ولقد سجلت بعض البحوث العلمية التى جرت فى أكثر من مكان فى بلاد العراق ظواهر تكاد تثبت حدوث فيضان كاسح حوالى منتصف القرن الاربعين قبل الميلاد ، اذ عثر العالم الاثرى « وولى » أسفل اطلال مدينة « أور » القديمة على طبقة طمية سمكها متران ونصف ثم عثر اسفلها على طبقة أخرى تحوى مخلفات بشرية اكثر قدما غير هذا فقد سجل العلماء ايضا فى مكان آخر يبعد عن مدينة «أور» بحوالى نصف كيلو متر وجود طبقة من نفس الطمى وسمكها ٣ر٧٠ متر ٠ وهكذا تناول البحوث الأثر لتحقيق ما ورد على افواه الناس وسجلته بعض الوثائق القديمة

وليس من شك فى ان الكتابة هى أهم ما قام العقل «السومرى» باختراعه ولقد اصطلح العلماء على تسميتها بالكتابة « الاسفينية » أو «المسمارية» وذلك لأن الكاتب كان يرسم علاماته فوق سطح لوحات طينية مبللة بالماء مستعملا فى ذلك قلما يشبه «الاسفين» مثلثا ومخروطى الشكل يمسك به مائلا وهو يضغط به ضغطا خفيفا على وسطه اللوحة ٠ واتبعوا طريقة الكتابة من اليمين الى اليسار ، وتكونت كتابتهم فى أول الأمر من صور تعبر كل صورة

منها عما ترمز اليه،ثم بعد ذلك تطورت نحو السهولة ، في الاستعمال باختصار الخطوط التي تتكون منها الصورة ، والخطوة التالية لذلك كانت استعمال العلامة ليس للتدليل عما تمثله بل على اساس حروف النطق التي تتكون منها وتمتاز الكتابة السومرية بأنها عرفت « الحركات » وهذا مما يسهل على القارىء نطق الكلمات ·

وتطورت الكتابة السومرية من قرن الى قرن ، ومن الغريب انها لم تكن متشابهة تماما في كل المدن في عصر من العصور اذ أن كل مدرسة احتفظت بنوع من التقليد في كتابة العلامات

***

واعتقد السومريون في حياة مابعد الموت،اذ اعتادوا دفن الحاكم في تابوت يوضع في قبر يبنى من الحجر او الآجر ويحاط بعدد كبير من رجالات الدولة وخدمه ، أما الأفراد فكانوا يلفون في حصير ويدفنون في حفرات مستطيلة وحرص السومريون على تزويد الميت بحاجياته الشخصية ، وهذه كانت توضع بجانب الجثه او تلف مع الجثة في الحصير · كما زودوه ايضاً بقارب صغير مملوء بأوان فخارية تحتوي انواعا شتى من القرابين اذ اعتقدوا أن الميت سوف يبحر في رحلته الى العالم السفلي استخدام قارب مزود بأنواع الاكل ·

ومن اهم الكشوف التي وفق اليها المنقبون في أطلال « أور » كان العثور على مقابر ملوك هذه المدينة ولعل اهم هذه المقابر مقبرتان في حالة حفظ جيدة : الاولى للملك والثانية لزوجته ولقد امتلأت كل مقبرة بأفخر الحلي وانق الادوات المصنوعة من الذهب الخالص مع العلم أن بلاد السومريين لم تحو ذهبا بل كانت تستورده من الخارج ·

هذا ولقد تكدست في كل من المقبرتين جثث افراد الحاشية الذين لابد وأنهم قتلوا عمدا لينالوا فخر الانضمام الى ملكهم وزوجته في الدنيا الثانية · ومن الغريب انه اتبع نظام دقيق في ترتيب وضع كل جثة بحيث يقرب صاحبها او يبعد عن جثة الملك طبقا للوظيفة التي كان يشغلها في حياته الاولى · ونجد انواعا شتى من أصحاب الوظائف المختلفة ، فمن حرس ملكي تزين كل منهم بخوذته النحاسية وتسلح بحربته الطويلة ، الى سيدات البلاط وقد اصطحبت كل منهن حليها الفخمة ، والى مغنيات احتفظت كل منهن بآلتها الموسيقية بجانبها ، الى عدد من سائقي العربات استلقوا بجانب عرباتهم التي تجرها الثيران والحمير ·

ولكن هذه العادة قد اختفت بسرعة اذ عثر العلماء على مقابر ترجع الى عهد أحدث من المقبرتين السالفتي الذكر ولكنها لم تحو ضحايا بشرية · واختفاء هذه العادة يدل على أن المقابر القديمة كانت لقوم ابتدعوا بعض العادات الغريبة عن أهل العراق القديم سواء من السومريين او من الساميين ، وأن هؤلاء نزحوا عن البلاد واختفت عادة الضحايا البشرية ·

***

وفي اوائل القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد ، كانت مدينة « كيش » التي تقع الى الشرق من مدينة بابل

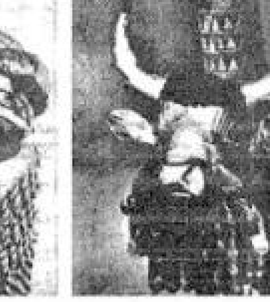
القتيبة مسرحا لاحداث كبيرة . اذ هاجمها شعب سام قوى وصل اليها من المناطق التى تحدها شمالا وبعد أن هزمها واستقر فيهـا عمل عـلى توسيع رقعة سلطانه ونجح فى ذلك نجاحا مستفيضا على يد أحد رجاله الدعو « سرجون » الذى أعلن نفسه ملكا على « كيش » ثم أسس لنفسه مدينة تجاورها سماها « اكد » ، أصبحت فيما بعد المركز الذى وثبت منه جيوش « سرجون » نحـو كل مكان لتشييد له أكبر امبراطورية عرفتهـا بلاد ما بين النهـرين فى ذلك العصـر وظل يحكموا قرابة ٥٥ عاما وحيكت حوله الاساطير وجعلت منه الاجيال اللاحقة له الها كبيرا (١) ولكن هذا الرجل القرار الذى لم يذق طوال حياته طعم الهزيمة والذى كان يتنقـل من نصر الى نصر ، مات وثار الثورة ضده متأججة فى جميع انحـاء امبراطوريته .

استطاع خلفاء « سرجون » الاكدى أن يحافظوا على امبراطورية اكـد لفترة من الزمان ثم لم تلبث الشعوب التى اندمجت قسرا تحت لواء واحد ان بحثت عن حريتها ،فقامت الثورات التحريرية فى كل مناطق الامبراطورية، وزاد على ذلك ظهور قوة جـديدة تتمثل فى خصم شديد المراس الا وهو قبائل « الجوتى » التى تسكن الجبال الشمالية الشرقية . وهى قبـائل ، متعطشـة للقتال استعملت طرقا همجية فى القضاء على اعدائهـا واستطاعت أن تقضى على امبراطورية سرجون . وبعـد أن تم لهم النصر فضلوا البقاء فى الشمال تاركين المدن السومرية لاصحابها نظـير اداء الجزية والتعهد باتباع سياسة المهادنة والاستسلام .

لقد استمروا فى حكم البـلاد متبعين الاسس الحضارية السومرية واستعملو اللغة السومرية فى رسائلهم وكتاباتهم وبذلك لم يتركوا مـن ورائهم ما تستدل منه على حضارتهم ومدى تقدمهم . ونظرا لبقـائهم فى الشمال فقد تمكنت بعض دويـلات المدن السومرية فى الجنوب وعـلى رأسـها « أور » أن تعمل جاهدة للتخلص من نير الاستعباد وأن تنجح فى محاولتها بعد مرور قـرن مـن الزمـان .

استـطاعت دويلات المـدن فى الجنوب السومرى أن تنعم مرة أخرى باستقلالها وحريتها ولكن الى حـين . اذ اخذت قوتان متماثلتان تتحكمان

(١) لقد تحدث « سرجون » عـن نفسه فى احدى التسجيلات فقال : « حملت بى امى الوضيعة الشـان واخرجتنى الى العالم سرا ثم وضعتنى فى قارب من القاب واغلقت عـلى بابه بالقار ثم انجانى عامل تمكنت بواسطته ان اصبح ساقيا لملك « كيش » الذى اعجب بى وقربنى اليه . وما لبثت ان اصبحت السـيد فى القصر وزاد نفوذى وقوى سلطـانى ، ورايت من واجبى ان اتسلم مقاليد الامور فتخلصت من الملك وجلست على العرش واصبحت الملك صاحب السلطان العالى .




راس بقرة .. تبدو راس من البرونز من بوضوح دقة الفنان العصر الاكدى ... في تشكيله ...

في مصر العراق القديم واستقرت كل قوة في اقرب المدن العراقية الى حدودها وجعلت منها نقط ارتكاز لتغير منها على ما تبقى من البلاد ، هاتان القوتان هما : « العيلاميين » الآتون من الشرق والذين عبروا نهر الدجلة واستقروا في مدينة « لارسا » ، ثم « العاموريون » الآتون من الشمال والذين استقروا في مدينة « ماري » التي تقع على نهر الفرات ، في الشمال من بابل ، ويبدو ان كلتا القوتين كانتا في اول الامر متعادلتين ولكن « العاموريين » وهم ينتسبون الى اصل سام (١) كانت لهم في نهاية الامر الغلبة ، ويرجع ذلك الى انهم بعد كل غزوة كانوا يستقبلون اعدادا كبيرة من بني جنسهم يحطون رحالهم بينهم فيسدون الفراغ في صفوفهم ، ولعل اهم ما ساعد « العاموريين » على ان تكون لهم اليد العليا في البلاد ان تولى امرهم رجل عظيم شديد المراس ذكى طموح وهو « حامورابي » الذى نجح في انشاء دولة جديدة هي « دولة بابل الاولى » التي حكمت البلاد مدة ثلاثة قرون او يزيد اى من ٢١٠٥ ق٠م الى ١٨٠٠ ق٠م ٠

دولة البابليين

اسس هذه الدولة رجل اسمه « سمو ـ ابوم » حوالى عام ٢١٠٥ ق٠م ٠ وقد بدأ كفاحه بالقضاء على امراء دويلات المدن السومريةثم وجه همه للقضاء على دويله « اكد » وبذلك حقق نهائيا وحدة البلدين تحت صولجان واحد ، واخذت الحضارة السومرية ، تختفي رويدا رويدا ، ومعها الجنس السومري الذى اخذت الاجناس الاخرى التي استقرت في البلاد منذ اجيال عديدة تمتصه ، ولم يبق اسم « سومير » الا في المراسيم ، ولم تعد بابل المدينة السياسية فحسب بل العاصمة الدينية للامبراطورية كلها ٠

« تولى حامورابي » العرش (وهو الملك السادس لهذه الاسرة) والخطر العيلامي يهددها للمرة الثانية ، الا ان هذا الرجل بما اتصف به من خصال فذة سواء في شئون الحرب او السياسة ، كان المنقذ لبلاده ٠ لم يغفل « حامورابي » عن خطورة الموقف ، الا انه لم يحاول الخروج الى خصمه بمجرد

---

(١) « الساميون » هم الذين رحلوا من بلادهم في جزيرة العرب وانتشروا منذ مئات السنين في مناطق شمالى العراق ثم في سوريا وفلسطين ٠

حضارة ما بين النهرين

ان تولى حكم بلاده ، بل شغل اولى سنى حكمه فى اصلاح الادارة الداخلية وتقوية وسائل الدفاع حول المدن المهمة وفى الاستعداد الضخم للصراع المنتظر ، الذى وجد انه مضطر لبنائه فترة تقرب من ١٨ عاما ٠

وفى العام الثامن عشر من حكمه تقابل مع عدوه الملك العيلامى الذى تحرك على رأس جموع جرارة لا حصر لها من الجند العيلاميين ومن سكان المدن العراقية الخاضعة له ٠ ومن اجل هذا نستطيع أن نحكم على مقدرة « حامورابى » العسكرية بعد أن دحر هذه الجيوش الجرارة وبعد ان مزق شملها شر ممزق ٠ فكان انتصاره عليها حاسما الى درجة اعتبرت حدثا خطيرا فى تاريخ العراق القديم ، ارخ به المؤرخون وثائقهم ، كما تغنى بعظمة « حامورابى » الشعراء البابليون ورتل الناس اناشيده فى المعابد ٠

واستطاع بعد ذلك الملك البابلى ان يوسع حدود دولته ويصل شمالا الى اعالى نهر الدجلة وضم بلاد الاشوريين اليه ، اما فى الجنوب فقد وصل بحدوده الى الخليج الفارسى ٠ وقصارى القول كان عصر هذا الملك الذى دام ٤٣ عاما بمثابة العصر الذهبى للبلاد العراقية باجمعها ٠

خلف هذا الرجل ابناء لم يستطيعوا الدفاع عن كيان دولتهم المترامية الاطراف واخذت الثورات تشتعل فى اكثر من مكان ، بل استطاع السكان القاطنون فى الجزء المتاخم للخليج الفارسى ان يستقلوا ويكونوا دولة عرفت فى التاريخ باسم « مملكة البحر » او دولة « بابل الثانية » ولقد حدث هذا فى عصر « ابن حامورابى »٠

ولعل من اهم اعمال « حامورابى » كان قانونه الذى نقشه على كتلة من حجر الديوريت عثر عليها عام ١٩٠٢ فى اطلال مدينة « سوسة » ولقد تهشمت هذه الكتلة الى ثلاث قطع استطاع المرممون ضمها الى بعضها البعض ٠ وتقشت مواد القانون التى تبلغ ٢٥٠ مادة فى ٤٦ سطرا عموديا تغطى محيط الكتلة الحجرية ٠ ولقد زين الجزء الاعلى من الكتلة بمنظر يمثل اله الشمس « شماش » جالسا على عرشه وهو يملى على « حامورابى » الماثل امامه « مراسيم العدالة » ويبدو واضحا من النص ان الملك قد انتهى من صياغته واصدره فى العام الحادى والاربعين من حكمه ٠

ولقد اعتمد الملك فى قانونه على الكثير من القوانين السائدة بين الناس بحكم العرف والعادات اذ نراه يقول : « فى حالة عدم ورود نص يختص بجريمة ما ، يحكم فيها حسب العرف السائد فى المنطقة » ولقد ظل هذا القانون مدة ١٥ قرنا محتفظا بجوهره رغم ما طرأ على احوال البلاد من تغيير وما ادخل عليه من تفاصيل ، ومن الغريب حقا ان هذا التطور الذى حدث

بالنسبة الى مواد القانون كان يهدف باستمرار الى استبدال العقوبات البدنية باخرى دنيوية ، اى بمعنى اخر استبدال الرحمة بالقسوة • والغرامات المالية بالعقوبات البدنية •

وكانت هناك محاكم ابتدائية منتشرة فى كل مكان ، وتتكون المحكمة غالبا من ستة قضاة كانوا رجالا محترفين لانهم يحملون لقب « قاضى » ، كما كانت فى بابل محكمة استئناف يحكم فيها قضاة الملك ، كما كان فى وسع المتقاضين ان يرفعوا استئنافا نهائيا الى الملك نفسه • ولم تعثر فى الوثائق على ما يستدل منه على وجود المحامين فى بابل ، وكان المدعى يترافع فى قضيته بنفسه دون الاستعانة بالالفاظ المنمقة التى تحتمها الاصطلاحات القانونية ، وعلى كل فان الناس كانوا لا يقبلون على التقاضى ، ولعل ذلك لان المادة الاولى من قانون « حامورابى » تقول : « اذا اتهم رجل شخصا بجريمة يعاقب عليها بالاعدام ثم عجز عن اثباتها حكم على المدعى نفسه بالاعدام » •

•••

اتبع البابليون فى كتابة وثائقهم نفس الخط الذى شاع فى العصور السومرية والاكدية ، كما استعملوا ايضا الالواح الطينية المبللة ينقشون على سطحها بالقلم ذى الطرف المنشور الثلاثى • واللغة البابلية هى احدى اللغات السامية نشأت من تطور ومزج بين اللغتين السومرية والاكدية وحوت اللغة ما يقرب من ٣٠٠ علامة مقطعية • وكان البابليون ينظرون الى الكتابة على انها مجرد وسيلة لتيسير الاعمال التجارية ، كما انهم سجلوا بها العقود والاناشيد الدينية والتمائم السحرية ، اما ما تعلق منها بالادب فهو قليل جدا اذا قيس بما وصل الينا مثلا من نصوص ادبية من العصر الفرعونى فى مصر •

وعرف البابليون تصنيف مخطوطاتهم ووثائقهم تصنيفا موضوعيا بحيث ان كل مجموعة من نوع واحد كانت تحفظ فى قدر كبير ، ثم ترتب هذه القدور فوق ارفف فى صالات فسيحة تلحق بالمعبد ، ولابد ان هذه الصالات كانت تؤدى نفس الغرض الذى تؤديه المكتبات العامة عندنا الآن ، ومما يؤسف له ان معظم هذه المكتبات قد فقدت وضاعت محتوياتها ، ولكن احداها وهى ترجع الى عصر لاحق للعصر البابلى القديم ونقصد بذلك مكتبة الملك الآشورى الدموى « آشور بنى بعل » ، قد عثر عليها كاملة وبلغت الالواح التى تحويها اكثر من ٣٠٫٠٠٠ (ثلاثين الف) لوح • ومن بين هذا العدد الضخم من الالواح عثر على ١٢ لوحا (بالمتحف البريطانى الآن) تحوى قصة « جلجميش » المشهورة التى تتحدث بتفصيل عن احداث شتى جرت ابان العصر السومرى وعصر الطوفان •

والصورة التى ترسمها القصة لبطلها « جلجميش » تجعل منه مخلوقا الهيا بلغت صفاته حد الكمال ، فهو جميل يفتن الناس بجماله ، جرىء مقدام ، لا يقف امامه محارب ، فهو طويل القامة ، ضخم الجسم ، مفتول العضلات ، ثلثاه اله وثلثه آدمى ، كما انه يبلغ حدا

من الحكمة جعله يرى كل الاشياء ولو كانت في اطراف العالم ، يعرف كل شيء ومطلع على جميع الاسرار ، فقد كشف الغطاء عما كان مجهولا وجاء باخبار الايام التي سبقت الطوفان .

***

ويعتبر القرن الثامن عشر قبل الميلاد عصر هجرات شاملة قلبت الاوضاع في كل مناطق الشرق الاوسط القديم ، حدثت هذه الهجرات بين الشعوب الجبلية التي تسمى « الشعوب الهندو اوروبية » وهي التي تسكن اواسط اسيا وحول بحر القزوين ، لقد تحركت هذه الشعوب في ارحال كثيفة نحو الغرب باحثة عن اوطان جديدة،محاربة كل من تجده امامها ومحاولة وقف تحركها ، نظهرت دول فتية جديدة اخذت تتناضل وتسعى ليكون لها علم القيادة ، ولكنها لا تلبث ان تختفي وتحل محلها قوى جديدة ، واصبحنا غير قادرين على ان نصوب الانظار نحو امة واحدة تلعب دورا رئيسيا على المسرح السياسي ، غير اننا نستطيع ان نقول بان القوى التي حاولت السيطرة على العالم المتحضر القديم ، والتي اخذت تحاول ان تضع علم القيادة لنفسها ولكنها لا تلبث ان تضمحل وتختفي وذلك ابان القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد هي :

١ ـ دولة البحر في الدلتا الجنوبية للعراق والمتاخمة للخليج الفارسي وهي التي عرفت في التاريخ باسم دولة بابل الثانية .

٢ ـ دولة « الكاشيين » وهي التي نعتبرها الوارثة لدولة بابل على نطاق ضيق وهي التي عرفت في التاريخ باسم دولة بابل الثالثة .

٣ ـ دولة الآشوريين وهي التي تقع في اقصى الشمال من بلاد العراق وجاهد ملوكها لينفصلوا سياسيا عن دولة « الكاشيين » ، ولكنهم وقعوا تحت سيطرة دولة « الميتانيين » واخيراً استقلوا تماما في اواخر القرن الخامس عشر واستطاعوا الاشتراك في توجيه السياسة العالمية اذ ذاك .

٤ ـ دولة « الميتانيين » المنافس الاول للحيثيين الذين اسسوا دولة قوية في بلاد الاناضول ثم نافست هذه الدولة ايضا المصريين في السيطرة على العالم القديم طوال القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد ، ولقد استقرت هذه الدولة في المناطق الواقعة جنوبي الاناضول وامتدت حدودها شرقا الى اعالي الفرات .

٥ ـ دولة « الحيثيين » التي تكونت في بلاد الاناضول واستطاعت القضاء على دولة « حامورابي » والسيطرة على شمال العراق وسوريا ، ثم انكمشت ولكنها لم تلبث ان لعبت دورا رئيسيا



الجزء الاعلى من اللوحة التى نقش عليها قانون حامورابى ..

ابان القرنين الثالث عشر والثانى والثانى عشر قبل الميلاد ٠

***

دولة الآشوريين

ليس من شك فى أن مركز الثقل فى التاريخ العراقى القديم ، انتقل بعد انهيار دولة « حامورابى » الى الشمال ، أى الى مواطن الآشوريين، وتحف بها الجبال الشاهقة من الشمال والشرق ، اما فى الجنوب فكانت تكثر المستنقعات ، وفى الغرب كانت الحدود لا تتميز بأى عقبات طبيعية ، اذ كانت السهول تمتد نحو الفرات ومنطقة الخابور ٠

قامت فى آشور ، منذ عصور مبكرة ، عدة مدن أخذت بالحضارة السومرية ، ولقد عثر المنقبون فى المكان الذى تقوم به مدينة « آشور » ، وهى أقدم مدنهم ، على مخلفات مدينة أخرى ترجع الى عصر الألف الثالث قبل الميلاد ، وسكانها من السومريين ٠ وفى الواقع أن المدن الآشورية ، عاشت كدويلات صغيرة متأثرة بالحضارة السومرية ثم خضعت بعد ذلك للأكديين ومن بعدهم للجوتيين ثم الى دولة بابل الأولى وهلم جرا ٠ الا أن قرب هذه البلاد من مناطق نفوذ الحيثيين ، جعلتهم على اتصال دائم بهم ، غالبا ما كان على أساس العلاقات التجارية ، ولقد حدث أيضا أن تمكن الحيثيون من السيطرة عليهم ، وادخلوا عناصر مختلفة من مظاهر حضارتهم اليهم ، ولكن لا يلبث أهل الجنوب من الاسراع لنجدتهم ، كما حدث فى عصر « سرجون الاكدى » أو عصر « حامورابى » ٠ وهكذا استمرت هذه المنطقة أكثر من عشرة قرون فى مهب الريح ، لا تعرف راحة ، ولم تذق طعم الطمأنينة ، فالخطر يحيق بها من كل جانب ، فكان عليهم أن يقاوموا حتى لايستسلموا ، فحذقوا القتال وجعلوا منه وسيلتهم للمحافظة على كيانهم ٠ ولعل آشور هى الأمة الأولى التى عرفت قيمة الجيوش القائمة ، وقامت حياتهم على النظم العسكرية ٠ ولذلك نراهم عندما ظهروا فى التاريخ كأمة متماسكة قد برزوا وتفوقوا فى نظامهم ، وتماسكوا ، ولم يفشلوا فى تاريخهم السياسى بالسرعة التى رأيناها بالنسبة الى الدول الأخرى التى قامت فى الجنوب ، والتى ظهرت فجأة وامتدت أطرافها تحت حكم ملك معين ثم لا تلبث ان تتفكك وتتلاشى بموته ٠

ويقسم المؤرخون تاريخ آشور الى عصرين : الأول منهما وهو الذى يمتد من حوالى عام ٢١٠٠ ق٠م٠ الى ٩٠٠ ق٠م٠ ، كان بمثابة عصر نضال عنيف تكون فيه الآشوريون تكوينا

حضارة ما بين النهرين

سياسيا وعسكريا اما العصر الثاني وهو الذى يمتد من عام ٩٠٠ ق.م. الى ٦١٢ ق.م. فهو يمثل النضج السياسى بعد ان اجتاز الاشوريون محنهم واستقرت لهم الامور واسسوا امبراطورية واسعة الاطراف امتازت بطول عصرها وتفوق الانظمة التى اتبعوها لاقرار سيطرتهم .

***

لقد سبق القول ان الاشوريين قد عرفوا قيمة الجيوش القائمة ، وكان الملك هو الذى يتولى قيادة الجيش فى معاركه ، كما كان هناك قائد أعلى للجيش ، يعتبر اكبر موظفى البلاد وأهم شخصية فى البلاد بعد الملك . والجيش الاشورى ينقسم الى فرق من الفرسان وأخرى من المشاة . وكانت فرق المشاة تتكون من مجموعتين : حملة الاقواس وحملة الرماح . وكان الجندى من حملة الاقواس يحمل القوس وجعبة مليئة بالنشاب على ظهره ، ويقبض على سيف قصير للقتال عند الالتحام مع العدو ، اما الجندى من حملة الرماح ، فكان يحمل رمحا طويلا ، ودرعا اما من المعدن واما من الخيزران المجدول ويقبض كذلك على السيف القصير . اما معدات الفرسان فكانت تتشابه مع معدات المشاة ولو ان رماحهم كانت اكثر طولا ، ويمتطون ظهور الجياد دون الاستعانة بالسرج . واستعملوا ايضا العربة الحربية التى كانت تتكون من صندوق يرتكز مباشرة على المحور الذى يجرى فوق عجلتين ضخمتين ، يجر كل عربة حصانان ، ويركبها ثلاثة من المحاربين : السائق والمحارب وجندى تحميهم درع ضخمة .

ولقد لاحظنا ان قانون حمورابى قد حافظ بشكل واضح على الحقوق الشخصية لكل أفراد الاسرة البابلية ، اما الاشوريون فقد اعطوا سلطة مطلقة لرب الاسرة ، وصلت الى حد انه يستطيع بيع اطفاله ، وبالتالى فقد كانت حقوق المرأة عندهم ضئيلة . فعندما يختار شاب فتاة ليتزوج منها ، تصبح مرتبطة ببيت حميها برباط لا انفصام فيه . فاذا مات الخطيب قبل الزواج ، فانها تعطى الى من يريدها من اخوته البالغين ، واذا لم يكن هناك اخوة ، فعليها ان تتزوج من احد احفاد حميها البالغين سن الزواج (اى عشر سنوات) . ومن الغريب انه اذا حدث ان الفتاة هى التى ماتت ، فلم يكن الشاب يضطر الى الزواج من احدى اخواتها .

وشجعت آشور الاكثار من النسل . شأنها فى ذلك شأن جميع الدول العسكرية ، وكان الاجهاض جريمة يعاقب عليها بالاعدام . وكان القانون يسمح للرجل بامرأة واحدة ، على ان يتخذ له ما شاء من السرارى ، ولم يكن لابناء المحظيات اية حقوق فى وراثة الاب ، وخاصة اذا كان للزوجة الشرعية اطفال .

وحافظ الاشوريون على طريقة

الكتابة البابلية ، الا انهم بسطوا الحروف وادخلوا عليهما بعض التعديلات ، ويمتاز الادب الاشورى بانه نحا نحوا جديدا فى ميدان المراسلات الكتابية وتسجيل الاحداث التاريخية ، ويتضمن ادب الرسائل المكاتبات التى كانت ترسل الى مختلف ارجاء الامبراطورية ، ومنهما يتبين بوضوح ، ان الحكومة المركزية، كانت تتلقى باستمرار تقارير مستفيضة عما كان يحدث فى كل منطقة من احداث مختلفة ، لا تتعلق فقط بالحياة الادارية او العسكرية بل ايضا بما يحدث من اشياء غريبة تدخل فى نطاق التنبؤات .

اما تسجيل الاحداث التاريخية فقد اختلف فى طريقة كتابته عن

وجه من الحجر يمثل سيدة يرجع الى عصر ما قبل الحضارة السومرية ...



الوثائق الماثلة فى عصر البابليين ، فملوك بابل حرصوا على تسجيل ما قاموا به من اعمال شتى لاقرار النظام ، والعمل على تشجيع العلوم والآداب ، وكذلك لدفع الاخطار عن حدود الدولة ، اما ملوك اشور فقد عملوا على الاشادة بأعمالهم الحربية فحسب ولم تكن النقوش المنتشرة على جدران قاعات القصر الملكى تحوى شيئا غير تمجيد اعمال الملك العسكرية .

***

لعل الملك الاشورى المدعو « اشور بنى بعل » كان من اكثر الملوك الاشوريين قوة وبطشا ، ولكن بموته حوالى عام ٦٢٦ ق.م. بدات عوامل التدهور الشامل تعم ارجاء الامبراطورية الاشورية ، وانتهز هذه الفرصة حاكم « بابل » الذى عينه الاشوريون واسمه « بختنصر » واستقل بالحكم ، واخذ يحالف الميديين وتعاونا معا على القضاء على الاشوريون،وبدات العراق عهدا جديدا فى تاريخها الطويل اطلق عليه المؤرخون اسم مملكة « بابل الجديدة » . الا ان هذه المملكة لم تلبث بعد فترة قصيرة ان وقعت فريسة الاستعمار الفارسى وذلك حين غزاها ملك الفرس «كورش» وبقيت كجزء من الامبراطورية الفارسية حتى عام ٣٣١ ق.م حين غزا الاسكندر المقدونى البلاد واستولى على بابل .

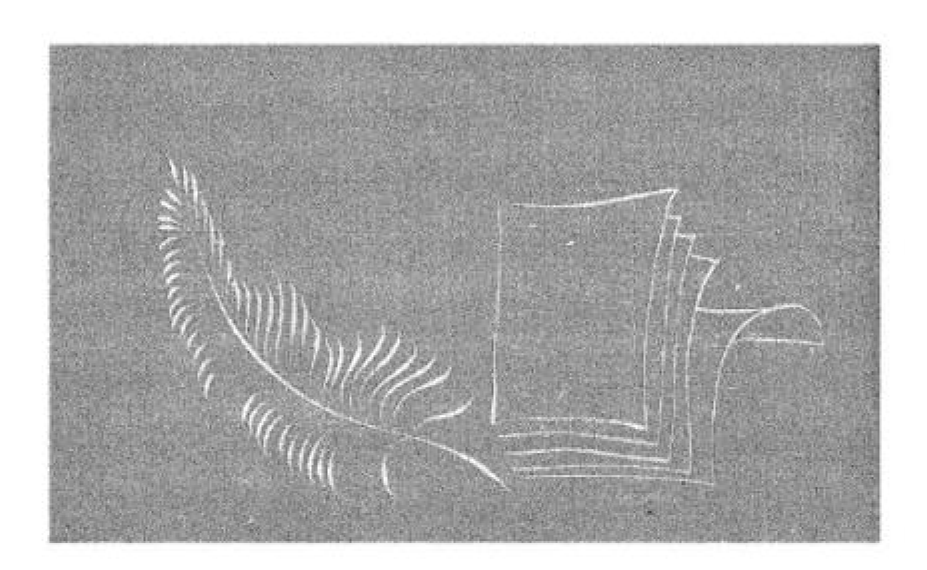
جليلة رضا

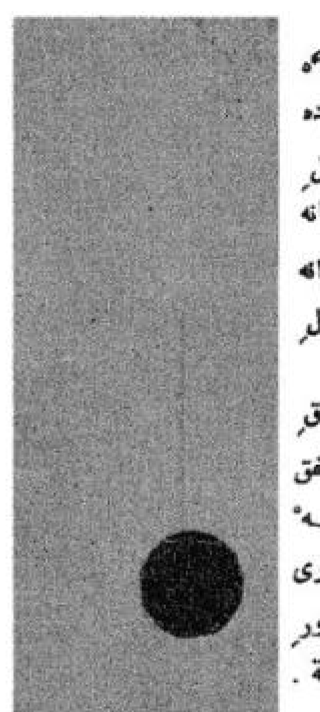


فراشَ الروض .. يا قلبي ! لماذا تنشد البحرا ؟
وتأمل أن تحلق في رحاب سمائه حرا ..
تقول : « سئمتُ أزهاري وعاف رحيقها ثغرى
أأزحفُ فوق عشب الروض والعيدان كالحشره
وترضيني الحياةُ هنا . وكيف ؟ وفي دمي ثوره
وشوق عارم يهفو إلى أحلامي الخضر »

•••

فراشَ الروض ! لا تهربْ إلى أفقٍ بلا آخِرْ
تحلق فيه مشدود الجناح وتائها .. حائِر
تجرجرك الرياحُ الهوجُ في رحلتها الكبرى
ويعروكَ الدوار هناك .. بينَ المدِّ والجزر
وتخبطكَ الصخورُ الصم . حيث سواعد البحر
تضمُّ إلى ضحاياها الكثار ضحيةً أخرى .. !





حباكَ الروضُ بالآمال لكن لم تصــن ودَّه
لمستَ عـذوبة الأعماق حيث عبثتَ بالورده

ومن خصر النسيم درست رقص النور والأمـلِ
وذقتَ الحبَّ مسكيَّ الشذا فى حضن ريحانه

وكم ضحكتْ لك المرآة حين علوتَ غـدرانه
وطرتَ على جناح الشمس ترفل فى سنا الحللِ

●●●

أتدرى أن طير البحر لم تسلم من الغـرقِ
وأن الفجر فى أفق البحـار بحمرة الشـفق

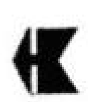
وأن الزورق التـائه يبـكى فى أسى أرضَـه
فعُدْ لى .. يا فراشى الحلو .. ياذهبى ويانورى

ولا تجنحْ إلى الأخطـار فى أوهام مغـرورِ
ونقّلْ خطـوكَ الهفهـاف بين خمائل الروضة .

د. سـيد نوفل

حضارة العرب قبل الإسلام

لم تختلف الآراء في حضارة تليدة مثلما اختلفت في حضارة العرب • ولم يكن هذا الخلاف مقصورا على حضارة العرب قبل الاسلام، وانما امتد الى حضارة العرب بعد الاسلام • وكان للمعاني الدينية من ناحية ، والتكوين الاجتماعي للدولة الاسلامية من ناحية ثانية ، والصراع الفكرى والسياسى فى هذه الدولة بين القومية العربية والقوميتين الفارسية والتركية من ناحية ثالثة ، والمطامع الاستعمارية الصهيونية فى العالم العربى من ناحية رابعة ـ كان لكل ذلك أثره فى تقييم حضارة العرب وفكرهم قديما ووسيطا وحديثا وتباين الآراء العربية والاجنبية فى ذلك تباينا واسع المدى ••





فالهمداني مثلاً « وشيه المرقوم » يذهب الى أن حضارة العرب هي ملتقى الحضارات البشرية ومجمعها ، وأنه « لم يصل الى أحد خبر من أخبار العرب والعجم الا من العرب ... وذلك لأن من سكن مكة احاط بعلم العرب العاربة واخبار أهل الكتاب ... وكانوا يدخلون البلاد للتجارات ، فيعرفون اخبار الناس ... وكذلك من سكن الحيرة وجاور الأعاجم علم أخبارهم وأيام حمير وسيرها في البلاد . وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم وبني اسرائيل واليونان . ومن وقع بالبحرين وعمان فعنه اتت اخبار السند وفارس . ومن سكن اليمن علم اخبار الأمم جميعاً لانه كان في ظل الملوك السيارة ... » .

لكن ابن خلدون يبلغ اقصى الجانب الاخر من التطرف ضد العرب ، فيزعم « ان العرب امة وحشية ، وأنهم أهل انتهاب وعبث ... اذا تغلبوا على اوطان أسرع اليها الخراب ... فينقلون الحجر من المباني ويخربونها لينصبوه أثافي للقدر ، ويخربون السقف ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه .. » ثم يدعي أنهم ضد النظام والقانون ، وأن الملك لا يتحقق لهم الا بصبغة دينية ، وأنهم ابعد الناس عن العلم والصناعة ... ولم يعترف لهم بغير الشجاعة وصدق الايمان والتفوق على جميع الأمم في الفصاحة والبيان ...

ويذهب أوليري في كتابه « العرب قبل محمد » مذهب ابن خلدون فيدعي أن العربي مادي لا خيال له ، عدو للسلطة وأنظمة الحكم ، من طبائعه البغضاء والحسد والخيانة للحكام والقادة وذوي الاحسان اليه ... كما يذهب (برون) في كتابه « تاريخ الأدب الفارسي » مثل هذا المذهب ... لكن (لا مانس) يتوسط فيذهب الى أن العربي مثالي في الديمقراطية وحب الحرية والاخلاص والصداقة والطاعة والاندماج في القبيلة ، وأن صفاته المادية وعقليته غير الخيالية لا تتصل بطبيعته قدر اتصالها بتطوره الاجتماعي . ولهذا فانه يتحضر وتتعدل صفاته وعقليته ، ويأخذ بجميع اسباب التفوق الحضاري ...

الانصاف الغربي لحضارة العرب :

لكن حقائق الحضارة العربية القديمة والحديثة لم تلبث ان فرضت نفسها

حضارة العرب

قبل الإسلام

فرضا على الباحثين الغربيين بله العرب ، ولم تثبت فى مواجهتها عوامل التعصب الشعوبى أو الطمع الاستعمارى ...

ولعل انصع مثل لذلك هو كتاب العلامة جوستاف لوبون « حضارة العرب » عام ثمانية وثمانين وثمانمائة وألف .. فقد انصف الحضارة العربية الاسلامية ، كما انصف الحضارة العربية قبل الاسلام .. وفى ذلك يقول مترجم الكتاب الى العربية موجزا اراء جوستاف لوبون :

« لم يكن العرب ، على رأى لوبون ، من الاجلاف قبل الاسلام ، وقد رأى أن السجايا الخلقية للعرق العربى هى التى عينت اتجاهه ، وانه ، وان امكن ظهور حضارة امة ولغتها بغتة على مسرح التاريخ ، لا يكون هذا الا نتيجة نضج بطىء ، وان تطور الأشخاص والامم والنظم والمعتقدات لا يتم الا بالتدريج ، وان درجة التطور العالية التى تبدو للعيان لا تبلغ الا بعد الصعود فى درجات اخر . فاذا ما ظهرت امة ذات حضارة راقية كانت هذه الحضارة ثمرة ماض طويل . ورأى لوبون ، ايضا ، أن جهل الناس لهذا الماضى الطويل لا يعنى عدم وجوده . وان الحضارة التى اقامها العرب فى أقل من مائة سنة ، وهى من انضر الحضارات التى عرفها التاريخ ليس مما يأتى عفوا ، وانه كان للعرب قبل الاسلام حضارة لم تكن دون حضارة الآشوريين والبابليين تقدما . وكان للعرب عدا الآثار القليلة التى كشف عنها ، لغة ناضجة وآداب راقية ، وكان العرب ذوى صلات تجارية بأرقى امم العالم ، عالمين بما يتم خارج جزيرتهم ، فالعرب الذين هذا شأنهم كانوا ، لا ريب ، من ذوى القرائح التى لا تتم الا بتوالى الوراثة وبثقافة سابقة مستمرة . والعرب الذين صقلت أمخاخهم على هذا الوجه استطاعوا أن يبدعوا حضارتهم الزاهرة بعد خروجهم من جزيرتهم فى مدة قصيرة .

ثم أيد لوبون وجهة نظره بقوله : « أن البرابرة الذين قوضوا دعائم الامبراطورية الرومانية قاموا بجهود عظيمة دامت قرونا كثيرة قبل أن يقيموا حضارة على انقاض الحضارة اللاتينية ويخرجوا من ظلمات القرون الوسطى » .

ثم ذهب لوبون الى « أن المعتقدات القديمة فى جزيرة العرب كانت قد ضعفت وفقدت الاصنام قوتها ودب الهرم فى الهتها ، وانه كان فى الجزيرة العربية ، خلا النصارى واليهود ، من كانوا يعبدون الها واحدا ، وهم الحنفاء (١) » .

وأروع ما عند « لوبون » هو ربط عظمة العرب بعد الاسلام قرونا طوالا بماضيهم المجيد قبل الاسلام ، وتنبؤه بدور حضارى عربى جديد يهدى البشرية الى سبيل الحق والخير والسلام ..

لماذا اختلف الباحثون لحضارة العرب ؟

واختلاف الباحثين لحضارة العرب ليس عجبا ، فطالما اختلف الباحثون فى التقدير لمختلف الوان النشاط الانسانى ، وخاصة المجال الحضارى القديم .. لكن هناك أسبابا عامة للخلاف فى تقدير الحضارة العربية القديمة ، فضلا عن الوسيطة

---

(١) حضارة العرب للدكتور جوستاف لوبون ، ترجمة الاستاذ عادل زعيتر ، الطبعة الثالثة مصر ١٩٥٦ ، ص ٦ ــ ص ٧ .

والحديثة ، أشرنا اليها في مطلع هذا المقال •• ويتصل بهذه الاسباب أقوال ابن خلدون وآثارها على الكتاب الغربيين •

فابن خلدون العلامة التونسي العربي للقرن الرابع عشر رائد عالمي في تأسيسه لفلسفة التاريخ ولعلم الاجتماع وللنظريات التربوية ، التي أثبتت الدراسات المتأخرة عن القرن الرابع عشر سلامتها وارتفاع مكانتها •• لكن السياسة جنت عليه في التقدير لحضارة العرب القديمة • فقد كان مقربا من المماليك الشراكسة ، وخاصة السلطان برقوق ، ضالعا في العمل للحفاظ على حكمهم ••• ولهذا انتفع في الحملة على العرب تثبيتا لملك غيرهم في حومة الصراع العربي الشعوبي ••

وفي مقدمة الاسباب الخاصة للخطأ في تقدير البعض للحضارة العربية الخلط بين عرب البادية وعرب الحضر • لكن عرب الجاهلية المتحضرين غير عرب الجاهلية البادين •• وذلك أمر ينطبق على جميع الامم قديما وحديثا •• وأهل البادية في مصر والشام والسعودية والجزائر وغيرها مختلفون فيها عن أهل الحضر في كل زمان حتى هذا الزمان ••• ولهذا يتناقض ابن خلدون في حديثه عن العربي الذي يهدم المنازل ، وعن العربي الذي يخطط المدن وينشيء الحضر وأن اتهمه بأنه لا يحسن اختيار الأماكن للبلاد التي ينشئها • فالعرب لا يعمر ••• !

كما أنه يضطرب حين يزعم أن العربي متوحش غليظ القلب يجافي طبيعة الحضارة ، ثم يقول بالفاظه عن أطوار الامم الحضارية وتحضر العرب : « ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم ••• ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضارة ••• فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بتطور الحضارة •• »

وهنا يأتي أحد الأسباب الخاصة للخلط ، وهو نسيان أن العرب أمة كسائر الأمم ، تخضع لنواميس التطور ، وأنها أخذت بأسباب الحضارة حينا من الدهر ، ثم خضعت لعوامل التخلف حينا آخر • وقد بعثها الاسلام بعثا جديدا • ثم عدت عليها العوادي ، الى أن أخذت تتطلع الى احياء ماضيها المجيد •

ومهما يكن من أمر فحضارة العرب القديمة قد تعددت مظاهرها ، وحديثها قد فاضت به الموسوعات العربية والاجنبية ، ونوجز هنا بعض هذه المظاهر •••

الاتصال الحضارى التاريخي للوطن العربي

ومن أروع مظاهر الحضارة العربية القديمة ، تنوع صورها والتقاؤها في الوطن العربي الكبير • فالمؤرخون يروون أن عرب الشمال المستعربة المنتسبين الى اسماعيل يرجع تاريخهم الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وأن عدنان الجد العربي الاقرب بعد اسماعيل عاش في القرن السادس قبل الميلاد ••

وقد تفرعت اللغات السامية ، ومن بينها العربية ، من اللغة البابلية ، وذهب المعينيون العرب المتحضرون بالحضارة السومارية البابلية الى اليمن واستقروا بها • ومن بعد ذلك أنشأ القحطانيون العرب الدولة السبئية واستمروا من القرن الثامن الى بداية القرن الثاني قبل الميلاد • وخلفتها الدولة الحميرية واستمرت الى سنة خمس وعشرين وستمائة بعد الميلاد حين ازدهرت عروبة مصر محتفظة بالخصائص الحميرية •• وكذلك اتصل بمصادر الحضارة العربية الأولى حضارة التدمريين واللخميين والغساسنة العرب ••

واذا أبعدنا الى التاريخ الاقدم فان الأمة العربية السامية شملت شعوبا بادت وأشهرها عاد وثمود وطسم وجديس التي تحدث عنها القرآن الكريم •• ومنها شعبان بقيا وانصهرا في شعب واحد تنوعت مواطنه الى اليوم ، وهما بنو قحطان وبنو عدنان • وينتسب العدنانيون الى اسماعيل جد العرب ابن ابراهيم الخليل وهاجر المصرية • وكانت حضارة عرب الجزيرة قبل الاسلام تتمثل في حضارات اليمن والحيرة والشام والحجاز ، وقد امتدت الى البحرين وعمان وقطار وحضرموت •

وكانت هذه الحضارات روافد للحضارة الاعرق والباقية في وادي النيل والفرات.

والحركة بين أبناء الوطن العربي الكبير المعاصر كانت في القدم توحد بين أبنائه. وفضلا عن اتصال الحضارة المصرية الاعرق في وادي النيل بحضارة وادي الرافدين فقد كانت جزيرة العرب تبعث بأبنائها الى دجلة والفرات والى وادي النيل عن طريق باب المندب وسيناء .. كما سجلت الهجرات العربية القديمة الى ليبيا وبلاد المغرب العربي ، واتخذت في فترات طابعا جماعيا .. ولهذا حين وحد الاسلام هذه الاقطار العربية سياسيا ودينيا ، لم يوحد بين أقطار غير متصلة .. ولهذا لم يكن عجيبا أن أهل هذه الاقطار العربية لم يسهموا في الحركة الشعوبية ضد العرب ، وانما أسهم فيها الترك والفرس وما يتصل بهما من الشراكسة والديلم وغيرهما ، وظلت أقطار وطننا الكبير عربية ، وستظل كذلك الى يوم الدين ..

التجارة :

ومن مظاهر الحضارة العربية القديمة ومصادرها الخصبة التجارة . فقد كانت جزيرة العرب منذ القدم طريقا مأهولا لتجارة العالم القديم حيث تمر بها الغلات الى مصر والشام من حولها .. وكان في جزيرة العرب طريقان للتجارة بين الشام وبحر العرب . يسيران معا من حضرموت ويتجه الاول شمالا الى البحرين وصور ، ويسير الآخر محاذيا للبحر الأحمر نحو مكة والشام .

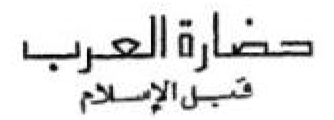
وكان اليمنيون هم سادة التجارة القديمة ، ينقلون حاصلات حضرموت وظفار وواردات الهند الى مصر والشام ، ثم خلفهم في هذه السيادة التجارية عرب الحجاز منذ بداية القرن السادس الميلادي ، قبيل الاسلام .. وكان الحجازيون يستوردون البضائع من اليمن والحبشة ويصدرونها في الاكثر الى مصر والشام وفي الاقل الى فارس ، حيث كان عرب الحيرة هم التجار مع فارس .. ويذهب المؤرخون الغربيون الى ان مكة كان بها بيوت تجارية للروم والأحباش ، يكلون بها مصالحهم الاقتصادية ويحققون بها أغراضا سياسية .. وكانت القوافل التجارية العربية الى بلاد الروم تنزل في أيلة (العقبة) ، ثم تسير الى غزة أو بصرى .. ويروي الاصبهاني في أغانيه « أن عمارة بن الوليد المخزومي وعمرو بن العاص ، وكانا كلاهما تاجرين خرجا الى النجاشي ، وكانت أرض الحبشة لقريش متجرا ووجها » . وقد شبه المؤرخ « سترابو » القافلة التجارية لقريش بالجيش .

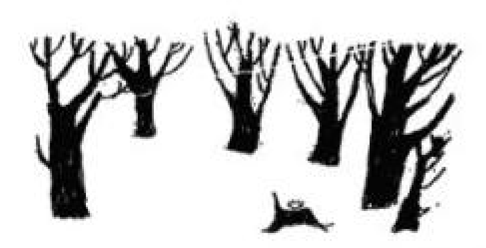
وموقعة « ذي قار » الشهيرة التي انتصر فيها العرب على الفرس كانت بسبب التجارة واستكثار الفرس لما يجبيه العرب منهم نظير حمايتهم لقوافل الفرس التجارية المارة بالاراضي العربية .

وكانت هذه التجارة من وسائل نقل حضارة مصر وفارس والروم والحبشة الى العرب ، وتنمية التبادل الفكري والأدبي بين العرب وأمم العالم القديم .. وأعلام التجارة العربية في الجاهلية هم الذين قادوا حركة الفتوح الاسلامية ، ومن بينهم عمرو بن العاص الذي دخل بجيشه ، كما تقول الروايات الوثقى ، بلادا يعرفها تمام المعرفة وتعرفه ، ويحسن قدومه اليها وترحب بمقدمه ..

الامارات العربية القديمة :

ومن أبرز مظاهر الحضارة العربية القديمة الامارات العربية التي أقيمت على





الحدود العربية مع بلاد فارس والروم ·· وكان لدولتي فارس والروم ، وحرصهما على التعامل مع العرب وكفالة مصالحهما في بلادهم ، أثر في انشاء هذه الامارات ·· فقد كانت كل من الدولتين عاجزة عن استعمار البلاد العربية بحكم طبيعتهـــا وشجاعة ابنائها وتفضيلهم الحرية على الحياة ·· ولهذا لم يكن بد من تشجيعهما لاقامة الامارات العربية كفالة للتعاون مع العرب ، وصدا للغارات العـــربية على البلاد الفارسية والرومانية ·· ولهذا ازدهرت امارة الحيرة على حـــدود فارس وامارة الغساسنة على حدود الروم (١) ·

وقد انشئت امارة الحيرة على نهر الفرات في نهاية العقد الرابع من القرن الثالث الميلادي ، وتولى شئونها عمرو بن عدى ·

ومع أن العلاقات العربية الفارسية ترجع الى اقدم العصور التاريخية بحـــكم الجوار ، فان انشاء هذه الامارة قد طور هذه العلاقات تطويرا · فقد أصبح عرب الحيرة صلة وثيقة مطردة النمو بين العرب والفرس ، وكانت لها آثارها في مجال التجارة والحياة الاجتماعية والفكرية والادبية ·· وقد عظم شان الامارة واشتـــد بأسها ، حتى وقعت معها فارس في صراع انتهى بمحاولة استعمارها وتنصيب حاكم فارسي عليها في السنة الثانية للقرن السابع الميلادى ، لكن ذلك لم يدم اكثر من واحد وثلاثين عاما اذ دخلها الجيش الاسلامي بقيادة خالد بن الوليد مقـــدمة للفتــــح الاسلامي لفارس ذاتها ··

وقد تعلم عرب الحيرة لغة الفرس وصناعاتهم وعلومهم وآدابهم ، مثلمـــا تعلموا من معارف اليونان وفلسفتهم وآدابهم ··· وكان لهم دور في التبادل الفكرى والثقافي بين العرب وحضارة فارس والروم ·

وكذلك انشأ الغسانيون العرب ، اليمنيون اصلا ، امارة في الشام على حدود الرومان ·وقد شملت منطقتي حوران والبلقاء ، وكان بينها وبين امارة الحيرة عداء ومعارك بحكم الانتماء الروماني والانتماء الفارسي ··· ومن اشهر امراء الغسانيين الحارث بن جبلة وابنه المنذر ، وآخرهم هو جبلة بن الايهم ·· واحاديث هؤلاء الامراء مستفيضة في التاريخ العربي ···

وفي جبلة يقول ابن خلدون : « ان الاسلام جاء وهو على ملكه · ولما فتــــح المسلمون الشام أسلم جبلة واستشرف اهل المدينة لقدمه ، حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيته لكرم وفادته · واحسن عمر نزله واحله بارفع رتب المهاجرين ··· » وقد وفد على أمراء الغسانيين النابغة الذبياني والاعشى والمرقش الاكبر وعلقمة وحسان بن ثابت وغيرهم ، وفاضت كتب الادب العربي بأنبائهم واشعارهم في هذه الوفادات ·· وتدل على حضارة الغسانيين رواية صاحب الاغاني عن حسان بن ثابت في وصف مقدمه على جبلة بن الايهم في الجاهلية ، والترف الذى يعيش فيه

---

(١) فجر الاسلام لاحمد امين ـ الطبعة الخامسة ـ القاهرة ١٩٤٥ ، من ص ١٢ ـ ص ٤٩ ·

الأمير أو الملك الغساني ، والمغنيات الروميات وآلات الموسيقى والطرب ، والكرم الزفير والخلق الرفيع ...

ويذكر النسابون أن الغسانيين أصلهم يمني مثل الحيريين ، وأن الصلة بين لغة حمير أو اليمن ولغة قريش وهما يعتبران لهجتين فى لغة عربية واحدة ، تشبه الصلة بين لغة المصريين ولغة حمير . وفى ذلك يقول ابن خلدون : « ولقد كان اللسان المصرى مع اللسان الحميرى بمثابة لسان اليمن مع لسان قريش . وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميرى وتصاريف كلماته . تشهد بذلك الانقال الموجودة لدينا » .

العوامل الدينية

وكان للعوامل الدينية أعظم الأثر فى الحضارة العربية القديمة .. وللديانات المصرية القديمة آثارها الظاهرة فى جزيرة العرب ، كما كان لملل الفرس ونحلهم آثارها ..

لكن أعظم الآثار الحضارية للعرب جاءت من اليهودية والنصرانية الديانتين السماويتين السابقتين للاسلام ... ، فقد انتشرت اليهودية فى جزيرة العرب قبل الاسلام بقرون ، وقد نقلها للعرب يهود جاءوا من فلسطين وغيرها ، كما أعتنق كثير من العرب اليهودية .. وعرف اليهود بالمهارة فى الصناعة والزراعة ، وظهروا فى بلاد عربية كثيرة منها يثرب ، مدينة الرسول من بعد ، وتيماء وفدك ، وخيبر ، ووادى القرى بالحجاز .. كما انتشرت اليهودية باليمن واضطهد ذو نواس الحاكم اليمنى المعتنق لليهودية نصارى نجران ... وكذلك انتشرت اليهودية فى الاسكندرية وما تلاها من بلاد الشمال الافريقى غربا حيث كانت الثقافة اليونانية سائدة ..

وقد لعبت الاسكندرية دورا قياديا فى التوفيق بين الدين والفلسفة ، وتطوير الفكر الدينى الفلسفى فى العالم العربى خاصة وسائر العالم القديم عامة . وفى هذا يقول بولدوين فى « معجم الفلسفة » : « ان الشرق والغرب التقيا فى الاسكندرية وامتزجت آراء الروم واليونان والشاميين فى المدنية والعلوم والدين بآراء الشرق الاقصى ... واتصل الدين بالفلسفة اتصالا وثيقا .. وكان من نتائجه ظهور عقائد دينية ليست دينا خالصا ولا فلسفة محضة » .

وكذلك انتشرت النصرانية النسطورية فى الحيرة واليعقوبية فى امارة الغساسنة وبين قبائل الشام ، كما انتشرت فى وادى القرى ونجران . وفى نجران بنيت بيعة نصرانية حاولت منافسة الكعبة فى مكة .. ومكانة قس بن ساعدة وغيره من قساوسة النصارى مشهورة فى الأدب الجاهلى ...

وهكذا امتلك العرب حضارة عالهم قبل الاسلام وشملت هذه الحضارة المظاهر الدينية والفلسفية . كما شملت الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتمثلت فى اقامة الامارات المتحضرة ..

وكان أعظم مظهر للحضارة العربية قبل الإسلام التقدم اللغوى والبيانى ، وهو تقدم سبقت فيه العربية جميع اللغات والآداب التى لاتزال باقية على الزمان وهو فى الوقت ذاته من أعظم البراهين على حضارة العرب القديمة .

الربيع الغريب

من أناشيد العودة

إدوار حنا سعد

يا مجالي الربيع يا صورةَ الخلدِ
ووادي العطور والأضواءِ
أشرقتْ بعدَ غيمة وتحلتْ
بعد عطل .. ووشحتْ بالصفاء
وعلى دوحها ، وملءَ سماها
نسقَ الصوت والصدى والغناء
حائماتٍ كالشوق في صحوةِ الحب
وطيفِ السلوْ في البأساء
لا تشدى الرواء في مسرح الشجو
ولا تنشدي لغيرِ سميع
بين آياتك الوضاء وبيني
شجن جائم يغشى ربيعي
يا عصا السحر في مواكب أيا
ر وأسراره الخوالد .. بوحي
كيف يخضل بالحياة جديب
كان طولَ الربا وعرضَ المسفوح
اي سرٍ أهاب بالطير عودي
بعد نأي .. وبالأزاهر فوحي
طاف يحبو الربى ، وجاز دروبي
بنوال نزْرِ الوعود شحيح
وعلى التيه لا يزال جناحي
في اغتراب . ولا تزالُ ربوعي

الربيع الغريب

جلتْ مهجتي مداك فقالت
أين ، يا موعد الربيع ربيعي

يا شبابَ الزمان شبتَ بنفسي
فيها وحشةٌ وفيها سآم

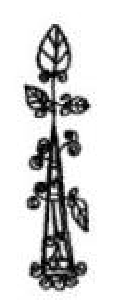
أين أقداسنا ؟ وعهدي فيها
سرمد الحسن .. والربيع دوام

وطريقي مورَّد .. وضفافي
آمنات .. ومشرعي بسام

وغدي واعد وقلبي شراع
في بحار .. مياهها أحلام

وتلفت .. فالمياه سراب
في يبابٍ .. والشمل غير جميع

لم تعد دارة البشاشة مثوا
ى .. ولم يصبح الربيع ربيعي



يا ضفافا في الأسر موعودةَ النو
رِ ، وأطيافها على البعد حيه
البيوت التي تضوع حنانا
والبواكير في الغصون النديه
و مِراحُ الأطفال في ملعب الصبْ
حِ ووادي عروشه السندسية
وتحايا الرفاق عند بكوري
وصبي .. يرنو هوى لصبيه

عاث فيها بالغـدر شذاذ ديـــا
كجراد ، على جنـــاب مـريع
سرقت داري الجميلة واغتيـــل
على ساحة الربيــــع ربيعي
القيود التي تشـــد جناحي
والضباب الذي يـــد طـــريقي
والذئاب التي تحيـــط بــداري
والتهاويل في بقـــايا الحـريق
وربيعي هناك في رفــرف السفح
وزيتونة .. وتبر البيـــــادر
لم يزل خافق الحشا في انتظاري
فلنا موعد .. ولليـل آخـــر
أبعدته السيوف عني ، ولــــكن
سوف ألقاه بالسيوف البواتر

أنا عاد إليه في صـــحوة الثأ
ر .. وناه في الحـادثات آمر
آيبا بالنـذير في مهمـه الرعب
إلى شاطىء السنى الوديـــع
تفتح الدار والحقــول ذراعيهـــا
.. ويعدو عـــدي لحضن ربيعي



● محمود يوسف سعاده ●

الحضارة الساسانية الفارسية وفنونها

يرجع المؤرخون تسمية بلاد فارس الى ولاية كانت تسكنها قبيلة تعرف بهذا الاسم ، وتقع جنوب المنطقة التى يحدها من الغرب وادى الفرات ، ومن الشرق بلاد الهند ومن الشمال جبال القوقاز وبحر قزوين ونهر سيحون ، ومن الجنوب الخليج العربى والمحيط الهندى •• وعن الاسم الحالى لهذه المنطقة « ايران » يقول المؤرخون انه مشتق من لفظ اريا بمعنى الشريف او هو نسبة الى ايريان ومعناها قبائل الرعاة •

توالت على بلاد فارس حضارات قديمة اهمها الحضارات الآشورية والبابلية ثم حضارة الدولة الهخمانشية التى اسسها الملك قورش الذى وحد تحت لوائه القبائل المتعددة التى كانت تشغل هذه المنطقة واخضعها لحكمة ونفوذه وخلفه ابنه الملك قمبيز الذى غزا آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر ثم استطاع الاسكندر الاكبر ان يهزم دارا الثالث آخر ملوك هذه الدولة ليقضى على حضارتها وليدخل حضارة دولة الاغريق الى هذه البلاد .. وبموت الاسكندر تقاسم قواده امبراطوريته ، وكانت بلاد فارس من نصيب القائد سلوقيوس الذى انشأ بها الدولة السلوقية التى لم تستطع ان تحفظ بسلطانها مدة طويلة فصارت البلاد من بعد ذلك الى جملة حكام يعرفون باسم ملوك الطوائف او الاشكانيين الذين حكموا البلاد حتى ظهر ملك قوى استطاع أن يخضع باقى الطوائف ، وكان يدعى أرد شير بن بابك الذى أسس الدولة الساسانية •

وفى الحضارة الساسانية بلغت دولة فارس اوج مجدها الحضارى وقامت على انقاض البارثيين واستمر حكم ملوكها من ٢٢٦ م حتى ٦٣٧ م عندما زال سلطانها على يد الفاتحين العرب ، وكان لهذه الدولة عدة عواصم هى اكتسيفون (المدائن)،



واكتافيا (همذان) ، وبرسيبوليس (اصطخر بالقرب من شيراز) .

وتتركز أهمية الحضارة الساسانية في أنها الحضارة التي سبقت مباشرة الحضارة العربية الاسلامية ، وفي كونها استمرت فترة طويلة من الزمن مما اعطاها مقومات الحضارة الراسخة ، كما انها اثرت بطريق مباشر في الحضارة الاسلامية اللاحقة كما يظهر في الفنون الاسلامية بصورها المختلفة وفي العمارة الاسلامية .

وجدير بالذكر ان الحضارات لا تنتهي بانتهاء الدول أو الاسرات الحاكمة ، بل تستمر فترة قد تطول زمنا كبيرا بعد انهيار سلطان الدولة وقيام دولة اخرى . وذلك لان الحضارة اساسها الشعب وطبقاته المختلفة وبذلك فان عملية ذوبانها في حضارة اخرى تحتاج الى الوقت الكافي للتأثر بالوضع الجديد . وعلى ذلك فان الحضارة القديمة تؤثر اولا في الحضارة الناشئة ، ثم يقل هذا التأثير بمرور الزمن الى ان تبدأ الحضارة الجديدة في الازدهار والرسوخ ، وهنا يبدأ التأثر العكسي الى ان تتلاشى مميزات الحضارة القديمة .

ومثال واضح على ذلك هو تأثر اللغة العربية في أول الفتح الاسلامي باللغة الفارسية ، ثم نجد بعد مدة ان اللغة الفارسية تتأثر باللغة العربية ويظهر فيها العديد من المصطلحات العربية التي ما زالت تستعمل حتى الآن ... كذلك في الفنون فنجد ان العرب في أول أمرهم لم يكن لهم الطابع المميز، ولذلك فان الفنانين العرب اخذوا الكثير من الفنانين الفرس ثم تنعكس الصورة بعد نهضة الفن الاسلامي فنجد أن الطرز الفارسية قد تأثرت بالاسلام وظهرت الكتابات العربية كزخارف أساسية في أعمالهم الفنية .

وقد ورث الساسانيون الثقافة من البارثيين كما ورثوا معها عناصر ثقافية أخرى وهي التي انتشرت في الشرق الأدنى وايران ، وهي عناصر الثقافة الرومانية والمسيحية القديمة .. وافلح الساسانيون في مزج هذه العناصر كلها بالثقافة الفارسية مزجا تاما ، ومن المعروف أن الأساليب الهيلينية التي انتشرت في الشرق الأدنى في عهد الاسكندر قد بدأت في عهد البارثيين تختلط بالعناصر الشرقية المحلية (البارثيين من ٢٤٨ ق . م - ٢٢٦ م) ومما اشتهر عن شاهبور ثاني ملوك الساسانيين انه حارب الرومان وانتصر على الامبراطورية الرومانية وأسر الامبراطور فاليريان بعد موقعة الرها .

ومن النقوش الساسانية المشهورة نقش بارز في سطح الجبل الشرقي على مدينة برسيبوليس (اصطخر) يمثل

الحضـــارة الساسانية الفارسية وفنونها

شابور الاول ممتطيا صهوة جواده وقد ركع أمامه الامبراطور الروماني، وقد رسم مثل هذا النقش في أماكن عديدة تمجيدا لهذا الانتصار ·

ومع ان كثيرا من العلمــــاء في العهود الماضية أدركـــوا مدى تأثير الفن الساساني في نشـــأة وتكوين الفن الاســـلامي الا ان الفنـــون الساســـانية لم تقدر تماما الا في الايام الاخيرة ، ويرجع الفضل في ذلك الى الحفريات التي أجــريت في المدن الســـاسانية مثل المدائن وكش بالعــــراق ودمغان بايران ، واصبح لدينا الآن منها تراث ضخم وخاصة في الزخارف المحفورة على الجبس وتلك الزخارف التي نجد فيها كثيرا من أصول الزخرفة الاســـلامية في العصور الاولى ·

ومن اهم آثار الدولة الساسانية قصر اكتسيفون ويقع بجنوب بغداد (العاصمة الحالية) والذى لا يزال ايوه الهائل المعروف باســم طــــاق كسرى قــائما حتى الآن ، وقد بناه شـــابور الاول ـ كذلك تقوش طاق بســتان المحفورة في الجبل بالقرب من كرمانشاه الحالية ومن هذه النقوش صــــورة ملاك ناشرا جناحيه وممسكا باحدى يديه اكليلا وباليد الاخرى كاسا فيها لآلىء كما تظهر في هذا النقش مناظر صــيد غزال وخنازير برية ونساء تعزف على الآلات الموسيقية ·

كما توجد مجمـــوعة رائعة من **الأواني الفضـــية تعتبر من أروع** التحف المعدنية التي صـــنعت في الشرق الادنى وزخرفتها تضم مناظر صيد لحيوانات وطيور ، ويـــلاحظ ان زخارف معظم هذه الاواني فيها تقارب الرسم مع الطبيعة وتتضـــح فيها الاساليب الاصطلاحية في الفنون الشرقية ، ومن هذه الاســـاليب ان يرسم المنظر وكأنه يشاهد من جهات متعددة في وقت واحد · كما ان هناك مجموعة جميلة من المنســـوجات الحريرية ·

ومن المعــــروف أن الايرانيين احتكروا في العصر الساساني تجارة الحرير بين الصـــين وبلاد العرب وانشأوا انوالا خاصة بهم لصـــناعة المنســـوجات الحريرية التي ذاعت شهرتها في بلاد الشرق الادنى ، وقد وجدت أهم مراكز صـــناعة الحرير الساساني باقليم خوزســـتان المشرف على حدود العراق · وتحتـــوى مقتنيات وكنوز الكنائس الاوربية على كثير من هذه المنسوجات كما عثر في مصر ولا سيما في مقابر الشـــيخ عبادة واخميم على قطع من النسيج الساساني ·

والواضح ان الفن الساســـاني ازدهـــر في ايران والعراق وكانت عناصره الفنية قائمة على الاصـــول الموروثة من الحضارتين الآشـــورية **والاخمينية والتي من خصائصـــها الفنية : انتظام التكرار والتماثل ، ووجود الحليات البيضـــاوية وحبات اللؤلؤ والحيوانات المتقابلة وتفصـــل بينها شـــجرة الحياة والوريدات والمـــراوح النخيلية والنجمة الدائرة الى جانب اســـتعمال الحيوانات الخرافية المركبة ·**

ومن أهم العناصر الزخـــرفية في الفن الساساني والتى اقتبسها وتأثر

بها الفن الاسلامى ٠

ـ رسم طائر خرافى له جسم طاووس رافع ذيله وجناحيه وله راس طائر جارح ومخالب اسد وكذلك الخيول المجنحة ٠

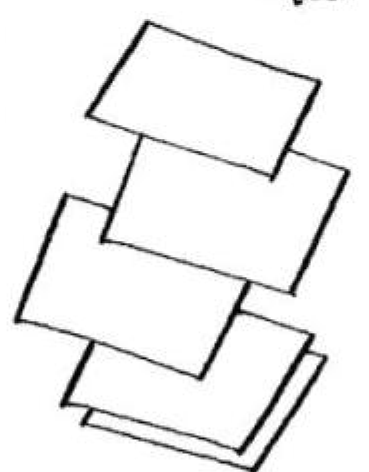
ـ رسم الحيوانات والطيور ذات مناطق مستديرة أو متعددة الاضلاع ويتالف محيطها من اطار مملوء برسم حبيبات أو فروع نباتية ٠

ـ وجود الحيوانات فى اوضاع متدابرة أو متقابلة ومراعاة التماثل والانتظام فى التكرار فى رسم العناصر الزخرفية ٠

ـ رسم الحيوانات والطيور ذات يصطادون الوعول والاسود والحمار الوحشى ٠

ـ كما تاثرت العمارة الإسلامية وذلك باستخدام الآجر فى البناء وتكسيته بطبقة من الجص المنقوش عليه رسوم بالالوان المائية ٠

ـ كما تاثر الفن الاسلامى خاصة فى الخزف والمنسوجات والتحف المعدنية ٠



والخلاصة ان الفن الساسانى رغم انه اثبت وجوده فى قائمة الفنون القديمة الا أن بعض الاوربيين امثال الكونت جوبينو يقولون ان الفارسيين لم يبتكروا شيئاً جديداً فى الفنون سواء فى عصر الاخمانيين او بعد ذلك فى العصر الساسانى وحتى فى العصر الإسلامى لم يكن للفرس تراث فنى خاص بهم بل انهم اقتبسوه من غيرهم من الامم وامكنهم فى النهاية ان يخرجوا من هذه الاعمال والاذواق فنا يطلق عليه الفن الفارسى ٠

والحقيقة انه وان كانت ايران ملتقى للفنون القديمة فى الشرق الادنى وانه قد نمت فيها اساليب تاثرت ببابل واشور فضلا عن اساليب من مصر والهند وبلاد اليونان ، الا انه لا يمكن نكران أن الفن الايرانى كانت له فى العصر الساسانى (قبل مجىء العرب) شخصيته التى اشتقت عظمتها من السيادة الفارسية فى ميادين الحرب والسياسة الى درجة أن الفرس كانوا أصحاب السيادة فى العالم القديم حيناً من الزمن ـ ولما فكر الاسكندر المقدونى فى تاسيس امبراطورية تضم بلاد الشرق ، اتجه بنظره الى بلاد فارس ليتخذها مركزاً لهذه الامبراطورية ، وعلى الرغم من أنه توفى قبل ان ينفذ مشروعه الا أن حروبه فى الشرق الادنى مهدت السبيل لنشر الثقافة والحضارة الاغريقية والهيلينية بحيث امتزجت مع حضارة الشرق وفنونه فنشأ من هذا المزيج ما يطلق عليه بالفن الهيلينستى ـ ومن المعروف أن الدولة الساسانية كانت دولة فارسية قومية قامت فى ايران والعراق واشتهر ملوكها بتشجيع وتعضيد الفنانين سواء فى ميدان العمارة والنحت او الفنون التشكيلية وخاصة

الحضـــارة الساسانية الفارسية وفنـونـهـا

التحف المعدنية ، ومن بين هؤلاء الملوك أردشير وشابور وبهرام جور وكسرى الاول (انوشروان) وكسرى الثاني (برويز) .

ديانة الدولة الساسانية

من اهم العـوامل المؤثرة في حضارات الدول ، الدين الذي تتبعه ومدى تغلغله في طبقات الشعب ومدى ايمانهم به ، فالدين هو الذي يحدد المعاملات والتقاليد وبالتالي فان المؤثرات الحضـارية كالفنون وغيرها تتأثر تلقائيا بديانة الدولة ، ومثال ذلك فان كراهية التصوير الادمي في الدين الاسلامي اثرت في هذا اللون من الفنون فتخلف لفترة طويلة عن مثيله في الحضارات الاخرى .

ودين الدولة الرسمي للدولة الساسانية كان الزرادشتية وكتاب هذا الدين هو الافستا او الابستاق كما تسميه المراجع العربية ورجال هذا الدين من قبيلة المغان التي ظهر فيها نبيهم زرادشت وبذلك كانوا هم اصحاب الرياسة الروحية وكان لهم موارد غزيرة مصدرها ما كانوا يملكونه من اراض واسعة وما كان يؤدى من الهبات فضلا عن الغرامات التي كان يدفعها المؤمنون للتكفير عن ذنوبهم لذلك نجد ان خطة الاسكندر الاكبر كانت تهدف الى القضاء على نفوذ رجال الدين للتخلص من تاثيرهم القوى على شعب فارس فاحرق كتاب الافستا واضطر المغان الى الفرار الى الجبال الى ان ظهر ساسان (كاهن) من سدنة بيوت النار يدعى ساسان وحث قبيلته على التخلص من النفوذ الخارجي واستقاد ابنه بابك من نفوذ اسرة والدته فالحق ابنه اردشير في وظيفة عسكرية واستطاع هذا الاخير في اوائل القرن الثالث الميلادى ان يتغلب على جملة من المدن الى ان يصبح في نهاية الامر « شاهنشاه » على فارس ويؤسس الدولة الساسانية .

ودين زرادشت هو دين توحيد وان لم يبد على الوجه الكامل الذى نعرفه في الاسلام واله الخير واله الشر هما في الواقع ما يقابل الله القادر والشيطان الرجيم ولذلك فان الثنائية فيه ليست في الحقيقة الا في الظاهر فقط وذلك لان معركة الخير والشر تنتهى دائما بانتصار الخير ، ومن مبادىء هذا الدين الفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب والجزاء هو الجنة والعافية والخلود ، بينما العذاب الطويل في ماوى الكذب سيكون عقاب الاشرار .

وبعد حرق الافستا (كتاب هذا الدين) عمل اردشير على احياء هذا الدين فضلا عن اتخاذه لهذه العقيدة دينا رسميا للبلاد ثم بحث شابور الاول ابنه برسله ليجلبوا ما يجدونه مترجما من كتاب الافستا عند الاغريق والهنود ليعهـد الى مجمع ديني بترتيبها ، ومع ذلك فلم يبق منها اليوم الا اجزاء قليلة هي عبارة عن بعض نصوص خاصة بالعبادات ومعلومات عن النجوم والعلوم والطبيعة والتشريح والحكم .

وقد ظهر في عهد شابور مصلح ديني كبير يدعى ماني ، تعمق في دراسة الاديان وزعم انه ظهر له الوحى ، ويتفق مانى مع زرادشت في الادوار التي مر بها خلق الدنيا ومسائل الخير والشر ، ولكنه يختلف

معه فى نظرة التفاؤل التى ذهب اليها زرادشت حينما آمن بانتصار الخير فى النهاية . وانتهى امر مانى بأن قتل فى عهد بهرام الاول واصبحت دعوة مانى شبه سرية بعد ذلك وكان مانى واسع الثقافة وعمل على اصلاح اللغة البهلوية (لسان الفرس قبل الاسلام) كما الف باللغة السريانية ويذكر بعض المؤرخين العرب بأنه كان ماهرا فى الخط والنقش والتصوير .

وبعد بهرام الاول خلفه عدة ملوك ليس فيهم من هو جدير بالذكر سوى شاهبور ذى الاكتاف الذى حكم مدة تسعة وستين عاما وتبوأ الحضارة الساسانية فى اواخر عهده فى الاضمحلال نتيجة لكثرة حروبه مع الروم وانتشار المسيحية فى ارمينيا وكانت محل نزاع دائم بين الروم والفرس .

***

ومن اشهر ملوك الفرس بعد ذلك يزدجرد الاول ويعرف عند الفرس بالاثيم وعند الروم بالعادل لتسامحه مع المسيحيين . وفى عهد قباذ الاول الذى حكم فى اواخر القرن الخامس الميلادى ظهر مصلح اجتماعى هو مزدك فآمن به قباذ الى ان خلعه الكهنة عن العرش ولم يعد اليه الا بعد أن أعلن توبته ورجوعه الى الزرادشتيه - وتتركز دعوة مزدك الاجتماعية بضرورة ازالة الفوارق بين الطبقات واقتسام الارزاق بالتساوى بما فى ذلك المال والنساء واشتراكهم فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلا .

وجاء كسرى الاول والمعروف فى التاريخ بأنوشروان والذى يعد عهده من أزهى عصور الدولة الساسانية فقضى على فتنة مزدك وأشاع الامن فى البلاد ورد الاموال الى أهلها وصحح الاوضاع بالنسبة للنساء فنظم الزواج والانفصال بين الازواج وأصلح المساكن والقرى ومد أهلها بالماشية لتربيتها وبلوازم الزراعة وأصلح الرى ونظم الضرائب والجيش ومد النبلاءبالاسلحة وكان من اكبر دعاة العلم والحضارة والمدنية واشتهر بالعدل وانتهز فرصة اضطهاد قياصرة الروم للفلاسفة والعلماء ورحب بقدومهم ودعاهم الى بلاطه وأنشأ لهم المدارس فى خوزستان ، وشجع الترجمة من اليونانية والهندية الى البهلوية .

وفى عهده ولد محمد رسول الله ونبيه فى الجزيرة العربية ، ومن بعد كسرى الاول الذى امتد حكمه من عام ٥٣١ م حتى ٥٧٩ م يأتى هرمز الرابع ، ثم كسرى الثانى والمعروف باسم كسرى برويز الذى حارب الروم واستولى على آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر وجلب الصليب الاكبر من القدس الى المدائن ، وحاصر القسطنطينية وفى عهده ظهرت الدعوة المحمدية وانتشرت ، وكانت نهاية الدولة الساسانية فى عصر يزدجرد الثالث آخر ملوك هذه الدولة الذى دخل المسلمون فى عصره بلاد فارس وقامت بين جيوشه وجيوش المسلمين عدة معارك اهمها موقعة القادسية التى استولى فيها المسلمون على المدائن ، وآخرها موقعة نهاوند التى خضعت بعدها بلاد فارس لحكم المسلمين .

واستمرت الحضارة الساسانية فترة طويلة بعد دخول البلاد فى دين الاسلام الذى سوى بين العربى والاعجمى حتى ذابت تدريجيا فى الحضارة الاسلامية العربية بعد أن تركت بصمات واضحة فيها .



الحضارة الأفريقية



كل من يتعرض للتـــــاريخ الافـــريقى يدرك فداحة العبء الذى وقع على افريقية ، وكيف أن هذا العبء قد طال حتى ترك بصماته واضحة على كل شىء فيها ، ومع هـــذا فانها بدات تشع من جديد « كاللؤلؤة السوداء » على حد قول بعض الشعراء ، والقول « بدات » لأن لها رحلة حضارية مضيئة على غير المعروف عند الناس ، فتاريخها لا يرتبط بتلك المغامرة الاوربية المعروفة ، ولا بنور الاسلام الكبير فيها، ذلك لأن لها تاريخا ممتدا ، ولأن لها اسهاما حقيقيا فى المد الانسانى ، ومن هنا رأينا الكثيرين من المثقفين فيهـــا يطالبون باعادة كتابة التاريخ بها على نحو ما يرى د . اتوكانيكى ، وعلى نحـــو ما يرى المشتغلون بتحـــديد الشخصية الافريقية ، كما فعل كوامى نكروما فى العديد من دراســـاته ، وان كان يؤكد ان الذين سيقومون بذلك هم الافريقيون انفسهم ، فاذا كان الاوربيون قد اكتشفوا فى القرن الماضى الكثير من جوانب افريقية ، فانه فى القرن الحالى سيكتشف الافريقيون افريقية ، بل ان القرن المقبل لن يتمكن فيه الافريقيـــون من الوصـــــول الى كل شىء ، ذلك لأن افريقية عالم مركب ؛ غاص بالاسرار .

واصـــحاب هـــذا الرأى يؤكدون أن افريقية ستسود العالم، وانها لن تسوده بالقوة العسكرية ولكن بالاخـــلاق ، وباقصى ما وصل اليه العقل البشرى من مراحل الاختراع !

ولما كان هذا مجرد احاديث نظـــرية فانه لا بد من ابداء وجهة نظــــر موضوعية فى هذا الموضوع لا تؤيد مبدأ السيادة الافريقية التى يقال انهـــا قادمة ، ولكن تؤكد ان الانسان الافريقى ـ كأى انسان فى العالم ـ ليست حياته فى العدم المطلق تحت الجلد الاسود ـ كما قيل ـ وانما يستطيع ـ كمـــا

استطاع من قبل - أن يسهم فى مسيرة الحضارة الانسانية بجد وبذكاء :

وابتداء فكل الدراسات التى تعرضت للجنس Race تنتهى الى القول بانه ليس هناك جنس من الناس الا وله فضائل يدعيها سواء اكان هذا فى الامم القديمة أم فى الامم الحديثة ، وعلى كل فالبشرية من قديم قد اهتمت بظاهرة اللون ، ووقفت عندها ، سواء كانت فى مفهومهم غضبا من قوة عليا ، أو كانت « وصمة قابيل » أو تسويغا ملفقاً لخدمة السياسة بالعلم ، ومن كل هذا رأينا أن علاقة الانسان الاسود بغيره قد تطورت من علاقة الرقيق بالسيد ، الى علاقة الخادم بالسيد ، الى علاقة الاخ غير الرشيد بالاخ الرشيد ... وأخيرا كان هذا التمرد وشق عصا الطاعة من الانسان الاسود على الانسان الابيض .

وعلى كل فالاراء العلمية تقول بوحدة الاصل البشرى ، وبأن « السواد » لا يخرج عن كونه نوعا من الطفرة وتكيف الانسان بالبيئة ، كما تقول بأن « الورثات » تقيد بده كل منا حقا ، فالمورثات تحدد الطاقة ، والبيئة تحدد أى شكل تتخذه هذه الطاقة ، فلون الجلد يورث ، ووجود الطفرة فى هذا النظام هو الذى كان وراء مستويات اللون وتدرجاته .. وما نحب أن نؤكد عليه هنا هو القول بانه ليست هناك تلك المورثات التى تجعل من الانسان شاعرا أو رساما أو سياسيا أو قاطع طريق ، وفى ضوء هذا فالاسود اذا كان متخلفا مثلا فى الهندسة والفلك والكيمياء ، فان ذلك ليس لعيب فيه ، وانما لان حياته لم تلجئه الى الملاحة فى البحار الواسعة ، والى اقامة الصروح والبناء بالاحجار ، والى استعمال الوان خاصة من النقش والزينة .. الخ .

وما يهمنا من كل هذا هو توضيح قضية « وحدة الجنس البشرى » .

بالاضافة الى تاكيد أن الظروف التى تحيط بالانسان الاسود تؤثر على انتاجه وعلى ادائه ، فالاسود يحس أنه ما دام الاضطهاد واقعا عليه من خلال جنسه وبسببه ، فان عليه أن يعى هذا الجنس، وأن يؤصل ذاته ، واذا كان من الطبيعى أن يكون الانسان الاسود سويا كغيره من الناس ، الا أنه يرغم فى بعض البلدان وتحت بعض الظروف أن يكون منشقا ومتهيجا ، ذلك لانه مسئول من جانب كالانسان الابيض ، ومسئول فى الوقت نفسه عن لونه وجنسه ، وفى ضوء هذا يكتشف خصائصه ، وما يقال ضده ، بالاضافة الى أنه يرى نفسه فى حالة « عجز » وبخاصة حين يوجد عنده ما يسمى « بتفكير الضفدع » وهو التعبير المستعار من « نيتشه » لوصف الادنى حين يتطلع الى الاعلى ! .

وكما نلاقى « عنصرية بيضاء » تضغط عليه، فاننا نجد فى بعض البلدان كليبيريا وسيراليون « عنصرية سوداء » تضغط على أهل البلاد الاصليين من السود النازحين اصلا من العالم الاوربى او الامريكى !

وعلى كل فهو ابتداء ليس انسانا همجيا ، ولكن الظروف هى التى تحوله أحيانا الى الهمجية ، ومن ثم تسمع



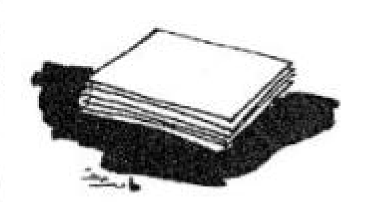
عنهم شعارات تقول : انهم سيئون ، وهمجيون ، واطفال لا بد لهم من اولياء أمور ... ان هذا حين يقع يكون له ما يبرره ، ومن ثم فقد صح القول بأن اى انسان ابيض يمكن « تزنيجه » حين تقع عليه ظروف سيئة مساوية للظروف التى تقع على الانسان الاسود !

●●●

من كل هذا نعرف انه لا بد أن يكون للاسود دور حضارى على الرغم من الستار الحديدى الذى ضرب بينه وبين ماضيه .. وان حضارته لا بد أن تكون موصـــولة .. وانه على الرغم من الضغوط التى فرضت عليـــه فى الماضى والحـــاضر لا بد أن يتـالق تحت اقسى الظروف مهما كانت درجة هذا التالق ، وقــد طــرح الطبيب وعالم النفس « فرانزفانون » على هذه القضية اكثر من ضوء حين يذكر : أن كل انســـان مسئول عن شخص واحد مسئوليـــــة جمــاعية هو شـــخصه ، ولكننى مسئول عن جسدى ولونى واجـــدادى وماضى ، فحولى اشياء كثيرة تثـــار حولى ، منها الشـــعوذة ، والتخلف ، والعبودية ، واكل اللحم البشرى ، ومع ذلك فهم حين يحبوننى لا بد أن يقولوا : نحن نحبك على الرغم من لونك ، وحين يمقتوننى يقولون : ان هذا المقت ليس بسبب لونك ، ومن هنا فلا يشفع لى أبدا سلوكى المتحضر ، وثقافتى الممتازة ، وتفهمى للنظريات الرياضية المعقدة ، وفى ضوء هذا لم يكن بد من ترويض النفس على الظروف غير المنطقية المحيطة بى وقد وصل هـــذا شرايينى بشرايين العالم، وجعلنى لا أصل الى حقيقة أصلى فقط ، ولكن الى حقيقة أصل العالم كله ، لقد تحولت كما قال لى صديق « حارس الانسانية فى العــــــالم الالى الـــــذى يسيطر عليه الانسان الابيض » ، واخيراً تم الاعتراف بى على مضض ، وحين سعدت بهذا القيد بنفس الفـــاء فى احضان ماضى الاســـود ، ولكن ماذا وجدت ؟ لقد وجدت شولجر وفروبنيوس ووسترمان ونيلافوس وغيـــرهم من العلماء البيض الذين بعد بحثهم وجدوا انهم وقعوا فى غلطة ، وانه لم يوجـد ابدا ما يسمى بالرجل البدائى ، اننى لم اكن ابدا بدائيا ، او نصف انســـــان كما قال البعض ، فانا انتمى الى جنس كان يعالج الذهب والفضة ويستعملهما من الفى عام ، وهكذا وجهت الرجـــل الابيض الى المقولات الصحيحة ، واثبت له أننى لست هامشا للحضارة ، وأن تاريخى ثرى كتاريخه ، ولكن الرجـــل الابيض اخيرا صاح ، ما الهدف من كل هذا التحليل والتنقيب ، كفاك تفتيشا فى الماضى ، وحاول من جديد ان تلاءم بيننا وبينك ! ومن هنا يصح قول ريتشـــار رايت بانه كان للافريقيين حضارة قبـل أن يحملوا اسرى فى سفن الغربيين ، فلقد كانوا يصهرون الحديد ، وينحتون التماثيل ، ويغزلون القطن والصوف ، وينســـجون الخيوط والســــلال ، ويستخرجون الذهب والفضة ، وكان لهم أدبهم وفنهم وموسيقاهم ونظمهم الدينية

والقانونية والعلمية ، وقد يتصور البعض انحطاط دياناتهم ولكن المتخصصين في هذا المجال يذكرون ان دياناتهم حين تجرد من العديد من طقوسها وزخارفها بحيث يمكن الوصول الى الجوهر الحقيقى لا يكون هناك كبير فرق بينها وبين الديانات الكتابية ، بل ان هناك من يذكر ان فكرة التعين الاولى نشأت فيما يطلق عليه الان اثيوبيا ·· ثم صعدت بعد ذلك الى مصر القديمة حيث اخذت صورة نقية بالتوحيد ، وأن الافريقيين ما كانوا ليقبلوا على الاسلام والمسيحية الا لان هناك ارضا مشتركة ، وضميرا يقظا بينهما !

من كل هذا نعرف انه كان لافريقية تاريخ عتيد ، وأن التنقيب عن الاثار ، والاستقراء للحضارات قد اظهر الدور المبكر للزراعة على « مدرجات التلال » باثيوبيا ، كما اظهر بعض الفخار وبقايا المدن عراقة على نحو ما عرف من المكتشفاتفي تيجيرياوفى اوغندا ،وعلى نحو ما عرف بحضارة « زمبابوى » ،



وما اثاره كتاب « افريقية تكتشف من جديد » لباسل دافيد سون ·

والان يأتى سؤال يقول : ولكن لماذا يظهر تاريخ افريقية من دون التواريخ فى العالم شاحبا ومجهدا ولا يكاد يبين ؟ ان هناك من يجيب بأن من وراء ذلك صحاريها الشاسعة، وغاباتها المتشابكة وسواحلها المنفرة ! ولكن الراى الذى يبدو مقبولا فى ضوء عرضنا للمشكلات الحضارية لهذهالقارة هو ان افريقية الى حد كبير قد فقدت أساسين هامين فى مسيرتها هما : فن الكتابة وفن العمارة ، ذلك لانه من المعروف أنه فى افريقية جنوب الصحراء تندر الحجارة ·· ويصعب فى الوقت نفسه نقلها ــ ان وجدت ــ من مكان الى آخر ، ثم ان البردى والخشب والجلود وكل ما يمكن الكتابة عليه لا يستطيع أن يعيش مدة كبيرة بسبب الحشرات ورطوبة الجو ، وان كان هذا لم يمنع بعض قبائل « الوى » فى سيراليون من اختراع نوع بسيط من الكتابة يفى بأغراض القبيلة ·· بالاضافة الى اللغة العامة المنتشرة وهى لغة الكتابة بالطبول والموجهة أساسا الى الاذن ، فالطبول ــ كما قيل ــ تحفظ النص بدقة اكثر لانها ــ وهذا ناتج من طبيعة اللغة الموسيقية ــ لا تحفظ الايقاع والتنغيم فقط ولكنها تحفظ الرنين الكامل للكلمة ! من هنا نعرف أن كل حضارة من واقع الظروف المحيطة بها قد عرفت كيف ترفع صوتها ·· وكيف تقول كلمتها ، وان افريقية لم تكن خرساء ، وانما كانت تتكلم بلغتها الخاصة ، صحيح ان هذه اللغة لم تصل الينا كالهيروغليفية والاهرام ، و « كالزواكير » فى العراق ، وبقايا السدود والاسوار فى عدد من بلدان العالم ، ولكن الهدف قد تحقق وهو أن



افريقية قد نطقت بلغتها الخاصة ، ومع انها قد شاعت ـ لانها تقوم على السماع اساسا ـ إلا أن هذا لا ينفى أن تكون هناك سلسلة من الحضارات التى قامت

ومن الطبيعى أن تكون هذه القضية قد شغلت الكثير من الافريقيين ، ولعله يجيء فى مقدمتهم الشاعر « ميشيل دى أنانج » الــــذى راح يؤكد فى ديوانه « أفريقية تتكلم » ان افريقية كانت دائما واعية ونابضة وحية ، ولما كان لا يملك العديد من الادلة الحاسمة على ما يقول نراه يحيل الى مصر القديمة ، فيذكران حضارتها افريقية ، فى الوقت الذى نرى فيه بعض شعرائنا المعاصرين لم يتعمقوا ابعاد القضية ومن ثم رأيناهم يذكرون فىقصيدة واحدة هذهالاوصاف: افريقية فى حلم اسود ، لا تمل قدم الســـيد · مجهدة فى كرخها المجهد ، مصـــفرة الاشواق ، معتوهة ، تبنى بكفيها ظلام الغد· جوعانة · كحارس المقبرة المقعد ، عريانة الماضى والمستقبل · أمة · قابعة جمجمة · مزرعةللارجل الزارعة · لاعقة أحذية · خاملة · خائرة · خاضــعة هازئة بالقيم · تصدر قراقل الرقيق · ضائعة ·· الخ !!

●●●

تلك هى صـــورة المد الحضارى فى افريقية بصفة عامة يضاف اليها هــذا الجانب الذى مثله الاسلام هناك ، الى حد القول بان الاسلام اذا كان قــد اصبح دين « ثبات » فى اسيا ، ودين « تجمد » فى أوربا ، فانه فى افريقية دين « حركة » كما قيل بان للاســـلام مستقبلا رائعا فى افريقية ، وهم حين يقولون هذا يتكئون على تلك الاحصائية التى تقول : أن الاسلام جنوب الصحراء

قد ضاعف نفسه فى هذا القرن ، كما انهم حين يقولون هذا لا تغيب عن اعينهم تلك « الخــــريطة » التى تؤكد احاطة الاسلام بالقارة احاطةتكاد تكون حاسمة فى الشمال والشرق والغـــرب ، والتى تكون فى انتشارها ما يشبه الهلال بحيث يذكر الناظر الىهذه الخريطة ـ على حد تعبير هوبير ديشان ـ رمز الاســـلام نفسه ، ولعله من الغريب ان الاسلام بعد ان حسم المواقف لصالحه فى الشمال بصفة خاصة استطاع بمهارة ان يثقب الصـــحراء الكبرى ، وان يكون دولا اسلامية عديدة فى القـــارة يجيء فى مقدمتها : دول مدن افريقية ، الفونج الفور ، تقلى ، البرنو ، كانم ، غانة ، مالى ، صنغاى ، الحوصة ، الفلانى ، اليوروبا ، البمبارا ، التوكولور ·

والى جانب هذا كان دور المسيحية ، فهناك الكثيرون الذين اعتنقوا المسيحية ووصلوا انفسهم بثقافة الغرب ، وهدروا باشواقهم من خلال اللغات الاوربيةالتى كانوا يجدونها بصفة خاصة فى مدارس التبشير ببلادهم ، ثم فى هذا العـــالم الرحيب المتحضر الذى وجـــدوا انفسهم يضربون خلاله باقدامهم وعقولهم ، على أنه من خلال كل هذا بقى شيء افريقى محض داخلهم تتكسر دونه النصـــال والافكار ، بحيث أصبحت الشـــخصية الافريقية كما قيل هى التعبير عن الروح

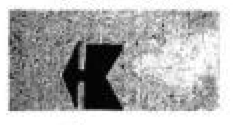
السوداء بغير حدود ! وعلى حد تعبيرهم ليست افريقيا قارة الجيران ولكنها قارتنا !

ولقد ساعدهم على هذا بلا شك تحطيم فكرة « الاندماج » و « الاستيعاب » التى حاولها الاوربيون معهم ، كما ساعدهم تصحيح مسار الشخصية الافريقية من التلميذ الذى يبدأ فى تلمس الاشياء بيديه الى الانسان الناضج الذى يتلمس الاشياء بعقله ، ثم ان هناك الجانب القومى الذى لا تفريط فيه ، والجانب العلمى الذى لا خلاف عليه ، وقد كان من الطبيعى ان الذين تربوا فى مدارس الاوربيين وباشرافهم فى الداخل ثم واصلوا رحلتهم فى الخارج هم الذين حركوا رياح التغيير ، وهم الذين ضربوا الاستعمار فى مقتل ، وهم الذين وقفوا الى جانب كل ما هو افريقى ، انهم الان لا يعطون ولاءهم فى الغالب لوثنيتهم القديمة او للاديان السماوية ، او لا عند الكتلتين السياسيتين فى الشرق والغرب ، ولكنهم يعطون هذا الولاء الى حد كبير لشىء اسمه « الافريقية » او كل ما يزهر الافريقية من غير طمس لشخصيتها .

وليس يعنى هذا ان القارة وصلت الى هذا المفهوم من خلال « ضربة واحدة » ذلك لانها عانت الكثير وهى تخوض هذه التجربة ، واذا تعرضنا لهذا من خلال الادب والفن نجد ان الكاتب القصاص « توماس موفولو » الذى تعلم فى الارسالية بباسوتولاند يمجد فى كتابه « المسافر نحو الشرق » كل ما يتصل بالغرب على لسان بطله « فيكس » الذى يذكر انهم علموه وشفوه من المرض وان كل ما كان يبحث عنه وجده عندهم ، فعاله من صنعهم ، وهو لا يرضى بهذا فقط ، ولكنه سعيد كذلك ، وفى قصته « تشاكا » سخر من هذا الملك العظيم الذى كان منصبا على قبائل الزولو كما سخر من تاريخه كله ، فهو كما قيل كان يجعل ابطاله السود مشوهين وخاملين ، أما الابطال البيض فكانوا « ناصعى البياض كالثلج » !

ثم نجد عندهم هذا الادب الذى يمثل مرحلة الانتقال من الريف الى المدينة ، ومن الرعوية الى الآلة ، ويظهر منه بصفة خاصة هذا النوع من التمزق بين الولاء للغرب والافريقية على نحو المعروف فى عدد كثير من الكتاب يجىء فى مقدمتهم احمد كين ، واعمالهم هناك تذكر بعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم وقنديل ام هاشم ليحيى حقى .

كما وجد عندهم الالتفات العميق للتراث الشعبى ، والالتفات العميق والدهش الى افريقية باعتبارها « الفردوس المفقود » ، ومن ثم نجد تعبيراتهم التى تقول : افريقية « سرة » العالم ، وزهرة الشعر الاسود ، افريقية الباهرة المحروقة الزيتية كجلد الثعبان ، افريقية النار والمطر والشبح المتأرجح بين الكينونة والعدم ، افريقية الرجال الاشداء وغابات السفانا واغانى الجدات افريقية بلد الدم الاسود الجميل ، وقد كان من الطبيعى ان يأخذوا موقفا من اوربا فوصفوها بالمتكبرتية ، وقالوا ان الزمن فيها ملطخ بالعار ، والليل فيها منسوج من الرياء والشوارع مكتظة برجال الشرطة ، كما قالوا ان القلوب فى



العالم الجديد صناعية ، والسيقان من النايلون ، وأنه لا علاج للمفاصل الحديثة الا بالدم الاسود فهو زيت الحياة الحقيقى !

ولا ينس احد تلك الصيحة التى اصطلح على تسميتها الزنجية Négritude والذى كان ديوان سيزير « مذكرات العودة الى الوطن الام » الذى ظهر فى فرنسا عام ١٩٣٩ هو المفتتح الحقيقى لهذا التيار الخصب المتدفق ، الذى سرعان ما تدفق من خلال كتابات سنغور ، وبيراجو ديوب ، وداڤيد ديوب ورابائير بفيلو ورابيمانا نجرارا ، وبعبارة موجزة لقد وجه هذا التيار الدعوة لخلع الملابس والاحاسيس الاوربية ، ثم السباحة بعمق فى بحر الحياة المتلاطم فى افريقية ، ومن هنا يمكن القول بأن افريقية اكتشفت من جديد من خلال افراحهم واحزانهم ، ومن خلال تشبثهم العميق بكل ما يتصل بها ، بل يمكن القول بأنها اكتشفت من خلال تعصبهم العميق لكل ما هو اسود ، فنحن نقرأ مثلا فى اشعارهم « اللبن الاسود » وسواد الطهارة والبراءة » ، و « لبن الابنوس » وما اكثر ما تحدثوا عن ملائكة شعر رأسهم كالفلفل الاسود ، وعن اله اسود غليظ الشفتين على شاكلتهم على نحو ما يذكر الشاعر ارماتو ٠

ثم يأتى تيار « الافريقية الجديدة » ، الذى تختفى منه الحدة ، ويختفى التعصب ، وتشيع الروح الانسانية وان كان ذلك ينبثق انبثاقا من مؤثرات افريقية تراثية ، على نحو المعروف من كتابات ميشيل دى أنانج من غانا ، وأموس توتولا من نيجيريا ، ومبيتى من كينيا ، وبولامبا من الكونغو ٠

ومن كل هذا نرى أن افريقية تتحدد سماتها من خلال معاناة رهيبة ، فهى لا يمكن أن تظل تلميذا للعالم ، أو احتياطيا له ، كما أن الافريقى لا يمكن أن يظل « رجل الاحراش » أو « الاوربى الاسود » ، أو رجل ما قبل المنطق ، أو مجرد روح سوداء فى عالم ابيض ، ومن هنا واجهت بشجاعة عراقتها ، وحركة النبض السريع فى العالم ، وحاولت من كل هذا استخلاص « فلسفة افريقية » ٠

●●●

وبصفة عامة فان هناك فلسفة تقف وراء الحياة فى الكثير من الجوانب الافريقية ومع أن هذه الفلسفة قد تبدو غير مستساغة عند الانسان الاوروبى ، الا أن بينها انسجاما وتكاملا واشعاعا يلقى أشعته على كل شىء ، وقد ألقى الكاتب اليوروبى « انيبايو اديسانيا » ضوءا على هذا الانسجام والتكامل والاشعاع حين قال : ان هذا ليس مجرد توفيق بين الحقيقة والايمان ، ولا بين العقل وبين المعتقدات القديمة والحقائق غير المؤكدة ، ولكنه توفيق بين كل هذا ، فاذا كان الاله يمكن استبعاده من الفكر اليونانى دون أن يحدث خلل لهذا البناء المنطقى لهذا الفكر ، فان هذا لا يمكن حدوثه عند كثير من الافريقيين ، واذا كان العلم قد ابعد فى بعض العصور فان هذا لا يمكن ابعاده كذلك عند كثير من الافريقيين لان الايمان والعقل يعتمد كل



منهما على الاخر .. الخ . فهناك تكامل بين كل هذه القوى وانسجام سرعان ما يتولد عنه الاشعاع المؤثر . واللمسة الحضارية الخاصة ! فهم يعتقدون ان قضية مستقبل افريقية ترتبط ارتباطا وثيقا وحميما مع وجود « الثقافة الافريقية » وكما يشكل هذا قضايا مثل: العدم والوجود ، والدين والاخلاق ، والميلاد والبعث ، وكل ما يتصل بالله ، فانه يشكل كذلك قضايا اللغة والشكل والمضمون والايقاع واللون والحركة .. الخ ، مما يعطي في النهاية نكهة خاصة لكل ما هو افريقي .

.. وقد احسوا هذا وادركوه تماما ، ومن ثم كانت دعوتهم العالم الامريكي والغربي الى الانتفاع بما عند افريقية ، والى تليين مفاصلهم المتيبسة بالزيت الافريقي كما ذكر سنغور ، كما كانت صرخة سيزير التي قال فيها : من الذى سيعلم الايقاع لهذا العالم الميت المليء بالآلات والبنادق غير افريقية ؟ وهناك بعض العازفين الذى يقول قبل العزف للآلة فى همس : الان جاء دورك ، هيا نظمى العالم ، فالعالم مشوش ! كما اكد بول نيجر على ان ايقاعا افريقيا جديدا سوف يقتحم روح العالم ، ولونا افريقيا جديدا سوف يتألق تحت قوس قزح !!

ومما يؤكد هذا أن عندهم اتجاها فلسفيا يركز دائما على عملية تجديد العالم ، وبث الحيوية فيه بروح من السرور والسعادة ، كما أنهم يركزون على « الانسان » اكثر من تركيزهم على « الشيء » ، ويرون أن ما يميز الانسان عن كل أعضاء العالم البيولوجي هو الثقافة وليس المؤسسات الاجتماعية، ولما كانت ثقافات افريقية متنوعة فانها تبدو غامضة عند الكثيرين، وان كان طابعها العام هو الاستمرار والتغير ، وهو الذى يعطى فى نهاية الامر تيار التاريخ .

واخيرا ...

لقد وضح لنا أن الحضارة الافريقية لم تكن حضارة هامشية ، وانما كانت حضارة قدمت الكثير للبشرية ، صحيح ان افريقية لم تكتب اساسا بالحروف وبالمعمار مما يعطي دلالة عينية مشاهدة حتى الان ، ولكن كانت لها لغة رئيسية تتصل « بالسماع » ، وهي بهذا تقترب من مفهوم الحضارة الغربية ،

المهم أن حضارتها لم تقم على « التوفيق » بين المتناقضات ، ولم تقم اساسا على « الانتقاء » ذلك لان ما كانت تقتنيه كانت تحاول دائما وبالحاح افرقته ، ومن هنا يظل حلمهم الدائم والمسترسل « بالافريقية » التي سيكون لها دور فى العالم لانها لن تقوم على الاغتصاب والكراهية والسلب ، ولكن تقوم كما ذكرنا من قبل على الاخلاق ، وعلى اقصى ما وصل اليه العقل البشرى من مراحل الاختراع .

د. حسن فتح الباب

صورة الفنان

سرى على الارض رسول السماء   يستلهم الاكوان سر البقاء
في فلك الانسان تسياره   كالكوكب الراعي نجوم السماء
عين من الله تراعي الدنيا   ومهجة تحنو تشجي الغناء
احلامه فاضت على قلبه   بشرى الى العانين والاشقياء
كالملك المصراح في فرحه   وبرحه من الم الانبياء
عذبه الاهل وما كرمت   اوطانه مسراه تفسو القضاء
في كاسه افرغ آلامهم   وبالهوى احياهمو من فناء
وحملوه وزر آثامهم   ووجهه في هالة الابرياء
ولم يصن عنهم مسراته   وصان عنهم شجوه من حياء
يحدوهمو للنور وهو الذي   يحدونه في داجيات العناء
اصم عن داعيهمو سمعه   وصب في اسماعهم ما يشاء
يمضي على التاريخ ثبت الخطا   موله الوقع خفي القضاء
وربة الاسعاد لم تغتفر   له خطايا من نسيج الشقاء
فهام في الدنيا كطيف هوى   جناحه بين الثرى والفضاء
وكان في قلب الهوى خفقة   وكان للفكر مشاب الرجاء
من ريشة الخالق ابداعه   في مرسم الالهام تحت السماء
فزعت الافلاك اهاته   وضاحك الاووام منه البكاء
مصباحه في قلبه مشعل   ونجمه في الافق صافي السناء
وفي يديه ملهما هائما   قيثاره الشادي برجع الصفاء
خلد في الصخر احاسيسه   فانبعثت في الصخر روح الوفاء
وزف للدنيا اغاريده   فانبثقت فيها اللحون الوضاء

وجـــدانه يخفق الى سرى   بين المقادير بفيض التشــه
للحق للخير لما صــــــورت   له المعـــانى من خلود الفـــداء
فى الجبل الســامق اصداؤه   وفى الربا والســـهل منه الغناء
جلجل بالاشـــــواق ظمآنة   وما ارتوى والنبع دانى الثــواء
وهـــام بالمجهـــول خفاقه   كالطائر الجواب بين الجــواء
شــقت على الاقدار مأساته   فى الخلق قدس الهوى والعنــاء
يا حسرتـــا ان شردتــه المنى   فقــر فى الحــرمان من كبرياء
اغمض عن باســــــاته مقلة   والقلب يقظان يفيض الضـــياء
وشـــاد للايام امجـــادها   ولم تزل تجحــد حق الوفـــاء
فى غمرة المقـــدور تطـــوافه   يدحو على الارض ظلال السماء
ويشـــهد التـــاريخ كم رده   الى علاه فى طريق ســــواء
وتشـــهد الافاق كم خلـــدت   اعماقه فى الكون لحن الهنـــاء
يعتصر الالام من قلبـــــه   فى كاس احـــلام تروى الظمـاء
وشـــعلة الايمـــان وهاجة   بين الحنايا شـــع منها البهـاء
فاض ســــناها الحر من جدول   ينســاب نشــوان كلحن المساء
وفى ظـــلال الوحى ترتيلــه   آيا من التمجيد للانقيــــــاء
وفى دجى الليل ســـماديره   رؤيا ملاك رفرفت من صــفاء
انفاســـه حرى كاشـــجانه   ذابت على الاوهـــام الاذمــاء
والروح صـــداح بانغــامه   وفى ذرى الالهام يحلو الدعــاء
وفى انســـكاب اللحن ينبوعه   يهمى من الغيب كهمس السماء
افضى الى الخلق باسراره   من نفحة الخـــالق عليا الخفـاء
وظـــل فى محــرابه واجمــا   من حيرة العيش وطيف الفنــاء
يتـــلو الدنيـــا بما سرهـا   وترتعيه بالشــجى والعنــاء
يا للشـــعاع السمح من نبله   على جبين منــه ماضى الابــاء
يقطر طهرا وجهه ســــابحا   فى غيمة بيضـــاء رفت نقاء
اشـــــم كالنسر على افقــه   وروحه الوداع يندى صـــفاء
كالطفل فى ابتهاجه ضـــاحكا   بالبشر مهما نال منه البـــلاء
نافورة الحكمة فاضـــت اسى   من ثغره الظـــامى بوادى الرواء
من رفع الفنـــان فـــوق النهى   ومن رماه فى دنا الاشـــقياء ؟
ومن يـرد الـــروح فى روحــه   ويسكب السلوى ويغرى الرجاء ؟
ما انصف الفنان هذا القضـــاء   هل ينصف الفنان اهل الفنـــاء ؟

د. إبراهيم أحمد العدوى



شيد العرب المسلمون حضارة كفلت لهم أسمى ما كان يتطلع اليه الانسان من عيشة مثالية الحياة ، كما جعلت منهم في الوقت نفسه رسل هداية الى العالم اجمع ومنارات للعلم والعرفان ٠

ومن الواضح ان المجال الذى نهضت فيه الحضارة العربية الاسلامية هو موطن معظم الحضارات الكبرى فى الشرق القديم ، فلا مناص من حدوث تجاوب بين القديم والجديد فى هذه الحال ٠ ومع أن العرب المسلمين اخذوا من الحضارات التى سبقتهم او عاصرتهم شيئا غير قليل ، فانهم تناولوا ما اخذوه من هذه الحضارات بالتغيير والتبديل والحذف والاضافة ٠ ونجم عن هذا كله حضارة جديدة ، لها طابعها الخاص وهو طابع الأسلام والعروبة واللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ٠

ويمكن ارجاع الحضارة العربية الى اصول ومؤثرات هى :

(١) الاصل الاسلامى ٠

(٢) الاصل العربى ٠

(٣) المؤثرات الفارسية ٠

(٤) المؤثرات اليونانية الرومانية ٠

١ ــ الدين الاسلامى

الاسلام عقائد واعمال ٠ فالعقائد تنظم الايمان باله واحد هو رب العالمين والايمان بالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب فى الدار الاخرة ٠
وأما الاعمال فمنها اعمال تنزل منزلة العقائد ، وهى الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ، ومنها أعمال تتصل بالاخلاق وهى التحلى بمكارم الاخلاق وآداب اللياقة ، والوفاء بالعهد ، والصبر فى الشدائد ، والعدل مع من احببت أو كرهت ، وعفة النفس ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومنها أعمال هى

عبارة عن تطبيق ماجاء بهالشرع خاصا بالاسرة ، أو المعاملات التي تجرى بين الناس ، والجنايات التى تقع فى المجتمع وشئون السلم والحرب وهكذا ٠

وللاسلام اثر بالغ فى الحياة العقلية للمسلمين ، وبفضله نشأت بين المسلمين من عرب وغير عرب وحدة فكرية رائعة ومن آياتها علوم التفسير والحديث والفقه ، والسير والمغازى أو علم التاريخ ٠ والاسلام يحث على النظر والتفكير فى الكون الذى نعيش فيه ، وفى ظواهره المختلفة فادى ذلك الى الاشتغال بالعلوم الكونية على اختلافها ، وفى الجغرافيا والكيمياء والفيزياء (الطبيعة) والفلك والطب والرياضيات ٠ فانت ترى أن الاسلام هو الينبوع الاول والاعظم للثقافة الاسلامية ، وهو الذى انطبعت حياة المسلمين بطابعه ، سواء فى ذلك نظمهم العامة والسياسية والادارية والمالية واحوالهم الخاصة والعامة ، وكذلك فنونهم وآدابهم ٠

٢ ـ الحضارة العربية

يأتى بعد الدين الاسلامى ينبوع ثان أقل منه شأنا بطبيعة الحال ، ولكنه ذو اثر كبير فى بناء الحضارة العربية الاسلامية ، ذلك هو الثقافة العربية ، اذ المعروف أن العرب هم العنصر الفعال فى الدول الاسلامية ولا سيما فى صدر الاسلام ٠

وقد اسهم العرب ايضا فى بناء الحضارة الاسلامية بالآداب والعادات التى اتصفوا بها ، من حيث الشجاعة والانفة من الضيم ، وحفظ الجوار ، واحترام المرأة ، واكرام الضيف ، والولع بالشعر وفصاحة اللسان ، وشاعت هذه الآداب فى المجتمع الاسلامى ، حتى بعد ذهاب نفوذ العرب السياسى ، وعنهم انتقلت الى أوروبا فى أعقاب الحرب الصليبية ، فامتزجت بالنظام المعروف فى أوربا بالفروسية ٠

٣ ـ الحضارة الفارسية الهندية

وهناك ينبوع ثالث استمدت منه الحضارة العربية الاسلامية ، وهو حضارة بعض الامم القديمة المتحضرة التى دخلت فى الاسلام ، ولا سيما الفرس والهنود المسلمين ٠

والفرس أمة ذات حضارة قديمة ازدهرت زمن الدولة الساسانية ٠ ونبغت دولة الساسانيين فى فنون السياسة والادارة والحروب ومظاهر الترف والرفاهية ٠

وكان لها دين رسمى هو الدين الزرادشتى ، ولغة ذات أدب وحكمة هى الفهلوية فلما فتح العرب بلاد فارس وقوضوا عرش الدولة الساسانية ، دخل الفرس فى الاسلام أفواجا ، وصاروا موالين للفاتحين من العرب ٠ وبدخولهم فى الاسلام طرحوا الزرادشتية والفهلوية ، واقبلوا على الاسلام يدرسونه ، وعلى اللغة العربية يحصلونها ، ولم يمض طويل زمن حتى اسهموا فى الحركة العلمية والتأليف فى مختلف العلوم ٠ وأفادت الحضارة الاسلامية من ذلك فوائد جمة ٠

٤ ـ الحضارة اليونانية الرومانية

والمؤثر الاجنبى الثانى هو الحضارة اليونانية الرومانية ٠ واليونان أمة عريقة فى الفلسفة والعلوم والفنون والآداب ظهر فيها أساطين الفكر فى

الحضارة الإسلامية

العالم القديم ومنهم سقراط وأرسطو وانتشرت ثقافتهم في الشرق على أثر فتوح الاسكندر وقيام أسر يونانية حاكمة

في الشام ومصر خاصة ، وفي القرون السابقة على مجيء الاسلام نقل سريان الشام والعراق الى لغتهم السريانية كثيراً من تآليف اليونان في الفلسفة

والطب والرياضة والكيمياء والفلك والجغرافيا ، وعلقوا عليها وشرحوها · ثم انشأوا المدارس لتعليم هذه العلوم في الحواضر الكبرى ومنها انطاكية

وقيصرية ونصيبين والرها ، كما قامت بالاسكندرية مدرسة لتعليم الطب اليوناني وأخرى بجند يسابور في اقليم

خزستان · وبذلك انتشرت الحضارة اليونانية في أقطار الشرقين الأدنى والأوسط · وامتزجت بتلك الحضارة مؤثرات رومانية ولا سيما في تشريع

القوانين وهندسة الطرق الموصلة بين مختلف الأقاليم ·

وتولى العرب بالرعاية والعناية ما آل الى أيديهم من ثمار تلك الحضارات وقطوفها ولم يلبثوا أن قدموا منها للعالم غذاء جديدا · وتناول العرب تراث الحضارة الهلنستية بالبحث والدراسة وكادوا يحققون للعالم فكرة « العالم الواحد » بفضل التعاليم الاسلامية القائلة بأنه لا فضل لعربي

على أعجمي الا بالتقوى ، وبأن « أكرمكم عند الله أتقاكم » ·

وقدمت الحضارة العربية كثيرا من نتاج حضارات اليونان والفرس والهنود

للعالم بعد أن هذبتها وأضافت اليها · فلولا اهتمام العرب بتلك الحضارات

لضاعت معالمها بين ظلمات التعصب المشهور في أوربا في العصور الوسطى ·

ومن الخدمات العربية الخالدة في هذا السبيل ترجمة مؤلفات أرسطو في السياسة والفلسفة والمنطق وجالينوس

وابقراط في الطب ، وبطليموس في


ابن بطوطة


ابن سينا

الفلك والرياضيات ، واقليدس فى الحساب .

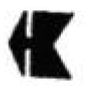
وهكذا جعل العرب اجزاء كثيرة من مؤلفات اليونان وعلومهم فى متناول العارفين باللغة العربية . ومن اجل هذه المؤلفات المترجمة ، والبحوث التى قام العرب انفسهم بتأليفها فى هذه العلوم وفد علماء انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا الى اسبانيا الاسلامية وصقلية ومصر الفاطمية وتعلموا فى معاهدها العلمية .

وهكذا حفظت الحضارة العربية ما وصلت اليه اجيال العلماء الاقدمين فى مختلف العلوم كما اضاف العلماء العرب الى تلك العلوم تهذيبات ومؤلفات جديدة ، وما زالت هذه التهذيبات والمؤلفات تحتل مكانة السبق والابتكار بين مؤلفات الحضارات الاخرى .

ولم يقتصر فضل الحضارة العربية الاسلامية على تهذيب التراث الحضارى والاضافة اليه ، بل اسهمت كذلك بامجادها ودراستها فى وضع الحجر الاساسى للحضارة الاوربية وغيرها من حضارات العصر الحديث . وانتشرت اضواء الحضارة العربية الى اوربا من ثلاثة مراكز رئيسية كبرى هى الشرق العربى ، زمن الحروب الصليبية ، والاندلس ، زمن الخلافة الاموية به . ثم صقلية حيث نشات دولة عربية ظلت حضارتها قائمة بين الصقليين زمنا طويلا بعد زوال تلك الدولة .

وتركت الحضارة العربية فى اللغات الاوربية الفاظا تدل على مقدار ما افادته الحضارات الحديثة من تراث العرب فى شتى العلوم واعظم الامثلة البرهانية على ذلك ان معظم اسماء النجوم فى اللغات الاوروبية فلاتزال تنطق بصيغتها العربية ومنها العقرب والجدى والطائر والذنب والفرقد . ولا تزال المصطلحات الفلكية والرياضية حافظة لصيغتها العربية فى اللغات الاوربية ومنها السمت والنظير والجيب والجبر والكيمياء والصفر ونقلت اوربا ايضا الكثير من بحوث العلماء العرب فى ميدان الطبيعة فنقل روجر بيكون الى الغرب الاوربى دراسات ابن الهيثم ونظرياته فى البصريات وعلم الضوء . اذ قام هذا العالم العربى بتجارب على المرايا الكروية والمثلثة وابتكر طريقة صحيحة لايجاد البعد البؤرى . ويعزى الى ابن الهيثم كذلك التمييز بين الظل وشبه الظل . وافاد من بحوث ابن الهيثم بعد ترجمتها الى اللاتينية العالم الاوربى كيلر ، واتخذها مرجعا اعتمد عليه فى بحوثه الفلكية وعرف ليوناردو دافنشى العالم والفنان الايطالى اعمال ابن الهيثم واستخدمها ايضا .

واستمدت الدراسات الطبية فى اوربا من مؤلفات الاطباء والعلماء العرب ومنهم الرازى وابن سينا والزهراوى ، واعتبروا الرازى حجة فى الجراحة والكيمياء ومن اهم مؤلفاته كتاب « الحاوى » الذى ترجمه الى اللاتينية احد اطباء صقلية وهو ابو فرج بن سالم اليهودى وصار هذا



الحضارة الإسلامية

الكتاب مرجعا فى دراسات الطب فى جامعات أوربا قرونا عديدة .

وكذلك ترجم جيرارد الكريمونى الى اللاتينية كتاب « القانون » فى الطب لابن سينا وظل هذا الكتاب دليل المشتغلين بالطب فى أوربا كذلك حتى القرن السابع عشر الميلادى .

اما الزهراوى فكان من أشهر الجراحين العرب بالاندلس فهو صاحب كتاب كبير عنوانه « التصريف لمن عجز عن التأليف » والجزء الاخير من هذا الكتاب فى علم الجراحة الطبية .

وترجم هذا الجزء الاخير جيرارد الكريمونى كذلك وجعلته جامعة اكسفورد بانجلترا المرجع لدراسة الجراحة حتى القرن الثامن عشر الميلادى .

وعلى هذا النحو اعتمدت جميع قواعد الحضارة الاوربية الحديثة منذ عصر النهضة الاوربية الكبرى واحياء العلوم .

والواقع انه لولا الكنوز العربية الاولى فى الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والفيزياء والبيطرة والزراعة لاستحالت حركة احياء العلوم المشهورة .

ولا يزال كثير من المؤلفات العربية هو المرجع الوحيد الذى يمكن ان تستمد منه أوصاف كثير من بقاع الارض التى كان للعرب الفضل الاول فى ارتيادها .

ومن هذه المراجع الخالدة كتاب البيرونى « وصف الهند » وكتاب ياقوت الحموى « معجم البلدان » وكتاب « رحلة ابن بطوطة » .

ومن هنا نستطيع أن ننتقل الى شرح فضل العربفى ميدان الكشف الجغرافى فكان العرب هم الذين اكتشفوا اسرار الملاحة فى المحيط الهندى وجزر الهند الشرقية وشواطىء الصين ، والراجح انهم بذلوا محاولات لعبور الاطلنطى الى ما هو معروف الآن باسم امريكا . ولا شك ان ما كتبه الجغرافيون الذين عاشوا فى صقلية والاندلس كان مادة استرشد بها البرتغاليون فى كشف طريق راس الرجاء الصالح وخرستوف كولمبس فى اكتشاف امريكا

وقد تفوقت الحضارة العربية الاسلامية على ما سبقها ولحقها من حضارات فى الامور الآتية :

أولا : الغاء نظام الطبقات الجامدة الذى قسم أبناء المجتمع الواحد الى طبقة من السادة والاحرار . والاخرى من العبيد المسلوبة حقوقهم فى الحياة الحرة . ذلك أن الحضارات القديمة قامت على أساس التفرقة بين البشر وانهم مختلفون فيما بينهم فى اللون وحقوق الحياة وطبيعة العمل . وعبر أرسطوطاليس عن هذه النظرية القديمة حيث قال ما معناه ان العبد شىء من المتاع ويشبه أثاث المنزل . غير أن الحضارة الاسلامية أزالت بفضل تعاليم الاسلام السمحة الحاجز العالى الذى فرق بين السادة والعبيد واعتبرت الناس متساوين كأسنان المشط ولا فرق بين شخص وآخر الا بالتقوى والعمل الصالح .

ثم كان تقسيم الناس فى الحضارات القديمة الى اجناس يتفاضل بعضها على بعض من حيث القدرة العقلية والمواهب الشخصية ثم تمادت بعض تلك الحضارات ووضعت حاجز اللون واتهمت اصحاب البشرة السمراء مع اصحاب البشرة السوداء من باب

الاستعلاء والانفراد بجنسيتها وعلى اساس هذه النظرية الزائفة جعلت التفرقة فى الحقوق السياسية والاجتماعية · غير ان الحضارة العربية الاسلامية اغفلت هذه النظريات الباطلة ·

ثانيا – وانفردت الحضارة العربية باحترامها لاصحاب العقائد الدينية المخالفة لها وتركتهم يمارسون شعائرها حسب تعاليمها · وتجلى ذلك

فى نظام التسامح الذى شرعه الخليفة عمر بن الخطاب فى معاملته اهل الذمة وهم اهل الكتاب المسيحيين واليهود لتمتع اهل الذمة بقسط



الاسكندر الاكبر

كبير من الحرية ولم يدفعوا الا الجزية مقابل حماية الدولة لهم ·

ثم انهم خضعوا لقوانينهم الخاصة فى مسائل الاحوال الشخصية حيث تولى رؤساؤهم الروحانيون تطبيقها دون تدخل او ضغط من السلطات العربية ·

ونال اهل الذمة كذلك حق بناء المعابد والكنائس والهياكل الخاصة بكل منهم مع حماية الدولة لها من كل اعتداء ·

وكشفت احوال اليهود خاصة عن مدى ماتمتعوا به من حرية ورفاهية بالقياس الى احوال اليهود فى اوربا منذ ايام الدولة الرومانية القديمة الى القرن التاسع عشر الميلادى ·

ثالثا – كان علماء اليهود والنصارى والصابئة موضع رعاية وتشجيع من جانب السلطات العربية والمجتمع العربى بل كان منهم الوزراء والحكام ورجال الادارة واطباء القصور وغيرهم من ارباب الثقافة التى ساعدتهم الدولة العربية الاسلامية على نشرها بمختلف وسائل التشجيع والمعونات المالية · ومن الادلة الواضحة على ذلك كله انه بينما امتلأت ارجاء اوربا بمشاريع الحملة الصليبية المعروفة بالاولى اتجهت جماعات من جنود تلك الحملة الى كولونيا بالمانيا الحالية واوقعوا مذبحة هائلة باليهود اعتقادا منهم ان الدماء اليهودية خير تمهيد لنجاح القضية الصليبية فى فلسطين على حين كان اليهود انفسهم يعيشون فى المجتمع العربى الاسلامى عيشة راضية ويشتركون فى الحياة العامة

الحضارة الإسلامية

المستراكا فعليا فى كثير من الاضطهاد ·

رابعا ـ العدالة الاجتماعية · وقام آخرون من جنود الصليبيين وهم يخترقون بلاد البلقان الحالية بمذابح متعددة فى السكان المسيحيين اصحاب المذهب الارثوذكسى المختلف عن مذهبهم الكاثوليكى المسيحى وظنوا بذلك أنهم يمهدون لنجاح المسيحية وتوحيد الكنيستين تحت التاج البابوى الكاثوليكى ·

اما المسلمون فعاملوا الكاثوليك والارثوذكس سواء بسواء على انهم جميعا أصحاب كتاب وفى هذا دليل اضافى على عمق مبدأ التسامح العربى الاسلامى نحو أصحاب الديانات الاخرى أينما كانت وفى أى عصر من العصور ·

خامسا ـ ومما هو جدير بأن يكون خاتمة طيبة لهذه المقارنات التاريخية التى لاسبيل الى انكارها أن الحضارة العربية الاسلامية التزمت هذه القواعد السابقة كلها التزاما كريما منذ نزل بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حتى الوقت الحاضر·

واستمرت زعامة العرب فى ميدان الحضارة قائمة دون منازع حتى القرن الخامس عشر الميلادى اذ بدأ العالم يشاهد اذ ذاك انقلابا خطيرا ، قوامه اتجاه أوربا الى سلب هذه الزعامة من يد العرب · واستهل رجال أوربا عملهم فى تلك السبيل فى ميدان الكشوف الجغرافية ، حيث استهدفوا السيطرة على مقاليد التجارة العالمية من أيدى العرب ، والتى كانت مصدر عزهم وقوتهم · اذ ادرك الاوربيون منذ هزيمتهم امام العرب فى الحروب الصليبية أن سر تفوق العرب الحضارى هو سخاؤهم فى الانفاق على العلم وأهله ، واحتفاظهم بكثير من أسباب التفوق العلمى كذلك · ومن ثم اتجهت جهود الاوربيين منذ القرن الخامس عشر الى التغلب على الامة العربية بالعمل على انتزاع هذين المصدرين من مصادر القوة فيها وهما العلم والمال « اى التجارة » · وحاولت البلاد العربية وبخاصة مصر التصدى لهذا الخطر الاستعمارى الجديد ، ولكن البلاد العربية تعرضت الى غزو عثمانى مفاجىء حال دون استمرارها فى الدفاع عن مصادر ثروتها ، ثم انتقال شعوبها بالتالى الى دور خطير من الركود الحضارى ذلك أن الدولة العثمانية التى اصبحت قوة كبرى فى القرن السادس عشر اهلكت امكانياتها فى السيطرة على العالمين الاسلامى والعربى دون أن تدرك الانقلاب الخطير فى ميزان القوى العالمية نتيجة حركة الكشوف الجغرافية الاوربية · وتم للعثمانيين السيطرة على بلاد العالم العربى ، تاركين المجال للأوروبيين فى البحار العربية وتجارتها مع الشرق الاقصى ·

وزاد موقف البلاد العربية سوءا فى الميدان الحضارى ، السياسة التى اتبعها العثمانيون فى الحكم · اذ عمدت السلطات العثمانية الى قتل الحياة العلمية فى البلاد العربية ، حيث نقلت كنوز شعوبها الى القسطنطينية · وتجلى ذلك فى الخطة

التى رسمها السلطان سليم العثمانى بعد فتح مصر ، اذ حمل معه بعد عودته الى عاصمة ملكه عددا كبيرا من علماء البلاد ، وكل ماهر فى فن او صنعة ، كما حمل معه معظم ما كانت تذخر به مكتبات القاهرة من نوادر الكتب والمخطوطات . ولهذا كان من الطبيعى ان تضعف حركة البحث العلمى فى البلاد العربية لضياع مقوماتها ورجالها .

وفرض العثمانيون على البلاد العربية ستارا كثيفا من العزلة ، حجب عنها الاتصال بالتيارات الحضارية التى اخذت تمتلىء بها سائر ارجاء اوروبا . اذ خشى العثمانيون امتداد مخالب الاوربيين الى البلاد العربية ، ورأوا اتباع سياسة الفعام ، بمنع العرب من الاتصال باوربا ، متخيلين ان فى ذلك السلامة لسلطانهم . وكانت هذه الطريقة اسوا حدث فى تاريخ العرب الحضارى ، اذ بينما اخذت اوربا تشيد على مجد العرب الحضارى نهضتها وانطلاقها الهائل فى ميدان البحوث العلمية ، جمدت مجهودات العلماء العرب نتيجة العزلة والضغط العثمانى . وترتب على ذلك تفشى الجهل والركود ، واخيرا الاستسلام للجمود الفكرى ، وهو الشد الذى اصاب المجتمع العربى فى مطالع العصر الحديث وجعله عرضة للاستعمار التكنولوجى .

غير ان طبيعة العرب الابية رفضت الاستسلام لهذه العزلة وادركت بفطرتها السليمة ان العثمانيين فرضوا على البلاد العربية اسوأ انواع الاستعمار المقنع تحت ستار الدين ، وعندما وقع الاصطدام بين القوى الاوربية والدولة العثمانية وامتد هذا الصراع الى اراضى البلاد العربية فى مطالع القرن التاسع عشر افاق العرب الى خطورة ما حل بهم فى ميدان البحث العلمى واتساع الهوة بينهم وبين الاوربيين فى هذا الميدان . واخذ العلماء الذين اتاحت لهم الظروف بالسفر الى اوربا فى مطلع القرن التاسع عشر فى دراسة اسرار هذا التقدم العلمى الباهر ، وعادوا الى بلادهم ينادون مواطنيهم باتخاذ العلم سلاحا لهم ، وأن يشحذوا الهمم فى تلك السبيل دون ما قنوط او يأس .

وكان الاستعمار الاوربى قد استطاع فى ذلك الوقت طرد العثمانيين من كثير من البلاد العربية وحل محلها فى السيطرة على مقدسات تلك البلاد . وتنبه الاستعمار الاوربى الى خطورة هذه اليقظة العلمية عند العرب وعمل جاهدا على وأدها وهى فى مهدها . فأخفى علماء أوربا أسرارهم العلمية عن العرب وبخاصة من سافر منهم فى البعثات الى اوربا ، وتنكروا لفضل العلماء العرب فى بناء النهضة العلمية الاوربية الحديثة .

واتبع الاستعمار هذه السياسة الانانية بوضع مناهج دراسية للبلاد العربية لا تشجع على البحث العلمى ، أو تنمى روحه عند ابنائها . ومن أخطر الاسلحة التى استخدمها



الاستعمار فى تلك السبيل ترويج الاراء الخاطئة عن عدم صلاحية أبناء الامة العربية للبحث العلمى والحد من التوسع فى المدارس الصناعية ، والحيلولة بين القلة الموجودة منها وبين اداء رسالتها التكنولوجية على خير وجه • وظلت البلاد العربية تعانى من التخلف العلمى والتكنولوجى على يد كل من الاستعمار العثمانى والاستعمار الاوربى وذلك طيلة القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالى وهو القرن العشرون •

ومن سوء الحظ ان تلك الآفة اصابت الامة العربية فى الوقت الذى كانت فيه ميادين العلم والتكنولوجيا تتقدم بخطا وهبية وشاسعة بحيث جعلت الفروق ضخمة بين أصحاب التخلف العلمى ورواد التقدم العلمى • وبدأت هذه الفوارق تتضح بصورة جلية منذ الثورة الصناعية الاولى فى أوربا على عهد نابليون وحروبه • اذ كان من نتائج تلك الثورة استخدام القوة الميكانيكية بدلا من العمل اليدوى فى كل من الانتاج وفى وسائل المواصلات ثم دخلت الثورة الصناعية فى أوربا فى دورها الثانى منذ سنة ١٨٧٠ •

وكان من اهم مظاهرها حدوث تحسين كبير فى انواع الانتاج الذى عرفه غرب أوربا منذ الثورة الصناعية الاولى • فقامت مخترعات جديدة ، وتجلى أثرها فى ازدياد انتاج الحديد والصلب واختراع التلغراف والتليفون وتطور استخدام الكهرباء بشكل واسع •

وصاحب هذه الثورة الصناعية فى أوربا ظاهرتان هامتان : الاولى تطبيق العلم فى الصناعة • فأصبحت لاختبارات وتجارب المعامل لها دورها العظيم ، والذى يتزايد بمرور الزمن فى تطوير الكثير من المواد صناعيا ، والافادة من مواد أخرى كانت فيما سبق تعتبر من الفضلات مثل قطران الفحم الذى صار يستخرج منه كثير من انواع الاصبغة والمتفجرات والعقاقير • اما الظاهرة الثانية التى صاحبت التطور الصناعى فهى أن التكنولوجيا صارت عنصرا هاما فى انطلاق الانتاج وما اقتضاه من ظهور رءوس الاموال الضخمة وبحثها عن أسواق ومستعمرات للاستثمار • وترتب على ذلك أن انتقلت أوربا من عهد الاستعمار القديم القائم على القوة العسكرية الى الاستعمار الجديد المستند الى العلم والتكنولوجيا •

أدركت الامة العربية منذ ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ان الكفاح ضد الاستعمار الجديد ليس بالسلاح فقط، ولكن بالعلم كذلك ، وانه لابد من تحقيق ذلك عن طريق سليم نحو التقدم العلمى والتكنولوجى • لتعويض أسباب التخلف فى الماضى •

اذ فات الشعب العربى تطوران هامان من اكبر التطورات والتى اثرت فى الجنس البشرى كله ، هما تطور البخار والكهرباء وحينما كان العالم يدخل عصر البخار كان العرب لا يزالون تحت سيطرة أوهام القرون الوسطى وحينما جاء عصر الكهرباء كانو

على الخطوات الاولى بعيدا عن هذه الاوهام • لهذا فاتهم الكثير من الثمرات الهائلة التي حصلت عليها دول سبقتهم الى المدنية واستطاعت ان تحصل من هذين التطورين على كل الفوائد الممكنة • ومن ثم واصلت هذه الدول المتميزة خطاها بطريقة طبيعية الى التطور الكبير ، بل الثورة الكبرى التي اشرق فجرها على العالم ببداية عصر الذرة وعصر الفضاء •

ولقد بذل العرب الكثير من



أرسطو

التضحيات ، ودفعوا الكثير من الآلام لانهم تخلفوا عن تطورين سابقين هما البخار والكهرباء ، ولكن ذلك كله لا يقاس بما يمكن ان يتعرضوا له اذا فاتهم الفجر الجديد الذى اشرق على الدنيا •

لقد كان يمكن فى الماضى ان يتخلف الشعب عن التطورات الكبرى ثم يسمح له بأن يبقى موجودا على الارض • وصحيح أن هذا الوجود فى ظل ذلك التخلف لم يكن مثالا أعلى للحياة ، ولكن هذه المرة يختلف • ان الذين يتخلفون عن الفجر الجديد سوف يغامرون بحقهم فى الوجود • ولقد كان يمكن أن يوجد الجمل والسيارة فى وقت واحد ، ولكن الجمل لايمكن اطلاقا أن يكون له وجود فى عصور الصواريخ •

هذه هى صورة المشكلة التى يواجهها العرب اليوم ، فضلا عن أن هناك نتائج سياسية كبرى سوف تترتب عليها • ذلك أن الفارق بين الدول التى تساير التطور الكبير القائم ، والدول التى تعجز عن مسايرته سوف يكون اكبر بكثير من الفارق بين دول الاستعمار والشعوب التى رضخت تحت طغيانه •

ان المعرفة ستكون فى العصر القادم هي القوة الحقيقية ، هى الحرية الحقيقية •

ان العلم يتقدم بسرعة مذهلة وعلى الامة العربية أن تسارع الى موكبه وتصنع لنفسها مكانا فى موكبه •

لم يعد يكفى العرب المباهاة بأنهم حفظوا علوم الحضارة وافكارها ، بينما كانت أوروبا غارقة فى ظلام القرون الوسطى ، ثم سلمنا التراث اليها فى مطلع عصر النهضة وذهبنا نغط فى نوم عميق •

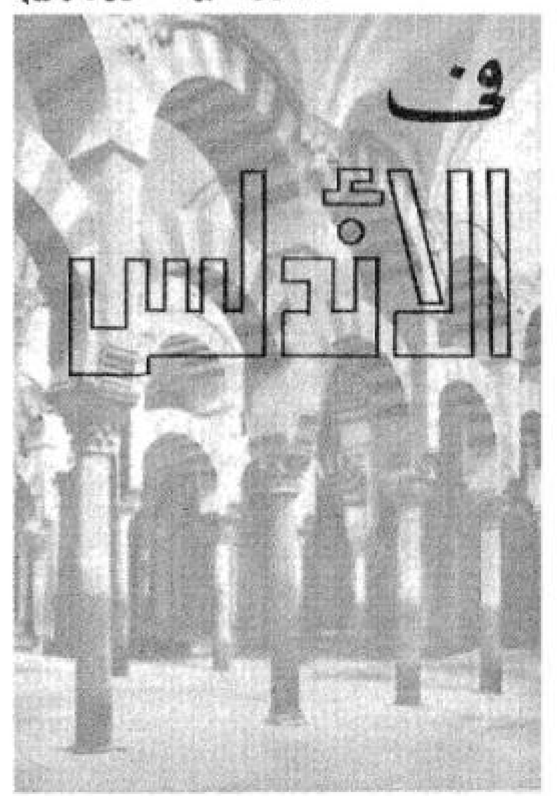
ولم يعد يليق بآمالهم ان يعيشوا عالة على الآخرين ، وما عاد يليق بهذه الآمال ان تتعلق بالماضى ، وانما عليهم ان يتحولوا الى قوة خلاقة تأخذ من الآخرين ، ولكنها تعطيهم وتسهم فى صنع المستقبل بطريقة ايجابية بناءة ، وأن يعدوا انفسهم فى هذا السبيل لرحلة طويلة لانهاية لها ، فان العلم والفكر يسيران الى الابد من غير حد او نهاية •





حين هبط طارق بن زياد اسبانيا في يوليه من عام ٧١١ م ، قائدا لحملة من المسلمين لا تتجاوز ثمانية الاف مقاتل ، ليدفع بالحضارة الاسلامية فيما وراء المضيق الذى حمل اسمه الى الابد ، لم يكن يدفع بنفسه وبجنده في مغامرة غير مدروسة ، او مجهولة العواقب ، ولم يكن طالب غنائم ، او باحثا عن أسلاب ، كما يحلو لبعض المؤرخين ، عربا واجانب ، ان يرددوا في سذاجة بالغة ..

كان يعرف جيدا ، وليس بقريب



على المنطقة ، طبيعة الارض التي سوف يتحرك فوقها ، نظاما ومجتمعا بشرا وحكاما ، ولقد مضت على حملته قرابة الف ومائتين وخمسة وستين عاما ، ومازال الطريق الذى سلكه في حملته العسكرية افضل الطريق للهجوم على اسبانيا من الجنوب • وحين غزا الجنرال فرانكو وطنه عام ١٩٣٦ ، قادما من المغرب ايضا ، ليقضى على الجمهورية ، وليقيم نظامه الفاشى • لم يجد — رغم تقدم الاسلحة — افضل من خطة طارق تلك ، فاهتداها خطوة خطوة ، هبط الجزيرة الخضراء ، وتقدم الى اشبيلية ، ومنها الى طليطلة ، ودفع بفرقتين من جيشه، واحدة شرقا نحو قرطبة واخرى غربا وجهتها بطليوس وماردة وهى ملاحظة لم تغب عن ذكاء الخبراء العسكريين العالميين •

لم يجد المسلمون فى البلاد المفتوحة حضارة متكاملة ، وانما بقايا حضارات غاربة ، تعيش منعزلة منزوية ، وعناصر متعددة ، كل واحد منها يخشى الاخر ، ويستعبد القوى منها الضعيف . كان هناك السكان الاصليون ، يعودون الى اصول بعيدة ، معروفة وغير معروفة ، سلتية وايبيرية وفينيقية وافريقية ، تابعوا سير الحياة خلال الحكم الرومانى ، ولم يترومنوا الا قليلا وسطحيا ، وحافظوا على وجودهم خلال الحكم القوطى ، تعيش غالبيتهم فى السهول والوديان رقيقا مرتبطا بالارض ، ولاذت قلة منهم بقمم الجبال ، تقاوم سلطان الغزاة ، وتنجو بنفسها من قهر العبودية •

وكانت هناك طبقة الحكام ، رومانا غرباء ، ثم جرمانا متوحشين ، واعنى بهؤلاء الوندال ، واليهم نسب المسلمون اسبانيا بعد تحريف بسيط . ولم يبقوا فى اسبانيا غير قرابة نصف قرن ، اتوا على ما فيها خرابا وتدميرا • ثم جاء القوط ، وهم مثل الوندال ، من اصل جرمانى تحضر شيئا ، هبطوا اسبانيا جيشا عسكريا لا يزيد عدده على ٣٠٠ر٠٠٠ مقاتل ، اختار لاقامته اشد مناطق اسبانيا ازدحاما بالسكان ، وكان يمكن ان يذوبوا بين بقية الطوائف ، ولكنهم حكاما حافظوا على امتيازاتهم ، ونقاء عنصرهم ، وظلوا اوفياء لرذائلهم وصلفهم ، يحبون اللعب ، ويدمنون النبيذ ، عنيفين قساة ، واحتفظوا بروحهم الحربى حتى اللحظة التى

مسجد قرطبة الكبير واطلال طليطلة ما زالت باقية تحكي قصة الامبراطورية العربية ...



التقوا فيها مع طارق ، بقيادة ملكهم لذريق ، في جيش يتجاوز المائة الف عددا ، على حين لم تتجاوز قوات طارق المهاجمة اثنى عشر الفا .

في هذا العصر القوطي ، ودام من ٤٧٦ الى ٧١١ م ، بدأت اسبانيا تتخذ شكلا اقطاعيا ، تجلس الاسرة المالكة على قمته ، وحولها كبار رجال الدين ، والنبلاء والفرسان ، وتحتها طبقة رقيقة من التجار ومهرة الفنانين ، وأغلبهم من اليهود ، مهددة دائما ، ولا حول لها ولا طول ، تعمل في خدمة الطبقة العليا ، ومن تحتهم بقية الشعب ، مجردة واقعا وقانونا من كل الحقوق الانسانية ، فهم يعملون عبيدا في الارض ، وارتبطوا بها رقيقا ، يباعون معها ، وليس لهم حق الهجرة ، او الانتقال أو الراحة أو الزواج او الانجاب الا باذن السيد نفسه .

هذا العصر القوطي بكل اعوامه ، لم يخلف وراءه حضارة متميزة ، في أى جانب ، لا نعرف له كتابة ولا ثقافة ولا أدبا ، والمكتبات القليلة ، ولدينا عنها اشارات شاحبة ، ويتحدث عنها الباحثون افتراضا ، لم يصلنا أى شيء منها ، ويظن انها كانت ملحقة بالاديرة ، غير اننا لا نعرف أسماء هذه الكتب ، أو محتواها ، وان كان يرجح ، في ضوء ثقافة الكنيسة ورجال الدين في تلك الأيام ، انها كتب دينية ، أصولا أو شروحا عليها متأخرة ومتخلفة .

غير أنه — للمرة الثانية — لم يصلنا أى من هذه الكتب ، ولم تحاول الباحثة الاسبانية مثيلدة لوبث سرانو أن تعترف بحقيقة هذا التأخر ، أو تجد تفسيرا علميا لهذه الظاهرة . حين عهد اليها ان تكتب الجزء الخاص بالعصر القوطي ، في سلسلة «تاريخ اسبانيا» ، التي كان يشرف عليها ويوجهها العالم الاسباني الكبير منيندث بيدال ، فاختارت أسهل الطرق للهروب ، أن تتهم العرب في اصرار وقح ، لم يقل به أحد قبلها ، ولم يشاركها باحث فيه ، ولا ادرى كيف اجاز مؤرخ اسبانيا الكبير ، وتتسم دراساته بالموضوعية ، بمثل هذا الاتهام الكاذب تلقى به صاحبته ، دون أن تقدم بين يديها دليلا واحدا تعتمد عليه ، على حين تقف ضدها كل الوثائق القديمة والمعاصرة . عندما لم تجد الدكتورة مثيلدة تراثا ثقافيا لوطنها خلال العصر القوطي قالت — لا نغش قولها — حرفيا : « لكن الفتح العربي دمر كل (لاحظ كل) المكتبات القوطية ، فاختفت معها مخطوطات بذلت فيها مجهودات كبيرة ، ولا تسمح لنا الاعوام الطويلة من الحرب والحرائق والنهب أن نعرف بقاياها الجليلة الا بالكاد ، وهي على أية حال قليلة لا تتجاوز اثنى عشر مخطوطا » .

في مجتمع كهذا تقوم الحياة فيه على سطوة القوى — وترتفع بين طبقاته المختلفة حواجز قوية فاصلة ، قد تلتقي بفرسان شجعان ، وامراء اقوياء ، ونبلاء قساة ، لكنه لا يفرز حضارة متكاملة ، تكون من الجميع خلقا وابداعا ، ولهم كلهم عائدا ومصلحة ، يسهمون معا في بنائها ، وتحملهم جميعا الى حياة افضل

وارقى ، لتنمى فى أعماقهم روح المواطنة ، وتغرس فى وجدانهم حب الوطن . ولأن الدولة كانت تفتقد هذا كله ، انهارت امام المسلمين الوافدين ، فى سرعة خاطفة ، كما لو كانت قلاعا من ورق .

●●●

أول ما غرسته حضارة الاسلام فى هذه الارض الجديدة أن الناس جميعا سواء امام القانون ، لا عدوان ولا ظلم . لاتبعية ولا قهر . وأن حرية العقيدة مكفولة ، وكل مواطن آمن على نفسه وأهله وماله ، والناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى . ولم يكن الطريق الى ارساء هذه القواعد عملا سهلا ، فقد تدفق على الاندلس غداة الفتح سيل من البشر ، الى جانب ما كان يضطرم به من عناصر وأجناس ، عرب جاءوا من المشرق ، وبربر من شمال افريقية ، يتشعبون فى قبائل عديدة ، فيهم من حسن ايمانه ، وحلصت نيته ، ومن جاء يحلم بالثراء الواسع والجاه العريض .. ولكنهم جاءوا فرادى دون نساء ، وفى اسبانيا نفسها تزوجوا من اسبانيات أسلمن ، أو ظللن على دينهن ، حرائر أو رقيقا او بنات الطبقة العليا الهاوية ، فغدت فى زمن قصير أسر مزدوجة ، الاب عربى أو بربرى ، والام لاتينية أو قوطية ، أو من جنس آخر اتخذ الاندلس مقاما ، وأدى هذا الزواج المختلط الى سقوط الاسوار العالية التى كانت تفصل بين الطبقات والعناصر المختلفة ، وأعطى المسلمون الطيبون المثل رائعا وعاليا فى تواضعهم وانسانيتهم واخلاصهم ، وبهذه القدوة مضوا بالاسلام بين بقية السكان ، فاقبل الناس على اعتناقه افواجا وسراعا ، واصبحوا ، وابناؤهم من بعدهم ، مسلمين مخلصين ، ذادوا عن الاسلام فى حمية وحماسة ، وتمسكوا فى مواجهة ظروف قاسية ، واسهموا بجهد قوى وفعال فى ازدهار حضارته على ارضهم ، ومن هنا فلست ارى القول « بالفتح العربى » او « الحضارة العربية » فى الاندلس تعبيرا دقيقا من الوجهة التاريخية ، والاوفق ان نقول عنها « الفتح الاسلامى » و « الحضارة الاسلامية » ، لان الشعب الذى صاغها فى شكلها الجميل الذى سنعرض له ، كان فى جملته شعبا غير عربى

●●●

فى البدء تدافعت هذه العناصر بقوة تنافسا واختلافا واقتتالا ، وأوشك ذلك أن يذهب بروعة العمل الذى قام بطارق وأتمه من بعده موسى بن نصير ، لولا أن فتى أمويا ، طويل القامة ، نحيف الجسم ، أقنى الانف ، أشقر الشعر ، يدعى عبد الرحمن بن معاوية ، وصل الاندلس فى رحلة شبه اسطورية ، سوف يغير على بطحاء الجزيرة مسيرة التاريخ .

كان عبد الرحمن بن معاوية ، او الداخل على نحو ما سيعرف فيمابعد ، الوحيد بين أعضاء البيت الاموى فى المشرق ، الذى افلت من سيوف العباسيين ، القى بنفسه فى نهر الفرات ، وقطعه سباحة ، وبعد لأى اجتاز سوريا وفلسطين ومصر وصحراء ليبيا وتونس وبلاد المغرب ، يتنقل من قبيلة الى قبيلة ، ويهبط مدينة ليصعد اخرى ، بغير مال ولا صديق ولا معين ، حتى القى عصا التسيار فجأة فى هذا الركن القصى من الامبراطورية الاسلامية ، وأرسى قواعد أول حضارة اسلامية راقية فى هذا الجانب من أوربا ...

اتخذ عبد الرحمن الداخل من قرطبة عاصمة ، وكان مولعا بالعمران ، فأمر بتشييد مجرى يحمل المياه العذبة الى المدينة ، ويقوم بتوزيعها على المنازل والحدائق والنافورات والحمامات ، وبيات قرطبة تعرف ايضا نظاما شبيها بنظام المجارى في عصرنا الحديث ، يحمل مخلفات المياه والامطار والفضلات في قنوات الى خارج المدينة ، يقوم على تنظيفها عمال من قبل الدولة ؛ يدقون الاجراس تنبيها للمارة كي يبتعدوا ٠ وكانت قرطبة شأنها في ذلك شأن اية مدينة اندلسية كبرى ، تضم خارج أسوارها حدائق واسعة ، يطلق عليها اسم : « الشريعة » ، مخضرة ، وذات خمائل ، وتستخدم لاغراض عديدة ، وعلى جانبها يقوم « الحور » ، طريق ممتد تحفه الأشجار العالية ، ويتخذه المتنزهون والعشاق والمتبطلون ملتقى لهم ٠

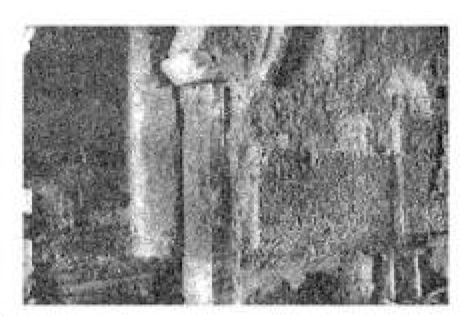
وتبلغ حضارة الاسلام في الاندلس أوجها في القرن العاشر وتصبح قرطبة أعظم مركز للثقافة في أوربا كلها ، وتضارع كلا من بغداد والقاهرة، وطبقا لما وصلنا من احصاءات ، تجاوز تعداد سكانها المليون ، وكان فيها مائة وثلاثة عشر الف مسكن ، وواحد وعشرون ضاحية وسبعون مكتبة ، وعدد لا يحصى من المساجد والقصور وحوانيت الكتب وفيها أميال من الطرق المرصوفة ، تتضاء من بيوت تقوم على حدود الشوارع ، وعلى حين لم تكن تتمتع بمثل هذا لندن أو باريس حتى بعد سبعة قرون من ذلك التاريخ ٠ وبعد ذلك بقرون كان الذي يجرؤ على الخروج من عتبة بيته في باريس في يوم مطير يغوص في الوحل الى عقبيه » ، وفي الوقت الذي كانت فيه جامعة اكسفورد ترى أن الاستحمام عادة وثنية ٠

وكان للخاصة ، أو الطبقة العليا ، بيوت ريفية ، تقوم وسط جنان ممتدة وعامرة ، يطلق عليها اسم « المنية » ، فاذا كبرت واتسعت اطلق عليها اسم « حير » ، وتفتح عادة في وجه الراغبين من عامة الشعب ، واشهرها في قرطبة حير الزجالي ، وتملكه أصلا أسرة بربرية ، وتميز بأنه كان يفتح في وجه العامة من المثقفين والاذكياء وأصحاب الذوق الرفيع فحسب ٠

وخارج المدن تقوم «المشافي» للمرضى الذين يستعصى علاجهم ، او يبطىء ، او مصابين بامراض معدية ، في حي يقوم بنفسه ، يطلق عليه اسم « ربض المرضى» وتقوم عليها جماعات متطوعة انفاقا وانفاقا ، مما تتلقاه من اهل الخير ، أو مما يوقف عليها من مال او أرض او عقار ٠

●●●

وكانت المعرفة تحتل المكانة الاولى من حضارة الاندلس، وكان يكتب في قاعات الدرس الكبرى بحروف من ذهب : « يقوم العالم على أربعة عمد : علم الحكماء ، وعدل الاقوياء ، ودعاء الصلحاء ، وشجاعة الفرسان » ، وباستثناء حالات نادرة يكون فيها الاب دون أن ينتسب في أية طبقة اجتماعية ، وفي ظروف بائسة للغاية ، فان الاب يقدم لاطفاله ، بنين وبنات ، تعليما ابتدائيا منذ صغرهم ، يأتى لهم بالمدرس الى البيت اذا كان قادرا ، أو يرسل بهم الى « الكتاب » الاقرب الى مسكنه ، ويجمع « المعلم » أو « المؤدب » عددا محدوداً



اطلال الزهـــراء .. من آثار العـرب في بلاد الاندلس . . .

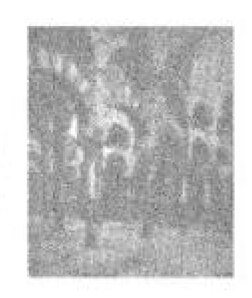
من الاطفال في مكان صغير ، مفتوح على الشارع ، يطلق عليه اسم « المصرية » يدرس لهم بأجر ، أو بدونه ، برنامجا معروفا ، تحدده التقاليد ، وتخضع هذه المدارس الابتدائية لاشراف الدولة، والى جانب هذا التعليم الاهلي ، وهو بمصروفات في الاعم ، تقـوم المدارس المجانية ، وينفق عليها من ريع الحوانيت والعقارات والاراضي الموقوفة . ولم تكن الدولة تتدخل في شكل التعليم او برامجه مادامت لا تستهدف نشر افـكار ضارة بأمن المجتمع وهدوئه . ولقد تحقق في الاندلس المثل الذي نطمح اليه الآن في أن يكون التعليم مجـانا وأجبـاريا ، مجانا لان العاجزين لم يكونوا يحرمون منه لعجزهم ، واجباريا بضـغط من المجتمع نفسه ، دون حاجة الى قانون يشرع، فقد كان التجار وأصحاب الحرف والصـــانع يرفضون ان يقبلوا في حوانيتهم عمالا لا يعرفون القــراءة والكتابة ، وحتى ولو كانت مهنهم لا تحتاج اليها . فاذا بلغ الطفل سـن الحلم انتقل الى مصنع أو متجر ليعمل، أو يواصل تعليمه العالي اذا سمحت له ظروفه بذلك .

وفي التعليم العالي يحضر الطالب المواد التي تعجبه على الاســتاذ الذي يطمئن اليه ، ويقرأ من الكتب ما يراه نافعا ومفيدا ، ويتعمق في الـــدرس بالقدر الذي يسمح له به ذكاؤه ورغبته وامكاناته . وكان هنـــاك الطلاب « المنتسبون » أيضا ، اذا صح لنا أن نستخدم هذا المصطلح العصري جدا ، وهم أولئك الذين لا تمكنهم ظروفهم من حضور الدرس ، فيعتمدون على الكتاب حتى اذا وثقوا من أنفسهم تقـــدموا للاستاذ ليجيزهم .

ويرى المستشرق الهولندي دوزي،وقد وقف حياته على دراسة تاريخ الاندلس أن الامية كانت نادرة ، والثقافة شائعة، ويقص علينا ابن بشكوال في كتـــابه « الصلة » انه كان في سوق قرطبة باعة عنب وتين يستطيع الواحـــد منهم أن يقرأ من الذاكرة أمامك كتاب « معاني القرآن » لابي جعفر النحاس .

●●●

وكانت الدولة تعتمد في معظم دخلها على المكوس التي تفرضـــها على الصادرات والواردات ، واصـــبح الاندلس في عصر الخلافة من أغنى دول أوربا وأكثرها ازدحاما بالسكان، وتقوم الدولة على صناعة النسيج والاتجار فيه وتراقبها ، وكانت تحتل جانبا هاما من نشاط الناس ، ومن اتساع المدينة ، وتفخر قرطبة العاصمة بأن عمـــال النسيج بلغ عـــددهم ثلاثة عشر ألف عامل ، وتباع الاقمشة نسيجا لمن يحب أو ملابس جاهزة . وعلى هذا النحو من الاتساع كانت صناعة الجلود صـــياغة وعملا ، وبلغت شهرة عالية على امتداد العصر الوسيط ، حتى أن الكلمـــة الفرنسية الخاصة بصانع الاحـــذية Cordonnier اخذت من لفظ قرطبة في صورته الفرنسية Cordoue ، وتخضع هذه الصناعة بدورها لرقابة الدولة ، وتعكس في اشكالها والوانهـا قدرا من الترف المصقول الذي كان لدى الاغنياء والقادرين وعامة الناس .



وبلغت صناعة الفخار ، الى جانب صناعة الزجاج ، قدرا عاليا من التقدم .. وكان عباس بن فرناس ، قرطبي من القرن التاسع الميلادي ، أول من اكتشف اسرار صناعة الزجاج ، واشرف بنفسه على اقامة مصانعه وافرانه في قرطبة ، وكان الى جانب ذلك شاعرا مجيداً . وفيما بعد تركزت صناعة الفخار في بلنسية ، ولا تزال عامرة بمصانعها حتى يومنا هذا .

ومع نهاية القرن العاشر بدا الاندلس يحتل مكانة عالية ، تفوق بيزنطة ، في صناعة الجواهر ، من عقود وخواتم ومعاصم مرصعة ، وفي تزيين الجلود ، وصنع التماثيل من العظم والعاج والخشب ، واصبحت طليطلة مركزاً عاليا لصناعة السيوف ، ولا تزال تحتفظ بهذه الصناعة ، وأدخل المسلمون الى الاندلس تربية دودة القز ، وهي في الاصل احتكار صيني ؛ فازدهرت صناعة الحرير .

وأدخل عرب الاندلس طرق الزراعة التي كانت معروفة في مصر وغربي اسيا . فحفروا القنوات ، وغرسوا الكروم ، وادخلوا كثيرا من النباتات والفواكه ، ومن بينها الارز arroz والمشمش ، والبرقوق alborcoque والخوخ ، والرمان ، والبرتقال ، وقصب السكر ، والقطن algodon (في الاسبانية القديمة Coton) .. والزعفران . ولقد كان هذا الرقي الزراعي أحد مفاخر اسبانيا الاسلامية، واحدى النعم الخالدة التي اغدقها المسلمون على الارض . ولا تزال الحدائق حتى يومنا هذا تحتفظ بطابعها الاسلامي ، وتخلف الكثير من عادات المسلمين في الري والغرس والادوات واللغة بين الاسبان مثل : الساقية acequia ، والبركة alberca والجب aljibe والناعورة noria ، والقادوس arcaduz والسدة azuda وغيرها .

وكان انتاج الاندلس في مجال الزراعة او الصناعة يزيد على حاجة الاستهلاك المحلي (كان تعداد السكان يزيد على ٣٠ مليونا) فعمد الى تصدير الفائض ، وكانت اشبيلية ، وهي ثغر هام على نهر الوادي الكبير، مركز تصدير القطن والزيتون والزيت ، واستيراد الاقمشة من مصر ، والقيان من اوربا ، وكانت مالقة وهي ثغر هام على البحر الابيض المتوسط تصدر الزعفران والتين والرخام والسكر .. وكانت الحاصلات الاندلسية تاخذ طريقها الى الاسواق العالمية عن طريق الاسكندرية والقسطنطينية حتى تصل الى الهند واواسط اسيا . وكانت حركة التجارة اشد نشاطا بصفة خاصة مع دمشق وبغداد ومكة .

وكانت الحكومة تشرف على ادارة منتظمة للبريد ، يعمل فيها رجال من السود عادة ، لانهم اشتهروا بالقوة والاحتمال ، والقدرة على العدو ، وكان يطلق على الواحد منهم في اللغة الادارية اسم « الرقاص » . وكانت الرسائل توزع بانتظام داخل المدينة ، وبين المدن المختلفة ، وحتى خارج الدولة .

●●●

وكان للبيوت حرمة ، لا يصح لاحد من غير اهلها دخولها للتفتيش ليلا او نهارا الا بامر من القاضي ، ولا تفتش دار لا يوجد صاحبها فيها ، وانما تغلق ويتحفظ عليها الى ان يعود ، وتفتح بحضرته ، واذا القت الشرطة القبض

ليلا على أحد فى الشارع لظنة فيه ، فلا يوضع فى السجن ، وانما يتحفظ عليه فى فندق الى ان يطلع الصباح ويعرض امره على القاضى ، ويخضع السجن لتفتيش القاضى مرتين أو ثلاثا فى الشهر ، ليتأكد من المعاملة الانسانية التى تقدم للمساجين ، ولم يكن مسموحا بضربهم أو اهانتهم أو حبسهم متفرقين .

وكانت هناك وظيفة جليلة ، يطلق على صاحبها اسم المحتسب، وله أعوان كثيرون، ومهمتهم مراقبة تنفيذ القوانين ففى الاسواق يطلبون من الباعة أن يلتزموا بالاسعار المحددة ، ويراقبون المكاييل والموازين ، ونظافة المواد المعروضة للبيع وعدم غشها ، ويتأكدون من أن الباعة لم يتركوا وراءهم أوساخا او نفايات . ويراقبون السفن فى المياه حتى لا تحمل اكثر من طاقتها، ويمنعون الناس من القاء الزبالة والاقذار على شاطىء النهر ، ويمتد نشاطهم الى المصانع ليتأكدوا من حسن رعاية صاحب العمل للعمال ، ومن نظافة المكان الذى يعملون فيه ، وموائمة الاجر لنوع العمل ، وتحقيق المواصفات المطلوبة فى الانتاج ، والحيلولة دون غش المستهلك ، وفى داخل المدينة يراقبون النظافة العامة ، والحق أن مهمتهم كانت تمس كل ما من شانه ان يجعل الحياة اكثر امتاعا ، واقل عناء .

●●●

وفى مجتمع لم يعرف المسرح كان الرقص والموسيقى والغناء من اكثر مباهج الحياة شيوعا ، واذا صدقنا الشعراء ، أو حتى جانبا مما يقولون ، لم تكن هناك حفلة ولامهرجان لا يضم هذه الالوان الثلاثة . وترك لنا ابن حزم فى كتابه « طوق الحمامة » ، وابن بسام فى كتابه « الذخيرة » وصفا شائقا ومفصلا لبعض الحفلات التى كانت تقام فى بيوت الخاصة . حفلات ما يكاد المدعوون فيها ينتهون من تناول الطعام على انغام الموسيقى حتى يبدأ الغناء والرقص ، والعازفون من الرجال والنساء . وشهرت من بين انواع الرقص العديدة رقصة ترتدى فيها الراقصات ملابس الغلمان ، ويمتطين خيولا صغيرة من خشب ، معلقة باطرافها العليا ، وطبقا لنظام معين تأخذ الرقصة شكل معركة حقيقية، يكرون ويفرون ويحاورون .

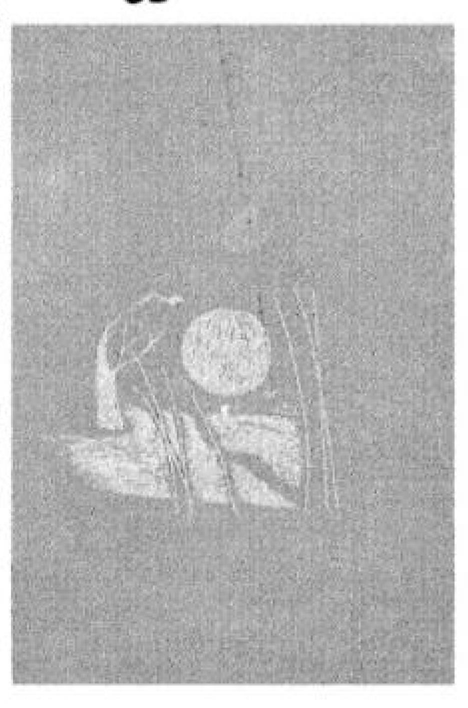
وثمة حفلات اكثر بساطة وشعبية وانتشارا ، تكون الراقصة فيها وحدها، أو مع اخريات ، يرقصن بالصاجات على انغام البوق، وتستمر هذه الحفلات حتى الصباح ، ويطلق عليها اسم « سمر » ، وبقى لها الاسم حتى أيامنا هذه ، واخذ فى اللغة الاسبانية صورة Sambra ، ويحمله اليوم اعرق وارقى مكان للرقص التقليدى فى مدريد .. واشتهر من بين الراقصات اولئك القادمات من مدينة قادس ، ولراقصاتها شهرة تاريخية عريقة ، وهو تقليد قاوم الزمن ، واستعصى على الفناء وأصبح من خصائص الاندلس ، دولة اسلامية ، أو مقاطعة اسبانية فيما بعد سقوط دولة الاسلام .

●●●

فى القرن العاشر الميلادى كتبت راهبة سكسونية تدعى روزفيتا Hroswita ، تقيم فى دير منعزل بالمانيا ، قصيدة عرضت فيها لقرطبة عاصمة الخلافة ، فوصفتها بأنها « جوهرة العالم الساطعة ، مدينة جديدة ورائعة ، فخورة بقوتها ، شهيرة بمباهجها ، زهوة بما تملك من خير وفير » . ومنذ ذلك التاريخ ولت أوربا كلها وجهها شطر الاندلس ، تتعلم منه، وتستشفى على يد اطبائه ، وتبحث عن المتعة والبهجة والقدوة فى حياته ، وتتحسس طريقها نحو القوة عن طريق المسلمين، وما تعلمته أوربا من الاندلس كثير ، وكان وراء عصر النهضة بكل امجاده ، والحديث عنه يطول .

د . حسين مجيب المصري

الحضارة التركية



قبل التصدي لهذا الموضوع ، نرى من الخير بل من المحتم ان نمهد له معرفين بالترك على المفهوم الادق الاصح ، ففي نظرنا ان اسم الترك لا يصدق تماما على مسماه عند الكثرة من المثقفين غير المتخصصين .

فالترك شعوب عدة تسكن قلب القارة الاسيوية في منطقة مترامية الارجاء تمتد بين مشارق الصين شرقا وساحل البحر الابيض المتوسط غربا ، كما يحيط بمواطنهم بحر قزوين وجبال الطاى واورال والتبت . وهم عند علماء الاجناس من الجنس التورانى المعروف باورال الطاى ، فبينهم وبين المغول والمجر والفنلنديين نسب . ولقد تنبه ابن خلدون الى صلاتهم بغيرهم من الشعوب فذكر ان الفنلنديين من الجنس التركى . وان دل ذلك على شيء فهو قاطع الدلالة على ان الترك جنس من الناس يجمع شعوبا كثيرة تنتشر في الارض طولا وعرضا .

اما اذا مضينا آخرا فى تاريخهم للتعرف اليهم فى حضارتهم الاولى ، فلنا ان نأخذ بالرأى القائل ان السومريين من الجنس التركى . وهم الذين ارتحلوا فى الالف السادس قبل الميلاد الى حوض دجلة والفرات حيث حسن المستقر لهم وشادوا حضارة زاهرة من حضارات العالم القديم . ويذهب بعض العلماء الى ان تماثيل السومريين تحمل الملامح التركية الاصيلة . وكذلك كل ما رسم فنانوهم من تصاوير وتهاويل . وقد

توفر أحد الباحثين من الاتـــراك المحدثين على دراسة لغة الشومريين، فأفضى به طول البحث ودقة الفحص الى الكشف عن حقيقة علمية عـلى جانب من الاهمية ، وهى أن نحـو مائتى أصل من أصـول الكلمـات فى لغة الشومريين ، مازالت فى لغـة الاتراك المحـدثين ·

كما قيل ان الحيثيين شعب مـن شعوب الترك التى نزحت عـن وسـط آسيا نحو الغرب منذ عهد سحيق قبل التاريخ واستقر بهم المقام فى آسـيا الصغرى وسموا عاصمتهم حاتوساس عام ١٢٠٠ قبل الميلاد · وحضـارتهم فى آسيا الصغرى فى عداد الحضارات القديمة ·

ولكن علينا أن نتحفظ فى تلقى مـا يذهب اليـه بعضهم مـن أن الترك الاقدمين هاجروا الى مصر فى عهد الفـــراعنة وسكنوا وادى النيـل ، وجاءوا بمالوم من حضارة فى أواسط آسيا وكان لهم الفضل فى تعـــليم المصريين ما لم يعلموا من مظاهرها والمراد بهؤلاء الترك هم الهكسـوس أو الرعـاة ·

ويعد هذه الشعوب التى قد يخامر بعض الباحثين شىء مـن الشـك فى تركيتها ، وايثـــار منا للاهم على المهم ، فى الامكان تقسيم الـــترك قســمين بالجلاء الاتم : كوك ترك والاويغـور ·

وكان لكوك تـرك مملكة فى القـرن السادس الميلادى ترامت اطرافها حتى وسعت التركستان وانتظمت منغوليا ، وهم شرقيون وغربيون أمـــا الشرقيون ، فـبب دبيب الضعف فى دولتهم وتصدع كيانهم وذهبت ريحهم حتى دانو للصين عام ٦٣٠ م ·وداموا على هذا من حالهم الى أن قـــام فيهم من يدعى قوتلوغ قاغان وكـان سديد الراى شديد البأس ، فتأتى لـه أن يسترد لقومه المسلوب من حقهم · فشق عصا الطاعة للصينيين وكره أن يكونوا للترك من الحـــاكمين ، فاستقلوا بشأنهم حقبة من الدهر الى أن انقطع ذكرهم عام ٧٤٤ م ·

أما الغربيون ، فانعقـدت الصلات بينهم وبين الصين وفارس وبيزنطة ، ويمكن القول ان هـذه الصـــلات فى حقيقة الامر انما كانت بينهم وبين تلك الشعوب المتحضرة من جهة ، كمـــا كانت بين بعضها وبعضها الاخر من جهة أخرى وما من ريب فى أن هـذا مهيىء لتبادل مظاهر الحضارة متيح للتأثير والتأثر · وغنى عن البيـــان أن اختلاط الشعوب مؤد حتمـــا الى استعارة أسباب الحضارة بينهـــا · ففى الطبع الانسانى ميل فطـرى الى التقليد والتجـديد ·

وعلى أساس من هذا نـرى للترك فضلا فى توثيق العرى بين شـرق آسيا وغربها مـــدة مديدة كانت فى القرن الخامس بدايتهـــــا وفى الخامس عشر نهايتها · كما نـدرك ضرورة أن يكونوا قــد تأثـــروا بحضارات هذه الشعوب وما أعظمها فقد اتجروا فى حرير الصين وورقها وحملت قوافلهم تلك السلع المنقطعة النظير لــدى غيرهم ، لتحملها الى ايران وبيزنطة ولولاهم لما وجــدت سبيلا الى الخروج من أقصى الشرق





الى اقصى الغرب ، ولا وجد الايرانيون حاجتهم من الورق والحرير وهما من الضروريات والكماليات التى تجتمع لتشكل مظاهر الحضارات . كما جلبوا الى الصين ما مست اليه حاجتها من سلع ايران وبيزنطة . وهذا كاف حق الكفاية فى توكيد اهمية ما اسهموا فيه من ربط بلاد العالم المتحضر فى سالف الدهر بما يكفل لها اسباب الحضارة فيها .

ومن الدليل على ان هؤلاء الاتراك كانوا على قدر من عزة الجانب ، ان كسرى غضب عليهم فى امر من الامور ، وما ملك زمام ثائرته فامر باحراق قافلة لهم تحمل الى الغرب حريرا . وساءهم ذلك من ملك الفرس ، فاشترطوا على البيزنطيين الا تمر القوافل اليهم ، عبر بلاد اهدر ملكها كرامتهم وجرح كبرياءهم . فدخل البيزنطيون تحت شرطهم ورضخوا لمشيئتهم وذلك لحاجتهم اليهم وعجزهم عن الاستغناء عن اهمية ما يؤدون لهم من مهمة .

ومن البرهان القاطع على انهم كانوا اهل حضارة ما يروى من ان احد اباطرة الصين فى سنة ٥٤٥ م اوفد اليهم رسولا للترحيب بمقدم وفد منهم فكان من كلامه ان قال (بجاءنا اليوم اهل مملكة عظيمة فبشرى لنا سيعم الخصب بلادنا . والخيرات والبركات سوف تغمرنا).

ويجرى هذا المجرى ما قيل من ان رسولا لملك الروم وفد على بلاد الترك ثم عاد الى بلاده فاطال ثم اطال فى وصف ما شاهد من خيامهم الحريرية ، كما تحدث حديثا عجبا عن عرش الخاقان وهو ملكهم فذكر انه من الذهب الابريز .

ولكوك ترك آثار باقية اهمها كتابات تعرف بكتابات اورخون نسبة الى نهر بهذا الاسم فى منغوليا . وهى على نصبين اقيم الاول باسم كول تكين المتوفى عام ٧٣١ م واقيم الثانى احياء لذكرى اخيه بلكه قاغان الذى توفى بعده باعوام اربعة . وهذه الكتابات تدل على اهتمامهم بتسجيل المهم من احداث تاريخهم . ففيها وصف لهم فى عهد سار فيهم خاقاناتهم سيرة الذئب فى الحمل . فساءت حالهم واضطرب امنهم وظهر للصينيين ضعفهم فاستولوا على بلادهم . غير ان الترك جمعوا شملهم وحركوا همتهم حتى طردوا الصينيين . وظهر فيهم كول تكين وطنيا غيورا داعية اصلاح . ورأى قتل الخاقان لرفع ظلمه عن قومه ، ودس اليه من قتله فارتقى العرش بعده اخوه بلكه قاغان الذى خطب قومه بقوله (ان للصين ذهبا وفضة وخمرا وحريرا . وفى القلوب شوق وتوق الى التنعم بمثل تلك الطيبات . ولكن لتوقنوا ان الرخاء

مفسدة للتركى ومجلبة للقهر عليه • فهذا الرخاء يورثه خورا فى نفسه يحبب اليه رخاوة الكسل ، ولا يردعه عن السفاهة والجبن)

فتلك صورة صادقة ناطقة للروح التركية ومدى تمثلها لمعنى التقلب فى اعطاف النعيم كمظهر من مظاهر الترف والمدنية وهذا المصلح يريد بقومه أن ينغمسوا فى نعومة الرخاء فيصرفهم ذلك الى الكسل عن حياة الجد والعمل • ويحب لقومه أن ينالوا حظهم من الدنيا من غير ما افراط ولا تفريط - والرقى فى مجتمع من المجتمعات هو تكافؤ الازدهار فى مناحى الحياة كلها ، ولا يكفل هذا الا همم عالية وقلوب واعية ونفوس كبار تأبى الذل والصغار • وتلك صفات يريد أن يفرغها على القوم وما هى الا الصفات التى ينبغى أن تجرى على شعب متمدن •

أما الاويغور فموطنهم شرق التركستان - وهم يغايرون كوك ترك فى لهجتهم وكتابتهم كما انهم من اهل الحضر • يستمدون اسمهم من لفظ (اويغور)وهو مع مشتقاته بمعنى الاستقرار والاقامة والتجمع والتعايش فى سلام ووئام ، ولقد تأثروا كثيرا بمدنيات من حولهم من الشعوب ونعنى بها الشعب الصينى والايرانى والهندى •• فلن يكونوا الا آخذين بمظاهر حضارات عدة هى من أعظم حضارات الشرق القديم • وهذا ظاهر فيما اقاموا من عظيم الهياكل وشيدوا من شاهق البنيان • كما انهم كانوا اهل فن وصناعة فحذقوا الكتابة على الاوراق والرقوق وزينوا ما كتبوا بجمل التصاوير التى تأنقوا فى تنسيق الوانها • كما نقشوا الحروف فى الخشب واستدل الباحثون من ذلك على انهم عرفوا فن الطباعة كما عرفه الصينيون قبل الاوروبيون ، ولاشك ان هذا يعد مظهرا هاما لسابقة لهم فى الحضارة • وبلغوا ذروة مجدهم فى القرن الثامن الميلادى الى ان غزاهم جنكيز خان فى القرن الثالث عشر فتبدلت حالهم غير الحال •

وخطهم مشتق من خط المغول وفيه اثر الصنعة • ولغتهم لغة ادب • ومن حيث كان الادب تعبيرا عن الحياة ، فلنذكر كتابا فى لغتهم يسمى (علم السعادة) الفه من يسمى يوسف خاص حاجب فى مدينة كاشغر فى القرن الحادى عشر الميلادى •• وهو منظوم يدور على الاخلاق وسياسة الملك وواجب المحكوم نحو حاكمه ، والحاكم نحو من يسوس من رعيته ، كما تحدث الكاتب عن حدود الفضائل والرذائل واثرها فى حياة الجماعات • ونحن نورد ترجمة لموضع من مقدمته حيث يقول المؤلف (هذا الكتاب اعجوبة الاعاجيب ، فقد احتوى اقوال علماء الصين وحكمائهم • لقد اجمع اهل الفكر فى الصين والتركستان وكل بلاد المشرق على ان هذا

الكتاب فريد في بابه . وقد سماه اهل الصين كتاب الملوك وعرف عند بلغاء المشرق بـزينة الملوك ، وهو عند الفرس سير الملوك) .

ونقف عند ذكره للصين والتركستان وفارس ، لنتبين كيف اتصلت الروابط بين هؤلاء الترك وما جاورهم وبالتالي كيف تأتي لهم التأثر بما حولهم من حضارات .

●●●

ونعود الى الترك بعامة لنجد لهم مجلسا يسمى (توروولتاى) وكان أمراؤهم ورؤساؤهم وأولو الأمر منهم يجتمعون فيه دوريا للتشاور في شئونهم والنظر فيما حزب من أمورهم كاعلان الحرب وابرام الصلح . والترك في يومنا هذا يطلقون كلمة (قوريلتاى) على المؤتمر . كما كانت لهم مجموعة من القوانين المدنية تسمى (تورة) واخرى للقوانين الجنائية تسمى (ياسا) . ولن يكون هذا الا في جماعة متقدمة تخضع للقانون في تنظيم شئونها ضمانا لسيادة العدل والعدل بين افرادها .

وكان للمرأة عندهم منزلة اى منزلة ، وحسبنا الاشارة الى ان زوجة الخاقان وهو الحاكم او الملك كانت تشاركه في التوقيع على ما يصدر من منشورات . ولا عهد لنا بمثل هذا لدى شعب لا في الغابر ولا في الحاضر . كما بلغ من اكرامهم للمرأة ان يجعلوا النسب من قبل الخال . اما تعدد الزوجات فما كان من تقاليدهم التي توارثوها كابرا عن كابر ، وان اخذوا بتعدد الزوجات . فما كان ذلك الا اخذا عما جاورهم من شعوب ، وأيا ما كان فقد كان للزوجة الاولى من المنزلة ما لم يكن لغيرها .

وجرت عادتهم بنحر القرابين على قبور موتاهم ، كما كانوا يخططون الوجوه بالنصال احياء لذكراهم . ومادام الشيء بالشيء يذكر ، فذكر تقاليدهم في حزنهم على موتاهم يفضي بنا الى ذكر مراثيهم التي كان يقال معظمها في رؤسائهم وأهل الحل والعقد فيهم ، وكان هؤلاء من الفرسان المغاوير الذين طاب لهم قضاء العمر في حروب متطاولة غير متناهية . ومن ثم كانت الصلة بين شعر الرثاء والحروب عندهم ، وهذا مستلزم ان تموج مراثيهم بالحماسة وتمجيد البطولة ، وذلك طابع غلب عليها من طابع التحزن والتفجع ، كما ان هذا الفن من شعرهم مصور لحياتهم بما لا مجال فيه لخيال ولا تأويل . ومن مستطرف ما يذكر انها



كانت تدور على لسان الميت كما في قوله (ثار ثائرى واستأسدت ، وقدما مضيت واحتززت رءوس الشجعان ، فمن له بملاقاتى يدان ؟)

ووزن هذه المراثى هجائى ، وتتألف من قطع كل واحدة من أربعة مصاريع والقافية موحدة فى المصراع الرابع وهى متميزة بطولها صالحة للترتيل والتنغيم ، تنشد ويصاحب انشادها على آلة تشبه الرباب .

فهذا من شعرهم معبر عن روحهم ، مؤرخ للحياة التى تموج من حولهم .

●●●

واعتنق الترك اكثر من دين على مر العصور ، فكان كوك ترك شامانيين ، وفى هذا الدين ان للكون الهين احدهما للسماء والآخر للارض ، وفى السماء سبع عشرة طبقة من الجنات ، اما الارض فيها للجحيم سبع طبقات . وفى ذروة السماء اله خالق . ومن عقائد هؤلاء ان روح الميت ان كانت خيرة ، صعدت الى السماء على هيئة طائر جميل . والروح الشريرة تسيخ فى الارض . وفى المياه جنيات تسكنها ، وعلى المؤمنين تقديم القرابين لها ، ولقد تسربت اليهم اديان اخرى من الشعوب التى جاورتهم ، وكانت ضمن ما اخذوه عنها من تراثها الحضارى .. فاخذوا البوذية عن الهند ، والزردشتية عن الفرس التى تقول بوجود الهين لهذا العالم اله الخير واله الشر . واعتنقوا مذهب الفناء الذى دعا اليه مانى الفارسى . كما عرفوا المسيحية النسطورية التى حملها اليهم المبشرون . الى ان دخل عليهم الاسلام فى القرن الثالث الهجرى .

هذا مجمل القول فى الحضارة التركية قبل الاسلام . وقد رأينا كيف ان مواطنهم التى اكتنفتها شعوب متحضرة كانت علة العلل فى تأثرهم بحضارات من اهم حضارات الشرق القديم ، كما يرجع الفضل اليهم فى تمهيد السبل التى سلكتها تلك الحضارات فاتصلت وارتبط بعضها ببعضها الآخر ، وكان الشرق والغرب على صلة لانهم كانوا شبه شىء بالعروة الوثقى بينهما .



وجدير بالذكر انهم ظلوا متمسكين بالموروث من تقاليدهم والخاص من شئونهم ، فطوعوا ما استعاروا من غيرهم لما يوائم حياتهم ، وبذلك طبعوه بطابعهم . وانبروا له بالتحوير والتطوير والتجديد والتوليد . ثم يتفسح المجال للقول فى الحضارة التركية بعد الاسلام ، ونحن واجدون بالنظر فيها ما يقيم الادلة على ان بين صنيعهم من قبل وصنيعهم من بعد تشابها وتخالفا واتفاقا .

ففى منتصف القرن الثانى من الهجرة ، بسط العرب سلطانهم على بلاد ما وراء النهر ، فدخل الترك فى دين الله افواجا ، وتعاون الترك المسلمون مع العرب عن رضا وطواعية فى صد عادية من لم يسلم من ابناء جلدتهم . وهذا دليل على رسوخ ايمانهم وسلامة عقيدتهم، كما يستبين منه انهم اعانوا على نشر الدين الحنيف فى بلادهم . ولما رقت للاسلام قلوبهم انطلقوا من الخزعبلات والاباطيل والاضاليل ، وأصبحوا المحاربين المدافعين عن حوزة الاسلام ، ولازمتهم هذه الصفات الى العصور التوالى ، وقد طلبوا بذلك ثواب الاخرة ، وما استكبروا بذلك ولا ركبهم غرور ، فما ادعوا انهم للاسلام حماة ، بل كان حسبهم ان يكونو المجاهدين فى سبيل الله .

ومما ينهض على ذلك دليلا ما قيل عن السلطان محمود الغزنوى أعظم ملوك الدولة الغزنوية فى القرن الرابع الهجرى . فيروى أن أحد خواصه كان الى جوار فراش موته وهو يجود بنفسه فقال له (من يحمى حمى الاسلام بعدك يا مولاى ؟ فكان جواب السلطان عليه (ومن انا حتى استطيع حماية الاسلام ، انما يحمى الاسلام الله القادر المتعال) .

كما روى أن خطيب المسجد قال فى خطبة خطبها للسلطان سليم الاول انه مالك مكة والمدينة فأسكته السلطان وأمره أن يسميه خادم المدينتين لا مالكهما ، واطلق هذا اللقب على سلاطين العثمانيين منذئذ .

ومن حيث كان الاتراك مجاهدين فى سبيل الله ، مدافعين عن الدين الحنيف رافعين الويته فى الافاق ، كانوا ولا شك من سعوا فى نشر أعظم حضارة ، وهذا فضل لهم غير مجحود .

●●●

وبعد هذا الاجمال نأخذ فى شيء من التفصيل . . . وليس كلامنا على الاتراك العثمانيين ، وهم فى الاصل عشيرة تركية أزعجت عن موطنها فى آسيا ، وفرت من غزو المغول

فاتجهت غربا ، الى ان حسنت بلاد الاناضول لها مستقرا • وتهيأ لعثمان الاول أن يقيم دولة الاتراك العثمانيين فى القرن الثالث عشر الميلادى •

وكان الاوائل من سلاطين هذه الدولة يسمون انفسهم امراء الثغور ، والثغور هى مواضع المخافة من دخول الاعداء • والمراد بذلك انهم نصبوا انفسهم حراسا على حدود دولتهم الاسلامية لصد من يريدون غزوها والقضاء على كيانها • وكان هذا عندهم لقب تشريف يفيد انهم مجاهدو اعداء دينهم ، وبالتالى متيحون لدولتهم أن تبقى وتبقى معها مدنية الاسلام •

وان نسينا قدماء الاتراك ، فلسنا الا ذاكرين تسميتهم للبحار ، فقد سموا البحر الاسود والابيض والاحمر باسمائها لانهم كانوا يسمون الشمال أسود والغرب أبيض والجنوب أحمر •

واذا كانت الحضارات منبثقة من الدين والعلم والفن • فأول ما يذكر عن دولة العثمانيين انها دولة الاسلام بحق وبالمعنى الاخص الادق ، لانها قامت على اساس ركين من تعاليم الاسلام • وكان نظام الحكم فيها وفق ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف • وقد أوصى عثمان ولده اورخان واكد عليه الوصية راغبا اليه أن يسوس رعيته باحكام الشرع الحكيم ولايحيد قيد انملة عن أوامر القرآن ونواهيه • كما رغب اليه أن يبسط رعايته على أهل الدين ، ويكون على رأس المجاهدين فى سبيل الله ، كما أسهر الى شيخ من شيوخ الصوفية • وكان المؤمن الورع المتسامح الذى يدعو الى مائدته فى كل يوم المسلم وغير المسلم ، والمتجرد من دنياه الزاهد فيها ، فما خلف مالا ، بل كان يخرج عن ماله للمعوزين • فهو متخلق باخلاق الاوائل من الخلفاء الذين أخذوا بتعاليم الدين الحنيف الذى أقام حضارة وما أعظم وأكرم •

ولما جاهد أوائل سلاطين العثمانيين من تربص بهم الدوائر واخفق فى سعيه الى القضاء على دولتهم فى آسيا الصغرى • فتح السلطان محمد الثانى المعروف بالفاتح مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣ فسقطت الدولة البيزنطية واصبحت الدولة العثمانية أعظم دولة اسلامية تتمثل فيها مظاهر حضارة الاسلام ، وكان الفاتح متخلقا باخلاق الاسلام الى أبعد مدى • فأمر باستدعاء البطريق ، وأرسل اليه جوادا مطهما ليركبه فى قدومه عليه ، ولما التقى به تحدث معه طويلا ودعا له بخير ، مؤكدا له أن كل حقوقه وحقوق أبناء طائفته لن تتغير فى شىء ، وما كان البطريق ليتوقع مثل هذا التسامح الكريم من السلطان فأكب على يده يقبلها •

ولما كشف عن قبر الصحابى أبى أيوب الانصارى الذى مات تحت أسوار القسطنطينية حين

حاصرها العرب عام ٥٠ هجرية أمر السلطان ببناء ضريح له ومسجد· وطاب للاتراك من بعد أن يدفنوا الى جوار قبر هذا الصحابى المجاهد مضيف الرسول صلوات الله وسلامه عليه · وهذا شاعر يذكر ذلك القبر بقوله :

شرف هذا المرقد ذا النور البهى
الصحابي الوفي مضيف النبي
وجلا الابصار بنور من
تراب هذا المرقد
فهو لابي ايوب المجاهد

وهذا كاتب تركي قديم يقول ان كلا من سلاطين آل عثمان كان يتبرك باقامة الابنية حول هذا الضريح ، فاصبح ما حوله شبه شيء بالجنة ، وله قبة ونوافذ مطلة على فناء المسجد ، وجدرانه مزدانة بنفيس القيشانى وتحيط به شمعدانات من الفضة الخالصة ·

وجرت عادة سلاطين آل عثمان أن يتوجوا فى مسجد أبي أيوب الانصارى ، فكان يقام حفل عظيم يتقلد فيه السلطان سيف عثمان ، وتلك نزعة اسلامية لديهم تتضمن ما تتضمن من رمز الى اجلالهم للدين الحنيف واتخاذه سمة لكل مظهر من مظاهر الحضارة فى دولتهم ·

كما يؤيد ذلك الطابع الاسلامى لحضارة العثمانيين قول رحالة تركي زار استانبول فى القرن السابع عشر أن فى استانبول ألفا وثمانين مسجدا غير مسجد أبي أيوب الانصارى ، والى جانب هذا المسجد مدرسة وأكثر من دار للقراء ومكتب للصبيان ، وعدة زوايا وخانات ، ومبرة يصيب من خيرها الرائح والغادى ·

وكان عهد السلطان سليمان القانوني عهد خصب ويمن ورخاء ، وقد ارتقت الدولة فى جميع مرافقها · ورفع هذا السلطان المآذن والقباب ، فنسبوا اليه اقامة خمسة وسبعين مسجدا كبيرا وأربعين مسجدا صغيرا للعبادة والعلم · كما ابتنى نحو ثلاثين حماما وسبعة جسور · وهذه العمائر أو معظمها من تصميم معمار تركي يسمى خوجه معمار سنان ـ وان جامع السليمانية وهو آية من روائع فن العمارة لشاهد له بالمقدرة والعبقرية ·

وقد سمي القانوني نسبة الى قانون أصدره هو تتمة لما أصدر محمد الفاتح من قبل · وظل قانون سليمان الاساس الادارى لدولة العثمانيين الى منتصف القرن التاسع عشر · وقد كفل للرعية ان تسلم من ظلم حاكميها وهذه فقرة منه (ان اداة الحكم فى الدولة انما تطرح تحت رعاية العلماء والعقلاء · وعليهم ان يبصروا السلطان بوجوه

الحضارة التركية

الصواب ويهدوه للتى هى اقوم اذا ما انحرف عن الجادة وضرب فى غمرته) وتلك غاية الغايات فى الديمقراطية العريقة فى الاسلام ، فقد تقيدت سلطة السلطان واحاط بها سياج مقدس من مبادىء الشرع واحكام القرآن والسنة . وكان لابد لكل قرار سلطانى هام من فتوى تعززه وتقرره . اما شئون الدولة فكانت موضع نظر الوزراء فى الديوان المنعقدة جلساته كل صباح فى قصر السلطان ، وكان السلاطين يرأسون هذا الاجتماع الى عهد محمد الفاتح ، ثم كانوا من بعد يلقون السمع الى ما يدور فيه وهم جلوس فى مقصورة لهم .

ولقد ورث الاتراك العثمانيون حضارة الاسلام فى اوج كمالها وطبعوها بطابعهم فبلغوا بها حيث لم يبلغ غيرهم ، وهم متكرونا بأسلافهم القدماء المتأثرين بما احاط بهم من حضارات ، لانهم نقلوا عن الفرس حضارتهم المتأثرة بالعرب من قبل ، فتجمع التراث الاسلامى لديهم فى المتشكل من عناصره المختلف فى مقوماته ، ففى لغة العثمانيين ما لا يحصى كثرة من الالفاظ الفارسية والالفاظ العربية التى تسربت الى الفارسية من قبل ، فتجمعت تلك العناصر الثلاثة فى لغة واحدة هى التركية ، ونعنى بها العنصر العربى والفارسى والتركى كما تأثر ادبهم بأدب الفرس اساسا وادب العرب عرضا فى ابعاده واعماقه ، فكان هذا التأثر سمة جلية فيه الى جانب سمته التركية الخالصة .

تأثر الترك بالفرس فى فن العمارة ، وان جددوا فيه ، وآية التجديد هو المسجد المغطى تغطية تامة ، فلا وجود فيه لفناء الوسط وسقفه مقبى ، وزخرفته غير متجانسه ، وتأثره بالمسجد الفارسى باد فى استخدام الآجر المصقول ومربعات الفسيفساء المحلاة بالزخارف والمغروسة فى الجدار . وعرفوا القيشانى والخزف وان كان الفرس عرفوهما من قبل عن الصين .

واستعاروا من الفرس شيئا من فن الموسيقى ، ومما يروى فى هذا الصدد ان السلطان مراد الرابع حين فتح بغداد عام ١٠٤٧ هجرية . امر بقتل عشرة آلاف من الفرس . ولم يشفع فيهم احدا ، الى ان قدم عليه موسيقى ايرانى يسمى شاه قولى فغناه اغنية طرب فيها يسأله الصفح الجميل . فاستخفه الطرب ورق قلبه كما لم يرق من قبل حتى فاضت عيناه من الدمع ، وعفا عن الايرانيين ثم أوفد شاه قولى مع اربعة من الموسيقيين الايرانيين الى استانبول حيث تتلمذ عليهم الترك وما كان لهم من قبل علم واسع بأصول الموسيقى .

ويذكر شبه هذا فى اخذهم من النساجة والتطريز والنقش عن الفرس . ووجيز القول فى ذلك ان قائدا تركيا يسمى احمد باشا كان يحارب الفرس فى القرن الثامن عشر ، ولما رجحت كفة الاتراك وخشى الفرس ان ينكسروا فى هذه الحرب ، أوفدوا الى احمد باشا من يطلب الصلح ، فقبل ولكن شريطة ان يرسل الى استانبول الفان من الايرانيات اللاتى

الحضارة التركية

يحذقن فنون النقش والتطريز وما أشبه ، فدخل الفرس تحت شرط القائد التركي وارتحلت الايرانيات الى استانبول وبينهن سليلات صفوة القوم وبنات الملوك · وازدانت قصور السلاطين بما نسجن من فاخر الطنافس ورقت المطيات فيما طرزته انامله‍ن من وشى وديباج · وشاهد الترك للمرة الاولى ما لم يشاهدوا من جميل الرسوم على بديع الاواني وتعلموا منهن فن النساجة والنقش والتطريز وغيرها من فنون الزخرفة ·

وفي رأى ان صناعة البسط كانت في آسيا الصغرى منذ قديم ، كما ذكر الرحالة ماركوبولو الذى زار مدينة قونية عام ١٢٨٣ م قائلا ان اجود ما في العالم منها يصنع هناك ، وأيده في ذلك ابن بطوطة بعد خمسين عاما · وشوهدت فيها رسوم منتسبة ساسانية وظلت بها الى اواخر القرن الخامس عشر · ويفرق بين الطابع الايراني والتركي في صناعة السجاجيد ، ان الصانع الايراني يرسم وحدات زخرفية بخطوط ملتفة منحنية في الوان مختلفة الظلال ، اما الصانع التركي فيختار عددا محدودا من الالوان ·

وقد ازدهرت حضارة الاتراك العثمانيين ازدهارا في عهد السلطان احمد الثالث الذى كان بطبعه لين العريكة ميالا الى السلام والوئام ، فآثر لشعبه الخير والرخاء على حروب يخوض غمارها ويصلى نارها · وكان مشغوفا بالترف لاينسى نصيبه الاوفى من لذائذ النعيم وطيبات الدنيا ، فابتنى له قصرا منيفا في ارض نزهة تسمى سعد اباد وبسط حوله البساتين فامها الناس مستروحين متفرجين · واستن اهل استانبول بسنته فعمرت مجالس الانس بالسماع والشراب حتى اصبحت استانبول في اوائل القرن الثامن عشر عروس المدائن وصدق احد شعراء العصر في وصفها بما ترجمته (تلك هي استانبول التي لم يخلق مثلها في البلاد حسنا وطيبا · وان الحجر فيها يفديه ملك العجم بما وسع يا لها جوهرة نفيسة بين بحرين واذا ما شئت وزنا لها ، فلن يعادلها في ميزانها الا شمس الضحى كل ارض خضراء فيها روضة ذات بهجة وكل ركن مجلس انس وصفاء ، واظلم الظلم ان تؤثر عليها الدنيا بأسرها · ولست الموفق اذا شبهت بالجنان روضاتها) · ورسم وسام فرنسي نحوا من مائة وثلاثين صورة لمظاهر النعمة في قصور السلطان والعظماء وأهل الثراء فما تألقت الا بالحق ريشته · ويعرف عصر أحمد الثالث بعصر الزهر نسبة الى نوع من الازهار أعجب المترفون به اعجابا حتى ولد أهل الخبرة بزراعته الف نوع منه ، وتأنق القوم في اطلاق الاسماء على تلك الازهار ، فمنها ما عرف بحمراء الخد ومنها

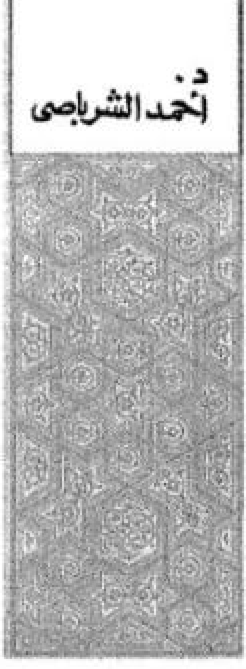
ما سمى الكاس الذهبية وتنافس المتنافسون فى اقتناء العجيب النادر منه . واستوردوا بذور شجيراته من موطنه على الخصوص . وراجت تجارته الى حد بعيد وغالى اليهود من التجار فى ثمن بذوره حتى تداركه الامر الصدر الاعظم ابراهيم باشا الذى كان شديد الولوع به ، فحدد الاسعار لهؤلاء التجار وجعل عليهم رقيبا من حقه استصدار الامر بنفى التاجر ان استزاد وغالى فى السعر. وكانت تملأ بساتينه أرجاء استانبول وتصفف اصصه على النوافذ . وترف الوانه على جانبى الطرق . وكان اذا حل موسمه ركب الناس البحر لمشاهدة حدائق السلطان والوزراء والاثرياء من المشغوفين به . وهناك تقع عيونهم على نافورة يتدفق ماؤها من تماثيل على هيئة التنانين ، ويمرحون ويصفقون وهم يلتفون حول من يرقصون الدببة والكلاب ويضربون بالمعازف ويترنمون بالاغانى .

ورغب السلطان احمد الى الشعراء أن ينظموا الاغانى لتتردد على ألسنة الشعب معبرة عن نشوة الفرح وبهجة العيش وهذا شاعر العصر (نديم) وهو يقول (تعالى ـ ولنفرح هذا القلب الذى ما عرف الفرح . تعالى يامروة تتهادى . سيرى معى الى سعد آباد . ها هى ذى القوارب على أهبة حملنا . لنضحك ونمرح ، ولننل من هذه الدنيا نصيبنا) .

وما دام الادب تعبيرا عن الروح وتصويرا للحس وتعريفا فى جملته بواقع حياة الجماعة ، فهو بالتالى مبرز لمعالمها الحضارية ، فلننظر نظرة عجلى فى الظاهرة الادبية لدى الاتراك العثمانيين . يقول تاريخ الادب ان الشعر عندهم ظهر أول ما ظهر فى القرن الثالث عشر الميلادى . وكان صوفيا محضا . لان التصوف كان النزعة الروحية التى غمرت نفوسهم ، فكان التصوف وهو التقوى فى اسمى صورها كان المميز لحياتهم الدينية . ثم امتزج هذا التصوف بحبهم للنبى صلى الله عليه وسلم . فنظم اكثر من مائة شاعر من شعرائها ما يسمى (مولد) ، فى سيرته عليه الصلاة والسلام وشعور القلوب المؤمنة نحوه . ولا نعرف من شعراء المسلمين من بلغ فى هذا الفن الشعرى مستوى شعراء الترك فى عصر من العصور . وبعد فتح القسطنطينية واهم ادبهم الحياة وواكبها فى تطورها ، فظهرت فيه النزعة الغنائية الى جانب النزعة الصوفية ، وتضمن وصف الحياة وهى تموج من حولهم .

وبعد عصر سليمان القانونى اى القرن السادس عشر العصر الذهبى لادبهم كما كان العصر الذهبى لتاريخهم وكثر القراء والكتاب والعلماء كثرة لا عهد لنا بمثلها عند غيرهم ونظروا الى شعر الفرس نظرتهم الى مثال يحتذى فكان شعرهم صورة لحضارة الاسلام فى اتساق معالمها .. ومازال التصوف طابعا مميزا لشعرهم الى ان تأثروا بأدب الفرنسيين فى مطلع القرن العشرين . وان طرقوا كل فنون الادب المعروفة عند العرب والفرس الى جانب فنون ابتدعوها وبرزوا فيها ونخص بالذكر منها الرمضانيات وهى قصائد فى رمضان منقطعة النظير فى الآداب الاسلامية الاخرى . وبذلك كانوا خير من عبروا بأدبهم الخصب الرائع عن حضارة الاسلام اجمالا وتفصيلا .





ما أشبه القرآن الكريم بالكنز الفريد المجيد ، ولله المثل الأعلى ، وهذا الكنز يضم في أرجائه مختلف اللآلىء وشتيت الجواهر ، وكل ناظر فيه بالتعمق والتدبر يستطيع أن يحصل منه على بعض هذه الفرائد ، وتختلف حظوظ الناظرين فيه والعاكفين عليه من هذه الخرائد ، ولكن الجميع لا يستقصون جوانبه ولا يحصون عجائبه .

ومن غرائب القرآن أنه تتابع كثيراً من ألفاظه في متباين استعمالاتها فترى للفظ معنى عاماً واسعاً ، يشمل استعمالاته أو يغلب عليها ، ويمكنك من هذه المتابعة للفظ من الألفاظ أن تقعد لاستعماله في الغالب قاعدة أو ما يقاربها ، ولا يشترط أن تكون تلك القاعدة موجودة بنصها وفصها عند كل استعمال ، بل تكون هي أو ما يشير إليها أو يذكر بها من قريب أو بعيد .

وللحزبية وما تفرع من مادتها حديث في القرآن الكريم قد يدخل في هذا التقعيد أو يدنو منه ، وقد تابعت استعمال الحزبية في التنزيل ، ورأيت أن أعرض له بالبحث لعل في ذلك من الفائدة ما يتلاءم مع مناسبات الزمان ، وإلا فهو على الأقل تذكير بحديث القرآن .

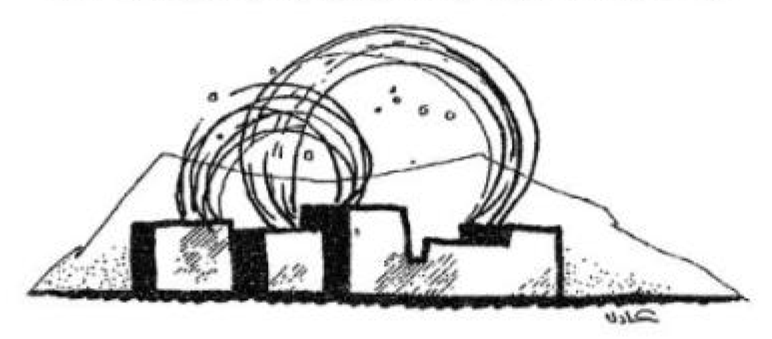
وقبل أن نعرض للحزبية في القرآن يحسن أن نعرض معانيها في

اللغـة ، فقـد تتعاون المعاني اللغوية مع الاستعمالات القرآنية لتلك المادة على ايضاح ما نريد استنتاجه مـن ذكر الفاظ الحزبية في الكتـــاب الحكيم ...

نلاحظ أن معنى الحزبية في اللغة يدل على التفرق والانقسام والاختلاف والشدة والغلظ أحيانا . فقد جاء في القاموس : « الحزب بالكسر الورد ، والطائفة والســلاح وجماعة من الناس ، والاحـزاب جمعه ، وجمع كانوا تألبوا وتظاهروا على حـرب النبي صلى الله عليه وسلم ، وجند الرجل وأصحابه الذين على رأيه ، وانى أخاف عليـــكم مثل يوم الأحزاب ، هم قوم نوح وعاد وثمود ومن اهلكه الله من بعدهم وحازبوا وتحزبوا صـــاروا أحزابا ، وقد حزبتهم ، تحزيبا ، وحزبه الامر نابه واشتد عليه أو ضغطه ، والاســم الحزابة .... وأمر حازب وحزيب شـــديد جمعه حزب ، والحزابي والحـــزابية مخففتين الغليظ الى القصر كالحنزاب بالكسر ، والحزب والحزباءة بكسرهما الأرض الغليظة وجمعه حزباء وحزابي ، وحازبته كنت من حزبه ... »

وفي كتاب المنجد : حـزبه الويل والغم اصابه واشــتد به ، وحزب القرآن جعله احزابا ، وحزب القوم جعلهم احزابا ، وحازبه صار من حزبه ... والحازب الأمر الشـــديد .. تقول نزلت به حوازب الخطـوب ، وهذا أمر حزيب ، والحزب النصيب والقسـم من القرآن أو غيره .... الخ .

وفي النهاية لابن الاثير : ... طرأ علي حزبي من القرآن فأحببت ألا أخرج حتى أقضيه ، الحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد والحـــزب النوبة في ورود الماء ... وفي حـــديث أوس بن حذيفة : سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تحزبون القرآن ... اللهم أهزم الأحـــزاب وزلزلهم ، الأحـــزاب الطوائف من الناس جمع حزب بالكسر ... كان اذا حزبه الأمر صلى ، أى اذا نزل به هم أو أصابه غم ، ومنه حـديث علي : نزلت كرائه الأمور وحوازب الخطوب ، جمع حازب وهو الأمر الشـــديد .. ومنه حديث الافك : وطفقـــت حمنة تحازب لها ، أي تتعصب وتسعى سعي جماعاتها الذين





يتحزبون لها . ومنه حديث الدعاء : اللهم انت عدتى ان حزبت (١)

وما هو ذا الراغب الاصفهانى فى كتابه (مفردات القرآن) يشير الى المعانى اللغوية العامة لكلمة (الحـــزب) فى القرآن الكريم فيقول : « الحزب جماعة فيها غلظ ، قال عز وجل : أى الحزبين احصى لما لبثوا امدا . وحزب الشيطان . وقوله تعـالى : ولما رأى المؤمنون الاحزاب ، عبـارة عن المجتمعين لمحـــاربة النبى صلى الله عليه وسلم . فان حزب الله هم الغالبون، يعنى انصار الله ، فقال تعالى : يحســبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون فى الاعـــراب ، وبعيده : ولما رأى المؤمنون الاحزاب » .

***

والقاعدة العـــــامة ، أى المعنى الغالب فى اســـتعمال القرآن لكلمة (الحزب) هو الدلالة على الانحراف الى الســــوء والشر ، والرمز الى الباطل والسفه ، فلا يرد هذا اللفظ الا فى مواطن الفسوق والاجرام ، اللهم الا اذا اضيفت كلمة (الحزب) الى الله ، فان المقام يكون مقـــام خير وتبشـــير ، فى الحـال أو الاســـتقبال ، واما اذا اضيفت الى غيره فهى سوء وضلال فى الحاضر والمآل ....

وكان القرآن يشــعرنا بذلك ان الحزبية البعيدة عن صراط الله سيئة ايا كانت ، وكأنه قد استعمل كلمة (الحزب) عند النســبة الى الله لمجرد المشاكلة ومجاراة السياق ، على حد قوله تعـــالى : « ومكروا ومكر الله والله خيـــــر الماكرين ،وقوله : « وقـــالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبســـــوطتان ينفق كيف يشاء » .

وقوله : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم » .. ولذلك نرى تعبير القرآن « حزب الله » يأتى فى سياق التعرض لحديث « حزب الشيطان » .

وفى القرآن الـــكريم ذكر لأربعة اصناف من احزاب الشر والضلال ، الاول منها اتباع الشيطان مطلقا ، والثانى القوم الكافرون الضالون قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه ،والثالث الاحزاب الـــذين تألبوا عليه فى غزوة الخنـــــدق ، واذاقهم الله بقوته ما اذاقهم من النكال والوبال وقد خص الله سورة من ســـور القرآن الكريم باسمهم ، وكان ذلك

---

(١) لم ننقل عن القاموس والمنجد والنهاية كل ما ورد بها عن المادة ، بل قطفنا من كل منها الجزء الملائم للموضوع .

ايضا من بين الاشــــارات الى خطرهم وســوء تحزبهم ، فامرهم يحتاج الى التنبيه الجلى لنحــذر منهم الحذر القوى ، والصنف الرابع هم شذاذ اليهود والنصارى الذين عارضوا الاسلام ، ووقفوا فى طريقه معاندين او مفترين ، ويجمع هــذه الاصناف كلها جامع الشر والسوء والضلال كما اسلفنا ٠

هذا هو التصــوير العام لحديث الحزبية فى القرآن ، وما يســتفاد منه من سمات عامة او غالبة ، ومن حق البحث علينا بعد ذلك ان نذكر شواهد هذا التصــوير من القرآن الكريم ٠

يقول الله تعــــالى فى الآية السادسة من ســورة فاطر : « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير » ٠ فقد أخبر الله جل جلاله هنا أن الشيطان لنا عدو مضــل مبين ، وأن حزبه على فســاد والى سوء معاد ، ووعظنا بأن نتخــذه عدوا لانه ــ كما علمنــا ــ عدونا الذى إلا عــدو أعرق فى العداوة منه ، واتخاذه عدوا يكون بمخالفته فى العقائد والأعمال لانه يدعو حزبه ــ وهم شيعته ومتبعو خطواته ــ الى ورود موارد الشقوة والهلاك ، وهل هناك أشــقى ممن ينتهى الى عذاب السعير المقيم ؟ ٠٠٠

وقريب من هذا قول الله تعالى فى سورة المجادلة : « اســتحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشــيطان هم الخاسرون » ٠ وقد نتعرض لهذه الآية فيما نستقبل من البحث ، وهاتان الآيتــــان تشــيران الى الصنف الأول من اصناف الأحزاب فى القرآن ٠٠٠

ولننتقل الى الصــــنف الثانى منها ، يقول الله تبارك وتعالى فى الآية الخامسة من ســورة غافر : « كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برســـولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب » ، والاحــزاب هنا هم الذين تركوا طريق الرحمن وخالفوا الرســل ، وهم عاد وثمود وقوم فــرعون وغيرهم ، وقد وصف القرآن هؤلاء الاحزاب باوصاف سيئة ، فهم طغوا وبغوا على رسلهم وحاولوا ليتمكنوا منهم ويحبسوهم او يقتلوهم ، وهم قد جــادلوا مبطلين ، وهم قد ارادوا بذلك محــاربة الحق ، فماذا كانت عاقبة هؤلاء الأحزاب ؟ ٠

« فأخذتهم فكيف كان عقاب » ٠٠

ويقول الله سبحانه وتعالى ايضا فى الآيتين الثلاثين والحــادية والثلاثين من سورة غافر : « وقال الذى آمن ياقوم انى اخــاف عليكم مثل يوم الاحزاب ٠ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعبــــاد » ، والأحزاب فى الآية الاولى قد فسروا فى الآية الثــانية ، وهم قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم كل الذين كفروا وتمردوا وعصوا الرســـل ، فوصفهم سيىء ، والجزاء اليم ، فلكل حــزب منهم كان له يوم دمار وقد فصـــل القرآن الكريم لنا ذلك فى مواطن كثيرة ٠

ومما يدخل فى هذا الصـــنف ما اشار اليه القرآن فى قوله فى الآيــة السابعة والثلاثين من مريم : « فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا

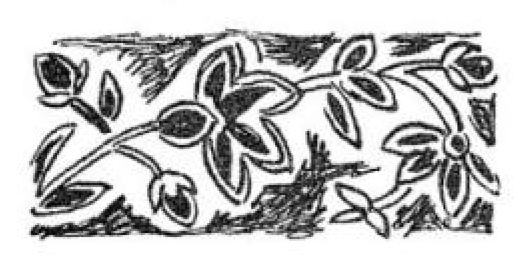
من مشهد يوم عظيم» والاية وردت بعد قصة سيدنا عيسى عليه السلام ، والمراد بالاحزاب هنا الذين تحزبوا على الانبياء ، لما قصوا عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس . ولذلك انذرهم بالويل في يوم شديد .

ومثل ذلك الايات التي وردت في سورة الزخرف وهي : « ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ... وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم » . الايات ٦٣ و٦٤ و٦٥ .

وفي الاية الحادية عشرة من سورة (ص) نجد القرآن يقول : « جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب» وبعدها في الاية الثالثة عشرة يقول : « وثمود وقوم لوط واصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » . والاية الاولى جاءت بعد آيات تصور جهالات الكفار على الرسول وعنادهم معه ، فهي تقول على لسانهم : « ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا ». فرد الله عليهم قائلا : « بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب . أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب » . وهذا استنكار من الله لطريقتهم السيئة ، ثم ارشد رسوله الا يبالي بهم ، ولا يكترث بجمعهم ، ولا يهتم لعنادهم ، فقال : « جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب » ... ما هم الا فئة من الكفار المتحزبين على رسول الله ، وهم مهزومون مكسورون عما قريب فلا تبال بما يقولون ...

وفي الاية الثانية نرى الاحزاب كما رأينا من ضالين خاسرين ، وهم ثمود وقوم لوط واصحاب الايكة ، وكلهم خاسر في طريقته ، ولذلك قال الله بعد ذلك : « ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب » .

ومما يتصل بهذا اللون من الاحزاب ، ويبين لنا بوضوح ما قررناه في صدر الكلام من أن القرآن يذكرنا بأن كل حزب غير حزب الله ، وكل طائفة غير المؤمنين به ، وكل جمع غير الجمع المقبل عليه ، يكون في خبال وضلال ، قول الله تعالى في سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون . منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب





بما لديهم فرحون ». كانوا شيعا اى فرقا واحزابا كل فرقة تطيع امامها الذى يقودها ويغويها . وكل حزب منهم فرح مسرور يحسب باطله حقا ، وهيهات ...

ومثل ذلك قــول الله تعالى فى سورة المؤمنين : « يا ايها الرســل كلوا من الطيبات واعملوا صـالحا انى بما تعملـــون عليم . وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون. فتقطعــوا امرهم بينهم زبرا (قطعا واديانا) كل حزب بما لديهم فرحون . فذرهم فى غمرتهم حتى حين . ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ».

●●●

ويأتى بعد هذا الصنف الثالث من الاحزاب التى تحـدث عنها القـرآن الكريم

لقد اقبل رسول الاســلام عليه الصلاة والسلام اقبال الفجر الساطع بعد الليل المظلم ، والكفــار عاندوه وعارضــوه ، وكانت بينه وبينهم مصاولات وغزوات ، وها هو القرآن الكريم يتعرض لبعضـها ، فيقول فى الاية العشرين من سورة الاحزاب :

« يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهـم بادون فى الاعراب » . وفى الاية الثانية والعشرين من نفس الســورة يقول : « ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنــا الله ورسـوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ».

والاحزاب هنا ايضا جماعات شر وسوء ، وهم الكفار الذين حاربـوا المسلمين فى غزوة الخندق ، وكانت قريش قد اقبلت فى عشرة الاف من الاحابيش وبنى كنانة وبنى تهــامة وجاءت غطفان فى الف ومن تابعهم، وجاءت هوازن ومن انضم اليهم من يهود قريظة والنضير ، وهؤلاء كانوا ضالين ، وحين اجتمعوا لم يجتمعوا الا على ضلال وفساد ، وكانت عاقبة امرهم وخيمة ، فهزمهم الله بالخوف الشديد والريح العاصفة .

ونحن نرى فى الاية الثــــانية والعشرين السابقة : « ولما رأى ...» حزب الله يقف أمام احزاب الضلال والبهتـــان وهى مجتمعة متناصرة ، فيفوز عليها وينتصر ويستمر القرآن فى تصوير حال الحزب الالهى ، وما صار اليه من نجاح ، فيقول عقبها : « من المؤمنين رجــال صـدقوا ما عاهــدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظـــر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصــادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفـــورا رحيما ».

ثم يأتى الصنف الرابع وهم الذين تآبوا على الاسلام من شذاذ اليهود

والنصارى والقاعدة فيهم هى نفس القاعـدة ، انهم احزاب ، وانهم فى ضلال ، وانهم الى وبال ...

يقول القرآن فى الآية السابعة عشرة من سورة هـود : « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلاتك فى مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر النـاس لا يؤمنون ».

نزلت هذه الآيـة فى التفرقة بين من آمن بمحمد والاسلام من اليهود وبين من ظلوا على كفرانهم ، والمراد بالشـاهد القرآن ، وبكتاب موسى التوراة التى كانت اماما يقتدى بها فى الدين ورحمـة ، اى نعمة عظيمة من اللـه الى الذين نزلت عليهم . ونلمح هنا طائفتين : طائفة استجابت لله فآمنت بدين الله عقلا واستدلالا فكانت من المهتدين ، وكانت من حزب رب العالمين ، وطائفة أخرى تحزبت وتفرقت فضلت ضلالا بعيدا .

وفى الآية السادسة والثلاثين من سورة الرعـد يقول الله تعالى : « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الأحـزاب من ينكر بعضـه قل انما امرت أن أعبـد الله ولا أشرك به شيئا اليه أدعو واليه مآب » . وقد نزلت الآية فيمن اسلم من اليهود والنصارى واهتدوا بدين الله الحق ، وانضموا الى حزب الله الصدق ، فكانوا من المفلحين ، والمراد بالأحزاب هنا كفرة اليهود والنصارى الذين انكـروا بعض ما فى القرآن وظلوا على عنادهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

***

وبعد ان عرضنا اصناف الاحزاب الاربعة التى تحـدث عنها القـرآن الكريم ننتقل الى تبيـان ان الحزب اذا نسب الى الله كان خيرا وفلاحا ، فالله سبحانه يقول فى الآية السادسة والخمسين من سورة المائدة : « ومن يتول الله والذين آمنـوا فان حزب الله هم الغالبـون » وعلى الرغم من ان مدلول الآية الكريمة واضـح فيما نحاول ابـانته ، فان قراءة الآيتين اللتين قبلها تزيـد الامـر وضـوحا ، وهما : « يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين اعزة على الكافـرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . انما وليكم الله ورسـوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

وفى الآية الثـانية والعشرين من سـورة المجادلة يقول الله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حـزب الله الا أن حـزب الله هم

المفلحون »، ويحسن كذلك أن نقرأ الآيتين اللتين قبلها ففيهما تأكيد : كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله لقوى عزيز · لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون » ·

وفى هذا الموطن من السورة الكريمة رسم القرآن العظيم لنا صورتين ، الصورة الجميلة الحسنة التى لعباد الله وحزب الرحمن ، وقد مضى الكلام عنها ، والصورة البغيضة الكريهة التى لأتباع الشيطان وحزبه، وفيها يقول القرآن : « ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون · أعداء الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون · اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين · لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون · يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء ألا انهم هم الكاذبون · استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون » ·

وقد يشير القرآن من طرف خفى الى أن حزب الله الراجع اليه المتوكل عليه هو الصادق المفلح ، وذلك كقول الله تعالى فى الآية الثانية من سورة الكهف : « ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا » ·

فالآية واردة فى قصة أهل الكهف، والمراد بالحزبين هنا الفريقان المختلفان فى أمر البعث ،وكلا الفريقين من أهل الكهف حقيقة ، ولكن أحد الفريقين قال : لبثنا يوما أو بعض يوم ، والفريق الثانى قال : ربكم أعلم بما لبثتم ، فكان هذا الفريق الثانى أصح فى الرأى وأصدق فى الخبر وأقرب الى الحق ···

ولماذا ؟ ··· لأنهم ارجعوا الأمر الى الله فى قولهم : ربكم أعلم بما لبثتم ، فكأنهم آثروا أن يكونوا من حزب الله يفوضون اليه الأمر حيث لا يوقنون ، وفى هذا رمز خفى الى أن الحزب الأكمل هو حزب الله ···

***

أما بعد فهذا حديث الحزبية فى القرآن الكريم ، وفيه عظة وبلاغ ، وقد روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال : هذه سبل على رأس كل منها شيطان يدعو اليه ، وقرأ : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ·

وقال عليه الصلاة والسلام : تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم فى النار الا فرقة واحدة ، قالوا : من هى يا رسول الله ؟، قال ما أنا عليه وأصحابى ·

أحمد
حسين

ملامح الفكر الأوربي المعاصر

تعليق وملاحظات

اتابع في المدة الاخيرة منذ اعانني الله على المطالعة (بعد عجزي المطلق عنها) ما تصدره دار الهلال من اعداد خاصة ببعض الامور والقضايا ، ولقد استفدت كثيرا مما اشتملت عليه هذه الاعداد من دراسات قيمة وبحوث عميقة وكان اخر ما طالعته هو كتاب « الهلال » عن شهر ابريل والذى تضمن موضوع « ملامح الفكر الاوربي المعاصر » تأليف الدكتور صلاح عدس ٠

وأريد بداءة ذى بدء أن اشكر واهنئه جهده في اخراج هذا الكتاب ٠ولست احسب ان كتابا حملني على مطالعته كلمة كلمة في هذه الاعوام الاخيرة كما استطاع هذا الكتاب،ذلك أن الفكرة التى اصبحت تتملكني هذه الايام ما سجلته في سلسلة من المقالات نشرتها مجلة الثقافة وخلاصتها ان اوربا وامريكا قد توقفتا عن العطاء الحضاري واجدبتا ولم يعد لديهما سوى علم صنع الآلات (التكنولوجيا) ٠

وعندى ان أوربا الحديثة قد تلقت الحضارة بكل مقوماتها (الدين والقانون والعلم والفنون) عن الشرق ، فاندفعت هذا الاندفاع التاريخي الذى شهدته الثلاثة أو الاربعة قرون الاخيرة ، ولما كانت هذه الحضارة الاوروبية الحديثة غير غريبة عن الشرق فهو مصدرها ، فقد تاثر بها الى ابعد الحدود واستسلم لها ، وليس ادل على ذلك من أن شيخا أزهريا (مبدعا) كمصطفى لطفي المنفلوطي لم ير اى حرج أن يعيد صياغة رواية « الشاعر » ببيانه العربي الساحر ولم يجد في ماكتبه ادمون روستان الفرنسي شيئا ينبو عن الذوق الاسلامي فضلا عن أن يتعارض مع قيمنا الخلقية والدينية ٠

وقبل ذلك بعشرات من السنين

عاش رفاعه رافع الطهطاوى فى صميم باريس وعاد ليكتب لنــــا « تخليص الابريز فى رحلة باريز » حيث يقارن هذا الشيخ الازهرى فى مطلع القرن التاسع عشر بين أحوال القوم وأحوالنا . فلا يقول عنهم الا خيرا باستثناء (أخص خصائصهم) .

وقبل ذلك كله يحدثنا الجبرتى الذى عاصر الحملة الفرنسية على مصر بما يشعر بانبهاره ببعض الظواهر التى رآها من صميم جوهر الاسلام .

فالحضارة الاوروبية الحديثة قد قامت على أسس الحضارة الشرقية كما تلخصت وتبلورت بعد أن نفخ فيها القرآن الكريم من روحه فأبعد



رفاعه الطهطاوى

خبثها واستبقى طيبها فكانت الحضارة الاسلامية أنقى وأطهر وأكمل من كل ما سبقها من حضارات ، ومن هذا المعين شربت أوروبا فكان هذا الازدهار .

ودار الزمان دورته

ولكن شيئا فى هذه الدنيا لا يستقر على حال وطبيعة كل ما فى الكون أن يدور ، فلا يكاد يصل الى الذروة، حتى يعود للانحدار ففى الوقت الذى تصورت فيه أوروبا انها وصلت قمة لم يسبقها اليها سابق ، ولن يلحقها لاحق ، اذا بهـا تدهم بحربين طاحنتين ، واذا بالامبراطوريات تتداعى (انجلترا وفرنسا وهولندا والنمسا وبلجيكا وأيطاليا) وتتصور أمريكا أن هذه الامبراطوريات قد تداعت لترثها هى فاذا بها تهزم فى فيتنام هزيمة تكشف عن مدى تداعيها بدورها ، ويتصور الاتحاد السوفييتى أن ذلك كله يحدث لحسابه ، حيث يكفى موقف الصين منه ليكون ذلك دليلا على انــه ليس أحسن حظا من بقية أوروبا وأمريكا .

بين الروح والمادة

وعندى أن الحضارات تقوم على توازن بين ما هو روحى ومادى ، وتفلس الحضارات عندما تجنح الى أحد الطرفين ، مسقطة الطرف الآخر من اعتبارها ، فلما فقد المجتمع الاسلامى والمجتمع الشرقى بعامة هـذا التوازن فقد قوته ، وعندما انتقل هذا التوازن الى أوربا أخذت كل قوتها ، والقليلون هم الذين يعرفون أن أوربا الحديثة قد بدأت نهضتها باصلاح دينى ، وحققت كل انتصاراتها فى ظل القيم والاخلاق والاعتقاد الدينى .

أما اليوم وقد انحرفت (شرقها وغربها على السواء) نحو المادة وعبادة المادة ، حيث أصبحت الحياة ولا شىء غير الاكل والجنس واللهو ، حيث أصبح الحديث عن الاخلاقيات والمعنويات فضلا عن الايمان بالله واليوم الآخر ضربا من ضروب الخرافات والخزعبلات فلم يعد هناك ما يسمى بالحضارة الاوروبية والامريكية .

ملامح الفكر الأوربي المعاصر



ذلك خلاصة ما كتبته في عديد من المقالات وخلصت من هذه المقدمات الى نتيجة ساعود اليها بعد الحديث عن كتاب الدكتور « صلاح عنس » « ملامح الفكر الاوروبي المعاصر » فقد جاء هذا الكتاب في أوانه وقد أعجبني بقدر ما أدهشني قدرة الدكتور صلاح عنس على عرض هذا الحشد من الافكار الاوروبية بهذا التلخيص الدقيق الواقي من ناحية ، والبسيط والواضح من الناحية الاخرى وأن يصوغ ذلك كله فيما يمكن أن نسميه « برشامة » .

فمن الوجودية والبراجماتية الى النسبية والسيبرنتيكا مرورا بالفلسفة التحليلية ومذاهب اللامعقول واللامنتمي ، وعلى رأس الكل الماركسية حيث نوقشت من خلال آخر معطيات العلم وقديما قال أحد الكتاب يعتذر عن نفسه لصديق « لم استطع الايجاز فاسهبت » فالايجاز قدرة وأحسب ان الدكتور صلاح عنس قد بلغ ذروة هذه القدرة اذ يستطيع ان يستعرض كل هذه الاتجاهات في هذه العجالة . وختم كتابه بعبارات نرى ان ننقل بعضها بالنص .

« ولم يكن عرضنا لكل هذه التيارات الفلسفية والنظريات العلمية المعاصرة لمجرد العرض وانما كان وراء ذلك الايمان بوحدة المعرفة والايمان بوحدة الكون التي اكدها « اينشتين » في نظريته الاخيرة وتؤكدها السيبرنتيكا وكان هذا العرض يعكس ايضا ايماني بانه لابد للاديب العربي ولابد للباحث العلمي العربي ولا بد للمشرف العربي بوجه عام أن يكون ملما بكل انجازات العصر في كل مجالات الادب والفلسفة والعلم حتى يكون على مستوى العصر الذي يعيشه .. وبدون ذلك لن نستطيع نحن العرب ان نكتب ادبا ذا قيمة او أن ننتج بحثا علميا جديدا او فلسفة جديدة ... أو بالاختصار لن نستطيع أن نضيف أي اضافة للحضارة الانسانية والفكر البشري .. » .

التفرقة بين العلم والفلسفة والادب

ومع تقديرنا الكبير لجهد وهدف الدكتور صلاح في كتابه فنرجو أن يسمح لنا بأن نفرق بين «السيبرنتيكا» والتي تعني آخر ما توصلت اليه صناعة الآلات والعقول الالكترونية ، وبقية السخافات التي يطلق عليها اللامعقول واللامنتمي والوجودية . فكل هذه الفرازات انتجها مجتمع متدهور يكشف بها عن مدى الافلاس الذي وصل اليه حيث اصبحت البطالة والقذارة والنوم على الارصفة . وتعاطي المخدرات وممارسة الجنس علنا والقتل لمجرد الاستمتاع ، اقول ان هذه المظاهر التي هي نتيجة هذه الفلسفات والاتجاهات لا تمثل حضارة يجب ان نعلمها لنضيف اليها ، وانما يجب ان نعلمها لنحذر منها ومن المذاهب والفلسفة التي ادت اليها .



يا شاربَ الكأسِ من قلبٍ أذوّبه
شعرا يحوطك منه ظل إيناسِ

إن تشربِ الكأسَ ، مأخوذا بنشوتها ،
فاذكر مع الكأسِ حينا صاحبَ الكاسِ

اذكرهُ تعصره الأيامُ . . مشتعلا
لحنا تفجّرَ من مشبوبِ إحساسِ

واذكرْهُ إن جفّت الكاسات ، واحتدمتْ
حرارةُ الظمأِ المحمومِ في الراسِ

واذكرْهُ كالطيفِ بعدَ الصحوِ قد ذهبتْ
به الحوادثُ في دوّامةِ الناسِ

لا تنسه ... إنه غادٍ على سفرٍ
وليس يؤذيه إلا الجاحدُ الناسي

يا شاربَ الكأسِ ! انظر في قرارتها
بعدي ، [illegible] ترابي فضلةَ الكاسِ

وما الحبابة عليها في تدافعه
إلا تعانقُ أنفاسي بأنفاسي ..

عاطف مصطفى



رسالة دكتوراه عن

جورجي زيدان

صاحب "الهلال" وروايات تاريخ الإسلام

تقدم الأستاذ محمد الحسين عبدالقادر من السودان الشقيق الى قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر برسالة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد موضوعها « روايات تاريخ الاسلام لجرجي زيدان » ، قد كانت مناقشة هذه الرسالة في قاعة الامام محمد عبده بجامعة الأزهر ، وحضرها جمهور كبير من السامعين والمهتمين بجرجي زيدان ، وبما قدم للثقافة والفكر العربي ، وتكونت لجنة المناقشة من الأساتذة ، الدكتور عبد السلام سرحان والدكتور أحمد الشرباصي ، والدكتور عبد الغني اسماعيل .

استمرت المناقشة حوالي أربع ساعات ، وقد كان هدف الطالب من رسالته تحليل روايات جرجي زيدان التي تزيد على العشرين رواية وأن ينقدها من وجهة النظر الاسلامية ، كما يبين مدى تطبيقها في وقتها المبكر لمقومات القصة ، وأن يذكر ما لهذه الروايات وما عليها حتى تستبين للقارىء الدوافع التي حملت جرجي زيدان على انشاء هذه الروايات والطريقة التي سار عليها .. وقد أخذ على صاحب القصص

طائفة من المآخذ ، ولكنه لم يغمط المؤلف حقه ، بل اشاد بفنه وادبه فى كثير من المواطن ، وذكر الاسباب التى دفعته الى اعداد هذا البحث باختياره « روايات جرجى زيدان » ومنها :

● « شهرة جرجى زيدان وشدة تأثر الناس به ، لسهولة أسلوبه ، وجمال تصويره ـ خاصة من الناشئة العربيةالتى تربت فى ظلال الاستعمار الذى كان ولا يزال يعمل جاهدا على طمس التاريخ الاسلامى ، وتشويه معالمه ، بغية تنفير العرب والمسلمين من ماضى ابائهم المجيد » .

● « أن روايات جرجى زيدان لم تحظ بالدراسة التى توضح سمتها وطابعها الفنى » .

وقد استرسل الطالب على مدار ساعة كاملة فى القاء ملخص رسالته وقد قسا على « جرجى زيدان » فى طائفة من المواقف ، واثار عددا من القضايا التاريخية التى كانت موطن حوار طويل ، وجدل بينه وبين لجنة المناقشة والتى اصرت على حذف مواطن الضعف فى هذه الرسالة ، وبعض القضايا التى سنورد مقتطفات منها . وعلى الرغم من أن صاحب الرسالة تحامل على جرجى زيدان بقوله انه استغل الحياة المزدوجة فى عصره ، وعالج كل رواياته من خلال غانية او فتاة جميلة ، فان لجنة المناقشة دافعت بشدة ، بأن جرجى زيدان كتب هذه النصوص ليكتب قصة تاريخية مشوقة ، وليست هناك اية شبهة حول ما كتبه الباحث عن جرجى زيدان .

وعلى النقيض من هذا نجد الباحث يقول : « جرجى زيدان علم من اعلام الادب العربى الحديث دون ريب ، شرق اسمه وغرب عبر « هلاله » الذى اطل على العالم العربى فى سبتمبر ١٨٩٢ معلنا .. مؤازرته لمجلة المقتطف فى اداء رسالة الادب والعلم ، ولكن باسلوب ميسر ، وظل خفيف وشكل انيق » .

ثم يقول « ينتمى جرجى زيدان الى اسرة عربية ، ويظهر ان اصل اسرته من « حوران » . ولد فى ١٤ من ديسمبر عام ١٨٦١ فى اسرة رقيقة الحال . لم يستمر طويلا فى الدراسة النظامية فكان فى ثقافته عصاميا ، كون نفسه بنفسه ، وساعدته هذه الوصاية على تربية ذاته وتكوين شخصيته ، وحاول تعلم الطب . ولم يستطع اكمال دراسته فى كلية الطب ، فاتجه الى دراسة الادب والاشتغال بالصحافة وعنى بالدراسات اللغوية واختاره المجمع العلمى الشرقى عضوا فيه .. وكان يمتاز عن زملائه الصحفيين بانه يتعمق اكثر منهم فى دراسة تاريخ الامة العربية السياسى والاقتصادى والاجتماعى » .

ويقول صاحب الرسالة ايضا « والنظرة الفاحصة الى مؤلفاته تشير الى انها تنحصر فى الجانب التاريخى سواء اكان تاريخا مباشرا ام تاريخا عن طريق الرواية والقصة أم عن طريق دراسة اطوار الظواهر اللغوية أو غير ذلك من الدراسات التى تدور فى فلك التاريخ وتسبح فى دائرته ، وذلك انه كان شغوفا بالتاريخ ، وخاصة بالتاريخ العربى والتاريخ الاسلامى . ومؤلفاته لا تزال مرجعا مهما لدى كثير من المؤرخين والباحثين .

وعلى الرغم من هذا التناقض



جورجي زيدان



الخطير في آراء الباحث ، والذي كان تشدده فيها واضحا حتى في خلال مناقشته ، فقد كان يصر على رأيه ، حتى أن الدكتور الشرباصي احتد على الباحث من خلال مناقشته في قضايا عديدة وملاحظات كان من الواجب الاهتمام بها قائلا له « من لا يرحم لا يرحم » .

استهل الدكتور أحمد الشرباصي مناقشته قائلا في البداية « ان الحديث عن جرجي زيدان يذكرنا بالحديث عن مجلة الهلال التي أنشأها جرجي زيدان وظل يسهر عليها ويصدرها ويواليها ببحوثه ومقالاته أكثر من عشرين عاما ، واذا كان يسرني اليوم أن أشارك في الكتابة في مجلة الهلال فقد كان يسعدني وأنا شاب منذ عشرات السنين أن أتابع مجلة الهلال لأضيف منها الى ثقافتي ما أستطيع والاحظ لها أو عليها ما تمكنني روحي الشابة وعزيمتي الطامحة .. وما زالت مجلة الهلال تصدر متابعة رسالتها الثقافية في العالم العربي كله ويرأس تحريرها الآن الأخ الصديق صالح جودت ..

وقد ناقش الدكتور الشرباصي الطالب بقراءة الساعتين ولا يستوعب المقال جل مناقشاته له ولكنني أجتزىء منها بعضا مما يلقي الضوء على الرسالة ..

ناقش الطالب في ضبط اسم جرجي زيدان ، قال : « ان بعض المصادر مثل كتاب « الاعلام » لخير الدين الزركلي قد كتبت « جرجي » من غير واو بعد الجيم . والبعض الآخر كتبها « جورجي » وذكر الدكتور الشرباصي أنه رأى بعض الرسائل الخطية من جرجي زيدان للسيد محمد رشيد رضا زميله في الصحافة وصاحب مجلة المنار وفيها توقيع جورجي زيدان بالواو بعد الجيم وقد ذكر الطالب في مطلع رسالته انه لم يرجع الى المصادر الفرعية ويقصد بها الذين عاصروا جرجي زيدان من المفكرين الأدباء وعلل الباحث ذلك بأنه لم تتح له الفرصة للاتصال بهم فبعضهم قد لحق بربه وبعضهم ارتد الى أرذل العمر ..

وقد عاب عليه الدكتور الشرباصي هذا وقال ان هذه ليست مصادر فرعية فالدراسات الأدبية تعد الرجوع الى المعاصرين للأديب مصادر مهمة لا يليق اهمالها أو الاعراض عنها وذكر الدكتور ان المفكر جرجي زيدان صاحب « الهلال » وصاحب روايات الاسلام قد توفي في شهر يوليو سنة ١٩١٤ وكان من الممكن لصاحب الرسالة أن يعود الى بعض الذين شهدوا مولد هذه الروايات وصاحبها جرجي زيدان ما زال حيا من أمثال الاستاذ زكي المهندس والاستاذ علي الخفيف والاستاذ عبد الجليل عيسى والاستاذ فكري أباظة وغيرهم ..

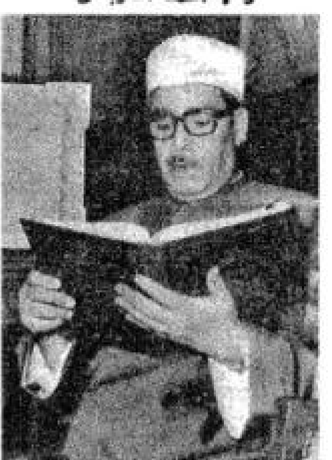
وذكر الباحث في أول الرسالة أن روايات تاريخ الاسلام لجرجي زيدان لاقت شهرة كبيرة جدا وتأثر الناس بها تأثرا شديدا لسهولة أسلوبها وجمال تصويرها وعمق سحرها واستنكر صاحب الرسالة أن

تجعل المرأة مهرها الذى تطلبه من زوجها هو رأس عدوها ويقول فى ذلك .. ان هذا لا يتفق مع الحياء ولا مع التقاليد .. وصحح الدكتور الشرباصى له هذا وقال : ان ذلك امرا كان معروفا عند العرب من قديم ، ومازال معروفا الى اليوم فى كثير من اقاليم البلاد العربية ..

كما عاب الدكتور الشرباصى على صاحب الرسالة انه استخف بدراسة البيئة التى عاش فيها جرجى زيدان ، وأهمل تفصيل النشأة التى تنقلت فيها خطوات ذلك الاديب المشهور ، وطالب صاحب الرسالة بأن يعنى بهذا الجانب لانه مهم فى هذا الميدان ..

وفى بعض الجوانب التى حاول الباحث التعرض لها فى روايات تاريخ الاسلام ، وقد جانبه فيها الصواب من خلال مناقشة الدكتور احمد الشرباصى والدكتور عبد الغنى اسماعيل له ، وطالباه على ضوئها بان يراجعها من جديد ، يحذف منها

د . احمد الشرباصى



ما طالباه به ، ويعدل الباقى معها ونورد مثالا من ذلك ..

ذكر صاحب الرسالة انه يخطىء جرجى زيدان حينما نقل نصا فى احدى رواياته يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ختم كتابه الى هرقل بالطين ، واعتبر أن هذا لمز من صاحب الرواية فى حق الرسول صلوات الله وسلامه عليه ..

وقد فند الدكتور الشرباصى هذه الناحية وذكر ان عبارة ختم كتابه بالطين لا تحمل المعنى المزرى الذى فهمه الباحث وعلق عليه . فان معاجم اللغة العربية تذكر عادة ختم الكتب بالطين وقد جاء على سبيل المثال فى القاموس « طين » الكاتب كتابه بالطين ، اى ختمه .

كما قال الدكتور الشرباصى انه مع تسليمنا لصاحب الرسالة بطائفة من وجوه النقد والملاحظة والمؤاخذة والاعتراض فانه لم يكن موفقا حين ادعى ان صاحب روايات الاسلام قد أورد اشارة غريبة فيما يتعلق بتعلم النبى من الراهب « بحيرا » . وذكر الدكتور الشرباصى أن مقابلة « بحيرا » للنبى مذكورة فى المراجع التاريخية الاسلامية ، وأن موقف بحيرا يظهر فيه النصح لعم النبى صلى الله عليه وسلم بأن يحافظ عليه ويحذر عدوان اليهود له وتربصهم به ..

ومع الجهد الذى قام به الباحث بقيت لنا كلمة .. وهى أن حضارة الإسلام ليست ملكا للمسلمين فقط ، انما هى ملك لكل الشعوب التى اسهمت فى ايجاد الحضارة الإسلامية .. وجرجى زيدان ولو انه لا يدين بالدين الاسلامى الا انه واجداده واجداد اجداده ينتمون الى الحضارة الاسلامية بمعنى انهم اسهموا فى ايجاد فكرها ، وانهم

جورجي زيدان



يعبرون عنها ، وتاريخ الفكر الاسلامي مليء بغير المسلمين ممن تزعموا ريادة العلوم والآداب والفنون المختلفة فالانتماء للحضارة الاسلامية شيء والانتماء الى الدين الاسلامي شيء آخر .

وجرجي زيدان بحق رائد في فن القصة العربية ، ولاسيما التاريخية ، وقد تناول عصورا اسلامية مختلفة بالعمل الروائي لم يقم بها روائي من قبله ، ولكن جاء من بعده بالكثير ، وفريد ابو حديد ، وسعيد العريان وغيرهم .

ومن الانصاف أن يوضع جرجي زيدان في مكانه السليم في ريادة الرواية الاسلامية والتاريخية المعاصرة وجهود جرجي زيدان في الرواية وفي الدراسات التي قدمها للتاريخ العربي والأدب العربي والمناقشات التي اشترك فيها حول قضايا العصر الأدبية .

والروائي لا ينظر الا لحركة الناس والمجتمع ، وكلما استطاع أن يصل الى مناطق الضعف والقوة ، ويعطي الصراع الموجود فانه يرسم بقلمه الصورة الحقيقية لحضارة هؤلاء الناس ، فالحضارة هنا هي التناقض الذي يؤدي الى الأحسن .

وأي قاريء او دارس لتولستوي أو ديستويفسكي أو ديكنز أو بلزاك أو مو باسان أو هوجو/وجيته يلمح في رواياتهم وخصوصا التاريخية منها مناطق القوة والضعف في جميع الأبطال مهما سمت مكانتهم فالفن لا يعرف الانسان المصمت ولا يعرف اللون الأبيض فقط في مقابل الأسود فقط لأن منظار الفنان يكشف جميع الوان الطيف .. والفن هو الشيء الوحيد الذي يبقى الشعب خالدا والتعظيم والتمجيد هما عمل كتاب التاريخ والسياسة ، اما رجل الفن فأساسا يتجه الى نقاط الضعف البشرية لأنها هي منطق القوة من النفس الانسانية الخالدة .

في المقابل لهذا الصمت عن الكتابة الفنية والروائية لتاريخنا الاسلامي المجيد ، ولرجاله الذين تعرضوا للضغوط الانسانية العاتية ، فقدموا تضحيات كثيرة للحضارة الانسانية كلها ، وتمكنوا من ايجاد ما سميناه بالحضارة الاسلامية ذات الامتداد العلمي والثقافي والفني والفكري الى جوار المحتوى الديني .. الصمت على هؤلاء الرجال أدى فنيا الى أن الأدب المعاصر العربي لجأ الى الرموز من الاغريق ومن المسيحية بل ومن الأساطير اليهودية ونظرة الى دواوين الشعر التي صدرت في الآونة الأخيرة منذ عشرين عاما تكشف على أن المثل الانسانية التي استعملها كتاب العصر كرموز لم تكن مستمدة من النماذج الاسلامية وذلك للحظر الخطير الذي فرض في تناول تاريخ الانسان المسلم لابراز معطياته الانسانية الخالدة ..

وجرجي زيدان تناول حقبا متعددة ليس من أول ظهور الاسلام ولكن حتى العصر المملوكي وقدم شرائح انسانية لم يتعرض فيها



تشارلز ديكنز

الدين ، وانما تعرض للنماذج بما يكشف دورها الحضاري وعن انطباقات القوة فيها مرورا بمناطق الضعف ..

وهو من حقه ان يختار كروائي لقته مايراه متفقا مع فكرته الروائية ، فهو ليس كاتب تاريخ يلزم بسابق الروايات ، وانما هو ملزم فقط بالا يخرج عن اطار الحقيقة العامة ، وهذا هو ما قام به طه حسين وتوفيق الحكيم بعملهما حتى في تناولهما للسيرة النبوية ، فقد كان الاختيار للحس الفني هو ابرز ما يميز اعمالهما .

لقد جعل جرجي زيدان الشخصيات الاسلامية ليست شخصيات كتب جامدة ، ولكنها شخصيات يعايشها القارىء وينفعل معها ، ويحزن لحزنها ، ويفرح لانتصارها ، وهذه الشخصيات التي رسمها تصبح شخصيات حقيقية من لحم ودم ، ولاشك ان من قرأوا روايات تاريخ الاسلام لجرجي زيدان اقتربوا من هذا التاريخ اكثر من الذين اكتفوا بقراءة كتب التاريخ .

ان الفترة التي عاشها جرجي زيدان كانت تسود العالم فيها موجة الرومانسية ، وهذه الموجة ارتبطت بمعنى الحب ، والحب الحزين بصورة ضخمة ، كما ان مفكري الغرب من امثال جيته وموباسان تناولوا المرأة بصورة اكثر تركيزا ، وظهور الحب في قصص تتناول هذا تعتبره اعطاء لبعد انساني كان مفتقدا باعتبار ما كان يصدر به الانسان المسلم من قبل باعتباره انسانا عابسا جادا لا يمارس الحياة رغم ان الحقيقة والدين يعارضان هذا تماما ...

***

ان الدور العظيم الذي اضطلع به جرجي زيدان في اثراء الفكر والثقافة العربية لخير شاهد على تفانيه من اجل هذه الحضارة العريقة ، واسهامه في ابراز الحضارة الاسلامية يشهد على حبه المتأصل في نفسه لتلك الامة الخالدة ، وخير شاهد على عظمة ذلك الرجل تلك الدار الصحفية التي اسسها والتي تثري الفكر العربي من خلال ما تصدره من فن صحفي وثقافي متميز على مثيلاتها من الدور الصحفية الزميلة على مستوى الوطن العربي الكبير . ويكفيه فخرا ان « الهلال » مجلته الاثيرة مازالت تصدر منذ سنة ١٨٩٢ وحتى الآن تقدم الوانا من الفكر العربي الاصيل يستنير به اهل العلم والمعرفة ..

ويطيب لي في هذا المجال ان اذكر ابياتا من رثاء الشاعر احمد شوقي لجرجي زيدان يقول فيها :

وضعت خير روايات الحياة فضع
رواية الموت في اسلوبها العالي
وصف لنا كيف تجفو الروح هيكلها
ويستبد البلى بالهيكل الخالي
وهل تحن اليه بعد فرقته
كما يحن الى اوطانه الجالي
هضاب لبنان من منعاك اضطربت
كأن لبنان مرمي بزلزال
كذلك الارض تبكي فقد عالمها
كالام تبكي ذهاب النابغ الغالي

الجديد فى المكتبة الغربية



عالم الجاسوسية الغريب !

الكتاب : حرب الخداع

المؤلف : ماسترمان

الكتاب : حراس الاكاذيب

المؤلف : انتونى كيف براون

الكتاب : عباقرة الجواسيس

المؤلف : تشارلس ويتنج

الكتاب : رجل اسمه جسور

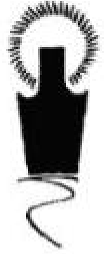
المؤلف : ويليام ستيفنسون

بعد ازاحة ستار السرية عن وثائق الحرب العالمية الثانية ، اخرجت المطابع الغربية عدداً من الكتب يعالج ما سمى « بالحرب الخفية » : عالم المخابرات ، والمخابرات المضادة ، والجواسيس ، خلال تلك الحرب ، فى سنة ١٩٤٥ ، كتب ماسترمان « حرب الخداع » ، ولـــكن كتابه لم ينشر الا فى سنة ١٩٧٢ ، وفى الكتاب شرح الكاتب وسائل جهـــاز « الاستخبارات » البريطانى لاخضاع جواسيس العدو فى بريطانيا للسيطرة البريطانية ، بدلا من القبض عليهم ، ومن ثم تم تشغيلهم لحســاب المخابرات البريطانية ، كعملاء مزدوجين ... وفى سنة ١٩٦٢ ، نشر مونتجمرى هايد ، كتابه « الكندى الهادىء » ، ولكن الكتاب كان ترجمة لحياة سير ويليام ستيفنسون لم يملك فيه الا مجرد التلميح الى اعماله الخارقة فى عالم الجاسوسية ... فى سنة ١٩٧٤ ، نشر وينتر بوثام ، كتابه « سرى جدا » ، وفيه كشف ــ لاول مرة ــ جانبا من حرب الجاسوسية خـــلال الحـــرب الاخيرة ، وكيف استولى البريطانيون ، فى الايام الاولى للحرب ، على مفتاح شـــفرة الالمـــان السرى « انيجما » ، التى كان هؤلاء يظنون انه لا يمكن حل الغازها ، وبفضـــل الحصول على هذا المفتاح ، امكن للخبراء البريطانيين ، القابعين فى مقرهم السرى ، رقم ٤٠ شارع بليتشلى بارك ، ان يعرفوا مواعيد غارات الالمان الجـــوية على بريطانيا ، وتحركات جيوشهم ، وحتى خطط روميل الحربية الفائقة السرية فى شمال افريقيا .

ولكن شاب كل هذه الكتب شىء كثير من المبالغة ، خاصة حينما وصـــفوا اعمال الجاسوسية بانها كانت حاسمة فى كسب الحلفاء للحرب . ثم توقفت المطابع عن مادة الجاسوسية ... اللهم الا المـــادة الخيالية التى ترضى اذواق عشاق الروايات البوليسية ، بحوادثها المثيرة ، وحركتها التى لا تهـــدا ، ومغامراتها الخارقة !

حراس الاكاذيب !

وفجأة ظهـــر كتاب كيف براون « حراس الاكاذيب » ، ورغم أن الكتاب مكرس لوسائل الخداع التي صاحبت حملة غزواوروبا ـ وهي تعيد الى اذهاننا مع الفخر ، حملة التضليل المصرية التي سبقت عبور أكتوبر العظيـــم ـ الا انه يحوى مجموعة مدهشـــة من قصص الجاسوسية خلال الحرب العالمية الثانية تبدأ بقصة شيشرون المشــهورة ، وشيشرون اسم حركى لخـادم السفير البريطاني في أنقـــرة ، الذى ظـل يخدم السفير باخلاص حتى نال ثقتـه الكاملة ، ثم استثمر هذه الثقة لصالح النازى ، فكان يصور وثائق الحلفاء البالغة السرية ، التي تصل السفير ، ثم يرسلها لهم ٠٠ والقصة معروفة ،



فقد نال شيشرون من مخدوميه الالمان ثروة طائلة ، اكتشف بعد ذلك أنها من أوراق النقد المزيف !

وفي الكتاب قصة طريفة عن « بديل » الماريشال مونتجمرى ، الذى كان يظهر في الحفلات والمناسبات، بينما الماريشال الحقيقي منكب على وضع خطط معركة العلمين ، التي اصبح النصر فيها نقطة تحول في الحرب كلها ٠ هذا البـديل اصبح فيما بعد سكيرا مدمنا خطراعلى بديله ، لا جدوى ولا أمل في شفائه ٠٠٠ وكشف الكتاب ـ لاول مرة ـ محاولة ونستـون تشرشـــل ، رئيس وزراء بريطانيا ، لخفاء حصـــول بلاده على مفتاح الشفرة الالمانية السرية « انيجما » باخفاء معرفته مقدما ـ باربع وعشرين ساعة ـ انباء غارة كوفنترى المدمرة ، فدفعت بلاده ثمن السرية غاليــا ٠٠٠ والكتاب ليس واضحا في تفسير كارثة غارة دييب في سنة ١٩٤٢ ، وهي الغارة التي راح ضحيتها اكثر من نصف قوة الحلفاء المهاجمة ، وان حاول أن يبررها بقوله ان الهزيمة متعمدة ٠٠٠ حتى يثنى البريطانيون حلفــاءهم الامريكان عن اصرارهم على هجوم مباشر على القارة الاوربية ، في هذه المرحلة من الحرب ٠ غير انك تخرج من « حراس الاكاذيب » بأن قلم المخابرات البريطاني كان خلال الحرب مكونا من مجموعة من الرجال، كل واحد منهم سوبرمان لا يخفى عليه شيء !

عباقرة الجواسيس !

وبطل كيف براون، ورجله الاسطورى هو سير ستيوارت منزيس ، رئيس فرقة « م ى ـ ٦ » ، فرع الاســـتخبارات البريطاني المشهور ، الذى انتهى عمله بفضيحة مدوية ، حينما فر جاسوســـه المفضل ، والرجـــل الذى دربه منزيس بعناية ليخلفه ، هارولد فيلبي ـ أو كيم فيلبي ـ الى الاتحاد السـوفييتي ، ولكن هيدج تريفور ـ روبر ، أحد كبـار رجال المخابرات البريطانيين ، يهون من شأن منزيس وأمثاله ، في كتاب تشارلس ويتنج « عباقرة الجواسيس » ، فهـو يصفه بأنه رجل غير موفق في الحكم على الرجال ، لانه « يختارهم من دائرة اجتماعية ضيقة ٠٠٠ ولا أعتقد انه فهم طبيعة الحرب التي كان يخوضها » ٠٠

وكتـــاب « عباقرة الجواسيس » يخصص جانبا كبيرا من صـــفحاته للمغامرات الغريبة : العـالم البريطاني مالكولم مجريدج يقضى وقتا طويلا في جمع فضلات الطيور ليصنع منها حبرا سريا ٠٠٠ عالم آخر يحاول خلط طعام هتلر ـ النبـاتي ـ بهرمونات انثوية ، حتى يسقط شاربه المشـــهور ، ومن ثم تتشوه صورته لدى الجمــاهير ٠٠٠ ولتصبح صورته انثويا رقيقا ، ومن ثم

يتوقف عن القاء خطبه النارية المشهورة ولكن ويتنج لا يصطنع بطلا بعينه ، يصفق له ، وانما يناقش أعمال منزيس وستيفنسون ، ورجال الشفرة في بليتشلي ، وغيرهم وغيرهم من رجال المخابرات ، دون أن يرفع أحدا الى مرتبة الابطال ، أصحاب الخوارق !

الجسور !

اما كتاب « رجل اسمه جسور » فيبين أن رأس المخابرات البريطانية مليونير كندي ، ومخترع ، ورجل اعمال ، وطيار مقاتل حارب في فرنسا خلال الحرب الاولى ، ومبعوث وينستون تشرشل الخاص الى فرانكلين روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية ، ليجنده ، كحليف . وهذا هو الكتاب الثالث عن هذه الشخصية الاسطورية ، الذي يبلغ الآن الثمانين من عمره ، ويعيش في هدوء في جزيرة برمودا ولا ينبيء مظهره بأنه كان عدو هتلر رقم واحد ... وهو نفسه الرجل الذي قال عنه ايان فيلمنج في سنة ١٩٦٢ « في هذا العصر الذي لا ينتج الابطال ، يبرز البطل جسور ، أعظم العملاء السريين في الحرب العالمية الاخيرة » وقال عنه جون لوكاريه انه « الجنرال الحقيقي للحرب السرية ضد هتلر » ! .

ومؤلف الكتاب ، ويليام ستيفنسون ، لا يمت بأية صلة قرابة لبطل كتابه سير ويليام ستيفنسون ، ولو انه كان طيارا ملحقا بخدمته ، أصبح بعد ذلك صديقا له معجبا به غاية الاعجاب . وقد قضى المؤلف ثلاث سنوات يجمع مادة كتابه من وثائق الحكومة البريطانية السرية ، ويراجع هذه المادة مع سير ستيفنسون نفسه ... الذي كتب مقدمة الكتاب .

والاسم المستعار لسير ستيفنسون اثناء العمليات كان « جسور » ، وفرع استخباراته كان يسمى « مكتب تنسيق الامن » ، الذي أشرف على العمليات السرية في امريكا ما بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥ ، وكان يحتل طابقين من عمارة روكفلر سنتر بمدينة نيويورك ، في وقت كانت الولايات المتحدة فيه على الحياد في الحرب ... وهكذا يكون جسور ، من حيث لا يدرى ، قد عزز اتهامات أنصار العزلة الامريكيين ، بأن الرئيس روزفلت كان يعمل على جر الولايات المتحدة الى الحرب الى جانب بريطانيا ... كان روزفلت يقول لجسور : « اعتبرني أكبر عملائك السريين » ، وهو قول كان يكفي لتجريم رئيس الولايات المتحدة في ذلك الوقت ، لو كشف .

وطبقا للكتاب ، كان جسور هو الذي قدم للرئيس روزفلت ، الأدلة على انحياز جوزيف كيندي — والد الرئيس الراحل جون كيندي — للنازي ، خلال عمله سفيرا للولايات المتحدة لدى بريطانيا ، الامر الذي جعل جوزيف كيندي يحجم عن ترشيح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة سنة ١٩٤٠ ، منافسا للرئيس روزفلت .

والى جسور يرجع الفضل في تغذية هيئة الاذاعة البريطانية بالمعلومات التي نسفت زعيم الانعزاليين الامريكيين ، سناتور بيرتون هويلر ، وأفسدت جهوده في ابعاد الولايات المتحدة عن الانغماس في الحرب ... والى جسور (بيل الصغير) يرجع الفضل في تشكيل مكتب الخدمات الإستراتيجية الامريكي (او — اس — اس —) سنة ١٩٤٢ ، واقناع روزفلت وتشرشل بأن يرأسه صديقه الجنرال ويليام دونافان (بيل الكبير) .. والـ (او — اس — اس) هي سلف الـ (سي — اي — ايه) ، هيئة المخابرات المركزية ، صاحبة الفضائح المشهورة هذه الايام ! .

وفي الكتاب تظهر اسماء مشهورة في ثياب جواسيس ... من بين هؤلاء النجمة المشهورة جريتا جاربو ، وايان

فيلمنج ، ونويل كوارد،الذى قال للمؤلف قبل موته : « كانت شهرتي هي أفضــل غطاء لاعمالي « التجسسية » ••• كذلك يروى الكتاب قصة الجاسوسة مادلين ـ او نور عنايات خان ـ وكيف أسقطت بالبراشوت ليلا قرب مدينة أنجــــر الفرنسية ، وسارت على الاقدام مسافة ٤٠ ميلا في الارض المحتلة ، لتنضم الى المقاومة السرية في لومانز !

معسكر اكس !

غير أن أغرب ما في الكتاب هو قصة « معسكر اكس » ، سر قوة مكتب تنسيق الامن ••• وهو عبــارة عن مزرعة شاسعة على ضفاف بحيرة أونتاريو بكندا ، حيث يتدرب العملاء ، ورجال حرب العصابات ، وتختبر الاجهزة ، وتبنى أحياء معادية كاملة يراد مهاجمتها بواسطة رجال المظلات من فرقة « صائدي الديدان النازية » ••• وكانت قاعدة مكتب تنســيق الامن في برمودا هي قاعدة الدفاع ، اما معسكر اكس فكان قاعدة الهجوم ••• كان قبضة الحلفاء الحديدية المستعدة دائما لتسديد ضربة موجعة للعدو !

وقد اختير معسكر اكس في بقعةنائية على حدود الولايات المتحدة وكنــدا ، يسهل تسلل « الضيوف » اليها دون أن يلاحظهم أحد ، وفي نفس الوقت يستحيل تسلل الغرباء ••• كان مدينة جاسوسية كاملة : في « محطـــة م » كانت تزيف الوثائق ، وفي مطار قريب كان العملاء يتدربون على الهبوط بالمظلة ليــلا في أرض العدو وعلى سطح البحيرة كانت تجربة غواصات للرجل الواحد ووسائل التدمير تحت الماء ، وتحت الارض كانت هيدرا ـ الافعى الخرافية ذات الرءوس التسعة التي كان هرقل الجبار كلماقطع لها راسا نبت لها بدله راسان ـ محطة الاتصال اللاسلكية التي تربط معسكر اكس بمحطات المخــابرات اللاسلكية المنتشرة في جميع أنحاء العالم •• هذا فضلا عن مصانع كاملة للمتفجــرات المموهة (على شكل اقلام حبر أو كاميرات أو حتى أرغفة خبز) ، وأدوات ومعدات الجاسوسية ••• وكان معســكر اكس يجتذب كل الوان الناس : من شخصيات المجتمع الراقي الى خبراء فتح الخزائن والمزورين ولصوص البنــوك المحترفين كلهم يعمل في الحرب الخفية !

التمويه والسحر !

وعملاء معسكر اكس يبحثون عن اى شيء : رجل كان يطبع دليلا ســنويا للشركات الالمانية قبل الحرب ، تحول الى موسوعة للمعلومات عن المانيا ، فمن غير المعقول ان تزرع جاسوسا في المانيــا ، يرتدى ملابس أمريكية ويستخدم أدوات بريطانية ••• صانع الات كاتبــة كان بمكنه أن يصنع صورة طبق الاصل من أي الة كاتبة في العــالم ، فمن غير المعقول ان تزود جاسوسا يعمل في فرنسا باوراق مكتــوبة على الة كاتبــة بريطانية ••• مهاجر من اوروبا كان عمله التقاط المصنوعات الاوربيــة من محلات الرهونات والروبابيكيا ، ليزود بها عملاء أوروبا •• ولنفس الغرض كانت هناك فرقة متخصصة في سرقة حقائب وملابس وحاجيات القادمين من اوروبا ، وتعويضهم عما سرق بسخاء !

ومن رقابة البريد كان المعسكر يتزود بالمعلومات ، « ويزرع » المعلومات ، وفي المجموعة السحرية كان الساحــر البريطاني جاسبر ماسكلين يعمل في فن

في العدد القادم

قصة جديدة :

روح وجسد

تذكرة طبية :

ارتفاع ضغط الدم

● أثر الحضارة الاسلامية في أوربا ●

لتمويه والخداع ، رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي مثلا خدع وهو في زيارة المعسكر حينما رأى أسطولا ألمانيا كاملا على سطح البحيرة، عكسته مرايا ماسكلين من نماذج صغيرة لسفن البحرية الألمانية ·· كان ماسكلين يجعل العدو يرى ما يريد له الحلفاء أن يرى ؟ ·

وثمة مجموعة كانت مهمتها « انتقاء » الرجل المناسب للمهمة المناسبة ، هؤلاء كانوا صائدى المواهب ، الذى صادوا ضابطا شابا في الحرس الكندى ، وطيارا من بيرو كان عائدا الى بلاده من تدريب في ايطاليا ، وأمريكيا من مواليد يوغوسلافيا ·· الاول أصبح جاسوسا ممتازا ، والثانى عاد الى ايطاليا ليحدد أهداف الرمى لطائرات الحلفاء ، والثالث تسلل الى يوغوسلافيا ، ليكون عميلا للماريشال تيتو لدى سلطات الاحتلال الالمانية في يوغوسلافيا !

وفى قسم التمويه كان التدريب على الخداع ·· كان رئيسه هو الفنان البريطانى الدر ويلز ، الذى تخصص في رسم المناظر الطبيعية · هذا القسم كان يعيد بناء أى هدف في أرض العدو حتى يتدرب العملاء على مهاجمته · وكان ويلز من الجنود الذين انسحبوا من دنكرك الى بريطانيا ، حيث قضى وقتا عصيبا في التمويه على طائرات استطلاع العدو ، بصنع حشود من دمى الدبابات ، والطائرات ، والجيوش ·· والمواقع الحصينة ، والاساطيل ·· وبفضل هذه الحشود الوهمية أحجمت ألمانيا عن غزو بريطانيا ، الامر الذى أتاح لبريطانيا فرصة التقاط الانفاس والاستعداد لجولات الحرب القادمة ·· ولو كان الالمان قد غزوا بريطانيا بعد مأساة دنكرك مباشرة ، لانتهى كل شيء ·· بما في ذلك الحرب العالمية الثانية !

كان ويلز خبيرا في انشاء القواعد الوهمية ، وتمويه القواعد الاصلية ·· وفى معسكر اكس برع اكثر في هيئة الخداع ، حتى الالغام الارضية كان يموهها ليقع فيها العدو !

ومركز تدريب النساء كان في مدرسة تمريض ، وتحت شعار ملائكة الرحمة كن يتدربن على اعمال اللاسلكي ليلحقن بجيوش المقاومة السرية المنتشرة في أوروبا ، وكان التدريب من الشمول بحيث قالت احداهن انها كانت تحلم « بطريقة مورس » ، وتعمل في اشغال الابرة « بطريقة مورس » ·· وقام رجال سكوتلانديارد بتدريبهن على « فن التهريب » ، ومن ثم تعلمن أن في جسد المرأة مخابىء تفوق المخابىء الموجودة في جسد الرجل ·· وتعلمن كذلك كيف يستغللن احجام الرجل عن تفتيش المناطق الحساسة في جسد المرأة في تهريب اشياء لا يتصورها عقل الى عملاء الداخل ·· تحت سمع العدو وبصره !

ولقد قال احد مؤرخى المقاومة السرية يوما ، انه من الصعب ، في الوثائق السرية البريطانية ، ان تفرق بين الحقيقة والخيال ، ففى هذه الوثائق لا تجد احيانا خطا فاصلا واضحا بين الاثنين ، حيث عدد كبير من هذه الوثائق « مصنوع » ، لذلك تبدو لنا اعمال معسكر اكس الخرافية ، على انها حقيقة لا يشوبها الخيال أو المبالغة ·· من واقع الروح الوطنية التى كتبت بها ·

ولكن لا شك أن المؤلف قد اغترف من أرشيف المخابرات البريطانية ما شاء له الاغتراف ، واتاحت له صداقته ببطل الاحداث ، سير ستيفنسون ، حيوية للمعلومات قلما تجدها في كتاب آخر من هذا النوع ·· رغم بعض الاخطاء هنا وهناك !

محمود العتريس

اللعبة الخاسرة

يا فتنة العينين .. يا قاهره ماذا وراءَ النظرة العابره..
تلك التي ألقتْ على دربنا أو زارها .. ثم مضت سادره
أجنة الايام ، أم نارُها أهذه الدنيا ، أم الآخره ؟
إني.. وحقّ الحسن لا أهتدي بين تهاويل الرؤى الساحره
من أنت ، من أين ، وما موقعي منكِ .. ومن أيامك الطافره؟
وهذه الرنوة .. ما سرها معجبةً ، أم علها ساخره
وهل لقاء الطرف في لحظة ينبيك حالَ المرء أو حاضره ؟
إن كان هذا ، فلعمر المنى لأنتَ - يافاتنتي - جائرة
فقد تخالين رياح الجوى في طلعة تخفي منىً ضامره
وربَّ ناج .. كهدوء الرضا يضم جنحيه على ثائره !.
الحب - يا فاتنتي - قاهر يلوى عنانَ الفتنة القاهره
وأنت تبدين ، كلهو الصبا مجلوة ، مزهوة ، ناضره
كأنما لم تعرفي ما الهوى يوما .. ولم تستعطفي طائره
فهل صحيح ما يرى ناظري ما زلتِ من أوزاره طاهره
أم أنت قاسيت عذاب المنى - مثلي - فأصبحت به كافره

***

يا فتنة العينين ، كم قطعتْ مثلك عندي للهوى آصره
ولن تكوني غير أسطورة أخرى ، على سفح المنى عابره
في نظرة ، ألقت على دربنا أوزارها ، وانفلتت سادره
والحق - يافاتنتي - أننا.. عشنا ، كلانا ، في دُنى حائره
تلاعب الوهم بأيامنا .. نحنُ ، ضحايا اللعبة الخاسره

القصة القصيرة في الأدب

د. صلاح عدس

يقول « آرثر فوس » في كتابه « القصة القصيرة الامريكية » انه يمكن اعتبار القصة القصيرة فنا امريكيا وذلك رغم انها قد بلغت شأوا عظيما على يد « جي دى موباسان » في فرنسا • وتشيكوف في روسيا ، الا انها قد نشأت وازدهرت في امريكا منذ القرن التاسع عشر ••

وقد كانت اول محاولة لكتابة القصة القصيرة في امريكا على يد « ارفنج » سنة ١٨٢٠ • وهكذا يعتبر « ارفنج » هو ابو القصة القصيرة • وقد كان له اثر كبير على كتابات « هو ثورن » وادجار الان بو •

ويقول « راى ويست » في كتابه « القصة القصيرة في امريكا » انه اذا كان « ارفنج » (١٧٨٣ – ١٨٥٩) يقصد في قصصه الى الامتاع والتسلية عن طريق التعليقات الساخرة على حماقات وعيوب الانسان ، فان « هوثورن » (١٨٠٤ – ١٨٦٤) كان يقصد الى ما هو اكثر جدية من ذلك ، فهو يعمد الى التعمق في الطبيعة النفسية والاخلاقية للانسان مستعملا الرموز التي كان ارفنج لا يحفل باستعمالها ••

اما « ادجار الان بو » (١٨٠٩ – ١٨٤٩) فيعتبر أيضا الرائد الاول للقصة البوليسية • وكانت اعماله القصصية يشيع فيها جو جنائزى يتميز بالكآبة والحزن والجنون والجريمة والرعب والعنف والغموض والموت •• ويتميز كثير من شخصياته القصصية بالاختلال العقلي والوقوع تحت سيطرة الهلوسات السمعية والبصرية والافكار الوهمية الغامضة

ونجد في القرن التاسع عشر أيضا اسما آخر لمع في كتابة القصة القصيرة هو اسم « بريت هارت » (١٨٣٦ – ١٩٠٢) الذى كان من رواد القصة « ذات اللون المحلى » أى القصة التي تهتم بتصوير لغة وملابس وعادات وجغرافية المنطقة التي يصورها الكاتب في قصته •• وقد اتضح هذا الاتجاه بعد الحرب الاهلية وكان اول من اظهر ذلك الطابع المحلى هو « ارفنج » ••

ثم جاء القرن العشرون وبدأت تظهر قصص من نوع جديد تتميز بدقة الحبكة والنهايات المفاجئة وروح الدعابة واللمسات الخفيفة التي يقصد بها الامتاع الفني وتتضح فيهما

روح المدينة والجو الحضارى ·· او بالاختصار بدأت تظهر « القصة الصحفية » التى غمرت بسيالها الصحف ، وكان ذلك على يد « او هنرى » (١٨٦٢ - ١٩١٠) وغيره من الكتاب مثل « ادوارد هيل » و « توماس الدريتش » و « امبروز بيرس » ··

الأمريكى المعاصر

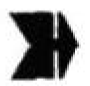

مارك وين

ومن الاسماء الاخرى التى لمعت فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، نجد امامنا اسم « مارك توين » (١٨٣٥ - ١٩١٠) والذى تتميز قصصه بالسخرية اللاذعة والنقد الاجتماعى ومحاربته للرق والبيروقراطية والاقطاع والنفاق الاجتماعى ··

وتعكس قصصه لغة وعادات الناس » · وتتميز بالمبالغات ، و « الفانتازيا » وكان « مارك توين » يهتم بالصياغة والشكل وبالوحدة الفنية . وهو يعتبر بمثابة القمة فى القصة الفكاهية الساخرة ·· وقد جاء القرن العشرون وجاءت معه الحرب العالمية الاولى ثم الكساد الاقتصادى فى الثلاثينات ثم الحرب العالمية الثانية ·· وقد سبب كل ذلك هزات عنيفة للمجتمع الامريكى انعكست اثارها على القصة القصيرة وعلى الانتاج الادبى بوجه عام ··

وقد لمعت اسماء عديدة فى النصف الاول من القرن العشرين فى مجال القصة القصيرة وكان لمعظم هذه الاسماء ايضا اعمال روائية عظيمة ·· وكان على راس هؤلاء الكتاب « شيروود اندرسون » ، و « ثيودور دريزر » ، و « ارنست هيمنجواى » ، و « سكوت فيتزجرالد » و « سنكلير لويس » ، و « جون شتاينبك »

اما « شيروود اندرسون » (١٨٧٦- ١٩٤١) فقد اسهم هو و «همنجواى» فى تطوير القصة القصيرة فى القرن العشرين ·· وكان « اندرسون » فى قصصه متأثرا بالتحليل النفسى عند « سيجموند فرويد » ·· ، وهذا ما نجده فى قصة « نزهة فى ضوء



القمر » مثلا فنيها يصور لنا نزهة طبيب مع امرأة أحبها بعنف منذ النظرة الاولى · وكانت تعمل مربية لطفلة من مرضاه ·· وكان الطبيب يحس بدافع لا شعورى يجذبه نحوها لكنه لم يلمسها · ثم اختفت تلك المرأة من حياته فجأة وعاد هو الى حبه المعتاد لزوجته ··

وقد ذاعت شهرة « اندرسون » فى العشرينات لكن شهرته بدأت تذبل فى الثلاثينات وذلك لانه اولا لم يكتب خلالها مثيلا لما سبق أن كتب ، وثانيا لانه لم تعد قصصه من النوع الذى يجذب الناس فى فترة الثلاثينات وما سادها من وعى اجتماعى حتى أن « أندرسون » نفسه يشير الى ذلك بسخرية فى قصته « نزهة فى ضوء القمر » ·

ويقول « اوستن رايت » فى كتابه « القصة القصيرة فى العشرينات » ان هذا ايضا كان هو حال الكاتب « سكوت فيتزجرالد » (١٨٩٦ – ١٩٤٠) الذى لم يكن مزدهرا هو الآخر ككاتب قصة قصيرة فى الثلاثينات بينما كان مزدهرا فى العشرينات ·

ونجد « فيتزجرالد » فى قصصه يصور الاحساس بالضياع واليأس ، وقد كان للحرب العالمية الاولى اثر فى ذلك الاحساس الشائع فى قصصه ·

ولعل من اجمل قصصه القصيرة قصة « عودة الى بابل » وبابل هنا هى رمز لمدينة « باريس » وذلك لكثرة ما فيها من الاجناس مثلما كانت « بابل » القديمة ·· وفيها نجد بطل القصة الاب « شارلى » يعود الى باريس مرة أخرى كى يستعيد ابنته الطفلة « أونوريا » لتعيش معه · ثم نعرف انه كان من قبل متلافا ومسرفا فى الخمر حتى تبددت ثروته وتسببت معاملته السيئة لزوجته فى مرضها ثم موتها · مما جعل اختها تحقد عليه وتربى الطفلة أونوريا معها فى بيتها تنفيذا لوصية الام قبل وفاتها ·· ورغم الشكوك التى تحملها تلك الاخت ضده الا انه كاد ينجح فى أخذ موافقتها على رفع وصايتها عن ابنته كى يرحل بها لتعيش معه وذلك بعد أن اكد لها حسن سلوكه ·· ولكن الماضى ينساب الى الحاضر ليفسد الامر وذلك حين يزوره فى شقة تلك الاخت رجل وامرأة من اصحابه القدامى المستهترين ويعربدان مخمورين مما يعيد شكوكها اليها · وهكذا تفشل كل محاولاته لاستعادة طفلته ·· واخيرا يرحل وحيدا بدون الطفلة ·· وتنتهى القصة بهذا الاحساس بالفشل والاحباط ·· ويقول « ارثر فوس » فى كتابه « القصة القصيرة الامريكية » ان قصة « عودة الى بابل » هذه تعتبر من أعظم القصص القصيرة فى الادب الامريكى

عامة وذلك نظرا لما فيها من عمق الاحساس ..

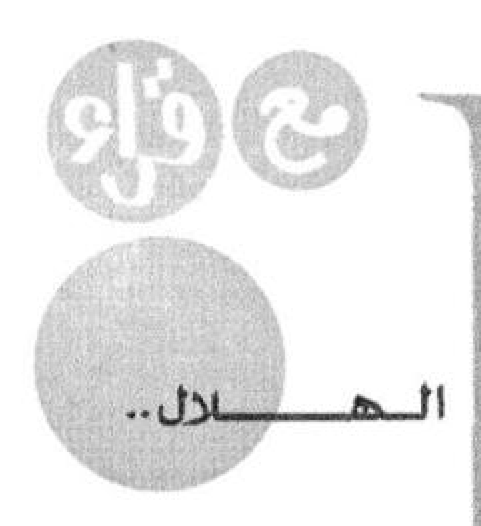
اما « ارنست هيمنجواى » (١٨٩٩ ـ ١٩٦١) فقد كان له كما سبق ان قلنا دور كبير في تطوير الشكل الفنى للقصة القصيرة . وهذا ما يؤكده « لويس باتى » فى كتابه « تطور القصة القصيرة الامريكية » وكان هيمنجواى يعتمد فى اسلوبه على التكرار واستعمال الفاظ سهلة دارجة .. وكان يصور فى قصصه « الجيل الضائع » فى اوروبا وامريكا بعد الحرب العالمية الاولى . وهذا ما نجده مثلا فى قصته « عودة الجندى » ، ففيها يعكس لنا هذا الاحساس بالضياع وانهيار القيم بعد الحرب متمثلا فى شخصية «كريز» الذى يعود الى وطنه الولايات المتحدة بعد ان اشترك فى الحرب . ويحثه والداه على البحث عن عمل والتفكير فى بناء مستقبله . لكنه لا يحس بدافع الى عمل اى شىء وانما يغمره الشعور بالملل وفقدان الايمان الدينى . بل فقدان الايمان باى شىء .

. اما « جون شتاينبك » (١٩٠٢ ـ ١٩٦٨) فقد اشتهر كروائى اكثر منه ككاتب قصة قصيرة .. وقد اشتهرت كتاباته فى الثلاثينات اى فى فترة الكساد الاقتصادى لانه قاد حركة الرفض والاحتجاج فى القصة الامريكية فى تلك الفترة .. ويقول « آرثر فوش » فى كتابه « القصة القصيرة الامريكية » ان مساوىء وعيوب المجتمع الصناعى كانت موضوعا للكثير من الاعمال القصصية فى الادب الامريكى منذ اكثر من قرن . حتى اننا نجد مثلا « هيرمان ميلفيل » فى قصصه يهاجم استغلال النساء فى الصناعة وحياة المناجم . ولكن لم يكن هناك فى اى فترة من التاريخ الامريكى احتجاج يماثل الاحتجاج أو الرفض الذى انعكس فى القصة الامريكية فى سنوات الكساد الاقتصادى ..

وهكذا نجد أن القصة القصيرة قد نشأت وازدهرت فى امريكا على يد ثلاثة اجيال .. اما الجيل الاول فقد ظهر فى القرن التاسع عشر ويمثله : « ارفنج » ، و « هوثورن » ، و « هرمان ميلفيل » ، و « بريت هارت » ، و « ادجار الان بو » ..

اما الجيل الثانى فقد ظهر فى نهاية القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين ويمثله « مارك توين » و « أو . هنرى » .. واما الجيل الثالث فقد ظهر بعد الحرب العالمية الاولى ويمثله : « ثيودور دريزر » و « شيروود اندرسون » ، و « سكوت فيتزجرالد » و «ارنست هيمنجواى» و « ستكلير لويس » ، و « جون شتاينبك » .

كما ظهرت اسماء اخرى عديدة بعد الحرب العالمية الثانية انتجت قصصا قصيرة جيدة الا انها ليست ذات اتجاه محدد .. ومن بين هذه الاسماء « اروين شو » ، و « جيمس بوردى » ، و « فيليب روث » وغيرهم كثير ..



● نصر الدين عبد اللطيف ●

● فاروق أحمد يوسف: : حلوان :

ـ لا ، لا ·· وما أبعد الفارق بين الأصمعي ، (وقد قلت هنا من قبل أنني أعجب به ، فقيها لغويا محققا ، ناقدا ، وراوية ،) ، وبين ذلك الوغد الذي تسألني عنه : أشعب !

كان أشعب طفيليا ، ماجنا ، مزاحا ، يضحك بقصصه ونوادره أهل الحجاز ··· وفي مصنفات الجاحظ وابن عبد ربه والبغدادي وغيرهم طرف من مغامراته وأخباره ·· ولأستاذنا الكبير توفيق الحكيم قصة عنه شائقة متصلة الفصول باسم : « أشعب أمير الطفيليين » ·

والحق أن « أشعب » كان صورة فريدة في عالم الطفيليين ، مغامرا ، راصدا للموائد والطعوم كما يرصد الفلكي الكواكب والنجوم ! ·· قيل له يوما : لو حفظت الحديث الشريف حفظك هذه النوادر لكان أولى بك ! ··· قال : قد فعلت ! ·· قالوا له : فما حفظت من الحديث ؟ ·· قال حدثني نافع عن عمر قال ، قال رسول الله : من كان فيه خصلتان كتب عند الله خالصا مخلصا ! ·· ، قالوا : إن هذا حديث حسن ، فما هاتان الخصلتان ؟ ··· قال : نسي نافع واحدة ··· ونسيت الأخرى !!

● عزت عبد العظيم ـ ابو تيج :

ـ الوجه الاخر لاهم ملاحظاتك فى رسـالتك ، انهم ـ الاعزاء القراء ، هم الذين اثروا الحسـنى واختـاروا التعايش السلمى معى بالاسئلة ، طيبة ، جادة ومهذبة ، الى حد يحتم المعاملة بالمثل ، ويضطرنى ان اكون بدورى طيبا ، جادا ، و ‥ بقدر المستطاع ـ مهذبا ! ‥

وذلك هو ما يدهشك ⋯ ويبدو انه لا يعجبك !

والحق ان ذلك ليس كذلك حقا ⋯

ذانا ما زلت كما كنت ⋯ لم أسلك طريق الهداية ، ولم ألبس عمامة التقى والورع !

شد حيلك اذن ⋯ ولسوف ترانى هنا ـ طالما انى هنا ! ـ تحت أمرك ، وعند حسن ظنك بأدبى ، وقلة ادبى ! ‥

● جمال أبو عوف ـ الحسينية :

ـ واحد واربعون فى المائة من كلام العتاب واللوم فى رسالتك ، كان من الممكن توفيرها لراحتنا وراحتك ، لو أنك قرأت فى « الزهور » ، عدد الشهر الماضى ، رسالة بكين والقصة التى يناقشها الملايين فى الصين ⋯ ولو انك ايضا تفضلت ولاحظت أنها بادرة لتحقيق ما تطالب به من الاهتمام بالأدب الصينى قديمه وحديثه فى أعدادنا القادمة ⋯

ويبقى ما بقى من الاسئلة التى تغطى الصفحات الثلاث فى رسالتك ، والتى يشبه خطك فيها نبش تلك الطيور الداجنة ، الثمينة البعيدة المنـال : الدجاج !

عن الشعر والفلسفة أقول ان لهما قدم الحياة فى « جنة المؤرخين » الصين العريقة ، والصديقة ⋯

ويسمونها « جنة المؤرخين » لأن المؤرخين فيها على امتداد الاف السنين كانوا يسجلون كل ما يقع فيها ⋯ ومع ذلك فقد ضاع اكثر تراثها من الشعر قبل ظهور كونفشيوس ، وما بقى فى معظمه نماذج موجزة ذات تصوير ايمائى تتحدث عن الدين والحرب ، وهموم الحب ⋯ ويضمها « كتـاب الأغانى » ـ الشى ، جنج ـ ، ومن ارق نماذجه للشاعر الكبير « لى ـ بو » ما ترجمته :



... في اثوابها جلال الغمام السليح ...
وفي وجهها سنا الزهرة الناضرة !
ايها الطيف السماوي ، يامن لا يكون الا في العلا
، فوق قمة جبل الجواهر ...
او فوق قصر البلور المسحور حين يرتفع القمر في السماء
على انني الهد ها هنا في روضة الارض ...
حيث يهب نسيم الربيع الرقيق على الاسوار
وتتلالا نقاط الندى الكبيرة ...
لقد تدفق حنين الحب الذي لا اخر له ..
والذي حملته الى القلب اجنحة الربيع ! ..

● بوحامد الطيبي ـ دراسات عليا ، مدريد :

ـ ماذا يهمك من « شربة اهل الهوى » ... وانت كما يظهر من عنوانك

تعيش ـ ويابختك ! ـ في مجتمع متفتح للهوى والشباب ؟!

صحيح انني ذكرت ردا على قارىء في عدد سابق ، بعض ما قرات في « مقامات الوهراني » عن شربة اهل الهوى ... ولكن تلك « الشربة » وما يجرى مجراها من الكتابات للحب ، وطرائف الوصايا والوصفات للعشاق ـ كانت تشغل اهتمام الناس في تلك العهود السالفة حيث الحياة اقرب الى البداوة والفطرة ، والمجتمع محافظ تسوده تقاليد الحجاب ! .. اما الان ، والناس والعصر عرى ! وكل شيء عار .. ! ففيم يهمك ما بقى من اسرار « شربة اهل الهوى » وما ذكرت هنا من قبل انه لا يكتب ولايقال ؟!

على اية حال ، ومادمت تصر على السؤال ، فلعلي افيدك بان كل ما بقى في مقامات الوهراني مما لا يكتب ولا يقال ، لا يزال حتى الان .. لا يكتب ولا يقال !..

● علاء الدين عارف ـ سامراء :

ـ عن « الشعر المرسل » و « الشعر الحر » اقول لك :

الاول ، اعنى المرسل ، هو الذي يحتفظ بالوزن ويتحلل من قيد القافية ...

عرف به الشاعر الايطالى « ترسينو » منذ نحو خمسمائة عام ، ونظم منه شكسبير بعض مسرحياته ، ويسميه الاوربيون « الشعر الابيض » ...

ومع تطور الشعر المرسل وانتشاره ، اشتق منه نوع آخر يتخفف من الوزن ويقبل أن يتألف بيت من تفعيلة او اثنتين ، وبيت آخر من أربع تفعيلات او اكثر ، وكان ذلك هو « الشعر الحر » ...

و « الشعر المرسل » ، مع التزام الوزن وتساوى التفاعيل ، حقق نجاحا فى القصة والمسرحية ، وعالج النظم به شعراء لامعون بينهم صدقى الزهاوى، وفريد ابو حديد ، وعبد الرحمن شكرى ، وأحمد زكى ابو شادى ...

اما « الشعر الحر » الذى يخـرج فى النظم على علم العروض ، فانهم يسمونه « النثر المسجع » او « النثر المرسل » ، فهو يكون « مسجعا » اذا التزم « قافية في كل فقرتين او اكثر » ... ويكون « مرسـلا » اذا لم يكن كذلك ...

واخيرا ، فان للشعر المرسل جذورا فى الشعر العربى القـديم ، يؤكدها الاستاذ احمد حسن الزيات ، بما روى ابو عبيدة لابنة مسافع وقد قتل ابوها يوم بدر :

فمـــا ليث غـريف ذو
اظــافير واقــدام
كحبى اذ تــــلاقوا
ووجــوه القــوم الوان
وانت الطــاعن النجلاء
منهــــا مــزبد آن
وبالكف حســام صـارم
ابيض خـــذام !

مع قراء الرسائل

مختارات واسماء
فى بريد الشعراء

● عبد الغفار عبد الجواد ــ بنها : ليالى الجفاء ● لطفى فؤاد ، صنصفط، منوف : أرضنا ملك لنا ... ● ملاك سعيد حنا ، القـاهرة : الكل فى

سبات ··· ● محمد أحمد اوغلي ، اللاذقية ، سورية : على الجراح ··· ● محمد خير محمد ، عطبرة ، السودان : الحياة جميلة ··· ● بوثلجـة حميد ، سيدى موسى ، الجـــزائر : تحية لاعلام الفكر ·· ● عاطف محمد عباس ، القاهرة : الموت والخلود ··· ● حسن عبد الخالق ، كلية البترول، منوفية : ايحاء القمر ··· ● نايف همام ، مكة المكرمة : ذات الثــوب الاحمر ··· ● حسن على محمد جابر ، الاسكندرية : الى الدنيـــا ··· ● معروفي عبد الواحد ، القنارية ، مراكش ، المغـــرب : الكتاب خير جليس ··· ● محمد عبد الرحمن مصطفى ، شبين القناطر : أيها النائي سلاما ··· ● مصطفى خطاب ، القاهرة : تحت الجبل ··· ● محمد القباني ، الدقى ، جيزة : حبيبتى ··· ● فيصل عبد العزيز فرح ، السودان : أنات فى سكون المسكون ··· ● محمد عبد الفتاح الشاذلى ، الاسكندرية : السمان والربيع ··· ● عبد السلام محمد طنطاوى ، بلقاس ، دقهلية : لست أدرى ··· ● مأمون صافيا ، جبلة : لقاء ··· ● جبايلي حمودة ، رمل السوق ، عنابه ، الجزائر : هكذا أهواك ·· ● عبد الحميد احمد عبد الغفار ، سوهاج : الدموع والشموع ··· ● عبد الغفار عبد الجواد (محارب قديم) اتريب ، قليوبية : من حصاد الذكريات ··· ●

● معين محمد الجعفرى ـ عمـــان ، الاردن ، من قصيدته « عودة سندباد » :

عيناك ليل يرغم الصفصاف أن يزهر
في فرحة المرج الحبيب ···
والحب ان يكبر ··· في لجة الموج الصخوب
اولم تصك مع الشروق رسائلي ··
عبر البحار
وعلى انبثاق الضوء في أعلى المنار ؟!
● عزت الطيرى ـ زراعة أسيوط :

ـ مبروك المركز الاول فى الشعر ـ وللمرة الثانية ـ على جامعة أسيوط ··· وعلى هذا المستوى ، فما أصلح انا لكرسى « الاستذة » ! ·· ـ للرقيقة « صديقة الشعر » ، كل الاعجاب ، وكل حقوق الانابة عنى فى شطب ما تراه من رسائلك الى ··· ـ استوقفني الحب المتسامى فى ذات الثوب الاخضر ، ولفتنى أن جعلت الختام « انا أعطيناك الكوثر » !

● مهندس عبدالله احمد نافع ـ فاقوس ، شرقية :

ـ لو اننا الان ، أيام زمان ، وكنت السـلطان ، لازدهاني في مجلس ما اثبت به على في رسالتك الرقيقة ··· وملأت فمك ذهبا !

ثم ··· لدعوت أن يمثل من ببابي من الشعراء واهل الادب ، فاقول لهم : ذاك شاعر جديد ، مجد ··· اجعلوه بينكم بما يجلو موهبته صقلا ، ودربة ، وعلما بأسرار اللغة وفنون القول ··· ولالتقين به معكم بعد حين ! ··

● مختار محمود عوض ـ الكترونات بنها :

ـ ما اظن انني قد افيدك برأي او نقد لا تجد أحسن من أحسن منه لدى شقيقك وصديقي الدكتور ابراهيم ···

على أن ذلك لا ينال بأي حال من تجاوبي معك ، واعتزازي بحسن ظنك ··· فلك المزار مرحبا ··· ولي الرجاء بعد ذلك الا يكون « سماعك بالمعيدى خير من أن تراه » !

● س · الجامعة ـ ضواحي القاهرة :
ـ لم يخطر لي وانا اكتب الناس والعصر ، ان سهير « اجمـل شيء في العالم » هي ، او يمكن ان تكون هي مثلا اجمل سهير في وجه بحرى ! ·· ـ تلك الابيات لم تكن رمزا ، ولا واقعا ، ولا غمزا ! ·· كانت مجرد مناسبة ودليل في سياق الرد على سؤال قارىء ·· ـ الف سلامة ، وحتى الابد ، لا اخفاق ولا مرض ··· وليحفظ لك الله (ولا حسد !) وفاء الصـديقة الرائعة !

● نيازى محمد فريد ـ الاسكندرية : (ثلاثة أسئلة شخصية) :

★ شيء ، فيه ما تحب وما تكره ··· ما هو ؟

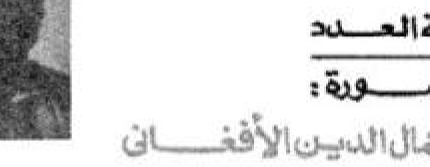
ـ الصبر ! ·· لا أحبه ، ومن اجل هذه الكلمات الجميلة لانسان عظيم ـ أحبه : لو كان الصبر رجلا ، لكان رجلا كريما ! ··

★ في كتاباتك مرح ·· وتبدو غير سعيد ؟!

ـ يمكنك ان تعتبرني كما أبدو ·· !

★ كل هذا الذى ··· وانت لا مشهور ولا منتشر ! ·· مدهش ؟!

ـ في السيريالية ، مثلا يقول المبدأ والنظرية : المدهش ··· هو وحـده الجميل !



هدية العدد

صورة : جمال الدين الأفغانى

● ولد فى « سعد أباد » من أعمال بلاد « الافغان » سنة ١٨٣٩ .

● أبوه هو السيد صفر ، من سادات الافغانيين ، وينتسب الى الترمذى المحدث المعروف الذى يرتقى نسبه الى الامام الحسين بن على

● درس فى افغانستان وايران علوم اللغة العربية ، والعلوم الشرعية والعقلية ، وتفوق فى الانشاء العربى ، وعلوم الفلسفة والشريعة ، والرياضيات والفنون الحربية ، ودرس الفارسية والتركية ..

● الف جمعية سماها « ام القرى » وكانت أشبه ما تكون ببرلمان اسلامى كبير وقد أصدرت مجلة باسمها .

● طاف بالاقطار العربية وذهب الى الحجاز لاداء فريضة الحج ، ثم عاد الى افغانستان وعمل فى الحكومة حتى وصل الى منصب كبير الوزراء فى عهد محمد على أعظم ، وسنه لم تتجاوز السابعة والعشرين .

● حاول الانجليز ابعاده بعد ان رأوا منه الروح الحرة وحينما ذهب الى الهند ، روجه بعقبات تابعد منفيا الى مصر .

● جاء الى القاهرة عام ١٨٧٠، ثم سافر الى الاستانة وعين هناك عضوا فى مجلس المعارف ، ثم جاء الى مصر للمرة الثانية منفيا لمارس عام ١٨٧١ .. وقد دعا الى طلب الحرية والثورة على الاستبداد ، وقام بحركة سياسية لا تقل شأنا عما قام به من اصلاح اجتماعى وعلمى.

● مهد لثورة عرابى بكلماته التى كان يلقيها بمنزله على أبناء الأزهر، وفى مقدمتهم « محمد عبده » و « سعد زغلول » .. وضاق الخديو توفيق به ذرعاً فنفاه الى الهند فى ٢٤ من أغسطس ١٨٧٥ .

● كانت تعاليمه ومبادئه فى كل البلاد التى زارها ترمى الى جمع كلمة أهل كل بلد من بلاد الشرق ، ومحاربة الاستعمار ، وأطلاق حريات الشعوب ، وبناء نظام الحكومات على الشورى والدستور ، ولعله أول من فكر فى وحدة البلاد الشرقية ، وفى الجامعة العربية .

● كان له نشاط صحفى ممتاز من خلال الجرائد التى كان يصدرها اتباعه وكذلك عمل على اصدار جريدة « أبو نظارة » الهزلية ، وصبغها بنفس الصبغة التحريرية . ثم أصدر « العروة الوثقى » فى باريس مع تلميذه محمد عبده .

● قال عنه الفيلسوف الفرنسى « رينان » : كنت اذا تحدثت اليه فكأنما اتحدث الى ابن سينا او ابن رشد .

● فى التاسع من مارس عام ١٨٩٧ وبعد كفاح طويل من اجل اعلاء كلمة الشرق وحروب لا هوادة فيها ضد المستعمر الغاصب ـ اسلم جمال الدين الافغانى باعث نهضة الشرق الحديثة الروح ، وطويت صفحة واحد من اعظم رجالات الاسلام فى النصف الثانى من القرن الماضى .



أيها الثاملون فى ســـكرة الليـ
ـــل هنيئا للشـــامل المستقر
آه ! .. لو تعلمون ما يفعـــل الو
جد بقلبى ، لهالكم أى أمـــر
ـير أنى إذا الأسى أصـــابتنى
بسهم من الردى غـــير حـــر
أسـعر الدموع وهى ســـيول
ثم أفنى فيها . وأجرع صـبرى
قد رعيت الآمال حتى اســـتراحت
مقلتى ، والأوهام تكتب سـفرى
ونـــا يا حبيبتى فيــك حــلمى
وأذاعت صـــبابتى ألف ســـر
وارتوينا من كأسنا قبل أن تلثم
فاها ، يُسبى النفوس ويغـــرى

محمد مصطفى الغمارى
● جامعة الجزائر ـ الجزائر ●

